

مِصْبَاحُ الْمُسْلِمِ

كتاب عقائد وأداب وأخلاق وعبادات ومعاملات

طبعة جديدة مشكولة

وتحفة خفيفة للإخوان المسلمين الصالحين
الأب كرجابر البحر الرمي

تقديم
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الناشر
مكتبة العالم والحكم
المدينة المنورة

Bibliotheca Alexandrina



0014373

مِنْهَاجُ الْمُسْلِمِ

كِتَابُ عَقَائِدٍ وَأَدَابٍ وَأَخْلَاقٍ وَعِبَادَاتٍ وَمُعَامَلَاتٍ

طَبْعَةٌ جَدِيدَةٌ مَشْكُولَةٌ

وَضَعَهُ خُصِيصًا لِلْإِخْوَةِ الْمُسْلِمِينَ الصَّالِحِينَ
أَبُو بَكْرٍ جَابِرُ السَّجَزِيُّ

مَكْتَبَةُ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ
الْمَدِينَةُ الْمُنُورَةُ

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً
قرآن کریم

المقدمة

الحمدُ لِلَّهِ رَبِّ العالمين، وإِلَيْهِ الأَولينَ والآخِرينَ، وصلاةُ اللَّهِ وسلامُهُ ورحماتُهُ وبركاتُهُ على صفوةِ خلقِهِ، وخاتمِ أنبيائِهِ ورُسلِهِ، سيدِنَا مُحَمَّدٍ وآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وصحابيهِ أَجمعينَ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَمَغْفِرَتُهُ للتابعينَ، وتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وبعدُ، فَقَدْ سألني بعضُ الإخوةِ الصَّالِحِينَ من مدينةِ «وُجْدَة» بالبلادِ المَغْرِبِيَّةِ، أَيَّامَ زيارَتِي لِيَتْلِكَ الدِّيارِ الإسلاميَّةِ، سألني بِمُناسَبَةٍ دَعَوْتِي الإِخوانَ إِلَى الكِتَابِ والسَّنَةِ، والتَّمسُّكِ بهما، لأنَّهما سَبِيلُ نِجاةِ المسلمينَ، ومصدرُ القُوَّةِ والخيرِ لَهُم في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

سألني ذلك البعضُ المؤمنُ أن أَضَعَّ لِلْفِئَتِابِ المؤمِنَةِ هناك، والجماعَةِ الصَّالِحَةِ في تلكِ الرُّبُوعِ، كِتَاباً أَشَبَّهَ بِمَنْهَاجٍ أَوْ قَانُونٍ، يَشْمَلُ كُلَّ ما يَهُمُّ المسلمَ الصَّالِحَ في عَقِيدَتِهِ، وآدَابِ نَفْسِهِ، واستِقامَةِ خُلُقِهِ وعبادَتِهِ لِرَبِّهِ، ومعامِلَتِهِ لإِخوانِهِ، على أن يَكُونَ الكِتَابُ قَبَساً من نورِ اللَّهِ^(١)، وفَلَقَةً من شمسِ الحِكْمَةِ المَحْمُديَّةِ، فلا يَخْرُجُ عن دائِرَةِ الكِتَابِ والسَّنَةِ، وَيَعُدُّوا هالَتَهُما، ولا يَنْفَصِلُ عن مَرَكِزِ إِشْعائِهِما بِحالٍ من الأَحْوالِ، وَأَجَبْتُ الإِخوةَ الصَّالِحِينَ إِلَى ما طَلَبُوا، فاستعنتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ في وَضْعِ الكِتَابِ المَطْلُوبِ، أَوِ المَنْهَاجِ المَرْغُوبِ، وأَخَذْتُ من يَوْمِ عَوْدَتِي إِلَى الدِّيارِ المَقْدَسَةِ في الجَمْعِ والتَّأليفِ، والتَّنْقِيحِ والتَّصْحِيحِ، علي قَلْبَةٍ فَرَاغِي وانشغالِ.

(١) المراد بنور الله كتابه الكريم ، لأنه سماه نوراً في قوله عز وجل : ﴿ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا ﴾ .

بِالْيَ . وَقَدْ بَارَكَ اللَّهُ تَعَالَى فِي تِلْكَ السُّوَبَاتِ الْإِسْبُوعِيَّةِ الَّتِي كُنْتُ اخْتَلِسُهَا مِنْ جَيْبِ أَيَّامِي الْمَلِيئَةِ بِالْهَمِّ وَالتَّفَكِيرِ، فَلَمْ يَمُضْ سِوَى عَامَيْنِ اثْنَيْنِ حَتَّى تَمَّ وَضْعُ الْكِتَابِ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي رَجَوْتُ، وَالصُّورَةَ الَّتِي أَمَلْتُهَا الْإِخْوَانُ. وَهَا هُوَ الْكِتَابُ يُقَدَّمُ إِلَى الصَّالِحِينَ مِنْ إِخْوَةِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ مَكَانٍ. يُقَدَّمُ كِتَابًا، وَلَوْ لَمْ أَكُنْ مُؤَلِّفَهُ وَجَامِعَهُ، لَوَصَفْتُهُ بِمَا عَسَاهُ أَنْ يَزِيدَ فِي قِيَمَتِهِ، وَيُكْثِرَ مِنَ الرِّغْبَةِ فِيهِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ حَسْبِيَ مِنْ ذَلِكَ مَا أَعْتَقَدُ فِيهِ: أَنَّهُ كِتَابُ الْمُسْلِمِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْلُوَ مِنْهُ بَيْتُ مُسْلِمٍ.

هَذَا، وَالْكِتَابُ يَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسَةِ أَبْوَابٍ، فِي كُلِّ بَابٍ عِدَّةُ فُصُولٍ، وَفِي كُلِّ فُصُولٍ مِنْ فُصُولِ بَابِي الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ مَوَادُّ تَكْثُرُ أحيانًا وَتَقِلُّ.

فَالْبَابُ الْأَوَّلُ مِنَ الْكِتَابِ فِي الْعَقِيدَةِ، وَالثَّانِي فِي الْآدَابِ، وَالثَّلَاثُ فِي الْأَخْلَاقِ، وَالرَّابِعُ فِي الْعِبَادَاتِ، وَالْخَامِسُ فِي الْمَعَامَلَاتِ، وَبِهَذَا كَانَ جَامِعًا لِأُصُولِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَفُرُوعِهَا. وَصَحَّ لِي أَنْ أَسَمِّيَهُ «مَنْهَاجَ الْمُسْلِمِ»، وَأَنْ أَدْعُو الْإِخْوَةَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْأَخْذِ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ.

وَقَدْ سَلَكْتُ - بِتَوْفِيقِ اللَّهِ - فِي وَضْعِهِ مَسْلَكًا حَسَنًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَفِي بَابِ الْإِعْتِقَادَاتِ لَمْ أَخْرُجْ عَنْ عَقِيدَةِ السَّلَفِ لِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى سَلَامَتِهَا، وَنَجَاةِ صَاحِبِهَا، لِأَنَّهَا عَقِيدَةُ الرَّسُولِ ﷺ، وَعَقِيدَةُ أَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ، وَعَقِيدَةُ الْإِسْلَامِ الْفِطْرِيَّةِ، وَالْمِلَّةُ الْحَنِيفِيَّةُ الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ بِهَا الرُّسُلَ، وَأَنْزَلَ فِيهَا الْكُتُبَ. وَفِي بَابِ الْفَقْهِ - الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ - لَمْ آلْ جُهْدًا فِي تَجَرِّي الْأَصُوبِ وَاخْتِيَارِ الْأَصَحِّ، مِمَّا دَوَّنَهُ الْأَثَمَةُ الْأَعْلَامُ، كَأَبِي حَنِيفَةَ، وَمَالِكٍ، وَالشَّافِعِي، وَأَحْمَدَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى أَجْمَعِينَ، مِمَّا لَمْ يُوجَدْ لَهُ نَصٌّ صَرِيحٌ، أَوْ دَلِيلٌ ظَاهِرٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ. وَلِهَذَا أَصْبَحْتُ لَا يُخَالِجُنِي أَدْنَى رَيْبٍ، وَلَا يَسَاوِرُنِي أَقْلُ شَكٍّ فِي أَنَّ مَنْ عَمِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِهَذَا الْمَنْهَاجِ - سِوَاءٍ فِي بَابِ الْعَقِيدَةِ أَوْ الْفَقْهِ، أَوْ الْآدَابِ، وَالْأَخْلَاقِ - هُوَ عَامِلٌ بِشَرِيعَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهَدْيِ نَبِيِّهِ ﷺ.

ولا بأس أن يَعْلَمَ الإخوة المسلمون أَنَّهُ لَوْ شِئْتُ، بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، لَدَوَنْتُ المسائلَ الفقهيَّةَ في هَذَا المنهاجِ على مَذْهَبِ إِمَامٍ خَاصٍّ، وَلَكِنْتُ بِذَلِكَ أُرِخْتُ نَفْسِي مِنْ عَنَاءِ مُرَاجَعَةِ الْمَصَادِرِ الْمُتَعَدِّدَةِ، وَتَصْحِيحِ الْأَقْوَالِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْأَرَائِ الْمُتَبَايِنَةِ أحياناً وَالمُتَّفِقَةِ أُخرى، كما هو معروفٌ لَدَى العالمين، وَلَكِنَّ رَغْبَتِي الْمُلِحَّةَ فِي جَمْعِ الصَّالِحِينَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْمُسْلِمِينَ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ تَتَكَلَّلُ فِيهِ قُوَاهُمْ، وَتَتَجَدُّ أَفْكَارُهُمْ، وَتَتَلَقَّى أَرْوَاحُهُمْ، وَتَتَجَاوَبُ عَوَاطِفُهُمْ، وَتَتَفَاعَلُ أَحَاسِيْسُهُمْ وَمَشَاعِرُهُمْ، هِيَ الَّتِي جَعَلْتَنِي أَرْكَبُ هَذَا الْمَرْكَبَ الصَّعْبَ، وَأَتَحْمِلُ هَذَا الْعَنَاءَ الْأَكْبَرَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نَيْلِ الْمَرَادِ، وَبُلُوغِ الْقَصْدِ.

هَذَا، وَإِنِّي لِأَشْكُو إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ كُلَّ عَبْدٍ يَقُولُ: إِنِّي فِي صَنِيعِي هَذَا قَدْ أَحْدَثْتُ حَدَثَ شَرٍّ، أَوْ أَتَيْتُ بِمَذْهَبٍ غَيْرِ مَذْهَبِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَسْتَعِذُّ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ مَنْ يُحَاوِلُ صَرْفَ الصَّالِحِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَنْ هَذَا الطَّرِيقِ الَّذِي دَعَوْتُ، وَالْمَنْهَاجِ الَّذِي وَضَعْتُ، إِذْ أَنَّنِي - وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ - لَمْ أَخْرُجْ عَنْ قَصْدٍ أَوْ غَيْرِ قَصْدٍ، فِيمَا أَعْلَمُ عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَلَا عَمَّا رَأَى أُمَّةُ الْإِسْلَامِ وَعَمِلُوا بِهِ، وَاتَّبَعَهُمْ فِي ذَلِكَ مَلَائِكَةُ الْمُسْلِمِينَ، لَمْ أَخْرُجْ قِيدَ شَعْرَةٍ أَبَدًا.

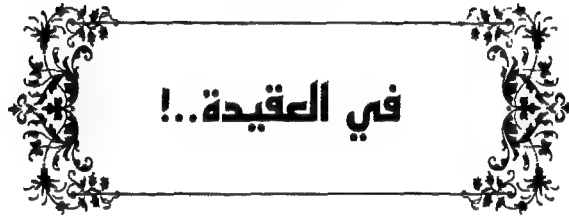
كما أَنَّهُ لَا قَصْدَ لِي سِوَى الْجَمْعِ بَعْدَ الْفُرْقَةِ، وَتَقَرُّبِ الْوُصُولِ بَعْدَ طَوْلِ الطَّرِيقِ.

فَاللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَتَوَلِّي الصَّالِحِينَ أَجْعَلْ عَمَلِي هَذَا فِي الْمَنْهَاجِ عَمَلًا صَاحِحًا مَقْبُولًا، وَسَعْيِي فِيهِ سَعْيًا مُرْضِيًّا مَشْكُورًا، وَانْفَعْ بِهِ اللَّهُمَّ مَنْ أَخَذَ بِهِ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ. وَأَنْقِذْ بِهِ يَا رَبِّي مَنْ شِئْتَ مِنْ عِبَادِكَ الْحَيَارَى الْمُرْتَدِّدِينَ، وَأَهْدِ بِهِ مَنْ عِبَادِكَ مِنْ رَأْيَتِهِ أَهْلًا لِهَدَايَتِكَ، إِنَّكَ وَحْدَكَ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ. وَصَلَّى اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.

المؤلف أبو بكر جابر الجزائري

المدينة المنورة في ٢١/٢/١٣٨٤ هـ - ١/٧/١٩٦٤ م

البَابُ الأوَّل



في العقيدة..!

الفصل الأول

الإيمان بالله تعالى

هذا الفصل من أخطر هذه الفصول شأنًا، وأعظمها قدرًا، إذ حياة المسلم كلها تدور عليه، وتتكيف بحسبه، فهو أصل الأصول في النظام العام لحياة المسلم بكاملها.

الإيمان بالله تعالى:

المسلم يؤمن بالله تعالى بمعنى أنه يصدق بوجود الرب تبارك وتعالى وأنه عز وجل فاطر^(١) السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، لا إله^(٢) إلا هو، ولا رب غيره. وأنه جل وعلا موصوف بكل كمال، منزّه عن كل نقصان، وذلك لهداية الله تعالى له قبل كل شيء^(٣) ثم للأدلة العقلية والنقلية الآتية:

الأدلة النقلية:

١ - إخباره تعالى بنفسه عن وجوده وعن ربوبيته للخلق وعن أسمائه وصفاته وذلك في كتابه الكريم، ومنه قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾* وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ، أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾.

(١) خالق.

(٤) سريعاً.

(٢) لا معبود بحق.

(٣) مصداق هذا قوله تعالى: ﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾. (٥) سورة الأعراف. الآية:

وَقَوْلُهُ لَمَّا نَادَى نَبِيَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) وَقَوْلُهُ: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٢). وَقَوْلُهُ فِي تَعْظِيمِ نَفْسِهِ، وَذِكْرِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يَسْبَحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣).

وَقَوْلُهُ فِي الثَّنَاءِ عَلَى نَفْسِهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٤) وَقَوْلُهُ فِي خِطَابِنَا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ: ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾^(٥) وَفِي آيَةِ - الْمُؤْمِنُونَ - : ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾ وَقَوْلُهُ فِي إِبْطَالِ دَعْوَى وَجُودِ رَبِّ سِوَاهُ، أَوْ إِلَهٍ غَيْرِهِ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(٦).

٢ - إِنْخِبَارُ نَحْوِ مِنْ مَائَةٍ وَأَرْبَعَةٍ وَعَشْرِينَ أَلْفًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ بِوُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ رُبُوبِيَّتِهِ لِلْعَالَمِ كُلِّهَا، وَعَنْ خَلْقِهِ تَعَالَى لَهَا وَتَصَرُّفِهِ فِيهَا وَعَنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَا مِنْهُمْ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا رَسُولٍ إِلَّا وَقَدْ كَلَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَوْ بَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولًا أَوْ أَلْقَى فِي رُوعِهِ^(٧) مَا يَجْزِيهِ مَعَهُ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَوَحْيُهُ إِلَيْهِ.

فَإِنْخِبَارُ هَذَا الْعَدَدِ الْكَبِيرِ مِنْ صِفَوَةِ الْخَلْقِ وَخُلَاصَةِ الْبَشَرِ يُحِيلُ الْعَقْلَ الْبَشَرِيَّ تَكْذِيبَهُ كَمَا يُحِيلُ تَوَاطُؤُ^(٨) هَذَا الْعَدَدِ عَلَى الْكَذِبِ وَإِنْخِبَارُهُمْ بِمَا لَمْ يَعْلَمُوا وَيَتَحَقَّقُوا وَيَجْزُمُوا بِصَحَّتِهِ وَيَتَقَنُّوا، وَهُمْ مِنْ خِيَارِ الْبَشَرِ وَأَطْهَرِهِمْ نَفُوسًا، وَأَرْجَحِهِمْ عُقُولًا، وَأَصْدَقِهِمْ حَدِيثًا.

(١) القصص. (٥) الأنبياء.

(٢) طه. (٦) الأنبياء.

(٣) الحشر. (٧) الروع: القلب والعقل.

(٤) العاتحة. (٨) التواطؤ. الاتفاق على الشيء وإقرار البعض البعض الآخر.

٣ - إيمانُ البَلَّايين من البشرِ واعتقادُهم بوجودِ الربِّ سبحانه وعبادَتُهم له وطاعتُهم إياه، في حينَ أنَّ العادةَ البشريةَ جاريةٌ بتصديقِ الواحدِ والاثنينِ فضلاً عن الجماعةِ والأمةِ والعددِ الذي لا يُحصَى مِنَ الناسِ، مع شَاهدِ العقلِ والفِطْرةِ على صحَّةِ ما آمَنُوا به وأخبرُوا عَنْهُ، وَعَبَدُوهُ وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ .

٤ - إخبارُ الملايين من العلماءِ عن وجودِ الله وعن صفاته وأسمائه ورُبُوبيته لكلِّ شيءٍ، وقدرته على كلِّ شيءٍ، وأنَّهُمْ لِدَلكَ عَبدُوهُ وَأَطاعُوهُ، وأَحَبُّوا لَهُ وَأَبغَضُوا مِنْ أَجْلِهِ .

الأدلةُ العَقْلِيَّةُ :

١ - وُجُودُ هذهِ العوالمِ المَختلِفةِ، والمخلوقاتِ الكثيرةِ المتنوعةِ يَشْهَدُ بوجودِ خالِقِها وهو الله عَزَّ وَجَلَّ، إذ ليسَ هناك في الوجودِ من ادَّعى خَلَقَ هذهِ العوالمِ وإيجادَها سِوَاهُ، كما أنَّ العقلَ البشريَّ يُحيلُ وجودَ شيءٍ بلا مُوجِدٍ، بل إنه يُحيلُ وجودَ أبسطِ شيءٍ بلا مُوجِدٍ تَأْمَلْ؛ وذلك كطعامٍ بلا مُعالِجٍ لِبَطْخِهِ أو فِرَاشٍ على الأرضِ بلا مُفَرَّشٍ لَهُ فِيهَا، فكيفَ إذا بهذهِ العوالمِ الضخمةِ الهائلةِ من سماءٍ وما حَوَتْ من أَفلاكٍ، وشمسٍ وقمرٍ وكَوَاكِبَ، وكلِّها مختلفة الأحجامِ والمقاديرِ والأبعادِ والسَّيرِ، وأرضٍ وما خَلَقَ فيها من إنسانٍ وجانٍ وَخَيَوانٍ مع ما بَيْنَ أَجناسِها وأفرادِها من تَبَايُنٍ في الألوانِ والألْسِنِ، والاختلافِ في الإدراكِ والفهُومِ، والخصائصِ والشَّيَياتِ^(١) وما أودَعَ فيها من معادنٍ مختلفةِ الألوانِ والمنافعِ . وما أَجْرَى فيها من أنهارٍ، وما أحاطَ يابسُها بأبحارٍ، وما أنبَتَ فيها من نباتٍ وأشجارٍ تَختَلِفُ ثمارُها، وتَبَايُنُ أنواعُها وطَعْمُها وروائحُها، وَخصائصُها وفوائدُها .

٢ - وُجُودُ كلامِهِ عَزَّ وَجَلَّ بين أيدينا نقرأهُ وَتَدَبَّرُهُ، ونفهمُ معانيه فهو دليلٌ على وجودِهِ عَزَّ وَجَلَّ، لأنَّهُ يستحيلُ كلامٌ بلا مُتَكَلِّمٍ، ولا قولٌ بدونِ قائلٍ .

فكلامُهُ تعالى ذالٌّ على وجودِهِ، ولا سيمًا، وأنَّ كلامَهُ تعالى قد اشتمَلَ على

(١) الشَّيَ: العلامة والجمع شَيَات .

أَمَتْنِ تَشْرِيعَ عَرَفَهُ النَّاسُ، وَأَحْكَمَ قَانُونِ حَقَّقَ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ لِلْبَشَرِيَّةِ، كَمَا اشْتَمَلَ عَلَى أَصْدَقِ النِّظَرِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ، وَعَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ، وَالْحَوَادِثِ التَّارِيخِيَّةِ، وَكَانَ صَادِقًا فِي كُلِّ ذَلِكَ أَيْمًا صِدْقٍ، فَلَمْ يُقْصِرْ عَلَى طُولِ الزَّمَانِ حُكْمَ مِنْ أَحْكَامِ شَرَائِعِهِ عَنْ تَحْقِيقِ فَوَائِدِهِ، مَهْمَا اخْتَلَفَ الزَّمَانُ وَالْمَكَانُ، وَلَمْ تَنْتَقِضْ فِيهِ أَدْنَى نَظَرِيَّةٍ مِنْ تِلْكَ النِّظَرِيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ فِيهِ غَيْبٌ وَاحِدٌ مَّا أَخْبَرَهُ مِنَ الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ. كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَجْرُؤْ مُؤَرِّخٌ كَانَتْ مِنْ كَانَ، عَلَى أَنْ يَنْقُضَ قِصَّةً مِنَ الْقِصَصِ الْعَدِيدَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا فَيَكْذِبُهَا، أَوْ يَقْوَى عَلَى تَكْذِيبِ أَوْ نَفْيِ حَادِثَةٍ مِنَ الْحَوَادِثِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا أَوْ فَصَّلَهَا.

فَمِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ الْحَكِيمِ الصَّادِقِ يُحِيلُ الْعَقْلَ الْبَشَرِيَّ أَنْ يَنْسَبَهُ إِلَى أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ، إِذْ هُوَ فَوْقَ طَوِّقِ الْبَشَرِ، وَمُسْتَوَى مَعَارِفِهِمْ. وَإِذَا بَطَلَ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ بَشَرٍ، فَهُوَ كَلَامُ خَالِقِ الْبَشَرِ، وَهُوَ دَلِيلُ وَجُودِهِ تَعَالَى وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَحُكْمَتِهِ.

٣- وجودُ هذا النظامِ الدَّقِيقِ الْمُتَمَثِّلِ فِي هَذِهِ السَّنَنِ الْكَوْنِيَّةِ فِي الْخُلُقِ وَالتَّكْوِينِ، وَالتَّنَشِئَةِ وَالتَّطْوِيرِ لِسَائِرِ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ فِي هَذَا الْوُجُودِ، فَإِنْ جَمِيعُهَا خَاضِعٌ لِهَذِهِ السَّنَنِ مُتَقَيِّدٌ بِهَا لَا يَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ عَنْهَا بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ. فَالْإِنْسَانُ مِثْلًا يَلْعُقُ نَظْفَةً فِي الرَّجِمِ ثُمَّ تَمَرُّ بِهِ أَطْوَارٌ عَجِيبَةٌ لَا دَخَلَ لِأَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ فِيهَا يَخْرُجُ بَعْدَهَا بَشَرًا سَوِيًّا، هَذَا فِي خَلْقِهِ وَتَكْوِينِهِ، وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي تَنْشِئَتِهِ وَتَطْوِيرِهِ، فَمِنْ صَبَاً وَطُفُولَةٍ، إِلَى شَبَابٍ وَفُتُوَّةٍ، إِلَى كُهُولَةٍ وَشَيْخُوخَةٍ.

وهذه السننُ العامَّةُ فِي الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ هِيَ نَفْسُهَا فِي الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ، وَمِثْلُهَا الْأَفْلَاكُ الْعُلَوِيَّةُ وَالْأَجْرَامُ السَّمَاوِيَّةُ، فَإِنَّهَا جَمِيعُهَا خَاضِعَةٌ لِمَا رُبِّطَتْ بِهِ مِنْ سَنَنِ لَا تَحِيدُ عَنْهَا، وَلَا تَخْرُجُ عَنْ سِلْكِهَا، وَلَوْ حَدَّثَ أَنْ انْفَرَطَ سِلْكُهَا، أَوْ خَرَجَتْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْكَوَائِبِ عَنْ مَدَارَاتِهَا لَخَرِبَ الْعَالَمُ، وَانْتَهَى شَأْنُ هَذِهِ الْحَيَاةِ.

عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ الْمُنْطَقِيَّةِ، وَالنَّقْلِيَّةِ السَّمْعِيَّةِ، آمَنَ الْمُسْلِمُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَبِرَبوبيَّتِهِ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَإِلَهِيَّتِهِ لِلأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ. وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ تَتَكَيَّفُ حَيَاةُ الْمُسْلِمِ فِي جَمِيعِ الشُّؤُونِ.

الفصل الثاني

الإيمان برُبُوبِيَّةِ^(١) الله لكلِّ شيءٍ

يؤمنُ المسلمُ برُبُوبِيَّةِ تعالى لكلِّ شيءٍ، وأنه لا شريك له في ربُوبِيَّةِ لجميعِ العالمينَ، وذلك لإِهْدَايَةِ الله تعالى له أولاً، ثم للأدلةِ النَّقْلِيَّةِ والعَقْلِيَّةِ الآتِيَةِ ثانياً.

الأدلةُ النَّقْلِيَّةُ:

١ - إخبارُهُ تعالى عن رُبُوبِيَّةِ بنفسِه، إِذْ قَالَ تعالى في الثَّنَاءِ على نفسه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وقال في تقريرِ ربُوبِيَّةِ: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ قُلِ اللَّهُ﴾^(٢). وقال في بيانِ ربُوبِيَّةِ وألوهِيَّةِ: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كَتَمْتُ مَوْقِنِينَ * لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ، رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٣).

وَقَالَ في التَّذْكِيرِ بالمِثَاقِ الَّذِي أَخَذَهُ على الْبَشَرِ وَهُمْ في أَصْلَابِ آبَائِهِمْ بِأَنْ يُؤْمِنُوا بِرُبُوبِيَّةِ لَهُمْ، وَيَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ غَيْرَهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾^(٤).

وَقَالَ في إِقَامَةِ الْحُجَّةِ على الْمُشْرِكِينَ وإلْزَامِهِمْ بِهَا: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ؟ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ، قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٥).

(١) الربوبية: الاسم من الرب، ومعنى ربوبية تعالى للأشياء كونه رباً لها، أي خالقاً لها، ومدبراً لأمرها.

(٢) الرعد ١٦.

(٣) الدخان ٨.

(٤) الأعراف ١٧٢.

(٥) المؤمنون ٨٦ - ٨٧.

٢ - إخبار الأنبياء والمرسلين برؤيتهم تعالى ، وشهادتهم عليها وإقرارهم بها .
 فآدم عليه السلام قال في دعائه : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(١) ونوح قال في شكواه إليه تعالى : ﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْني وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴾^(٢) . قال : ﴿ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُون فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٣) . وقال إبراهيم عليه السلام في دعائه لمكة حرم الله الشريف ، ولنفسه وذريته : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾^(٤) . وقال يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام في ثنائه على الله ودعائه إياه : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾^(٥) . وقال موسى في بعض طلبه : ﴿ رَبِّ اشرحْ لي صَدْرِي وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴾^(٦) . وقال هرون لبني إسرائيل : ﴿ وَإِنْ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾^(٧) وقال زكريا في استرحامه : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ، وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾^(٨) . وقال في دعائه : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ وقال عيسى في إجابته له تعالى : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾^(٩) . وقال مخاطباً قومه : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، وَمَأْوَاهُ النَّارُ ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾^(١٠) .

وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وعلى إخوانه المرسلين ، كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ : « لَا إِلَهَ إِلَّا

(١) الأعراف .

(٢) نوح .

(٧) طه .

(٣) الشعراء .

(٨) مريم .

(٤) إبراهيم .

(٩) الأنبياء .

(٥) يوسف .

(١٠) المائدة .

(٦) طه .

(١١) المائدة .

اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ»^(١).

فَجَمِيعُ هَؤُلَاءِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانُوا يَعْتَرِفُونَ بِرَبوبِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَدْعُونَهُ بِهَا وَهُمْ أَتَمُّ النَّاسِ مَعَارِفَ، وَأَكْمَلُهُمْ عَقُولاً، وَأَصْدَقُهُمْ حَدِيثاً، وَأَعْرَفُهُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِصِفَاتِهِ مِنْ سَائِرِ خَلْقِهِ فِي هَذِهِ الْأَرْضِ.

٣ - إِيْمَانُ الْبَلَايِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ بِرَبوبِيَةِ تَعَالَى لَهُمْ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ، وَاعْتِرَافُهُمْ بِهَا، وَاعْتِقَادُهُمْ إِيَّاهَا اعْتِقَاداً جَازِماً.

٤ - إِيْمَانُ الْبَلَايِينَ وَالْعَدُدُ لَا يُحْصَى مِنْ عُقَلَاءِ الْبَشَرِ وَصَالِحِيهِمْ بِرَبوبِيَةِ تَعَالَى لَجَمِيعِ الْخَلَائِقِ.

الأدلة العقلية:

مِنْ الْأَدْلَةِ الْعَقْلِيَّةِ الْمَنْطِقِيَّةِ السَّلِيمَةِ عَلَى رَبوبِيَةِ عَزَّ وَجَلَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مَا يَلِي:

١ - تَفَرُّدُهُ تَعَالَى بِالْخَلْقِ لِكُلِّ شَيْءٍ، إِذْ مِنْ الْمُسَلَّمِ بِهِ لَدَى كُلِّ الْبَشَرِ أَنَّ الْخَلْقَ وَالْإِبْدَاعَ لَمْ يَدْعِيْهُمَا أَوْ يَقْوَ عَلَيْهِمَا أَحَدٌ سِوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَهُمَا كَانَ الشَّيْءُ الْمَخْلُوقُ، صَغِيراً وَضَيْئاً حَتَّى وَلَوْ كَانَ شَعْرَةً فِي جَسْمِ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانٍ، أَوْ رِيشَةً صَغِيرَةً فِي جَنَاحِ طَائِرٍ، أَوْ وَرَقَةً فِي غُصْنٍ مَائِدٍ، فَضْلاً عَنْ خَلْقِ جَسْمٍ تَامٍّ أَوْ حَيٍّ مِنَ الْأَجْسَامِ، أَوْ جَرْمٍ كَبِيرٍ، أَوْ صَغِيرٍ مِنَ الْأَجْرَامِ.

أَمَّا اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقَدْ قَالَ مُقَرِّراً الْخَالِقِيَّةَ الْمَطْلَقَةَ لَهُ دُونَ سِوَاهُ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾. وَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. وَأَتْنَى عَلَى نَفْسِهِ بِخَالِقِيَّتِهِ فَقَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾. وَقَالَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ، وَلَهُ

(١) رواه مسلم في باب دعاء الكرب.

الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾. أَفَلَيْسَتْ إِذَا خَالَقْتُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِكُلِّ شَيْءٍ هِيَ دَلِيلُ وجودِهِ وَرُبوبيَّتِهِ؟ بَلَى، وَإِنَّا يَا رَبَّنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ.

٢ - تَفَرَّدَهُ تَعَالَى بِالرِّزْقِ، إِذْ مَا مِنْ حَيَوَانٍ سَارِحٍ فِي الْغَبَاءِ^(١) أَوْ سَابِحٍ فِي الْمَاءِ، أَوْ مُسْتَكِنٍ^(٢) فِي الْأَحْشَاءِ، إِلَّا وَاللَّهِ تَعَالَى خَالِقُ رِزْقِهِ وَهَادِيهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَصُولِ عَلَيْهِ وَكَيْفِيَةِ تَنَاوُلِهِ وَالانْتِفَاعِ بِهِ.

فَمَنْ النَّمْلَةُ كَأَصْغَرِ حَيَوَانٍ، إِلَى الْإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ أَكْمَلُ وَأَرْقَى أَنْوَاعِهِ، الْكُلُّ مُفْتَقِرٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي وجودِهِ وَتَكْوِينِهِ، وَفِي غِذَائِهِ وَرِزْقِهِ، وَاللَّهُ وَحْدَهُ مُوجِدُهُ وَمُكَوِّنُهُ وَمُغْذِيهِ وَرَازِقُهُ، وَهِيَ ذِي آيَاتٍ كِتَابِيَةٍ تُقَرَّرُ هَذِهِ الْحَقِيقَةُ وَتُثَبِّتُهَا نَاصِعَةً كَمَا هِيَ، قَالَ تَعَالَى^(١): ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ إِنَّآ صَبَّأْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعَيْنًا وَقَضْبًا^(٢) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا^(٣) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا^(٤)﴾.

وَقَالَ تَعَالَى^(٥): ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا^(٦) مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى^(٧) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾. وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَلَا رَبَّ سِوَاهُ^(٨): ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ، وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾. وَقَالَ: لَا رَازِقَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ^(٩): ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا، وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾.

وَإِذَا تَقَرَّرَ بِلَا مَنَازِعٍ أَنَّهُ لَا رَازِقَ إِلَّا اللَّهُ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى رَبوبيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِحَلْقِهِ.

٣ - شَهَادَةُ الْفِطْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ السَّلِيمَةِ بِرَبوبيَّتِهِ تَعَالَى، وَإِقْرَارُهَا الصَّارِخُ بِذَلِكَ،

(١) الأرض.

(٢) مستتر.

(٣) عيس.

(٤) علقاً رطباً لله وأب.

(٥) عظاماً متكاثفة الأشجار.

(٦) الأب: الكلا والعشب.

(٧) طه.

(٨) أصنافاً.

(٩) مختلف.

(١٠) الحجر.

(١١) هود.

فإن كل إنسان لم تفسد فطرته يشعر في قرارة نفسه بأنه ضعيف وعاجز أمام ذي سلطان غني قوي، وأنه خاضع لتصرفاته فيه، وتدبيره له بحيث يصرخ في غير تردد: أنه الله ربّه ورب كل شيء.

وإن كانت هذه الحقيقة مسلمة لا ينكرها، أو يماري فيها كل ذي فطرة سليمة فإنه يذكر هنا زيادة في التقرير ما كان القرآن الكريم ينتزع من اعترافات أكابر الوثنيين بهذه الحقيقة التي هي ربوبية الله تعالى للخليق ولكل شيء. قال الله تعالى: ﴿وَلْتَن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾^(١). وقال جلّ جلاله: ﴿وَلْتَن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٢). وقال عزّ وجلّ: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾^(٣).

٤ - تفرده تعالى بالملك لكل شيء، وتصرفه المطلق في كل شيء، وتدبيره لكل شيء دال على ربوبيته، إذ من المسلم به لدى كافة البشر أن الإنسان كغيره من الكائنات الحية في هذا الوجود لا يملك على الحقيقة شيئاً، بدليل أنه يخرج أول ما يخرج إلى هذا الوجود عاري الجسم خاسر الرأس، خافي القدمين، ويخرج عندما يخرج منه مفارقاً له ليس معه شيء سوى كف يوارى به جسده. فكيف إذا يصح أن يقال: إن الإنسان مالك لشيء على الحقيقة في هذا الوجود؟

وإذا بطل أن يكون الإنسان، وهو أشرف هذه الكائنات مالكا لشيء منها، فمن المالك إذن؟ المالك هو الله والله وحده، وبدون جدل، ولا شك ولا ريب. وما قيل وسلم في الملكية يقال وسلم كذلك في التصرف والتدبير لكل شأن من شؤون هذه الحياة، ولعمرك الله إذا لهي صفات الربوبية، الخلق، الرزق، الملك، التصرف،

(١) الزخرف.

(٢) العنكبوت.

(٣) المؤمنون.

التدبير، وقديماً قد سَلَّمَهَا أَكْبَرُ الْوَثْنِيِّينَ مِنْ عِبْدَةِ الْأَصْنَامِ ، سَجَّلَ ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي غَيْرِ سُورَةٍ مِنْ سُورِهِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ، وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ؛ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ، فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ؟ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ ، فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ (١) .

(١) يونس : ٣١ - ٣٢ .

الفصل الثالث

الإيمان بالهية الله تعالى للأولين والآخرين

يؤمنُ المسلمُ بالهويةِ الله تعالى لجميعِ الأولين والآخرين، وأنه لا إلهَ غيره، ولا مَعْبُودَ بحقٍ سِوَاهُ، وذلك للأدلةِ النقليّةِ والعقليّةِ التالِيَةِ، ولهدايةِ الله تعالى له قبلَ كلِّ شيءٍ، إذ من يَهْدِ الله فهو المهتدي، ومن يَضِلُّ فلا هاديَ لَهُ.
الأدلةُ النقليّةُ:

١ - شهادتهُ تعالى، وشهادةُ ملائكتِهِ، وأولي العلمِ علي ألوهيته سبحانه وتعالى، فقد جاءَ في سورة آل عمرانَ قوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

٢ - إخبارُهُ تعالى بذلك في غير آيةٍ من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾^(٢). وقال: ﴿وَالْهُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٣). وقال لِنبيه موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾^(٤). وقال لنبينا محمد ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(٥) وقال مَخْبِرًا عن نفسه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾^(٦).

(١) آل عمران .
(٢) البقرة .
(٣) البقرة .
(٤) طه .
(٥) محمد .
(٦) الحشر .

٢ - إخبار رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِاللَّوْهِيَّةِ تَعَالَى وَدَعْوَةُ أُمَمِهِمْ إِلَى الاعْتِرَافِ بِهَا، وَإِلَى عِبَادَتِهِ تَعَالَى وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ، فَإِنْ نُوْحًا قَالَ: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(١). وَكَنُوحٌ وَهُودٌ وَصَالِحٌ وَشُعَيْبٌ مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَنْ قَالَ: ﴿يَا قَوْمِي اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾. وَقَالَ مُوسَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿أَغْيِرَ اللَّهُ أْبْنِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢). قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَ إِلَهًا صَنَمًا يَعْبُدُونَهُ، وَقَالَ يُونُسُ فِي تَسْبِيحِهِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣). وَكَانَ نَبِيُّنَا ﷺ يَقُولُ فِي شَهَادَةِ فِي الصَّلَاةِ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ».

الأدلة العقلية:

١ - إِنَّ رَبِّيَّتَهُ تَعَالَى الثَّابِتَةَ دُونَ جَدَلٍ مُسْتَلْزِمَةٍ لِلْأُلُوهِيَّةِ وَمُوجَّهَةً لَهَا، فَالرَّبُّ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيَنْفَعُ وَيَضُرُّ هُوَ الْمُسْتَحَقُّ لِعِبَادَةِ الْخَلْقِ، وَالْمُسْتَوْجِبُ لِتَأْلِيهِمْ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْمَحَبَّةِ، وَالتَّعْظِيمِ وَالتَّقْدِيسِ، وَبِالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ، وَالرَّهْبَةِ مِنْهُ.

٢ - إِذَا كَانَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ مَرْبُوبًا لِلَّهِ تَعَالَى بِمَعْنَى أَنَّهُ مِنْ جَمَلَةٍ مِنْ خَلْقِهِمْ وَرِزْقِهِمْ، وَدَبَّرَ شُؤْنَهُمْ، وَتَصَرَّفَ فِي أَحْوَالِهِمْ وَأُمُورِهِمْ، فَكَيْفَ يُعْقَلُ تَأْلِيَهُ غَيْرِهِ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ الْمَفْتَقَرَةِ إِلَيْهِ؟ وَإِذَا بَطَلَ أَنْ يَكُونَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ إِلَهٌ تَعَيَّنَ أَنَّ يَكُونَ خَالِقَهَا هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ وَالْمَعْبُودُ بِصَدَقِ.

٣ - اتِّصَافُهُ عَزَّ وَجَلَّ دُونَ غَيْرِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الْمَطْلُوقِ، كَكُونِهِ تَعَالَى قَوِيًّا قَدِيرًا، عَلِيًّا كَبِيرًا، سَمِيعًا بَصِيرًا، رَؤُوفًا رَحِيمًا، لَطِيفًا خَبِيرًا، مُوْجِبٌ لَهُ تَأْلِيَهُ قُلُوبَ عِبَادِهِ لَهُ بِمَحَبَّتِهِ وَتَعْظِيمِهِ، وَتَأْلِيَهُ جَوَارِحِهِمْ لَهُ بِالطَّاعَةِ وَالْإِنْقِيَادِ.

(١) الأعراف.

(٢) الأعراف.

(٣) الأنبياء.

الفصل الرابع

الْإِيمَانُ بِأَسْمَائِهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ

يُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ بِمَا لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ أَسْمَاءٍ حُسْنَى، وَصِفَاتٍ عُلْيَا، وَلَا يُشْرِكُ غَيْرَهُ تَعَالَى فِيهَا، وَلَا يَتَأَوَّلُهَا فَيُعْطِلُهَا، وَلَا يُشَبِّهُهَا بِصِفَاتِ الْمُحَدِّثِينَ فَيُكَيِّفُهَا أَوْ يُمَثِّلُهَا، وَذَلِكَ مُحَالٌ، فَهُوَ إِنَّمَا يُثَبِّتُ لِلَّهِ تَعَالَى مَا أَثَبَّتَ لِنَفْسِهِ، وَأَثَبَتْ لَهُ رُسُولُهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِفَاتِ، وَيَنْفِي عَنْهُ تَعَالَى مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَنَفَاهُ عَنْهُ رُسُولُهُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ، إجمالاً وَتفصيلاً، وَذَلِكَ لِلأَدْلَةِ النَّقْلِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ الْآتِيَةِ:

الأدلة النقليّة:

١ - إخباره تعالى بنفسه عن أسمائه وصفاته، إذ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ^(١)﴾ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ^(٢)﴾. وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى^(٣)﴾. كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، وَعَلِيمٌ حَكِيمٌ، وَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، وَلَطِيفٌ خَبِيرٌ، وَشَكُورٌ حَلِيمٌ، وَغَفُورٌ رَحِيمٌ، وَأَنَّهُ كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا، وَأَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ، وَأَنَّهُ خَلَقَ بِيَدَيْهِ، وَأَنَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَرَضِيَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِفَاتِ الذَّاتِيَّةِ وَالْفَعْلِيَّةِ، كَمَجِيئِهِ تَعَالَى وَنَزُولِهِ وَإِتْيَانِهِ، مِمَّا أَنْزَلَهُ فِي كِتَابِهِ، وَنَطَقَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ.

(١) يميلون بها عن الحق وينحرفون.

(٢) الأعراف.

(٣) الإسراء.

٢ - إخبارُ رَسولِهِ ﷺ بذلك فيما وَرَدَ وَصَحَّ عنه من أخبارٍ صحيحةٍ وأحاديثٍ صريحةٍ كقوله ﷺ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، كِلَاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»^(١). وقوله: «لَا يَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ - وَفِي رِوَايَةٍ: قَدَمَهُ - فَيَنْزِلُ فِيهَا إِلَى بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ»^(٢). وقوله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ فيقولُ: «مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِبْ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيهِ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»^(٣). وقوله: «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ»^(٤) الحديث، وقوله للجارية: «أَيُّنَ اللَّهِ؟» فقالت في السماء، قال: أَنَا مَنْ؟ قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، قال: أَعَيْتُهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ. وقوله: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيُّنَ مَلُوكِ الْأَرْضِ؟»^(٥).

٣ - إقرارُ السلفِ الصالحِ من الصحابةِ والتابعينِ والأئمةِ الأربعةِ رضي الله عنهم أجمعين بصفاتِ الله تعالى، وَعَدَمُ تأويلِهِمْ لَهَا، أَوْ رَدُّهَا أَوْ إِخْرَاجُهَا عَنْ ظَاهِرِهَا، فلم يثبت أن صَحَابِيًّا وَاحِدًا تَأَوَّلَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ رَدَّهَا، أَوْ قَالَ فِيهَا أَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ، بَلْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِمَدْلُولِهَا، وَيَحْمِلُونَهَا عَلَى ظَاهِرِهَا، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى لَيْسَتْ كَصِفَاتِ الْمُحَدِّثِينَ مِنْ خَلْقِهِ، وَقَدْ سُئِلَ الْإِمَامُ مَالِكُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٦). فقال: الاستواءُ معلومٌ، وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بَدْعٌ.

وكان الامامُ الشافعي، رحمهُ الله تعالى يقولُ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ، عَلَى مُرَادِ اللَّهِ، وَأَمَنْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ، وَبِمَا جَاءَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى مُرَادِ رَسُولِ اللَّهِ. وكان الامامُ أحمدُ رحمهُ الله تعالى يقولُ في مِثْلِ قَوْلِ الرِّسُولِ ﷺ: إِنْ اللَّهُ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِنَّ اللَّهَ يَرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَانَّهُ تَعَالَى يَعْجَبُ، وَيَضْحَكُ وَيَغْضَبُ،

(١) متفق عليه. (٢) متفق عليه. (٣) متفق عليه. (٤) مسلم. (٥) البخاري. (٦) سورة طه.

وَيَرْضَى وَيَكْرَهُ وَيُحِبُّ، كَانَ يَقُولُ: نَوْْمُنُ بِهَا، وَنُصْدَقُ بِهَا، لَا بِكَيْفٍ وَلَا مَعْنَى، يَعْنِي أَنَّا نَوْْمُنُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ وَيُرى، وَهُوَ فَوْقَ عَرْشِهِ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُ كَيْفِيَّةَ النُّزُولِ، وَلَا الرُّوْيَةَ، وَلَا الاسْتِواءَ، وَلَا الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةَ لِلذَّكَاءِ. بَلْ نَقْوَضُ الْأَمْرَ فِي عِلْمِ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ قَائِلُهُ وَمُوحِيهِ إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ، وَلَا نَرُدُّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا نَصِفُ اللَّهَ تَعَالَى بِأَكْثَرِ مِمَّا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، بِلَا حِدٍّ وَلَا غَايَةٍ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.

الأدلة العقلية:

١ - لقد وصفَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ بِصِفَاتٍ، وَسَمَّى نَفْسَهُ بِأَسْمَاءٍ وَلَمْ يَنْهِنَا عَنْ وَصْفِهِ وَتَسْمِيَّتِهِ بِهَا، وَلَمْ يَأْمُرْنَا بِتَأْوِيلِهَا، أَوْ حَمْلِهَا عَلَى غَيْرِ ظَاهِرِهَا، فَهَلْ يُعْقَلُ أَنَّ يُقَالَ إِنَّا إِذَا وَصَفْنَاهُ بِهَا نَكُونُ قَدْ شَبَّهْنَاهُ بِخَلْقِهِ فَيَلْزَمُنَا إِذَا تَأْوِيلُهَا، وَحَمْلُهَا عَلَى غَيْرِ ظَاهِرِهَا؟ وَإِنْ أَصْبَحْنَا مُعْطِلِينَ نَفَاةً لَصِفَاتِهِ تَعَالَى، مُلْحِدِينَ فِي أَسْمَائِهِ، وَهُوَ يَتَوَعَّدُ الْمُلْحِدِينَ فِيهَا بِقَوْلِهِ: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

٢ - أَلَيْسَ مَنْ نَفَى صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى خَوْفًا مِنَ التَّشْبِيهِ كَانَ قَدْ شَبَّهَهَا أَوَّلًا بِصِفَاتِ الْمُحْدِثِينَ، ثُمَّ خَافَ مِنَ التَّشْبِيهِ فَفَرَّ مِنْهُ إِلَى النَّفْيِ وَالتَّعْطِيلِ، فَنَفَى صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ وَعَظَّلَهَا، فَكَانَ بِذَلِكَ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ كَبِيرَتَيْنِ، التَّشْبِيهِ وَالتَّعْطِيلِ؟

أَفَلَا يَكُونُ مِنَ الْمَعْقُولِ إِذَا، وَالْحَالَةُ هَذِهِ، أَنَّ يُوصَفَ الْبَارِي تَعَالَى بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ صِفَاتِهِ تَعَالَى لَا تُشَبَّهُ صِفَاتِ الْمُحْدِثِينَ، كَمَا أَنَّ ذَاتَهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا تُشَبَّهُ ذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؟.

٣ - إِنَّ الْإِيمَانَ بِصِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَوَصْفَهُ بِهَا لَا يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهِ بِصِفَاتِ الْمُحْدِثِينَ، إِذْ الْعَقْلُ لَا يُحِيلُ أَنَّ تَكُونَ لِلَّهِ صِفَاتٌ بِذَاتِهِ لَا تُشَبَّهُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ،

ولا تلتقي معها إلا في مجرد الاسم فقط، فيكون للخالق صفات تخصه، وللمخلوق صفات تخصه.

والمسلم إذ يؤمن بصفات الله تعالى، ويصفه بها لا يعتقد أبداً، ولا حتى يخطر بباله أن يد الله تبارك وتعالى مثلاً تشبه يد المخلوق في أي معنى من المعاني غير مجرد التسمية، وذلك لمباينة الخالق للمخلوق في ذاته وصفاته وأفعاله، قال تعالى^(١): ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٢) وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٣).

(١) سورة الصمد.

(٢) الكفؤ: المثل.

(٣) سورة الشورى.

الفصل الخامس

الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

يُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ بِمَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُمْ خَلَقُوا مِنْ أَشْرَفِ خَلْقِهِ، وَعِبَادٌ مُكْرَّمُونَ مِنْ عِبَادِهِ، خَلَقَهُمْ مِنْ نُورٍ، كَمَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ، وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ^(١) مِنْ نَارٍ. وَأَنَّ تَعَالَى وَكَّلَهُمْ بِوُظَائِفَ فَهُمْ بِهَا قَائِمُونَ، فَمِنْهُمْ الْحَقَقَةُ عَلَى الْعِبَادِ، وَالكَاتِبُونَ لِأَعْمَالِهِمْ، وَمِنْهُمْ الْمَوَكَّلُونَ بِالْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، وَمِنْهُمْ الْمَوَكَّلُونَ بِالنَّارِ وَعَذَابِهَا، وَمِنْهُمْ الْمَسْبُحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ.

وَأَنَّ تَعَالَى فَاضِلٌ^(٢) بَيْنَهُمْ، فَمِنْهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ، كَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ.

وَذَلِكَ لِهَدَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ أَوَّلًا، ثُمَّ لِلْأَدَلَةِ النَّقْلِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ الْآتِيَةِ:

الْأَدَلَةُ النَّقْلِيَّةُ:

١ - أَمَرَهُ تَعَالَى بِالْإِيمَانِ بِهِمْ، وَإِخْبَارُهُ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٣). وَفِي قَوْلِهِ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٤). وَفِي قَوْلِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ^(٥) ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ،

(١) المارج: لهب صاف لا دخان فيه.

(٢) فضل بعضهم على بعض.

(٤) البقرة.

(٥) النساء.

(٣) النساء.

ولا الملائكة المقرَّبون»^(١). وفي قوله جلَّت قدرته: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ﴾^(٢). وفي قوله عظمت حكمته: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾^(٣) وفي قوله تقدَّست أسماؤه: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾^(٤) وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً. قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ؟. قَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥).

٢ - إخبارُ رسوله ﷺ عنهم بقوله في دعائه عندما يقوم لصلاة الليل: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»^(٦). وفي قوله ﷺ: «أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقُّ لَهَا أَنْ تَنْطَ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلِكٌ سَاجِدٌ»^(٧). وفي قوله: «إِنَّ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ»^(٨). وفي قوله: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَائِكَةٌ يَكْتُبُونَ، الْأَوَّلُ، فَالْأَوَّلُ فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَّرُوا الصُّحُفَ وَجَاءُوا وَيَسْتَمْعُونَ الذِّكْرَ»^(٩). وفي قوله: «يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ أحياناً رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأُعِي مَا يَقُولُ»^(١٠). وفي قوله: «يَتَعَاقَبُ فِيكُمْ مَلَائِكَةُ

(١) حملة العرش لقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةٌ﴾.

(٢) الحاقة.

(٣) المدثر.

(٤) الرعد.

(٥) البقرة.

(٦) مسلم.

(٧) رواه ابن أبي حاتم وهو معلول.

(٨) أصله في الصحيحين.

(٩) رواه مالك وهو صحيح.

(١٠) البخاري.

بالليلِ وملائكةُ بالنهارِ»^(١) وفي قوله: «خَلَقَ الملائكةَ من نورٍ، وَخَلَقَ الجانَّ من مارجٍ من نارٍ، وَخَلَقَ آدَمَ مما وَصَفَ لكم»^(٢).

٣ - رؤيةُ العددِ الكثيرِ من الصحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ للملائكةِ يومَ «بَدْرِ» ورؤيتهم الجماعيةُ غيرَ مرةٍ لجبريلَ أمينِ الوحي ﷺ، إذ كَانَ يَأْتِي أحياناً في صورةِ دَحْيَةِ الْكَلْبِيِّ فيُشَاهِدُونَهُ، ومن أشهرِ ذلكَ حديثُ عمرَ بنِ الخطابِ رضي اللهُ عنه في مسلم، وفيه قولُ الرُّسُولِ ﷺ: أَتَدْرُونَ مَنْ السَّائِلُ؟. قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: هذا جبريلُ أتاكم يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دينكم.

٤ - إيمانُ آلافِ المَلَايِينِ من المؤمنينَ أَتباعِ الرُّسُلِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ بالملائكةِ وتصديقهم بما أَخبرت عنهم الرُّسُلُ من غيرِ شكٍّ ولا تردُّدٍ.
الأدلةُ العقليةُ:

١ - إِنَّ الْعَقْلَ لَا يُحِيلُ وجودَ الملائكةِ وَلَا يَنْفِيهِ، لِأَنَّ الْعَقْلَ لَا يُحِيلُ وَلَا يَنْفِي إِلَّا مَا كَانَ مُسْتَلْزِماً لِاجْتِمَاعِ الضِّدِّينِ كَكُونِ الشَّيْءِ موجوداً وَمَعْدُوماً في آنٍ واحدٍ، أو النقيضين، كوجودِ الظلمةِ والنورِ معاً مثلاً، والإيمانُ بوجودِ الملائكةِ لَا يَسْتَلْزِمُ من ذلكَ أبداً.

٢ - إِذَا كَانَ من المسلمِ لَدَى كافَةِ العقلاءِ أَنَّ أَثَرَ الشَّيْءِ يَدُلُّ على وجودِهِ، فَإِنْ للملائكةِ آثاراً كثيرةً تَقْضِي بوجودهم وتُؤَكِّدُهُ، ومن ذلك:

أولاً - وُصُولُ الوحيِ إِلَى الأنبياءِ والمرسلينَ، إذ كَانَ غالباً ما يَصْلَهُمُ بواسطةِ الرُّوحِ الْأَمِينِ جبريلَ عليه السلامِ الْمَلِكِ الْمُوَكَّلِ بِالوحيِ، وهذا أَثَرٌ ظَاهِرٌ لَا يُنْكَرُ، وهو مُثَبَّتٌ وَمُؤَكَّدٌ لوجودِ الملائكةِ.

ثانياً - وَفَاةُ الْخَلَائِقِ بِقَبْضِ أرواحهم، فَإِنَّهُ أَثَرٌ ظَاهِرٌ، كَذَلِكَ دَالٌّ عَلَى وجودِ

(١) البخاري.

(٢) مسلم.

مَلِكِ المَوْتِ وَأَعْوَانِهِ، قَالَ تَعَالَى : ﴿قُلْ يَتُوفَّاكُم مَّلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾^(١).

ثالثاً - حَفِظَ الْإِنْسَانُ مِنْ أَذَى الْجَانِّ وَالشَّيْطَانِ وَشُرُورِهِمَا طَوْلَ حَيَاتِهِ، وَهُوَ يَعِيشُ بَيْنَهُمَا وَيَرَيَانِهِ وَلَا يَرَاهُمَا، وَيَقْدِرَانِ عَلَى أَذْيَتِهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى أَذَاهُمَا، أَوْ حَتَّى دَفَعَ شَرَّهُمَا، دَلِيلٌ عَلَى وَجُودِ حَفَظَةِ الْإِنْسَانِ يَحْفَظُونَهُ وَيَذْفَعُونَ عَنْهُ، قَالَ تَعَالَى : ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ يَمِينِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢).

٣ - عَدَمُ رُؤْيَةِ الشَّيْءِ لضعفِ البَصَرِ أَوْ لفقْدِ الاستعدادِ الكاملِ لرؤية الشَّيْءِ لَا يَنْفِي وَجُودَهُ، إِذْ هُنَاكَ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ مِنَ المَادِيَاتِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ كَانَتْ تَقْصُرُ عَنْهَا الرُّؤْيَةُ بِالْعَيْنِ المَجْرَدَةِ وَأَصْبَحَتْ الْآنَ تُرَى بِوُضُوحٍ وَذَلِكَ بِوِاسْطَةِ المَكْبَرَاتِ لِلنَّظَرِ.

(١) السجدة .

(٢) الرعد .

الفصل السادس

الايمانُ بكتبِ الله تعالى

يؤمنُ المسلمُ بجميعِ ما أنزلَ اللهُ تعالى من كتاب، وما أتى بعضُ رُسُلِهِ من صُحُف، وأنها كلامُ اللهِ أَوْحَاهُ إلى رُسُلِهِ لِيُبَلِّغُوا عَنْهُ شَرْعَهُ وَدِينَهُ، وإنْ أعظمَ هذه الكتبِ، الكتبُ الأربعةُ: «القرآنُ الكريمُ» المنزلُ على نبيِّنا محمدٍ ﷺ، و«التوراةُ» المنزلُ على نبيِّ اللهِ موسى ﷺ و«الزبورُ» المنزلُ على نبيِّ اللهِ داودَ ﷺ، و«الإنجيلُ» المنزلُ على عبدِ اللهِ ورُسُولِهِ عيسى ﷺ. وأنَّ «القرآنَ الكريمَ» أعظمُ هذه الكتبِ والمهيمنُ عليها والناسِخُ لجميعِ شرائعها وأحكامها وذلك للأدلةُ العقليةُ السمعيةُ، والأدلةُ العقليةُ الآتيةُ:

الأدلةُ العقليةُ:

أمرُ اللهِ تعالى بالإيمانِ في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ، وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ، وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ﴾^(١).

٢ - إخباره تعالى عنها في قوله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَنْزَلَ «التَّوْرَةَ» و«الْإِنْجِيلَ» مِنْ قَبْلُ هَدًى لِلنَّاسِ، وَأَنْزَلَ «الْفُرْقَانَ»﴾^(٢). وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾^(٣). وفي قوله جلَّتْ قدرته: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾^(٤). وفي قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ

(٣) المائدة.

(١) النساء.

(٤) النساء.

(٢) آل عمران.

الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ
الْأَوَّلِينَ ﴿١﴾. وفي قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى﴾ ﴿٢﴾.

٣ - إخبار الرسول ﷺ بذلك في أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ
فِيمَنْ سَلَفَ، كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ «التَّوْرَةِ» التَّوْرَةَ
فَعَمِلُوا بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ، ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ
«الْإِنْجِيلِ» الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا بِهِ حَتَّى صُلِّيَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ عَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا،
ثُمَّ أُتِيَتْ «الْقُرْآنَ» فَعَمِلْتُمْ بِهِ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَأُعْطِيتُمْ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَقَالَ
أَهْلُ الْكِتَابِ: أَقَلُّ مِنَّا عَمَلًا وَأَكْثَرُ أَجْرًا؟. قَالَ اللَّهُ: ﴿هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ حَقِّكُمْ مِنْ
شَيْءٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: هُوَ فَضْلِي أُوتِيَهُ مِنْ أَشَاءٍ﴾ ﴿٣﴾. وفي قوله ﷺ: «خُفِّفَ عَلَى
دَاوُدَ ﷺ الْقُرْآنَ (القراءة) فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ فَيَقْرَأُ «الْقُرْآنَ» «التَّوْرَةَ أَوْ الزَّبُورَ»
قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ» ﴿٤﴾. وفي قوله ﷺ: لَا حَسَدَ إِلَّا فِي
اثْنَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ ﴿٥﴾ وَرَجُلٌ
آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يَنْفَقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ، وَآتَاءَ النَّهَارِ. وفي قوله: «تَرَكْتُ
فَيْكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي: كِتَابُ اللَّهِ وَسَنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ» ﴿٦﴾. وقوله ﷺ:
«لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ،
وَالْهَذَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» ﴿٧﴾.

٤ - إيمان الملايين من العلماء والحكماء وأهل الإيمان في كل زمانٍ ومكانٍ،
واعتمادهم الجازمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أُنْزِلَ كُتُبًا أَوْحَاهَا إِلَى رُسُلِهِ، وخيرة الناس من

(١) الشعراء.

(٢) الأعلى.

(٣) البخاري.

(٤) البخاري.

(٥) البخاري.

(٦) رواه الحاكم في المستدرک وهو صحيح، رواه مالك بلاغاً.

(٧) البخاري.

خلقه، وضمَّنهما ما أرادَ من صفاته وأخبارِ غَيْبه، وبيانِ شرائعه ودينه ووعدِهِ ووعدِهِ.

الأدلة العقلية:

١ - ضَعُفُ الإنسانِ واحتياجهُ إلى ربه في إصلاحِ جسمه وروحه يَقْتَضِي إنزالَ كُتُبٍ تَتَضَمَّنُ التشريعاتِ والقوانينَ المحقِّقةَ للإنسانِ كمالاته، وما تَتَطَلَّبُهُ حَيَاتُهُ الأولى والأخرى.

٢ - لما كَانَ الرُّسُلُ هم الواسطةَ بينَ الله تعالى الخالقِ وبين عباده المخلوقين، وكان الرُّسُلُ كغيرِهِم من البشرِ يَعِشُونَ زمناً ثم يَمُوتُونَ، فلَوْلَمْ تُكُنْ رِسَالَتُهُمْ قد تَضَمَّنَتْهَا كُتُبٌ خاصَّةٌ لَكَانَتْ تَضِيعُ بموتِهِمْ، وَبَقِيَ النَّاسُ بَعْدَهُمْ بِلا رِسَالَةٍ ولا واسطةٍ، فيضِيعُ الغرضُ الأصليُّ من الرُّوحِيَّةِ والرسالةِ، فَكَانَتْ هَذِهِ حَالاً يَقْتَضِي إنزالَ الكُتُبِ الإلهيةِ بلا شَكٍّ ولا ريبٍ.

٣ - إذا لَمْ يَكُنِ الرُّسُولُ الدَّاعِي إلى الله تعالى يَحْمِلُ كِتَاباً من عِنْدِ رَبِّهِ فِيهِ التَّشْرِيعُ والهِدَايَةُ والخَيْرُ سَهْلٌ على النَّاسِ تَكْذِيبُهُ وإنْكَارُ رِسَالَتِهِ، فَكَانَتْ هَذِهِ حَالاً يَقْتَضِي بِإنزالِ الكُتُبِ الإلهيةِ، لإقامةِ الحُجَّةِ على النَّاسِ.

الفصل السابع

الإيمان بالقرآن الكريم

يُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ، كَتَبَ اللَّهُ أَنْزَلَهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ، وَأَفْضَلِ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، كَمَا أَنْزَلَ غَيْرَهُ مِنَ الْكُتُبِ عَلَى مَنْ سَبَقَ مِنَ الرُّسُلِ. وَأَنَّهُ نَسَخَ بِأَحْكَامِهِ سَائِرَ الْأَحْكَامِ فِي الْكُتُبِ السَّمَاوِيَةِ السَّابِقَةِ، كَمَا خَتَمَ بِرِسَالَةِ صَاحِبِهِ كُلِّ رِسَالَةٍ سَالِفَةٍ.

وَأَنَّهُ الْكِتَابُ الشَّامِلُ لِأَعْظَمِ تَشْرِيعٍ رَبَّانِيٍّ، تَكْفُلُ مُنْزَلُهُ لِمَنْ أَخَذَ بِهِ أَنْ يَسِيرَ فِي الْحَيَاتَيْنِ، وَتَوْعَدُ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَلَمْ يَأْخُذْ بِهِ بِالشَّقَاوَةِ فِي الدَّارَيْنِ^(١)، وَأَنَّهُ الْكِتَابُ الْوَحِيدُ الَّذِي ضَمِنَ اللَّهُ سَلَامَتَهُ مِنَ النِّقْصِ وَالزِّيَادَةِ، وَمِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ وَبَقَاءَهُ حَتَّى يَرْفَعَهُ إِلَيْهِ عِنْدَ آخِرِ أَجَلِ هَذِهِ الْحَيَاةِ. وَذَلِكَ لِلْأَدَلَةِ النَّقْلِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ التَّالِيَةِ:

الأدلة النقلية:

١ - إخباره تعالى بذلك في قوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾^(٢). وفي قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾^(٣). وفي قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾^(٤).

(١) أخذاً من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلْ﴾ الآية.

(٢) الفرقان.

(٣) يوسف.

(٤) النساء.

وفي قوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ. قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١). وفي قوله: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هَذَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا، وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(٢). وفي قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(٣). وفي قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٤).

٢ - إِبْرَاهِيمُ رَسُولُهُ الْمَنْزِلَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»^(٥) وفي قوله: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٥) وقوله: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يَنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ»^(٦) وقوله: مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٧) وفي قوله: «لَوْ كَانَ مُوسَى أَوْ عِيسَى حَيًّا لَمْ يَسْعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي»^(٨).

٣ - إِيمَانُ الْبَلَاءِينَ^(٩) مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَأَنَّ الْقُرْآنَ كِتَابُ اللَّهِ وَوَحْيُهُ أَوْحَاهُ إِلَى رَسُولِهِ، وَاعْتِقَادُهُمْ الْجَازِمُ بِذَلِكَ مَعَ تَلَاوِثِهِمْ وَحَفِظَ أَكْثَرَهُمْ لَهُ وَعَمِلَهُمْ بِمَا فِيهِ مِنْ شَرَائِعٍ وَأَحْكَامٍ.

الْأَدْلَةُ الْعَقْلِيَّةُ:

١ - اشْتِمَالُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَى الْعُلُومِ الْمُخْتَلِفَةِ الْآتِيَةِ، مَعَ أَنَّ صَاحِبَهُ الْمَنْزَلَ

(١) المائدة.

(٢) طه، ومعنى ضَنْكًا: ضيقة شديدة.

(٦) البخاري.

(٧) مسلم.

(٣) فصلت.

(٨) رواه أبو يعلى بلفظ آخر.

(٤) الحجر.

(٩) جمع بليون وهو ألف ألف.

(٥) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وهو حسن.

عليه أُمِّي لَمْ يَقْرَأْ وَلَمْ يَكْتُبْ قَطُّ ، وَلَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ دَخَلَ كُتَّابًا وَلَا مَدْرَسَةً الْبَيْتَةَ :

١ - العلوم الكونية .

٢ - العلوم التاريخية .

٣ - العلوم التشريعية والقانونية .

٤ - العلوم الحربية والسياسية .

فَاشْتِمَالُهُ عَلَى هَذِهِ الْعُلُومِ الْمَخْتَلِفَةِ دَلِيلٌ قَوِيٌّ عَلَى أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى وَوَحْيٌ مِنْهُ ، إِذِ الْعَقْلُ يُحِيلُ صُدُورَ هَذِهِ الْعُلُومِ عَنْ أُمِّي لَمْ يَقْرَأْ وَلَمْ يَكْتُبْ قَطُّ .

٢ - تَحَدَّى اللَّهُ مُنْزِلُهُ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ بِقَوْلِهِ : ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ (١) . كَمَا تَحَدَّى فَصَحَاءَ الْعَرَبِ وَبَلْغَاءَهُمْ عَلَى الْإِتْيَانِ بِعَشْرِ سُورٍ مِنْ مِثْلِهِ ، بَلْ بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ فَعَجَزُوا وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا .

فَكَانَ هَذَا أَكْبَرَ دَلِيلٍ وَأَقْوَى بَرَهَانٍ عَلَى أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَلَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ فِي شَيْءٍ .

٣ - اشْتِمَالُهُ عَلَى أَخْبَارِ الْغَيْبِ الْعَدِيدَةِ ، وَالَّتِي ظَهَرَ (٢) بَعْضُهَا طَبَقَ مَا أُخْبِرَ بِهَا زِيَادَةً وَلَا نَقْصٍ .

٤ - مَا دَامَ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كُتُبًا أُخْرَى عَلَى غَيْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَالْتُورَةِ عَلَى مُوسَى ، وَالْإِنْجِيلِ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، لَمْ يُنْكَرْ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ قَدْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، كَمَا أَنْزَلَ الْكُتُبَ السَّابِقَةَ لَهُ ؟ . وَهَلِ الْعَقْلُ يُحِيلُ نَزُولَ الْقُرْآنِ أَوْ يَمْنَعُهُ ؟ . لَا . . . بَلِ الْعَقْلُ يُحْتِمُ نَزُولَهُ وَيُوجِبُهُ .

(١) سورة الاسراء .

(٢) من ذلك : إخباره بأن الروم ستغلب الفرس في بضع سنين ، وكانت يومئذ مغلوبة للفرس مهزومة أمامها ، ولم تمض بضع سنين حتى غلبت الروم فارس . قال تعالى : ﴿ أَلَمْ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بضع سنين ﴾ .

٤ - قد تُتَّبَعَتْ تَنْبُؤَاتُهُ فَكَانَتْ وَفَّقَ مَا تَنْبَأُ بِهِ تَمَامًا، كما قد تُتَّبَعَتْ أَخْبَارُهُ فَكَانَتْ طَبَقَ مَا فَصَّهُ وَأَخْبَرَ بِهِ سَوَاءً بِسَوَاءٍ، كما جُرِّبَتْ أَحْكَامُهُ وَشَرَائِعُهُ وَقَوَانِينُهُ فَحَقَّقَتْ كُلُّ مَا أُريدَ مِنْهَا مِنْ أَمْنٍ وَعِزَّةٍ وَكَرَامَةٍ^(١) وَعِلْمٍ وَعِرْفَانٍ، يَشْهَدُ بِذَلِكَ تَارِيخُ دَوْلَةِ الرَّاشِدِينَ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

وَأَيُّ دَلِيلٍ يُطْلَبُ بَعْدَ هَذَا عَلَى كَوْنِ الْقُرْآنِ كَلَامَ اللَّهِ وَوَحْيَهُ أَنْزَلَهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ وَخَاتَمَ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ؟.

(١) مصداق ذلك: ما حدث في المملكة العربية السعودية فقد اختل الأمن في أرض الحجاز وامت الفوضى وكثر السلب والنهب حتى أصبح الحاج لا يأمن على ماله ولا على نفسه، وما أن أعلن عن دولة القرآن حتى عم البلاد أمن شامل لم تر مثله منذ أن كانت دولة الراشدين رضي الله عنهم.

الفصل الثامن

الإيمان بالرُّسلِ عليهم السلامُ

يؤمنُ المسلمُ بأنَّ اللهَ تَعَالَى قد آصطفى من الناسِ رُسلًا وأوحى إليهم بشرعِهِ وعَهْدَ إليهم بإبلاغِهِ لِقَاطِعِ حُجَّةِ الناسِ عليه يومَ القيامةِ، وأرسلَهُم بالبيناتِ وأيدهم بالمعجزاتِ، ابتدأهم بنبِيِّه نوحٍ وختمَهُم بمحمدٍ ﷺ.

وأنَّهُم وإن كانوا بشرًا تَجَرِي عليهم الكثيرُ من الأعراضِ البشرية فيأكلُونَ ويشربُونَ، ويمَرُضُونَ، ويَصِحُّونَ، وَيَسُوْنُ وَيَذْكُرُونَ، وَيَمُوتُونَ وَيَحْيَوْنَ، فَهُمْ أَكْمَلُ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الإِطْلَاقِ، وَأَفْضَلُهُم بلا استثناءٍ، وَأَنَّهُ لَا يَتِمُّ إِيمَانُ عَبْدٍ إِلَّا بِالْإِيمَانِ بِهِمْ جَمِيعًا، جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، وَذَلِكَ لِلأَدْلَةِ النِّقْلِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ الآتِيَةِ:

الأدلةُ النِّقْلِيَّةُ:

١ - إخبارُهُ تَعَالَى عن رُسلِهِ، وعن بَعَثَتِهِم ورسالاتِهِم في قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(١) وفي قوله: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾^(٢). وفي قوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا، وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ. وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا. رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَكَانَ

(١) النمل.

(٢) الحج.

اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا^(١). وفي قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(٢). وفي قوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٣). وفي قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنْهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾^(٤). وفي قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْتَأْذَنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾ الآية^(٥). وفي قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمَنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٦).

٢ - إخبار الرسول ﷺ عن نفسه وعن إخوانه من الأنبياء والمرسلين في قوله: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَ قَوْمَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ» المسيح الدَّجَالُ -^(٧). وفي قوله: «لَا تَقَاضِلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ». وفي قوله: «لَمَّا سَأَلَهُ أَبُو ذَرٍّ عَنْ عَدَدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: «مِائَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا وَالْمُرْسَلُونَ مِنْهُمْ ثَلَاثُمِائَةٍ وَثَلَاثَةٌ عَشْرَ، وفي قوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَىٰ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي». وفي قوله: «ذَلِكَ إِبْرَاهِيمَ، لَمَّا قِيلَ لَهُ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ. تَوَاضَعَا مِنْهُ ﷺ». وفي قوله: «مَا كَانَ لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»، وفي إخباره ﷺ عَنْهُمْ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ إِذْ جُمِعُوا لَهُ هُنَاكَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَصَلَّى بِهِمْ إِمَامًا لَهُمْ، كَمَا أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَاوَاتِ يَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَيُوسُفَ، وَإِدْرِيسَ وَهَارُونَ، وَمُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ، وَأَخْبَرَ عَنْهُمْ وَعَمَّا شَاهَدَهُ مِنْ حَالِهِمْ».

وفي قوله: «وَإِنْ نَبِيُّ اللَّهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ»^(٨).

٣ - إيمان البلاءيين من البشر من المسلمين وغدهم من أهل الكتاب من يهود

(١) النساء.

(٢) الحديد.

(٣) الأبيات.

(٤) في الصحيحين.

(٥) النساء.

(٦) الحديد.

(٧) الأبيات.

(٨) الفرقان.

وَنَصَارَى بُرْسُلِ اللَّهِ وَتَصْدِيقَهُمُ الْجَازِمُ بِرِسَالَتِهِمْ وَاعْتِقَادُهُمْ كَمَالَهُمْ، وَاصْطِفَاءُ اللَّهِ لَهُمْ.

الأدلة العقلية:

١ - رُبُوبِيَّتُهُ وَرَحْمَتُهُ تَعَالَى، تَقْتَضِيَانِ إِسْرَالَ رُسُلٍ مِنْهُ إِلَى خَلْقِهِ لِيُعْرِفُوهُمْ بِرَبِّهِمْ، وَيُرْشِدُوهُمْ إِلَى مَا فِيهِ كَمَالُهُمُ الْإِنْسَانِي، وَسَعَادَتُهُمْ فِي الْحَيَاتَيْنِ الْأُولَى وَالثَانِيَةِ.

٢ - كَوْنُهُ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ، إِذْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١). فَهَذَا يَقْتَضِي اصْطِفَاءَ الرُّسُلِ وَإِسْرَالَهِمْ لِيُعَلِّمُوا الْعِبَادَ كَيْفَ يَعْبُدُونَهُ تَعَالَى وَيُطِيعُونَهُ، إِذْ تِلْكَ هِيَ الْمُهْمَّةُ الَّتِي خَلَقَهُمْ مِنْ أَجْلِهَا.

٣ - إِنْ كَوْنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ مَرْتَبَيْنِ عَلَى آثَارِ الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ فِي النَّفْسِ بِالتَّطْهِيرِ وَالتَّدْصِيقِ أَمْرٌ يَقْتَضِي إِسْرَالَ الرُّسُلِ، وَبَعَثَةَ الْأَنْبِيَاءِ، لثَلَا يَقُولَ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِنَّا يَا رَبَّنَا لَمْ نَعْرِفْ وَجْهَ طَاعَتِكَ حَتَّى نُطِيعَكَ، وَلَمْ نَعْرِفْ وَجْهَ مَعْصِيَتِكَ حَتَّى نَتَجَنَّبَهَا، وَلَا ظَلَمَ الْيَوْمَ عِنْدَكَ، فَلَا تُعَذِّبْنَا، فَتَكُونُ لَهُمُ الْحُجَّةُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. فَكَانَتْ هَذِهِ حَالًا اقْتَضَتْ بَعَثَةَ الرُّسُلِ لِقَطْعِ الْحُجَّةِ عَلَى الْخَلْقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لثَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٢).

(١) الذَّارِيَاتِ

(٢) النَّسَاءِ .

الفصل التاسع

الايمان برسالة محمد ﷺ

يُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ بِأَنَّ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيَّ الْقُرَشِيَّ الْعَرَبِيَّ الْمُنَحْدِرَ مِنْ صُلْبِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ إِلَى كَافَّةِ النَّاسِ أَحْمَرِهِمْ وَأَبْيَضِهِمْ، وَخَتَمَ بِنُبُوَّتِهِ النَّبَوَاتِ، وَبِرِسَالَتِهِ الرِّسَالَاتِ، فَلَا نَبِيَّ بَعْدَهُ وَلَا رَسُولَ، أَيْدُهُ بِالْمُعْجَزَاتِ، وَفَضْلُهُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَا فَضَّلَ أُمَّتَهُ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ، فَرَضَ مَحَبَّتَهُ وَأَوْجَبَ طَاعَتَهُ، وَالزَّمَ مَتَابَعَتَهُ، وَخَصَّهُ بِخَصَائِصٍ لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ سِوَاهُ مِنْهَا: الْوَسِيلَةُ، وَالْكَوْثَرُ، وَالْحَوْضُ، وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ، وَذَلِكَ لِلْأَدْلَةِ النَّقْلِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ الْآتِيَةِ:

الأدلة النقليّة:

١ - شَهِادَتُهُ تَعَالَى وَشَهَادَةُ مَلَائِكَتِهِ لَهُ ﷺ بِالرُّوحِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ^(١) ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.

٢ - إِنْخِبَارُهُ تَعَالَى عَنْ عَمُومِ رِسَالَتِهِ، وَخَتَمِ نُبُوَّتِهِ، وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَكَوْنِهِ خَاتِمَ النَّبِيِّينَ فِي قَوْلِهِ جَلَّتْ قَدْرَتُهُ: ^(٢) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾. وَفِي قَوْلِهِ ^(٣): ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾. وَفِي قَوْلِهِ: ^(٤) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾. وَفِي قَوْلِهِ: ^(٥) ﴿هُوَ

(١) النساء.

(٢) النساء.

(٣) المائدة.

(٤) الأنبياء.

(٥) الجمعة.

الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُرَكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾. وفي قوله تبارك وتعالى: ﴿١﴾ «يُحَمَّدُ
رَسُولُ اللَّهِ ﴿٢﴾. وفي قوله: ﴿٢﴾ «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ
نَذِيرًا ﴿٣﴾. وفي قوله: ﴿٣﴾ «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمَ
النَّبِيِّينَ ﴿٤﴾. وفي قوله: ﴿٤﴾ «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿٥﴾. وفي قوله: ﴿٥﴾ «إِنَّا
أَعْطَيْنَاكَ الْكُوفِرَ ﴿٦﴾. وفي قوله: ﴿٦﴾ «وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٧﴾. وفي قوله: ﴿٧﴾ «عَسَى
أَنْ يَنْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٨﴾. وفي قوله: ﴿٨﴾ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴿٩﴾. وفي قوله: ﴿٩﴾ «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ
وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ
مِنَ اللَّهِ وَرُسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴿١٠﴾. وفي قوله: ﴿١٠﴾
«كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴿١١﴾. وفي قوله: ﴿١١﴾ «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١٢﴾. وفي قوله: ﴿١٢﴾ «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿١٣﴾.
«قُلْ إِنْ كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴿١٤﴾».

٣ - إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ نَبِيِّهِ وَخَتَمِ النَّبَوَاتِ بِهَا وَعَنْ جُذُوبِ طَاعَتِهِ وَعُمُومِ رِسَالَتِهِ
فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» ﴿١٣﴾. وفي قوله: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ
وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِنْ آدَمَ لَمْ جَنْدَلٌ فِي طِينَتِهِ» ﴿١٤﴾. وفي قوله: «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ
قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَجَمَّلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ وَاحِدَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ
بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلْأُ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ؟ فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ» ﴿١٥﴾.

(١) الفتح.

(٩) التوبة.

(٢) الفرقان.

(١٠) آل عمران.

(٣) الأحزاب.

(١١) البقرة.

(٤) القمر.

(١٢) آل عمران.

(٥) الكوثر.

(١٣) في الصحيحين.

(٦) الضحى.

(١٤) البخاري في التاريخ، وأحمد وابن حبان وصححه.

(٧) الإسراء.

(١٥) متفق عليه.

(٨) النساء.

وفي قوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١). وقوله: «كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى قَالُوا وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟». قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»^(٢). وفي قوله: «إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنَّبُوَّةَ قَدْ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ»^(٣). وفي قوله: «فَضَّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسَبِّ: أُعْظِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرَّغَبِ، وَأُجِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ»^(٤). وقوله: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي»^(٥). وقوله: «إِنَّ الْجَنَّةَ حُرِّمَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ حَتَّى أُدْخِلَهَا، وَحُرِّمَتْ عَلَى الْأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتِي»^(٦). وقوله: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ الْأَنْبِيَاءِ وَخَطِيتِهِمْ وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ وَلَا فَخْرَ»^(٧). وقوله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»^(٨).

٤ - شهادة التوراة والإنجيل ببعثته ﷺ وبرسالته ونبوته، وتبشير كل من موسى وعيسى به ﷺ قال تعالى فيما حكاه عن عيسى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾. وجاء في التوراة: «سَوْفَ أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِثْلَكَ مِنْ بَيْنِ إِخْوَانِهِمْ، وَاجْعَلْ كَلَامِي فِي فِيهِ، وَيَكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ أَمْرُهُ بِهِ وَمَنْ لَمْ يُطِيعْ كَلَامَهُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ بِاسْمِي فَأَنَا أَكُونُ الْمُنْتَقِمَ مِنْ ذَلِكَ».

فَهَذِهِ الْبَشَارَةُ الثَّابِتَةُ فِي التَّوْرَةِ الْيَوْمَ تَشْهَدُ بِنُبُوَّةِ نَبِينَا ﷺ، وَرِسَالَتِهِ وَوُجُوبِ

- | | |
|-------------------------------|---------------------------------------|
| (١) البخاري. | (٥) البخاري. |
| (٢) البخاري. | (٦) رواه الدارقطني وله طرق تجعله حسن. |
| (٣) رواه أحمد والترمذي وصححه، | (٧) الترمذي وابن ماجه وأحمد. |
| (٤) مسلم والترمذي. | (٨) مسلم. |

اتِّبَاعِهِ، وَلِزُومِ طَاعَتِهِ، وَهِيَ حُجَّةٌ عَلَى الْيَهُودِ، وَإِنْ تَأَوَّلُوهَا وَجَحَدُوهَا، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: سَوْفَ أَقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا، يَشْهَدُ بِلَا شَكٍّ لِنُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ ﷺ، إِذِ الْمَخَاطَبُ هُنَا هُوَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَمَنْ كَانَ مِثْلَهُ فَهُوَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَقَوْلُهُ: «مَنْ بَيْنَ إِخْوَتِهِمْ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ»، وَقَوْلُهُ: وَاجْعَلْ كَلَامِي فِي فِيهِ، لَا يَنْطَبِقُ إِلَّا عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَقْرَأُ كَلَامَ اللَّهِ وَيَحْفَظُهُ وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَقَوْلُهُ: يُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ شَاهِدٌ كَذَلِكَ، إِذِ النَّبِيُّ ﷺ تَكَلَّمَ بِغَيْبٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ نَبِيٌّ سِوَاهُ، إِذْ أَخْبَرَ بَعْضُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

وَجَاءَ فِي التَّوْرَةِ مَا نَصُّهُ:

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا، وَحِزْرًا لِلْأَمِينِ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمِيتُكَ الْمَتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِقَطٍ وَلَا غَلِيظٍ وَلَا صَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيْئَةَ بِالسَّيْئَةِ، وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَصْفَحُ وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمَلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بَأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَيَفْتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا»^(١). وَجَاءَ فِيهَا أَيْضًا: «هُمْ أَغَارُونِي بِغَيْرِ اللَّهِ، وَأَغْضَبُونِي بِمَعْبُودَاتِهِمْ الْبَاطِلَةِ، وَأَنَا أُغَيِّرُهُمْ بِغَيْرِ شَعْبٍ، وَبِشَعْبٍ جَاهِلٍ أَغْضِبُهُمْ».

فَقَوْلُهُ: وَبِشَعْبٍ جَاهِلٍ، صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ الشَّعْبُ الْعَرَبِيُّ، إِذْ هُوَ الشَّعْبُ الْجَاهِلُ قَبْلَ بَعَثَتِهِ ﷺ، حَتَّى إِنْ الْيَهُودَ كَانُوا يُسَمُّونَ الْعَرَبَ بِالْأَمِينِ، كَمَا جَاءَ فِيهَا كَذَلِكَ قَوْلُهُ: «فَلَا يَزُولُ الْقُضَيْبُ مِنْ يَهُودًا، وَالْمَدْبَرُ مِنْ فَخْذِهِ حَتَّى يَجِيءَ الَّذِي لَهُ الْكُلُّ وَإِيَّاهُ تَنْتَظِرُ الْأُمَمُ» فَمَنْ ذَا الَّذِي انْتَظَرَتْهُ الْأُمَمُ سِوَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَا سِوَا الْيَهُودِ فَقَدْ كَانُوا أَكْثَرَ النَّاسِ انْتِظَارًا لَهُ، بِاعْتِرَافَاتِهِمْ الصَّرِيحَةِ، وَلَكِنَّ الْحَسَدَ هُوَ الَّذِي حَرَمَهُمُ الْإِيمَانَ بِهِ وَاتَّبَاعَهُ ﷺ قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، كَمَا جَاءَ فِي الْإِنْجِيلِ الْبَشَارَاتِ التَّالِيَةِ:

(١) وَأَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

١- في تلك الأيام جَاءَ يُوحَنَّا المَعْمَدَانِ يَكْرِزُ^(١) في بَرِّيَّةِ الْيَهُودِ قَائِلاً: «تُوبُوا
لأنه قد اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ»، فَقَوْلُهُ قد اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ إشارةٌ إلى
مُحَمَّدٍ ﷺ، كما هو بِشَارَةٌ بِقُرْبِ بَعَثَتِهِ إِذْ هُوَ الَّذِي مَلَكَ وَحَكَمَ بِقَانُونِ السَّمَاءِ.

٢ - قَدَّمَ لَهُمْ مَثَلاً آخَرَ قَائِلاً: «يُشَبِّهُ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ حَبَّةَ خِرْدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ
وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ، وَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُذُورِ، وَلَكِنْ مَتَى نَمَتْ فَهِيَ أَكْبَرُ الْبُقُولِ»،
فهذه العبارة في الإنجيل هي عَيْنُ مَا ذَكَرَهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، إِذْ قَالَ تَعَالَى:
﴿وَمَثَلُكُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ
الزَّרَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾. المراد من ذلك مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَصْحَابُهُ.

٣ - «أَنْطَلِقُ لِأَيِّي إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَمْ يَأْتِكُمْ (البارقليط^(٢)) فَأَمَّا إِنْ أَنْطَلَقْتُ أَرْسَلْتُهُ
إِلَيْكُمْ، فَإِذَا جَاءَ ذَاكَ يُؤَيِّخُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَتِهِ». أَلَيْسَتْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنَ الْإِنْجِيلِ
صَرِيحَةً فِي التَّبَشِيرِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، مَنْ هُوَ (البارقليط) إِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَمَّدًا؟ وَمَنْ هُوَ
الَّذِي وَيِّخُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَتِهِ سِوَاهُ؟ إِذْ هُوَ الَّذِي بُعِثَ وَالْعَالَمُ يَسْبِخُ فِي بُحُورِ
الْفَسَادِ وَالشُّرُورِ، وَالْوَيْبَةُ ضَارِبَةٌ أَطْنَابَهَا حَتَّى فِي أَهْلِ الْكِتَابِ؟ وَمَنْ هُوَ الَّذِي جَاءَ
بَعْدَ رَفْعِ عِيسَى يَدْعُو إِلَى اللَّهِ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ غَيْرَ مُحَمَّدٍ ﷺ؟

الأدلة العقلية:

١ - مَا الْمَانِعُ مِنْ أَنْ يُرْسَلَ اللَّهُ مُحَمَّدًا رَسُولًا، وَقَدْ أُرْسِلَ مِنْ قَبْلِهِ مِثَالُ
الْمُرْسَلِينَ وَبَعَثَ آلاَفُ الْأَنْبِيَاءِ؟

وإِذَا كَانَ لَا مَانِعَ مِنْ ذَلِكَ عَقْلًا وَلَا شَرْعًا، فَبِأَيِّ وَجْهِ تُنْكِرُ رِسَالَتَهُ وَتُكْفِرُ
نُبُوَّتَهُ ﷺ إِلَى عَمُومِ النَّاسِ؟

٢ - الظُّرُوفُ الَّتِي اكْتَنَفَتْ بِعَثَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَتْ تَتَطَلَّبُ رِسَالَةَ
سَمَاوِيَّةً وَرَسُولًا يَجِدُّ لِلْبَشَرِيَّةِ عَهْدَ مَعْرِفَتِهَا بِخَالِقِهَا عَزَّ وَجَلَّ.

(١) وعظ ونادي مبشراً بنبوته نبي، واللفظة (سريانية).

(٢) ترجمتها من اليونانية إلى العربية: بالذي له حمد كثير وهو يوافق معنى «محمد» أو أحمد.

٣ - انتشار الإسلام بسرعة في أنحاء العالم، وأقطار شتى في أنحاء المعمورة، وقبول الناس له وإثاره على غيره من الأديان، دليل على صدق نبوته ﷺ.

٤ - صحة المبادئ التي جاء بها ﷺ وصدقها وصلاحياتها، وظهور نتائجها طيبة مباركة تشهد أنها من عند الله تعالى، وأن صاحبها رسول الله ونبيه.

٥ - ما ظهر على يده ﷺ من المعجزات والخواير التي يحيل العقل صدورها على يد غير نبي ورسول.

وهذا طرف من تلك المعجزات، كما هي ثابتة في الحديث الصحيح الأشبه بالمتواتر الذي لا يكذبه إلا ضعيف العقل أو فاقده:

١ - انشقاق القمر^(١) له ﷺ، فقد طلب الوليد بن المغيرة وغيره من كفار قريش آية - معجزة - منه عليه السلام تدل على صدقه في دعوى النبوة والرسالة فانشق له القمر فرقتين: فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال لهم النبي عليه الصلاة والسلام: اشهدوا، قال بعضهم: رأيت القمر بين فرقتي الجبل - جبل أبي قبيس - وقد سألت قريش أهل بلاد أخرى، هل شاهدوا انشقاق القمر؟ فأخبروا به كما رأوه، ونزل قول الله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم﴾ القمر.

٢ - أصيبت عين قتادة يوم «أحد» حتى وقعت على وجنته فردّها الرسول ﷺ فكانت أحسن منها قبل.

٣ - رمذت غينا علي بن أبي طالب عليه السلام يوم «خبير» فنفت فيهما رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام فبرئنا كان لم يكن بهما شيء أبداً.

٤ - انكسرت ساق ابن الحكم يوم «بدر» فنفت عليها ﷺ فبرئ لوقتبه ولم يحصل له ألم قط.

(١) الحديث شتى خبره في الصحيحين

٥ - نطقُ الشجرِ له عليه السلام، فقد دنا منه أعرابي، فقال له: يا أعرابي أين تريد؟ قال إلى أهلي. قال هل لك إلى خير؟ فقال: وما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. فقال الأعرابي: من يشهد لك على ما تقول؟ فقال له ﷺ: هذه الشجرة - يشير إلى شجرة بساطيء الوادي - فاقبلت تخذ الأرض حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً فشهدت، كما قال عليه الصلاة والسلام.

٦ - حين جزع النخلة^(١) له ﷺ وبكاؤه بصوت سَمِعَهُ مَنْ فِي مَسْجِدِهِ ﷺ قاطبةً، وذلك لما فارقه ﷺ بعدما كان يخطب عليه كمنبر له، ولما صُنع له المنبر وترك الصعود عليه بكى حيناً وشوقاً إليه ﷺ، فقد سَمِعَ له صوت كصوت العشار^(٢)، ولم يسكت حتى جاءه الرسول عليه الصلاة والسلام، ووضع يده الشريفة عليه فسكت.

٧ - دعاؤه ﷺ على كسرى بتمزيق ملكه فتمزق.

٨ - دعاؤه عليه الصلاة والسلام لابن عباس بالتفقه في الدين، فكان عبد الله ابن عباس خبر هذه الأمة.

٩ - تكثير الطعام بدعائه ﷺ، فقد أكل من مدي شعير فقط أكثر من ثمانين رجلاً.

١٠ - تكثير الماء بدعائه ﷺ، فقد عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله عليه أزكى السلام بين يديه ركوة ماء يتوضأ منها وأقبل الناس نحوه. وقالوا ليس عندنا إلا ما في ركوبتك فوضع ﷺ يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، فشرب القوم وتوضأوا، وكانوا ألفاً وخمسمائة نفر.

١١ - الإسراء والمعراج من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى إلى

(١) رواية حنين الجذع ثابتة في الصحيحين.

(٢) العشار: النوق التي مضى على حملها عشرة أشهر

السمواتِ العُلى إلى سُدْرَةِ المنتهى ، وعادَ إلى فِرَاشِهِ وَلَمْ يَبْرُدْ.

١٢ - القرآنُ الكريمُ، الكتابُ الذي فيه نبأٌ من قبلنا وخبرٌ من بعدنا وحُكْمٌ ما بيننا وفيه الهدى والنورُ، فهو معجِزَتُهُ العُظمى وآيةُ نبوته الخالدةُ والباقيَّةُ على مرِّ الأيامِ وكَرِّ العُصورِ ليُظَلَّ به الدليلُ قائماً على صِدْقِ نبوته عليه الصلاةُ والسلامُ، والحجَّةُ ثابتةٌ على الخلقِ إلى أن يَرِثَ اللهُ الأرضَ.

فالقرآنُ العظيمُ من أعظم ما أُوتِيَ نبيُّنا ﷺ من المعجِزاتِ، ومن أكبر ما أُوتِيَ من البيناتِ. وفيه يقولُ: مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَارْجُوا أَن أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

(١) أغلب هذه المعجزات ثابت في الصحيحين وما لم يكن في الصحيحين فهو في كتب السنة الصحيحة.

الفصل العاشر

الإيمانُ باليومِ الآخرِ

يُؤْمِنُ المسلمُ بأنَّ لهذه الحياة الدنيا ساعةً أخيرةً تنتهي فيها، ويوماً آخرَ ليس بعده من يوم، ثم تأتي الحياةُ الثانيةُ، واليومُ الآخرُ للدارِ الآخرةِ، فيَبْعَثُ اللهُ سبحانه الخلائقَ بَعَثاً، ويَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جميعاً لِيُحَاسِبَهُمْ فيَجْزِي الأبرارَ بالنعيمِ المقيمِ في الجنةِ، وَيَجْزِي الفُجَّارَ بالعذابِ المهينِ في النارِ.

وأنه يَسْبِقُ هَذَا أَشْرَاطُ السَّاعَةِ وَأَمَارَاتُهَا، كَخُرُوجِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَنُزُولِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَخُرُوجِ الدَّابَّةِ، وَطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ الْفَنَاءِ وَالصَّعْقِ، ثُمَّ نَفْخَةُ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَالْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ تُعْطَى الْكُتُبُ، فَمَنْ أَخَذَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَمِنْ آخِذٍ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ وَيَوْضَعُ الْمِيزَانَ، وَيُجْرَى الْحِسَابُ، وَيُنْصَبُ الصِّرَاطُ، وَيَنْتَهِي الْمَوْقِفُ الْأَعْظَمُ بِاسْتِقْرَارِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ، وَذَلِكَ لِلأَدْلَةِ النُّقْلِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ التَّالِيَةِ:

الأدلةُ النُّقْلِيَّةُ:

١ - إِبْخَارُهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ الرَّحْمَنُ. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَئِنَّ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ؟ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، وَنَبْلُوكُمُ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ الْأَنْبِيَاءُ. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا، قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ، ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ، وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ التَّغَابُنِ. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» المطففين .

وفي قوله : ﴿وَتَنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ الشورى . وفي قوله : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا، وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا، وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَالَهَا؟ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا، بَأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا، يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ، فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ الزلزلة . وفي قوله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ، أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ، أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ، يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ الأنعام . وفي قوله جَلَّ جَلَالُهُ : ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ النمل .

وفي قوله : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ^(١) يَنْسِلُونَ، وَقَتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الأنبياء . وفي قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا، إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ^(٢)﴾ وقالوا : أَلْهَيْتَنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ؟ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا، بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ، إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ، وَأَنْتَ لَعَلَّكَ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنْ بِهَا﴾ الزخرف . وقوله سبحانه : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ، وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ، وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ الزمر .

وفي قوله عز وجل : ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ الأنبياء . وفي قوله

(١) الحدب: المرتفع من الأرض، وينسلون: يسرعون النزول منه.

(٢) يضحجون فرحاً وضحكاً.

سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفَخَتْ وَاحِدَةٌ وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً، فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا، وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ، يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ، فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ (١) أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةً، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ، كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَّةً، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ، مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِي، هَلَكْتُ عَنِّي سُلْطَانِيَّةً، خَذَوْهُ فَعَلُّوه، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوه، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ الحاقة. وفي قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا، ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُتِيًّا، ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صُلِيًّا، وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا، وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ (٢) مريم.

١ - إخباره ﷺ في قوله: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَهُ» (٣). وفي قوله: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَكُونُ حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آيَاتٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَالذَّجَالُ، وَالرَّجَالُ وَدَابَّةُ الْأَرْضِ، وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَطُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ» (٤) عدن تُرْجَلُ النَّاسِ، وَنَزُولُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ (٥). وفي قوله: «يَخْرُجُ الدَّجَالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةٌ بَنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عداوةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مِنْ قَبْلِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّىٰ لَوْ أَنَّ

(١) خلدوا.

(٢) باركين على ركبهم لشدة الهول.

(٤) من أقصى عدن،

(٥) مسلم.

(٣) رواه أحمد والشيخان.

أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ، فَيَبْقَى شَرَارُ النَّاسِ فِي خُفَةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السَّبَاعِ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: «إِلَّا تَسْتَجِيبُونَ؟» فَيَقُولُونَ: «فَمَاذَا تَأْمُرُنَا؟» فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارُ رِزْقِهِمْ، حَسَنُ عَيْشِهِمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْعَى لَيْتًا^(١) وَرَفَعَ لَيْتًا، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ أَبِيهِ^(٢). قَالَ: فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُنْزَلُ مَطْرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ، فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ثُمَّ يَقَالُ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَاقْفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، ثُمَّ يَقَالُ: أَخْرِجُوا بَعَثَ النَّارِ، فَيَقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيَقَالُ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمَائَةِ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ، فَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا وَذَلِكَ يَوْمٌ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ^(٣).

وفي قوله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شَرَارِ النَّاسِ^(٤)». وفي قوله: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، ثُمَّ يُنْزَلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يُبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجَبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٥)» وفي قوله وهو يَخْطُبُ: «إِيهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُحْشُورُونَ إِلَى رَبِّكُمْ حُفَاةَ عُرَاءٍ غُرُلًا، أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلْقِ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ ﷺ، أَلَا وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرَجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا تَذِيرِي مَا أَحْذَثُوا بَعْدَكَ^(٦)». وفي قوله: «لَا تَزُولُ قَدَمًا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا عَمِلَ بِهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ^(٧)». وفي قوله ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ

(١) الليت: صفحة العنق، أي آمال صفحة عنقه يسمع.

(٢) يطينه ويصلحه.

(٣) مسلم.

(٤) مسلم.

(٥) مسلم.

(٦) مسلم.

(٧) رواه الترمذي وقال فيه حسن صحيح، وهو في مسلم.

بن المسك، وكيزأه كنجوم السماء، من شرب منه لا يظماً أبداً^(١). وفي قوله لعائشة رضي الله عنها لما ذكرت النار بكت: ما يبكيك؟ قالت: ذكرت النار فبكت، فهل نذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال: أما في ثلاثة مواطن فلا يذكرو أحدٌ أحدٌ عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل؟ وعند تطاير الصحف حتى يعلم أين يقع كتابه في يمينه أم في شماله أم وراء ظهره؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم حتى يجوز^(٢). وفي قوله: «لكل نبي دعوة قد دعاها لأمتيه، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي».

وفي قوله: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تشقق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر، ولواء الحديدي يوم القيامة ولا فخر»^(٣). وفي قوله: من سأل الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة اللهم أدخله الجنة، ومن استجار من النار ثلاث مرات قالت النار اللهم أجره من النار^(٤).

٣ - إيمان الملايين من الأنبياء والمرسلين والعلماء والصالحين من عباد الله باليوم الآخر وبكل ما ورد فيه وتصديقهم الجازم به.

الأدلة العقلية:

١ - صلاح قدرة الله لإعادة الخلاق بعد فنائهم، إذ إعادتهم ليست بأصعب من خلقهم وإيجادهم على غير مثال سابق.

٢ - ليس هناك ما ينفيه العقل من شأن البعث والجزاء، إذ العقل لا ينفي إلا ما كان من قبيل المستحيل كاجتماع الضدين، أو التقاء النقيضين، والبعث والجزاء ليسا من ذلك في شيء.

(١) وارد بالفاظ مختلفة في الصحيحين وفي ابن ماجه والحاكم والترمذي.

(٢) أخرجه أبو داود بإسناد حسن.

(٣) تقدم.

(٤) رواه الترمذي وابن ماجه والنسائي وابن حبان والحاكم وصحبه.

٣- حكمته تعالى الظاهرة في تصرفاته في مخلوقاته، والعبارة في كل مظهر ومجال من مجالات الحياة ومظاهرها تحيل عدم وجود البعث للخلق بعد موتهم، وانتهاء أجل الحياة الأولى وجزائهم على أعمالهم من خير وشر.

٤- وجود الحياة الدنيا وما فيها من نعيم وشقاء، شاهد على وجود حياة أخرى في عالم آخر يوجد فيها من العدل والخير والكمال، والسعادة والشقاء ما هو أعظم وأفضل بكثير، بحيث أن هذه الحياة وما فيها من سعادة وشقاء لا تمثل من تلك الحياة إلا ما تمثل صورة قصر من القصور الضخمة، أو حديقة من الحدائق الغناء على قطعة ورق صغيرة.

الفصل الحادي عشر

في عَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ

يُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ أَنَّ الْقَبْرَ وَعَذَابَهُ، وَسُؤَالَ الْمَلَائِكَةِ فِيهِ حَقٌّ وَصَدَقَ وَذَلِكَ لِلأَدْلَةِ
لِنَقْلِةِ وَالْعَقِيلَةِ الْآتِيَةِ:

لأَدْلَةُ النَقْلِةِ:

١ - إِنْخِبَارُهُ تَعَالَى بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْهَبَ أَلْسِنَهُمْ، وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ، ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(١) وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٢) وفي قوله: ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾^(٣) وفي قوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ: أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾^(٤). وفي قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾^(٥).

٢ - إِنْخِبَارُ الرَّسُولِ ﷺ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: إِنْ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ

(١) سورة: الأنفال.

(٢) سورة: غافر.

(٣) سورة: الأنعام.

(٤) سورة: إبراهيم.

(٥) سورة: التوبة.

أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ - لِمُحَمَّدٍ ﷺ؟ - فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيَقَالُ لَهُ: أَنْظِرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْذَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ فِيرَاهُمَا جَمِيعًا. وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْكَافِرُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ لَا أُدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيَقَالُ لَهُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ^(١) وَيُضْرَبُ بِمِطْرَاقٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصْبِيحُ صَبِيحَةً يَسْمَعُهُ مِنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ^(٢) وَفِي قَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣). وَفِي قَوْلِهِ ﷺ فِي دَعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ^(٤) وَفِي قَوْلِهِ لَمَّا مَرَّ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ، فِي كَبِيرٍ، ثُمَّ قَالَ بَلَى، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ»^(٥).

٣ - إِيْمَانُ الْبَلَايَيْنِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمِنْ أُمَّةٍ أُخْرَى سَبَقَتْ بِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ، وَكُلٌّ مَا رُوِيَ فِي شَأْنِهِ.

الأدلة العقيلة:

١ - إِيْمَانُ الْعَبْدِ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَسْتَلْزِمُ إِيْمَانَهُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ، وَبِكُلِّ مَا يَجْرِي فِيهِ، إِذِ الْكُلُّ مِنَ الْغَيْبِ فَمَنْ آمَنَ بِالْبَعْضِ لَزِمَهُ عَقْلًا الْإِيْمَانُ بِالْبَعْضِ الْآخَرِ.

(١) تَلَيْتَ بِمَعْنَى تَلَوْتُ أَيْ اتَّبَعْتُ.

(٢) الْإِنْسُ وَالْجِنُّ.

(٣) الْبُخَارِيُّ.

(٤) الْبُخَارِيُّ.

(٥) الْبُخَارِيُّ.

٢ - ليس هذا القبر أو نعيمه، أو ما يقع فيه من سؤال الملكين مما ينفيه العقل أو يحيله بل العقل السليم يقره ويشهد له.

٣ - إن النائم قد يرى الرؤيا وما يسر فيتلذذ بها وينعم بتأثيرها في نفسه، الأمر الذي يحزن له أو يأسف إن هو استيقظ، كما إنه قد يرى الرؤيا مما يكره فيستاء لها ويغتم، الأمر الذي يجعله يحمّد من أيقظه، لو أن شخصاً أيقظه فهذا النعيم أو العذاب في النوم يجري على الروح حقيقة وتتاثر به، وهو غير محسوس ولا مشاهد لنا، ولا ينكره أحد، فكيف إذا عذاب القبر أو نعيمه، وهو نظيره تماماً.

الفصل الثاني عشر

الايمانُ بالقضاءِ والقدرِ

يؤمنُ المسلمُ بقضاءِ الله وقدره^(١) وحكمته ومشيتيه، وأنه لا يقع شيء في الوجود حتى أفعال العباد الاختيارية إلا بعد علم الله به وتقديره. وأنه تعالى عدل في قضائه وقدره، حكيم في تصرفه وتدبيره. وأن حكمته تابعة لمشيئته. ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا به تعالى. وذلك للأدلة العقلية والعقلية التالية:

الأدلة العقلية:

١ - إخباره تعالى عن ذلك في قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٢). وقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾^(٣). وفي قوله: ﴿وَمَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾^(٤) إن ذلك على الله يسير^(٥). وفي قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٦) وقوله: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلَزَمْنَا طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾^(٧). وقوله: ﴿قُلْ لَنْ يَصِيَّبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا. هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٨). وفي قوله عز وجل: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ

(١) القضاء. حكم الله سبحانه أولاً بوجود الشيء أو عدمه، والقدر: إيجاد الله تعالى الشيء على كيفية خاصة في وقت خاص وقد يطلق كل منهما على الآخر.

(٢) القمر.

(٣) الحجر.

(٤) نخلقها.

(٥) الحديد.

(٦) التغابن.

(٧) الإسراء، طائره: نصيبه من العمل المقدر له.

(٨) التوبة.

الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقه إلا يعلمها ولا حية في ظلمات الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين^(١). وقوله: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾^(٢). وقوله: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنی أولئك عنها مبعدون﴾^(٣). وفي قوله: ﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾^(٤). وفي قوله: ﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾^(٥).

٢ - إخبار رسول الله ﷺ عن ذلك في قوله: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»^(٦). وفي قوله ﷺ لعبد الله بن عباس: «يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»^(٧). وفي قوله: «إن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له: أكتب، فقال: رب، وماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»^(٨). وفي قوله ﷺ: «احتج آدم وموسى، قال

(١) الإنعام.

(٢) التكوين.

(٣) الأنبياء.

(٤) الكهف.

(٥) الأعراف.

(٦) مسلم.

(٧) الترمذي وصححه، احفظ الله: احفظ حدوده وراعي حقوقه.

(٨) رواه أحمد وأحمد والترمذي من حديث عبادة وهو حديث حسن.

موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك التوراة بيده تلومني على أمرٍ قدّره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين عاماً فحجّج^(١) آدم موسى^(٢). وفي قوله عليه السلام في تعريف الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»^(٣). وفي قوله ﷺ: «اعملوا فكلُّ مُيسرٍ لما خُلِقَ له»^(٤) وفي قوله ﷺ: «إنَّ النذر لا يردُّ قضاءً»^(٥). وفي قوله ﷺ لعبد الله بن قيس: «يا عبد الله بن قيس ألا أعلمك كلمة هي من كنوز الجنة؟ لا حول ولا قوة إلا بالله»^(٦). وفي قوله ﷺ لمن قال: «ما شاء الله وشئت، قل ما شاء الله وحده»^(٧).

٣- إيمان ميثاب الملائيين من أمة محمد ﷺ من علماء وحكماء وصالحين وغيرهم بقضاء الله تعالى وقدره. وحكمته ومشيتيه، وأن كل شيء سبق علمه، وجرى به قدره. وأنه لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن القلم جرى بمقادير كل شيء إلى قيام الساعة.

الأدلة العقلية:

١- إن العقل لا يُحيل شيئاً من شأن القضاء والقدر، والمشيتية، والحكمة، والإرادة، والتدبير، بل العقل يُوجب كل ذلك ويحتّمه، لِمَا له من مظاهر بارزة في هذا الكون.

(١) مسلم.

(٢) حجه غلبه في الحجة وبيان ذلك أن لوم موسى كان في غير محله، لأنه إن لومه على الخروج من الجنة كان قد لومه على أمر لا بد من وقوعه لما قضاه الله، وإن لومه على الذنب، فإن آدم تاب منه،

ومن تاب لا يلام عقلاً ولا شرعاً.

(٣) من حديث جبريل في صحيح مسلم.

(٤) من حديث مسلم.

(٥) رواه الجماعة كلهم وهو صحيح.

(٦) متفق عليه.

(٧) النسائي وصححه.

٢ - الإيمان به تعالى وبقدرته يستلزم الإيمان بقضائه وقدره وحكمته ومشيتيه .

٣ - إذا كان المهندس المعماري يرسم على ورقة صغيرة رسماً لقصر من القصور، ويحدد له زمن إنجازه، ثم يعمل على بنائه فلا تنتهي المدة التي حددها حتى يخرج القصر من الورقة إلى حيز الوجود، وطبق ما رسم على الورقة بحيث لا ينقص شيء وإن قل، ولا يزيد، فكيف ينكر على الله أن يكون قد كتب مقادير العالم إلى قيام الساعة، ثم لكمال قدرته وعلمه يخرج ذلك المقدر طبق ما قدره في كميته وكيفيته، وزمانيه ومكانيه . ومع العلم بأن الله تعالى على كل شيء قدير! .

الفصل الثالث عشر

في توحيد العبادة

يؤمن المسلم بالوحيّة اللّٰه تعالى للأولين والآخرين، وربوبيّته لجميع العالمين، وأنّه لا إله غيره، ولا ربّ سواه، فلذا هو يخصّ اللّٰه تعالى بكلّ العبادات التي شرعها لعباده، وتعبّدهم بها، ولا يصرف منها شيئاً لغير اللّٰه تعالى فإذا سأل، سأل اللّٰه، وإذا استعان استعان باللّٰه، وإذا نذر لا ينذر لغير اللّٰه. فله وحده جميع أعماله الباطنة من خوف ورجاء، وإنابة ومحبة، وتعظيم، وتوكل. والظاهرة من صلاة وزكاة وحجّ وجهاد. وذلك للأدلة النقلية والعقلية الآتية:

الأدلة النقلية:

١ - أمره تعالى بذلك في قوله: «لا إله إلا أنا فاعبدني»^(١) وفي قوله: ﴿وإياي فارهبون﴾^(٢). وفي قوله: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والدين من قبلكم لعلكم تتقون، الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً، وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم، فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾^(٣). وفي قوله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾^(٤). وفي قوله عز وجل: ﴿فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم﴾^(٥). وقوله: ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾^(٦).

٢ - إخباره تعالى عن ذلك بقوله: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله

(١) طه . (٤) محمد

(٢) البقرة . (٥) فصلت .

(٣) آل " ة . (٦) التغابن .

واجتنبوا الطاغوت^(١). وفي قوله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾^(٢). وفي قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ: أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٣). وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ؟﴾^(٤) وفي قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٥) وفي قوله جل جلاله: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾^(٦).

٣ - إخبارُ رسوله ﷺ بذلك في قوله لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن: «فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى»^(٧). وفي قوله أيضاً: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً». وفي قوله لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله». وفي قوله ﷺ لمن قال له، ما شاء الله وشئت: قل ما شاء الله وحده»^(٨). وفي قوله: «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جازى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم من جزاء؟»^(٩). وفي قوله: أليسوا يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟ قالوا بلى، قال: فذلك عبادتهم». قاله ﷺ لعدي بن حاتم لما قرأ قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، فقال عدي: يا رسول الله لسننا نعبدُهم»^(١٠).

وفي قوله: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله»^(١١). قال له لما قال بعضُ

(١) النحل.

(٢) البقرة.

(٣) الأنبياء.

(٤) الزمر.

(٥) الفاتحة.

(٦) النحل.

(٧) متفق عليه.

(٨) النسائي وصححه.

(٩) رواه أحمد من طرق وهو حسن.

(١٠) الترمذي وحسنه.

(١١) الطبراني وهو حسن.

الصحابه قَوْمُوا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللَّهِ مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ (لِمُنَافِقٍ كَانَ يُؤْذِيهِمْ) .

وفي قوله : «من حلفَ بغيرِ الله فقد أشرك»^(١) . وفي قوله : «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ وَالتَّيْلَةَ شِرْكٌ»^(٢) .

الأدلة العقلية :

١ - تَفَرَّدَهُ تَعَالَى بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ، وَالتَّصَرُّفِ، وَالتَّدْبِيرِ، يُوجِبُ عِبَادَتَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِنْهَا .

٢ - جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ مَرْبُوبَةٌ لَهُ تَعَالَى، مُفْتَقِرَةٌ إِلَيْهِ فَلَمْ يَصْلُحْ شَيْءٌ مِنْهَا أَنْ يَكُونَ إِلَهًا يُعْبَدُ مَعَهُ تَعَالَى .

٣ - كَوْنُ مَنْ يُدْعَى، أَوْ يُسْتَعَاثُ بِهِ، أَوْ يُسْتَعَاذُ، لَا يَمْلِكُ أَنْ يُعْطِيَ أَوْ يُغَيِّثَ، أَوْ يُعِيدَ مِنْ شَيْءٍ يُوجِبُ بَطْلَانَ دَعَائِهِ، أَوْ الِاسْتِغَاثَةَ بِهِ، أَوْ النِّدْرَ لَهُ، أَوْ الِاعْتِمَادَ وَالتَّوَكُّلَ عَلَيْهِ .

(١) الترمذي وحسنه .

(٢) رواه أحمد وأبو داود وغيرهما وهو حسن، والتولة : كهمة السحر أو شبهه، والتولة بكسر التاء وقد تفتح .
خرزة تحبب معها المرأة إلى زوجها .

الفصل الرابع عشر

في الوسيلة

يؤمنُ المسلمُ بأنَّ اللهَ يُحبُّ من الأعمالِ أَصْلَحَهَا، ومن الأفعالِ أَطْيَبَهَا ويحبُّ من عبادِهِ الصَّالِحِينَ، وأنَّه تعالى انتدبَ عبادهَ إلى التَّقَرُّبِ إليه، والتَّوَدُّدِ مِنْهُ، والتَّوَسُّلِ إليه، فهو لذلك يَتَقَرَّبُ إلى اللهِ تعالى، ويتوسَّلُ إليه بِصَالِحِ الأعمالِ، وطيبِ الأقوالِ، فيسألهُ تعالى ويتوسَّلُ إليه بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى، وصفاته العُلَى، وبالإيمانِ بِهِ وبرُسُولِهِ وبمحبَّته تعالى، ومحبَّةِ رُسُولِهِ، ومحبَّةِ الصَّالِحِينَ، وعامةِ الْمُؤْمِنِينَ، ويتقَرَّبُ إلى اللهِ تعالى بفرائضِ الصَّلَاةِ، والزَّكَاةِ والصَّوْمِ، والحَجِّ، وبنوافلِها، كما يتقَرَّبُ إليه بِتَرْكِ المَحْرَمَاتِ، واجْتِنَابِ الْمُنْهَيَاتِ، ولا يسأَلُ اللهَ تعالى بِجَاهِ أَحَدٍ من خَلْقِهِ، ولا بِعَمَلٍ عَبْدٍ من عِبَادِهِ، إِذْ لَيْسَ جَاهُ ذِي الْجَاهِ مِنْ كَسْبِهِ، ولا عَمَلُ صَاحِبِ الْعَمَلِ مِنْ عَمَلِهِ فيسأَلُ اللهَ بِهِ، أو يُقَدِّمُهُ وَسِيلَةً بَيْنَ يَدَيْهِ.

واللهُ تعالى لم يَسْرِعْ لعباده أن يَتَقَرَّبُوا إليه بِغَيْرِ أَعْمَالِهِمْ وَزَكَاةِ أَرْوَاجِهِمْ بالإيمانِ والعملِ الصَّالِحِ، وذلك للأدلة النقليَّة والعقليَّة التالية:

الأدلة النقليَّة:

١ - إخبارُهُ تعالى عن ذلك بقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(١). وفي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾^(٢). وفي قوله: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣). وفي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

(١) فاطر.

(٣) الأنبياء.

(٢) المؤمنون.

اتَّقُوا اللَّهَ، وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ^(١) وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾^(٢). وفي قوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾^(٣). وقوله جلَّ جلاله: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبِعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٤). وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾^(٥). وفي قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٦). وقوله: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾^(٧).

٢ - إخبارُ رسوله ﷺ عن ذلك بقوله: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ فَلَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»^(٨). وفي قوله: «تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ». وفي قوله فيما يرويه عن ربه سبحانه: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أَحْبَبُهُ»^(٩). وفي قوله فيما يرويه عن ربه عزَّ وجلَّ: «وإنَّ تَقَرَّبَ مِنِّي شَيْئاً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وإنَّ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً، وإنَّ أَتَانِي بِشَيْءٍ أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً»^(١٠).

وفي قوله في حديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة إذ تَوَسَّلَ أحدهم بِرَبِّ والديه، والثاني بِتَرْكِ ما حَرَّمَ اللَّهُ تعالى، والثالث بِرَدِّ حَقِّ إِلَى مُسْتَحِقِّهِ مع تَمَيُّنِهِ له بَعْدَ أَنْ قَالَ بعضهم لبعض: انظُرُوا أَعْمَالاً صَالِحَةً عَمِلْتُمُوهَا لِلَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ بِهَا لَعَلَّهُ يُفَرِّجُهَا عَنْكُمْ، فَدَعَوْا وَتَوَسَّلُوا، فَفَرَّجَ عَنْهُمْ الصَّخْرَةَ وَخَرَجُوا مِنَ الْغَارِ سَالِمِينَ»^(١١). وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»^(١٢). وفي قوله: «أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَتْ بِهِ نَفْسُكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ

(١) المائدة.

(٢) الإسراء.

(٣) آل عمران.

(٤) المائدة.

(٥) آل عمران.

(٦) الأعراف.

(٧) العلق.

(٨) مسلم والترمذي وأحمد.

(٩) من حديث رواه الترمذي وصححه.

(١٠) متفق عليه.

(١١) البخاري.

(١٢) متفق عليه.

(١٣) مسلم وغيره.

في كتابك، أو عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أو اسْتَأْنَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِّعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي وَغَمِّي^(١)» وفي قوله ﷺ: «لَقَدْ سَأَلَ هَذَا بِاسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي مَا سُئِلَ بِهِ إِلَّا أُعْطِيَ، وَمَا دُعِيَ بِهِ إِلَّا أَجَابَ».

٣ - مَا وَرَدَ مِنْ تَوَسُّلِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَنْ تَوَسَّلَهُمْ كَانَ بِأَسْمَائِهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، وَبِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَلَمْ يَكُنْ بِغَيْرِ ذَلِكَ أَبَدًا، فَيُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ فِي تَوَسُّلِهِ: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٢). وَذُو النُّونِ قَالَ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) وَمُوسَى قَالَ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾^(٤). وَقَالَ: ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾^(٥). وَإِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ قَالَا: «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»^(٦) وَأَدَمُ وَحَوَّاءُ قَالَا: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ»^(٧).

الأدلة العقلية:

- ١ - غِنَى الرَّبِّ وَافْتِقَارُ الْعَبْدِ أَمْرٌ يَقْتَضِي أَنْ يَتَوَسَّلَ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى الرَّبِّ الْغَنِيِّ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا يَنْجُو الْعَبْدُ الْفَقِيرُ الضَّعِيفُ مِمَّا يَرْهَبُ، وَيُظْفَرُ بِمَا يُحِبُّ وَيَرْغَبُ.
- ٢ - عَدَمُ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ مَا يُحِبُّهُ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَمَا يَكْرَهُهُ مِنَ الْأَفْعَالِ.

(١) أحمد بسند حسن.

(٢) يوسف.

(٣) الأنبياء.

(٤) القصص.

(٥) غافر.

(٦) البقرة.

(٧) الأعراف.

والأقوال أمرٌ يقتضي أن تكون الوسيلة محصورةً فيما شرع الله وبين رسوله من أقوال طيبة وأعمالٍ صالحةٍ، تُفعلُ، أو أقوالٍ خبيثةٍ، وأعمالٍ فاسدةٍ تُجتنبُ وتُتركُ.

٣ - كونُ جاهٍ ذي الجاه من غيرِ كسبِ الإنسان، ولا من عملٍ يديه أمرٌ يقتضي أن لا يتوسَّلَ به إلى الله تعالى، لأنَّ جاهَ شخصٍ ما - ومهما كان عظيمًا - لا يكونُ قرابةً لشخصٍ آخرَ يتقربُ بها إلى الله تعالى ويتوسَّلُ، اللهمَّ إلا إذا كان قد عمِلَ بجوارحه أو ماله على إيجادِ جاهٍ صاحبِ الجاه، فعندَ ذلك له أن يسألَ اللهَ به لأنه أصبحَ من كسبه وعملِ يديه إن كان قد عمِلَ ذلك ابتداءً لوجهِ الله تعالى، وابتغاءَ مرضاته.

الفصل الخامس عشر

في أولياء الله وكراماتهم وأولياء الشيطان وضلالاتهم

أ - أولياء الله تعالى :

يؤمنُ المسلمُ بأنَّ لله تعالى من عباده أولياء استخلصهم لعبادته، واستعملهم في طاعته وشرفهم بمحبته، وأنالهم من كرامته، فهو وليهم يحبهم ويقربهم، وهم أولياؤه يحبونه ويعظمونه، ياتَمُرُونَ بأمره، وبه ياتَمُرُونَ، وينتهون بنهيهِ، وبه ينهَوْنَ، يُحِبُّون بِحُبِّهِ، وببُغْضِهِ يُبْغِضُونَ، إذا سألوه أعطاهم، وإذا استعانوه أعانهم، وإذا استعاضوا به أعادهم، وأنهم هم أهل الإيمان والتقوى، والكرامة والبُشْرَى في الدنيا وفي الأخرى، وأنَّ كلَّ مؤمنٍ تَقِيٍّ هو لله وليٌّ، غير أنَّهم يتفاوتون في درجاتهم بحسب تقواهم وإيمانهم، فكلُّ مَنْ كانَ حَظُّهُ من الإيمان والتقوى أَوْفَى، كانتَ دَرَجَتُهُ عند الله أَعْلَى، وكانتَ كرامتُهُ أَوْفَر، فَسَادَاتُ الأولياءِ هم المرسلون والأنبياء، ومن بعدهم المؤمنون، وأنَّ ما يُجْزِيهِ الله على أيديهم من كراماتٍ كتكثير القليلِ من الطعامِ، أو إبراء الأوجاعِ والأسقامِ، أو خوض البحارِ، أو عَدَمِ الاحتراقِ بالنارِ وما إليه هو من جنسِ المعجزاتِ غير أنَّ المعجزة تكونُ مَقْرُونَةً بالتحدي^(١) والكرامة عارية عنه، غيرُ مرتبطة به. وأنَّ منَ أعظمِ الكراماتِ الاستقامة على الطاعاتِ بفعلِ المأموراتِ الشرعية، واجتنابِ المحرماتِ والمنهياتِ.

(١) التحدي : كأن يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام : أرايتم إذا جئتم بكذا وكذا أتصدقوني؟ وإلا فسوف يعذبكم الله على عدم إيمانكم بعد ظهور المعجزة لكم.

وَذَلِكَ لِلدَّالَةِ الْآتِيَةِ :

١ - إخباره تعالى عن أوليائه وكراماتهم في قوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ، لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١) وفي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٢). وفي قوله: ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾^(٣). وفي قوله: ﴿إِنْ وَلِيَ اللَّهُ لَدِیْ نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَنْتَوَلَى الصَّالِحِينَ﴾^(٤). وفي قوله سبحانه: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾^(٥). وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾^(٦). وقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا، قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا؟. قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(٧) وفي قوله: ﴿وَإِنْ يُؤْنَسَ لِمَنِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحَوْثُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٨). وفي قوله: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾^(٩). وفي قوله: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾^(١٠). وفي قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا، إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، فَضَرْبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾^(١١).

٢ - إخبار رسول الله - عن أوليائه الله وكراماتهم في قوله فيما يرويه عن ربه عز وجل

- | | |
|-------------|---------------|
| (١) يونس | (٧) ال عمران |
| (٢) البقرة | (٨) الصافات |
| (٣) الانفال | (٩) مريم |
| (٤) الاعراف | (١٠) الانبياء |
| (٥) يوسف | (١١) الكهف |
| (٦) الاسراء | |

: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يَبْصُرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ»^(١). وفي قوله أيضاً: «إِنِّي لَأُثَارُ لَأُولِيائِي كَمَا يَثَارُ اللَّيْثُ الْحَرْبُ». وفي قوله ﷺ: «إِنْ لِلَّهِ رِجَالٌ لَوْ أَقْسَمُوا عَلَى اللَّهِ لَأُبْرَهُمْ»^(٢). وفي قوله: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأَمَمِ نَاسٌ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ كَانَ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عَمْرٌ»^(٣). وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «كَانَتْ امْرَأَةٌ تُرَضِّعُ وَلَدَهَا فَرَأَتْ رَجُلًا عَلَى فَرَسٍ فَارِيَّةٍ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ وَلَدِي مِثْلَ هَذَا. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الطِّفْلُ وَهُوَ يَرْضَعُ وَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَنِي مِثْلَهُ»^(٤). فنُطِقَ الرضيعِ كرامةً للوليد والواليد. وفي قوله في جُريجِ العابدِ وأُمِّهِ، إِذْ قَالَتْ أُمُّهُ: «اللَّهُمَّ لَا تُيَمِّتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وَجْهَ الْمُؤْمِسَاتِ». فاستجابَ اللهُ لها كرامةً منه تعالى لها، وَقَالَ وَلَدُهَا جُريجٌ لَمَّا اتَّهَمُوهُ بِأَنْ وَلَدَ الْبَغِيَّةِ مِنْهُ قَالَ لِلْوَلَدِ الرضيعِ مِنْ أَبُوكَ؟. فَقَالَ: رَاعِي الْغَنَمِ»^(٥). فنُطِقَ الرضيعِ كرامةً لجريجِ العابدِ. وقوله ﷺ في أصحابِ الغارِ الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرةُ فدَعَا اللهُ وتوسَّلُوا إِلَيْهِ بِصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ، فاستجابَ اللهُ لَهُمْ وفَرَّجَهَا عَنْهُمْ حَتَّى خَرَجُوا سَالِمِينَ كرامةً لَهُمْ»^(٦). وفي قوله في حَدِيثِ الرَّاهِبِ وَالْغَلَامِ إِذْ جَاءَ فِيهِ: أَنَّ الْغَلَامَ رَمَى الدَّابَّةَ الَّتِي كَانَتْ قَدْ مَنَعَتْ الْجَمَاهِيرَ مِنَ الْمُرُورِ، رَمَاهَا بِحَجَرٍ فَمَاتَتْ وَمَرَّ النَّاسُ، فَكَانَتْ كَرَامَةً لِلْغَلَامِ، كَمَا أَنَّ الْمَلِكَ حَاوَلَ قَتْلَ الْغَلَامِ بِشَتَّى الْوَسَائِلِ فَلَمْ يُفْلِحْ حَتَّى رَمَاهُ مِنْ جَبَلٍ شَاهِقٍ وَلَمْ يَمُتْ، وَقَذَفَهُ فِي الْبَحْرِ فَخَرَجَ مِنْهُ يَمْشِي وَلَمْ يَمُتْ، فَكَانَ ذَلِكَ كَرَامَةً لِلْغَلَامِ الْمُؤْمِنِ الصَّالِحِ»^(٧).

(١) تقدم.

(٢) متفق عليه بلفظ: إِنْ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِابْرِهِ.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) البخاري.

(٦) متفق عليه.

(٧) البخاري.

٣- مَا رَوَاهُ آلاَفُ الْعُلَمَاءِ وَشَاهَدُوهُ^(١). من أولياء وكرامات لهم تَفُوقُ الحَضَرَ. ومن ذلك ما رُوِيَ أَن الملائكة كانت تُسَلِّمُ على عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَأَن سَلَمَانَ الْفَارِسِيِّ وَأَبَا الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَا يَأْكُلَانِ فِي صَحْفَةٍ فَسَبَّحَتِ الصَّحْفَةُ أَوِ الطَّعَامُ فِيهَا، وَأَن حُبَيْبًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ أَسِيرًا عِنْدَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ فَكَانَ يُؤْتَى بِعَنْبٍ يَأْكُلُهُ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ مِنْ عِنَبٍ. وَأَن الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ فِي شَيْءٍ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ حَتَّى كَانَ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ أَن يُمَكِّنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ رِقَابِ الْمُشْرِكِينَ وَأَن يَكُونَ أَوَّلَ شَهِيدٍ فِي الْمَعْرَكَةِ فَكَانَ كَمَا طَلَبَ. وَأَن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَخْطُبُ عَلَى مِنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ فَلِذَا بِهِ يَقُولُ: يَا سَارِيَّةُ الْجَبَلِ! يَا سَارِيَّةُ الْجَبَلِ! يُوجِّهُ قَائِدُ مَعْرَكَةٍ يَقَالُ لَهُ: سَارِيَّةُ، فَسَمِعَ سَارِيَّةُ صَوْتَهُ وَانْحَاذَ بِالْجَيْشِ إِلَى الْجَبَلِ فَكَانَ فِي ذَلِكَ نَصْرُهُمْ، وَانْهَزَامُ أَعْدَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَرَجَعَ سَارِيَّةُ فَأَخْبَرَ عُمَرَ وَالصَّحَابَةَ بِمَا سَمِعَ مِنْ صَوْتِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَأَن الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضَرَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: يَا عَلِيمُ يَا حَكِيمُ، يَا عَلِيُّ يَا عَظِيمُ، فَيُسْتَجَابُ لَهُ حَتَّى أَنَّهُ خَاضَ الْبَحْرَ بِسَرِيَّةٍ مَعَهُ فَلَمْ تَبْتَلْ سُرُوجَ خِيُولِهِمْ، وَأَن الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ دَعَا اللَّهَ عَلَى رَجُلٍ كَانَ يُؤْذِيهِ فَخَرَّمَتَا فِي الْحَالِ. وَأَن رَجُلًا مِنَ النَّخَعِ كَانَ لَهُ حِمَارٌ فَمَاتَ لَهُ فِي طَرِيقِ سَفَرِهِ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ وَدَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَأَحْيَا لَهُ حِمَارَهُ وَحَمَلَ عَلَيْهِ مَتَاعَهُ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْكَرَامَاتِ الَّتِي لَا تَعُدُّ وَلَا تُحْصَى، وَالَّتِي شَاهَدَهَا الْآفُ النَّاسِ بِلِ مَلَائِكَةِ الْبَشَرِ.

ب- أولياء الشيطان:

كَمَا يُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ أَنَّ لِلشَّيْطَانِ مِنَ النَّاسِ أَوْلِيَاءَ اسْتَحْذُو عَلَيْهِمْ فَانْسَاهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ، وَسَوَّلَ لَهُمُ الشَّرَّ، وَأَمَلَى لَهُمُ الْبَاطِلَ فَاصْطَمُّهُمْ عَنْ سَمَاعِ الْحَقِّ، وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ عَنْ رُؤْيَا دَلَالِهِ فَهُمْ لَهُ مُسَخَّرُونَ، وَأَوَامِرُهُ مُطِيعُونَ، يُغْرِيهِمْ بِالشَّرِّ، وَيَسْتَهْوِيهِمْ إِلَى الْفَسَادِ بِالتَّزْيِينِ حَتَّى عَرَفَ لَهُمُ الْمُنْكَرَ فَعَرَفُوهُ، وَنَكَّرَ لَهُمُ الْمَعْرُوفَ

(١) أغلب هذه الكرامات في الصحيح والسنن الصحيحة والآثار المنقولة المتواترة.

فَانْكُرُوهُ، فَكَانُوا ضِدَّ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَحَرْباً عَلَيْهِمْ وَعَلَى النِّقِیْضِ مِنْهُمْ، أَوْلَیْكَ وَالْوَا اللَّهُ، وَهَؤُلَاءِ عَادُوهُ، أَوْلَیْكَ أَحْبَبُوا اللَّهَ وَأَرْضَوْهُ، وَهَؤُلَاءِ أَغْضَبُوا اللَّهَ وَأَسْخَطُوهُ فَعَلِيهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَغَضَبُهُ، وَلَوْ ظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمُ الْخَوَارِقُ كَأَن طَارُوا فِي السَّمَاءِ؛ أَوْ مَشَوْا عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ، إِذْ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا اسْتِدْرَاجاً مِنَ اللَّهِ لِمَنْ عَادَاهُ، أَوْ عَوْناً مِنَ الشَّيْطَانِ لِمَنْ وَالَاهُ، وَذَلِكَ لِلْأَدْلَةِ التَّالِيَةِ:

١ - إِبْخَارُهُ تَعَالَى عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائِهِمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أَوْلَیْكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١) وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(٢). وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَائِهِمْ مِنَ الْإِنْسِ: رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ، وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا، قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾^(٣). وَفِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يَعْشُرْ﴾^(٤) عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِیْضُ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِینٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٥). وَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٦). وَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٧) وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَقِیْضُنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَرِیْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾^(٨). وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾^(٩).

٢ - إِبْخَارُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ لَمَّا رَأَى نَجْماً قَدْ رُمِيَ بِهِ فَاسْتَنَارَ قَالَ مُخَاطِباً أَصْحَابَهُ: مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ لِمِثْلِ هَذِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالُوا: كُنَّا نَقُولُ يَمُوتُ عَظِيمٌ أَوْ يُوَلَّدُ عَظِيمٌ، فَقَالَ إِنَّهُ لَا يُرْمَى بِهِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبَّنَا تَبَارَكَ

(١) البقرة.

(٢) الأنعام.

(٣) الأنعام.

(٤) يتعام ويعرض.

(٥) الزخرف.

(٦) الأعراف.

(٧) الأعراف.

(٨) فصلت.

(٩) الكهف.

وتعالى إذا قَضَىٰ أمراً سَبَّحَ حملة العرشِ ثم سَبَّحَ أهل السماء الذين يَلُونَهُمْ، ثم الذين يَلُونَهُمْ حتى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أهل هذه السماء، ثم يسأل أهل السماء حملة العرش: ماذا قال ربُّنا؟ فيخبروهم، ثم يستخبر أهل كل سماء حتى يَبْلُغَ الخبر أهل السماء الدنيا، وتخطف الشياطين السَّمْعَ فيُزَمِّنُونَ، فيَقْدِفُونَهُ إلى أوليائهم فَمَا جَاؤُوا بِهِ عَلَى وجهه فَهَوَّحُوا وَلَكِنَّهُمْ يَزِيدُونَ» (١). وفي قوله عليه الصلاة والسلام لما سُئِلَ عن الكُفَّانِ فَقَالَ: لَيْسُوا بِشَيْءٍ، فَقَالُوا: نَعَمْ إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَنا أَحْيَاناً بِشَيْءٍ فَيَكُونُ حَقّاً فَقَالَ: تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطِفُهَا الْجَنُّ فَيَقْرُأُهَا فِي أُذُنٍ وَلَيْسَ فَيَجْعَلُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذِبَةٍ (٢). وفي قوله: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ وَكَّلَ بِهِ قَرِينُهُ» (٣). وفي قوله: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ مِنَ الْعُرُوقِ فَضَيِّقُوا عَلَيْهِ مَجَارِيهِه بِالصَّوْمِ» (٤).

٣- مَا رَأَاهُ وَشَاهَدَهُ مِثَاتُ الْوَيْفِ الْبَشَرِ مِنْ أَحْوَالِ شَيْطَانِيَّةٍ غَرِيبَةٍ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ تَقَعُ لِأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْأَطْعَمَةِ وَالْأَشْرَبَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْضِي لَهُ الشَّيْطَانُ حَاجَاتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكَلِّمُهُ بِالْغَيْبِ وَيُطْلِعُهُ عَلَى بَعْضِ بَوَاطِنِ الْأُمُورِ وَخَفَايَاهَا؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْنَعُ نَفْوَ السِّلَاحِ إِلَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ صَالِحٍ عِنْدَمَا يَسْتَعِينُ بِذَلِكَ الصَّالِحِ لِتَغْرِيرِهِ وَتَضْلِيلِهِ وَحَمْلِهِ عَلَى الشَّرْكِ بِاللَّهِ وَمَعَاصِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ يَحْمِلُهُ إِلَى بَلَدٍ بَعِيدٍ أَوْ يَأْتِيهِ بِأَشْخَاصٍ أَوْ حَاجَاتٍ مِنْ أَمَاكِنَ بَعِيدَةٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَقْوَى عَلَى فَعْلِهَا الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَّةُ الْجَانِّ وَخُبَاتُؤُهُمْ.

وتَحْصُلُ هَذِهِ الْأَحْوَالُ الشَّيْطَانِيَّةُ نَتِيجَةً لَخَبْثِ رُوحِ الْإِدْمِيِّ بِمَا يَتَعَاطَى مِنْ ضُرُوبِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ وَالْكَفْرِ وَالْمَعَاصِي الْبَعِيدَةِ عَنْ كُلِّ ذِي حَقٍّ وَخَيْرٍ، وَإِيمَانٍ وَتَقْوَى وَصَلَاحٍ حَتَّى يَبْلُغَ الْإِدْمِيُّ دَرَجَةً مِنْ خُبْثِ النَّفْسِ وَشَرِّهَا يَتَّجِدُ فِيهَا مَعَ أَرْوَاحِ

(١) مسلم وأحمد وغيرهما.

(٢) مسلم.

(٣) ورد في الصحيحين بلفظ آخر.

(٤) البخاري.

الشياطين المطبوعة على الخبث والشر، ويخضع بعضهم بعضاً كل بما يقدر عليه ولذا لما يقال لهم يوم القيامة: ﴿يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس﴾، يقول أولياؤهم من الإنس: ﴿ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾^(٣).

وأما الفرق بين كرامة أولياء الله الربانية وبين الأحوال الشيطانية، فإنه يظهر في سلوك العبد وحاله، فإن كان من ذوي الإيمان والتقوى المتمسكين بشريعة الله ظاهراً وباطناً فما يجري على يديه من خارقة هو كرامة من الله تعالى له، وإن كان من ذوي الخبث والشر والبعد عن التقوى المنغمسين في ضروب المعاصي المتوغلين في الكفر والفساد، فما يجري على يديه من خارقة إنما هو من جنس الاستدراج أو من خدمة أوليائه من الشياطين له، ومساعدتهم إيّاه.

(٣) الأنعام.

الفصل السادس عشر

الإيمانُ بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآدابه

أ - في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يؤمنُ المسلمُ بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كلِّ مسلمٍ مكلفٍ قادرٍ عليمٍ بالمعروف ورآه متروكاً، أو علمَ بالمنكر ورآه مُرتكباً، وقدَّرَ على الأمر أو التغيير بيده أو لسانه .

وأَنَّهُ من أعظم الواجباتِ الدينية بعدَ الإيمانِ بالله تعالى، إذ ذكرَهُ اللهُ تعالى في كتابه العزيز مَقْرُوناً بالإيمانِ به عَزَّ وَجَلَّ ، قال تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ ^(١) . وذلك للأدلة النقلية السمعية والعقلية المنطقية الآتية :

الأدلة النقلية :

١ - أمره تعالى به في قوله : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٢) .

٢ - إخباره تعالى عن أهل نصرته وولايته بأنهم يأْمُرُونَ بالمعروف وينهَوْنَ عن المنكر في قوله : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ^(٣) . وفي قوله : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ

(٣) الحج .

(٢) آل عمران .

(١) آل عمران .

اللَّهُ وَرَسُولُهُ^(١). وفي قوله سبحانه فيما أخبر به عن وَلِيِّهِ لَقَمَانٍ عليه السلام وهو يعظ ابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ^(٢)﴾. وفي قوله تعالى فيما نَعَاهُ على بني إسرائيل: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ^(٣)﴾. وفي قوله تعالى فيما ذكره عن بني إسرائيل من أنه تعالى نَجَّى الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهِيْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَهْلَكَ التَّارِكِينَ لذلك: ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِزَابٍ مِثْلِ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ^(٤)﴾.

٣- أَمَرَ الرَّسُولَ ﷺ بِهِ فِي قَوْلِهِ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ^(٥)». وفي قوله: «لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لِيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ^(٦)».

٤- إِنْخَبَارُهُ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «مَا مِنْ قَوْمٍ عَمِلُوا بِالْمَعَاصِي وَفِيهِمْ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يُنْكَرَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا، إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يَعْصِيَهُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ^(٧)». وفي قوله لأبي ثعلبة الخشني لما سألَهُ عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ^(٨)﴾. فقال: «أَبَا ثَعْلَبَةَ، مُرَّ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مَطَاعًا وَهَوًى مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ، إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، لِلْمُتَمَسِّكِ فِيهَا بِمِثْلِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ، قِيلَ: بَلْ مِنْهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: لَا، بَلْ مِنْكُمْ لِأَنْكُمْ تَجِدُونَ عَلَى الْخَيْرِ أَعْوَانًا، وَلَا يَجِدُونَ عَلَيْهِ أَعْوَانًا^(٩)». وقوله ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ

(١) التوبة. (٢) لقمان. (٣) المائدة. (٤) الأعراف. (٥) مسلم. (٦) الترمذي وحسنه. (٧) الترمذي وقال فيه حسن صحيح. (٨) أبو داود وابن ماجه والترمذي وحسنه.

قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أَمْتِهِ حَوَارِيُونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ، وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ تَخَلَّفُوا مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمِنْ جَاهِدِهِمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمِنْ جَاهِدِهِمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمِنْ جَاهِدِهِمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»^(١). وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِنْدَمَا سُئِلَ عَنْ أَفْضَلِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: «كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»^(٢)

الأدلة العقلية:

١ - لَقَدْ ثَبَتَ بِالتَّجَرِبَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ أَنَّ الْمَرَضَ إِذَا أَهْمَلَ وَلَمْ يُعَالَجْ اسْتَشْرَى فِي الْجِسْمِ، وَعَسَّرَ عِلَاجَهُ بَعْدَ تَمَكُّنِهِ مِنَ الْجِسْمِ. وَاسْتَشْرَاهُ فِيهِ، وَكَذَلِكَ الْمُنْكَرُ إِذَا تُرِكَ فَلَمْ يُغَيَّرْ فَإِنَّهُ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَأْلَفَهُ وَيَفْعَلَهُ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ، وَعِنْدئذٍ يُصْبِحُ مِنْ غَيْرِ السَّهْلِ تَغْيِيرُهُ، أَوْ إِزَالَتُهُ، وَيَوْمَهَا يَسْتَوْجِبُ فَاعِلُوهُ الْعِقَابَ مِنَ اللَّهِ، الْعِقَابَ الَّذِي لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَخَلَّفَ بِحَالٍ، إِذْ أَنَّهُ جَارٍ عَلَى سُنَنِ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي لَا تَتَبَدَّلُ وَلَا تَتَغَيَّرُ: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾.

٢ - حَصَلَ بِالْمُشَاهَدَةِ أَنَّ الْمَنْزَلَ إِذَا أَهْمَلَ، وَلَمْ يُنْظَفَ، وَلَمْ تَبْعَدْ مِنْهُ النِّفَائِيَّاتُ وَالْأَوْسَاطُ فَتَرَةً مِنَ الزَّمَانِ يُصْبِحُ غَيْرَ صَالِحٍ لِلسَّكَنِ، إِذْ تَتَعَفَّنَ رِيحُهُ، وَيَتَسَمُّ هَوَاؤُهُ، وَتَنْتَشِرُ فِيهِ الْجَرَائِمُ وَالْأَوْبَةُ لَطُولِ مَا تَرَاكَمَتْ فِيهِ الْأَوْسَاطُ، وَكَثْرَةِ مَا تَجَمَّعَتِ الْقَاذُورَاتُ. وَكَذَلِكَ الْجَمَاعَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَهْمَلَ فِيهِمُ الْمُنْكَرُ فَلَا يُغَيَّرُ، وَالْمَعْرُوفُ فَلَمْ يُؤْمَرْ بِهِ لَا يَلْبَثُونَ أَنْ يُصْبِحُوا خُبَاءَ الْأَرْوَاحِ شَرِيرِي النُّفُوسِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يَنْكُرُونَ مَنَكْرًا، وَيَوْمئِذٍ يُصْبِحُونَ غَيْرَ صَالِحِينَ لِلْحَيَاةِ، فَيُهْلِكُهُمُ اللَّهُ بِمَا شَاءَ مِنْ أَسْبَابٍ وَوَسَائِطٍ، وَإِنْ بَطَشَ رَبُّكَ لَشَدِيدٍ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ.

٣ - عُرِفَ بِالْمُلَاحَظَةِ أَنَّ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ تَعْتَادُ الْقَبِيحَ فَيَحْسُنُ عِنْدَهَا، وَتَأْلَفُ الشَّرَّ فَيُصْبِحُ طَبِيعَةً لَهَا، فَذَلِكَ شَأْنُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَإِنَّ

(١) مسلم.

(٢) ابن ماجه وأحمد والنسائي وهو صحيح.

المعروف إذا ترك ولم يؤمر به ساعة تركه لا يلبث الناس أن يعتادوا تركه، ويصبح فعله عندهم من المنكر. وكذلك المنكر إذا لم يُبادر إلى تغييره وإزالته لم يَمُضْ يسير من الزمن حتى يكثر ويستشر، ثم يعتاد ويؤلف، ثم يصبح في نظر مرتكبيه غير منكر، بل يرونه هو المعروف بعينه، وهذا هو انطماش البصيرة والمسخ الفكري، والعياذ بالله تعالى. من أجل هذا أمر الله ورسوله بالأمير بالمعروف والنهي عن المنكر، وأوجباه فريضة على المسلمين إبقاء لهم على طهرهم وصلاتهم، ومحافظة لهم على شرف مكانتهم بين الأمم والشعوب.

ب - آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١ - أن يكون عالماً بحقيقة ما يأمر به من أنه معروف في الشرع وأنه قد ترك بالفعل، كما يكون عالماً بحقيقة المنكر الذي ينهى عنه ويريد تغييره، وأن يكون قد ارتكب حقيقة، وأنه مما يُنكر الشرع من المعاصي والمحرمات.

٢ - أن يكون ورعاً لا يأتي الذي ينهى عنه، ولا يترك الذي يأمر به لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١). وقوله: ﴿اتَّامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

٣ - أن يكون حسن الخلق خليماً يأمر بالرفق، وينهى باللين، لا تجذ في نفسه إذا ناله سوء ممن نهاه، ولا يغضب إذا لحقه أذى ممن أمره، بل يصبر ويعفو ويصفح لقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٣).

٤ - أن لا يتعرف إلى المنكر بواسطة التجسس، إذ لا ينبغي لمعرفة المنكر أن يتجسس على الناس في بيوتهم، أو يرفع ثياب أحدهم ليرى ما تحتها، أو يكشف

(١) الصف.

(٣) لقمان.

(٢) البقرة.

الْغِطَاءَ لِيَعْرِفَ مَا فِي الْوَعَاءِ، إِذِ الشَّارِعُ أَمَرَ بِسِتْرِ عَوْرَاتِ النَّاسِ، وَنَهَى عَنِ التَّجَسُّسِ عَنْهُمْ وَالتَّجَسُّسِ عَلَيْهِمْ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾^(١). وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَجَسَّسُوا»^(٢). وَقَالَ عَلَيْهِ أَزْكَى الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٣).

٥ - قَبْلَ أَنْ يَأْمَرَ مَنْ أَرَادَ أَمْرَهُ، أَنْ يَعْرِفَهُ بِالْمَعْرُوفِ، إِذْ قَدْ يَكُونُ تَرْكُهُ لَهُ لَكُونِهِ لَمْ يَعْرِفْهُ أَنَّهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ، كَمَا يُعْرِفُ مَنْ أَرَادَ نَهْيَهُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِأَنْ مَا فَعَلَهُ مِنَ الْمُنْكَرِ، إِذْ قَدْ يَكُونُ فَعَلُهُ لَهُ نَاتِجاً عَنْ كُونِهِ لَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُ مِنَ الْمُنْكَرِ.

٦ - أَنْ يَأْمَرَ وَيَنْهَى بِالْمَعْرُوفِ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلِ التَّارِكُ لِلْمَعْرُوفِ وَلَمْ يَتْرُكِ الْمُرْتَكِبُ لِلْمُنْهَى وَعَظُهُ بِمَا يُرَقِّقُ قَلْبَهُ بِذِكْرِ مَا وَرَدَ فِي الشَّرْعِ مِنْ أَدْلَةِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ فَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ امْتِثَالٌ، اسْتَعْمَلَ عِبَارَاتِ التَّائِبِ وَالتَّعْنِيفِ، وَالْإِغْلَاطِ فِي الْقَوْلِ، فَإِنْ لَمْ يَنْفَعْ ذَلِكَ غَيَّرَ الْمُنْكَرَ بِيَدِهِ، فَإِنْ عَجَزَ اسْتَظْهَرَ عَلَيْهِ بِالْحُكُومَةِ أَوْ بِالْإِخْوَانِ.

٧ - فَإِنْ عَجَزَ عَنْ تَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ بِأَنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ، أَوْ مَالِهِ، أَوْ عَرَضِهِ، وَكَانَ لَا يَطِيقُ الصَّبْرَ عَلَى مَا يَنَالُهُ اِكْتَفَى بِتَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ بِقَلْبِهِ، لِقَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ . . .» الْحَدِيثُ.

(١) الحجرات.

(٢) البخاري في حديث أوله: «إياكم والظن . . .»

(٣) مسلم في حديث أوله: «من نفس عن مؤمن: كربة . . .».

الفصل السابع عشر

الإيمانُ بوجوبِ محبةِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ وأفضليتهم وإجلالِ أئمةِ الاسلامِ ، وطاعةِ ولاةِ أمورِ المسلمين

يُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ بِوَجُوبِ مُحَبَّةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَآلِ بَيْتِهِ وَأَفْضَلِيَّتِهِمْ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ مُتَفَاوِتُونَ فِي الْفَضْلِ، وَعُلُوِّ الدَّرَجَةِ بِحَسَبِ أَسْبَقِيَّتِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ.

فَأَفْضَلُهُمُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْأَرْبَعَةُ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ. وَعَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ الْعَشْرَةُ الْمَبْشُرُونَ بِالْجَنَّةِ، وَهُمْ الرَّاشِدُونَ الْأَرْبَعَةُ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، ثُمَّ أَهْلُ بَدْرٍ، ثُمَّ الْمَبْشُرُونَ بِالْجَنَّةِ مِنْ غَيْرِ الْعَشْرَةِ كَفَاطِمَةُ الزَّهْرَاءِ وَلَدَيْهَا الْحُسَيْنِ، وَثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، وَبِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ وَغَيْرِهِمْ، ثُمَّ أَهْلُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ وَكَانُوا أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ صَحَابِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

كَمَا يُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ بِوَجُوبِ إِجْلَالِ أئمةِ الْإِسْلَامِ واحترامهم وتوقيرهم والتأدب معهم عند ذكرهم، وَهُمْ أئمةُ الدِّينِ وَأَعْلَامُ الْهُدَى كَالْقُرَّاءِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ مِنَ التَّابِعِينَ وَتَابِعِي تَابِعِيهِمْ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

كَمَا يُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ بِوَجِبِ طَاعَةِ وَلاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ وتعظيمهم واحترامهم والجهادِ معهم والصلاةِ خلفهم وجرمةِ الخروجِ عليهم، وَلِذَا فَهَوَ يَلْتَزِمُ حِيَالَ كُلِّ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ بِآدَابٍ خَاصَّةٍ.

أَمَّا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَآلُ بَيْتِهِ فَإِنَّهُ:

١ - يُحِبُّهُمْ لِحَبِّ اللَّهِ تَعَالَى وَحُبِّ رَسُولِهِ ﷺ هُمْ، إِذْ أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾^(١). كَمَا قَالَ فِي وَصْفِهِمْ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٢). وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحَبِّي أَحَبَّهُمْ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ يُوْشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ»^(٣).

٢ - يُؤْمِنُ بِأَفْضَلِيَّتِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي ثَنَائِهِ عَلَيْهِمْ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٤).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(٥).

٣ - أَنْ يَرَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ أَفْضَلُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ وَمَنْ دُونَهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ: وَأَنَّ الَّذِينَ يَلُونَهُ فِي الْفَضْلِ هُمْ. عُمَرُ، عَثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أَخِي وَصَاحِبِي»^(٦). وَقَوْلِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كُنَّا نَقُولُ وَالنَّبِيُّ ﷺ حَيٌّ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عَثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَنْكَرْهَا»^(٧) وَلِقَوْلِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ الثَّالِثَ - يَعْنِي عَثْمَانَ»^(٨) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

٤ - أَنْ يُقَرَّرَ بِمَزَايَاهُمْ، وَيُعْتَرَفَ بِمَنَاقِبِهِمْ كَمَنْقَبَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَثْمَانَ فِي قَوْلِ

(١) المائدة.

(٤) التوبة.

(٢) الحجرات.

(٣) الترمذي وحسنه. (٥) أبو داود بإسناد حسن، الأحاديث ٥٦، ٧، ٨، ٩، كلها رواها البخاري.

الرسول عليه الصلاة والسلام لأحدٍ وقد رجفَ بهم وهم فوقه: «أُسْكُنْ أَحَدُ إِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ». وكقوله لعلي رضي الله عنه: «أما تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟» وقوله: «فَاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ». وكقوله للزبير بن العوام: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيَّ، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزَّبِيرُ بْنُ الْعَوَامِ». وكقوله في الحسن والحسين: «أَلَلَّمْ أَحِبَّهُمَا فَإِنِّي أَحِبُّهُمَا». وكقوله لعبد الله بن عمر: «إِنْ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ»^(١). وكقوله لزيد بن حارثة: «أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا»^(٢). وقوله لجعفر بن أبي طالب: «أَشْهَتْ خُلُقِي وَخُلُقِي»^(٣). وقوله لبلال بن رباح: «سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الْجَنَّةِ». وكقوله في سالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل: «اسْتَفْرِثُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَسَالِمِ مَوْلَى أَبِي حَذِيفَةَ، وَأَبِي بِنِ كَعْبٍ وَمَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ»^(٤). وكقوله في عائشة: «وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ، كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»^(٥). وكقوله في الأنصار: «لَوْ أَنَّ الْأَنْصَارَ سَلَكَوا وَادِيًا أَوْ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الْأَنْصَارِ، وَلَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ»^(٦) وقال: «الْأَنْصَارُ لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغُضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ»^(٧).

وكقوله في سعد بن معاذ: «اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ»^(٨). وكمنقبة أسيد بن خضير إذ كَانَ مَعَ أَحَدِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ مَظْلَمَةٍ، فَلَمَّا خَرَجَا، وَإِذْ نُورٌ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا يَمْشِيَانِ فِيهِ فَلَمَّا تَفَرَّقَا تَفَرَّقَ النُّورُ مَعَهُمَا^(٩)، وكقوله لأبي بن كعب: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا، قَالَ: وَسَمَانِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَبَكَى أَبِي»^(١٠). وكقوله في خالد بن الوليد: «سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُوكٌ»^(١١). وكقوله في الحسن: «إِنِّي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^(١٢). وكقوله في أبي عبيدة: «لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَإِنْ أَمِينُنَا أَيْتَاهَا الْأُمَّةُ أَبُو عَبِيدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»^(١٣). رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ أَجْمَعِينَ.

(١) الأحاديث: ١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، كلها رواها البخاري.

٥ - يَكْفُ عَنْ ذِكْرِ مَسَاوِيهِمْ، وَيَسْكُتُ عَنِ الْخِلَافِ الَّذِي شَجَرَ بَيْنَهُمْ، لِقَوْلِ الرُّسُولِ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي». وَقَوْلِهِ: «لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً بَعْدِي». وَقَوْلِهِ: «فَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ يُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ».

٦ - أَنْ يُؤْمِنَ بِحُرْمَةِ زَوَاجَاتِ الرُّسُولِ ﷺ، وَأَنْهِنَّ طَاهَرَاتٌ مُبَرَّاتٌ، وَأَنْ يَتَرْضَى عَنْهُنَّ، وَيَرَى أَنْ أَفْضَلَهُنَّ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَعَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَذَلِكَ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^(١).

وَأَمَّا أئمةُ الاسلامِ من قراءٍ ومُحَدِّثِينَ وفقهَاءَ فَإِنَّهُ:

١ - يُحِبُّهُمْ وَيَتَرَحَّمُ عَلَيْهِمْ وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، وَيَعْتَرِفُ لَهُمْ بِالْفَضْلِ، لِأَنَّهُمْ ذُكِرُوا فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَفِي قَوْلِ الرُّسُولِ ﷺ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(٢). فَعَامَّةُ الْقُرَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُفَسِّرِينَ كَانُوا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْخَيْرِ. وَقَدْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَى الْمُسْتَغْفِرِينَ لِمَنْ سَبَقُوا بِالْإِيمَانِ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾^(٣) فَهُوَ إِذَا سَبَقُوا بِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ.

٢ - لَا يَذْكُرُهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَلَا يَعْيبُ عَلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا رَأْيًا، وَيَعْلَمُ أَنَّهُمْ كَانُوا مُجْتَهِدِينَ مُخْلِصِينَ فِتْنَادِبْ مَعَهُمْ عِنْدَ ذِكْرِهِمْ. وَيُفْضِلُ رَأْيَهُمْ عَلَى رَأْيٍ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا رَأَوْهُ عَلَى مَا رَأَهُ مِنْ أَتَى بَعْدَهُمْ مِنْ عُلَمَاءَ وَفُقَهَاءَ وَمُفَسِّرِينَ وَمُحَدِّثِينَ، وَلَا يَتْرُكُ قَوْلَهُمْ إِلَّا لِقَوْلِ اللَّهِ، أَوْ قَوْلِ رَسُولِهِ، أَوْ قَوْلِ صَحَابَتِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

٣ - أَنَّ مَا دَوَّنَهُ الْأئِمَّةُ الْأَرْبَعَةُ: مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَأَبُو حَنِيفَةَ، وَمَا رَأَوْهُ، وَقَالُوهُ مِنْ مَسَائِلِ الدِّينِ وَالْفَقْهِ وَالشَّرْعِ هُوَ، مُسْتَمَدٌّ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ

(١) الأحزاب.

(٢) متفق عليه.

(٣) الحشر.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا مَا فَهِمُوهُ مِنْ هَذَيْنِ الْأَصْلَيْنِ، أَوْ اسْتَنْبَطُوهُ مِنْهُمَا، أَوْ قَاسُوهُ عَلَيْهِمَا، إِذَا أَعْوَزَهُمَا، النَّصُّ مِنْهُمَا، أَوْ الْإِشَارَةُ أَوْ الْإِيمَاءُ فِيهِمَا.

٤ - يَرَى أَنَّ الْأَخَذَ بِمَا أَدَوْنَهُ أَحَدُ هَؤُلَاءِ الْأَعْلَامِ مِنْ مَسَائِلِ الْفَقْهِ وَالِدِّينِ جَائِزٌ، وَأَنَّ الْعَمَلَ بِهِ عَمَلٌ بِشَرِيعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا لَمْ يُعَارِضْ بِنَصٍّ صَرِيحٍ صَحِيحٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، فَلَا يُتْرَكُ قَوْلُ اللَّهِ، أَوْ قَوْلُ رَسُولِهِ ﷺ لِقَوْلِ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ كَائِنًا مَنْ كَانَ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١). وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢). وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(٣). وَقَوْلِهِ ﷺ «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٤). وَقَوْلِهِ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»^(٥).

٥ - يَرَى أَنَّهُمْ بَشَرٌ يُصِيبُونَ وَيُخْطِئُونَ، فَقَدْ يُخْطِئُ أَحَدُهُمُ الْحَقَّ فِي مَسْأَلَةٍ مَا مِنْ الْمَسَائِلِ، لَا عَنْ قَصْدٍ وَعَمْدٍ - حَاشَاهُمْ - وَلَكِنْ عَنْ غَفْلَةٍ أَوْ سَهْوٍ، أَوْ لَيْسِيَّانٍ، أَوْ عَدَمِ إِحَاطَةٍ، فَلِهَذَا الْمُسْلِمُ لَا يَتَعَصَّبُ لِرَأْيِ أَحَدِهِمْ، دُونَ آخَرٍ بَلْ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ عَنْ أَيٍّْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، وَلَا يَرُدُّ قَوْلَهُمْ إِلَّا لِقَوْلِ اللَّهِ، أَوْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

٦ - يَعْلِزُّهُمْ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ بَعْضِ مَسَائِلِ الدِّينِ الْفَرَعِيَّةِ، وَيَرَى أَنَّ اخْتِلَافَهُمْ لَمْ يَكُنْ جَهْلًا مِنْهُمْ، وَلَا عَنْ تَعَصُّبٍ لِرَأْيِهِمْ، وَإِنَّمَا كَانَ: إِمَّا أَنَّ الْمُخَالَفَ لَمْ يَلْغُهُ الْحَدِيثُ، أَوْ رَأَى نَسْخَ هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي لَمْ يَأْخُذْ بِهِ، أَوْ عَارِضَهُ حَدِيثٌ آخَرُ بَلَّغَهُ فَرَجَّحَهُ عَلَيْهِ، أَوْ فَهِمَ مِنْهُ مَا لَمْ يَفْهَمْهُ غَيْرُهُ إِذْ مِنَ الْجَائِزِ أَنْ تَخْتَلِفَ الْأَفْهَامُ فِي مَذْلُولِ اللَّفْظِ فَيَحْمِلُهُ كُلٌّ عَلَى فَهْمِهِ الْخَاصِّ، وَمِثَالُ هَذَا مَا فَهَمَهُ

(١) الحجرات.

(٢) الحشر.

(٣) الأحزاب.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه النووي وقال فيه حسن صحيح.

الإمام الشافعي، رَحِمَهُ اللَّهُ، من نَقَضَ الوضوءَ بِمَسِّ المرأةِ مطلقاً فهُمَا من قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ فَقَدْ فِيهِمْ مِنْ ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ﴾ الْمَسَّ، وَلَمْ يَرِ غَيْرُهُ فَقَالَ بِوُجُوبِ الوضوءِ لمجردِ مَسِّ المرأةِ وَفِيهِمْ غَيْرُهُ أَنَّ المرادَ من الملامسةِ في الآيةِ الجماعُ فلم يُوجِبُوا الوضوءَ بمجردِ المسِّ بَلْ لَا بُدَّ من قَدْرِ زائِدٍ كالقصدِ وَوُجُودِ اللَّذَّةِ.

وقَدْ يَقُولُ قائلٌ: لَمْ لَا يَتَنَازَلُ الشافعيُّ عن فهمِهِ لِيُوافِقَ باقيَ الأئمةِ، وَيَقْطَعَ دَائِرَ الخلافِ عن الأئمةِ؟

الجوابُ: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ أَبَداً أَنْ يَفْهَمَ عن رَبِّهِ شَيْئاً لَا يَخَالِجُهُ فِيهِ أَذْنَى رَبِّبٍ، ثُمَّ يَتْرُكُهُ لمجردِ رَأْيٍ أو فهمٍ إِمَامٍ آخَرَ، فَيُصْبِحُ مُتَّبِعاً لِقَوْلِ النَّاسِ تَارِكاً لِقَوْلِ اللَّهِ، وَهُوَ من أعْظَمِ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

نَعَمْ.. لَوْ أَنَّ فَهْمَهُ من النَّصْرِ عَارِضُهُ نَصٌّ صَرِيحٌ من كِتَابٍ أو سُنَّةٍ لَوَجَبَ عَلَيْهِ التَّمَسُّكُ بِدَلَالَةِ النَّصْرِ الظَّاهِرَةِ، وَيَتْرُكُ مَا فِيهِمَ من ذَلِكَ اللفظِ الَّذِي دَلَّاهُ لَيْسَتْ نَصّاً صَرِيحاً وَلَا ظَاهِراً، إِذْ لَوْ كَانَتْ دَلَّالَتُهُ قُطْعِيَّةً لَمَا اخْتَلَفَ فِيهَا اثْنَانِ من عَامَّةِ الأُمَّةِ فَضْلاً عن الأئمةِ.

وأما ولايةُ أمورِ المسلمينِ فَإِنَّهُ:

١ - يَرَى وجوبَ طاعتِهِم لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١). ولِقَوْلِ الرُّسُولِ ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ رُبَيْبَةٌ»^(٢). وقولِهِ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ غَضَّانِي فَقَدْ غَضَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ غَضَى أَمِيرِي فَقَدْ غَضَّانِي»^(٣).

ولكنْ لَا يَرَى طاعتَهُم في معصيةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَن طَاعَةَ اللَّهِ مُقَدِّمَةٌ عَلَى

(١) ، ٢ (٣) البخاري .

(١) النساء .

طَاعَتِهِمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾. وَلِأَنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»^(١). وَقَالَ أَيْضاً: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»^(٢). وَقَوْلُهُ: «لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ». وَقَالَ أَيْضاً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»^(٣).

٢ - يَرَى جُرْمَةَ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ، أَوْ إِعْلَانِ مَعْصِيَتِهِمْ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ شَقٍّ عَصَا الطَّاعَةَ عَلَى سُلْطَانِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَيْئاً مَاتَ مَيِّتَةً جَاهِلِيَّةً»^(٤). وَقَوْلُهُ: «مَنْ أَهَانَ السُّلْطَانَ أَهَانَهُ اللَّهُ»^(٥).

٣ - أَنْ يَدْعُو لَهُمُ بِالصَّلَاحِ وَالسَّدَادِ وَالتَّوْفِيقِ وَالْعِصْمَةِ مِنَ الشَّرِّ وَمِنَ الْوُقُوعِ فِي الْخَطَا، إِذْ صَلَاحُ الْأَمَةِ فِي صَلَاحِهِمْ، وَفَسَادُهَا بِفَسَادِهِمْ، وَأَنْ يَنْصَحَ لَهُمْ فِي غَيْرِ إِهَانَةٍ، وَانْتِقَاصِ كِرَامَةٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ، قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرُسُلِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»^(٦).

٤ - أَنْ يُجَاهِدَ وَرَاءَهُمْ وَيُصَلِّيَ خَلْفَهُمْ، وَإِنْ فَسَقُوا وَارْتَكَبُوا الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي هِيَ دُونَ الْكُفْرِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْ طَاعَةِ أُمَرَاءِ السُّوءِ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»^(٧). وَلِقَوْلِ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشِطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، قَالَ: إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحاً»^(٨) عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ»^(٩).

(١) متفق عليه.

(٢) أحمد والحاكم وصححه،

(٦، ٧) مسلم.

(٣، ٤) متفق عليهما.

(٨) ظاهراً مكشوفاً.

(٥) الترمذي وحسنه،

(٩) البرهان: الدليل والحجة.

الباب الثاني



الفصل الأول

آداب النية

يؤمن المسلم بخطرِ شأنِ النية، وأهميتها لسائر أعماله الدنيوية والدنيوية، إذ جميع الأعمال تتكيف بها، وتكون بحسبها فتقوى وتضعف، وتصح وتفسد تبعاً لها، وإيمان المسلم بهذا بضرورة النية لكل الأعمال ووجوب إصلاحها، مُستمد أولاً من قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(١). وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾^(٢) وثانياً من قول المصطفى ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»^(٣). وقوله: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»^(٤). فالنظر إلى القلوب نظر إلى النيات، إذ النية هي الباعث على العمل والدافع إليه، ومن قوله ﷺ: «من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة»^(٥). فبمجرد الهم الصالح كان العمل صالحاً يثبت به الأجر وتحصل به المثوبة وذلك لفضيلة النية الصالحة، وفي قوله ﷺ: «الناس أربعة: رجل آتاه الله عز وجل علماً ومالاً فهو يعمل بعلمه في ماله، فيقول رجل لو آتاني الله تعالى مثل ما آتاه الله لعملت كما عمل، فهما في الأجر سواء، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو يخطئ في ماله، فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه عملت كما يعمل، فهما في الوزر سواء»^(٦). فأثيب ذو النية الصالحة بثواب العمل الصالح، ووزر صاحب النية الفاسدة

(١) البينة.

(٥) مسلم.

(٢) الزمر.

(٦) ابن ماجة بسند جيد.

(٣ ، ٤) متفق عليه.

يُورَرُ صاحبُ العَمَلِ الفاسد، وكان مردُّ هذا إلى النية وحدها. ومن قوله ﷺ: «وَهُوَ بَتَبُولُكُ: «إِنْ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَاماً مَا قَطَعْنَا وَادِياً وَلَا وَطْئَنَا مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ، وَلَا أَنْفَقْنَا نَفَقَةً، وَلَا إصَابَتَنَا مَحْمُصَةً إِلَّا شَرَكُونَا فِي ذَلِكَ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ، فَشَرَكُوا بِحَسَنِ النِّيَّةِ»^(١). فَحُسِنُ النِّيَّةِ إِذَا هُوَ الَّذِي جَعَلَ غَيْرَ الْغَايَةِ فِي الْأَجْرِ كَالْغَايَةِ، وَجَعَلَ غَيْرَ الْمَجَاهِدِ يَحْصُلُ عَلَى أَجْرِ كَأَجْرِ الْمَجَاهِدِ، وَمِنْ قَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا تَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ، فَمَا بِالْ مَقْتُولِ؟. فَقَالَ: لِأَنَّهُ إِذَا قُتِلَ صَاحِبُهُ»^(٢). فَسَوَتْ النِّيَّةُ الْفَاسِدَةُ وَالْإِرَادَةُ السَّيِّئَةُ بَيْنَ قَاتِلٍ مُسْتَوْجِبٍ لِلنَّارِ وَبَيْنَ مَقْتُولٍ لَوْلَا نِيَّتُهُ الْفَاسِدَةُ لَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ تَزَوَّجَ بِصَدَاقٍ لَا يَنْوِي أَدَاءَهُ فَهُوَ زَانٍ، وَمَنْ أَدَانَ دَيْنًا وَهُوَ لَا يَنْوِي قَضَاءَهُ فَهُوَ سَارِقٌ»^(٣). فَبِالنِّيَّةِ السَّيِّئَةِ انْقَلَبَ الْمُبَاحُ حَرَامًا، وَالْجَائِزُ مَمْنُوعًا، وَمَا كَانَ خَالِيًا مِنَ الْحَرَجِ أَصْبَحَ ذَا خَرَجٍ.

كُلُّ هَذَا يُؤَكِّدُ مَا يَعْتَقِدُهُ الْمُسْلِمُ فِي خَطَرِ النِّيَّةِ، وَعُظْمِ شَأْنِهَا، وَكِبِيرِ أَهْمِيَّتِهَا فَلِذَا هُوَ يَنْبِي سَائِرَ أَعْمَالِهِ عَلَى صَالِحِ النِّيَّاتِ، كَمَا يَنْبَذُ جُهْدَهُ فِي أَنْ لَا يَعْمَلَ عَمَلًا بِدُونِ نِيَّةٍ، أَوْ نِيَّةٍ غَيْرِ صَالِحَةٍ، إِذِ النِّيَّةُ رُوحُ الْعَمَلِ وَقَوَامُهُ، صَحْتُهُ مِنْ صَحَّتِهَا وَفَسَادُهُ مِنْ فُسَادِهَا، وَالْعَمَلُ بِدُونِ نِيَّةٍ صَاحِبِهِ مُرَاءٌ مَتَكَلَّفٌ مَمْقُوتٌ.

وَكَمَا يَعْتَقِدُ الْمُسْلِمُ أَنَّ النِّيَّةَ رَكْنٌ^(٤) الْأَعْمَالِ وَشَرْطُهَا، فَإِنَّهُ يَرَى أَنَّ النِّيَّةَ لَيْسَتْ بِمَجْرَدِ لَفْظٍ بِاللِّسَانِ (اللَّهُمَّ نَوَيْتُ كَذَا) وَلَا هِيَ حَدِيثُ نَفْسٍ فَحَسْبُ بَلْ هِيَ انْبِعَاثُ الْقَلْبِ نَحْوَ الْعَمَلِ الْمُوَافِقِ لِمَا يَنْوِيهِ صَاحِبُهُ مِنْ جَلْبِ نَفْعٍ، أَوْ دَفْعِ ضَرٍّ حَالًا، أَوْ مَالًا، كَمَا هِيَ الْإِرَادَةُ الْمُتَوَجَّهَةُ تَجَاهَ الْفِعْلِ لِابْتِغَاءِ رِضَا اللَّهِ، أَوْ امْتِنَالِ أَمْرِهِ.

(١) أبو داود والبخاري مختصراً.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد، ورواه ابن ماجه مقتصراً على الدين دون الصداق.

(٤) النية ركن باعتبار البداية، وشرط باعتبار الاستمرار.

والمسلم إذ يعتقِدُ أنَّ العملَ المباحَّ ينقلبُ بحسْنِ النيةِ طاعةً ذاتَ أجرٍ ومثوبةٍ
وأنَّ الطاعةَ إذا خَلَّتْ من نيةٍ صالحةٍ تنقلبُ معصيةً ذاتَ وزرٍ وعقوبةٍ، لَا يَرَى أنَّ
المعاصيَ تؤثرُ فيها النيةُ الحسنةُ فتقلبُ طاعةً، فالذي يغتابُ شخصاً لتطبيبِ خاطِرِ
شخصٍ آخرَ هو عاصٍ لله تعالى آثمٌ لَا تنفعُهُ نيتهُ الحسنةُ في نظره، والذي يبنّي
مسجداً بمالٍ حرامٍ لَا يُثَابُ عليه، والذي يحضُرُ حفلاتِ الرقصِ والمُجونِ، أو
يشترِي أوراقَ اليانصيبِ بنيةٍ تشجيعِ المشاريعِ الخيريةِ، أو لفائدةِ جهادٍ ونحوه، هو
عاصٍ لله تعالى آثمٌ مأزورٌ غيرُ مأجورٍ، والذي يبنّي القبابَ على قبورِ الصالحينَ، أو
يذبحُ لهم الذبائحَ، أو يندُرُ لهم النذورَ بنيةٍ محبةِ الصالحينَ هو عاصٍ لله تعالى آثمٌ
على عمله، ولو كانت نيتهُ صالحةً كما يراها، إذ لَا ينقلبُ بالنيةِ الصالحةِ طاعةً إِلَّا مَا
كَانَ مُباحاً مأذوناً في فعله فقط، أما المحرّمُ فلا ينقلبُ طاعةً بحالٍ من الأحوالِ .

الفصل الثاني

الآدب مع الله عز وجل

المسلم ينظر إلى ما لله تعالى عليه من مَن لا تُحصى، ونعم لا تُعدُّ اكتنفته من ساعة غُلوقه نطفة في رحم أمه، وتُسَايرُهُ إلى أن يَلْقَى رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فيشْكُرُ اللَّهَ تعالى عليها بلسانه بحمده والثناء عليه بما هو أهله، وبجوارحه بتسخيرها في طاعته، فيكون هذا أدباً منه مع الله سبحانه وتعالى؛ إذ ليس من الأدب في شيء كُفْرَانُ النعم، وجحودُ فضلِ المنعم، والتَنَكُّرُ له ولاِحسانِهِ وإنعامِهِ، والله سبحانه يقول ﴿وما يكمن من نعمة فمن الله﴾ ويقول سبحانه ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ ويقول جلَّ جلاله ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾^(١).

وينظر المسلم إلى علمه تعالى به وإطلاعه على جميع أحواله فيمتلئ قلبه منه مهابةً ونفسه له وقاراً وتعظيماً، فيخجل من معصيته، ويستحي من مخالفتِهِ، والخروج عن طاعته. فيكون هذا أدباً منه مع الله تعالى؛ إذ ليس من الأدب في شيء أن يُجاهر العبدُ سيده بالمعاصي، أو يقابله بالقبايح والردائل وهو يشهده وينظر إليه، قال تعالى ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً﴾ وقال ﴿يَعْلَمُ مَا تَسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ وقال ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ، وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٢).

(١) البقرة.

(٢) يونس.

وينظرُ المسلمُ إليه تعالى وقد قَدَّرَ عليه، وأخذَ بناصيته، وأنه لا مَفَرَّ لَهُ ولا مَهْرَبَ، ولا مَنَاجَا، ولا مَلْجَأَ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ، فَيَفِرُّ إِلَيْهِ تَعَالَى وَيَطْرَحُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيُفَوِّضُ أَمْرَهُ إِلَيْهِ، وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ هَذَا أَدْبًا مِنْهُ مَعَ رَبِّهِ وَخَالِقِهِ.

إِذْ لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ فِي شَيْءٍ الْفِرَارُ مِمَّنْ لَا مَفَرَّ مِنْهُ، وَلَا الْاعْتِمَادُ عَلَى مَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ، وَلَا الْاِتِّكَالُ عَلَى مَنْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ لَهُ. قَالَ تَعَالَى ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ وَقَالَ ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

وينظرُ المسلمُ إلى الطَّافِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَإِلَى رَحْمَتِهِ لَهُ وَلِسَائِرِ خَلْقِهِ فَيُطَمَعُ فِي الْمَزِيدِ مِنْ ذَلِكَ، وَيَتَضَرَّعُ لَهُ بِخَالِصِ الضَّرَاعَةِ وَالِدَعَاءِ، وَيَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ بِطَيِّبِ الْقَوْلِ، وَصَالِحِ الْعَمَلِ فَيَكُونُ هَذَا أَدْبًا مِنْهُ مَعَ اللَّهِ مَوْلَاهُ إِذْ لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ فِي شَيْءٍ الْيَأْسُ مِنَ الْمَزِيدِ مِنْ رَحْمَةٍ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا الْقُنُوطُ مِنْ إِحْسَانٍ قَدْ عَمَّ الْبَرَائَا، وَالطَّافِ قَدْ اِنْتَضَمَتِ الْوُجُودَ. قَالَ تَعَالَى ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١). وَقَالَ ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾^(٢). وَقَالَ ﴿لَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾^(٣). وَقَالَ ﴿لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾^(٤).

وينظرُ المسلمُ إلى شِدَّةِ بَطْشِ رَبِّهِ، وَإِلَى قُوَّةِ انتقامِهِ، وَإِلَى سُرْعَةِ حِسَابِهِ فَيَتَّقِيهِ بِطَاعَتِهِ، وَيَتَوَقَّاهُ بَعْدَ مَعْصِيَتِهِ فَيَكُونُ هَذَا أَدْبًا مِنْهُ مَعَ اللَّهِ؛ لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ أَنْ يَتَعَرَّضَ بِالْمَعْصِيَةِ وَالظُّلْمِ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ الْعَاجِزُ لِلرَّبِّ الْعَزِيزِ الْقَادِرِ، وَالْقَوِيِّ الْقَاهِرِ وَهُوَ يَقُولُ ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾^(٥). وَيَقُولُ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾^(٦). وَيَقُولُ ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾^(٧).

وينظرُ المسلمُ إلى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ، وَالْخُرُوجِ عَنْ طَاعَتِهِ، وَكَأَنَّ

(١) الأعراف.

(٢) الشورى.

(٣) يوسف.

(٤) الزمر.

(٥) الرعد.

(٦) البروج.

(٧) آل عمران.

وعِيْدَهُ قَدْ تَنَآوَلَهُ، وَعَذَابُهُ قَدْ نَزَلَ بِهِ، وَعِقَابُهُ قَدْ حُلَّ بِسَاحَتِهِ، كَمَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ تَعَالَى عِنْدَ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ شَرْعِيَّتِهِ وَكَأَنَّ وَعْدَهُ قَدْ صَدَّقَهُ لَهُ، وَكَأَنَّ حُلَّةَ رِضَاةٍ قَدْ خَلَعَهَا عَلَيْهِ فَيَكُونُ هَذَا مِنَ الْمُسْلِمِ حُسْنَ ظَنٍّ بِاللَّهِ، وَمِنْ الْأَدَبِ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ؛ إِذْ لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ أَنْ يُسَيِّءَ الْمَرْءُ بِاللَّهِ فَيَعْصِيَهُ وَيُخْرِجَ عَنْ طَاعَتِهِ، وَيُظَنَّ أَنَّهُ غَيْرُ مُطِيعٍ عَلَيْهِ، وَلَا مُؤَاجِزٍ لَهُ عَلَى ذَنْبِهِ، وَهُوَ يَقُولُ ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْلَمُونَ، فَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١). كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ أَنْ يَتَّقِيَهُ الْمَرْءُ وَيُطِيعَهُ وَيُظَنَّ أَنَّهُ غَيْرُ مُجَازِيهِ بِحُسْنِ عَمَلِهِ، وَلَا هُوَ قَابِلٌ مِنْهُ طَاعَتَهُ وَعِبَادَتَهُ، وَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٢). وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٣). وَيَقُولُ تَعَالَى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٤).

وُخْلَاصَةُ الْقَوْلِ: أَنَّ شُكْرَ الْمُسْلِمِ رَبِّهِ عَلَى نِعَمِهِ، وَحَيَاءُهُ مِنْهُ تَعَالَى عِنْدَ الْمِيلِ إِلَى مَعْصِيَتِهِ، وَصِدْقُ الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ وَرَجَاءُ رَحْمَتِهِ، وَالْخَوْفُ مِنْ نَقْمَتِهِ وَحُسْنُ الظَّنِّ بِهِ فِي إِنْجَازِ وَعْدِهِ، وَإِنْفَازِ وَعِيدِهِ فِيمَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ؛ هُوَ أَدَبُهُ مَعَ اللَّهِ، وَبِقُدْرِ تَمَسُّكِهِ بِهِ وَمَحَافَظَتِهِ عَلَيْهِ تَعْلُو دَرَجَتُهُ، وَبِرَتْفَعِ مَقَامِهِ وَتَسْمُو مَكَانَتُهُ، وَتَعْظُمُ كَرَامَتُهُ فَيُصْبِحُ مِنْ أَهْلِ وَلَايَةِ اللَّهِ وَرِعَايَتِهِ، وَمَحَاطُ رَحْمَتِهِ وَمَنْزِلَ نِعْمَتِهِ.

وَهَذَا أَقْصَى مَا يَطْلُبُهُ الْمُسْلِمُ وَيَتَمَنَّاهُ طُولَ الْحَيَاةِ.

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا وَلَايَتَكَ، وَلَا تَحْرِمْنا رِعَايَتَكَ، وَاجْعَلْنَا لَدَيْكَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ، يَا اللَّهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

(٣) النحل.

(٤) الأنعام.

(١) فصلت.

(٢) النور.

الفصل الثالث

الأدب مع كلام الله تعالى - القرآن الكريم -

يؤمن المسلم بقُدسيّة كلام الله تعالى، وشرفه وأفضليّته على سائر الكلام، وأن القرآن الكريم كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، مَنْ قَالَ بِهِ صُدِّقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَأَنَّ أَهْلَهُ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ، وَالْمُتَمَسِّكُونَ بِهِ نَاجُونَ فَائِزُونَ، وَالْمُعْرِضُونَ عَنْهُ هَلَكَى خَاسِرُونَ.

وَيَزِيدُ فِي إِيمَانِ الْمُسْلِمِ بِعَظَمَةِ كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَقُدْسِيَّتِهِ وَشَرَفُهُ مَا وَرَدَ فِي فَضْلِهِ عَنِ الْمَنْزَلِ عَلَيْهِ، وَالْمَوْحَى بِهِ إِلَيْهِ صَفْوَةُ الْخَلْقِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ، فِي مِثْلِ قَوْلِهِ «أَقْرَأُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعاً لَصَاحِبِهِ»^(١) وَقَوْلِهِ «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(٢) وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»^(٣) وَقَوْلِهِ «إِنَّ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا جَلَاؤُهَا؟ فَقَالَ: تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَذِكْرُ الْمَوْتِ»^(٤). وَقَدْ جَاءَ مَرَّةً إِلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَحَدُ خَصُومِهِ الْأِلْدَاءِ يَقُولُ يَا مُحَمَّدُ، اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَيَقْرَأُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ الْآيَةَ وَلَمْ يَفْرُغِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ تِلَاوَتِهَا حَتَّى يُطَالِبَ الْخَصْمُ الْأَلَدَّ بِإِعَادَتِهَا مَذْهُوشاً بِجَلَالِ لَفْظِهَا، وَقُدْسِيَّةِ مَعَانِيهَا مَاخُوذاً بِبَيَانِهَا، مُجَذَّوباً بِقُوَّةِ تَأْثِيرِهَا،

(١) مسلم . (٣) النسائي وابن ماجه والحاكم باسناد حسن .

(٤) البيهقي في الشعب باسناد ضعيف .

(٢) البخاري .

(٤) البخاري .

ولم يَلْبَثْ أَنْ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ بِتَسْجِيلِ اعْتِرَافِهِ، وَتَقْرِيرِ شَهَادَتِهِ بِقَدْسِيَةِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمِيَّتِهِ، إِذْ قَالَ بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ:

وَاللَّهُ إِنَّ لَهُ لِحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطُلَاوَةً، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُورُقٌ وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمْشِيرٌ، وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرًا! (١).

ولهذا كَانَ الْمُسْلِمُ زِيَادَةً عَلَى أَنَّهُ يُحِلُّ حَلَالَهُ وَيُحَرِّمُ حَرَامَهُ، وَيَلْتَزِمُ بِآدَابِهِ وَالتَّخَلُّقِ بِاخِلَاقِهِ، فَإِنَّهُ يَلْتَزِمُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ بِالْآدَابِ التَّالِيَةِ:

١ - أَنْ يَقْرَأَهُ عَلَى أَكْمَلِ الْحَالَاتِ، مِنْ طَهَارَةٍ، وَاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ، وَجُلُوسٍ فِي أَدَبٍ وَوَقَارٍ.

٢ - أَنْ يُرَتِّلَهُ وَلَا يُسْرِعُ فِي تِلَاوَتِهِ، فَلَا يَقْرَأُهُ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثِ لَيَالٍ، لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثِ لَيَالٍ لَمْ يَفْقَهُهُ» (٢). وَأَمَرَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنْ يَخْتِمَ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَبْعٍ (٣)، كَمَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَانَ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَخْتُمُونَهُ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مَرَّةً.

٣ - أَنْ يَلْتَزِمَ الْخُشُوعَ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ، وَأَنْ يُظْهِرَ الْحُزْنَ وَأَنْ يَبْكِيَ أَوْ يَتَبَاكَى إِنْ لَمْ يَسْتَطِعِ الْبُكَاءَ، لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ «اتْلُوا الْقُرْآنَ وَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا» (٤).

٤ - أَنْ يُحْسِنَ صَوْتَهُ بِهِ لِقَوْلِهِ ﷺ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» (٥) وَفِي قَوْلِهِ «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» (٦) وَقَوْلِهِ «مَا أَذِنَ اللَّهُ لشيءٍ مَّا أَذِنَ لِنَبِيِّ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ» (٧).

٥ - أَنْ يُسِرَّ تِلَاوَتَهُ إِنْ خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ رِيَاءً أَوْ سُمْعَةً أَوْ كَانَ يُشَوِّشُ بِهِ عَلَى مُصِلٍّ لَمَّا وَرَدَ عَنْهُ ﷺ: «الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ» وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ الصَّدَقَةَ تُسْتَحَبُّ سِرِّيَّتُهَا إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْجَهْرِ فَائِدَةٌ مَقْصُودَةٌ كَحَمْلِ النَّاسِ عَلَى فَعْلِهَا مَثَلًا، وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ كَذَلِكَ.

(١) ابن جرير الطبري والخصم هو الوليد بن المغيرة كما رواه البيهقي باسناد جيد.

(٢) رواه أصحاب السنن وصححه الترمذي.

(٤) ابن ماجة باسناد جيد.

(٥) أحمد وابن ماجة والنسائي والحاكم وصححه.

(٣ ، ٦ ، ٧ ،) متفق عليهم.

٦ - أَنْ يَتْلُوهُ بِتَدْبِيرٍ وَتَفَكُّرٍ مَعَ تَعْظِيمٍ لَهُ وَاسْتِحْضَارِ الْقَلْبِ وَتَفَهُمٍ لِمَعَانِيهِ وَأَسْرَارِهِ.

٧ - أَنَّ لَا يَكُونُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ مِنَ الْغَافِلِينَ الْمُخَالَفِينَ لَهُ، إِذْ أَنَّهُ قَدْ يَتَسَبَّبُ فِي لَعْنِ نَفْسِهِ بِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ إِنْ قَرَأَ (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) أَوْ (لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) وَكَانَ كَاذِبًا أَوْ ظَالِمًا فَإِنَّهُ يَكُونُ لَاعِنًا لِنَفْسِهِ، وَالرَّوَايَةُ التَّالِيَةُ تُبَيِّنُ مَقْدَارَ خَطَا الْمَعْرِضِينَ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ الْغَافِلِينَ عَنْهُ الْمُتَشَاغِلِينَ بغيره، فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ فِي التَّوْرَةِ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: أَمَّا تَسْتَحْيِي مِنِّي يَا بَيْتَكَ كِتَابٌ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِكَ، وَأَنْتَ فِي الطَّرِيقِ تَمْشِي، فَتَعْدِلُ عَنِ الطَّرِيقِ وَتَقْعُدُ لِأَجْلِهِ وَتَقْرَأُهِ وَتَتَدَبَّرُهُ حَرْفًا حَرْفًا، حَتَّى لَا يَقُوتَكَ شَيْءٌ مِنْهُ، وَهَذَا كِتَابِي أَنْزَلْتُهُ إِلَيْكَ، أَنْظِرْ كَيْفَ فَصَّلْتُ لَكَ فِيهِ مِنَ الْقَوْلِ، وَكَمْ كَرَّرْتُ عَلَيْكَ فِيهِ لَتَأْمَلُ طَوْلَهُ وَعَرَضُهُ ثُمَّ أَنْتَ مُعْرِضٌ عَنْهُ، فَكُنْتُ أَهْوَنَ عَلَيْكَ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِكَ، يَا عَبْدِي! يَقْعُدُ إِلَيْكَ بَعْضُ إِخْوَانِكَ فَتُقْبِلُ إِلَيْهِ بِكُلِّ وَجْهِكَ، وَتُصْنِفِي إِلَى حَدِيثِهِ بِكُلِّ قَلْبِكَ، فَإِنْ تَكَلَّمَ مَتَكَلَّمَ أَوْ شَغَلَكَ شَاغَلَ عَنْ حَدِيثِهِ أَوْ مَاتَ إِلَيْهِ أَنْ كُفَّ، وَهَذَا أَنَا مُقْبِلٌ عَلَيْكَ وَمَحْدِثٌ وَأَنْتَ مُعْرِضٌ بِقَلْبِكَ عَنِّي، أَفَجَعَلْتَنِي أَهْوَنَ عِنْدَكَ مِنْ بَعْضِ إِخْوَانِكَ؟!

٨ - يَجْتَنِبُهُ فِي أَنْ يَتَّصِفَ بِصِفَاتِ أَهْلِهِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ وَأَنْ يُتَسِمَ بِسَمَائِهِمْ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَنْبَغِي لِقَارِئِ الْقُرْآنِ أَنْ يَعْرِفَ بَلِيلَهُ إِذِ النَّاسُ نَائِمُونَ، وَبِنَهَارِهِ إِذِ النَّاسُ مُفْطِرُونَ، وَبِكَائِهِ إِذِ النَّاسُ يَضْحَكُونَ، وَبِوَرَعِهِ إِذِ النَّاسُ يَخْلِطُونَ، وَبِصَمْتِهِ إِذِ النَّاسُ يَخُوضُونَ، وَبِخُشُوعِهِ إِذِ النَّاسُ يَخْتَالُونَ، وَبِحَزْنِهِ إِذِ النَّاسُ يَفْرَحُونَ.

وقال محمد بن كعب: كُنَّا نَعْرِفُ قَارِئَ الْقُرْآنِ بِصُفْرَةِ لَوْنِهِ، يُشِيرُ إِلَى سَهْرِهِ وَطُولِ تَهْجِيْدِهِ. وَقَالَ وَهَيْبُ بْنُ الْوَرْدِ: قِيلَ لِرَجُلٍ أَلَا تَنَامُ؟ قَالَ إِنَّ عَجَائِبَ الْقُرْآنِ أَطْرُنَ نَوْمِي، وَأَنْشَدَ ذُو النُّونِ قَوْلَهُ:

مَنْعَ الْقُرْآنِ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ مُقَلَّ الْعُيُونِ بِلَيْلِهَا لَا تَهْجَعُ
فَهَمُّوْا عَنِ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ كَلَامَهُ فَهَمًّا تَدِلُّ لَهُ الرِّقَابُ وَتَخْضَعُ

الفصل الرابع

الأدب مع رسول الله ﷺ

يَشْعُرُ الْمُسْلِمُ فِي قِرَاءَةِ نَفْسِهِ بِوَجُوبِ الْأَدَبِ الْكَامِلِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَلِكَ
لِلْأَسْبَابِ التَّالِيَةِ:

١ - أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْجَبَ لَهُ الْأَدَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ
وَمُؤْمِنَةٍ وَذَلِكَ بِصَرِيحِ كَلَامِهِ عَزَّ وَجَلَّ إِذْ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(١). وَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ
النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ^(٢) أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا
تَشْعُرُونَ﴾^(٣). وَقَالَ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ
الَّذِينَ امْتَحَنَ^(٤) اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٥). وَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿إِنْ
الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ، وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ
إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾^(٦). وَقَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ
بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾^(٧). وَقَالَ أَيْضًا ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِذَا كَانُوا
مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ﴾^(٨). وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ

(١) الحجرات.

(١) الحجرات.

(٢) تحبط: تبطل.

(٢) تحبط: تبطل.

(٣) الحجرات.

(٣) الحجرات.

(٤) امتحن: اخلصها.

(٤) امتحن: اخلصها.

لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ ﴿١﴾ . وقال جَلَّ جَلالُه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٢﴾ .

٢ - أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ فَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ طَاعَتَهُ، وَأَوْجَبَ مَحَبَّتَهُ فَقَالَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ ﴿٣﴾ . وقال ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٤﴾ . وقال سبحانه ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ ﴿٥﴾ . وقال تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ﴿٦﴾ . ومن وَجَبَتْ طَاعَتُهُ وَحَرُمَتْ مُخَالَفَتُهُ لَزِمَ التَّأَدُّبُ مَعَهُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .

٣ - أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَكَّمَهُ فَجَعَلَهُ إِمَامًا وَحَاكِمًا قَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ ﴿٧﴾ . وقال ﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ وقال ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٨﴾ وقال : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ ﴿٩﴾ .
والتَّأَدُّبُ مَعَ الْإِمَامِ وَالْحَاكِمِ تَفْرِضُهُ الشَّرَائِعُ وَتُقَرَّرُهُ الْعُقُولُ وَيَحْكُمُ بِهِ الْمَنَاطِقُ السَّلِيمَةُ .

٤ - أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ فَرَضَ مَحَبَّتَهُ عَلَى لِسَانِهِ فَقَالَ ﷺ ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٠﴾ . وَمَنْ وَجَبَتْ مَحَبَّتُهُ وَجَبَ الْأَدَبُ إِزَاءَهُ، وَلَزِمَ التَّأَدُّبُ مَعَهُ .

٥ - مَا اخْتَصَّ بِهِ رَبُّهُ تَعَالَى مِنْ جَمَالِ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ، وَمَا حَبَّاهُ بِهِ مِنْ كَمَالِ النَّفْسِ وَالذَّاتِ فَهُوَ أَجْمَلُ مَخْلُوقٍ وَأَكْمَلُهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالَهُ كَيْفَ لَا يَجِبُ التَّأَدُّبُ مَعَهُ .

(٨) شجر: اشكل عليهم واختلط من الأمور.

(٩) الأسوة: القدوة الصالحة .

(١٠) متفق عليه .

(٥) الحشر.

(٦) آل عمران .

(٧) الأنبياء .

(١) النور.

(٢) المجادلة .

(٣) محمد .

(٤) النور.

هَذِهِ بَعْضُ مُوجِبَاتِ الْأَدَبِ مَعَهُ ﷺ وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ، وَلَكِنْ كَيْفَ يَكُونُ الْأَدَبُ؟
وَبِمَاذَا يَكُونُ؟

هَذَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ!
يَكُونُ الْأَدَبُ مَعَهُ ﷺ:

- ١ - بطاعته، واقتفاء أثره، وترسم خطاه في جميع مسالك الدنيا والدين.
 - ٢ - أن لا يُقدِّم على حبه وتوقيره وتعظيمه حُبَّ مخلوقٍ أو توقيره أو تعظيمه كائنًا من كان.
 - ٣ - موالاة من كان يوالي، ومُعَاداة من كان يُعَادِي، والرِّضا بما كان يَرْضَى به، والغضب لما كان يَغْضِبُ لَهُ.
 - ٤ - إجلال اسمه وتوقيره عند ذكره، والصلاة والسلام عليه، واستعظامه وتقدير شَمَائِلِهِ وفَضَائِلِهِ.
 - ٥ - تصديقه في كلِّ ما أَخْبَرَ بِهِ من أَمْرِ الدِّينِ والدُّنْيَا وَشَأْنِ الْغَيْبِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ.
 - ٦ - إحياء سُنَّتِهِ وإظهار شَرِيعَتِهِ، وإبلاغ دَعْوَتِهِ، وإنفاذ وَصَايَاهُ.
 - ٧ - خَفْضُ الصَّوْتِ عِنْدَ قَبْرِهِ، وَفِي مَسْجِدِهِ لِمَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِزِيَارَتِهِ، وَشَرْفُهُ بِالْوُقُوفِ عَلَى قَبْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.
 - ٨ - حُبُّ الصَّالِحِينَ وَمُوَالَاتِهِمْ بِحَبِّهِ، وَبُغْضُ الْفَاسِقِينَ وَمُعَادَاتِهِمْ بِبُغْضِهِ.
- هَذِهِ هِيَ بَعْضُ مَظَاهِرِ الْأَدَابِ مَعَهُ ﷺ.

فَالْمُسْلِمُ يَجْتَهِدُ دَائِمًا فِي أَدَائِهَا كَامِلَةً، وَالْمُحَافَظَةَ عَلَيْهَا تَامَةً؛ إِذْ كَمَالُهُ مَوْقُوفٌ عَلَيْهَا وَسَعَادَتُهُ مُنَوَّطَةٌ بِهَا، وَالْمَسْئُولُ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ أَنْ يَوْفُقَنَا لِلتَّأْدِبِ مَعَ نَبِيِّنَا وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَتْبَاعِهِ وَأَنْصَارِهِ وَشِيعَتِهِ وَأَنْ يَرْزُقَنَا طَاعَتَهُ وَأَنْ لَا يَحْرِمَنَا مِنْ شَفَاعَتِهِ أَلَلَّهُمَّ آمِينَ.

الفصل الخامس

في الأدب مع النفس

يُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ بَأَنَّ سَعَادَتَهُ فِي كِلْتَا حَيَاتَيْهِ: الْأُولَى، وَالثَّانِيَةِ، مَوْقُوفَةٌ عَلَى مَدَى تَأْدِيبِ نَفْسِهِ، وَتَطْيِيبِهَا، وَتَزْكِيَّتِهَا، وَتَطْهِيرِهَا، كَمَا أَنَّ شَقَاءَهَا مَنُوطٌ بِفَسَادِهَا، وَتَدْسِيسِيتِهَا وَخُبْثِهَا، وَذَلِكَ لِلْأَدِلَّةِ الْآتِيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(١). وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ^(٢) الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ^(٣)، وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ، لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ^(٤) وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ^(٥) وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ. وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا^(٦) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٧)». وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ^(٨)». وَقَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ: «كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي. قَالُوا: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي». وَقَوْلُهُ ﷺ: «كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مَوْقِقُهَا^(٩)».

كَمَا يُؤْمِنُ الْمُسْلِمُ بَأَنَّ مَا تَطْهَرُ عَلَيْهِ النَفْسُ وَتَزْكُو هُوَ حَسَنَةُ الْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ.

(١) الشمس.

(٢) يدخل.

(٣) ثقب الإبرة.

(٤) فراش.

(٥) أغطية كاللحف.

(٦) طاقتها.

(٧) الأعراف.

(٨) العصر.

(٩) مسلم.

الصالح ، وأن ما تَدَسَّى بِهِ وَتَخْبُثُ وَتَفْسِدُ هُوَ سَيِّئَةُ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (١) .
 وقوله : ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٢) . وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَ نُقْطَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَعْتَبَ صُقِلَ قَلْبُهُ ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تُغْلِقَ قَلْبُهُ» (٣) . فَذَلِكَ الرَّأْيُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ . وقوله ﷺ : «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَاتَّبِعِ السِّيئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِي حَسَنٍ» (٤) .

من أَجْلِ هَذَا يَعِيشُ الْمُسْلِمُ عَامِلًا دَائِمًا عَلَى تَأْدِيبِ نَفْسِهِ وَتَرْكِيبِهَا وَتَطْهِيرِهَا ، ذُو هِيَ أَوْلَى مَنْ يُؤَدِّبُ ، فَيَأْخُذُهَا بِالْآدَابِ الْمَرْكَبَةِ لَهَا وَالْمَطْهَرَةِ لِأَدْرَانِهَا ، كَمَا يُجَنِّبُهَا كُلَّ مَا يُدْسِيهَا ، وَيُفْسِدُهَا مِنْ سَيِّئِ الْمَعْتَقَدَاتِ ، وَفَاسِدِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، يُجَاهِدُهَا لَيْلَ نَهَارٍ ، وَيُحَاسِبُهَا فِي كُلِّ سَاعَةٍ ، يَحْمِلُهَا عَلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ ، وَيَدْفَعُهَا إِلَى الطَّاعَةِ دَفْعًا ، كَمَا يَصْرِفُهَا عَنِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ صَرْفًا وَيَرُدُّهَا رَدًّا ، وَيَتَّبِعُ فِي إِصْلَاحِهَا وَتَأْدِيبِهَا لِيُظْهَرَ وَتَرْكُ الْخَطَايَا التَّالِيَةِ :

أ - التَّوْبَةُ : والمرادُ مِنْهَا التَّخْلِي عَنْ سَائِرِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي ، وَالنَّدَمُ عَلَى كُلِّ ذَنْبٍ سَالِفٍ ، وَالْعَزْمُ عَلَى عَدَمِ الْعُودَةِ إِلَى الذَّنْبِ فِي مُقْبِلِ الْعُمْرِ . وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ، وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (٥) . وقوله : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٦) . وَقَالَ رَسُولُهُ ﷺ : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ اللَّهُ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» (٧) . وقوله : من تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» (٨) . وقوله . «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِالتَّوْبَةِ لِمَسِيءِ اللَّيْلِ إِلَى النَّهَارِ ، وَلِمَسِيءِ النَّهَارِ إِلَى اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» (٩) . وقوله : «لَلَّهِ

(١) هود .

(٢) المطففين .

(٥) التحريم .

(٦) النور .

(٣) النسائي والترمذي . وقال فيه حسن صحيح .

(٧ ، ٨ ، ٩) مسلم .

(٤) أحمد والترمذي والحاكم .

أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِيَّةٍ مُهْلِكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَالَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ»^(١). وَمَا رَوَى مِنْ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ هُنَّ أَتَتْ آدَمَ بِتَوْبَتِهِ لَمَّا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ^(٢).

ب - الْمُرَاقَبَةُ: وَهِيَ أَنْ يَأْخُذَ الْمُسْلِمُ نَفْسَهُ بِمُرَاقَبَةِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيُزِمَّهَا إِيَّاهَا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ مِنْ لَحْظَاتِ الْحَيَاةِ حَتَّى يَتِمَّ لَهَا الْيَقِينُ بِأَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهَا، عَالِمٌ بِأَسْرَارِهَا، رَقِيبٌ عَلَى أَعْمَالِهَا، قَائِمٌ عَلَيْهَا وَعَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَبِذَلِكَ تُصْبِحُ مُسْتَعْرِفَةً بِمِلَاحَظَةِ جَلَالِ اللَّهِ وَكَمَالِهِ، شَاعِرَةً بِالْأَنْسِ فِي ذِكْرِهِ، وَاجِدَةً الرَّاحَةَ فِي طَاعَتِهِ، رَاغِبَةً فِي جَوَارِهِ، مُقْبِلَةً عَلَيْهِ، مُعْرِضَةً عَمَّا سِوَاهُ.

وَهَذَا مَعْنَى إِسْلَامِ الْوَجْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^(٣). وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾^(٤). وَهُوَ عَيْنُ مَا دَعَا إِلَيْهِ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾^(٥). وَقَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾. وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْ قُرْآنٍ، وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾^(٦). وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(٧).

وَهُوَ نَفْسُ مَا دَرَجَ عَلَيْهِ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الصَّالِحِ إِذْ أَخَذُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ حَتَّى تَمَّ لَهُمُ الْيَقِينُ، وَبَلَغُوا دَرَجَةَ الْمُقَرَّبِينَ. وَهِيَ ذِي آثَارِهِمْ تَشْهَدُ لَهُمْ:

(١) متفق عليه، والدوية: فلاة خالية من الناس.

(٥) آل عمران.

(٢) الغزالي في الأحياء.

(٦) آل عمران.

(٣) النساء.

(٧) متفق عليه بلفظ: أن تعبد.

(٤) لقمان.

١ - قِيلَ لِلْجَنِّيدِ رَحِمَهُ اللَّهُ: بِمَ يُسْتَعَانُ عَلَى غَضِّ الْبَصَرِ؟ قَالَ: بِعَلَمِكَ أَنْ نَظَرَ النَّاطِرِ إِلَيْكَ أَسْبَقُ مِنْ نَظَرِكَ إِلَى الْمَنْظُورِ لَهُ.

٢ - قَالَ سَفِيَّانُ الثَّوْرِي: عَلَيْكَ بِالْمِرَاقَبَةِ مِمَّنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، وَعَلَيْكَ بِالرَّجَاءِ مِمَّنْ يَمْلِكُ الْوَفَاءَ، وَعَلَيْكَ بِالْحَذَرِ مِمَّنْ يَمْلِكُ الْعُقُوبَةَ.

٣ - قَالَ ابْنُ الْمُبَارِكِ لِرَجُلٍ: رَاقِبِ اللَّهَ يَا فُلَانُ، فَسَأَلَهُ الرَّجُلُ عَنِ الْمِرَاقَبَةِ فَقَالَ لَهُ: كُنْ أَبَدًا كَأَنَّكَ تَرَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

٤ - قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دِينَارٍ: خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى مَكَّةَ فَعَرَّسَنَا بَعْضُ الطَّرِيقِ فَاِنْحَدَرَ عَلَيْنَا رَاعٍ مِنَ الْجَعْبَلِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَاعِي بَعْنَا شَاةً مِنْ هَذِهِ الْغَنَمِ فَقَالَ الرَّاعِي إِنَّهُ مَمْلُوكٌ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: قُلْ لِسَيِّدِكَ أَكَلَهَا الذِّئْبُ، فَقَالَ الْعَبْدُ: أَيْنَ اللَّهُ؟ فَبَكَى عُمَرُ، وَغَدَا عَلَى سَيِّدِ الرَّاعِي فَاشْتَرَاهُ مِنْهُ وَاعْتَقَهُ.

٥ - حُكِيَ عَنْ بَعْضِ الصَّالِحِينَ أَنَّهُ مَرَّ بِجَمَاعَةٍ يَتَرَامُونَ، وَوَاحِدٌ جَالِسٌ بَعِيداً عَنْهُمْ فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَأَرَادَ أَنْ يُكَلِّمَهُ، فَقَالَ لَهُ: ذِكْرُ اللَّهِ أَشْهَى، قَالَ أَنْتَ وَحْدَكَ؟ فَقَالَ مَعِيَ رَبِّي وَمَلَكَائِي، قَالَ لَهُ مِنْ سَبَقَ مِنْ هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ مَنْ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، قَالَ: أَيْنَ الطَّرِيقُ؟ فَأَشَارَ نَحْوَ السَّمَاءِ، وَقَامَ وَمَشَى.

٦ - وَحُكِيَ أَنَّ «زَلِيخَا» لَمَّا خَلَّتْ بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَامَتْ فَغَطَّتْ وَجْهَ صَنَمٍ لَهَا، فَقَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا لَكَ؟ أَتَسْتَحِينَ مِنْ مُرَاقَبَةِ جَمَادٍ وَلَا أَسْتَحِي مِنْ مُرَاقَبَةِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ؟

وَأَنشَدَ بَعْضُهُمْ:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ، وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ
وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ يَغْفُلُ سَاعَةً وَلَا أَنَّ مَا تُخْفِي عَلَيْهِ يَغِيبُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْيَوْمَ أُسْرِعَ ذَاهِبٌ وَأَنَّ غَدًا لِلنَّاطِرِينَ قَرِيبٌ

ح - الْمَحَاسِبَةُ: وَهِيَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْمُسْلِمُ عَامِلًا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ لَيْلَ نَهَارٍ عَلَى

ما يُسَعِّدُهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَيُؤَهِّلُهُ لِكِرَامَتِهَا، وَرِضْوَانِ اللَّهِ فِيهَا وَكَانَتْ الدُّنْيَا هِيَ
مَوْسِمُ عَمَلِهِ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الْفَرَائِضِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْهِ كَنْظَرِ التَّاجِرِ إِلَى رَأْسِ مَالِهِ،
وَيَنْظُرَ إِلَى النُّوَافِلِ نَظَرَ التَّاجِرِ إِلَى الْأَرْبَاحِ الزَّائِدَةِ عَلَى رَأْسِ الْمَالِ، وَيَنْظُرَ إِلَى
الْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ كَالْخَسَارَةِ فِي التِّجَارَةِ، ثُمَّ يَخْلُو بِنَفْسِهِ سَاعَةً مِنْ آخِرِ كُلِّ يَوْمٍ
يُحَاسِبُ نَفْسَهُ فِيهَا عَلَى عَمَلِ يَوْمِهِ، فَإِنْ رَأَى نَقْصًا فِي الْفَرَائِضِ لَامَهَا وَوَبَّخَهَا، وَقَامَ
إِلَى جَبْرِهِ فِي الْحَالِ فَإِنْ كَانَ مِمَّا يُقْضَى قَضَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا لَا يُقْضَى جَبْرُهُ بِالْإِكْتَارِ
مِنَ النُّوَافِلِ، وَإِنْ رَأَى نَقْصًا فِي النُّوَافِلِ عَوَّضَ النَّاقِصَ وَجَبَرَهُ. وَإِنْ رَأَى خَسَارَةً
بَارْتَكَابِ الْمُنْهِيِّ اسْتَغْفَرَ وَنَدِمَ وَأَنَابَ وَعَمِلَ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَرَاهُ مُصْلِحًا لِمَا أَفْسَدَ.

هَذَا هُوَ الْمَرَادُ مِنَ الْمَحَاسَبَةِ لِلنَّفْسِ، وَهِيَ إِحْدَى طُرُقِ إِصْلَاحِهَا، وَتَأْدِيبِهَا
وَرَتَكِيتِهَا وَتَطْهِيرِهَا وَأَدْلَتُهَا مَا يَأْتِي :

قَالَ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ، وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^(١) فَقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ) هُوَ أَمْرٌ بِالْمَحَاسَبَةِ
لِلنَّفْسِ عَلَيْهِ مَا قَدَّمَتْ لِغَدِهَا الْمُنْتَظَرِ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢) وَقَالَ ﷺ : إِنِّي لَأَتُوبُ إِلَى اللَّهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي الْيَوْمِ
مِائَةً مَرَّةً. وَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُورَثُوا»^(٣). وَكَانَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ يَضْرِبُ قَدَمَيْهِ بِالْذِّرَّةِ (عَصَاً) وَيَقُولُ لِنَفْسِهِ : مَاذَا
عَمِلْتَ الْيَوْمَ ؟.

وَأَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا شَغَلَتْهُ حَدِيقَتُهُ عَنْ صَلَاتِهِ خَرَجَ مِنْهَا صَدَقَةً لِلَّهِ
تَعَالَى فَلَمْ يَكُنْ هَذَا مِنْهُ إِلَّا مُحَاسَبَةً لِنَفْسِهِ، وَعِتَابًا لَهَا وَتَأْدِيبًا^(٤).

(١) الحشر.

(٢) النور.

(٣) وفي هذا المعنى ما رواه الترمذي بسند حسن عن النبي صلى الله عليه وسلم : «الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني».

(٤) في الصحيح .

وَحُكِّيَ عَنِ الْاِحْتَفِ بْنِ قَيْسٍ أَنَّهُ كَانَ يَجِيءُ إِلَى الْمَصْبَاحِ فَيَضَعُ أَصْبَعَهُ فِيهِ حَتَّى يُحَسَّ بِالنَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ يَا حَنِيفُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ يَوْمَ كَذَا؟ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ يَوْمَ كَذَا؟

وَحُكِّيَ أَنَّ أَحَدَ الصَّالِحِينَ كَانَ غَازِيًا فَتَكَشَّفَتْ لَهُ امْرَأَةٌ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَرَفَعَ يَدَهُ، وَلَطَمَ عَيْنَهُ فَقَقَّاهَا، وَقَالَ إِنَّكَ لِلْحَاطِظَةِ إِلَى مَا يَضُرُّكَ!

وَمَرَّ بَعْضُهُمْ بِغُرْفَةٍ فَقَالَ: مَتَى بُنِيتَ هَذِهِ الْغُرْفَةَ؟. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: تَسْأَلُنِي عَمَّا لَا يَعْنِيكَ لِأَعَابِنُكَ بِصَوْمِ سَنَةٍ فَصَامَهَا. وَرُويَ أَنَّ أَحَدَ الصَّالِحِينَ كَانَ يَنْطَلِقُ إِلَى الرَّمْضَاءِ فَيَتَمَرَّغُ فِيهَا وَيَقُولُ لِنَفْسِهِ: ذُوقِي، وَنَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا، أَجِيفَةُ بِاللَّيْلِ بَطَالَةً بِالنَّهَارِ؟. . وَأَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ يَوْمًا رَأْسَهُ إِلَى سَطْحٍ فَرَأَى امْرَأَةً فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَاتَّخَذَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى السَّمَاءِ مَا دَامَ حَيًّا.

هَكَذَا كَانَ الصَّالِحُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَحَاسِبُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنْ تَفْرِيطِهَا، وَيُلْوِمُونَهَا عَلَى تَقْصِيرِهَا، يُلْزِمُونَهَا التَّقْوَى، وَيَنْهَوْنَهَا عَنِ الْهَوَىِّ عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ، وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىِّ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ (١).

د- الْمَجَاهِدَةُ: وَهِيَ أَنْ يَعْلَمَ الْمُسْلِمُ أَنَّ أَعْدَى أَعْدَائِهِ إِلَيْهِ هُوَ نَفْسُهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ، وَأَنَّهَا طَبْعُهَا مَيَّالَةٌ إِلَى الشَّرِّ، فَرَارَةٌ مِنَ الْخَيْرِ، أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ: ﴿وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (٢). تُجِبُّ الدَّعَةَ وَالْخُلُودَ إِلَى الرَّاحَةِ، وَتَرْغَبُ فِي الْبَطَالَةِ وَتَنْجَرِفُ مَعَ الْهَوَىِّ تَسْتَهْوِيهَا الشَّهَوَاتُ الْعَاجِلَةُ وَإِنْ كَانَ فِيهَا حَتْفُهَا وَشَقَاؤُهَا.

فَإِذَا عَرَفَ الْمُسْلِمُ هَذَا عِبًّا نَفْسَهُ لِمَجَاهِدَةِ نَفْسِهِ فَأَعْلَنَ عَلَيْهَا الْحَرْبَ وَشَهَرَ ضِدَّهَا السَّلَاحَ وَصَمَّمَ عَلَى مَكَافَحَةِ رُغُونَاتِهَا، وَمَنَاجَزَةِ شَهَوَاتِهَا، فَإِذَا أَحْبَبَتِ الرَّاحَةَ أَتَعَبَهَا. وَإِذَا رَغِبَتْ فِي الشَّهْوَةِ حَرَمَهَا، وَإِذَا قَصُرَتْ فِي طَاعَةٍ أَوْ خَيْرٍ عَاقَبَهَا وَلَا مَهَا، ثُمَّ أَلْزَمَهَا بِفِعْلٍ مَا قَصُرَتْ فِيهِ، وَبِقَضَاءِ مَا فَوَّتَتْهُ أَوْ تَرَكَتْهُ. يَأْخُذُهَا بِهَذَا التَّأْدِيبِ حَتَّى

(١) النازعات.

(٢) يوسف.

تَطْمِئْنَ وتَطَهَّرَ وتَطَيَّبَ، وتلك غايَةُ المجَاهِدَةِ للنفسِ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

والمُسْلِمُ إِذْ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللَّهِ لِتَطْيِبِ وتَطَهَّرَ وَتَزَكُو وتَطْمِئْنَ، وتَصْبَحَ أَهْلًا لِكِرَامَةِ اللَّهِ تعالى ورضاه يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا هُوَ دَرْبُ الصَّالِحِينَ وَسَبِيلُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ فَيَسْلُكُهُ مَقْتَدِيًّا بِهِمْ وَيَسِيرُ مَعَهُ مَقْتَفِيًّا أَثَارَهُمْ. فرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ اللَّيْلَ حَتَّى تَفْطَرَتْ قَدَمَاهُ الشَّرِيفَتَانِ، وَسِئَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ^(٢) فَقَالَ: «أَفَلَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟». أَيُّ مُجَاهِدَةٍ أَكْبَرُ مِنْ هَذِهِ الْمُجَاهِدَةِ وَأَيُّمُ اللَّهِ؟!. وَعَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمَا أَرَى شَيْئًا يُشَبِّهُهُمْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْنًا غُبْرًا صُفْرًا قَدْ بَاتُوا سُجَّدًا وَقِيَامًا، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ يُرَاقِحُونَ بَيْنَ أَقْدَامِهِمْ وَجِبَاهِهِمْ، وَكَانُوا إِذَا ذَكَرُوا اللَّهَ مَا ذُكِرَ يَمِيدُ الشَّجَرُ فِي يَوْمِ الرِّيحِ، وَهَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ ثِيَابُهُمْ».

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْلَا ثَلَاثٌ مَا أَحْبَبْتُ الْعِيشَ يَوْمًا وَاحِدًا: الظُّمَأُ لِلَّهِ بِالْهَوَاجِرِ، وَالسُّجُودُ لَهُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، وَمُجَالَسَةُ أَقْوَامٍ يَتَّقُونَ أَطْيَبَ الْكَلَامِ. كَمَا يُتَّقَى أَطْيَبُ الثَّمَرِ. وَعَاتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَفْسَهُ عَلَى تَقْوِيَتِ صَلَاةِ عَصْرٍِ فِي جَمَاعَةٍ، وَتَصَدَّقَ بِأَرْضٍ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تُقَدَّرُ قِيَمَتُهَا بِمِائَتِي أَلْفِ دِرْهَمٍ. وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا فَاتَتْهُ صَلَاةٌ فِي جَمَاعَةٍ أَحْيَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ بِكَامِلِهَا؛ وَأَخَّرَ يَوْمًا صَلَاةَ الْمَغْرِبِ حَتَّى طَلَعَ كَوْكَبَانِ فَأَعْتَقَ رَقَبَتَيْنِ. وَكَانَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: رَجِمَ اللَّهُ أَقْوَامًا يَحْسِبُهُمُ النَّاسُ مَرْضَى، وَمَا هُمْ بِمَرْضَى، وَذَلِكَ مِنْ أَثَارِ مُجَاهِدَةِ النَّفْسِ. وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسَنَ عَمَلُهُ»^(٣). وَكَانَ أُوَيْسُ الْقُرْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: «هَذِهِ لَيْلَةُ الرُّكُوعِ فَيُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي رَكْعَةٍ، وَإِذَا كَانَتْ اللَّيْلَةُ الْآتِيَةُ قَالَ: هَذِهِ لَيْلَةُ السُّجُودِ فَيُحْيِي اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي سَجْدَةٍ»^(٤). وَقَالَ ثَابِتُ الْبُنَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَدْرَكْتُ رَجُلًا كَانَ أَحَدَهُمْ

(١) العنكبوت.

(٣) الترمذي وحسنه.

(٢) ثابت في الصحيح.

(٤) أورد هذه الآثار الطيبة الإمام الغزالي في الاحياء.

يُصَلِّي فيعجزُ أن يأتِيَ فراشه إلا حَبْوًا، وكان أحدهم يقوم حتى تتورَّم قدماه من طول القيام، ويبلغ من الاجتهاد في العبادة مَبْلَغًا مَا لَوْ قِيلَ لَهُ: القيامةُ غداً ما وَجَدَ مَزِيداً. وكان إذا جاء الشتاءُ يقوم في السطح ليضربه الهواء البارد فلا ينام، وإذا جاء الصيفُ قام تحت السقف ليمنعه الحرُّ من النوم، وكان بعضهم يموت وهو ساجدٌ. وقالت امرأةٌ مسروقةٍ رحمَهُ اللَّهُ تعالى: كانَ مسروقٌ لا يُوجدُ إلا وساقاهُ منتفختانِ من طول القيام، وواللهُ إن كنتُ لأجلسُ خلفَهُ وهو قائمٌ يصلي فأبكي رحمةً لَهُ. وكان مِنْهُمْ من إذا بلغ الأربعينَ من عُمرِهِ طوى فراشه فلا ينامُ عليه قطُّ. ويروى أن امرأةً صالحةً من صالحِي السلفِ يُقالُ لها عَجْرَةُ مكفوفةُ البصرِ كانت إذا جاء السحرُ نادَتْ بصوتٍ لها مَحْزُونٍ: إِلَيْكَ قطعَ العابدونَ دُجَى اللَّيالي يَسْتَبِقُونَ إلى رحمتِكَ، وفضلِ مغفرتِكَ، فَبِكَ يَا إِلَهِي أسألكَ لا بغيرِكَ أن تجعلَنِي في أَوَّلِ زُمْرَةِ السابقينَ، وأن ترفعَنِي لَدَيْكَ في عِلِّيِّينَ، في درَجَةِ المقرَّبِينَ، وأن تُلحِقَنِي بعبادِكَ الصالحينَ، فأنْتَ أرحمُ الراحمينَ وأعظمُ العَظَماءِ، وأكرمُ الكَرَماءِ، يا كريمُ، ثم تَجُرُّ ساجدةً ولا تزالُ تدعو وتبكي إلى الفجرِ.

الفصل السادس

في الأدب مع الخلق

أ - الوالدان :

يؤمنُ المسلمُ بحَقِّ الوالدينِ عليه وَوَاجِبِ بِرِّهِمَا وطاعتهما والإحسانِ إليهما لا لكونيهما سببَ وجودِهِ فحَسْبُ، أو لكونيهما قَدِّمًا لَهُ من الجميلِ والمعروفِ مَا وَجَبَ مَعَهُ مكافأتهما بالمِثْلِ بَلْ لَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْجَبَ طَاعَتَهُمَا، وَكَتَبَ عَلَى الْوَلَدِ بِرَّهُمَا وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِمَا حَتَّى قَرَنَ ذَلِكَ بِحَقِّهِ الْوَاجِبِ لَهُ من عبادِيهِ وَحَدَّهُ دُونَ غَيْرِهِ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَقَضَى^(١) رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، إِمَّا يَلُفُّنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا، وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^(٢). وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي غَامِثٍ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾^(٣). وَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِلرَّجُلِ الَّذِي سَأَلَهُ قَائِلًا «مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ صُحْبَتِي؟ قَالَ أُمُّكَ قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أُمُّكَ قَالَ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: أَبُوكَ^(٤)» وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمِّهَاتِ، وَمَنْعَ وَهَاتِ، وَوَادَ الْبَنَاتِ، وَكَرِهَ لَكُمْ قَيْلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ^(٥)» وَقَالَ ﷺ: «أَلَا أَنْبِئُكُمْ بِأكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَكَانَ مَتَكِنًا فَجَلَسَ وَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ

(٣) لقمان.

(١) قضى: أمر والزم.

(٤ ، ٥) متفق عليها.

(٢) الإسراء.

الزُّور وشهادة الزُّور فما زالَ يقولُها حتَّى قالَ أبو بكرة، قلتُ لَيْتَهُ سَكَتَ^(١)» وقالَ ﷺ: «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ»^(٢). وقالَ عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللَّهُ عنه «سألتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ قالَ بُرُّ الْوَالِدَيْنِ، قلتُ ثمَّ أَيُّ؟ قالَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وجاءَ رَجُلٌ إِلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ «أَحْيٍ وَالذَّاك؟ قالَ نَعَمْ، قالَ فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»^(٣). وجاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَقِيَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ بُرِّ أَبَوَيَّ بَعْدَ مَوْتِهِمَا أَتَبْرُهُمَا بِهِ؟ قالَ نَعَمْ، خِصَالُ أَرْبَعٍ: الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا، وَصَلَةُ الرَّجِمِ الَّتِي لَا رَجِمَ لَكَ إِلَّا مِنْ قَبْلِهَا، فَهُوَ الَّذِي بَقِيَ عَلَيْكَ مِنْ بَرِّهِمَا بَعْدَ مَوْتِهِمَا»^(٤)، وقالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ مِنْ أَبَرِّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلًا وَدَّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ الْأَبُ»^(٥).

والمسلمُ إذْ يَعْتَرِفُ بِهَذَا الْحَقِّ لَوَالِدَيْهِ وَيُؤَدِّيهِ كَامِلًا طَاعَةً لِلَّهِ تَعَالَى، وَتَنْفِيزًا لَوْصِيَّتِهِ فَإِنَّهُ يَلْتَزِمُ كَذَلِكَ إِزَاءَ وَالِدَيْهِ بِالْآدَابِ الْآتِيَةِ:

١ - طاعتهما في كل ما يأمران به، أو ينهيان عنه مما ليس فيه معصية لله تعالى ومخالفة لشريعته إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا، وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(٦). وقول الرسول ﷺ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ» وقوله ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

٢ - توقيرُهُما وتعظيمُ شأنِهِما، وَخَفْضُ الْجَنَاحِ لَهُمَا، وَتَكْرِيمُهُمَا بِالْقَوْلِ. وبالفعلِ فلا يَنْهَرُهُمَا، ولا يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَوْقَ صَوْتِهِمَا، ولا يَمْشِي أَمَامَهُمَا، ولا يُؤَثِّرُ عَلَيْهِمَا زَوْجَةً، ولا وَلَدًا، ولا يَدْعُوهُمَا بِأَسْمِهِمَا، بَلْ يَا أَبَيَّ وَيَا أُمِّي، ولا يُسَافِرُ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا وَرِضَاهُمَا.

(١) متفق عليها.

(٢) مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) لقمان.

(٥) أبو داود.

٣ - برهما بكل ما تصل اليه يداؤه، وتتسع له طاقته من أنواع البر والإحسان، كإطعاميهما وكسوتيهما، وعلاج مريضيهما، ودفع الأذى عنهما، وتقديم النفس فداءً لهما.
٤ - صلة الرّجيم التي لا رّجيم له إلا من قبلهما والدعاء والاستغفار لهما وإنفاذ عهديهما وإكرام صديقيهما.

ب - الأولاد:

المسلم يُعترف بأنّ للولد حقوقاً على والديه يجب عليه أداؤها له، وآداباً يلزمه القيام بها إزاءه، وهي تتمثل في اختيار والدته وحسن تسميته، وذبح العقيدة عنه يوم سابعه، وختانه ورحمته والرفق به، والنفقة عليه، وحسن تربيته، والاهتمام بتثقيفه وتأديبه وأخذه بتعاليم الإسلام وتمريه على أداء فرائضه وسننه وآدابه حتى إذا بلغ زوجه، ثم خيره بين أن يبقى تحت رعايته، وبين أن يستقل بنفسه، وبني مجده بيده وذلك لأدلة الكتاب والسنة التالية:

١ - قوله تعالى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾^(١). وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون﴾^(٢). ففي هذه الآية الأمر بوقاية الأهل من النار وذلك بطاعة الله تعالى وطاعته تعالى تستلزم معرفة ما يجب تعالى أن يطاع فيه، وهذا لا يتأتى بغير التعلم، ولما كان الولد من جملة أهل الرجل كانت الآية دليلاً على وجوب تعليم الوالد ولده وتربيته وإرشاده وحمله على الخير والطاعة لله ولرسوله، وتجنبيه الكفر والمعاصي والمفاسد والشُرور ليقية بذلك عذاب النار.

كما أن في الآية الأولى: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن﴾ الآية، دليل وجوب نفقة الولد على الوالد؛ إذ النفقة الواجبة للمرضعة كانت بسبب إرضاعها الولد، وقال تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾^(٣)،^(٤).

(١) البقرة.

(٢) البقرة.

(٣) خوف الفقر.

(٤) التحريم.

٢ - قَوْلُهُ ﷺ لَمَّا سُئِلَ عَنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدَاءً وَهُوَ خَلَقَكَ، أَوْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةً أَنْ يُطِيعَ مَعَكَ، أَوْ تَزْنِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ»^(١) فالمنع من قتل الأولاد مستلزم لرحمتهم والشفقة عليهم والمحافظة على أجسامهم وعقولهم وأرواحهم، وقال ﷺ في العقيقة على الولد «الغلام مُرْتَهَنٌ بِعَقِيْقَةٍ تَذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ، وَيُسَمَّى فِيهِ وَيُحَلَّقُ رَأْسُهُ»^(٢). وقال: «الفطرة خمس: الختان، والاستحذاء، وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الأبط»^(٣) وقال: «أَكْرَمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا آدَابَهُمْ، فَإِنَّ أَوْلَادَكُمْ هَدِيَّةُ الْيُكُم»^(٤) وقال عليه الصلاة والسلام «سَاوُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ، فَلَوْ كُنْتُ مُفْضِلاً أَحَدًا لَفَضَّلْتُ النِّسَاءَ»^(٥) وقال «عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ لَسَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^(٦) ونجاء في الأثر من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه، ويحسن اسمه، وقال عمر رضي الله عنه من حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والرماية وأن لا يرزقه إلا حلالاً طيباً، ويروى عنه أيضاً قوله تَزَوَّجُوا فِي الْحَجْرِ الصَّالِحِ؛ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ، وقد امتن أعرابي على أولاده بإحتيَار أميهم فقال:

وَأَوَّلُ إِحْسَانِي إِلَيْكُمْ تَخْيِيرِي لِمَاجِدَةِ الْأَعْرَاقِ بَادٍ عَفَافُهَا

ج - الأخوة:

المسلم يرى أن الأدب مع الإخوة كالأدب مع الآباء والأبناء سواءً، فعلى الإخوة الصغار من الأدب نحو إخوتهم الكبار ما كان عليهم لإبائهم وأن على الإخوة الكبار نحو إخوتهم الصغار ما كان لأبوتهم عليهم من حقوق وواجبات وآداب وذلك لما ورد «حَقُّ كَبِيرِ الْإِخْوَةِ عَلَى صَغِيرِهِمْ كَحَقِّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ»^(٧). ولقوله ﷺ: «بُرٌّ أُمُّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتُكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ فَأَدْنَاكَ».

(١) متفق عليه.

(٢) أصحاب السنن وصححه الترمذي.

(٣) البيهقي والطبراني وحسنه والحافظ بسنده.

(٤) أبو داود والترمذي وحسنه.

(٥) الجماعة.

(٦) البيهقي وهو ضعيف.

(٧) ابن ماجه بسند ضعيف.

د - الزوجان :

المسلم يعترف بالآداب المتبادلة بين الزوج وزوجته، وهي حقوق كل منهما على صاحبه وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ﴾ فهذه الآية الكريمة قد أثبتت لكل من الزوجين حقوقاً على صاحبه وخصت الرجل بمزيد درجة لاعتبارات خاصة. وقول الرسول ﷺ في حجة الوداع «أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا^(١)» غير أن هذه الحقوق بعضها مشترك بين كل من الزوجين، وبعضها خاص بكل منهما على حدة، فالحقوق المشتركة هي:

١ - الأمانة؛ إذ يجب على كل من الزوجين أن يكون أميناً مع صاحبه فلا يخونه في قليل ولا كثير، إذ الزوجان أشبه بشريكتين فلا بد من نوفر الأمانة، والنصح والصدق والإخلاص بينهما في كل شأن من شؤون حياتهما الخاصة والعامة.

٢ - المودة والرحمة بحيث يحمل كل منهما لصاحبه أكبر قدر من المودة الخالصة، والرحمة الشاملة يتبادلانها بينهما طيلة الحياة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾. تحقيقاً لقول الرسول عليه الصلاة والسلام «مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ»^(٢).

٣ - الثقة المتبادلة بينهما بحيث يكون كل منهما واثقاً في الآخر ولا بخامره أدنى شك في صدقه ونصحه وإخلاصه له وذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٣). وقول الرسول ﷺ «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(٤) والرابطة الزوجية لا تزيد أخوة الإيمان إلا توثيقاً وتوكيداً وتقوية.

وبذلك يشعر كل من الزوجين أنه هو عين الآخر وذاته، وكيف لا يثق الإنسان في نفسه ولا ينصح لها؟ أو كيف يعش المرأة نفسها ويخضعها؟

٤ - الآداب العامة من رفق في المعاملة، وطلاقة وجه وكرم قول وتقدير

(١) رواه أصحاب السنن وصححه الترمذي . (٣) الحجرات .

(٢) الطبراني بسند صحيح . (٤) الشخان وغيرهما ،

وَاحْتِرَامٍ ، وَهِيَ الْمَعَاشِرَةُ بِالْمَعْرُوفِ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١) . وَهِيَ الْاسْتِصَاءُ بِالْخَيْرِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ الْعَظِيمُ فِي قَوْلِهِ «وَأَسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»^(٢) فَهَذِهِ جَمَلَةٌ مِنَ الْأَدَابِ الْمَشْتَرَكَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ، وَالَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَّبَذَلَاهَا بَيْنَهُمَا عَمَلًا بِالْمِيثَاقِ الْغَلِيظِ الَّذِي أُشِيرَ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾^(٣) . وَطَاعَةً لِلَّهِ الْقَائِلِ سُبْحَانَهُ : ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ .
وَأَمَّا الْحُقُوقُ الْمُخْتَصَّةُ ، وَالْأَدَابُ الَّتِي يُلْزَمُ كُلُّا مِنَ الزَّوْجَيْنِ أَنْ يَقُومَ بِهَا وَحْدَهُ نَحْوَ زَوْجِهِ فَهِيَ :

أَوَّلًا - حُقُوقُ الزَّوْجَةِ عَلَى الزَّوْجِ :

يَجِبُ عَلَى الزَّوْجِ إِزَاءَ زَوْجَتِهِ الْقِيَامُ بِالْأَدَابِ التَّالِيَةِ :

١ - أَنْ يُعَاشِرَهَا بِالْمَعْرُوفِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فَيُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمَ ، وَيَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَى ، وَيُؤَدِّبُهَا إِذَا خَافَ نَشْوَرَهَا بِمَا أَمَرَ اللَّهُ أَنْ يُؤَدِّبَ النِّسَاءَ بِأَنْ يَعْظَمَهَا فِي غَيْرِ سَبٍّ وَلَا شَتْمٍ وَلَا تَقْبِيحٍ ، فَإِنْ أَطَاعَتْ وَلَا هَجَرَهَا فِي الْفِرَاشِ فَإِنْ أَطَاعَتْ وَلَا ضَرَبَهَا فِي غَيْرِ الْوَجْهِ ضَرْبًا غَيْرَ مَبْرَحٍ ، فَلَا يُسِيلُ دَمًا وَلَا يَشِينُ جَارِحَةً أَوْ يُعْطِلُ عَمَلٌ عِضْوٍ مِنَ الْأَعْضَاءِ عَنْ أَدَاءِ وَظِيفَتِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ نَشْوَرَ مِنْهُنَّ﴾^(٤) فَعِظُوهُنَّ ، وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾^(٥) وَلِقَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الَّذِي قَالَ لَهُ مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ فَقَالَ «أَنْ تُطْعِمَهَا إِنْ طَعِمْتَ ، وَتَكْسُوَهَا إِنْ اكْتَسَيْتَ ، وَلَا تُضْرِبَ الْوَجْهَ ، وَلَا تُقْبِحَ وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ»^(٦) وَقَوْلِهِ «أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ» وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ «لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً - أَي لَا يُبْغِضُهَا - إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خَلْقًا رَضِيَ آخَرَ» .

(١) البقرة . (٤) ترفعهن عن طاعتكم .

(٥) النساء .

(٦) أبو داود بإسناد حسن .

(٢) مسلم .

(٣) النساء .

٢ - أَنْ يَعْلَمَهَا الصَّرُورِيُّ مِنْ أُمُورِ دِينِهَا إِنْ كَانَتْ لَا تَعْلَمُ ذَلِكَ، أَوْ يَأْذَنَ لَهَا أَنْ تَحْضُرَ مَجَالِسَ الْعِلْمِ لِتَعْلَمَ ذَلِكَ؛ إِذْ حَاجَتُهَا لِإِصْلَاحِ دِينِهَا وَتَرْكِهٍ رُوحِهَا لَيْسَتْ أَقْلٌ مِنْ حَاجَتِهَا إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ الْوَاجِبِ بَذْلُهُمَا وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(١). وَالْمَرْأَةُ مِنَ الْأَهْلِ وَوَقَايَتُهَا مِنَ النَّارِ بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ حَتَّى يُمَكِّنَ أَدَاؤَهُ وَالْقِيَامَ بِهِ عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ شَرْعاً، وَلِقَوْلِهِ ﷺ «أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ - أَسِيرَاتٌ - عِنْدَكُمْ»^(٢) وَمِنْ الْأَسْتِصَاءِ بِهَا خَيْرٌ أَنْ تَعْلَمَ مَا تُصْلِحُ بِهِ دِينَهَا وَأَنْ تُؤَدَّبَ بِمَا يَكْفُلُ لَهَا الْأَسْتِصَاءَةَ وَصَلَاحَ الشَّانِ.

٣ - أَنْ يُلْزِمَهَا بِتَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ وَأَذَايِهِ وَأَنْ يَأْخُذَهَا بِذَلِكَ أَخْذاً فَيَمْنَعُهَا أَنْ تُسْفِرَ أَوْ تَتَّبَرَّجَ وَيَحُولَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْإِخْتِلَاطِ بِغَيْرِ مَحَارِمِهَا مِنَ الرِّجَالِ كَمَا عَلَيْهِ أَنْ يُؤَفِّرَ لَهَا حَصَانَةً كَافِيَةً وَرِعَايَةً وَافِيَةً، فَلَا يَسْمَحُ لَهَا أَنْ تَفْسُدَ فِي خُلُقٍ أَوْ دِينٍ وَلَا يَفْسَحَ لَهَا الْمَجَالُ أَنْ تَفْسُقَ عَنْ أَوَامِرِ اللَّهِ وَرُسُولِهِ أَوْ تَفْجُرَ؛ إِذْ هُوَ الرَّاعِي الْمَسْئُولُ عَنْهَا وَالْمَكْلُوفُ بِحِفْظِهَا وَصِيَانَتِهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(٣). «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^(٤).

٤ - أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ ضَرَرَتِهَا، إِنْ كَانَ لَهَا ضَرَرَةٌ، يَعْدِلُ بَيْنَهُمَا فِي الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَاللِّبَاسِ، وَالسَّكَنِ وَالْمِهْنِ فِي الْفِرَاشِ، وَأَنْ لَا يَحِيفَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، أَوْ يَجُورَ وَيَظْلِمَ إِذْ حَرَّمَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ «وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ إِيْمَانُكُمْ» وَالرَّسُولُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ وَصَّى بِهِنَّ الْخَيْرَ فَقَالَ «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»^(٥).

٥ - أَنْ لَا يُفْشِيَ سِرَّهَا، وَأَلَّا يَذْكَرَ غَيْباً فِيهَا، إِذْ هُوَ الْأَمِينُ عَلَيْهَا، وَالْمَطَالِبُ بِرِعَايَتِهَا وَالذُّودِ عَنْهَا لِقَوْلِهِ ﷺ «إِنْ مِنْ شَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»^(٦).

(١) التحريم. (٤) النساء.

(٦) مسلم.

(٥) الطبراني بإسناد حسن.

(٣، ٢) متفق عليهما.

ثانياً - حقوق الزوج على الزوجة

يجب على الزوجة نحو زوجها القيام بالحقوق والآداب الآتية:

١ - طاعته في غير معصية الله تعالى: «فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً»، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأت به فبات غضباناً عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»^(١). وقوله: «لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»^(٢).

٢ - صيانه عرض الزوج والمحافظة على شرفها، ورعاية ماله وولده وسائر شؤون منزله لقوله تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾^(٣) وقول الرسول ﷺ: «والمرأة راعية على بيت زوجها وولده»^(٤). وقوله: «فحقوقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون».

٣ - لزوم بيت زوجها فلا تخرج منه إلا بإذنه ورضاه وعض طرفها - عيها - وخفض صوتها، وكف يدها عن السوء، ولسانها عن النطق بالفحش والبذاء، أساءت إلى والديه أو أقاربه، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾^(٥). وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾. وقوله: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾^(٦). وقوله: ﴿وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ، وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾. وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالك»^(٧). وقوله: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وإذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها»^(٨). وقوله: «ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد».

(١) ١، ٤ متفق عليهما.

(٢) النساء.

(٣) الطبراني بإسناد صحيح.

(٤) أبو داود والحاكم وصححه الترمذي.

(٥) مسلم وأحمد.

(٦) النساء.

(٧) مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي.

(٨) النساء.

هـ - الأَدَبُ مَعَ الْأَقَارِبِ :

المسلم يلتزم لأقاربه وذوي رَحِمِهِ بنفسِ الآدابِ التي يلتزمها لوالديه وولديه وإخوته فيُعَامِلُ خَالَتهُ معاملةً أُمِّه، وعمتهُ معاملةً أُمِّه، وكما يُعَامِلُ الأبَ والأمَّ يُعَامِلُ الخالَ والعَمَّ في كلِّ مظهرٍ من مظاهرِ طاعةِ الوالدين وبرِّهما والإحسانِ إليهما. فكلُّ مَرَّ جَمَعَتْهُمُ وإيَّاهُ رَجِمَ واجدةً من مؤمنين وكافرٍ إعتبرَهُمُ من ذوي رَحِمِهِ الواجبِ صِلَتُهُمُ، وبرُّهُمُ، والإحسانُ إليهم. والتزمَ لَهُمُ بنفسِ الآدابِ والحقوقِ التي يلتزمُ بها لولده ووالديه، فيؤَقِّرُ كبيرَهُمُ، ويرحَمُ صغيرَهُم، ويعودُ مريضَهُمُ، ويواسي مَنكوبَهُم، ويُعزِّي مُصابَهُم. يَصِلُهُمُ وإنْ قَطَعُوهُ، ويلينُ لَهُمُ، وإنْ قَسَوْا مَعَهُ وَجَرُوا عَلَيْهِ. وكلُّ ذَلِكَ مِنْهُ تَمَشُّ مَعَ مَا تُوجِيهِ هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ وَالْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ الشَّرِيفَةُ وَتَأْمُرُ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾^(١). وَقَالَ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^(٢). ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾^(٣). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابِرِ السَّبِيلِ، ذَلِكَ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤). وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾^(٥). وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً، وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى، وَالْجَارِ الْجُنُبِ، وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٦). وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ، وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾^(٧). وَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ، وَهَذِهِ الرَّجْمُ شَقَقْتُ لَهَا اسْماً مِنْ إِسْمِي، فَمَنْ صَلَّى وَصَلَتْهُ إِيَّاهُ فَطَعَنَها فَطَعَنَتْهُ». وَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَحَدُ أَصْحَابِهِ مَنْ أَكْبَرُ؟ فَقَالَ: «أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ الْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ». وَسُئِلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَمَّا

(١) النساء.

(٢) الأحزاب.

(٣) محمد.

(٤) الروم.

(٥) النحل.

(٦) النساء.

(٧) النساء.

يُدْخِلُ الْجَنَّةَ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَيُبَاعِدُ عَنِ النَّارِ. فَقَالَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تَشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتَقِيْمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ»^(١). وَقَالَ فِي الْخَالَةِ «إِنَّهَا بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ»^(٢). وَقَالَ: «الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ»^(٣). وَقَالَ لِأَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَقَدْ سَأَلَتْهُ عَنْ صِلَتِهَا أُمَّهَا حِينَمَا قَدِمَتْ عَلَيْهَا مِنْ مَكَّةَ مَشْرِكَةً فَقَالَ لَهَا: «نَعَمْ صِلِي أُمِّكَ».

و- الْأَدَبُ مَعَ الْجِيرَانِ:

الْمُسْلِمُ يَعْتَرِفُ بِمَا لِلجَارِ عَلَى جَارِهِ مِنْ حُقُوقٍ، وَأَدَابٍ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مِنَ الْمُجَاوِزِينَ بِذَلِكَ لَجَارِهِ وَإِعْطَاؤَهَا لَهُ كَامِلَةً، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى، وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾^(٤). وَقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «مَا زَالَ جَبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورَّثُهُ»^(٥). وَقَوْلِهِ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»^(٦).

١ - عَدَمُ أَذِيَّتِهِ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ»^(٧). وَقَوْلِهِ: وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، فَقِيلَ لَهُ مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بِوَأَيْقِهِ»^(٨). وَقَوْلِهِ: «هِيَ فِي النَّارِ»، لِتِلْكَ قِيلَ لَهُ إِنَّهَا تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا»^(٩).

٢ - الْإِحْسَانُ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ بَأَنْ يَنْصُرَهُ إِذَا اسْتَنْصَرَهُ، وَيَعِينَهُ إِذَا اسْتَعَانَهُ، وَيَعُوذُهُ إِذَا مَرَضَ، وَيُهَيِّئَهُ إِذَا فَرِحَ، وَيُعْزِيهِ إِذَا أُصِيبَ، وَيَسَاعِدُهُ إِذَا احتَاجَ، يَبْدُوهُ بِالسَّلَامِ، وَيَلِينُ لَهُ الْكَلَامَ، يَتَلَطَّفُ فِي مِكَالَمَةِ وَلَدِهِ، وَيُرْشِدُهُ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ يَرَعَى جَانِبَهُ وَيَحْمِي حِمَاهُ، يَصْفَحُ عَنْ زَلَّاتِهِ، وَلَا يَتَطَلَّعُ إِلَى عَوْرَاتِهِ، لَا يُضَاقِقُهُ فِي بِنَاءٍ أَوْ مَمَرٍ، وَلَا يُؤْذِيهِ بِمِيزَابٍ يَصُبُّ عَلَيْهِ، أَوْ بِقَذَرٍ أَوْ وَسَخٍ يُلْقِيهِ أَمَامَ مَنْزِلِهِ، كُلُّ هَذَا مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ الْمَأْمُورُ بِهِ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ». وَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنِ إِلَى جَارِهِ»^(١٠).

(١) ١، ٢، ٥، ٦، ٧، ٨ متفق عليها. (٣) النسائي وابن ماجه والترمذي وحسنه.

(١٠) البخاري.

(٩) أحمد والحاكم وصحیح إسناده.

(٤) النساء.

٣ - إِكْرَامُهُ بِإِسْدَاءِ الْمَعْرُوفِ وَالْخَيْرِ إِلَيْهِ لِقَوْلِهِ ﷺ: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لَجَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةٍ»^(١) وقوله: «لَا يَبِي ذَرٍّ»: يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرْقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ»^(٢). وقوله لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا قَالَتْ لَهُ إِنَّ لِي جَارَتَيْنِ، فَأَلِي أَيْهَمَا أَهْلِي؟ قَالَ: «إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكَ بَابًا»^(٣).

٤ - احْتِرَامُهُ وَتَقْدِيرُهُ، فَلَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَضَعَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ، وَلَا يَبِيعُ أَوْ يُؤْجِرُ مَا يَتَّصِلُ بِهِ، أَوْ يَقْرُبُ مِنْهُ حَتَّى يَعْضُضَ عَلَيْهِ ذَلِكَ. وَيَسْتَشِيرُهُ لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَضَعَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ»^(٤). وقوله: «مَنْ كَانَ لَهُ جَارٌ فِي حَائِطٍ أَوْ شَرِيكٌ فَلَا يَبِيعُهُ حَتَّى يَعْضُضَهُ عَلَيْهِ»^(٥).

فائدتان:

الأولى: يُعْرِفُ الْمُسْلِمُ نَفْسَهُ إِذَا كَانَ قَدْ أَحْسَنَ إِلَى جِيرَانِهِ، أَوْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ بقولِ الرَّسُولِ ﷺ لِلَّذِي سَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ «إِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ قَدْ أَحْسَنْتَ، فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَإِذَا سَمِعْتَهُمْ يَقُولُونَ، قَدْ أَسَأْتُ فَقَدْ أَسَأْتُ»^(٦).

الثانية: إِذَا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُ بِجَارٍ سَوْءٍ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّ صَبْرَهُ سَيَكُونُ سَبَبَ خَلَاصِهِ مِنْهُ، فَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَشْكُو جَارَهُ فَقَالَ لَهُ: «اصْبِرْ، ثُمَّ قَالَ لَهُ فِي الثَّلَاثَةِ أَوْ الرَّابِعَةِ اطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ، فطَرَحَهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَمْرُؤُونَ بِهِ وَيَقُولُونَ مَا لَكَ؟. فيقول، آذَانِي جَارِي، فَيُلْعَنُونَ جَارَهُ حَتَّى جَاءَهُ وَقَالَ لَهُ: رُدِّ مَتَاعَكَ إِلَى مَنْزِلِكَ فَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أَعُودُ»^(٧).

ز - آدَابُ الْمُسْلِمِ وَحَقُوقُهُ

الْمُسْلِمُ يُؤْمِنُ بِمَا لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مِنْ حَقُوقٍ وَآدَابٍ تَجِبُ لَهُ عَلَيْهِ، فَيَلْتَزِمُ بِهَا وَيُؤَدِّيهِهَا لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ، وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا عِبَادَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَقَرَبَةٌ بِهَا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إِذْ هَذِهِ الْحَقُوقُ وَالْآدَابُ أَوْجَبَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِ لِيُقُومَ بِهَا نَحْوُ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، فَفِعْلُهَا إِذَا طَاعَةُ لِلَّهِ، وَقَرَبَةٌ لَهُ بِدُونِ شَكٍّ. وَمِنْ هَذِهِ الْآدَابِ وَالْحَقُوقِ مَا يَلِي:

(١) ١، ٢ البخاري. (٥) الحاكم وصححه. (٣)، (٤) متفق عليه. (٦) أحمد بسند جيد. (٧) أبو داود وغيره وهو صحيح.

١ - أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ قَبْلَ أَنْ يُكَلِّمَهُ فَيَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، وَيُصَافِحُهُ، وَيُرَدُّ الْمُسَلِّمُ عَلَيْهِ قَائِلًا: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾^(١) وَقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ «يُسَلِّمُ الرَّكَّابُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ»^(٢). وَقَوْلِهِ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَعَجَّبُ مِنَ الْمُسْلِمِ يَمُرُّ عَلَى الْمُسْلِمِ وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ»^(٣). وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ^(٤) وَقَوْلِهِ: «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لِهَمَا قَبْلَ أَنْ يَتَفَرَّقَا»^(٥). وَقَوْلِهِ: «مَنْ بَدَأَ بِالْكَلامِ قَبْلَ السَّلَامِ فَلَا تُجِيبُوهُ حَتَّى يَبْدَأَ بِالسَّلَامِ»^(٦).

٢ - أَنْ يَسْمِعْتَهُ إِذَا عَطَسَ بِأَنْ يَقُولَ لَهُ إِذَا حَمَدَ اللَّهَ تَعَالَى يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَيُرَدُّ الْعَاطِسُ عَلَيْهِ قَائِلًا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِي وَلَكَ، أَوْ يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بِالْكُم لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ، فَلْيَقُلْ لَهُ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بِالْكُم»^(٧). وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ رَسُولُ ﷺ إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَى فِيهِ وَخَفَضَ بِهَا صَوْتَهُ»^(٨).

٣ - أَنْ يَعُودَهُ إِذَا مَرِضَ، وَيَدْعُو لَهُ بِالشِّفَاءِ لِقَوْلِهِ ﷺ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ»^(٩). وَلِقَوْلِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ»^(١٠). وَلِقَوْلِهِ ﷺ: «عُودُوا الْمَرِيضَ، وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَفُكُّوا الْعَانِي - الْأَسِيرَ»^(١١) وَقَوْلِ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعُودُ بَعْضَ أَهْلِهِ فَيَمْسَحُ بِيَدِهِ اليمْنَى، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ، إِشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»^(١٢).

(١) النساء.

(٥) أبو داود وابن ماجه والترمذي.

(٢) ٢، ٤، ٨، ٩، ١١، ١٢ متفق عليها.

(٦) الطبراني وأبو نعيم وفي سنه لين.

(٣) قال الزين العراقي لم أقف له على أصل.

(٧) ١٠ البخاري.

٤ - أن يشهد جنازته إذا مات لقوله ﷺ: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ).

٥ - أن يُبْرِ قَسَمَهُ إذا أَقْسَمَ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ، وَكَانَ لَا مَحْذُورَ فِيهِ، فَيَفْعَلُ مَا حَلَفَ لَهُ مِنْ أَجْلِهِ حَتَّى لَا يَخْنَثَ فِي يَمِينِهِ. وَذَلِكَ لِحَدِيثِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ: (أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ).

٦ - أَنْ يَنْصَحَ لَهُ إِذَا اسْتَنْصَحَهُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، أَوْ أَمَرَ مِنَ الْأُمُورِ بِمَعْنَى أَنَّهُ يُبَيِّنُ لَهُ مَا يَرَاهُ الْخَيْرَ فِي الشَّيْءِ، أَوْ الصَّوَابَ فِي الْأَمْرِ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا اسْتَنْصَحَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَنْصَحْ لَهُ»^(١). وَقَوْلِهِ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ. وَسُئِلَ لِمَنْ؟ فَقَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»^(٢). وَالْمُسْلِمُ قَطْعًا مِنْ جُمْلَتِهِمْ.

٧ - أَنْ يُحِبَّ لَهُ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ. لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ»^(٣). وَقَوْلُهُ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(٤). وَقَوْلُهُ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا»^(٥).

٨ - أَنْ يَنْصُرَهُ وَلَا يَخْذُلَهُ فِي أَيِّ مَوْطِنٍ احتاج فيه إلى نصره وتأنيده، لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا». وَسُئِلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ كَيْفِيَةِ نَصْرِهِ وَهُوَ ظَالِمٌ فَقَالَ تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ بِمَعْنَى تَحْجُرُهُ عَنِ الظُّلْمِ وَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ فِعْلِهِ فَذَلِكَ نَصْرُكَ لَهُ»^(٦). وَقَوْلُهُ ﷺ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ». وَقَوْلُهُ: «مَا مِنْ أَمْرٍ فِي مُسْلِمٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَهَكُ فِيهِ عَرْضُهُ، وَتُسْتَحَلُّ فِيهِ حُرْمَتُهُ إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَهُ، وَمَا مِنْ أَمْرٍ فِي خَذَلٍ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْضِعٍ يُحِبُّ فِيهِ نَصْرَهُ»^(٧). وَقَوْلُهُ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(٧) أحمد وفي سنده لين.

(٢) مسلم ٣، ٤، ٥، ٦ متفق عليها.

(١) البخاري.

٩ - أَنْ لَا يَمَسَّهُ سُوءٌ، أَوْ يَنَالَهُ بِمَكْرُوهِ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ»^(١). وَقَوْلُهُ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرْوَعَ مُسْلِمًا»^(٢). وَقَوْلُهُ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُشِيرَ إِلَى أَخِيهِ بِنَظَرَةٍ تُؤْذِيهِ»^(٣). وَقَوْلُهُ: «إِنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ أَذَى الْمُؤْمِنِينَ»^(٤). وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»^(٥). وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»^(٦).

١٠ - أَنْ يَتَوَاضَعَ لَهُ، وَلَا يَتَكَبَّرَ عَلَيْهِ، وَأَنْ لَا يُقِيمَهُ مِنْ مَجْلِسِهِ الْمُبَاحِ لِيَجْلِسَ فِيهِ. لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ، وَلَا تَمْسِرْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ لقمان. وَلِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفَخَّرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٧). وَقَوْلُهُ ﷺ: «مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى». وَلَمَّا عُرِفَ عَنْهُ ﷺ مِنْ تَوَاضَعِهِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ وَهُوَ سَيِّدُ الْمُرْسَلِينَ، وَمِنْ أَنَّهُ كَانَ لَا يَأْتَفُ وَلَا يَتَكَبَّرُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ، وَيَقْضِي حَاجَتَهُمَا، وَإِنَّمَا قَالَ: «اللَّهُمَّ أَحِبْنِي مَسْكِينًا، وَأَمْتِنِي مَسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمرَةِ الْمَسَاكِينِ»^(٨). وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلًا مِنْ مَجْلِسِهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَوَسَّعُوا وَتَفَسَّحُوا»^(٩).

١١ - أَنْ لَا يَهْجُرَهُ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ يَلْتَقِيَانِ فَيَعْرِضُ هَذَا وَيَعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ»^(١٠). وَقَوْلُهُ: «وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(١١). وَالتَّدَابَرُ هُوَ التَّهَاجُرُ، وَإِعْطَاءُ كُلِّ مُسْلِمٍ دُبْرَهُ لِلْآخِرِ مُعْرِضًا عَنْهُ.

١٢ - أَنْ لَا يَغْتَابَهُ، أَوْ يَحْتَقِرَهُ، أَوْ يَعْيبُهُ، أَوْ يَسَخَرُ مِنْهُ، أَوْ يَنْبِزُهُ بِلَقَبٍ سُوءٍ، أَوْ يَنْمُ عَنْهُ حَدِيثًا لِلْإِفْسَادِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ

(١١، ١) مسلم. (٥، ٩، ١٠) متفق عليها.

(٢) أحمد وأبو داود صحيح. (٦) أحمد والترمذي والحاكم صحيح.

(٣) أحمد بسند لين. (٧) أبو داود وابن ماجه، صحيح.

(٤) أحمد بسند جيد. (٨) ابن ماجه والحاكم.

بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّهُمْ، وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ»^(١). وقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ، وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ، وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ، بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»^(٢).

وقول الرسول ﷺ: «اتَّذَرُونَ مَا الْغِيَّةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهْتَهُ»^(٣) وقوله في حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ»^(٤). وقوله: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»^(٥). وقوله ﷺ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»^(٥). وقوله: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ» يَعْنِي نَمَامٌ.

١٣ - أَنْ لَا يَسُبَّهُ بِغَيْرِ حَقٍّ حَيًّا كَانَ أَوْ مَيِّتًا لقوله عليه الصلاة والسلام: «سَبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^(٧). وقوله: «لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالْفُسُوقِ أَوْ الْكُفْرِ إِلَّا آرْتَدَّ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ». وقوله: «الْمَتَسَابِّانِ مَا قَالَا، فَعَلَى الْبَادِي مِنْهُمَا حَتَّى يَعْتَدِي الْمَظْلُومُ»^(٨). وقوله: «لَا تَسُبُّوا الْأَمْوَاتَ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدُمُوا»^(٩). وقوله: «مِنَ الْكِبَائِرِ أَنْ يَشْتُمَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ وَقِيلَ: وَهَلْ يَسُبُّ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَاهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ»^(١٠).

١٤ - أَنْ لَا يَحْسُدَهُ، أَوْ يَظُنَّ بِهِ سُوءًا، أَوْ يُبْغِضَهُ، أَوْ يَتَجَسَّسَ عَنْهُ لقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا»^(١١). وقول الرسول ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغُضُوا وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^(١٣).

(١)، ٢، (١١) الحجرات.

(٢) ٣، ٤، ٥، ١٣ مسلم.

(٨) البخاري.

(٣) ٦، ٧، ٩، ١٠ متفق عليه.

(١٢) النور.

وقوله: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»^(١).

١٥- أَنْ لَا يَغِشَّهُ، أَوْ يَخْدَعَهُ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾^(٢). وقوله: وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾^(٣). وقول الرسول ﷺ: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(٤) وقوله: «مَنْ بَايَعْتَ فَقُلْ لَا خِلَافَةَ»^(٥)، يعني لَا خَدِيعَةَ. وقوله عليه الصلاة والسلام: (مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)^(٦). وقوله: (مَنْ حَبَبَ زَوْجَةً أَمْرِيٍّ أَوْ مَمْلُوكِهِ فَلَيْسَ مِنَّا)^(٧). ومعنى خَبَبَ: أَفْسَدَ وَخَدَعَ.

١٦- أَنْ لَا يَغْدِرَهُ أَوْ يَخُونَهُ، أَوْ يَكْذِبُهُ، أَوْ يُمَاطِلُهُ فِي قَضَاءِ دِينِهِ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(٨). وقوله: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾^(٩). وقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(١٠). وقول الرسول ﷺ: (أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا، إِذَا أُتِمْنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ)^(١١). وقوله قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ﴾^(١٢). وقوله: (مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ، وَإِذَا أَتَيْتَ أَحَدَكُمْ عَلَى مِلْيَةٍ فَلْيَتَّبِعْ) متفق عليه.

١٧- أَنْ يُخَالَفَهُ بِخُلُقِي حَسَنٍ فَيُبَدِّلَ لَهُ الْمَعْرُوفَ وَيَكْفُ عَنْهُ الْأَذَى، وَيُلَاقِيهِ بِوَجْهِ طَلِيقٍ، يَقْبَلُ مِنْهُ إِحْسَانَهُ، وَيَعْفُو عَنْ إِسَاءَتِهِ، وَلَا يُكَلِّفُهُ مَا لَيْسَ عَنْدهُ، فَلَا يَطْلُبُ الْعِلْمَ مِنْ جَاهِلٍ، وَلَا الْبَيَانَ مِنْ غَيٍِّ لقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ،

- | | |
|--------------------------|---------------|
| (١) البخاري. | (٧) أبو داود. |
| (٢) الأحزاب. | (٨) المائدة. |
| (٣) النساء. | (٩) البقرة. |
| (٤) مسلم. | (١٠) الإسراء. |
| (٥) ٥، ٦، ١١ متفق عليها. | (١٢) البخاري. |

وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ^(١) . وقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيلَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(٢) .

١٨ - أَنْ يُوقَّرَهُ إِنْ كَانَ كَبِيرًا، وَيَرْحَمَهُ إِنْ كَانَ صَغِيرًا لقول المصطفى عليه الصلاة والسلام «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُوقَّرْ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمَ صَغِيرَنَا»^(٣) . وقوله: «مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامُ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ»^(٤) . وقوله: «كَبُرَ كِبَرُ» أي ابدأ بالكبير ولما عُرف عنه ﷺ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يُؤْتَى بِالصَّبِيِّ لِيَذْعُولَهُ بِالْبُرْكََةِ وَيُسَمِّيهِ فَيَضَعُهُ فِي حَجْرِهِ فَرُبَّمَا بَالَ الصَّبِيُّ فِي حَجْرِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَرَوَى أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ تَلْقَاهُ الصَّبِيَّانُ فَيَقِفُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ يَأْمُرُ بِهِمْ فَيَرْفَعُونَ إِلَيْهِ فَيَجْعَلُ مِنْهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمِنْ خَلْفِهِ وَيَأْمُرُ أَصْحَابَهُ أَنْ يَحْمِلُوا بَعْضُهُمْ رَحْمَةً مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالصَّبِيَّانِ .

١٩ - أَنْ يُنْصَفَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَيَعَامَلَهُ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يَعَامَلَ بِهِ لقوله ﷺ «لَا يَسْتَكْمَلُ الْعَبْدُ الْإِيمَانَ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ ثَلَاثُ خَصَالٍ: الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَالْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِهِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ»^(٥) . وقوله «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُزْخَرْحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِئْتُهُ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَلَيُؤْتِ إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ»^(٦) .

٢٠ - أَنْ يَعْفُوَ عَنْ زَلَّتِهِ وَيَسْتَرْ مِنْ عَوْرَتِهِ، وَأَنْ لَا يَتَسَمَّعَ إِلَى حَدِيثٍ يُخْفِيهِ عَنْهُ لقوله تعالى: «فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»^(٧) . وقوله جَلَّتْ قُدْرَتُهُ: «فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّاءِ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ»^(٨) . وقوله: «فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ»^(٩) . وقوله: «وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ»^(١٠) . وقوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي

(٦) الخرائطي ولم يعد الزين العراقي .

(١) الأعراف .

(٧) المائدة .

(٢) الحاكم والترمذي وحسنه .

(٨) البقرة .

(٣) أبو داود والترمذي وحسنه .

(٩) الشورى .

(٤) أبو داود بإسناد حسن .

(١٠) التوبة .

(٥) البخاري .

الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿١﴾ ولقول الرسول ﷺ: «مَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا يَغْفُو إِلَّا عِزًّا» (٢). وقوله: «وَأَنْ تَغْفُو عَنْ ظَلَمِكَ». وقوله: «لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٣) وقوله «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَيَفْضَحْهُ وَلَوْ كَانَ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ» (٤) وقوله «مَنْ اسْتَمَعَ لَخَبَرِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الْأَنْكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

٢١- أَنْ يُسَاعِدَهُ إِذَا احتَاجَ إِلَى مُسَاعَدَتِهِ، وَأَنْ يَشْفَعَ لَهُ فِي قَضَاءِ حَاجَتِهِ إِنْ كَانَ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ (٥) وقوله سبحانه: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ (٦) وقول الرسول ﷺ: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ» (٦) وقوله عليه السلام: أَشْفَعُوا تُجَرُّوا (٧). وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ (٧)

٢٢- أَنْ يُعِيذَهُ إِذَا استَعَاذَ بِاللَّهِ، وَأَنْ يُعْطِيَهُ إِذَا سَأَلَهُ بِاللَّهِ، وَأَنْ يَكْفِيَهُ عَلَى مَعْرُوفِهِ أَوْ يَدْعُو لَهُ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ استَعَاذَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ بِهِ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنْكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ».

ح - الأدب مع الكافر:

يَعْتَقِدُ الْمُسْلِمُ أَنَّ سَائِرَ الْمَلِكِ وَالْأَذْيَانِ بَاطِلَةٌ، وَأَنَّ أَصْحَابَهَا كُفَّارٌ إِلَّا الَّذِينَ الْإِسْلَامِيِّ فَإِنَّهُ الدِّينُ الْحَقُّ، وَإِلَّا أَصْحَابَهُ فَإِنَّهُمْ الْمُؤْمِنُونَ الْمُسْلِمُونَ وَذَلِكَ لقوله

(١) النور.

(٥) النساء.

(٢) مسلم.

(٦) مسلم.

(٣) أبو داود والترمذي (حسن).

(٧) متفق عليه.

(٤) المائدة.

تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١) وقوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢) وقوله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣).

فهذه الأخبار الإلهية الصادقة عليم المسلم أن سائر الأديان التي قبل الإسلام قد نسخت بالإسلام، وأن الإسلام هودين البشرية العام، فلم يقبل الله من أحد ديناً غيره، ولا يرضى بشرع سواه، ومن هنا كان المسلم يرى أن كل من لم يدن لله تعالى بالإسلام فهو كافر، ويلتزم حياله بالآداب التالية:

- ١ - عدم إقراره على الكفر، وعدم الرضا به، إذ الرضا بالكفر كفر.
- ٢ - بغضه ببغض الله تعالى له، إذ الحب في الله، والبغض في الله، وما دام الله عز وجل قد أبغضه لكفره به فالمسلم يبغض الكافر ببغض الله تعالى له؟
- ٣ - عدم موالاته وموالاته لقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤). وقوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾^(٥).
- ٤ - إنصافه والعدل معه وإسداء الخير له إن لم يكن مُحارباً لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٦). فقد أباحَت هذه الآية الكريمة المحكمة الإفساط إلى الكفار وهو العدل وإنصافهم وإسداء المعروف إليهم، ولم تستثن من الكفار إلا المحاربين فقط، فإن لهم سياسة خاصة تُعرف بأحكام المحاربين.
- ٥ - يرحمه بالرحمة العامة كإطعامه إن جاع، وسقيه إن عطش، ومدأواه إن مرض وإنقاذِهِ من تهلكة، وتجنبيه الأذى لقوله ﷺ: «ارْحَمْ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكَ مَنْ فِي السَّمَاءِ»^(٧). وقوله: «فِي كُلِّ ذِي كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ»^(٨).

(١) آل عمران.

(٢) الممتحنة.

(٣) المائدة.

(٤) الطبراني والحاكم صحيح.

(٥) آل عمران.

(٦) أحمد وابن ماجه صحيح.

(٧) المجادلة.

٦ - عَدَمُ أَذْيَتِهِ فِي مَالِهِ أَوْ دَمِهِ أَوْ عِرْضِهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُحَارِبٍ، لقول الرسول عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالُمُوا»^(١) وقوله: مَنْ آذَى ذِمِّيًّا فَأَنَا خَصْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٢).

٧ - جَوَازُ الْإِهْدَاءِ إِلَيْهِ، وَقَبُولُ هَدِيَّتِهِ، وَأَكْلُ طَعَامِهِ إِنْ كَانَ كِتَابِيًّا: يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا لقوله تعالى: «وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ»^(٣). وَلَمَّا صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُدْعَى إِلَى طَعَامِ يَهُودَ بِالْمَدِينَةِ فَيَجِيبُ الدَّعْوَةَ وَيَأْكُلُ مِمَّا يُقَدَّمُ لَهُ مِنْ طَعَامِهِمْ.

٨ - عَدَمُ إِنْكَاحِ الْمُؤْمِنَةِ، وَجَوَازُ نِكَاحِ الْكِتَابِيَّاتِ مِنَ الْكُفَّارِ لقوله تعالى في مَنَعَ الْمُؤْمِنَةِ مِنَ الزَّوَاجِ بِالْكَافِرِ مُطْلَقًا: ﴿لَا مِنْ حِلٍّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾^(٤). وقوله: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾^(٥). وقال تعالى في إِبَاحَةِ نِكَاحِ الْمُسْلِمِ الْكِتَابِيَّةَ ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾^(٦).

٩ - تَشْمِيتُهُ إِذَا عَطَسَ وَحَمْدُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَن يَقُولَ لَهُ: يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ إِذْ كَانَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَتَعَاطَسُ عِنْدَهُ يَهُودٌ رَجَاءُ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ، فَكَانَ يَقُولُ لَهُمْ يَهْدِيكُمُ اللَّهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ.

١٠ - لَا يَبْدَأُهُ بِالسَّلَامِ، وَإِنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ (وَعَلَيْكُمْ) لقول الرسول ﷺ «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ»^(٧).

١١ - يَضْطَرُّهُ عِنْدَ الْمُرُورِ بِهِ فِي الطَّرِيقِ إِلَى أَضْيَقِهِ لقول الرسول ﷺ: «لَا تَبْدَأُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ»^(٨).

(١) مسلم (٢، ١).

(٢) المائدة.

(٣) متفق عليه.

(٤) الممتحنة.

(٥) أبو داود والطبراني وهو حسن.

(٦) البقرة.

١٢ - مُخَالَفَتُهُ وَعَدَمُ التَّشْبِيهِ بِهِ فِيمَا لَيْسَ بِضَرُورِيٍّ كِلَاعِفَاءِ اللَّحْيَةِ إِذَا كَانَ هُوَ يَحْلِقُهَا، وَصَبْغُهَا إِذَا كَانَ هُوَ لَا يَصْبِغُهَا وَكَذَا مُخَالَفَتُهُ فِي اللَّبَاسِ مِنْ عِمَةٍ وَطَرَبُوشٍ وَنَحْوِهِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»^(١) وَقَوْلِهِ «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَغْفُوا أَلَلَّحَى وَقَصُّوا الشُّوَارِبَ»^(٢) وَقَوْلِهِ «إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبِغُونَ فَخَالِفُوهُمْ»^(٣) يَعْنِي خِضَابَ اللَّحْيَةِ أَوْ شَعْرَ الرَّأْسِ بِصَفْرَةٍ أَوْ حُمْرَةٍ، لِأَنَّ الصَّبْغَ بِالسَّوَادِ قَدْ نَهَى عَنْهُ الرَّسُولُ ﷺ لِمَا رَوَى مُسْلِمٌ أَنَّهُ ﷺ قَالَ «غَيِّرُوا هَذَا - الشَّعْرَ الْأَبْيَضَ - وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ».

ط - مَعَ الْحَيَوَانِ

المُسْلِمُ يَعْتَبِرُ أَغْلَبَ الْحَيَوَانَاتِ خَلْقًا مُحْتَرَمًا فَيَرْحَمُهَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا وَيَلْتَزِمُ نَحْوَهَا بِالْآدَابِ التَّالِيَةِ:

١ - إِطْعَامُهَا وَسَقْيُهَا إِذَا جَاعَتْ وَعَطِشَتْ لِقَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ أَزْكَى السَّلَامِ «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ» وَقَوْلِهِ «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»^(٤). وَقَوْلِهِ: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ».

٢ - رَحْمَتُهَا وَالْإِشْفَاقُ عَلَيْهَا لِقَوْلِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ لَمَّا رَأَاهُمْ قَدِ اتَّخَذُوا حَيَوَانًا - طَيْرًا - غَرَضًا (هَذَا) يَرْمُونَهُ بِسِهَامِهِمْ «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ رُوحٌ غَرَضًا»^(٥) وَلَنْهَيْهِ ﷺ عَنْ صَبْرِ الْبَهَائِمِ أَيْ حَبْسِهَا لِلْقَتْلِ وَلِقَوْلِهِ «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا عَلَيْهَا وَلَدَهَا إِلَيْهَا» قَالَ لَمَّا رَأَى الْحُمْرَةَ - طَائِرٌ - تَحُومُ تَطْلُبُ أَفْرَاحَهَا الَّتِي أَخَذَهَا الصَّحَابَةُ مِنْ عُيْثِهَا^(٦).

٣ - إِزَاحَتُهَا عِنْدَ ذَبْحِهَا أَوْ قَتْلِهَا لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقَتْلَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُرِجْ أَحَدُكُمْ ذَبِيحَتَهُ وَلْيُجِدْ شُفْرَتَهُ».

(١، ٢) متفق عليه.

(٥) أبو داود بإسناد صحيح.

(٣) البخاري بلفظ آخر.

(٦) مسلم.

(٤) متفق عليه.

٤ - عَدَمُ تَعَذُّبِهَا بِأَيِّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ سَوَاءٌ كَانَ بِتَجْوِيعِهَا، أَوْ ضَرْبِهَا أَوْ بِتَحْمِيلِهَا مَا لَا تَطِيقُ، أَوْ بِالْمُثَلَّةِ بِهَا، أَوْ حَرْقِهَا بِالنَّارِ وَذَلِكَ لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ :

«دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارُ فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلَا تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»^(١).

وَقَدْ مَرَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِقَرْيَةِ نَمْلِ - مَوْضِعِ نَمْلِ - وَقَدْ أُحْرِقَتْ فَقَالَ : «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ»^(٢) - يَعْنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - .

٥ - إِبَاحَةُ قَتْلِ الْمُؤْذِي مِنْهَا كَالْكَلْبِ الْعَقُورِ وَالدُّبِّ وَالْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ وَالْفَأْرِ وَمَا إِلَى هَذَا لِقَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ أَزْكَى السَّلَامِ :

«خَمْسٌ فَوَاسِقُ تُقْتَلْنَ فِي الْحَلِّ وَالْحُرْمِ : الْحَيَّةُ وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ وَالْفَأْرَةُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ وَالْحُدْيَا»^(٣) . كَمَا صَحَّ عَنْ ذَلِكَ قَتْلُ الْعَقْرَبِ وَلَعْنُهَا .

٦ - جَوَازُ وَسْمِ النِّعَمِ فِي آذَانِهَا لِلْمَصْلَحَةِ ، إِذْ رَوَى ﷺ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ إِبْلَ الصَّدَقَةِ .

أَمَّا غَيْرُ النَّعَمِ وَهِيَ الْإِبِلُ وَالْغَنَمُ وَالْبَقَرُ مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ فَلَا يَجُوزُ وَسْمُهُ لِقَوْلِهِ ﷺ وَقَدْ رَأَى جِمَاراً مَوْسُوماً فِي وَجْهِهِ :

لَعَنَ اللَّهُ مَنْ وَسَمَ هَذَا فِي وَجْهِهِ^(٤) .

٧ - مَعْرِفَةُ حَقِّ اللَّهِ بِأَدَاءِ زَكَاتِهَا إِذَا كَانَتْ مِمَّا يُزَكَّى .

٨ - عَدَمُ التَّشَاغُلِ بِهَا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ أَوْ اللَّهْوِ بِهَا عَنْ ذِكْرِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٥) .

(١) البخاري .

(٢) أبوداود، صحيح .

(٣) مسلم .

(٤) مسلم .

(٥) المنافقون .

ولقول الرسول عليه الصلاة والسلام في الخيل :

والخيلُ ثلاثة: لرجلٍ أجْرٌ، ولرجلٍ سِتْرٌ، وعلى رَجُلٍ وِزْرٌ، فأمَّا الذي لَهُ أَجْرٌ
فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَطَالَ طِيلَهَا فِي الْمَرْجِ أَوْ رَوْضَةٍ فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيلِهَا ذَلِكَ فِي
الْمَرْجِ وَالرَّوْضَةِ كَانَ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيلَهَا فَاسْتَنْتَ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كَانَتْ
آثَارُهَا وَأَرْوَاتُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَهِيَ لِذَلِكَ الرَّجُلِ أَجْرٌ. وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغْنِيًا وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ
اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظُهُورِهَا فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ. وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخَرًّا وَرِيَاءً وَنَوَاءً فَهِيَ عَلَيْهِ
وِزْرٌ^(١).

فهذه جملة من الآداب يُراعيها المسلمُ إزاء الحيوانِ طاعةً لله ورسوله، وعملاً
بما تأمر به شريعة الإسلام. ! شريعة الرحمة. ! شريعة الخير العام لكل مخلوق من
إنسانٍ أو حيوانٍ !.

(١) البخاري .

الفصل السابع

آداب الأخوة في الله

والحبُّ والبغضُ فيه سبحانه وتعالى

المسلم بحكم إيمانه بالله تعالى لا يحبُّ إذا أحبَّ إلا في الله، ولا يبغض إذا أبغض إلا في الله، لأنه لا يحبُّ إلا ما يحبُّ الله ورسوله، ولا يكره إلا ما يكره الله ورسوله، فهو إذا أحبَّ الله ورسوله يحبُّ ويبغضهما يبغض. ودليله في هذا قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»^(١) وبناءً على هذا فجميع عباد الله الصالحين يحبُّهم المسلم ويؤايلهم، وجميع عباد الله الفاسقين عن أمر الله ورسوله يبغضهم ويُعاديهم، بيد أن هذا غير مانع للمسلم أن يتخذ إخواناً أصدقاء في الله تعالى يخصُّهم بمزيد محبةٍ وودادٍ، إذ رغب الرسول ﷺ في اتخاذ مثل هؤلاء الإخوان والأصدقاء بقوله: «المؤمن ألف مألوف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»^(٢). وقوله: «إنَّ حَوْلَ الْعَرْشِ مَنْابِرَ مِنْ نُورٍ عَلَيْهَا قَوْمٌ لِبَاسُهُمْ نُورٌ، وَوُجُوهُهُمْ نُورٌ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغِيْطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ: صِفْهُمْ لَنَا فَقَالَ: الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ، وَالْمُتَجَالِسُونَ فِي اللَّهِ، وَالْمُتَزَاوِرُونَ فِي اللَّهِ»^(٣) وقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَزَاوَرُونَ مِنْ أَجْلِي، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلَّذِينَ يَتَنَاصَرُونَ مِنْ أَجْلِي»^(٤) وقوله «سَبْعَةٌ يَظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ فَاجْتَمَعَا عَلَى ذَلِكَ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ حَسَبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ تَعَالَى، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا

(١) أبو داود.

(٣) النسائي وهو صحيح.

(٢) أحمد والطبراني والحاكم وصححه.

(٤) أحمد والحاكم وصححه.

حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»^(١) وَقَوْلِهِ ﷺ «إِنَّ رَجُلًا زَارَ فُلَانًا فَقَالَ لَحَاجَتِي لَكَ عِنْدَهُ؟ قَالَ لَا، قَالَ لِقَرَابَةٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ؟ قَالَ لَا، قَالَ فَبِنِعْمَةٍ لَكَ عِنْدَهُ؟ قَالَ لَا، قَالَ فِيمَ؟ قَالَ أُجِبُهُ فِي اللَّهِ، قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ أَخْبِرْكَ بِأَنَّهُ يُحِبُّكَ لِحُبِّكَ إِيَّاهُ، وَقَدْ أُوجِبَ لَكَ الْجَنَّةَ»^(٢).

وَشَرَطُ هَذِهِ الْأُخُوَّةِ أَنْ تَكُونَ لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ بَحِيثٌ تَخْلُو مِنْ شَوَائِبِ الدُّنْيَا وَعَلَائِقِهَا الْمَادِيَةِ بِالْكَلِيَّةِ، وَيَكُونُ الْبَاعِثُ عَلَيْهَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ لَا غَيْرَ. وَأَمَّا آدَابُهَا فَهِيَ أَنْ يَكُونَ الْمُتَّخِذُ أَخًا:

١ - عَاقِلًا، لِأَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي أُخُوَّةِ الْأَحْمَقِ وَصُحْبَتِهِ، إِذْ قَدْ يَضُرُّ الْأَحْمَقُ الْجَاهِلُ مِنْ حَيْثُ يَرِيدُ أَنْ يَنْفَع.

٢ - حَسَنَ الْخُلُقِ، إِذْ سَيِّءُ الْخُلُقِ وَإِنْ كَانَ عَاقِلًا فَقَدْ تَغْلِبُهُ شَهْوَةٌ أَوْ يَتَحَكَّمُ فِيهِ غَضَبٌ فَيُسِيءُ إِلَى صَاحِبِهِ.

٣ - تَقِيًّا، لِأَنَّ الْفَاسِقَ الْخَارِجَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ لَا يُؤْمَنُ جَانِبُهُ، إِذْ قَدْ يَرْتَكِبُ ضِدَّ صَاحِبِهِ جَرِيمَةً لَا يُبَالِي مَعَهَا بِأُخُوَّةٍ أَوْ غَيْرِهَا لِأَنَّ مِنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَخَافُ غَيْرَهُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

٤ - مُلَازِمًا لِلكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بَعِيدًا عَنِ الْخُرَافَةِ وَالْبِدْعَةِ، إِذِ الْمُبْتَدِعُ قَدْ يُنَالُ صَدِيقُهُ مِنْ شُؤْمٍ بِدْعَتِهِ. وَلِأَنَّ الْمُبْتَدِعَ وَصَاحِبَ الْهَوَى هَجَرْتُهُمَا مَتَعَيْنَةٌ، وَمُقَاطَعَتُهُمَا لَازِمَةٌ، فَكَيْفَ تُمْكِنُ خُلُوتُهُمَا وَصِدَاقَتُهُمَا وَقَدْ أَوْجَزَ هَذِهِ الْأَدَابَ فِي اخْتِيَارِ الْأَصْحَابِ أَحَدُ الصَّالِحِينَ فَقَالَ يُوصِي ابْنَهُ: يَا بُنَيَّ إِذَا عَرَضَتْ لَكَ إِلَى صُحْبَةِ الرِّجَالِ حَاجَةٌ فَاصْحَبْ مَنْ إِذَا خَدَمْتَهُ صَانَكَ، وَإِنْ صَحِبْتَهُ زَانَكَ، وَإِنْ قَعَدْتَ بِكَ مُؤَوَّنَةً مَانَكَ، اصْحَبْ مَنْ إِذَا مَدَدَتْ يَدَكَ بِخَيْرٍ مَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى مِنْكَ حَسَنَةً عَدَّهَا، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً سَدَّهَا. اصْحَبْ مَنْ إِذَا سَأَلْتَهُ أَعْطَاكَ وَإِنْ سَكَتَ ابْتَدَاكَ، وَإِنْ نَزَلَتْ بِكَ نَازِلَةٌ وَاسَاكَ.

(٢) مسلم.

(١) البخاري.

اصحَبَ من إِذَا قُلْتَ صَدَقَ قَوْلَكَ، وَإِنْ حَاوَلْتُمَا أَمْرًا أَمْرَكَ، وَإِنْ تَنَازَعْتُمَا شَيْئًا أَتَرَكَ.

حُقُوقُ الْأَخُوَّةِ فِي اللَّهِ:

ومن حُقُوقِ هَذِهِ الْأَخُوَّةِ مَا يَلِي:

١ - الْمُوَاسَاةُ بِالْمَالِ^(١)، فَيُوَاسِي كُلُّ مِنْهُمَا أَخَاهُ بِمَالِهِ إِنْ احتَاجَ إِلَيْهِ، بِحَيْثُ يَكُونُ دِينَارُهُمَا وَدَرَاهِمُهُمَا وَاحِدًا لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا فِيهِ، كَمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُوَاحِيكَ فِي اللَّهِ، قَالَ: أَتَدْرِي مَا حَقُّ الْإِخَاءِ؟ قَالَ عَرَفْنِي، قَالَ لَا تَكُونُ أَحَقُّ بِدِينَارِكَ وَدَرَاهِمِكَ مِنِّي. قَالَ: لَمْ أَبْلُغْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ بَعْدَ، قَالَ: فَادْهَبْ عَنِّي.

٢ - أَنْ يَكُونَ كُلُّ مِنْهُمَا عَوْنًا بِصَاحِبِهِ يَقْضِي حَاجَتَهُ وَيُقَدِّمُهَا عَلَى نَفْسِهِ، يَتَفَقَّدُ أَحْوَالَهُ كَمَا يَتَفَقَّدُ أَحْوَالَ نَفْسِهِ، وَيُؤَثِّرُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَعَلَى أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ، يَسْأَلُ عَنْهُ بَعْدَ كُلِّ ثَلَاثٍ فَإِنْ كَانَ مَرِيضًا عَادَهُ، وَإِنْ كَانَ مَشْغُولًا أَعَانَهُ، وَإِنْ كَانَ نَاسِيًا ذَكَرَهُ، يُرَجِّبُ بِهِ إِذَا دَنَا، وَيُوسِّعُ لَهُ إِذَا جَلَسَ، وَيُصْغِي إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ.

٣ - أَنْ يَكُفَّ عَنْهُ لِسَانَهُ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَلَا يَذْكُرُ لَهُ عَيْبًا فِي غَيْبَتِهِ أَوْ حُضُورِهِ وَلَا يَسْتَكْشِفُ أَسْرَارَهُ، وَلَا يُحَاوِلُ التَّطَلُّعَ إِلَى خَبَايَا نَفْسِهِ وَإِذَا رَأَاهُ فِي طَرِيقِهِ لِحَاجَةٍ مِنْ حَاجَاتِ نَفْسِهِ فَلَا يُفَاتِحُهُ ذِكْرَهَا، وَلَا يُحَاوِلُ التَّعَرُّفَ إِلَى مَصْدَرِهَا أَوْ مَوْرِدِهَا، يَتَلَطَّفُ فِي أَمْرِهِ بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ نَهْيِهِ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَا يُمَارِيهِ فِي الْكَلَامِ وَلَا يُجَادِلُهُ بِحَقٍّ أَوْ بِبَاطِلٍ. لَا يَعَاتِبُهُ فِي شَيْءٍ وَلَا يَعْتَبُ عَلَيْهِ فِي آخَرٍ.

٤ - أَنْ يُعْطِيَهُ مِنْ لِسَانِهِ مَا يُحِبُّهُ مِنْهُ، فَيَدْعُوهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ، وَيَذْكُرُهُ بِالْخَيْرِ فِي الْغَيْبَةِ وَالْحُضُورِ، يُبْلِغُهُ ثَنَاءَ النَّاسِ عَلَيْهِ، مُظْهِرًا اغْتِبَاطَهُ بِذَلِكَ، وَفَرَحَهُ بِهِ. لَا يَسْتَرْسِلُ فِي نُصْحِهِ فَيَقْلِقُهُ، وَلَا يَنْصَحُهُ أَمَامَ النَّاسِ فَيَفْضَحُهُ. كَمَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ نَصَحَهُ وَزَانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ فَضَحَهُ وَشَانَهُ.

(١) المعاونة والمساعدة.

٥ - يعفو عن زلاته، ويتغاضى عن هفواته، يستر عيوبه، ويحسن به ظنونه. وإن ارتكب معصية سراً أو علانية فلا يقطع مودته، ولا يهمل أخوته، بل ينتظر توبته وأوبته، فإن أصرّ فله صرمه وقطعه، أو الإبقاء على أخوته مع إسداء النصيحة، ومواصلة الموعظة رجاء أن يتوب فيتوب الله عليه. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إذا تغير أخوك، وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك، فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى.

٦ - أن يفى له في الأخوة فيثبت عليها ويديم عهداً، لأن قطعها محبط لأجرها وإن مات نفل المودة إلى أولاديه، ومن والآه من أصدقائه، محافظة على الأخوة ووفاء لصاحبها. فقد أكرم رسول الله ﷺ عجزاً دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال: «إنها كانت تأتينا أيام خديجة، وإن كرم العهد من الدين»^(١). ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه، إذ قال الشافعي رحمه الله تعالى: إذا أطاع صديقك عدوك، فقد اشتركا في عداوتك.

٧ - أن لا يكلفه ما يشق عليه، وأن لا يحمله ما لا يرتاح معه فلا يحاول أن يستمد منه شيئاً من جاه، أو مال، أو يلزمه بالقيام بأعمال، إذ أصل الأخوة كانت لله فلا ينبغي أن تحوّل إلى غيره من جلب منافع الدنيا، أو دفع المضار. وكما لا يكلفه لا يجعله يتكلف له إذ كلاهما مخل بالأخوة مؤثر فيها منقص من أجرها المقصود منهما، فعليه أن يطوي معه بساط التزمّت والتكلف والتحفظ، إذ بهذه تحصل الوحشة المنافية للألفة. وقد جاء في الأثر: أنا وأتقياء أمتي براء من التكلف. وقال بعض الصالحين: من سقطت كلفته، دامت ألفته، ومن خفت مؤنته دامت مودته. وآية سقوط الكلفة الموجبة للأنس، والمذهبة للوحشة أن يفعل الأخ في بيت أخيه أربع خصال: أن يأكل في بيته، ويدخل الخلّة عنده، ويصلي وينام معه، فإذا فعل هذه فقد تمّ الإخاء، وارتفعت الحشمة الموجبة للوحشة، ووجد الأنس وتأكد الإنساض.

(١) الحاكم وصححه.

٨ - أن يدعو له ولأولاده، ومن يتعلّق به بخيرٍ ما يدعو به لنفسه وأولاده ومن يتعلّق به، إذ لا فرق بين أحدهما والآخر بحكم الأخوة التي جمعت بينهما، فيدعوه حياً وميتاً وحاضراً وغائباً. قال عليه الصلاة والسلام «إذا دعا الرجل لأخيه في ظهر الغيب قال الملك: ولك مثل ذلك»^(١) وقال أحد الصالحين: أين مثل الأخ الصالح؟ إن أهل الرجل إذا مات يقسمون ميراثه ويتمتعون بما خلف، والأخ الصالح ينفرد بالحزن، مهتماً بما قدم أخوه عليه، وما صار إليه، يدعو له في ظلمة الليل، ويستغفر له وهو تحت أطباق الثرى.

(١) مسلم.

الفصل الثامن

في آداب الجلوس والمجلس

اَلْمُسْلِمُ حَيَاتُهُ كُلُّهَا خَاضِعَةٌ تَابِعَةٌ لِّلْمَنْهَجِ الْإِسْلَامِيِّ الَّذِي تَنَاولَ كُلُّ شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ الْحَيَاةِ حَتَّى جُلُوسَ الْمُسْلِمِ وَكَيْفِيَّةَ مَجَالَسَتِهِ لِأَخْوَانِهِ، فَلِذَا كَانَ الْمُسْلِمُ يَلْتَزِمُ بِالْآدَابِ الثَّالِيَةِ فِي جُلُوسِهِ وَمَجَالَسَتِهِ:

١ - إِذَا أَرَادَ أَنْ يَجْلِسَ فَإِنَّهُ يُسَلِّمُ عَلَى أَهْلِ الْمَجْلِسِ أَوَّلًا، ثُمَّ يَجْلِسُ حَيْثُ انْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ، وَلَا يُقِيمَنَّ أَحَدًا مِنْ مَجْلِسِهِ لِيَقْعُدَ فِيهِ وَلَا يَجْلِسُ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا، لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ «لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلًا مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسَ فِيهِ، وَلَكِنْ تَوَسَّعُوا أَوْ تَفَسَّحُوا»^(١) وَكَانَ ابْنُ عَمْرٍ إِذَا قَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ مَجْلِسِهِ لَمْ يَجْلِسْ فِيهِ. وَقَالَ جَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ»^(٢) وَلِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا»^(٣).

٢ - إِذَا قَامَ أَحَدٌ مِنْ مَجْلِسِهِ وَعَادَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ»^(٤).

٣ - لَا يَجْلِسُ فِي وَسْطِ الْحَلْقَةِ لِقَوْلِ حُذَيْفَةَ: إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ «لَعَنَ مَنْ جَلَسَ فِي وَسْطِ الْحَلْقَةِ»^(٥).

٤ - إِذَا جَلَسَ يُرَاعِي الْآدَابَ الْآتِيَةَ: أَنْ يَجْلِسَ وَعَلَيْهِ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ، وَلَا يُشَبِّكُ

(٤) مسلم.

(١) متفق عليه.

(٥) أبو داود بإسناد حسن.

(٢ ، ٣) أبو داود والترمذي وحسنه.

بَيْنَ أَصَابِعِهِ، وَلَا يَعْثُ بِلَحْيَتِهِ أَوْ خَاتِمِهِ، وَلَا يُخَلِّلُ أَسْنَانَهُ، أَوْ يُدْخِلُ إصْبَعَهُ فِي أَنْفِهِ، أَوْ يُكْثِرُ مِنَ الْبِصَاقِ وَالتَّنْخُمِ، أَوْ يُكْثِرُ مِنَ الْعُطَاسِ وَالتَّثَاؤُبِ، وَلْيَكُنْ مَجْلِسُهُ هَادِئاً قَلِيلَ الْحَرَكَةِ، وَلْيَكُنْ كَلَامُهُ مَنْظُوماً مَتَرِئاً، وَإِذَا تَحَدَّثَ فَلْيَتَحَرَّ الصَّوَابَ، وَلَا يُكْثِرُ مِنَ الْكَلَامِ وَلْيَتَجَنَّبِ الْمَزَاحَ وَالْمِرَاءَ، وَأَنْ لَا يَتَحَدَّثَ بِإِعْجَابٍ عَنْ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ، أَوْ صِنَاعَتِهِ أَوْ إِنْتَاجِهِ الْمَادِّيِّ وَالْأَدَبِيِّ، مِنْ شِعْرِ أَوْ تَأْلِيفٍ، وَإِذَا حَدَّثَ غَيْرَهُ أَصْغَى يَسْمَعُ، غَيْرَ مُفْرِطٍ فِي الْأَعْجَابِ بِحَدِيثٍ مِنْ يَسْمَعُهُ، وَأَنْ لَا يَقَاطِعَ الْكَلَامَ أَوْ يَطْلُبَ إِلَيْهِ إِعَادَتَهُ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَسُوءُ الْمُتَحَدِّثَ.

وَالْمُسْلِمُ إِذَا يَلْتَزِمُ هَذِهِ الْأَدَابَ إِنَّمَا يَلْتَزِمُهَا لِأَمْرَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا أَنْ لَا يُؤْذِيَ إِخْوَانَهُ بِخُلُقِهِ أَوْ عَمَلِهِ، لِأَنَّ الْمُسْلِمَ حَرَامٌ: «وَالْمُسْلِمُ مِنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». وَالثَّانِي: أَنْ يَجْلُبَ مَحَبَّةَ إِخْوَانِهِ وَمُؤَالَفَتَهُمْ، إِذْ أَمَرَ الشَّارِعُ بِالتَّحَابِّ وَالْمُؤَالَفَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَحَثَّ عَلَى ذَلِكَ.

٥ - إِذَا أَرَادَ الْجُلُوسَ فِي الطَّرِيقَاتِ فَإِنَّهُ يُرَاعِي الْأَدَابَ الْآتِيَةَ:

١ - غَضُّ الْبَصَرِ فَلَا يَفْتَحُ بَصَرَهُ فِي مَارَّةٍ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ، أَوْ وَاقِفَةٍ بِنَاحِيهَا أَوْ مُسْتَشْرِفَةٍ عَلَى شُرَفَاتٍ مَنَزِلِهَا، أَوْ مُطَلَّةٍ عَلَى نَافِذَتِهَا لِحَاجَتِهَا، كَمَا لَا يُرْسِلُ نَظْرَهُ حَاسِداً لِأَحَدٍ، أَوْ زَارِياً عَلَى أَحَدٍ.

٢ - أَنْ يَكُفَّ أَذَاهُ عَنِ الْمَارَّةِ مِنَ سَائِرِ النَّاسِ فَلَا يُؤْذِي أَحَدًا بِلِسَانِهِ سَبَاباً أَوْ شَاتِماً، أَوْ عَائِلاً مُقْبِحاً، وَلَا بِيَدِهِ ضَارِباً لَأَكِمّاً وَلَا سَالِباً لِمَالٍ غَيْرِهِ غَاصِباً، وَلَا مُعْتَرِضاً فِي الطَّرِيقِ صَادّاً الْمَارَّةَ، قَاطِعاً سَبِيلَهُمْ.

٣ - أَنْ يَرُدَّ سَلَامَ كُلِّ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَارَّةِ إِذْ أَنْ رَدَّ السَّلَامَ وَاجِبٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾.

٤ - أَنْ يَأْمُرَ بِمَعْرُوفٍ تُرِكَ أَمَامَهُ، وَأَهْمِلَ شَأْنَهُ وَهُوَ يَشَاهِدُهُ إِذْ هُوَ مَسْئُولٌ فِي هَذِهِ الْحَالِ عَنِ الْأَمْرِ بِهِ، لِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ فَرِيضَةٌ كُلِّ مُسْلِمٍ يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ وَلَا يَسْقُطُ إِلَّا بِالْقِيَامِ بِهِ وَمِثَالُهُ أَنْ يُنَادِيَ الْمُنَادِي لِلصَّلَاةِ إِذْ هَذَا مِنَ الْمَعْرُوفِ فَلَمَّا تُرِكَ

وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَ بِهِ، وَمِثَالُ آخَرٍ أَنْ يَمُرَّ جَائِعٌ أَوْ عَارٍ فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يُطْعِمَهُ أَوْ يَكْسُوهُ إِنْ قَدَّرَ عَلَى ذَلِكَ وَإِلَّا أَمَرَ بِاطْعَامِهِ أَوْ كِسْوَتِهِ، إِذَا إِطْعَامُ الْجَائِعِ وَكِسْوَةُ الْعَارِي مِنَ الْمَعْرُوفِ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُؤْمَرَ بِهِ إِذَا تَرَكَ.

٥ - أَنْ يَنْهَى عَنْ كُلِّ مُنْكَرٍ يُشَاهِدُهُ يُرْتَكَبُ أَمَامَهُ، إِذَا تَغْيِيرُ الْمُنْكَرِ كَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَظِيفَةُ كُلِّ مُسْلِمٍ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ». وَمِثَالُهُ أَنْ يَنْهَى أَمَامَهُ أَحَدًا عَلَى آخَرٍ فَيُضْرِبُهُ، أَوْ يَسْلُبُهُ مَالَهُ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْحَالِ أَنْ يُغَيِّرَ الْمُنْكَرَ فَيَقِفُ فِي وَجْهِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ فِي حُدُودِ طَاقَتِهِ وَوُسْعِهِ.

٦ - أَنْ يُرْشِدَ الضَّالَّ فَلَوْ اسْتَرْشَدَهُ أَحَدٌ فِي بَيَانِ مَنْزِلٍ، أَوْ هَدَايَةٍ إِلَى طَرِيقٍ، أَوْ تَعْرِيفٍ بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ لَوَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُ الْمَنْزِلَ، أَوْ يَهْدِيَهُ الطَّرِيقَ، أَوْ يُعَرِّفَهُ بِمَنْ يُرِيدُ مَعْرِفَتَهُ، كُلُّ هَذَا مِنْ آدَابِ الْجُلُوسِ فِي الطَّرِيقَاتِ كَأَمَامِ الْمَنَازِلِ، وَالذَّكَائِنِ وَالْمَقَاهِي، أَوْ السَّاحَاتِ الْعَامَةِ وَالْحَدَائِقِ وَنَحْوِهَا، وَذَلِكَ لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطَّرِيقَاتِ فَقَالُوا: مَا لَنَا بِدُّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا قَالَ: فَإِذَا أُبَيِّتُمْ إِلَّا الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ زِيَادَةُ: وَإِرْشَادُ الضَّالِّ»^(١).

وَمِنْ آدَابِ الْجُلُوسِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللَّهَ عِنْدَ قِيَامِهِ مِنْ مَجْلِسِهِ تَكْفِيرًا لِمَا عَسَاهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَلَمَ بِهِ فِي مَجْلِسِهِ، فَقَدْ كَانَ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ الْمَجْلِسِ يَقُولُ (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ). وَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ كَفَّارَةً لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ^(٢).

(١) متفق عليه.

(٢) الترمذي وقال صحيح.

الفصل التاسع

آداب الأكل والشرب

المسلم ينظر إلى الطعام والشراب، باعتبارهما وسيلة إلى غيرهما، لا غاية مقصودة لذاتها، فهو يأكل ويشرب من أجل المحافظة على سلامة بدنه الذي به يمكنه أن يعبد الله تعالى، تلك العبادة التي تؤهله لكرامة الدار الآخرة وسعادتها، فليس هو يأكل ويشرب لذات الأكل والشرب وشهوتيهما فلذا هو لو لم يجع لم يأكل، ولو لم يعطش لم يشرب، وقد ورد عنه ﷺ قوله: «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا فلا نشبع»^(١).

ومن هنا كان المسلم يلتزم في مأكله ومشربه بآداب شرعية خاصة منها:

أ- آداب ما قبل الأكل، وهي:

١- أن يستطيب طعامه وشرابه بأن يعدّهما من الحلال الطيب الخالي من شوائب الحرام والشبه لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾^(٢). والطيب هو الحلال الذي ليس بمستقذر ولا مستحب.

٢- أن ينوي بأكله وشربه التقوية على عبادة الله تعالى، ليثاب على ما أكله أو شربه، فالمباح يصير بحسن النية طاعة يثاب عليها المسلم.

٣- أن يغسل يديه قبل الأكل إن كان بهما أذى، أو لم يتأكد من نظافتهما.

(١) لم أقف على من خرجه، ولعله أثر من آثار الصحابة رضي الله عنهم وليس بحديث نبوي، والله أعلم.
(٢) البقرة.

٤ - أَنْ يَضَعَ طَعَامَهُ عَلَى سَفَرَةٍ فَوْقَ الْأَرْضِ لَا عَلَى مَائِدَةٍ، إِذْ هَذَا أَقْرَبُ إِلَى التَّوَاضُّعِ، وَلِقَوْلِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا أَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى خِوَانٍ، وَلَا فِي سَكْرَجَةٍ»^(١).

٥ - أَنْ يَجْلِسَ مُتَوَاضِعًا بَأَن يَجْتُو عَلَى رَكْبَتَيْهِ، وَيَجْلِسَ عَلَى ظَهْرِ قَدَمَيْهِ، أَوْ يَنْصِبَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى، وَيَجْلِسَ عَلَى الْيُسْرَى، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْلِسُ، وَلِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا أَكُلُ مُتَكَبِّرًا إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَاجْلِسْ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ»^(٢).

٦ - أَنْ يَرْضَى بِالْمَوْجُودِ مِنَ الطَّعَامِ، وَأَنْ لَا يَبْعِيَهُ، وَإِنْ أَعْجَبَهُ أَكَلَ، وَإِنْ لَمْ يُعْجِبْهُ تَرَكَ، لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا عَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَعَامًا قَطُّ إِنْ اشْتَهَاهُ أَكَلَ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَ»^(٣).

٧ - أَنْ يَأْكُلَ مَعَ غَيْرِهِ مِنْ ضَيْفٍ أَوْ أَهْلٍ أَوْ وَلَدٍ، أَوْ خَادِمٍ لَخَبِيرٍ: «اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ»^(٤).

ب - آذَابُ الْأَكْلِ أَثْنَاءَهُ، وَهِيَ:

١ - أَنْ يَبْدَأَهُ بِبِسْمِ اللَّهِ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلُهُ وَآخِرُهُ»^(٥).

٢ - أَنْ يَخْتِمَهُ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى، لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٦).

٣ - أَنْ يَأْكُلَ بِثَلَاثَةِ أَصَابِعٍ مِنْ يَدِهِ الْيُمْنَى، وَأَنْ يُصَغِّرَ اللَّقْمَةَ وَيُجِدِّدَ الْمَضْغَ، وَأَنْ يَأْكُلَ مِمَّا يَلِيهِ لَا مِنْ وَسْطِ الْقِضْعَةِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعُمَرَ بْنِ سَلَمَةَ: «يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»^(٧). وَقَوْلِهِ ﷺ: «الْبَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسْطَ الطَّعَامِ فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ»^(٨).

(١ ، ٢) البخاري.

(٦ ، ٧ ، ٨) متفق عليها.

(٣) أبو داود.

(٤ ، ٥) أبو داود والترمذي وصححه.

٤ - أَنْ يُحِيدَ الْمَضْغَ وَأَنْ يَلْعَقَ الصُّحْفَةَ قَبْلَ مَسْحِهَا بِالْمَنْدِيلِ ، أَوْ غَسِيلَهَا بِالْمَاءِ لِقَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا فَلَا يَمْسَحُ أَصَابِعَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا، أَوْ يُلْعِقَهَا»^(١). ولِقَوْلِ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : «أَمَرَ يَلْعَقِ الْأَصَابِعَ وَالصُّحُفَةَ، وَقَالَ : إِنَّكُمْ لَا تَذَرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةَ»^(٢).

٥ - إِذَا سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ مِمَّا يَأْكُلُ أَزَالَ عَنْهُ الْأَذَى وَأَكَلَهُ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا، وَلْيُمِطْ (يُنَحِّ) عَنْهَا الْأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ»^(٣).

٦ - أَنْ لَا يَنْفُخَ فِي الطَّعَامِ الْحَارِّ، وَأَنْ لَا يُطْعِمَهُ حَتَّى يَبْرُدَ، وَأَنْ لَا يَنْفُخَ فِي الْمَاءِ حَالَ الشُّرْبِ، وَلْيَتَنَفَّسْ خَارِجَ الْإِنَاءِ ثَلَاثًا، لِحَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : «كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا»^(٤)، وَلِحَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نَهَى عَنِ النَّفْخِ فِي الشَّرَابِ»^(٥). وَلِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ : «نَهَى أَنْ يَتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ»^(٦).

٧ - أَنْ يَتَجَنَّبَ الشَّبَعُ الْمُفْرِطَ لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ : «مَا مَلَأَ آدَمِي وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقِيمَاتُ يُقْمَنُ صَلْبُهُ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَثَلَثُ طَعَامٍ، وَثَلَثُ شَرَابٍ، وَثَلَثُ لِلنَّفْسِ»^(٧).

٨ - أَنْ يُنَاوِلَ الطَّعَامَ أَوْ الشَّرَابَ أَكْبَرَ الْجَالِسِينَ، ثُمَّ يُدِيرُهُ الْأَيْمَنَ فَالْأَيْمَنَ، وَأَنْ يَكُونَ هُوَ آخِرَ الْقَوْمِ شَرْبًا لِقَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «كَبْرُ كَبْرٍ» أَيِ ابْدَأْ بِالْأَكْبَرِ مِنَ الْجَالِسِينَ، وَلَا سِتْدَانِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي أَنْ يُنَاوِلَ الشَّرَابَ الْأَشْيَاخَ عَلَى يَسَارِهِ، إِذْ كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى يَمِينِهِ وَالْأَشْيَاخُ الْكِبَارُ عَلَى يَسَارِهِ، فَاسْتِئْذَانُهُ دَالٌّ عَلَى أَنَّ الْأَحَقَّ بِالشَّرَابِ الْجَالِسُ عَلَى الْيَمِينِ»^(٨). وَلِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «الْأَيْمَنَ فَالْأَيْمَنَ»^(٩). وَقَوْلِهِ : سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ، يَعْنِي شَرْبًا.

(١) أبو داود والترمذي وحسنه.

(٢) الترمذي وصححهما.

(٣) مسلم.

(٤) أحمد وابن ماجه والحاكم (حسن).

(٥) (٨، ٩) متفق عليها.

٩ - أَنْ لَا يَبْدَأَ بَتَنَاوُلِ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ ، وَفِي الْمَجْلِسِ مِنْ هُوَ أَوَّلَى مِنْهُ بِالتَّقْدِيمِ
لِكَبْرِ سِنِّ ، أَوْ زِيَادَةِ فَضْلٍ ، لِأَنَّ ذَلِكَ مُخِلٌّ بِالْآدَابِ ، مَعْرُوضٌ صَاحِبُهُ لَوْضُفِ الْجَشَعِ
الْمَذْمُومِ . قَالَ بَعْضُهُمْ :

وَإِنْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الرَّادِّ لَمْ أَكُنْ بِأَعْجَلِهِمْ ، إِذْ أَجَشَعُ الْقَوْمِ أَعْجَلُ

١٠ - أَنْ لَا يُحَوِّجَ رَفِيقَهُ أَوْ مُضِيفَهُ إِلَى أَنْ يَقُولَ لَهُ : كُلْ ، وَيُلِحُّ عَلَيْهِ ، بَلْ عَلَيْهِ
أَنْ يَأْكُلَ فِي أَدَبٍ كِفَايَتَهُ مِنَ الطَّعَامِ مِنْ غَيْرِ حَيَاءٍ أَوْ تَكَلُّفٍ لِلْحَيَاءِ ، إِذْ فِي ذَلِكَ إِحْرَاجٌ
لِرَفِيقِهِ أَوْ مُضِيفِهِ ، كَمَا فِيهِ نَوْعٌ رِيَاءٍ ، وَالرِّيَاءُ حَرَامٌ .

١١ - أَنْ يَرْتَفِقَ بِرَفِيقِهِ فِي الْأَكْلِ فَلَا يُحَاوِلُ أَنْ يَأْكُلَ أَكْثَرَ مِنْهُ ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ
الطَّعَامُ قَلِيلًا ، لِأَنَّهُ فِي ذَلِكَ يَكُونُ أَكِلًا لِحَقِّ غَيْرِهِ .

١٢ - أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى الرَّفَقَاءِ أَثْنَاءَ الْأَكْلِ ، وَأَنْ لَا يُرَاقِبَهُمْ فَيَسْتَحُونُ
مِنْهُ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَغُضَّ بَصَرَهُ عَنِ الْأَكْلَةِ حَوْلَهُ ، وَأَنْ لَا يَتَطَلَّعَ إِلَيْهِمْ إِذْ ذَلِكَ يُؤْذِيهِمْ ، كَمَا
قَدْ يُسَبِّبُ لَهُ بَغْضَ أَحَدِهِمْ ، فَيَأْتُمُّ لَذَلِكَ .

١٣ - أَنْ لَا يَفْعَلَ مَا يَسْتَفْذِرُهُ النَّاسُ عَادَةً فَلَا يَنْقُضُ يَدَهُ فِي الْقِصْعَةِ ، وَلَا يُدْنِي
رَأْسَهُ مِنْهَا عِنْدَ الْأَكْلِ وَالتَّنَاوُلِ لَعَلَّ يَسْقُطُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ فَيَقَعُ فِيهَا ، كَمَا إِذَا أَخَذَ
بِأَسْنَانِهِ شَيْئًا مِنَ الْخَبْزِ لَا يَغْمِسُ بَاقِيَهُ فِي الْقِصْعَةِ ، كَمَا عَلَيْهِ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ بِالْأَلْفَاظِ
الدَّالَّةِ عَلَى الْقَادُورَاتِ وَالْأَوْسَاحِ ، إِذْ رُبَّمَا تَأْذَى بِذَلِكَ أَحَدُ الرَّفَقَاءِ ، وَأَذِيَةُ الْمُسْلِمِ
مَحْرَمَةٌ .

١٤ - أَنْ يَكُونَ أَكْلُهُ مَعَ الْفَقِيرِ قَائِمًا عَلَى إِثَارِهِ . وَمَعَ الْإِخْوَانِ قَائِمًا عَلَى
الانْبِسَاطِ وَالْمَدَاعِبَةِ الْمَرْحَةِ ، وَمَعَ ذَوِي الرَّتَبِ وَالْهَيْئَاتِ عَلَى الْأَدَبِ وَالْاحْتِرَامِ .

ج - آدَابُ مَا بَعْدَ الْأَكْلِ ، وَهِيَ :

١ - يُمَسِكُ عَنِ الْأَكْلِ قَبْلَ الشَّبَعِ اقْتِدَاءً بِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
وَحَتَّى لَا يَقَعَ فِي التَّخَمَةِ الْمَهْلِكَةِ ، وَالْبِطْنَةِ الْمُذْهِبَةِ لِلْفِطْنَةِ .

- ٢ - أَنْ يَلْعَقَ يَدَهُ ثُمَّ يَمْسَحَهَا، أَوْ يَغْسِلَهَا، وَغَسْلُهَا أَوْلَى وَأَحْسَنُ.
- ٣ - أَنْ يَلْتَقِطَ مَا تَسَاقَطَ مِنْ طَعَامِهِ أَثْنَاءَ الْأَكْلِ لِمَا وَرَدَ مِنَ التَّرْغِيبِ فِي ذَلِكَ، لِأَنَّهُ مِنْ بَابِ الشُّكْرِ لِلنِّعْمَةِ.
- ٤ - أَنْ يُخَلِّلَ أَسْنَانَهُ وَيَتَمَضَّمُضَ تَطْيِيباً لَفَمِهِ، إِذْ بِهِ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى وَيَخَاطِبُ الْإِخْوَانَ، كَمَا أَنَّ نَفَاقَةَ الْفَمِ قَدْ تَبْقَى عَلَى سَلَامَةِ الْأَسْنَانِ.
- ٥ - أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ تَعَالَى عَقِبَ أَكْلِهِ أَوْ شُرْبِهِ، وَأَنْ يَقُولَ إِذَا شَرِبَ لَبَنًا: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيمَا رَزَقْتَنَا وَزِدْنَا مِنْهُ، وَإِنْ أَفْطَرَ عِنْدَ قَوْمٍ قَالَ: أَفْطَرَ عِنْدَكُمْ الصَّائِمُونَ، بِأَكَلِ طَعَامِكُمُ الْأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ.

الفصل العاشر

في آداب الضيافة

المسلم يؤمن بواجب إكرام الضيف، ويُقدره قدره المطلوب، وذلك لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»^(١) وقوله «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ، قَالُوا: وَمَا جَائِزَتُهُ؟ قَالَ: يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةً»^(٢) ولهذا كَانَ المسلم يلتزم في شؤون الضيافة بالآداب التالية:

أ - في الدعوة إليها وهي:

١ - أن يدعوا لضيافته الأتقياء دون الفساق والفجرة لقول النبي ﷺ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامُكَ إِلَّا تَقِيٌّ»^(٣).

٢ - أن لا يخص بضيافته الأغنياء دون الفقراء لقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْهَا الْأَغْنِيَاءُ دُونَ الْفُقَرَاءِ»^(٤).

٣ - أن لا يقصد بضيافته التفاخر والمباهاة بل يقصد الاستئنان بسنة النبي عليه الصلاة والسلام والأنبياء من قبله كإبراهيم عليه السلام والذي كَانَ يُلقَّبُ بِأَبِي الضُّيْفَانِ، كما ينوي بها إدخال السرور على المؤمنين، وإشاعة الغبطة والبهجة في قلوب الإخوان.

(١، ٢، ٤) متفق عليها.

(٣) أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم (صحيح).

٤ - أن لا يدْعُو إليها من يَعْلَمُ أنه يَشُقُّ عليه الحضورُ، أو أنه يتأذى ببعض الإخْوَانِ الحاضرينَ تَجَنُّباً لِأَذِيَّةِ الْمُؤْمِنِ المحرَّمةِ.

ب - في آدابِ إجابَتِها، وهي:

١ - أن يُجيبَ الدعوةَ ولا يتأخَّرَ عنها إلا من عُذِرَ، كأن يَخْشَى ضرراً في دينه أو بدنه لقولِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام: «مَنْ دُعِيَ فَلْيُجِبْ»^(١) وقوله: لو دُعيتُ إلى كُرَاعٍ شاةٍ لَأَجَبْتُ، ولو أُهْدِيَ إلي ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ.

٢ - أن لا يُمَيِّزَ في الإجابةِ بينَ الفقيرِ والغنيِّ، لأنَّ في عَدَمِ إجابةِ الفقيرِ كَسْراً لَخَاطِرِهِ، كما أنَّ في ذلك نوعاً من التَّكَبُّرِ، والكِبَرُ ممقُوتٌ، ومما يُروى في إجابةِ دعوةِ الفقراءِ أنَّ الحَسَنَ بنَ علي رضي الله عنهما مرَّ بمَساكِينٍ وَقَدْ نَشَرُوا كِسْراً على الأرضِ وَهُمْ يَأْكُلُونَ، فقالوا لَهُ: هَلُمَّ إلى الغَداءِ يا ابنَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال: نَعَمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَنَزَلَ مِنْ عَلَيَّ بَغْلَتِي وَأَكَلَ مَعَهُمْ.

٣ - أنَّ لا يُفَرِّقَ في الإجابةِ بينَ بعيدِ المسافةِ وقريبِها، وإن وُجَّهَتْ إليه دَعوتانِ أَجَابَ السَّابِقَةَ منهما، واعتذرَ للآخرِ.

٤ - أنَّ لا يتأخَّرَ من أَجْلِ صَوْمِهِ بل يحضُرُ، فإن كَانَ صاحِبُهُ يُسَرُّ بِأَكْلِهِ أَفْطَرَ؛ لِأَنَّ إِدْخَالَ السُّرُورِ على قَلْبِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْقُرْبِ، وإلا دَعَا لَهُمْ بِخَيْرٍ لقولِ الرسولِ عليه الصلاة والسلام: «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ فَإِنْ كَانَ صَائِماً فَلْيَصِلْ - يَدْعُ - وَإِنْ كَانَ مُفْطِراً فَلْيُطْعِمْ»^(٢) وقوله عليه الصلاة والسلام «تَكَلَّفَ لَكَ أَخُوكَ وَتَقُولُ: إِنِّي صَائِمٌ؟!»

٥ - أن يَنوِيَ بِإِجابَتِهِ أَكْرَامَ أَخِيهِ المُسْلِمِ لِيُثَابَ عَلَيْهِ لِحَبْرٍ: إنما الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نَوَى، إذ بِالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ يَنْقَلِبُ المَبَاحُ طَاعَةً يُوجِبُ عَلَيْهَا الْمُؤْمِنُ.

(١، ٢) مسلم.

جـ - في آداب حضورها وهي :

١ - أن لا يطيل الانتظار عليهم فيقلقهم، وأن لا يعجل المجيء فيفاجئهم قبل الاستعداد لما في ذلك من أذيتهم.

٢ - إذا دخل فلا يتصدر المجلس بل يتواضع في المجلس، وإذا أشار إليه صاحب المجل بالجلوس في مكان جلس فيه، ولا يفارقه.

٣ - أن يعجل بتقديم الطعام للضيف، لأن في تعجيله إكراماً له، وقد أمر الشارع بإكرامه: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ.

٤ - أن لا يُبادر إلى رفع الطعام قبل أن ترفع الأيدي عنه، ويتم فراغ الجميع من الأكل.

٥ - أن يقدم لضيفه قدر الكفاية، إذ التقليل نقص في المروءة، والزيادة تصنع ومراءاة، وكلا الأمرين مذموم.

٦ - إذا نزل ضيفاً على أحد فلا يزيدن على ثلاثة أيام إلا أن يلح عليه مضيفه في الإقامة أكثر، وإذا انصرف استأذن لانصرافه.

٧ - أن يشيع الضيف بالخروج معه إلى خارج المنزل، لعمل السلف الصالح ذلك، ولأنه داخل تحت إكرام الضيف المأمور به شرعاً.

٨ - أن ينصرف الضيف طيب النفس، وإن جرى في حقه تقصير ما، لأن ذلك من حسن الخلق الذي يدرك به العبد درجة الصائم القائم.

٩ - أن يكون للمسلم ثلاثة فرش: أحدها له، وثانيهما لأهله، والثالث للضيف والزيادة على الثلاثة منهي عنها لقول الرسول ﷺ: «فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ، وَفِرَاشٌ لِلْمَرْأَةِ، وَفِرَاشٌ لِلضَّيْفِ، وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ»^(١).

(١) مسلم.

الفصل الحادي عشر

في آداب السفر

المسلم يرى أن السفر من لوازم حياته وضروبياتها التي لا تنفك عنها، إذ الحج والعمرة والغزو، وطلب العلم، والتجارة، وزيارة الإخوان وهي كلها ما بين فريضة وواجب لا بد لها من رحلة وسفر. ومن هنا كانت عناية الشارع بالسفر وأحكامه وآدابه عناية لا تنكر، وكان على المسلم الصالح أن يتعلمها ويعمل على تنفيذها وتطبيقها.

أما الأحكام فهي:

قصر الصلاة الرباعية فيصليها ركعتين ركعتين فقط إلا المغرب فإنه يصليها ثلاثاً ويبدأ القصر من مغادرتي البلد الذي يسكنه إلى أن يعود إليه، إلا أن ينوي إقامة أربعة أيام فأكثر في البلد الذي سافر إليه، أو نزل فيه فإنه في هذه الحال يقيم ولا يقصر حتى إذا خرج عائداً إلى بلده رجع إلى التقصير فيقصر إلى أن يصل إلى بلده، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾، ولقوله أنس: «خَرَجْنَا مَعَ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ فَكَانَ يُصَلِّي الرُّبَاعِيَّةَ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ حَتَّى رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ»^(١).

٢ - جواز المسح على الخفين ثلاثة أيام بلياليهن لقول علي رضي الله عنه: «جَعَلَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمَسَافِرِ، وَيَوْمًا وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ، يَعْنِي فِي الْمَسْحِ».

(٢) أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه.

(١) النسائي والترمذي وصححه.

٣ - إِبَاحَةُ التَّيَمُّمِ ، إِنْ فَقَدَ الْمَاءَ أَوْ شَقَّ عَلَيْهِ طَلَبُهُ ، أَوْ غَلَا عَلَيْهِ ثَمَنُهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ ، أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾^(١).

٤ - رُخْصَةُ الْفِطْرِ فِي الصَّوْمِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(٢).

٥ - جَوَازُ صَلَاةِ النَّافِلَةِ عَلَى الدَّابَّةِ حَيْثُمَا اتَّجَهَتْ لِقَوْلِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «كَانَ يُصَلِّي سُبْحَتَهُ (النافلة) حَيْثُ تَوَجَّهَتْ بِهِ نَاقَتُهُ»^(٣).

٦ - جَوَازُ الْجُمُعِ بَيْنَ الظُّهْرِ ، أَوِ الْعِشَاءِ بَيْنَ جَمْعِ تَقْدِيمٍ إِنْ جَدَّ بِهِ السَّيْرُ ، فَيُصَلِّي الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ فِي وَقْتِ الظُّهْرِ ، وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ فِي وَقْتِ الْمَغْرِبِ أَوْ جَمْعَ تَأْخِيرٍ بَأَن يُؤَخَّرَ الظُّهْرُ إِلَى أَوَّلِ الْعَصْرِ وَيُصَلِّيَهُمَا مَعًا ، وَالْمَغْرِبَ إِلَى الْعِشَاءِ وَيُصَلِّيَهُمَا مَعًا لِقَوْلِ مَعَاذِ رَبِّي اللَّهُ عَنْهُ : «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَكَانَ يُصَلِّي الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمِيعًا وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمِيعًا»^(٤).

وَأَمَّا الْأَدَابُ فَهِيَ :

١ - أَنْ يَرُدَّ الْمَظَالِمَ وَالْوَدَائِعَ إِلَى أَصْحَابِهَا ، إِذِ السَّفَرُ مَظْنَّةُ الْهَلَاكِ .

٢ - أَنْ يُعِدَّ زَادَهُ مِنَ الْحَلَالِ ، وَأَنْ يَتْرَكَ نَفَقَةً مَن تَجِبُ عَلَيْهِ نَفَقَتُهُ مِنْ زَوْجَةٍ وَوَلَدٍ وَوَالِدٍ .

أَنْ يُودِعَ أَهْلَهُ وَإِخْوَانَهُ وَأَصْدِقَاءَهُ ، وَأَنْ يَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ ، لِمَنْ يُودِعُهُمْ : اُسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكُمْ وَأَمَانَتَكُمْ وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ . وَيَقُولُ لَهُ الْمَوْدِعُونَ : زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ ، وَوَجَّهَكَ إِلَى الْخَيْرِ حَيْثُ تَوَجَّهْتَ لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ : «إِنَّ لِقَمَانَ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا اسْتَوْدِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ»^(٥) . وَكَانَ يَقُولُ لِمَنْ يُشَيِّعُهُ : «اُسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»^(٦) .

(٣ ، ٤) متفق عليهما .

(١) النساء .

(٦) أبو داود .

(٥) النسائي بإسناد جيد .

(٢) البقرة .

٤ - أَنْ يَخْرُجَ إِلَى سَفَرِهِ فِي رُفْقَةِ ثَلَاثَةٍ أَوْ أَرْبَعَةٍ بَعْدَ اخْتِيَارِهِمْ مِمَّنْ يَصْلُحُونَ
لِلسَّفَرِ مَعَهُ، إِذِ السَّفَرُ كَمَا قِيلَ: مَخْبَرُ الرِّجَالِ، وَقَدْ سُمِّيَ سَفَرًا لِأَنَّهُ يُسْفَرُ عَنْ أَخْلَاقِ
الرِّجَالِ لِقَوْلِ الرُّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ،
وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ»^(١) وَقَوْلِهِ: «لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ مِنَ الْوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ مَا سَارَ رَاكِبٌ بَلِيلٍ
وَحْدَةً»^(٢).

٥ - أَنْ يُؤَمِّرَ الرُّكْبُ الْمَسَافِرُونَ أَحَدًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّى قِيَادَتَهُمْ بِمَشُورَتِهِمْ لِقَوْلِ
الرُّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيَأْمُرُوا أَحَدَهُمْ

٦ - أَنْ يُصَلِّيَ قَبْلَ سَفَرِهِ صَلَاةَ الْاسْتِخَارَةِ «لِتَرْغِبَ الرُّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ فِي ذَلِكَ حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي جَمِيعِ
الْأُمُورِ»^(٣).

٧ - أَنْ يَقُولَ عِنْدَ مَغَادَرَتِهِ الْمَنْزِلَ: «بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ أَوْ أَزِلَّ أَوْ أَزَلَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ
يُجْهَلَ عَلَيَّ» فَإِذَا رَكِبَ قَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ سُبْحَانَ الَّذِي
سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا
هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِعْنَا
بُعْدَهُ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ
بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَخِيْبَةِ الْمَنْقَلَبِ، وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ
وَالْوَلَدِ»^(٤).

٨ - أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ أَوَّلَ النَّهَارِ^(٥) لِقَوْلِ الرُّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:
«اللَّهُمَّ بَارِكْ لَأُمِّي فِي بُكُورِهَا» وَلَمَّا جَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَخْرُجُ إِلَى سَفَرِهِ يَوْمَ
الْخَمِيسِ.

(٤) أبو داود وهو صحيح.

(١) أبو داود والنسائي والترمذي (صحيح).

(٥) لما ورد في الصحيحين.

(٢، ٣) البخاري.

٩ - أَنْ يُكَبِّرَ عَلَى كُلِّ شَرْفٍ (مَكَانٍ عَالٍ) لِقَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ «إِنْ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسَافِرَ فَأَوْصِنِي قَالَ: عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرْفٍ»^(١).

١٠ - إِذَا خَافَ نَاسًا قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ لِقَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذَلِكَ.

١١ - أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ تَعَالَى فِي سَفَرِهِ وَيَسْأَلَ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِذَا الدُّعَاءُ فِي السَّفَرِ مُسْتَجَابٌ لِقَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ»^(٢).

١٢ - إِذَا نَزَلَ مِنْزِلًا قَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، وَإِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ قَالَ: «يَا أَرْضُ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، إِنِّي إِعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ وَشَرِّ مَا فِيكَ، وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيكَ، وَشَرِّ مَا يَدُبُّ عَلَيْكَ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ أَسَدٍ وَأَسْوَدَ، وَمِنْ حَيَّةٍ وَعَقْرَبٍ، وَمِنْ سَاكِينِ الْبَلَدِ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ»^(٣).

١٣ - إِذَا خَافَ وَخَشَةَ قَالَ: سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ رَبِّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ جَلَّتِ السَّمَوَاتُ بِالْعِزَّةِ وَالْجَبَرُوتِ.

١٤ - إِذَا نَامَ أَوَّلَ اللَّيْلِ افْتَرَشَ ذِرَاعَهُ، وَإِنْ أُعْرِسَ أَي نَامَ آخِرَ اللَّيْلِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ وَجَعَلَ رَأْسَهُ فِي كَفِّهِ حَتَّى لَا يَسْتَقِيلَ نَوْمُهُ فَتَفُوتَهُ صَلَاةُ الصُّبْحِ فِي وَقْتِهَا.

١٥ - إِذَا أَشْرَفَ عَلَى مَدِينَةٍ قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا بِهَا قَرَارًا، وَارْزُقْنَا فِيهَا رِزْقًا حَلَالًا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا» إِذْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ.

١٦ - أَنْ يُعْجَلَ الْأُوبَةَ وَالرُّجُوعَ إِلَى أَهْلِهِ وَبِلَادِهِ إِذَا هُوَ قَضَى حَاجَتَهُ مِنْ سَفَرِهِ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ

(٣) فِي السَّنَنِ وَمُسْلِمٍ.

(٢، ١) التِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

- فإذا قضى أحدكم نهمته - حاجته - من سفره فليعجل إلى أهله^(٤).
- ١٧ - إذا قفل راجعاً كبر ثلاثاً وقال: «آيُّون تايُّون عابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ» ويكرِّر ذلك، لفعله ﷺ ذلك^(٥).
- ١٨ - أن لا يطرق أهله ليلاً، وأن يتعش إليهم من يبشِّرهم حتى لا يفاجئهم بمقدمه عليهم فقد كان هذا من هدي النبي ﷺ
- ١٩ - أن لا تُسافر المرأة سفر يومٍ وليلةٍ إلا مع ذي محرمٍ لها لقول الرسول ﷺ: «لا يحل لامرأة تُسافر مسيرة يومٍ وليلةٍ إلا مع ذي محرمٍ عليها».

(٤، ٥) متفق عليهما.

الفصل الثاني عشر

في آداب اللباس

المسلم يرى أَنَّ اللَّبَاسَ قد أَمَرَ اللَّهُ تعالى بِهِ في قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١). وامتَنَ بِهِ في قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾^(٢). وفي قوله: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ، وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾^(٣). وفي قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لَتَحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾^(٤). وَأَنَّ رَسُولَهُ ﷺ قد أَمَرَ بِهِ في قوله: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَابْسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ». كَمَا قَدْ بَيَّنَّ ﷺ مَا يَجُوزُ مِنْهُ، وَمَا لَا يَجُوزُ، وَمَا يُسْتَحَبُّ لِبَسُهُ، وَمَا يُكْرَهُ، فَلِهَذَا كَانَ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَلْتَزِمَ فِي لِبَاسِهِ بِالْأَدَابِ التَّالِيَةِ:

١ - أَنْ لَا يَلْبَسَ الْحَرِيرَ مطلقاً، سَوَاءً كَانَ فِي ثَوْبٍ أَوْ عِمَامَةٍ أَوْ غَيْرِهِمَا لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «لَا تَلْبَسُوا الْحَرِيرَ، فَإِنَّهُ مِنْ لِبَسِهِ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الْآخِرَةِ»^(٥). وقوله وقد أَخَذَ حَرِيرًا فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ، وَذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ: «إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي»^(٦). وقوله: «حَرَّمَ لِبَاسَ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، وَأَجَلَّ لِبَسَائِهِمْ».

٢ - أَنْ لَا يُطِيلَ ثَوْبَهُ، أَوْ سِرْوَالَهُ، أَوْ بُرْنُسَهُ أَوْ رِدَاءَهُ أَلَى أَنْ يَتَجَاوَزَ كَعْبِيَّهُ لِقَوْلِ

(٤) الأنبياء.

(١، ٢) الأعراف.

(٥) متفق عليها.

(٣) النحل.

(٦) أبو داود بإسناد حسن.

الرَّسُولِ ﷺ: «مَا أَسْفَلَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ. وَقَوْلِهِ: «الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ وَالْقِمِيصِ وَالْعِمَامَةِ مَنْ جَرَّ شَيْئًا خِيَلَاءَ لَمْ يُنْظَرْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». وَقَوْلُهُ: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ»^(١).

٣- أَنْ يُؤْثَرَ لِبَاسُ الْأَبْيَضِ عَلَى غَيْرِهِ، وَأَنْ يَرَى لِبَاسَ كُلِّ لَوْنٍ جَائِزًا لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «الْبَسُوا الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ، وَكَفَنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ»^(٢). ولِقَوْلِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَرْبُوعًا، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي حِلَّةٍ حُمْرَاءَ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ»^(٣). وَلَمَّا صَحَّ عَنْهُ ﷺ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ الثَّوْبُ الْأَخْضَرُ، وَاعْتَمَّ بِالْعِمَامَةِ السَّوْدَاءِ.

٤- أَنْ تُطِيلَ الْمُسْلِمَةُ لِبَاسَهَا إِلَى أَنْ يَسْتُرَ قَدَمَيْهَا، وَأَنْ تُسَبِّلَ خِمَارَهَا عَلَى رَأْسِهَا فَتُسْتُرَ عُنُقَهَا وَنَحْرَهَا وَصَدْرَهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾^(٤). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ﴾^(٥). وَلِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «يَرْحُمُ اللَّهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الْأُولَى لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ شَقَقْنَ أَكْثَفَ مُرْطِهِنَّ فَاخْتَمَرْنَ بِهَا»^(٦). وَلِقَوْلِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾، خَرَجَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِنَّ الْغُرَبَانَ مِنَ الْأَكْسِيَّةِ».

٥- أَنْ لَا يَتَخَتَّمُ بِخَاتَمِ الذَّهَبِ لِقَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ: «إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي» وَقَوْلُهُ: «حَرَمُ لِبَاسِ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي وَأَجَلٌ لِنِسَائِهِمْ» وَقَوْلُهُ وَقَدْ رَأَى خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ. فَيَقِيلُ لِلرَّجُلِ بَعْدَمَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ، فَقَالَ لَا، وَاللَّهِ لَا أَخْذُهُ أَبَدًا، وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»^(٧).

(١) متفق عليه. (٣) البخاري. (٢) النسائي والحاكم وصححه. (٤) الأحزاب. (٥) النور. (٦) البخاري. (٧) مسلم.

٦ - لَا بَأْسَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَخَتَّمَ بِخَاتَمِ الْفِضَّةِ أَوْ يَنْقُشَ فِي فَصِّهِ اسْمَهُ وَيَتَّخِذَهُ طَابِعاً يَطْبَعُ بِهِ رِسَالَتَهُ وَكِتَابَاتِهِ، وَيُوقِعَ بِهِ الصُّكُوكَ وَغَيْرَهَا «لَاتَّخِذِ النَّبِيُّ ﷺ خَاتِماً مِنْ فَضَّةٍ نَقُشُهُ: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ) وَكَانَ يَجْعَلُهُ فِي الْخِنْصِرِ مِنْ يَدِهِ الْيُسْرَى». لقول أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ خَاتَمُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي هَذِهِ - وَأَشَارَ إِلَى الْخِنْصِرِ مِنْ يَدِهِ الْيُسْرَى»^(١).

٧ - أَنْ لَا يَشْتَمِلَ الصَّمَاءُ وَهِيَ أَنْ يُلْفَ الثَّوبَ عَلَى جِسْمِهِ، وَلَا يَتْرَكَ مَخْرَجاً مِنْهُ لِيَدَيْهِ لِنَهْيِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَنْ لَا يَمْشِيَ فِي نَعْلٍ وَاحِدٍ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا يَمْشِي أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدٍ لِيُخَفِّهَمَا، أَوْ لِيَنْعَلَهُمَا جَمِيعاً»^(٢).

٨ - أَنْ لَا يَلْبَسَ الْمُسْلِمُ لِبْسَةَ الْمُسْلِمَةِ، وَلَا الْمُسْلِمَةُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ لِتَحْرِيمِ الرُّسُولِ ﷺ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «لَعَنَ اللَّهُ الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ الْمَتَرَجِلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ»^(٣). وقوله: «لَعَنَ اللَّهُ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ، كَمَا لَعَنَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَ الْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»^(٤).

٩ - إِذَا انْتَعَلَ بَدَأَ بِالْيَمِينِ، وَإِذَا نَزَعَ بَدَأَ بِالشِّمَالِ لِقَوْلِهِ ﷺ: إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيُمْنَى وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ، لِتَكُونَ الْيُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرُهُمَا تُنْزَعُ»^(٥).

١٠ - أَنْ يَبْدَأَ فِي لُبْسِ ثَوْبِهِ بِالْيَمِينِ لِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ التَّيْمَنَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ فِي نَعْلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطَهْوَرِهِ»^(٦).

١١ - أَنْ يَقُولَ إِذَا لَبَسَ ثَوْباً جَدِيداً، أَوْ أَيَّ مَلْبُوسٍ جَدِيدٍ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ، وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ» لَوُرُودِ ذَلِكَ عَنْهُ ﷺ^(٧).

١٢ - أَنْ يَدْعُوَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ إِذَا رَأَهُ لَبَسَ جَدِيداً يَقُولُ لَهُ: أُبْلِلْ وَأُخْلَقْ لِدَعَائِهِ ﷺ بِذَلِكَ لِأَمِّ خَالِدٍ لَمَّا لَبِسَتْ جَدِيداً.

(٧) أبو داود والترمذي وحسنه.

(٣، ٤) البخاري.

(١، ٢، ٥، ٦) مسلم.

الفصل الثالث عشر

في آداب خصال الفطرة

الْمُسْلِمُ بِوصْفِهِ مُسْلِمًا يَتَّقِيْهُ بِتَعَالِيمِ كِتَابِ رَبِّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ فَعَلَى ضَوْئِهِمَا يَعْيشُ وَبِحَسْبِهِمَا يَتَكَيَّفُ فِي جَمِيعِ شُؤْنِهِ، وَذَلِكَ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(١). وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢). وَلِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «لَا بُؤْمُنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»^(٣). وَقَوْلُهُ: مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ.

فلهذا يلتزم المسلم بالآداب الآتية في خصال الفطرة الثابتة عنه ﷺ في قوله: خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: الاسْتِحْدَادُ، وَالخِتَانُ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَتَفْتُ الْإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ.

وهذه الآداب هي:

١ - الخِتَانُ، وهو قَطْعُ الْجِلْدَةِ الَّتِي تُغْطِي رَأْسَ الذَّكَرِ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ يَوْمَ سَابِعِ الْوِلَادَةِ، إِذْ خَتَنَ النَّبِيُّ ﷺ كَلًّا مِنْ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ابْنَيْ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا يَوْمَ سَابِعِ الْوِلَادَةِ، وَلَا بَأْسَ أَنْ يَتَأَخَّرَ إِلَى مَا قَبْلَ الْبُلُوغِ، إِذْ اخْتَتَنَ نَبِيُّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ فِي سِنِّ الثَّمَانِينَ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ

(١) الأحزاب.

(٢) الحشر.

(٣) النووي في الأربعين، وقال في حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجة.

والسلام: أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ الرَّجُلُ يَقُولُ لَهُ: «أَلْقِ عَنْكَ شَعْرَ الْكُفْرِ وَاخْتِئِن».

٢ - قَصُّ الشَّارِبِ فِيَجْزُ الْمُسْلِمِ شَارِبَهُ الَّذِي يَتَدَلَّى عَلَى شَافِيَةٍ.

وَأَمَّا اللَّحْيَةُ فَيُؤْفَرُهَا حَتَّى تَمَلَأَ وَجْهَهُ وَتُرَوِّيَهُ لِقَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «جَزُوا الشَّوَارِبَ وَأَرْخُوا اللَّحْيَ، خَالِفُوا الْمُجُوسَ»^(١) وَقَوْلِهِ: «خَالِفُوا الْمَشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَاعْفُوا اللَّحْيَ، بِمَعْنَى وَقُرُوهَا وَكثُرُوهَا فَيَحْرُمُ بِهَذَا خَلْقُهَا، وَيَتَجَنَّبُ الْقَزَعُ وَهُوَ خَلْقُ بَعْضِ الرَّأْسِ وَتَرْكُ الْبَعْضِ لِقَوْلِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْقَزَعِ»^(٢).

كَمَا يَتَجَنَّبُ صِبْغَ لَحْيَتِهِ بِالسَّوَادِ لِقَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَمَّا جِيءَ بِوَالِدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَكَأَنَّ رَأْسَهُ ثَعَامَةً بَيَاضاً: «أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَلْتُغَيِّرْهُ بِشَيْءٍ وَجَنَّبُوهُ السَّوَادَ، أَمَّا الصَّبْغُ بِالْحِنَاءِ وَالْكَتْمِ فَيُسْتَحْسَنُ الْخِضَابُ بِهِمَا»^(٣).

وَإِنْ قُفِرَ الْمُسْلِمُ شَعْرَ رَأْسِهِ وَلَمْ يَحْلِقْهُ أَكْرَمَهُ بِالذَّهْنِ وَالتَّشْرِيحِ لِقَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ»^(٤).

٤ - نَتْفُ الْإِبْطِ، فَيَنْتَفُ الْمُسْلِمُ شَعْرَ إِبْطَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى نَتْفِهِ حَلَقَهُ، أَوْ طَلَاهُ بِالنُّورَةِ وَنَحَوَهَا لِيَزُولَ.

٥ - تَقْلِيمُ الْأُظْفَارِ، فَيُقْلِمُ الْمُسْلِمُ أَظْفَارَهُ، وَيُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يَبْدَأَ بِالْيَمَنِ ثُمَّ الْيُسْرَى ثُمَّ الرَّجُلَ الْيَمَنِي فَالْيُسْرَى، إِذْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُجِبُّ نَدْبَ بَالِيَمِينَ فِي ذَلِكَ»^(٥).

يَفْعَلُ الْمُسْلِمُ كُلَّ هَذَا بَنِيَّةَ الْاِقْتِدَاءِ بِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمُتَابَعَتِهِ لِيَحْصُلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَجْرُ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالِاسْتِئْثَانِ بِسُنَّتِهِ، إِذْ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَلِكُلِّ امْرَأٍ مَا نَوَى.

(١) مسلم. (٢، ٣، ٥) متفق عليهما. (٤) أبو داود بإسناد صحيح.

الفصل الرابع عشر

في آداب النوم

المسلم يرى النوم من النعم التي امتنَّ الله بها على عباده في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١). وفي قوله: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾^(٢). إذ سُكُونُ الْعَبْدِ سَاعَاتٍ بِاللَّيْلِ بَعْدَ حَرَكَةِ النَّهَارِ الدَّائِبَةِ مِمَّا يُسَاعِدُ عَلَى حَيَاةِ الْجِسْمِ وَبَقَاءِ نَمَائِهِ وَنَشَاطِهِ لِيُؤَدِّيَ وُظَائِفَهُ الَّتِي خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ أَجْلِهَا، فَشُكْرُ هَذِهِ النِّعْمَةِ يَسْتَلْزِمُ مِنَ الْمُسْلِمِ أَنْ يُرَاعِيَ فِي نَوْمِهِ الْأَدَابَ التَّالِيَةَ:

١ - أَنْ لَا يُؤَخَّرَ نَوْمُهُ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَّا لضرُورَةٍ كَمُذَاكَرَةِ عِلْمٍ، أَوْ مُحَادَثَةِ ضَيْفٍ أَوْ مُوَانَسَةِ أَهْلِ، لَمَا رَوَى أَبُو بَرزَةَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا^(٣).

٢ - أَنْ يَجْتَهِدَ فِي أَنْ لَا يَنَامَ إِلَّا عَلَى وُضُوءٍ لِقَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ»^(٤).

٣ - أَنْ يَنَامَ ابْتِدَاءً عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، وَيَتَوَسَّدَ يَمِينَهُ، وَلَا بَأْسَ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى شِقِّهِ الْأَيْسَرِ فِيمَا بَعْدَ لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ لِلْبَرَاءِ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اصْجَعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ». وقوله: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ وَأَنْتَ طَاهِرٌ فَتَوَسَّدَ يَمِينِكَ».

٤ - لَا يَضْطَجِعُ عَلَى بَطْنِهِ أَثْنَاءَ نَوْمِهِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا، لَمَا وَرَدَ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ

(٣، ٤) متفق عليهما.

(٢) النبأ.

(١) القصص.

الصلوة والسلام قال: «إِنَّهَا ضَجَعَةُ أَهْلِ النَّارِ». وقال: «إِنَّهَا ضَجَعَةُ لَا يُحِبُّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

٥ - أَنْ يَأْتِيَ بِالْأَذْكَارِ الْوَارِدَةِ، وَمِنْهَا:

١ - أَنْ يَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، ثُمَّ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لِقَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَقَدْ طَلَبَا مِنْهُ ﷺ خَادِمًا يُسَاهِدُهُمَا فِي الْبَيْتِ: «أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَا؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضْجَعًا فَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»^(١).

٢ - أَنْ يَقْرَأَ الْفَاتِحَةَ وَأَوَّلَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ إِلَى الْمَفْلُحُونَ، وَآيَةَ الْكُرْسِيِّ وَخَاتِمَةَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ، إِلَى آخِرِ السُّورَةِ لِمَا وَرَدَ مِنَ التَّرْغِيبِ فِي ذَلِكَ.

٣ - أَنْ يَجْعَلَ آخِرَ مَا يَقُولُهُ هَذَا الدُّعَاءَ الْوَاردَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِاسْمِكَ أَرْفَعُهُ، اللَّهُمَّ إِنْ أَمْسَكَتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَالْجَنَاتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمَقْدَمُ وَأَنْتَ الْمَوْخِرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، رَبِّ قِسْ عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ»^(٢).

٤ - أَنْ يَقُولَ إِذَا اسْتَقِظَ أَثْنَاءَ نَوْمِهِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». وَلْيَدْعُ بِمَا شَاءَ فَإِنَّهُ يُسْتَجَابُ لَهُ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ تَعَارَّ بِاللَّيْلِ فَقَالَ حِينَ يَسْتَقِظُ الْخ، ثُمَّ دَعَا اسْتَجِيبَ لَهُ»^(٣). فَإِنْ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى قَبِلَتْ صَلَاتُهُ،

(٣) البخاري.

(٢) أبو داود وغيره بإسناده صحيح.

(١) مسلم.

أَوْ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ أَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا، وَلَا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.

٦ - أَنْ يَأْتِيَ بِالْأَذْكَارِ الْآتِيَةِ إِذَا هُوَ أَصْبَحَ.

١ - أَنْ يَقُولَ إِذَا اسْتَيْقَظَ وَقَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ فَرَاشِهِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ.

٢ - أَنْ يَرْفَعَ طَرَفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَقْرَأَ: إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْآيَاتِ الْعَشْرَ مِنْ خَاتِمَةِ آلِ عِمْرَانَ، إِذَا هُوَ قَامَ لِلتَّهَجُّدِ لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَمَّا بَتَّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ زَوْجِ الرَّسُولِ ﷺ قَامَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَتَّى نَصَفَ اللَّيْلَ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ فَجَعَلَ يَمْسُحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَيْءٍ مُعَلَّقَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَاحْسَنَ الْوُضُوءِ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى»^(١).

٣ - أَنْ يَقُولَ أَرْبَعَ مَرَاتٍ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ بِحَمْدِكَ أَشْهَدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلَائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنْكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ قَالَهَا مَرَّةً أَعْتَقَ اللَّهُ رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ»^(٢).

٤ - أَنْ يَقُولَ إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَى عَتَبَةِ الْبَابِ خَارِجًا: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ هَذَا قِيلَ لَهُ هُدَيْتَ وَكُفِّيتَ»^(٣).

٥ - إِذَا غَادَرَ الْعَتَبَةَ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلِمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ». وَذَلِكَ لِقَوْلِ أُمِّ سَلَمَةَ: مَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلَّا رَفَعَ طَرَفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ» الْحَدِيثُ...

(٣) الترمذي وحسنه.

(٢، ٤) أبو داود بإسناد صحيح.

(١) البخاري.

الباب الثالث



الفصل الأول

في حُسن الخُلُقِ وبَيَانِهِ

الخُلُقُ هَيْئَةٌ رَاسِخَةٌ فِي النَّفْسِ تَصْدُرُ عَنْهَا الْأَفْعَالُ الْإِرَادِيَّةُ الْاِخْتِيَارِيَّةُ مِنْ حَسَنَةٍ وَسَيِّئَةٍ، وَجَمِيلَةٍ وَقَبِيحَةٍ، وَهِيَ قَابِلَةٌ بِطَبْعِهَا لِتَأْثِيرِ التَّرْبِيَةِ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ فِيهَا، فَإِذَا مَا رُبِّيتْ هَذِهِ الْهَيْئَةُ عَلَى إِثَارِ الْفَضِيلَةِ وَالْحَقِّ، وَحُبِّ الْمَعْرُوفِ، وَالرَّغْبَةِ فِي الْخَيْرِ، وَرُوضَتِ عَلَى حُبِّ الْجَمِيلِ، وَكَرَاهِيَةِ الْقَبِيحِ، وَأَصْبَحَ ذَلِكَ طَبْعًا لَهَا تَصْدُرُ عَنْهُ الْأَفْعَالُ الْجَمِيلَةُ بِسُهُولَةٍ، وَدُونَ تَكَلُّفٍ قِيلَ فِيهِ: خُلُقٌ حَسَنٌ.

وَنُعْتَمِدُ تِلْكَ الْأَفْعَالُ الْجَمِيلَةُ الصَّادِرَةُ عَنْهُ بِدُونِ تَكَلُّفٍ بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَذَلِكَ كَخُلُقِ الْحِلْمِ وَالْأَنَاقَةِ، وَالصَّبْرِ وَالتَّحَمُّلِ، وَالْكَرَمِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْفَضَائِلِ الْخُلُقِيَّةِ، وَالْكَمَالَاتِ النَّفْسِيَّةِ.

كَمَا أَنَّهَا إِذَا أَهْمِلَتْ فَلَمْ تُهَذَّبِ التُّهَذُّبِ اللَّائِقُ بِهَا، وَلَمْ يُعَنْ بِتَنْمِيَةِ عُنَاصِرِ الْخَيْرِ الْكَامِنَةِ فِيهَا، أَوْ رُبِّيتْ تَرْبِيَةً سَيِّئَةً حَتَّى أَصْبَحَ الْقَبِيحُ مَحْبُوبًا لَهَا وَالْجَمِيلُ مَكْرُوهًا عِنْدَهَا، وَصَارَتْ الرَّذَائِلُ وَالنَّقَائِصُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ الذَّمِيمَةِ الَّتِي تَصْدُرُ عَنْهَا بِدُونِ تَكَلُّفٍ قِيلَ فِيهَا: خُلُقٌ سَيِّئٌ، وَسُمِّيَتْ تِلْكَ الْأَقْوَالُ وَالْأَفْعَالُ الذَّمِيمَةُ الَّتِي تَصْدُرُ عَنْهَا بِالْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ، وَذَلِكَ كَالْخِيَانَةِ وَالْكَذْبِ، وَالْجَزَعِ وَالطَّمَعِ، وَالْجَفَاءِ وَالْغِلَةِ وَالْفُحْشِ، وَالْبَدَاءِ وَمَا إِلَيْهَا وَمِنْ هُنَا نَوَّةُ الْإِسْلَامِ بِالْخُلُقِ الْحَسَنِ وَدَعَا إِلَى تَرْبِيَتِهِ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَتَنْمِيَتِهِ فِي نَفُوسِهِمْ، وَاعْتَبَرَ إِيْمَانَ الْعَبْدِ بِفَضَائِلِ نَفْسِهِ، وَإِسْلَامَهُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ، وَأَتَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ بِحُسْنِ خُلُقِهِ فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى

خُلِقَ عَظِيمٌ^(١). وَأَمَرَهُ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ فَقَالَ: «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ»^(٢). وَجَعَلَ الْأَخْلَاقَ الْفَاضِلَةَ سَبَبًا تُنَالُ بِهِ الْجَنَّةُ الْعَالِيَةُ فَقَالَ: «وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»^(٣). وَبَعَثَ رَسُولَهُ ﷺ بِإِتْمَامِهَا فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(٤). وَبَيَّنَّ ﷺ فَضْلَ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ فِي غَيْرِ مَا قَوْلٍ فَقَالَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»^(٥). وَقَالَ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ»^(٦). وَقَالَ: أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا^(٧). وَقَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»^(٨). وَسُئِلَ عَنْ أَيِّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ». وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(٩). وَقَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَبْلُغُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ عَظِيمَ دَرَجَاتٍ الْآخِرَةِ وَشَرَفَ الْمَنَازِلِ وَإِنَّهُ لَضَعِيفُ الْعِبَادَةِ»^(١٠).

آراء السلف في بيان حسن الخلق:

قال الحسن. حُسْنُ الْخُلُقِ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَبَذْلُ النَّدَى، وَكَفُّ الْأَذَى، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: حُسْنُ الْخُلُقِ فِي ثَلَاثِ خَصَالٍ: اجْتِنَابُ الْمُحَارِمِ، وَطَلَبُ الْحَلَالِ، وَالتَّوَسُّعُ عَلَى الْعِيَالِ: وَقَالَ آخَرُ: حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ يَكُونَ مِنَ النَّاسِ قَرِيبًا، وَفِيمَا بَيْنَهُمْ غَرِيبًا. وَقَالَ آخَرُ: حُسْنُ الْخُلُقِ كَفُّ الْأَذَى وَاحْتِمَالُ الْمُؤْمِنِ. وَقَالَ آخَرُ: حُسْنُ الْخُلُقِ أَنْ لَا يَكُونَ لَكَ هَمٌّ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى. وَهَذَا كُلُّهُ تَعْرِيفٌ لَهُ بِبَعْضِ جُزْئِيَّاتِهِ، وَأَمَّا تَعْرِيفُهُ بِاعْتِبَارِ ذَاتِهِ وَحَقِيقَتِهِ، فَهُوَ كَمَا تَقَدَّمَ سَابِقًا.

وَقَالُوا فِي عَلَامَةِ ذِي الْخُلُقِ الْحَسَنِ: أَنْ يَكُونَ كَثِيرَ الْحَيَاءِ، قَلِيلَ الْأَذَى، كَثِيرَ

(١) الأعراف.

(٢) فصلت.

(٣) (٥، ٣) أحمد وأبو داود.

(٤) الترمذي وصححه.

(٥) آل عمران.

(٦) (١٠) الطبراني بسند جيد.

(٧) (٤، ٦، ٨) البخاري.

الصَّلَاحِ، صَدُوقَ اللِّسَانِ، قَلِيلَ الْكَلَامِ، كَثِيرَ الْعَمَلِ، قَلِيلَ الزَّلَلِ، قَلِيلَ
 الْفُضُولِ، بَرًّا وَصُولًا، وَقُورًا، صَبُورًا شُكُورًا رَضِيًّا حَلِيمًا، وَفِيًّا عَفِيفًا لَا لَعَنًا وَلَا
 سَبَابًا وَلَا نَمَامًا وَلَا مُغْتَابًا، وَلَا عَجُولًا وَلَا حَقُولًا وَلَا بَخِيلًا وَلَا حَسُودًا، بِشَاشًا هَشَّاشًا،
 يُحِبُّ فِي اللَّهِ وَيُبْغِضُ فِي اللَّهِ وَيَرْضَى فِي اللَّهِ، وَيَسْخَطُ لِلَّهِ. وَهَذَا أَيْضًا مِنْهُمْ
 تَعْرِيفُ لِدِي الْخُلُقِ الْحَسَنِ بِبَعْضِ صِفَاتِهِ. وَفِي الْفُضُولِ الْآتِيَةِ كُلُّ صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ
 الْخُلُقِ الْحَسَنِ عَلَى حِدَةٍ، وَبِاسْتِيفَاءِ مَجْمُوعِ تِلْكَ الصِّفَاتِ يَتَشَخَّصُ الْخُلُقُ الْحَسَنُ
 بِاعْتِبَارِ أَجْزَائِهِ، وَيُظْهَرُ وَيَتَمَيَّزُ ذُو الْخُلُقِ الْحَسَنِ بِاعْتِبَارِ صِفَاتِهِ.

الفصل الثاني

في خُلُقِ الصَّبْرِ، واحتمالِ الأذى

من محاسن أخلاقِ المسلمِ التي يَتَحَلَّى بِهَا: الصَّبْرُ، واحتمالِ الأذى في ذاتِ الله تعالى. أمَّا الصَّبْرُ فهو حَبْسُ النفسِ على ما تَكْرَهُ، أو احتِمَالُ المكْرُوهِ بِنَوْعٍ من الرِّضَا والتَّسْلِيمِ.

فالمسلمُ يَحْبِسُ نفسه على ما تَكْرَهُه من عِبَادَةِ اللهِ وطَاعَتِهِ، وَيُلْزِمُهَا بِذَلِكَ إلْزَامًا، وَيَحْبِسُهَا دُونَ مَعَاصِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَسْمَحُ لَهَا بِاقْتِرَابِهَا، وَلَا يَأْذُنُ لَهَا فِي فِعْلِهَا مَهْمَا تَأَقَّتْ لِدَلِكِ بِطَبْعِهَا، وَهَشَّتْ لَهُ، وَيَحْبِسُهَا عَلَى الْبَلَاءِ إِذَا نَزَلَ بِهَا فَلَا يَتْرُكُهَا تَجَزُّعٌ، وَلَا تَسْخَطُ، إِذِ الْجَزَعُ، كَمَا قَالَ الْحُكَمَاءُ عَلَى الْفَائِتِ آفَةٌ، وَعَلَى الْمَتَوَقِّعِ سَخَافَةٌ وَالسَّخَطُ عَلَى الْأَقْدَارِ مُعَاتَبَةٌ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ وَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ مُسْتَعِينٌ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى بِالْجَزَاءِ الْحَسَنِ عَلَى الطَّاعَاتِ، وَمَا أَعَدَّ لِأَهْلِهَا مِنْ جَزِيلِ الْأَجْرِ، وَعَظِيمِ الْمُثُوبَاتِ، وَبِذِكْرِ وَعِيدِهِ تَعَالَى لِأَهْلِ بَغْضَتِهِ وَأَصْحَابِ مَعْصِيَتِهِ، مِنَ أَلِيمِ الْعَذَابِ، وَشَدِيدِ الْعِقَابِ وَيتَذَكَّرُ أَنَّ أَقْدَارَ اللهِ جَارِيَةٌ، وَأَنْ قَضَاءَهُ تَعَالَى عَدْلٌ، وَأَنَّ حُكْمَهُ نَافِذٌ، صَبَرَ الْعَبْدُ أَمْ جَزِعَ، غَيْرَ أَنَّهُ مَعَ الصَّبْرِ الْأَجْرُ، وَمَعَ الْجَزَعِ الْوُزْرُ.

ولما كَانَ الصَّبْرُ وَعَدَمُ الْجَزَعِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي تُكْتَسَبُ وَتُنَالُ بِنَوْعٍ مِنَ الرِّيَاضَةِ وَالْمَجَاهَدَةِ، فَالْمُسْلِمُ بَعْدَ افْتِقَارِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُ الصَّبْرَ، فَإِنَّهُ يَسْتَلْهِمُ الصَّبْرَ بِذِكْرِ مَا وَرَدَ فِيهِ مِنْ إِمْرٍ، وَمَا وَعَدَ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١). وَقَوْلِهِ: ﴿وَاسْتَعِينُوا

(١) آل عمران.

بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ^(١). وقوله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٢). وقوله: ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾^(٣). وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ، وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(٤). وقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٥). وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا، وَكَانُوا بآيَاتِنَا يُوْقِنُونَ﴾^(٦). وقوله: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٧). كقول الرسول ﷺ: «الصَّبْرُ ضِيَاءٌ»^(٨). وقوله: «وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَصْبِرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(٩). وقوله: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ إِصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(١٠). وقوله عليه الصلاة والسلام لا يَنْتَبِهَ وَقَدْ أُرْسِلَتْ إِلَيْهِ تَطْلُبُ حُضُورَهُ، إِذْ وَلَدَهَا قَدْ اخْتَضَرَ فَقَالَ لِرَسُولِهَا: «اقْرَأْهَا السَّلَامَ، وَقُلْ لَهَا: إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»^(١١). وقوله: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي، بِحَبِيبَتِيهِ (عَيْنِيهِ) فَصَبَرَ عَوَضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ»^(١٢). وقوله: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِيبْ مِنْهُ»^(١٣). وقوله: «إِنَّ أَعْظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عَظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»^(١٤). وقوله عليه السلام: «مَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ».

وَأَمَّا احْتِمَالُ الْأَذَى فَهُوَ الصَّبْرُ وَلَكِنَّهُ أَشَقُّ، وَهُوَ بَضَاعَةُ الصِّدِّيقِينَ، وَشِعَارُ الصَّالِحِينَ. وَحَقِيقَتُهُ أَنْ يُؤَذَى الْمُسْلِمُ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى فَيَصْبِرُ وَيَتَحَمَّلُ، فَلَا يَرُدُّ السَّيِّئَةَ بِغَيْرِ الْحَسَنَةِ، وَلَا يَنْتَقِمُ لِدَايَتِهِ، وَلَا يَتَأَثَّرُ لِشَخْصِيَّتِهِ مَا دَامَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمُؤَدِّيًّا إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَأُسْوَتُهُ فِي ذَلِكَ الْمُرْسَلُونَ الصَّالِحُونَ إِذْ يَنْدُرُ مَنْ لَمْ يُؤَذَّ

(١، ٤) البقرة. (٣) لقمان. (٧) الزمر. (٩، ١١، ١٢، ١٣) البخاري.

(٢، ٥) النحل. (٦) السجدة. (٨، ١٠) مسلم. (١٤) الترمذي وابن ماجه.

مِنْهُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ، وَلَمْ يُبْتَلْ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْوُصُولِ إِلَى اللَّهِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ضَرْبُهُ قَوْمُهُ فَادْمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^(١).

هَذِهِ صُورَةٌ مِنْ صُورِ احْتِمَالِ الْأَذَى كَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَصُورَةٌ أُخْرَى لَهُ «قَسَمَ يَوْمًا مَالًا، فَقَالَ أَحَدُ الْأَعْرَابِ: قِسْمَةٌ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَاحْمَرَّتْ وَجَتَاهُ، ثُمَّ قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَخِي مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»^(٢). وَقَالَ خُبَابُ بْنُ الْأَرْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَهُوَ مَتَوَسِّدٌ بُرْدَةً فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَنْتَصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو لَنَا فَقَالَ: قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمَنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نَصْفَيْنِ، وَيُمَشَّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ مَا يَصُدُّ ذَلِكَ عَنْ دِينِ اللَّهِ»^(٣). وَقَصَّ اللَّهُ لَنَا عَنِ الْمُرْسَلِينَ وَحَكَى عَنْهُمْ قَوْلَهُمْ وَهُمْ يَتَحَمَّلُونَ الْأَذَى فَقَالَ: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا، وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾^(٤). وَكَانَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ﷺ يَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: «قِيلَ لَكُمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّ السِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ، وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ لَا تَقَاوُمُوا الشَّرَّ بِالشَّرِّ مَنْ ضَرَبَ خَدَّكَ الْأَيْمَنَ فَحَوَّلْ إِلَيْهِ الْخَدَّ الْأَيْسَرَ، وَمَنْ أَخَذَ مِنْكَ رِدَاءَكَ فَأَعْطِهِ إِيَّارَكَ»^(٥)، وَكَانَ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُونَ: مَا كُنَّا نَعُدُّ إِيمَانَ الرَّجُلِ إِيمَانًا إِذَا لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْأَذَى!

عَلَى ضَوْءِ هَذِهِ الصُّورِ النَّاطِقَةِ، وَالْأَمْثَلَةِ الْحَيَّةِ مِنَ الصَّبْرِ وَالتَّحَمُّلِ يَعِيشُ الْمُسْلِمُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مَتَحَمِّلًا، لَا يَشْكُو وَلَا يَتَسَخَّطُ، وَلَا يَدْفَعُ الْمَكْرُوهَ بِالْمَكْرُوهِ، وَلَكِنْ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ وَيَعْفُو وَيَصْبِرُ وَيَغْفِرُ: ﴿وَلِمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾

(١)، (٢) متفق عليهما.

(٤) سورة إبراهيم.

(٣) البخاري.

(٥) الغزالي في الأحياء.

الفصل الثالث

في خُلُقِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى والاعْتِمَادِ عَلَى النَّفْسِ

المسلم لا يرى التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى في جميعِ إِعْمَالِهِ وَاجِبًا خُلُقِيًّا فَحَسَبُ بَلْ يَرَاهُ فَرِيضَةً دِينِيَّةً، وَيَعُدُّهُ عَقِيدَةً إِسْلَامِيَّةً، وَذَلِكَ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١). وَقَوْلِهِ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢). لِهَذَا كَانَ التَّوَكُّلُ الْمَطْلُوقُ عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جُزْءًا مِنْ عَقِيدَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى.

والمسلم إذ يَدِينُ لِلَّهِ تَعَالَى بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَالْإِطْرَاحِ الْكَامِلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، لَا يَفْهَمُ مِنَ التَّوَكُّلِ مَا يَفْهَمُهُ الْجَاهِلُونَ بِالإِسْلَامِ، وَخُصُومُ عَقِيدَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَنَّ التَّوَكُّلَ مُجَرَّدُ كَلِمَةٍ تَلَوُكُهَا الْأَلْسُنُ، وَلَا تَعْيِيهَا الْقُلُوبُ، وَتَتَحَرَّكُ بِهَا الشِّفَاهُ وَلَا تَفْهَمُهَا الْعُقُولُ، أَوْ تَتَرَوَاهَا الْأَفْكَارُ، أَوْ هُوَ نَبْذُ الْأَسْبَابِ، وَتَرْكُ الْعَمَلِ، وَالْقَنُوعُ وَالرِّضَا بِالْهَوَنِ وَالذُّونِ تَحْتَ شِعَارِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَالرِّضَا بِمَا تَجْرِي بِهِ الْأَقْدَارُ لَا أَبَدًا: أَمْ بَلِ الْمُسْلِمُ يَفْهَمُ التَّوَكُّلَ الَّذِي هُوَ جُزْءٌ مِنْ إِيمَانِهِ وَعَقِيدَتِهِ أَنَّهُ طَاعَةُ اللَّهِ بِإِحْضَارِ كَافَّةِ الْأَسْبَابِ الْمَطْلُوبَةِ لِأَيِّ عَمَلٍ مِنَ الْأَعْمَالِ الَّتِي يُرِيدُ مُرَاقَبَتَهَا وَالذُّخُولَ فِيهَا، فَلَا يَظْمَعُ فِي ثَمَرَةٍ بِدُونِ أَنْ يَقْدِمَ أَسْبَابَهَا، وَلَا يَرْجُو نَتِيجَةَ مَا بِدُونِ أَنْ يَضَعَ مُقَدِّمَتَهَا، غَيْرَ أَنَّ مَوْضُوعَ إِثْمَارِ تِلْكَ الْأَسْبَابِ، وَإِنْتِاجِ تِلْكَ الْمُقَدِّمَاتِ يُفَوِّضُهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَيْهِ دُونَ سِوَاهُ.

(١) التغابن.

(٢) المائدة.

فالتوكلُ عندَ المسلمِ إِذَا هُوَ عَمَلٌ وَأَمَلٌ، مَعَ هُدُوءِ قَلْبٍ وَطُمَائِينَةٍ نَفْسٍ،
وَاعْتِقَادٍ جَازِمٍ أَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ
أَحْسَنَ عَمَلًا.

والمسلمُ إِذْ يُؤْمِنُ بِسَنَنِ اللَّهِ فِي الْكَوْنِ فَيَعُدُّ لِلْأَعْمَالِ أَسْبَابَهَا الْمَطْلُوبَةَ لَهَا،
وَيَسْتَفْرِغُ الْجُهْدَ فِي إِحْضَارِهَا وَإِكْمَالِهَا لَا يَعْتَقِدُ أَبَدًا أَنَّ الْأَسْبَابَ وَحْدَهَا كِفِيلَةٌ بِتَحْقِيقِ
الْأَغْرَاضِ، وَإِنْجَاحِ الْمَسَاعِي، لَا، بَلْ يَرَى وَضَعَ الْأَسْبَابِ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ أَمَرَ اللَّهُ
بِهِ، يَجِبُ أَنْ يُطَاعَ فِيهِ كَمَا يُطَاعُ فِي غَيْرِهِ مِمَّا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ، أَمَّا الْحَصُولُ عَلَى
النَّاتِجِ، وَالْفَوْزُ بِالرَّغَائِبِ فَقَدْ وَكَّلَ أَمْرَهُمَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ
دُونَ غَيْرِهِ، وَأَنَّ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَكَمْ مِنْ عَامِلٍ كَادِحٍ لَمْ يَأْكُلْ ثَمَرَةَ
عَمَلِهِ وَكَدَجِهِ، وَكَمْ مِنْ زَارِعٍ لَمْ يَحْصِدْ مَا زَرَعَ.

وَمِنْ هُنَا كَانَتْ نَظَرَةُ الْمُسْلِمِ إِلَى الْأَسْبَابِ: أَنَّ الْاعْتِمَادَ عَلَيْهَا وَحْدَهَا وَاعْتِبَارَهَا
هِيَ كُلُّ شَيْءٍ فِي تَحْقِيقِ الْمَطْلُوبِ كُفْرٌ وَشِرْكٌ، يَتَبَرَّأُ مِنْهَا، وَأَنَّ تَرْكَ الْأَسْبَابِ الْمَطْلُوبَةِ
لِأَيِّ عَمَلٍ وَإِهْمَالِهَا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِعْدَادِهَا وَإِجَادِهَا فُسُقٌ وَمَعْصِيَةٌ يُحَرِّمُهَا وَيَسْتَغْفِرُ
اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمَا.

والمسلمُ فِي نَظَرَتِهِ هَذِهِ إِلَى الْأَسْبَابِ مُسْتَمِدٌّ فَلَسَفَتَهَا مِنْ رُوحِ إِسْلَامِهِ،
وَتَعَالِيمِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَرَسُولُ اللَّهِ كَانَ فِي حُرُوبِهِ الطَّوِيلَةِ الْعَدِيدَةِ لَا يَخُوضُ مَعْرَكَةً
حَتَّى بَعْدَ لَهَا عُدَّتَهَا وَيَهْمَى لَهَا أَسْبَابَهَا، فَيَخْتَارُ حَتَّى مَكَانَ الْمَعْرَكَةِ، وَزَمَانَهَا فَقَدْ أُثِرَ
عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ لَا يَشُنُّ غَارَةً فِي الْحَرِّ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَبْرُدَ الْجَوُّ، وَيَتَلَطَّفَ الْهَوَاءُ مِنْ آخِرِ
النَّهَارِ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَدْ رَسَمَ خُطَّتَهُ، وَنَظَّمَ صُفُوفَهُ، وَإِذَا فَرَّغَ مِنْ كُلِّ الْأَسْبَابِ
الْمَادِيَةِ الْمَطْلُوبَةِ لِنَجَاحِ الْمَعْرَكَةِ رَفَعَ يَدَيْهِ سَائِلًا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ: «اللَّهُمَّ مُنِزِلَ الْكِتَابِ
وَمُجْرِي السَّحَابِ وَهَازِمِ الْأَحْزَابِ أَهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ»^(١) وَكَذَلِكَ كَانَ هُدًى ﷺ
فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الْأَسْبَابِ الْمَادِيَةِ وَالرُّوحِيَّةِ، ثُمَّ يُعَلِّقُ أَمْرَ نَجَاحِهِ عَلَى رَبِّهِ، وَيُنَوِّطُ
فَلَاحَهُ وَفَوْزَهُ بِمَشِيئَةِ مَوْلَاهُ. هَذَا مِثَالُ!

(١) متفق عليه.

ومثال آخر: فقد انتظر ﷺ أمر ربه في الهجرة إلى المدينة بعد أن هاجر إليها جُلُّ أصحابه، وجاءه الإذن من الله تعالى بالهجرة، فما هي الترتيبات التي اتخذها رسول الله عليه الصلاة والسلام لهجرته، إنها:

١ - إحصاء رفيق من خيرة الرفقاء ألا وهو صاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ليصحبه في طريقه إلى دار هجرته.

٢ - إعداد زاد السفر من طعامٍ وشرابٍ، ربطته أسماء بنت أبي بكر بنطاقها حتى لقيت بذات النطاقين.

٣ - إعداد راحلة ممتازة للركوب عليها في هذا السفر الشاق الطويل.

٤ - إحصاء خريّت (جغرافي) عالمٍ بمسالك الطريق ودروبها الوعرة ليكون دليلاً وهادياً في هذه الرحلة الصعبة.

٥ - ولما أراد أن يخرج من بيته الذي طوقه العدو وحاصره فيه حتى لا ينفلت منه أمر ﷺ ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينأى عن فراشه تمويهاً على العدو الذي ما يترجح ينتظر خروجه من المنزل ليفتك به ثم خرج وترك العدو ينتظر قومه من فراشه الذي يترأى لهم من خلال شقوق الباب.

٦ - لما طلبه المشركون واشتدوا وراؤه يبحثون عنه وعن صاحبه أبي بكر الصديق الذي فر معه، أوى إلى غار ثور فدخل فيه ليستتر عن أعين طالبيه الناقمين الحاقدين عليه.

٧ - لما قال له أبو بكر: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا يا رسول الله قال له: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما؟

فمن خلال هذه الحادثة التي تجلّت فيها حقائق الإيمان والتوكل معاً يشاهد أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان لا يترك الأسباب، ولا يعتمد عليها، وأن آخر الأسباب للمؤمن أطراحه بين يدي الله، وتفويضه أمره إليه في ثقة واطمئنان، إن

الرَّسُولَ ﷺ لَمَّا اسْتَفَنَدَ جَمِيعَ الْوَسَائِلِ فِي طَلَبِ النِّجَاةِ حَتَّى حَشَرَ نَفْسَهُ الَّتِي طَلَبَ النِّجَاةَ لَهَا فِي غَارٍ مُظْلِمٍ تَسْكُنُهُ الْعَقَارِبُ وَالْحَيَّاتُ، قَالَ فِي ثِقَةِ الْمُؤْمِنِ وَيَقِينِ الْمُتَوَكِّلِ لِصَاحِبِهِ لَمَّا سَاوَرَهُ الْخَوْفُ: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بَاثِنِينَ اللَّهَ تَالِثَهُمَا؟^(١).

ومن هذا الهدي النبوي والتعليم المحمدي اقتبس المسلم نظرته تلك إلى الأسباب، فليس هو فيها مبتدعاً ولا مُتَنَطِعاً، وإنما هو مؤتس ومُقتدٍ.

أما الاعتماد على النفس فإن المسلم لا يفهم منه ما يفهمه المحجوبون بمعاصيهم عن أنفسهم من أنه عبارة عن قطع الصلة بالله تعالى، وأن العبد هو الخالق لأعماله، والمحقق لكسبه وأرباحه، بنفسه، وأنه لا دخل لله في ذلك، تعالى الله عما يتصورون.

وإنما المسلم إذ يقول بوجوب الاعتماد على النفس في الكسب والعمل يريد بذلك أنه لا يظهر افتقاره على عمله فإنه لا يسنده إلى غيره، وإذا تأتى له أن يسد حاجته بنفسه فلا يطلب معونة غيره، ولا مساعدة أحد سوى الله، لما في ذلك من تعلق القلب بغير الله، وهو ما لا يحبه المسلم ولا يرضاه.

والمسلم في هذا هو سالك درب الصالحين، وماضٍ على سنن الصديقين، فقد كان أحدهم إذا سقط سوطه من يده وهو راكب على فرسه ينزل إلى الأرض ليتناول نفسه ولا يطلب من أحد أن يناوله إياه، وقد كان رسول الله ﷺ يُبَايِعُ الْمُسْلِمَ عَلَى إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَإِتْيَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنْ لَا يَسْأَلَ أَحَدًا حَاجَتَهُ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى.

والمسلم إذ يعيش على هذه العقيدة من التوكل على الله والاعتماد على النفس يُعْزِي عَقِيدَتَهُ هَذِهِ وَيُنْمِي خُلُقَهُ ذَاكَ بِإِرَادِ خَاطِرَةٍ مِنَ الْوَقْتِ إِلَى الْوَقْتِ عَلَى هَذِهِ الْآيَاتِ النُّورَانِيَّةِ، وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي اسْتَمَدَّ مِنْهَا عَقِيدَتَهُ، وَاسْتَوْحَى مِنْهَا

(١) البخاري.

خُلِقَهُ، وَذَلِكَ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾^(١). وقوله: ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. وكقول الرسول ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»^(٣). وقوله إذا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ «بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»^(٤). وقوله فِي السَّبْعِينَ أَلْفًا الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ: ﴿هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْفِقُونَ، وَلَا يَكْتَسُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٥).

(١) التغابن.

(٢) آل عمران.

(٣) الترمذي وحسنه.

(٤) تقدم.

(٥) متفق عليه.

الفصل الرابع

في الايثارِ وحُبِّ الخيرِ

مِنَ أَخْلَاقِ الْمُسْلِمِ الَّتِي اكْتَسَبَهَا مِنْ تَعَالِيمِ دِينِهِ، وَمَحَاسِنِ إِسْلَامِهِ الْإِيثَارُ عَلَى النَّفْسِ، وَحُبُّ الْغَيْرِ، فَالْمُسْلِمُ مَتَى رَأَى مَحَلًّا لِلإِيثَارِ أَثَرَ غَيْرَهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَفَضْلَهُ عَلَيْهَا، فَقَدْ يَجُوعُ لِيَشْبَعَ غَيْرُهُ، وَيَعْطَشُ لِيُرَوِّى سِوَاهُ، بَلْ قَدْ يَمُوتُ فِي سَبِيلِ حَيَاةِ آخَرِينَ، وَمَا ذَلِكَ بِبَدِيعٍ وَلَا غَرِيبٍ عَلَى مُسْلِمٍ تَشَبَّعَتْ رُوحُهُ بِمَعَانِي الْكَمَالِ، وَانْطَبَعَتْ فِيهِ نَفْسُهُ بِطَائِعِ الْخَيْرِ وَحُبِّ الْفَضِيلَةِ وَالْجَمِيلِ. تِلْكَ هِيَ صِبْغَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً؟

وَالْمُسْلِمُ فِي إِيثَارِهِ وَحُبِّهِ لِلْخَيْرِ نَاهِجٌ نَهَجَ الصَّالِحِينَ السَّابِقِينَ وَضَارِبٌ فِي دَرْبِ الْأَوَّلِينَ الْفَائِزِينَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ فِي ثَنَائِهِ عَلَيْهِمْ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١). إِنَّ كُلَّ خَلْقٍ مِنَ الْمُسْلِمِ الْفَاضِلَةِ، وَكُلَّ خِصَالِهِ الْحَمِيدَةِ الْجَمِيلَةِ إِنَّمَا هِيَ مُسْتَقَاةٌ مِنْ يَنَابِعِ الْحِكْمَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، أَوْ مُسْتَوْحَاةٌ مِنْ فُيُوضَاتِ الرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَعَلَى مِثْلِ قَوْلِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» تَزْدَادُ أَخْلَاقُ الْمُسْلِمِ، سُمُوًّا وَعُلُوًّا وَعَلَى مِثْلِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. كَانَ شُعُورُ الْمُسْلِمِ بِحُبِّ الْخَيْرِ وَالرَّغْبَةِ فِي الْإِيثَارِ عَلَى النَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْوَلَدِ يَزْدَادُ قُوَّةً وَتُمُوءًا.

إِنَّ عَبْدًا كَالْمُسْلِمِ يَعْيشُ مُوْضُولًا بِاللَّهِ، لِسَانُهُ لَا يَفْتَأُ رَطْبًا بِذِكْرِهِ، وَقَلْبُهُ لَا يَبْرَحُ

(١) الحشر.

عَاكِفًا عَلَى حَبِّهِ، إِنْ سَرَحَ فِي مَلَكُوتِ النَّظَرِ جَنَى الْعَبَرِ، وَإِنْ أَوْرَدَ الْخَاطِرَ عَلَى مِثْلِ آيَاتِ الْمَزْمَلِ وَفَاطِرِ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ، هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾. ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ، لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورُهُمْ وَيُزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾، احْتَقَرَ الدُّنْيَا وَازْدَرَاهَا وَاصْطَفَى الْآخِرَةَ وَاجْتَبَاهَا، وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالَهُ فَكَيْفَ لَا يَبْذُلُ بِسَخَاءٍ مَالَهُ، وَلَمْ لَا يُجِبْ الْخَيْرَ، وَلَا يُؤْثِرُ الْغَيْرَ مَنْ عَلِمَ أَنَّ مَا يَقْدُمُهُ الْيَوْمَ يَجِدُهُ عَدَاً هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا، وَهَذَا ذِي خَمْسٍ مِنْ آيَاتِ إِيْثَارِ الْمُسْلِمِ. وَحُبِّهِ لِلْخَيْرِ نَتَلَوْنَهَا بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ:

١ - فِي دَارِ النَّدْوَةِ، وَافَقَ مَجْلِسُ شَيْخِ قَرِيشٍ بِإِجْمَاعِ الْأَرَاءِ عَلَى اقْتِرَاحِ تَقْدَمَ بِهِ أَبُو مَرْةَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقْضِي بِقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ وَاغْتِيَالِهِ فِي مَنْزِلِهِ، وَبَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقَرَارَ الْجَائِزُ، وَقَدْ أُذِنَ لَهُ بِالْهَجْرَةِ، فَعَزَمَ عَلَيْهَا، وَبَحَثَ عَلَى مَنْ يَنَامُ عَلَى فِرَاشِهِ لَيْلًا لِيَمُوتَ عَلَى الْمَتَرَبِّصِينَ لَهُ لِيَتَبَشَّشُوا بِهِ، فَيُغَادِرُ الْمَنْزِلَ وَيُتْرَكُهُمْ يَنْتَظِرُونَ قِيَامَهُ مِنْ فِرَاشِهِ فَوَجَدَ ابْنَ عَمِّهِ الشَّاتَّ الْمُسْلِمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَهْلًا لِلْفِدَاءِ وَالتَّضَحِّيَةِ فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ فَلَمْ يَتَرَدَّدْ عَلَيَّ فِي أَنْ يَقْدِمَ نَفْسَهُ فِدَاءً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ لَا يَدْرِي مَتَى تَخْطُفُهُ الْأَيْدِي مِنْهُ لَتُرْمِيَ بِهِ إِلَى الْمَتَعَطِّشِينَ إِلَى الدِّمَاءِ يَلْعَبُونَ بِهِ بِسُيُوفِهِمْ لَعَبَ الْأَرْجُلِ بِالْكُرَةِ، وَنَامَ عَلِيٌّ وَآثَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحَيَاةِ فَضْرَبَ بِذَلِكَ عَلَى حَدَاثَةِ سِنِّهِ أَرْوَغَ مِثْلٍ فِي التَّضَحِّيَةِ وَالْفِدَاءِ، وَهَكَذَا يُؤْثِرُ الْمُسْلِمُ عَلَى نَفْسِهِ وَيَجُودُ حَتَّى بِنَفْسِهِ وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ.

٢ - قَالَ حَذِيفَةُ الْعَدَوِيِّ: انْطَلَقْتُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ أَطْلُبُ ابْنَ عَمِّ لِي وَمَعِيَ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ وَأَنَا أَقُولُ: إِنْ كَانَ بِهِ رَمَقٌ سَقَيْتُهُ، وَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهَهُ، فَإِذَا أَنَا بِهِ فَقُلْتُ: أَسْقِيكَ؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ نَعَمْ، فَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ: آه، فَأَشَارَ ابْنُ عَمِّي إِلَيَّ أَنْ أَنْطَلِقَ بِهِ إِلَيْهِ، فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ، فَقُلْتُ: أَسْقِيكَ؟ فَسَمِعَ بِهِ آخَرَ فَقَالَ: آه، فَأَشَارَ هِشَامٌ أَنْطَلِقَ بِهِ إِلَيْهِ، فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ، فَرَجَعْتُ إِلَى هِشَامٍ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ، فَرَجَعْتُ إِلَى ابْنِ عَمِّي فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَهَكَذَا يَضْرِبُ هَؤُلَاءِ الشَّهَدَاءُ الثَّلَاثَةُ الْأَبْرَارُ أَعْلَى مِثَالٍ فِي الْإِيْثَارِ، وَتَفْضِيلِ

الغير على النفس، وهذا هو شأن المسلم في هذه الحياة.

٣- رُوِيَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ الْإِنطَاكِيِّ نِيفٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا لَهُمْ أَرْغَفَةٌ مَعْدُودَةٌ لَا تَكْفِيهِمْ شِبَعًا، فَكَسَرُوهَا وَأَطْفَأُوا السِّرَاجَ، وَجَلَسُوا لِلْأَكْلِ فَلَمَّا رُفِعَتِ السَّفَرَةُ فَإِذَا الْأَرْغَفَةُ مَجَالُهَا لَمْ يَنْقُصْ مِنْهَا شَيْءٌ لِأَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يَأْكُلْ إِثَارًا لِلْآخَرِينَ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى لَمْ يَأْكُلُوا جَمِيعًا، وَهَكَذَا أَثَرُ كُلِّ مُسْلِمٍ جَائِعٍ مِنْهُمْ غَيْرُهُ، فَكَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِثَارِ جَمِيعًا.

٤- رَوَى الشَّيْخَانِ أَنَّهُ نَزَلَ بِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ضَيْفٌ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَ أَهْلِهِ شَيْئًا فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَذَهَبَ بِالضَّيْفِ إِلَى أَهْلِهِ ثُمَّ وَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ الطَّعَامَ وَأَمَرَ امْرَأَتَهُ بِإِطْفَاءِ السِّرَاجِ، وَجَعَلَ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى الطَّعَامِ كَأَنَّهُ يَأْكُلُ، وَلَا يَأْكُلُ حَتَّى أَكَلَ الضَّيْفُ إِثَارًا لِلضَّيْفِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمُ اللَّيْلَةَ بِضَيْفِكُمْ وَنَزَلَتْ آيَةٌ ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

٥- حُكِيَ أَنَّ بَشَرَ بْنَ الْحَارِثِ أَتَاهُ رَجُلٌ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوفِّي فِيهِ، فَشَكَا إِلَيْهِ الْحَاجَةَ فَنَزَعَ بِشَرُّ قَمِيصَهُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَاسْتَعَارَ قَمِيصًا مَاتَ فِيهِ. . !

هَذِهِ خَمْسُ صُورٍ تُشَكِّلُ أُنْمُودَ حَيَاةٍ لِخَلْقِ الْمُسْلِمِ فِي الْإِثَارِ وَحُبِّ الْخَيْرِ نَذَرْنَاهَا لِيُورِدَ الْمُسْلِمُ عَلَيْهَا خَاطِرَهُ مُشَبَّعًا بِرُوحِ حُبِّ الْخَيْرِ وَالْإِثَارِ وَيُوَاصِلَ أَدَاءَ رِسَالَتِهِ الْخَلْقِيَّةِ الْمَثَالِيَّةِ فِي الْحَيَاةِ وَهُوَ الْمُسْلِمُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ!

الفصل الخامس

في خلق العدل والاعتدال

المسلم يرى أن العدل بمعناه العام من أوجب الواجبات وألزمها، إذ أمر الله تعالى به في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾^(١). وأخبر تعالى أنه يحب أهله في قوله: ﴿وَأَقْسُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢). والإقسط: العدل والمقسطون العادلون؛ وأمر به تعالى في الأقوال، كما أمر به في الأحكام، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾^(٣). وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٤). ولهذا يعدل المسلم في قوله وحكمه، ويتحرى العدل في كل شأنه حتى يكون العدل خلقاً له، ووصفاً لا ينفك عنه، فتصدر عنه أقواله وأعماله عادلة بعيدة من الحيف والظلم والجور، ويصبح بذلك عدلاً لا يميل به هوى، ولا تجرفه شهوة أودنيا، ويستوجب محبة الله ورضوانه وكرامته وإنعامه، إذ أخبر تعالى أنه يحب المقسطين، وأخبر رسول الله عليه الصلاة والسلام عن كرامتهم عند ربهم بقوله: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنْابِرٍ مِنْ نُورٍ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلَوْ»^(٥)، وقال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ وَشَابُّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ مُعَلِّقُ قَلْبِهِ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(٦).

(١) المسلم.
(٢) البخاري.

(٣) الأنعام.
(٤) النساء.

(١) النحل.
(٢) الممتحنة.

وَلِلْعَدْلِ مَظَاهِرُ كَثِيرَةٌ يَتَجَلَّى فِيهَا، مِنْهَا:

١ - الْعَدْلُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى بَأَن لَا يُشْرَكَ مَعَهُ فِي عِبَادَتِهِ وَصِفَاتِهِ غَيْرُهُ، وَأَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى، وَيُشْكَرُ فَلَا يُكْفَرُ.

٢ - الْعَدْلُ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ بِإِعْطَاءِ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَمَا يَسْتَحِقُّهُ.

٣ - الْعَدْلُ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ وَالْأَوْلَادِ فَلَا يَفْضِلُ أَحَدًا عَلَى آخَرَ وَلَا يُؤْثِرُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ.

٤ - الْعَدْلُ فِي الْقَوْلِ فَلَا يُشْهَدُ زُورٌ، وَلَا يُقَالُ كَذِبٌ أَوْ بَاطِلٌ.

٥ - الْعَدْلُ فِي الْمَعْتَقِدِ فَلَا يُعْتَقَدُ غَيْرُ الْحَقِّ وَالصِّدْقِ، وَلَا يُثْنَى الصِّدْرُ عَلَى غَيْرِ مَا هُوَ الْحَقِيقَةُ وَالْوَاقِعُ.

وَهَذَا مِثَالٌ عَالٍ لِلْعَدْلِ فِي الْحُكْمِ:

بَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ جَالِسٌ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ بَصْرَ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ، فَقَالَ عُمَرُ: لَقَدْ عُدْتُ بِمُجِيرٍ، فَمَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: سَابَقْتُ عَلَى فَرَسِ ابْنِا لَعْمَرِ بْنِ الْعَاصِ فَسَبَقْتُهُ، فَجَعَلَ يُقِيمِعْنِي بِسَوْطِهِ وَيَقُولُ: أَنَا ابْنُ الْأَكْرَمِينَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمْرًا أَبَاهُ فَخَشِيَ أَنْ آتِيكَ فَحَبَسَنِي فِي السِّجْنِ فَأَنْطَلَقْتُ مِنْهُ فَهَذَا الْحَيْنُ جِئْتُكَ. فَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى بَصْرَ: «إِذَا أَتَاكَ كِتَابِي هَذَا فَاشْهَدْ الْمَوْسِمَ أَنْتَ وَوَلَدُكَ فُلَانُ»، وَقَالَ لِلْمِصْرِيِّ: أَقِمْ حَتَّى يَجِيءَ، فَقَدِمَ عَمْرُو فَشَهِدَ الْحَجَّ، فَلَمَّا قَضَى عَمَرُ الْحَجَّ وَهُوَ قَاعِدٌ مَعَ النَّاسِ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَابْنُهُ إِلَى جَانِبِهِ، قَامَ الْمِصْرِيُّ، فَرَمَى إِلَيْهِ عَمْرًا بِالدِّرَّةِ وَضَرَبَهُ فَلَمْ يَنْزِعْ حَتَّى أَحَبَّ الْحَاضِرُونَ أَنْ يَنْزِعَ مِنْ كَثَرَةِ مَا ضَرَبَهُ، وَعُمَرُ يَقُولُ: اضْرِبْ ابْنَ الْأَكْرَمِينَ. فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ اسْتَوْفَيْتُ وَاسْتَفَيْتُ. قَالَ: ضَعَهَا عَلَى صُلْعَةِ عَمْرِو، قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ ضَرَبْتُ الَّذِي ضَرَبَنِي، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ فَعَلْتُ مَا

منَعَكَ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ أَنْتَ الَّذِي تَنْزِعُ، ثُمَّ قَالَ لَعْمَرُوه: «يَا عَمْرُوه مَتَى اسْتَعْبَدْتُمُ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَاراً!». .

ثَمَرَةُ طَيِّبَةِ الْعَدْلِ :

مِنْ ثَمَرَاتِ الْعَدْلِ فِي الْحِكْمِ إِشَاعَةُ الطَّمَانِينَةِ فِي النُّفُوسِ . رُوِيَ أَنَّ قَيْصَرَ أَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَسُولًا لِيَنْظُرَ أَحْوَالَهُ وَيُشَاهِدَ أَعْمَالَهُ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمَدِينَةَ سَأَلَ عَنْ عُمَرَ وَقَالَ: أَيْنَ مَلِكُكُمْ؟ فَقَالُوا: مَا لَنَا مَلِكٌ بَلْ لَنَا أَمِيرٌ قَدْ خَرَجَ إِلَى ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ، فَخَرَجَ فِي طَلَبِهِ فَرَأَهُ نَائِمًا فَوْقَ الرَّمْلِ، وَقَدْ تَوَسَّدَ دِرَّتَهُ، وَهِيَ عَصَا صَغِيرَةٌ كَانَتْ دَائِمًا بِيَدِهِ يُغَيِّرُ بِهَا الْمَنْكَرَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ وَقَعَ الْخُشُوعُ فِي قَلْبِهِ وَقَالَ: رَجُلٌ يَكُونُ جَمِيعُ الْمُلُوكِ لَا يَقْرَأُ لَهُمْ قَرَارٌ مِنْ هَيْبَتِهِ، وَتَكُونُ هَذِهِ حَالَتُهُ، وَلَكِنَّكَ يَا عَمْرُوه عَدَلْتَ فَنَمْتُ، وَمَلِكُنَا يَجُورُ، فَلَا جُرْمَ أَنَّهُ لَا يَزَالُ سَاهِرًا خَائِفًا .

وَأَمَّا الْاِعْتِدَالُ فَإِنَّهُ أَعْمُ مِنَ الْعَدْلِ، فَهُوَ يَنْتَظِمُ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ شُؤْنِ الْمُسْلِمِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَالْاِعْتِدَالُ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَسْطُ بَيْنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ وَهَمَا الْخُلُقَانِ الذَّمِيمَانِ، فَلَا يَعْتَدَالُ فِي الْعِبَادَاتِ أَنْ تَخْلُوَ مِنَ الْعُلُوِّ وَالتَّنَطُّعِ وَالْإِهْمَالِ وَالتَّفْرِيطِ، وَفِي النِّفَقَاتِ الْحَسَنَةُ بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ: فَلَا إِسْرَافَ وَلَا تَقْيِيرَ، وَلَكِنْ الْقَوَامُ بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالتَّقْيِيرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا، وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾. وَفِي اللَّيَاسِ، حَدٌّ بَيْنَ الْفُخْرِ وَالْمَبَاهَاةِ، وَلِبَاسُ الْخَشْيَةِ وَالْمَرْقَعَاتِ، وَهُوَ فِي الْمَشْيِ حَدٌّ وَسَطٌ بَيْنَ الْاِخْتِيَالِ وَالتَّكْبَرِ، وَبَيْنَ الْمُسْكَنَةِ وَالتَّذَلُّلِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَجَالٍ وَسَطٌ لَا تَفْرِيطُ وَلَا شَطَطُ.

وَالْاِعْتِدَالُ أَخُو الْاِسْتِقَامَةِ، وَهُوَ مِنْ أَشْرَفِ الْفَضَائِلِ وَأَسْمَى الْخَلَائِقِ، إِذْ هِيَ الَّتِي تُوقِفُ صَاحِبَهَا دُونَ حُدُودِ اللَّهِ فَلَا يَتَعَدَّاهَا، وَتَنْهَضُ بِهِ إِلَى الْفَرَائِضِ فَلَا يَقْصُرُ فِي أَدَائِهَا، أَوْ يَفْرِطُ فِي جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهَا، وَهِيَ الَّتِي تُعَلِّمُهُ الْعَقَّةَ فَيَكْتَفِي بِمَا أَحَلَّ لَهُ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِ .

وَيَكْفِي صَاحِبَهَا شَرَفًا وَفَخْرًا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ
لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(١). وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

(١) الجن.

(٢) الأحقاف.

الفصل السادس

في خُلق الرحمة

المسلمُ رحيمٌ، والرحمةُ خُلِقَ من أخلاقِهِ، إذ منشأ الرحمة صفاء النفس وطهارة الروح، والمسلمُ بإتيانه الخير، وعمله الصالح، وابتعاده عن الشر، واجتنابه المفاسد هو دائماً في طهارة نفسٍ وطيب رُوح، ومن كانَ هَذَا حالُهُ فإنَّ الرحمة لا تُفَارِقُ قلبَهُ، ولهذا كَانَ المسلمُ يُحِبُّ الرحمةَ وَيُذَلِّهَا وَيُوصِي بِهَا، وَيَدْعُو إِلَيْهَا بِصِدَاقٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾^(١). وَعَمَلًا بِقَوْلِ الْمُصْطَفَى ﷺ: «إِنَّمَا يَرْحَمُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءُ»^(٢). وَقَوْلِهِ: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مَّنْ فِي السَّمَاءِ»^(٣). وَاسْتِرْشَاداً بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يَرْحَمُ». وَمِنْ قَوْلِهِ: «لَا تُنَزِعُ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ». وَتَحْقِيقاً لِقَوْلِهِ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(٤).

والرحمةُ، وإنْ كَانَتْ حَقِيقَتُهَا رِقَّةَ الْقَلْبِ وَانْعَاطَافَ النَّفْسِ الْمُقْتَضِي لِلْمَغْفِرَةِ وَالْإِحْسَانِ، فَإِنَّهَا لَنْ تَكُونَ دَائِماً مَجْرَدَ عَاطِفَةٍ نَفْسِيَّةٍ لَا أُثَرُ لَهَا فِي الْخَارِجِ، بَلْ إِنَّهَا ذَاتُ آثَارٍ خَارِجِيَّةٍ، وَمَظَاهِرُ حَقِيقَتِيَّةٍ تَتَجَسَّمُ فِيهَا فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ، وَمِنْ آثَارِ الرَّحْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ الْعَفْوُ عَلَى ذِي الزَّلَّةِ وَالْمَغْفِرَةُ لِصَاحِبِ الْخَطِيئَةِ وَإِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ، وَمُسَاعَدَةُ

(١) البلد.

(٢) الطبراني والحاكم بسند صحيح.

(٣) مسلم.

(٤) البخاري.

الضعيف، وإطعام الجائع وكسوة العاري ومداواة المريض ومواساة الحزين. كُلُّ هذه من آثار الرحمة وغيرها كثير.

ومن صور مظاهر الرحمة التي تتجلى فيها وتبرز للحس والعيان ما يلي :

١ - رَوَى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي يُوسُفَ الْقَيْنِ، وَكَانَ ظَنَرًا لِإِبْرَاهِيمَ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ وَلَدَهُ وَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا الرَّحْمَةُ! ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ».

فزيارة رسول الله ﷺ لطفه الصغير وهو في بيت مرضعه، وتقبيله إيَّاه وشمه، ثم عيادته له وهو مريض يجود بنفسه، ثم ما أرسل عليه من دموع الحزن. كُلُّ ذَلِكَ من مظاهر الرحمة في القلب.

٢ - رَوَى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِرَأٍ فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ بِهِذَا مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقَى فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ فَغَفَرَ لَهُ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَنَّا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ».

فنزول الرجل في البئر وتحمله مشقة إخراج الماء وسقيه الكلب العطشان. كُلُّ هَذَا من مظاهر رحمته في قلبه، ولولا ذلك لما صنع الذي صنع.

وبعكسه ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: عَذِّبْتُ امْرَأَةً فِي هِرَّةٍ حَبَسْتُهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلْتُ فِيهَا النَّارَ، وَقِيلَ لَهَا: لَا أَنْتِ أَطْعَمْتَهَا وَلَا سَقَيْتَهَا حِينَ حَبَسْتَهَا وَلَا أَنْتِ أَرْسَلْتَهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ.

إِنْ صَنِّعَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ مَظْهَرُ مِنْ مَظَاهِرِ قَسْوَةِ الْقُلُوبِ وَانْتِزَاعِ الرَّحْمَةِ مِنْهَا،
وَالرَّحْمَةُ لَا تُتْرَعُ إِلَّا مِنْ قَلْبٍ شَقِيٍّ.

٣- رَوَى الْبَخَارِيُّ عَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنِّي
لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ فَأَرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ الصَّبِيَّ فَاتَجَوَّزُ مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ مِنْ
بُكَائِهِ.

فَعُدُّوْهُ ﷺ عَنْ إِطَالَةِ صَلَاتِهِ الَّتِي عَزَمَ عَلَى إِطَالَتِهَا، وَوَجْدِ الْإِمِّ مِنْ بُكَاءِ
طِفْلِهَا، مَظْهَرُ مِنْ مَظَاهِرِ الرَّحْمَةِ الَّتِي أَوْدَعَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ الرَّحَمَاءِ مِنْ عِبَادِهِ.

٤- رُوِيَ أَنَّ زَيْنَ الْعَابِدِينَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى
الْمَسْجِدِ فَسَبَّهُ رَجُلٌ فَقَصَدَهُ غُلَامَانَهُ (١) لِيَضْرِبُوهُ وَيُؤْذُوهُ، فَنَهَاوْهُمَا وَكَفَّوْهُمَا عَنْهُ رَحْمَةً بِهِ ثُمَّ
قَالَ: يَا هَذَا! أَنَا أَكْثَرُ مِمَّا تَقُولُ، وَمَا لَا تَعْرِفُهُ عَنِّي أَكْثَرُ مِمَّا تَعْرِفُهُ، فَإِنْ كَانَ لَكَ حَاجَةٌ
فِي ذَلِكَ ذَكَرْنَاهُ، فَخَجَلَ الرَّجُلُ وَاسْتَحْيَا فَخَلَعَ عَلَيْهِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ قَمِيصَهُ، وَأَمَرَ لَهُ
بِأَلْفِ دِرْهَمٍ.

فَهَذَا الْعَفْوُ، وَهَذَا الْإِحْسَانُ لَمْ يَكُونَا إِلَّا مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرِ الرَّحْمَةِ الَّتِي فِي قَلْبِ
حَفِيدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(١) جمع غلام، وهو الخادم.

الفصل السابع

في خُلُقِ الإِحْسَانِ

المسلم لا ينظر إلى الإِحْسَانِ، على أنه خُلُقٌ فاضِلٌ يَحْمِلُ التَّخَلُّقُ بِهِ فَحْسَبُ، بَلْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَنَّهُ جِزْءٌ مِنْ عَقِيدَتِهِ، وَشِقْصٌ كَبِيرٌ مِنْ إِسْلَامِهِ،.. إِذْ الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ مَبْنَأُ عَلَى ثَلَاثَةِ أُمُورٍ وَهِيَ: الْإِيمَانُ، وَالْإِسْلَامُ، وَالْإِحْسَانُ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي بَيَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِجَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْحَدِيثِ الْمَتَّفِقِ عَلَيْهِ لَمَّا سَأَلَهُ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَقَالَ عَقِبَ انْصِرَافِهِ: هَذَا جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ لِيُعَلِّمَكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ، فَسَمِيَ الثَّلَاثَةُ دِينًا، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِالْإِحْسَانِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْكَرِيمِ إِذْ قَالَ: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾^(٢). وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٣). وَقَالَ: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٤).

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُجِدْ أَحَدُكُمْ شُفْرَتَهُ، وَلْيُرْخَ ذَبِيحَتَهُ»^(٥). وَالْإِحْسَانُ فِي بَابِ الْعِبَادَاتِ: أَنْ تُؤَدَّى الْعِبَادَةُ أَيًّا كَانَ نَوْعُهَا مِنْ صَلَاةٍ أَوْ صِيَامٍ، أَوْ حَجٍّ أَوْ غَيْرِهَا أَدَاءً صَحِيحًا، بِاسْتِكْمَالِ شُرُوطِهَا وَأَرْكَانِهَا وَاسْتِيفَاءِ سُنَنِهَا وَأَدَابِهَا،

(١) البقرة.

(٢) النحل.

(٣) البقرة.

(٤) النساء.

(٥) مسلم.

وهذا ما لا يتم للعبد إلا إذا كان حال أدائه للعبادة يستغرق في شعور قوي بمراقبة الله عز وجل حتى لكانه يراه تعالى ويشاهده، أو على الأقل يشعر نفسه بأن الله تعالى مطلع عليه ناظر إليه في هذا وحده يمكنه أن يحسن عبادته، ويتقنها فيأتي بها على الوجه المطلوب، والصورة الكاملة لها، وهذا ما أرشد إليه الرسول ﷺ في قوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

وأما الإحسان في باب المعاملات فهو للوالدين بغيرهما الذي هو طاعتهما، وإيصال الخير إليهما، وكف الأذى عنهما، والدعاء والاستغفار لهما، وإنفاذ عهديهما، وإكرام صديقيهما.

وهو للأقارب بغيرهم ورحمتهم، والعطف والحدب عليهم، وفعل ما يجمل فعله معهم، وترك ما يسىء إليهم، أو يفتج قولهم، أو فعله معهم.

وهو لليتامى بالمحافظة على أموالهم، وصيانة حقوقهم، وتاديبهم وتربيتهم وترك أذاثهم، وعدم قهرهم، وبالشرف في وجوبهم، والمسح على رؤوسهم، وهو للمساكين بسد جوعتهم، وسر عورتهم، بالحث على إطعامهم وعدم المساس بكرامتهم فلا يحتقروا ولا يزدروا، ولا ينالون بسوء أو يمسون بمكروه.

وهو لابن السبيل: بقضاء حاجته، وسد خلته، ورعاية ماله، وصيانة كرامته، وإرشاده إن استرشد، وهدايته إن ضل.

وهو للخادم بإتيانه أجره قبل أن يحف عرقه، وعدم إلزامه ما لا يلزمه أو تكليفه بما لا يطيق، وبصون كرامته، واحترام شخصيته، فإن كان من خدم البيت فإطعامه مما يطعم أهله، وكسوته مما يكسون. وهو لعموم الناس بالتلطف في القول لهم، ومجاملتهم في المعاملة والمخاطبة بعد أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وإرشاد ضالهم، وتعليم جاهلهم وبانصافهم من النفس، والاعتراف بحقوقهم، وبكف الأذى عنهم بعدم ارتكاب ما يضرهم أو فعل ما يؤذيهم.

(١) البخاري.

وَهُوَ لِلْحَيَوَانِ بِإِطْعَامِهِ إِنْ جَاعَ ، وَمَذَاوَاتِهِ إِنْ مَرِضَ ، وَبِعَدَمِ تَكْلِيفِهِ مَا لَا يُطِيقُ وَحْمَلِهِ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ ، وَبِالرَّفْقِ بِهِ إِنْ عَمِلَ ، وَإِرَاحَتِهِ إِنْ تَعَبَ .

وَهُوَ فِي الْأَعْمَالِ الْبَدَنِيَّةِ بِإِجَادَةِ الْعَمَلِ ، وَإِتْقَانِ الصَّنْعَةِ ، وَبِتَخْلِيصِ سَائِرِ الْأَعْمَالِ مِنَ الْغَشِّ وَفُوفًا عِنْدَ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ فِي الصَّحِيحِ : «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» .

وَمِنْ مَظَاهِرِ الْإِحْسَانِ مَا يَلِي :

١ - لَمَّا فَعَلَ الْمَشْرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مَا فَعَلُوا يَوْمَ أُحُدٍ مِنْ قَتْلِ عَمِّهِ وَالتَّمَثِيلِ بِهِ ، وَمِنْ كَسْرِ رُبَاعِيَّتِهِ ، وَشَجِّ وَجْهِهِ طَلَبَ إِلَيْهِ أَحَدُ الْأَصْحَابِ أَنْ يَدْعُوَ عَلَى الْمَشْرِكِينَ الظَّالِمِينَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

٢ - قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَوْمًا لِحَارِيَّتِهِ : رَوِّحِيْنِي حَتَّى أُنَامَ فَرَوَّحَتْهُ فَنَامَ ، وَغَلَبَهَا النَّوْمُ فَنَامَتْ فَلَمَّا انْتَبَهَ أَخَذَ الْمَرْوَحَةَ يَرْوِّحُهَا فَلَمَّا انْتَبَهَتْ وَرَأَتْهُ يَرْوِّحُهَا صَاحَتْ ، فَقَالَ : إِنَّمَا أَنْتِ بَشَرٌ مِثْلِي أَصَابَكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا أَصَابَنِي فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُرَوِّحَكَ كَمَا رَوَّحْتَنِي .

٣ - غَاظَ أَحَدَ السَّلَفِ غُلَامٌ لَهُ غَيْظًا شَدِيدًا فَهَمَّ بِالْإِنْتِقَامِ مِنْهُ . فَقَالَ الْغُلَامُ : وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : كَظُمْتُ غَيْظِي ، فَقَالَ الْغُلَامُ : وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، فَقَالَ : عَفَوْتُ عَنْكَ ، فَقَالَ الْغُلَامُ : وَاللَّهِ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ، فَقَالَ : أَذْهَبَ فَأَنْتِ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى .

الفصل الثامن

في خُلُقِ الصِّدْقِ

المسليمُ صادقٌ، يُحِبُّ الصِّدْقَ ويلتزمُهُ ظاهراً وباطناً في أقواله وفي أفعاله: إذ الصِّدْقُ يَهْدِي إلى البرِّ، والبرُّ يَهْدِي إلى الجنة، والجنةُ أسمى غاياتِ المسلم، وأقصى أمانيه، والكذبُ وهو خلافُ الصِّدْقِ وضدُّه يَهْدِي إلى الفجور، والفجورُ يَهْدِي إلى النار، والنارُ من شرِّ ما يخافُهُ المسلمُ ويتَّقِيهِ.

والمسلمُ لا ينظرُ إلى الصِّدْقِ كخُلُقٍ فاضلٍ يَجِبُ التَّخَلُّقُ بِهِ لا غير، بل إنَّهُ يَذْهَبُ إلى أبعَدَ من ذلك، يَذْهَبُ إلى أنَّ الصِّدْقَ من مُتِمَّاتِ إيمانيه، ومكَمِّلاتِ إسلامه، إذ أمرَ اللَّهُ تعالى به، وأثنى على المتصفين به، كما أمرَ به رسوله وحثَّ عليه ودعا إليه، قال تعالى في الأمر به: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١). وقال في الثناء على أهله: ﴿رَجُلًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(٢). وقال: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾^(٣). وقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾^(٤). وقال رسوله ﷺ في الأمر به: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبَرِّ، وَإِنَّ الْبَرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صَدِيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا»^(٥).

(١) التوبة.

(٢) الزمر.

(٣) الأحزاب.

(٤) مسلم.

هَذَا وَإِنْ لِلصِّدْقِ ثَمَرَاتٍ طَيِّبَةً يَجْنِيهَا الصَّادِقُونَ وَهَذِهِ أَنْوَاعُهَا:

١ - رَاحَةُ الضَّمِيرِ، وَطَمَآنِينَةُ النَّفْسِ، لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «الصِّدْقُ طَمَآنِينَةٌ»^(١).

٢ - الْبَرَكَاتُ فِي الْكَسْبِ، وَزِيَادَةُ الْخَيْرِ، لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكْ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَتُهُمَا»^(٢).

٣ - الْفَوْزُ بِمَنْزِلَةِ الشَّهَدَاءِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشَّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»^(٣).

٤ - النِّجَاةُ مِنَ الْمَكْرُوهِ، فَقَدْ حُكِيَ أَنَّ هَارِبًا لَجَأَ إِلَى أَحَدِ الصَّالِحِينَ وَقَالَ لَهُ: أَخْفِنِي عَنْ طَالِبِي، فَقَالَ لَهُ: نَمْ هُنَا، وَأَلْقَى عَلَيْهِ حُزْمَةً مِنْ خُوصٍ، فَلَمَّا جَاءَ طَالِبُوهُ وَسَأَلُوا عَنْهُ قَالَ لَهُمْ: هَا هُوَذَا تَحْتَ الْخُوصِ، فَظَنُّوا أَنَّهُ يَسْخَرُ مِنْهُمْ فَتَرَكُوهُ، وَنَجَا بِبَرَكََةِ صِدْقِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ.

هَذَا وَلِلصِّدْقِ مَظَاهِرُ يَتَجَلَّى فِيهَا، مِنْهَا:

١ - فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ، فَالْمُسْلِمُ إِذَا حَدَّثَ لَا يُحَدِّثُ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَالصِّدْقِ، وَإِذَا أَخْبَرَ فَلَا يُخْبِرُ بِغَيْرِ مَا هُوَ الْوَاقِعُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، إِذْ كَذَبَ الْحَدِيثُ مِنَ الْبِفَاقِ وَأَيَاتِهِ، قَالَ ﷺ: «آيَةُ الْمَنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ»^(٤).

٢ - صِدْقِ الْمَعَامَلَةِ، فَالْمُسْلِمُ إِذَا عَامَلَ أَحَدًا صَدَقَهُ فِي مَعَامَلَتِهِ فَلَا يَغِشُّ وَلَا يَخْدَعُ، وَلَا يُزَوِّرُ، وَلَا يُغَرِّرُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

(١) الترمذي وصححه بلفظ: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة.

(٢) البخاري.

(٣) مسلم.

(٤) متفق عليه.

٣ - صِدْقِ الْعَزْمِ ، فَاَلْمَسْلِمُ إِذَا عَزَمَ عَلَى فَعْلٍ مَا يَنْبَغِي فَعْلُهُ لَا يَتَرَدَّدُ فِي ذَلِكَ بَلْ يَمْضِي فِي عَمَلِهِ غَيْرَ مُلْتَفِتٍ إِلَى شَيْءٍ ، أَوْ مُبَالٍ بِأَخْرَ حَتَّى يُنْجِزَ عَمَلَهُ .

٤ - صِدْقِ الْوَعْدِ ، فَاَلْمَسْلِمُ إِذَا وَعَدَ أَحَدًا أَنْجَزَ لَهُ مَا وَعَدَهُ بِهِ ، إِذْ خُلِفَ الْوَعْدُ مِنْ آيَاتِ الْيَقَاقِ كَمَا سَبَقَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ .

٥ - صِدْقِ الْحَالِ ، فَاَلْمَسْلِمُ لَا يَظْهَرُ فِي غَيْرِ مَظْهَرِهِ ، وَلَا يُظْهَرُ خِلَافَ مَا يُبْطِنُهُ ، فَلَا يَلْبَسُ ثَوْبَ زُورٍ ، وَلَا يُرَائِي ، وَلَا يَتَكَلَّفُ مَا لَا لَيْسَ لَهُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : «الْمَتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطِ كَلَابِسُ ثَوْبِي زُورٍ»^(١) . وَمَعْنَى هَذَا أَنْ الْمَتَزَيِّنَ وَالْمَتَجَمِّلَ بِمَا لَا يَمْلِكُ لِيُرَى أَنَّهُ غَنِيٌّ يَكُونُ كَمَنْ يَلْبَسُ ثَوْبَيْنِ خَلْقَيْنِ لِيَتَظَاهَرَ بِالزُّهْدِ وَهُوَ لَيْسَ بِزَاهِدٍ وَلَا مُتَقَشِّفٍ .

وَمِنْ أُمُثِلَةِ الصِّدْقِ الرَّفِيعَةِ مَا يَأْتِي :

١ - رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَمَّاسِ قَالَ : بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِبَيْعٍ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ ، وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ فَنَسِيتُ ثُمَّ ذِكِرْتُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فَجِئْتُ فَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ فَقَالَ : يَا فَتَى لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ أَنَا هَا هُنَا مِنْذُ ثَلَاثِ أَنْظُرُكَ .

وَمِثْلُ هَذَا الَّذِي حَصَلَ لِنَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَحَصَلَ لَجَدِّهِ الْأَعْلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ حَتَّى أَتْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٢) .

٢ - خَطَبَ الْحَجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ يَوْمًا ، فَأَطَالَ الْخُطْبَةَ فَقَالَ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ : الصَّلَاةُ ! فَإِنَّ الْوَقْتَ لَا يَنْتَظِرُكَ ، وَالرَّبُّ لَا يَعْذِرُكَ ، فَأَمَرَ بِحَبْسِهِ فَأَتَاهُ قَوْمُهُ وَزَعَمُوا أَنَّ الرَّجُلَ مَجْنُونٌ . فَقَالَ الْحَجَّاجُ إِنَّ أَقْرَ خَلَصْتُهُ مِنْ سَجْنِهِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : لَا يَسُوعُ لِي أَنَّ

(١) مسلم .

(٢) مريم .

أَجَحَدَ نِعْمَةَ اللَّهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيَّ وَأُثْبِتَ لِنَفْسِي صِفَةَ الْجُنُونِ الَّتِي نَزَّهَنِي اللَّهُ عَنْهَا، فَلَمَّا رَأَى الْحَجَّاجُ صِدْقَهُ خَلَّى سَبِيلَهُ.

٣ - رَوَى الْإِمَامُ الْبَخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، أَنَّهُ خَرَجَ يَطْلُبُ الْحَدِيثَ مِنْ رَجُلٍ فَرَأَاهُ قَدْ هَرَبَتْ فَرَسُهُ ، وَهُوَ شِيرُ إِلْيَاهَا بَرْدًا كَانَ فِيهِ شَعِيرًا فَجَاءَتْهُ فَأَخَذَهَا ، فَقَالَ الْبَخَارِيُّ : أَكَانَ مَعَكَ شَعِيرٌ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ : لَا ، وَلَكِنْ أَوْهَمْتُهَا ، فَقَالَ الْبَخَارِيُّ : لَا أَخَذُ الْحَدِيثَ - مِمَّنْ يَكْذِبُ عَلَى الْبَهَائِمِ . فَكَانَ هَذَا مِنَ الْبَخَارِيِّ مَثَلًا عَالِيًا فِي مَجَرَى الصِّدْقِ .

الفصل التاسع

في خُلُقِ السَّخَاءِ وَالْكَرَمِ

السَّخَاءُ خُلُقُ الْمُسْلِمِ، وَالْكَرَمُ شَيْئَتُهُ، وَالْمُسْلِمُ لَا يَكُونُ شَحِيحاً وَلَا بَخِيلاً، إِذِ الشُّحُّ وَالْبُخْلُ خُلُقَانِ ذَمِيمَانِ مَنْشُؤُهُمَا خُبْتُ النَّفْسِ وَظُلْمَةُ الْقَلْبِ، وَالْمُسْلِمُ بِإِيمَانِهِ وَعَمَلِهِ الصَّالِحِ نَفْسُهُ طَاهِرَةٌ وَقَلْبُهُ مُشْرِقٌ فَيَتَنَافَى مَعَ طَهَارَةِ نَفْسِهِ، وَإِشْرَاقِ قَلْبِهِ وَصُفِّ الشُّحِّ وَالْبُخْلِ فَلَا يَكُونُ الْمُسْلِمُ شَحِيحاً وَلَا بَخِيلاً.

وَالشُّحُّ وَإِنْ كَانَ مَرَضاً قَلْبِيّاً عَامّاً لَا يَسْلَمُ مِنْهُ الْبَشَرُ إِلَّا الْمُسْلِمُ بِإِيمَانِهِ وَعَمَلِهِ الصَّالِحِ كَالزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ يَقِيهِ اللَّهُ تَعَالَى شَرَّ هَذَا الدَّاءِ الْوَيْلُ لِعَبْدِهِ لِلْفَلَاحِ، وَيُهَيِّئُهُ لِلْفَوْزِ الْآخِرِيِّ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً، إِلَّا الْمَصْلِينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ، وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(١). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(٢). وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

وَلَمَّا كَانَتْ الْأَخْلَاقُ الْفَاضِلَةُ مُكْتَسَبَةً بِنَوْعٍ مِنَ الرِّيَاضَةِ وَالتَّزْيِينَةِ فَإِنَّ الْمُسْلِمَ يَعْمَلُ عَلَى تَنْمِيَةِ الْخُلُقِ الْفَاضِلِ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَتَخَلَّقَ بِهِ بِإِيرَادِ خَاطِرِهِ عَلَى مَا وَرَدَ فِي الشَّرْعِ الْحَكِيمِ مِنْ تَرْغِيبٍ فِي ذَلِكَ الْخُلُقِ، وَتَرْهِيْبٍ مِنْ ضِدِّهِ، فَلِتَنْمِيَةِ خُلُقِ السَّخَاءِ فِي نَفْسِهِ يَعْكَفُ قَلْبُهُ مَتَأَمِّلاً مُتَدَبِّراً عَلَى مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٤). وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ

(٤) المتأفقون.

(٣) الحشر.

(٢) التوبة.

(١) المعارج.

بِالْحُسْنَى فَسُنِّيَرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسُنِّيَرُهُ
لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى^(١). وقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ،
وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢). وقوله سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ
إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾^(٣).

وقول الرسول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجَوْدَ، وَيُحِبُّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ
سِفْسَافَهَا»^(٤). وقوله عليه الصلاة والسلام: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ
مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا
وَيُعْلِمُهَا»^(٥). وقوله: «أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا مِنَّا
أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ. قَالَ: فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا آخَرَ»^(٦). وقوله: «اتَّقُوا
النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»^(٧). وقوله: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ
أَحَدُهُمَا: «اللَّهُمَّ اعْطِ مُتَفِقًا خَلَفًا وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ اعْطِ مُمَسِّكًا تَلَفًا»^(٨). وقوله:
«اتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ
وَاسْتَحْلَوْا مَحَارِمَهُمْ»^(٩). وقوله: «بَقِيَ كُلُّهَا إِلَّا كَيْفَهَا» قاله لعائشة رضي الله عنها لما
سألها عما بقي من الشاة التي ذبحوها، فقالت: ما بقي منها إلا كَيْفَهَا. تعني أَنَّهَا
أَنْفَقَتْ كُلُّهَا وَلَمْ يَبْقَ مِنْ لَحْمِهَا إِلَّا الْكَتِفَ». وقوله عليه أفضل الصلاة والسلام: «مَنْ
تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ - مَنْ كَسَبَ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ
يُرَبِّهَا لَصَاحِبِهَا، كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلُوهُ»^(١٠) حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»^(١١).

وَمِنْ مَظَاهِرِ السَّخَاءِ مَا يَلِي:

١ - أَنْ يُعْطِيَ الرَّجُلُ الْعَطَاءَ فِي غَيْرِ مَنْ وَلَا أَدَى.

٢ - أَنْ يَفْرَحَ الْمُعْطِي بِالسَّائِلِ الَّذِي سَأَلَهُ، وَيَسُرَّ لِعَطَائِهِ.

(١) الليل.

(٢) الحديد.

(٣) البقرة.

(٤) متفق عليه.

(٥) مسلم.

(٦) الفلو: المهر.

(٧) متفق عليه.

٣ - أَنْ يُنْفِقَ الْمُنْفَقُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا تَقْتِيرٍ.

٤ - أَنْ يُعْطِيَ الْمَكْثُرُ مِنْ كَثِيرِهِ، وَالْمُقِلُّ مِنْ قَلِيلِهِ فِي رِضَا نَفْسٍ وَانْبِسَاطٍ وَجْهِ، وَطَيْبِ قَوْلٍ.

وَمِنْ أَمْثَلَةِ السَّخَاءِ الْعَالِيَةِ مَا يَلِي:

١ - رُوِيَ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعَثَ إِلَيْهَا مَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَالٍ قَدْرُهُ مِائَةٌ وَثَمَانُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَذَعَتْ بَطْنِيَّ فَجَعَلَتْ تَقْسِمُهُ بَيْنَ النَّاسِ، فَلَمَّا أُمِسَتْ قَالَتْ لَجَارِيَتِهَا: هَلُمِّي فُطُورِي، فَجَاءَتْهَا بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ وَقَالَتْ لَهَا: مَا اسْتَطَعْتَ فِيمَا قَسَمْتَ الْيَوْمَ أَنْ تَشْتَرِيَ لَنَا بِدِرْهَمٍ لَحْمًا نُفْطِرُ عَلَيْهِ؟ فَقَالَتْ لَهَا: «لَوْ كُنْتُ ذَكَرْتَنِي لَفَعَلْتُ».

رُوِيَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ اشْتَرَى مِنْ خَالِدِ بْنِ عَقَبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ دَارَهُ الَّتِي فِي سُوقِ مَكَّةَ بِسَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بَكَاءَ أَهْلِ خَالِدٍ، فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ لَهُ: يَبْكُونَ لِذَرَاهِمِ، فَقَالَ لَغَلَامِهِ: اتَّبِعْهُمْ وَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الدَّارَ وَالذَّرَاهِمَ جَمِيعًا لَهُمْ.

٣ - رُوِيَ أَنَّ الْإِمَامَ الشَّافِعِيَّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، لَمَّا مَرَضَ مَرَضَهُ الَّذِي تُوفِّيَ فِيهِ أَوْصَى بِأَنْ يُغْسِلَهُ فُلَانٌ، فَلَمَّا تُوفِّيَ دَعَا مَنْ أَوْصَى بِتَغْسِيلِهِ، فَلَمَّا حَضَرَ قَالَ: أَعْطُونِي تَذَكُّرَتَهُ فَأَعْطَوْهُ إِيَّاهَا، فَإِذَا عَلَى الشَّافِعِيِّ دَيْنٌ قَدْرُهُ سَبْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَكَتَبَهَا الرَّجُلُ لِيُقْضِيَهَا لِأَصْحَابِهَا، وَقَالَ: هَذَا غَسْلِي إِيَّاهُ، وَانصَرَفَ.

٤ - رُوِيَ أَنَّهُ تَجَهَّزَ الرَّسُولُ ﷺ لِحَرْبِ الرُّومِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ وَقَتِيلًا فِي ضَيْقٍ كَبِيرٍ وَعُسْرٍ شَدِيدٍ حَتَّى سُمِّيَ جَيْشُ الرَّسُولِ فِيهَا «جَيْشُ الْعُسْرَةِ». خَرَجَ عِثْمَانُ بْنُ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصَدَقَةٍ قَدْرُهَا عَشْرَةُ أَلْفِ دِينَارٍ، وَثَلَاثُمِائَةِ بَعِيرٍ بِأَخْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا، وَخَمْسُونَ فَرَسًا، فَجَهَّزَ بِذَلِكَ نِصْفَ الْجَيْشِ جَمِيعَهُ.

الفصل العاشر

في خُلُقِ التواضع ، وذمِّ الكِبَرِ

المسلمُ يتَوَاضَعُ في غيرِ مَذَلَّةٍ ولا مَهَانَةٍ، والتَّوَاضَعُ من أخلاقِهِ المِثَالِيَةِ وَصِفَاتِهِ الْعَالِيَةِ، كما أَنَّ الْكِبَرَ لَيْسَ لَهُ، ولا يَنْبَغِي لِمِثْلِهِ، إِذِ الْمُسْلِمُ يَتَوَاضَعُ لِيَرْتَفِعَ، وَلَا يَتَكَبَّرُ لِثَلَا يَخْفِضَ، إِذْ سُنَّةُ اللَّهِ جَارِيَةٌ فِي رَفْعِ الْمُتَوَاضِعِينَ لَهُ، وَوَضْعِ الْمُتَكَبِّرِينَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ»^(١). وَقَالَ: «حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ»^(٢). وَقَالَ ﷺ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الدَّجَالِ بَغْشَاهُمْ الذَّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ (بُولَس) تَعْلُوهُ نَارُ الْأَنْيَارِ يُسْقُونَ مِنْ عَصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ»^(٣). وَالْمُسْلِمُ عِنْدَمَا يُصْغِي بِأُذُنِهِ وَقَلْبِهِ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ ﷺ فِي الشَّنَاءِ عَلَى الْمُتَوَاضِعِينَ مَرَّةً، وَفِي ذَمِّ الْمُتَكَبِّرِينَ أُخْرَى، وَطَوْرًا فِي الْأَمْرِ بِالتَّوَاضُعِ، وَآخَرَ فِي النَّهْيِ عَنِ الْكِبَرِ. كَيْفَ لَا يَتَوَاضَعُ وَلَا يَكُونُ التَّوَاضَعُ خُلُقًا لَهُ، وَكَيْفَ لَا يَتَجَنَّبُ الْكِبَرَ وَلَا يَمَقُّتُ الْمُتَكَبِّرِينَ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَمْرِ رَسُولِهِ ﷺ بِالتَّوَاضُعِ: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤). وَقَالَ لَهُ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾^(٥). وَقَالَ فِي الشَّنَاءِ عَلَى

(١) مسلم .

(٢) البخاري .

(٤) الشعراء .

(٥) الإسراء .

(٣) النسائي والترمذي وحسنه .

أوليائِهِ بوصفِ التواضعِ فيهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(١) وقال في جزاء المتواضعين: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾^(٢) وقال رسولُ الله ﷺ في الأمرِ بالتواضعِ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرْ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْتَغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٣). وقال ﷺ في الترغيبِ في التواضعِ: مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطٍ لِأَهْلِ مَكَّةَ»^(٤).

وقال ﷺ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ شَاةٍ أَوْ ذِرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»^(٥). وقال ﷺ في التنفيرِ من الكِبَرِ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتْلٍ^(٦) جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ»^(٧). وقال: «ثَلَاثَةٌ لَا يَكَلِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»^(٨). وقال: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «الْعِزُّ إِزَارِي، وَالْكِبَرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ يَنَازِعْنِي فِي وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَقَدْ عَذَّبْتُهُ»^(٩). وقال ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ يَخْتَالُ فِي مَشْيِهِ إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلَجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١٠).

ومن مظاهرِ التواضعِ ما يلي.

- ١ - إِنْ تَقَدَّمَ الرَّجُلُ عَلَى أَمثَالِهِ فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ، وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنْهُمْ فَهُوَ مُتَوَاضِعٌ.
- ٢ - إِنْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ لِذِي عِلْمٍ وَفَضْلٍ، وَأَجْلَسَهُ فِيهِ، وَإِنْ قَامَ سَوَى لَهُ نَعْلَهُ، وَخَرَجَ خَلْفَهُ إِلَى بَابِ الْمَنْزِلِ لِشَيْعَتِهِ فَهُوَ مُتَوَاضِعٌ

(١) المائدة.

(٢) القصص.

(٣) مسلم.

(٤، ٥) البخاري.

(٦) العتل: هو الغليظ الجافي، والجواط: هو الجموح المنوع، أو هو الضخم المختال.

(٧) متفق عليه.

(٨، ٩) مسلم.

(١٠) متفق عليه.

٣ - إِنْ قَامَ لِلرَّجُلِ الْعَادِي وَقَابَلَهُ بِبَشَرٍ وَطَلَّاقَةٍ، وَتَلَطَّفَ مَعَهُ فِي السُّؤَالِ وَأَجَابَ دَعْوَتَهُ وَسَعَى فِي حَاجَتِهِ وَلَا يَرَى نَفْسَهُ خَيْرًا مِنْهُ فَهُوَ مُتَوَاضِعٌ.

٤ - إِنْ زَارَ غَيْرَهُ مِمَّنْ هُوَ دُونُهُ فِي الْفَضْلِ، أَوْ مِثْلُهُ وَحَمَلَ مَعَهُ مَتَاعَهُ، أَوْ مَشَى مَعَهُ فِي حَاجَتِهِ فَهُوَ مُتَوَاضِعٌ.

٥ - أَنْ جَلَسَ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَرْضَى، وَأَصْحَابِ الْعَاهَاتِ، وَأَجَابَ دَعْوَتَهُمْ وَأَكَلَ مَعَهُمْ وَمَاشَاهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ فَهُوَ مُتَوَاضِعٌ.

٦ - إِنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَلَيْسَ فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ فَهُوَ مُتَوَاضِعٌ.
وهذه أمثلة عالية للتواضع :

١ - رُوِيَ أَنَّ عَمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَتَاهُ لَيْلَةً ضَيْفٌ وَكَانَ يَكْتُبُ فَكَادَ السِّرَاجُ يَطْفَأُ فَقَالَ الضَّيْفُ: أَقُومُ إِلَى الْمَصْبَاحِ فَأُصْلِحُهُ؟ فَقَالَ: لَيْسَ مِنْ كَرَمِ الرَّجُلِ أَنْ يَسْتَخْدِمَ ضَيْفَهُ، فَقَالَ الضَّيْفُ: إِذَا أَنْبَأَ الْغَلَامُ؟. فَقَالَ عَمَرُ: إِنَّهَا أَوَّلُ نَوْمَةٍ نَامَهَا فَلَا تُنْبِئُهُ. وَذَهَبَ إِلَى الْبُطَّةِ وَمَلَأَ الْمَصْبَاحَ زَيْتًا، وَلَمَّا قَالَ لَهُ الضَّيْفُ: قَمْتَ أَنْتَ بِنَفْسِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟. أَجَابَهُ قَائِلًا: ذَهَبْتُ وَأَنَا عَمْرٌ، وَرَجَعْتُ وَأَنَا عَمْرٌ، مَا نَقَصَ مِنِّي شَيْءٌ، وَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ مُتَوَاضِعًا.

٢ - رُوِيَ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَقْبَلَ مِنَ السُّوقِ يَحْمِلُ حُرْمَةً حَطَبٍ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ خَلِيفَةُ الْمَدِينَةِ لِمَرْوَانَ، وَيَقُولُ: أَوْسِعُوا لِلْأَمِيرِ لِيَمُرَّ وَهُوَ يَحْمِلُ حُرْمَةَ الْحَطَبِ.

٣ - رُوِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَرَّةً حَامِلًا لِحِمًا بِيَدِهِ الْيُسْرَى، وَفِي يَدِهِ الْيُمْنَى الدَّرَّةَ وَهُوَ أَمِيرُ الْمُسْلِمِينَ وَخَلِيفَتُهُمْ يَوْمَئِذٍ.

٤ - رُوِيَ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشْتَرَى لِحْمًا فَجَعَلَهُ فِي مِلْحَفَتِهِ فَقِيلَ لَهُ: يَحْمِلُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ: لَا، أَبُو الْعِيَالِ أَحَقُّ أَنْ يَحْمِلَ.

٥ - قَالَ أَنَخْسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنْ كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذَ

بيد الرسول ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ» (١).

٦ - قَالَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ لِأَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ: مَا تَرَى فِيَمَا أَحَدَثَ النَّاسُ مِنَ الْمَلْبَسِ وَالْمَشْرَبِ وَالْمَرْكَبِ وَالْمَطْعَمِ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي كُلُّ لَلِّهِ وَاشْرَبَ لَلِّهِ، وَالْبَسَ لَلِّهِ، وَكُلَّ شَيْءٍ دَخَلَهُ مِنْ ذَلِكَ زَهُوٌّ أَوْ مِبَاهَاةٌ أَوْ رِيَاءٌ أَوْ سَمْعَةٌ فَهُوَ مَعْصِيَةٌ وَسَرَفٌ، وَعَالِجٌ فِي بَيْتِكَ مِنَ الْخُدْمَةِ مَا كَانَ يُعَالِجُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ، كَانَ يَعْلِفُ النَّاصِجَ، وَيَعْقِلُ الْبَعِيرَ، وَيَقُمُ الْبَيْتَ، وَيَحْلُبُ الشَّاةَ، وَيَخْصِفُ النُّعْلَ، وَيَرْقَعُ الثُّوبَ، وَيَأْكُلُ مَعَ خَادِمِهِ، وَيَطْحَنُ عَنْهُ إِذَا أُعْيَا وَيَشْتَرِي الشَّيْءَ مِنَ السُّوقِ، وَلَا يَمْنَعُهُ الْحَيَاءُ أَنْ يُعَلِّقَهُ بِيَدِهِ، أَوْ يَجْعَلَهُ فِي طَرْفِ ثَوْبِهِ، وَيَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ، يُصَافِحُ الْغَنِيَّ وَالْفَقِيرَ، وَالْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ، وَيُسَلِّمُ مُبْتَدِئًا عَلَى كُلِّ مَنْ اسْتَقْبَلَهُ مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ، أَوْ أَسْوَدَ أَوْ أَحْمَرَ، حُرًّا أَوْ عَبْدًا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ.

(١) البخاري .

الفصل الحادي عشر

في جملة أخلاق ذميمة الظلم، الحسد، الغش، الرياء، العجب، العجز، الكسل

أ - الظلم:

المسلم لا يظلم ولا يُظلم، فلا يصدُر عنه ظلم لأحد، ولا يقبلُ الظلم لنفسه من أحد، إذ الظلم بأنواعه الثلاثة محرّم في الكتاب والسنة معاً. قال تعالى: ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^(١). وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾^(٢). وقال عزّ وجلّ يرويه عنه نبيه ﷺ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظلمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالُمُوا»^(٣). وقال عليه الصلاة والسلام: «اتَّقُوا الظلمَ فَإِنَّهُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤). وقال: «مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرِ طَوْقَهُ اللَّهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ»^(٥). وقال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾»^(٦). وقال: «وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حَبَابٌ»^(٧).

أنواع الظلم الثلاثة هي:

١ - ظلم العبد لربه^(٨)، وذلك يكون بالكفر به تعالى، قال سبحانه:

(١) البقرة.

(٢) الفرقان.

(٣، ٤) مسلم.

(٥، ٦، ٧) متفق عليه.

(٨) هذا لا يتنافى مع قول الله تعالى: وما ظلمونا، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. إذ معناه أن الله لا يتضرر بظلمهم. وإنما ضرر ظلمهم عائد على أنفسهم.

﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١). وَيَكُونُ بِالْشِّرْكِ فِي عِبَادَتِهِ تَعَالَى بِأَن يَصْرِفَ بَعْضَ عِبَادَاتِهِ تَعَالَى إِلَى غَيْرِهِ. قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٢).

٢ - ظَلَمَ الْعَبْدَ لغيرِهِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ، وَذَلِكَ بِأَذْيَتِهِمْ فِي أَغْرَاضِهِمْ أَوْ أَبْدَانِهِمْ أَوْ أَمْوَالِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ، قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، أَوْ مِنْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا درْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدَرٍ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ^(٣). وَقَالَ: «مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحُرْمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: وَإِنْ كَانَ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكِ»^(٤). وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصَبَّ دَمًا حَرَامًا»^(٥). وَقَالَ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»^(٦).

٣ - ظَلَمَ الْعَبْدَ لِنَفْسِهِ، وَذَلِكَ بِتَدْسِيتِهَا بِأَثَارِ أَنْوَاعِ الذُّنُوبِ وَالْجَرَائِمِ وَالسَّيِّئَاتِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ وَرُسُولِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(٧). فَمَرَّتِ كَبُّ الْكِبِيرَةِ مِنَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ إِذْ عَرَضَهَا لِمَا يُؤْثِرُ فِيهَا مِنَ الْحُبِّ وَالظُّلَامَةِ فَتَصْبِحُ بِهِ أَهْلًا لِلْعَذَةِ اللَّهِ، وَالبُعْدِ مِنْهُ تَعَالَى.

ب - الْحَسَدُ:

الْمُسْلِمُ لَا يَحْسُدُ وَلَا يَكُونُ الْحَسَدُ خُلُقًا لَهُ وَلَا وَصْفًا فِيهِ مَا دَامَ يُحِبُّ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ وَيُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ فِيهِ إِذْ الْحَسَدُ مُنَافٍ لِلذِّينِ الْخُلُقَيْنِ الْكَرِيمَيْنِ: حُبُّ الْخَيْرِ، وَالْإِيثَارُ فِيهِ.

وَالْمُسْلِمُ يُبْغِضُ خُلُقَ الْحَسَدِ وَيَمُتُّ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الْحَسَدَ اعْتِرَاضٌ فِي قِسْمَةِ اللَّهِ

(١) البقرة . .

(٢) (٥، ٦) مسلم .

(٣) لقمان .

(٧) النحل .

(٤، ٣) البخاري،

فَضْلُهُ بَيْنَ خَلْقِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ؟﴾^(١). وقال تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾^(٢).

والحسدُ قسمان: أولهما أن يتمنى المرء زوال النعمة من مالٍ أو علمٍ أو جاهٍ أو سلطانٍ عن غيره لتحصل له، وثانيهما وهو شرُّهما، أن يتمنى زوال النعمة عن غيره ولو لم تحصل له ولم يظفر بها.

وليس من الحسد الاغتيال وهو تمنى حصول نعمةٍ مثل نعمةٍ غيره من علمٍ أو مالٍ أو صلاحٍ حالٍ بدون تمنى زوالها عن غيره، لقوله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على ملكه في الحى؛ ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها»^(٣). والمراد بالحكمة هنا القرآن الكريم والسنة النبوية.

والحسد بقسميه محرّم تحريماً قطعياً، فلا يحل لأحد أن يحسد أحداً، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ؟﴾. وقال ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾^(٤). وقال: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(٥). فذم الله تعالى لهذا الخلق الدميم مقتضٍ تحريمه له ونهي عنه.

وقال رسول الله ﷺ: «لَا تَبَاغُضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَقَاطَعُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، فَلَا يُحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ»^(٦). وقال: «إِيَّاكُمْ وَالْحَسَدَ فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ أَوْ الْعُشْبَ»^(٧).

والمسلم إن خطر له خاطرٌ بحكمٍ بشريته وعدم عصمته قاومه بدفعه من نفسه، وكراهيته له حتى لا يصير هماً أو عزيمةً له فيقول بموجبه أو يعمل فيهلك، وإن أعجبه

(١) النساء.

(٢) الزخرف.

(٣) البخاري.

(٤) البقرة.

(٥) الفلق.

(٦) متفق عليه.

(٧) أبو داود.

الشيء قال: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، وبذلك لا يؤثر فيه ويسلم.

ج - الغش :

المسلم يدين الله تعالى بالنصيحة لكل مسلم، ويعيش عليها، فليس له أن يغش أحداً، أو يغير أو يخون، إذ الغش والخيانة والغدر صفات ذميمة قبيحة في المرء، والقبح لا يكون خلقاً للمسلم ولا وصفاً له بحال من الأحوال، إذ طهارة نفسه المكتسبة من الإيمان والعمل الصالح تتنافى مع هذه الخلاق الذميمة والتي هي شر محض لا خير فيها، والمسلم قريب من الخير بعيد من الشر.

ولخلق الغش الذميمة حقائق نبيتها فيما يلي :

١ - أن يزين المرء لأخيه القبيح، أو الشر أو الفساد ليقع فيها.

٢ - أن يريه ظاهر الشيء، الطيب الصالح، ويخفي عليه باطنه الخبيث الفاسد.

٣ - أن يظهر له خلاف ما يضره، ويسره تغريراً به، وخديعة له وغشاً.

٤ - أن يعمد إلى إفساد ماله عليه، أو زوجه أو ولده، أو خادمه، أو صديقه بالوقعة فيه والنميمة.

٥ - أن يعاهد على حفظ نفس أو مال أو كتمان سر ثم يخونه ويغير.

والمسلم في تجنبه للغش والغدر والخيانة هو مطيع لله ورسوله إذ هذه الثلاثة محرمة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغِيرَ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً﴾^(١). وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(٢). وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(٣).

(١) الأحزاب.

(٢) الفتح.

(٣) فاطر.

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَبَبَ - أَفْسَدَ - زَوْجَةَ امْرِئٍ، أَوْ مَمْلُوكَهُ - خَادِمَهُ - فَلَيْسَ مِنَّا»^(١). وقال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خِصْلَةٌ مِّنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أُوْتِيَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(٢). وقال ﷺ: وقد مر على صُبْرَةٍ - كَيْسٌ كَبِيرٌ - طَعَامٌ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَتَالَتْ أَصَابِعُهُ بِلَلًا، فَقَالَ: مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ - المَطَرُ - يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»^(٣).

د - الرياء:

المسلم لا يُرائي؛ إذ الرياء نفاقٌ وشركٌ، والمسلم مؤمنٌ موحِّدٌ فيتنافى مع إيمانه وتوحيده خلقًا الرياء والنفاق، فلا يكون المسلم بحالٍ منافقًا ولا مُرائيًا، ويكفي المسلم في بُغضِ هذا الخلقِ الذميمة والنفور منه أن يعلم أن الله ورسوله يكرهانه ويمقتان عليه، إذ قال تعالى مُتَوَعِّدًا الْمُرَائِينَ بالعذاب والنكال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ وقال فيما رواه عنه رسوله ﷺ: «مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَهُوَ لَهُ كُلُّهُ وَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَأَنَا أُغْنِي الْأَغْنِيَاءَ عَنِ الشِّرْكِ»^(٤). وقال ﷺ: «مَنْ رَأَى رَأَى اللَّهَ بِهِ وَمَنْ سَمِعَ سَمِعَ اللَّهَ بِهِ»^(٥). وقال: «إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جَازَى الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ: أَذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرَاوُونَ فِي الدُّنْيَا فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمُ الْجَزَاءَ»^(٦).

وأما حقيقة الرياء فهي إرادة العباد بطاعة المعبود عزَّ وجلَّ للحصول على الحظوة بينهم والمنزلة في قلوبهم.

(١) أبو داود بإسناد جيد.

(٤) مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٥) متفق عليه.

(٣) مسلم.

(٦) أحمد والطبراني والبيهقي، وقال الزين العراقي رجاله ثقات.

وللرّياء مظهرٌ، منها ما يلي :

١ - أن يزيد العبدُ في الطاعة إذا مُدِّحَ وأُثنيَ عليه فيها، وأن ينقص منها أو يتركها إذا ذمَّ عليها أو عيبَ فيها .

٢ - أن ينشط في العبادة إذا كان مع الناس ويكسل عنها إذا كان وحده .

٣ - أن يتصدق بالصدقة، لولا من يراه من الناس لما تصدَّقَ بها .

٤ - أن يقول ما يقوله من الحقِّ والخير، أو يعمل ما يعملُه من الطاعات والمعروف وهو لا يريدُ الله بها وحده وإنما يريدُ غيره من الناس معه أو لا يريدُ الله مطلقاً الله وإنما يريدُ الناسَ فقط .

هـ - العُجبُ والغرورُ :

المسلمُ يحذرُ العُجبَ^(١) والغرورَ، ويجتهدُ أن لا يكونَ وصفاً له في حالةٍ من الحالات إذ هُما من أكبرِ العوائقِ عن الكمالِ، ومن أعظمِ المهالكِ في الحالِ والمالِ، فكَم من نعمةٍ انقلبتْ بهما نقمةً، وكَم من عِزٍّ صيَّرهُ ذلاً، وكَم من قُوَّةٍ أحوَّلتْها ضَعْفاً، فكفَى بهما داءٌ عُضالاً، وكفَى بهما على صاحبيهما وبالألأ، فلذا حذَّرهما المسلمُ وخافهما، ولهذا جاءَ الكتابُ والسنةُ بتحريمهما، والتنفيرُ والتحذيرُ منهما قالَ: اللهُ تعالى: ﴿وَعَرِّثْكُمْ الْأَمَانِي حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغُرِّمَ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٢). وقالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غُرُّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾^(٣). وقالَ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً﴾^(٤). وقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلَاثُ مُهْلِكَاتٍ: شَحٌّ مَطَاعٍ، وَهُوَ مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»^(٥) وقالَ: «إِذَا رَأَيْتَ شُحاً مُطَاعاً، وَهُوَ مُتَّبَعاً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ»^(٦). وقالَ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْأَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي»^(٧).

(١) الزهو والكبر يسبب الإعجاب بالنفس أو العمل .

(٢) الحديد .

(٥) الطبراني وغيره وهو ضعيف .

(٣) الانفطار .

(٦) أبو داود والترمذي وحسنه .

(٤) التوبة .

(٧) البخاري .

مَثَلَاتٌ لِّذَلِكَ :

١ - أُعْجِبَ إبليسُ لعنةَ اللهِ عليه بحالِهِ، واغترَّ بنفسِهِ وأصلِهِ فقالَ : خلقتني من نارٍ وخلقته من طينٍ؟ فطردهُ اللهُ من رحمتهِ، ومن أنسِ حضرةَ قُدسِهِ .

٢ - أُعْجِبَتْ عادٌ بقوتِها واغترَّتْ بسلطانِها وقالوا: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟ فَأَذَاقَهُمُ اللهُ عذابَ الخِزْيِ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفي الآخِرَةِ .

٣ - غَفَلَ نبيُّ اللهِ سليمانُ عليه وعلى نبيِّنا أفضلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ فقالَ : لأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ على مائةِ امرأةٍ تَلِدُ كُلُّ امرأةٍ وَلِداً يُجَاهِدُ في سبيلِ اللهِ، غَفَلَ فلمْ يَقلْ إن شاءَ اللهُ فحرمهُ اللهُ سبحانهُ لذلكَ الولَدَ .

٤ - أُعْجِبَ أَصْحَابُ رَسولِ اللهِ ﷺ في حُنينٍ بكثرتِهِمْ وقالوا: لن نُغَلَبَ اليومَ من قِلَّةٍ! . فَأُصِيبُوا بهزيمةٍ مَرِيرَةٍ، حَتَّى ضَاقتْ عَلَيْهِمُ بما رُحِبَتْ، ثُمَّ وَلَّوْا مَذْبِرِينَ .

وَمِنْ مَظَاهِرِ الْغُرُورِ مَا يَلِي :

١ - في العِلْمِ : قد يُعْجِبُ المرءُ بعلمِهِ، ويغترُّ بكثرةِ مَعَارِفِهِ فيَحْمِلُهُ ذَلِكَ عَلَى عَدَمِ الاسْتِزَادَةِ، وعلى تَرْكِ الاسْتِفَادَةِ، أو يَحْمِلُهُ عَلَى احْتِقَارِ غَيْرِهِ من أَهْلِ الْعِلْمِ، واستصْغَارِ سِوَاهُ، وكَفَى بهذا هَلَاكاً لَهُ! .

٢ - في المالِ : قد يُعْجِبُ المرءُ بوفرةِ مالِهِ، ويغترُّ بكثرةِ عَرَضِيهِ فيُيَذِّرُ وَيُسْرِفُ، وَيَتَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ، وَيَغْمِطُ الْحَقَّ فِيَهْلِكُ .

٣ - في القُوَّةِ : قد يُعْجِبُ المرءُ بقُوَّتِهِ ويغترُّ بعزَّةِ سُلْطَانِهِ فيَعْتَدِي وَيَظْلِمُ، وَيَخَاطِرُ، فيَكُونُ في ذَلِكَ هَلَاكُهُ وَوَبَالُهُ .

٤ - في الشَّرَفِ : قد يُعْجِبُ المرءُ بشرفِهِ ويغترُّ بِنَسَبِهِ وَأَصْلِهِ فيَقْعُدُ عن اكتِسَابِ الْمَعَالِي، وَيَضَعُفُ عن طَلَبِ الْكَمَالَاتِ فيُطَيِّئُ بِهِ عَمَلَهُ، ولمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبَهُ، فيُحَقِّرُ وَيَصْغُرُ، وَيَذِلُّ وَيَهُونُ .

٥ - في العِبَادَةِ : قد يُعْجِبُ المرءُ بعملِهِ، ويغترُّ بكثرةِ طَاعَتِهِ، فيَحْمِلُهُ ذَلِكَ عَلَى

الإِذْلَالِ عَلَى رَبِّهِ، وَالْامْتِنَانِ عَلَى مُنْعِمِهِ، فَيُحْبِطُ عَمَلُهُ، وَيَهْلِكُ بَعْجِهِ، وَيَشْقَى
بِاغْتِرَارِهِ.

عِلَاجُ:

وعلاجُ هذا الداءِ في ذكرِ الله تعالى بالعلمِ بأنَّ ما أعطاهُ الله اليومَ من علمٍ، أو
مالٍ، أو قوَّةٍ، أو عِزَّةٍ، أو شَرَفٍ قدَّ يَسْلُبُهُ غَدًا لو شاءَ ذَلِكَ، وأنَّ طاعةَ العبدِ للربِّ
مهما كَثُرَتْ لا تُساوي بَعْضَ ما أَنْعَمَ اللهُ على عبده، وأنَّ الله تعالى لا يُدَلُّ عليه
بشيءٍ، إذْ هُوَ مُصَدِّرُ كُلِّ فَضْلٍ، وَوَاهِبُ كُلِّ خَيْرٍ، وأنَّ الرَّسُولَ ﷺ يقولُ: «لَنْ
يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي
اللهُ بِرَحْمَتِهِ»^(١).

و- العجزُ والكسلُ:

المُسلِمُ لا يعجزُ ولا يكسلُ، بل يَجْزِمُ وَيَنْشِطُ، وَيَعْمَلُ وَيَحْرِصُ، إذْ العجزُ
والكسلُ خُلُقَانِ ذَمِيمَانِ اسْتَعَاذَ مِنْهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَكَثِيرًا مَا كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي
أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعِزْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجَبَنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ»^(٢). وَأَوْصَى ﷺ بِالْعَمَلِ
وَالْحِرْصِ فَقَالَ: «أَحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِذَا أَصَابَكَ
شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ
تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(٣).

فلهَذَا لا يُرَى المُسلِمُ عاجزًا ولا كَسُولًا، كما لا يُرَى جَبَانًا ولا بَخِيلًا، وَكَيْفَ
يَقْعُدُ عَنِ الْعَمَلِ، أَوْ يَتْرُكُ الْحِرْصَ عَلَى مَا يَنْفَعُهُ، وَهُوَ يُؤْمِنُ بِنِظَامِ الْأَسْبَابِ، وَقَانُونِ
السَّيْنِ فِي الْكَوْنِ؟ وَلَمْ يَكْسَلِ المُسلِمُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِدَعْوَةِ اللهِ إِلَى الْمَسَابَقَةِ فِي قَوْلِهِ:
﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾. وَيَأْمُرُهُ
بِالْمُنَافَسَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(٤).

وَلَمْ يَجْبُنِ المُسلِمُ أَوْ يُحْجِمِ، وَقَدْ أُيِّقَنَ بِالْقَضَاءِ، وَآمَنَ بِالْقَدَرِ، وَعَلِمَ أَنَّ مَا
أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَإِنْ أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ؟ وَلَمْ يَقْعُدْ

(٤) الحديد.

(٣) مسلم.

(٢) متفق عليه.

(١) البخاري.

المسليم عن العمل النافع وهو يسمع هاتِف القرآن به: ﴿وما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ نَكْفُرُوهُ، وما تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ، هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْراً﴾؟.

مظاهر العجز والكسل :

١ - أن يسمع المرء نداء المؤذِن للصلاة ويتشاغل عن الإجابة بنومٍ أو كلامٍ أو عملٍ غير ضروري حتى يكاد يخرج وقت الصلاة ثم يقوم فيصلّي منفرداً في آخر وقت الصلاة.

٢ - أن يقضي المرء الساعة والساعات على مقاعد المقاهي وكراسي المنتزهات أو متجولاً في الشوارع والأسواق ولديه أعمال تتطلب الإنجاز فلا يُنجزها.

٣ - أن يترك المرء العمل النافع كتعلم العلم أو غراسه الأراضي أو عمارة المنازل وبناء الدور، وما إلى ذلك من الأعمال النافعة في الدنيا أو الآخرة يتركها بدعوى أنه كبير السن، أو أنه غير أهل لهذا العمل، أو أن هذا العمل، يتطلب وقتاً واسعاً وزمناً طويلاً، ويترك الأيام تمرّ والأعوام تمشي، ولا يعمل عملاً ينتفع به في دنياه أو آخراه.

٤ - أن يعرض له باب من أبواب البر والخير كفرصة حجّ، وهو قادر عليه فلم يحجّ، أو كوجود لهفان، وهو قادر على إغاثته فلم يُعِثّه، أو كفرصة دخول شهر رمضان فلم يغتنم لياليه بالقيام، أو كوجود أبوين كبيرين عاجزين، أو أحدهما وهو قادر على برّهما ولم يُحسن إليهما عجزاً وكسلاً، أو شحاً وبخلًا، أو عقوقاً، والعباد بالله.

٥ - أن يُقيم المرء بدارٍ ذلٍّ أو هوانٍ، ولم يطلب له عجزاً وكسلاً داراً أخرى يحفظ فيها دينه، ويصون فيها شرفه وكرامته.

اللهم إنا نعوذ بك من العجز والكسل، ونعوذ بك من الجبن والبخل، ونعوذ بك من كل خلق لا يرضي، وعمل لا ينفع، وصلى الله على نبيّنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

الباب الرابع



الفصل الأول

في الطهارة

وفيه ثلاث مواد:

المادة الأولى: في حكم الطهارة، وبيانها:

١ - حكمها:

الطهارة واجبة بالكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾^(١). وقال عز وجل: ﴿وَيَا بَنِي إِسْرَءِيلَ أَطَّهِّرُوا﴾^(٢). وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٣). وقال ﷺ: «مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطَّهْوَرُ». وقال: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طَهْوَرٍ»^(٤). وقال: الطَّهْوَرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»^(٥).

٢ - بيانها:

الطهارة قسمان: ظاهرة، وباطنة.

فالطهارة الباطنة، هي تطهير النفس من آثار الذنوب والمعصية، وذلك بالتوبة الصادقة من كل الذنوب والمعاصي، وتطهير القلب من أقدار الشرك والشك والحسد والحقد والغل والغش والكبر، والعجب والرياء والسُّمعة، وذلك بالإخلاص واليقين وحب الخير والحلم والصدق والتواضع، وإرادة وجه الله تعالى بكل النيات والأعمال الصالحة.

(١) النساء.

(٢) البقرة.

(٣) البقرة.

(٤) مسلم.

(٥) مسلم.

والطهارة الظاهرة هي: طهارة الخبث، وطهارة الحدث.
فطهارة الخبث تكون بإزالة النجاسات بالماء الطهور من لباس المصلي،
وبدنيه، ومكان صلاته.

وطهارة الحدث وهي: الوضوء، والغسل، والتيمم.

المادة الثانية: فيما تكون به الطهارة:

الطهارة تكون بشيئين:

١ - الماء المطلق وهو الباقي على أصل خلقته بحيث لم يخالطه شيء ينفك عنه غالباً، نجساً كان أو طاهراً، وذلك كمياه الآبار والعيون والأودية والأنهار، والتلوج الذائبة والبحار المالحة، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾^(١). وقول الرسول ﷺ: «الماء طهور إلا إن تغير ريحه أو طعمه، أو لونه بنجاسة تحدث فيه»^(٢).

٢ - الصعيد الطاهر وهو وجه الأرض الطاهرة من تراب، أو رمل، أو حجارة، أو سبخة، لقوله ﷺ: «جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً»^(٣).

ويكون الصعيد مطهراً عند فقد الماء، أو عند العجز عن استعماله لمرضٍ ونحوه لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾^(٤). وقول الرسول ﷺ: «إن الصعيد الطيب طهور المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين، فإذا وجد الماء فليمسه بشرته»^(٥). ولاقراره ﷺ عمرو بن العاص على التيمم من الجنابة في ليلة باردة شديدة البرودة خاف فيها على نفسه إن هو اغتسل بالماء البارد^(٦).

(١) الفرقان.

(٢) البهقي وهو ضعيف، وله أصل صحيح، والعمل به عند عامة الأمة الإسلامية.

(٣) أحمد وأصله في الصحيحين.

(٤) النساء.

(٥) الترمذي وحسنه.

(٦) البخاري تعليقا.

المائة الثالثة: في بيان النجاسات:

النجاسات: جمع نجاسة وهي: الخارج من فرج الحي الأديمي من عذرة، أو بول، أو مذي، أو ودي، أو مني، وكذا بول وروث ورجيع كل حيوان لم ينجأ أكل لحمه، وكذا ما كان كثيراً فاجشاً من دم، أو قيح أو قيء متغير، وكذا أنواع الميتة وأجزائها إلا الجلود إن دبغت فإنها تطهر بالدباغ لقول الرسول ﷺ: «أَيُّمَا إهاب دُبِغَ فَقَدْ طُهِرَ» (١).

(١) مسلم.

الفصل الثاني

في آداب قضاء الحاجة

وفيه ثلاث مواد:

المادة الأولى: فيما ينبغي قبل التخلي وهو:

- ١ - أن يطلب مكاناً خالياً من الناس بعيداً عن أنظارهم، لما روي أن النبي ﷺ: «كَانَ إِذَا أَرَادَ الْبَرَّازَ انْطَلَقَ حَتَّى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ»^(١).
- ٢ - أن لا يدخل معه ما فيه ذكر الله تعالى، لما روي أنه ﷺ: «لَيْسَ خَاتِماً نَقَشَهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ وَضَعَهُ»^(٢).
- ٣ - أن يقدم رجله اليسرى عند الدخول إلى الخلاء، ويقول: «بِسْمِ اللَّهِ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبْثِ وَالْخَبَائِثِ»، لما روى البخاري، أنه ﷺ كان يقول ذلك.
- ٤ - أن لا يرفع ثوبه حتى يذنو من الأرض، سترأ لعورته المأمور به شرعاً.
- ٥ - أن لا يجلس للغائط أو البول مستقبل القبلة، أو مستدبرها. لقوله ﷺ: «لَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ، وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ»^(٣).
- ٦ - أن لا يجلس لغائط أو بول في ظل الناس، أو طريقهم، أو مياههم أو أشجارهم المثمرة لقوله ﷺ: «اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَّازَ فِي الْمَوَارِدِ

(١) أبو داود والترمذي.

(٢) متفق عليه.

(٣) الترمذي وصححه.

وقارعة - وَسَط - الطريق، وَالْظِّلُّ^(١). وَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ كَذَلِكَ النَّهْيُ عَنِ التَّبَرُّزِ تَحْتَ
الْأَشْجَارِ الْمُثْمِرَةِ.

٧ - أَنْ لَا يَتَكَلَّمُ حَالَ التَّبَرُّزِ لِقَوْلِ ﷺ: «إِذَا تَغَوَّطَ الرَّجُلَانِ فَلْيَتَوَارَ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا عَنْ صَاحِبِهِ، وَلَا يَتَحَدَّثَا فَإِنَّ اللَّهَ يَمْقُتُ عَلَى ذَلِكَ».

المادة الثانية: فيما ينبغي في الاستجمار والاستنجاء:

١ - أَنْ لَا يَسْتَجِمِرَ بِعَظْمٍ أَوْ رَوْثٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَسْتَجِمِرُوا بِالرَّوْثِ وَلَا
بِالْعِظَامِ؛ فَإِنَّهُ زَادَ إِخْوَانَكُمْ مِنَ الْجِنَّ»^(٢). وَلَا بِمَا فِيهِ مَنَفَعَةٌ كَكُتَّانٍ صَالِحٍ
لِلْإِسْتِعْمَالِ وَكَوَرَقٍ وَنَحْوِهِ وَلَا بِمَا كَانَ ذَا حُرْمَةٍ كَمَطْعُومٍ لِأَنَّهُ تَعْطِلُ الْمَنَافِعَ وَإِفْسَادَ
الْمَصَالِحِ حَرَامٌ.

٢ - أَنْ لَا يَتَمَسَّحَ أَوْ يَسْتَنْجِيَ بِيَمِينِهِ، أَوْ يَمُسَّ ذَكَرَهُ بِهَا لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَمَسُّنَّ
أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يُبُولُ وَلَا يَتَمَسَّحُ مِنَ الْخَلَاءِ بِيَمِينِهِ»^(٣).

٣ - أَنْ يَقْطَعَ الْإِسْتِجْمَارَ عَلَى وَتَرٍ، كَانَ يَسْتَجِمِرُ بِثَلَاثَةٍ فَإِنْ لَمْ يَحْصُلِ النِّقَاءُ
اسْتَجِمَرَ بِخَمْسٍ مَثَلًا، لِقَوْلِ سَلْمَانَ: «نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقَبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ
بُولٍ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ بِأَقْلٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ عَظْمٍ»^(٤).
وَالرَّجِيعُ: هُوَ رَوْثُ الْبَغَالِ وَالْحَمِيرِ.

٤ - إِنْ جَمَعَ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْحِجَارَةِ قَدَّمَ الْحِجَارَةَ أَوَّلًا، ثُمَّ اسْتَنْجَى بِالْمَاءِ، وَإِنْ
اِكْتَفَى بِأَحَدِهِمَا أَجْزَأُهُ، غَيْرَ أَنَّ الْمَاءَ أَطْيَبُ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «مُرُنْ
أَزْوَاجَكُنَّ أَنْ يَسْتَطِيبُوا بِالْمَاءِ؛ فَإِنِّي أَسْتَحْيِيهِمْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَفْعَلُهُ»^(٥).

(١) الحاكم بسند صحيح.

(٢) أصله في الصحيحين.

(٣) متفق عليه.

(٤) مسلم.

(٥) الترمذي وصححه.

المادة الثالثة: فيما ينبغي بعد الفراغ، وهو:

١ - أن يقدم رجله اليمنى عند خروجه من الخلاء لفعل رسول الله عليه الصلاة والسلام ذلك.

٢ - أن يقول: (غُفْرَانُكَ)^(١). أو الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني، أو الحمد لله الذي أحسن إلي في أولي وأخيره، أو الحمد لله الذي أذاقني لذته وأبقى في قوته، وأذهب عني آذاه، وكل هذا وارد وحسن.

(١) أبو داود الترمذي وهو حسن.

الفصل الثالث

في الوُضوء

وفيه أربع مَوَادَّ:

المادة الأولى: في مشرُوعِيَةِ الوُضوءِ وفضله:

١ - مشرُوعِيَتُهُ:

الوُضوءُ مشرُوعٌ بالكتابِ والسنةِ، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾^(١). وقال رسولُ الله ﷺ: «لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»^(٢).

٢ - فضلُ الوُضوءِ:

يشهدُ لما لِلوُضوءِ من فضيلةٍ عظيمةٍ قولُ الرسولِ ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الوُضوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكَ الرِّبَاطُ»^(٣). وقوله: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَتْ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ أَوْ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، وَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ»^(٤).

(١) المائدة.

(٣) مسلم.

(٢) البخاري.

(٤) مالك وغيره.

المادة الثانية: في فرائض الوضوء وسننه، ومكرها وهاتيه:

أ - فرائضه، وهي:

١ - النيّة، وهي عزم القلب على فعل الوضوء امتثالاً لأمر الله تعالى لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيّات»^(١).

٢ - غسل الوجه من أعلى الجبهة إلى منتهى الذقن، ومن وتيد الأذن، إلى وتيد الأذن، لقوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾.

٣ - غسل اليدين إلى المرفقين لقوله تعالى: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾.

٤ - مسح الرأس من الجبهة إلى القفا لقوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾.

٥ - غسل الرجلين إلى الكعبين لقوله تعالى: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾.

٦ - الترتيب بين الأعضاء المغسولة بأن يغسل الوجه أولاً، ثم اليدين، ثم يمسح الرأس ثم يغسل الرجلين لورودها في أمر الله هكذا: الوجه أولاً ثم اليدين، الخ.

٧ - الموالاة أو الفور وهو عمل الوضوء في وقت واحد بلا فاصل من الزمن إذ قطع العبادة بعد الشروع فيها منهي عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾، غير أن الفصل اليسير يعفى عنه، وكذا ما كان لعذر كنفاد ماء أو انقطاعه، أو إراقتيه وإن طال الزمن، إذ لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها.

[تنبيه]: يعدّ بعض أهل العلم «الدلك» من فرائض الوضوء، وبعضهم يعدّه من سننه. والحقيقة أنه من تمام الغسل للعضو فلا يستقلّ باسم أو حكم خاص.

ب - سننه، وهي:

١ - التسمية بأن يقول عند الشروع: بسم الله، لقوله ﷺ: «لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ»^(٢).

(١) متفق عليه.

(٢) أحمد وأبو داود بإسناده ضعيف وكثرة طرقه رأى بعض أهل العلم العمل به.

٢ - غسل الكفين ثلاثاً قبل إدخالهما في الإناء إذا استيقظ من نومٍ، لقوله ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغسل يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً، فإنه لا يذري أين باتت يده»^(١). وإن لم يكن قد استيقظ من نومٍ فلا مانع من أن يدخل يده في الإناء ويرفع بها الماء ليغسل كفيه ثلاثاً سنة الوضوء.

٣ - السواك، لقوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء»^(٢).

٤ - المضمضة، وهي تحريك الماء في الفم من شذق إلى شذق، ثم طرحه لقوله ﷺ: «إذا توضأت فمضمض»^(٣).

٥ - الاستنشاق، والاستنثار. والاستنشاق: جذب الماء بالأنف، والاستنثار: طرحه بنفسه لقوله ﷺ: «وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً»^(٤).

٦ - تخليل اللحية، لقول عمار بن ياسر - وقد استغرب منه تخليل اللحية - «وما يمنعني ولقد رأيت رسول الله ﷺ يخلل لحيته»^(٥).

٧ - الغسل ثلاثاً ثلاثاً، إذ الفرض مرة واحدة، والتلث سنة.

٨ - مسح الأذنين ظاهراً وباطناً لفعل الرسول ﷺ ذلك.

٩ - تخليل الأصابع في اليدين والرجلين لقوله ﷺ: «إذا توضأت فخلل أصابع يديك ورجليك».

١٠ - التيامن، وهو البداية باليمين في غسل اليدين والرجلين لقوله ﷺ: «إذا توضأت، فابدأوا بيمينكم»^(٦). وقول عائشة: كان النبي ﷺ يعجبه التيامن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله^(٧).

(٤) أحمد وأبو داود والترمذي.

(١) متفق عليه.

(٥) أحمد والترمذي.

(٢) مالك.

(٧) متفق عليه.

(٣) أبو داود بإسناد صحيح.

١١ - إطالة الغرة والتحجيل، وذلك بأن يصل في غسل الوجه إلى صفحة العنق، وفي اليدين أن يغسل شيئاً من العضدين وفي الرجلين أن يغسل شيئاً من الساقين لقوله ﷺ: «إن أمتي يأتون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء، من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل»^(١).

١٢ - أن يبدأ في مسح الرأس بمقدمه لحديث: «أن رسول الله ﷺ مسح رأسه يديه فأقبل بهما وأدبر، بدأ بمقدم رأسه ثم ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما»^(٢).

١٣ - أن يقول بعد الوضوء: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين، لقوله عليه الصلاة والسلام: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله ففتح له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»^(٣).

ج - مكروهاته، وهي:

١ - التوضؤ في المكان النجس، لما يخشى أن يتطاير إليه من النجاسة.

٢ - الزيادة على الثلاث، لحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام: «توضأ ثلاثاً ثلاثاً وقال: من زاد فقد أساء وظلم»^(٤).

٣ - الإسراف في الماء، إذ «توضأ رسول الله ﷺ بمُدٍّ - حفنة»^(٥) والإسراف في كل شيء منهى عنه.

٤ - ترك سنة أو أكثر من سنن الوضوء، إذ بتركها يفوت أجر لا ينبغي تفويته.

٥ - الوضوء بفضل المرأة لخبر «نهى رسول الله ﷺ عن فضل طهور المرأة»^(٦).

(١ ، ٢) متفق عليه.

(٥) الترمذي.

(٣) مسلم.

(٦) الترمذي وحسنه.

(٤) النسائي وأحمد وابن ماجه.

المادة الثالثة: في كيفية الوضوء، وهي:

أن يضع الإناء عن يمينه إن أمكنه ذلك، ويقول بسم الله، ويُفرغ الماء على كفيه - ناوياً الوضوء - فيغسلهما ثلاثاً، ثم يتمضمض ثلاثاً، ثم يستنشق ويستنثر ثلاثاً، ثم يغسل وجهه من منبت شعر رأسه المعتاد إلى منتهى لحيته طولاً، ومن وتيد الأذن إلى وتيد الأذن عرضاً، يغسله ثلاثاً، ثم يغسل يده اليمنى إلى العضد ثلاثاً مخللاً أصابعه ثم يغسل اليسرى كذلك، ثم يمسح رأسه مسحة واحدة يبدأ بمقدم رأسه ويذهب بيديه ماسحاً إلى قفاه ثم يردّهما إلى حيث ابتدأ، ثم يمسح أذنيه ظاهراً وباطناً بما بقي من بلل في يديه، أو يجدد لهما ماء إن لم يبق بهما من بلل، ثم يغسل اليسرى كذلك ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين.

وذلك لما روي أن علياً رضي الله عنه توضأ فغسل كفيه حتى أنقاهما ثم تمضمض ثلاثاً واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، وذراعيه ثلاثاً ومسح رأسه مرة ثم غسل قدميه إلى الكعبين ثم قال: «أحببت أن أريكم كيف كان طهور رسول الله ﷺ»^(١).

المادة الرابعة: في نواقض الوضوء:

نواقض الوضوء هي:

١ - الخارج من السبيلين من بول أو مذي أو ودي أو عذرة، أو فسأ أو ضراط، ويسمى هذا بالحدث وهو الذي يعنيه قول رسول الله: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا حدث حتى يتوضأ»^(٢).

٢ - النوم الثقيل إذا كان صاحبه مضطجعاً، لقوله ﷺ: «العين وكاء السه فمن نام فليتوضأ»^(٣).

(١) الترمذي وصححه.

(٢) أبو داود وفيه لين والوكاء: الرباط، والسه: الدبر.

(٣) البخاري.

٣ - استتار العقل وفقد السعور بإغماء أو سُكْرٍ أو جُنُونٍ، إذ حالة استتار العقل لا يدرى فيها العبد أنتقض وضوؤه بمثل فسأء مثلاً أو لم ينتقض.

٤ - مَسَّ الذَّكَرَ بِبَاطِنِ الْكَفِّ وَالْأَصَابِعِ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلَا يُصَلِّ حَتَّى يَتَوَضَّأَ»^(١).

٥ - الرِّدَّةُ، كأن يقول كلمة كُفْرٍ فإنه ينتقض وضوؤه بذلك وتبطل سائر أعماله التعبدية لقوله تعالى: ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِحَبِطَنَ عَمَلِكَ﴾^(٢).

٦ - أكل لحم الجزور لقول أحد الصحابة لرسول الله ﷺ: «أنتوضأ من لحوم الغنم؟». قال: إن شئت. قال: أنتوضأ من لحوم الإبل؟. قال: نعم»^(٣).

إلا أن الجمهور من الصحابة لا يرون الوضوء من لحم الجزور، بحجة أن هذا الحديث منسوخ وتكون الجماهير، ومن بينهم الخلفاء الأربعة كانوا لا يتوضؤون من لحم الجزور.

٧ - مَسَّ المرأة بشهوة، إذ قصد الشهوة كوجودها ناقض للوضوء بدليل الأمر بالوضوء من مس الذكر، لأن مس الذكر يثير الشهوة، ولما في الموطأ عن ابن عمر: «قُبِّلَةُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَجَسَّهَا بِيَدِهِ مِنَ الْمَلَامَسَةِ، فَمَنْ قَبَّلَ امْرَأَتَهُ أَوْ جَسَّهَا فَعَلَيْهِ الْوُضُوءُ»

ما يستحب منه الوضوء:

يستحب الوضوء لكل واحد مما يأتي:

١ - صَاحِبُ السَّلْسِ، وهو مَنْ لَا يَنْقَطِعُ فِي غَالِبِ وَقْتِهِ بَوْلُهُ أَوْ رِيحُهُ، يستحب له أن يتوضأ لكل صلاة - قياساً على المستحاضة.

٢ - المستحاضة، وهي من يجري عليها الدَّمُ دائماً في غير أيام عاديها،

(١) الترمذي وصححه.

(٢) الزمر.

(٣) مسلم.

وَيَسْتَحِبُّ لَهَا أَنْ تَتَوَضَّأَ لِكُلِّ صَلَاةٍ كَصَاحِبِ السَّلْسِ ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
لِفَاطِمَةَ بِنْتِ أَبِي حُبَيْشٍ: «تُمْ تَوَضُّئِي لِكُلِّ صَلَاةٍ»^(١).

٣ - مَنْ غَسَلَ مِيتًا أَوْ بَاشَرَ حَمَلَهُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ غَسَلَ مِيتًا فَلْيَغْتَسِلْ، وَمَنْ
حَمَلَهُ فَلْيَتَوَضَّأْ». وَلَمَّا كَانَ الْحَدِيثُ ضَعِيفًا، اسْتَحَبَّ أَهْلُ الْعِلْمِ الْوُضُوءَ مِنْ ذَلِكَ
احْتِيَاظًا.

(١) أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ .

الفصل الرابع

في الغسل

وفيه أربع مواد :

المادة الأولى : في مشروعية الغسل ، وبيان موجباته :

أ - مشروعيته :

الغسل : مشرُوع بالكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾ . وقال : ﴿ولا جنباً إلا عابري سبيلٍ حتى تغتسلوا﴾ . وقال ﷺ : «إذا تجاوز الختان الختان فقد وجب الغسل»^(١) .

ب - موجباته :

١ - الجنابة ، وتشمل الجماع وهو التقاء الختانين ولو بدون إنزال ، والإنزال وهو خروج المني ببلدة في نوم أو يقظة من رجل أو امرأة لقول الله تعالى : ﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾ . وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : «إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل» .

٣ - انقطاع دم الحيض أو النفاس ، لقوله تعالى : ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقرّبواهن حتى يطمهن ، فإذا طهرن فأتوهن من حيث أمركم الله﴾^(٢) . ولقوله عليه الصلاة والسلام : «أمكثي قدر ما كانت تحبسك حيضتك ثم اغتسلي»^(٣) .

(١) مسلم .

(٢) البقرة .

(٣) مسلم .

٣ - الدُّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ ، فَمَنْ دَخَلَ مِنَ الْكُفَّارِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَغْتَسِلَ لِأَمْرِهِ ﷺ ثُمَامَةً الْحَنْفِيَّ بِالْاِغْتِسَالِ حِينَ أَسْلَمَ^(١) .

٤ - الْمَوْتُ ، فَإِذَا مَاتَ الْمُسْلِمُ وَجَبَ تَغْسِيلُهُ لِأَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ بِذَلِكَ إِذَا أُمِرَ بِتَغْسِيلِ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ لَمَّا مَاتَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ .

مَا يُسْتَحَبُّ لَهُ الْاِغْتِسَالُ :

يُسْتَحَبُّ الْاِغْتِسَالُ لِمَا يَلِي :

١ - لِلْجُمُعَةِ ، لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ : «غُسْلُ الْجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ»^(٢) .

٢ - لِلْإِحْرَامِ ، يُسْنُ لِمَنْ أَرَادَ الْإِحْرَامَ بِعَمْرَةٍ أَوْ حَجٍّ أَنْ يَغْتَسِلَ لِفَعْلِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَمْرِهِ بِذَلِكَ .

٣ - لِدُخُولِ مَكَّةَ وَلِلْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ لِفَعْلِ الرَّسُولِ ﷺ ذَلِكَ .

٤ - لِتَغْسِيلِ الْمَيِّتِ ، فَمَنْ غَسَلَ مَيِّتًا اسْتَحَبَّ لَهُ أَنْ يَغْتَسِلَ لِلْحَدِيثِ الْمُتَقَدِّمِ .

المادة الثانية : فِي فُرُوضِ الْغُسْلِ ، وَسُنَنِهِ ، وَمَكْرُوهَاتِهِ :

أ - فُرُوضُهُ ، وَهِيَ :

١ - النِّيَّةُ ، وَهِيَ عَزْمُ الْقَلْبِ عَلَى رَفْعِ الْحَدَثِ الْأَكْبَرِ بِالْاِغْتِسَالِ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(٣) .

٢ - تَعْمِيمُ سَائِرِ الْجَسَدِ بِالْمَاءِ بِذَلِكَ مَا يُمْكِنُ ذَلِكَهُ وَإِفَاضَةُ الْمَاءِ عَلَى مَا يَتَعَذَّرُ ذَلِكَهُ حَتَّى يَغْلِبَ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ الْمَاءَ قَدْ عَمَّهُ كُلُّهُ .

٣ - تَخْلِيلُ الْأَصَابِعِ وَالشَّعْرِ - شَعْرِ الرَّأْسِ وَغَيْرِهِ - وَتَبَّعُ مَا يُتَّبَعُ عَنْهُ الْمَاءُ كَالشَّرَةِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

(١) الْحَافِظُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَأَصْلُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ .

(٣) الْبُخَارِيُّ .

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

ب - سَنُّهُ، وهي :

١ - التسمية، إِذْ هِيَ مَشْرُوعَةٌ فِي كُلِّ عَمَلٍ ذِي بَالٍ .

٢ - غَسْلُ الْكُفَّيْنِ ابْتِدَاءً قَبْلَ إِدْخَالِهِمَا فِي الْإِنَاءِ لِمَا تَقَدَّمَ .

٣ - الْبِدَايَةُ بِإِزَالَةِ الْأَذَى .

٤ - تَقْدِيمُ أَعْضَاءِ الْوُضُوءِ قَبْلَ غَسْلِ الْجَسَدِ .

٥ - الْمَضْمَضَةُ وَالِاسْتِنْشَاقُ وَغَسْلُ صِمَاحِ الْأُذُنَيْنِ، أَيْ بَاطِنَيْهِمَا .

ج - مَكْرُوهَاتُهُ :

مَكْرُوهَاتُ الْغُسْلِ هِيَ :

١ - الْإِسْرَافُ فِي الْمَاءِ، إِذْ اغْتَسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصَاعٍ وَهُوَ أَرْبَعَةُ أَمْدَادٍ (حَفَنَاتٍ) .

٢ - الْغُسْلُ فِي الْمَكَانِ النَّجِسِ، خَشْيَةُ التَّلَوُّثِ بِالنَّجَاسَةِ .

٣ - الْاِغْتِسَالُ بِفَضْلِ طَهُورِ الْمَرْأَةِ، لِنَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الْاِغْتِسَالِ بِفَضْلِ طَهُورِ الْمَرْأَةِ، كَمَا تَقَدَّمَ .

٤ - الْاِغْتِسَالُ بِلَا سَاتِرٍ مِنْ حَائِطٍ أَوْ نَحْوِهِ لِقَوْلِ مِيمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَضَعْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَاءً وَسَتَرْتُهُ فَاغْتَسَلَ^(١)، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ الْاِغْتِسَالُ بِلَا سَاتِرٍ مَكْرُوهًا لِمَا سَتَرْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ سَتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ»^(٢) .

٥ - الْاِغْتِسَالُ فِي الْمَاءِ الرَّائِدِ الَّذِي لَا يَجْرِي لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا يَغْتَسِلَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ وَهُوَ جُنُبٌ»^(٣) .

(١) البخاري .

(٢) أبو داود .

(٣) مسلم .

المادة الثالثة: في كيفية الغسل:

كيفية الغسل هي:

أن يقول: بِسْمِ اللَّهِ، ناوياً رفع الحدث الأكبر باغتساله، ثم يغسل كفيه ثلاثاً، ثم يستنجي فيغسل ما بفرجيه وما حولهما من أذى ثم يتوضأ الأصغر، إلا رجله فإن له أن يغسلهما مع وضوئه، وله أن يؤخرهما إلى الفراغ من غسله، ثم يغمس كفيه في الماء فيخلل بهما أصول شعر رأسه (★) ثم يغسل رأسه مع أذنيه ثلاث مرات بثلاث غرفات، ثم يفيض الماء على شقیه الايمن يغسله بذلك من أعلاه إلى أسفله، ثم الأيسر، كذلك متتبعاً أثناء الغسل الأماكن الخفية كالسرّة وتحت الإبطين والركبتين ونحوها، وذلك لقول عائشة رضي الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَغْتَسِلَ مِنَ الْجَنَابَةِ بَدَأَ فغسل يديه قبل أن يدخلهما في الإناء، ثم غسل فرجه، ويتوضأ وضوءه للصلاة، ثم يشرب شعرة الماء ثم يحني رأسه ثلاث حثيات ثم يفيض الماء على سائر جسده»^(١).

المادة الرابعة: فيما يمنع بالجنابة:

يمنع بالجنابة أمور هي:

١ - قراءة القرآن إلا الاستعاذة ونحوها لقوله ﷺ: «لَا تَقْرَأُ الْحَائِضُ وَلَا الْجُنُبُ شيئاً من القرآن»^(٢). وقول علي رضي الله عنه كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ عَلَى كُلِّ حَالٍ، مَا لَمْ يَكُنْ جُنُباً»^(٣).

(*) هذا بالنسبة إلى الرجل، أما المرأة فيكفيها أن تحني على رأسها ثلاث حثيات، وتذلك ولا تنقص شعرها المقتول لما روى الترمذي عن أم سلمة قالت: قلت يا رسول الله إني امرأة أشد ضفر رأسي أفأنقضه لغسل الجنابة؟ قال: «ولا إنما يكفيك أن تحني على رأسك ثلاث حثيات من ماء». الحديث.

(١) الترمذي وصححه.

(٢) الترمذي وأعله لكن حديث علي صحيح يشهد للحكم.

(٣) الترمذي صححه.

٢ - دُخُولُ المساجِدِ، إِلَّا الْمُرُورَ بِهَا لِلْمُضْطَرِّ إِلَيْهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾^(١).

٣ - الصَّلَاةُ فَرَضًا كَانَتْ أَوْ نَفْلًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ، وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾.

٤ - مَسُّ المَصْحَفِ الْكَرِيمِ وَلَوْ بَعُودٍ وَنَحْوِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمُسُّهُ إِلَّا الْمَطْهُرُونَ﴾^(٢). وَلِقَوْلِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا تَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا وَأَنْتَ طَاهِرٌ»^(٣).

(١) النساء.

(٢) الواقعة.

(٣) الدارقطني وهو صحيح.

الفصل الخامس

في التيمم

وفيه ثلاث مواد:

المادة الأولى: في مشروعيته، ولمن يُشرع له:

أ - مشروعيته

التيمم مشروع بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، قال تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط، أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾^(١). وقال ﷺ: «الصعيد»^(٢) وضوء المسلم وإن لم يجد الماء عشر (★) سنین.

ب - لمن يُشرع؟

يُشرع التيمم لمن لم يجد الماء بعد طلبه طلباً لا يشق على مثله، أو وجده ولم يقدر على استعماله لمرض، أو كان يخشى باستعماله زيادة المرض^(٣) أو تأخير البرء، أو كان لا يقدر على الحركة ولم يجد من يناوله إيّاه.

(١) النساء.

(٢) رواه النسائي وابن حبان وهو صحيح.

(*) من لم يجد ماء ولا ما يتيمم به صلى بلا وضوء ولا تيمم ولا إعادة عليه، لصلاة الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه قبل مشروعية التيمم بلا وضوء لما عدموا الماء ولم يعيدوا الصلاة بعد نزول آية التيمم.

(٣) إذا كان الماء بارداً ولم يجد ما يسخنه به وغلب على ظنه أنه يمرض باستعماله، تيمم وصلى ولا شيء عليه، لما روى أبو داود بسند جيد أن النبي عليه الصلاة والسلام أقر عمرو بن العاص لما فعل ذلك.

وَأَمَّا مَنْ وَجَدَ قَلِيلاً مِنَ الْمَاءِ لَا يَكْفِيهِ لَطْهَرُهُ كَلِّهِ فَإِنَّهُ يَتَوَضَّأُ بِهِ فِي بَعْضِ أَعْضَائِهِ، ثُمَّ يَتِيمُّ لِمَا بَقِيَ، لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(١).

المادة الثانية: في فروض التيمم وسننه:

أ - فروضه:

فروض التيمم وهي:

١ - النية، لخبر: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فينوي التيمم استحالة الممنوع من صلاة ونحوها بفعله التيمم.

٢ - الصعيذ الطاهر، لقوله تعالى: ﴿فَتِيمُّوا صَعِيداً طَيِّباً﴾.

٣ - الضربة الأولى، وهي وضع اليدين على التراب.

٤ - مسح الوجه والكفين، لقوله تعالى: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾.

ب - سننه:

سنن التيمم هي:

١ - التسمية، وهي قول: بِسْمِ اللَّهِ، إذ هي مشروعة في كل عمل ذي بَالٍ.

٢ - الضربة الثانية، إذ الأولى فرض وتكفي فيه، والثانية سنة.

٣ - مسح الذراعين مع الكفين، إذ لو اقتصر على مسح الكفين لأجزأه، وإنما يُمسح الذراعين احتياطاً، وذلك للخلاف في معنى اليدين، في الآية، هل هما الكفان وحدهما، أو هما مع الذراعين إلى المرفقين؟

المادة الثالثة: فيما ينقض التيمم، وما يُباح به:

أ - ما ينقض التيمم:

ينقض التيمم شيان:

١ - كل ما ينقض الوضوء إذ هو بدل عنه.

(١) التغابن.

٢ - وجود الماء لمن عَدِمَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ فِي الصَّلَاةِ أو أثنائها، أَمَا إِذَا فَرَغَ مِنْ الصَّلَاةِ فَقَدْ صَحَّتْ صَلَاتُهُ وَلَا إِعَادَةَ عَلَيْهِ إِنْ وَجَدَ الْمَاءَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تُصَلُّوا فِي يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ»^(١).

ب - مَا يُبَاحُ بِالتَّيْمُمِ :

يُبَاحُ بِالتَّيْمُمِ كُلُّ مَا كَانَ مَمْنُوعًا قَبْلَهُ مِنْ صَلَاةٍ، أَوْ طَوَافٍ، أَوْ مَسِّ مَصْحَفٍ، أَوْ قِرَاءَةِ قرآنٍ، أَوْ مُكُثٍ فِي مَسْجِدٍ.

المادة الرابعة: فِي كَيْفِيَةِ التَّيْمُمِ :

كَيْفِيَةُ التَّيْمُمِ هِيَ :

أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ، نَاقِبًا اسْتِبَاحَةً مَا يَتَيَمَّمُ لَهُ بِفَعْلِ التَّيْمُمِ، ثُمَّ يَضْرِبُ بِكَفَيْهِ وَجَةَ الْأَرْضِ مِنْ تَرَابٍ، أَوْ رَمْلٍ، أَوْ حِجَارَةٍ، أَوْ سَبَخَةٍ وَنَحْوَهَا وَلَا بَأْسَ أَنْ يَنْفُضَ الْغُبَارَ مِنْ كَفَيْهِ نَفْضًا خَفِيفًا، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْعَهُ مَسْحَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ يَضْرِبُ إِنْ شَاءَ بِكَفَيْهِ الْأَرْضَ فَيَمْسَحُ كَفَيْهِ مَعَ ذِرَاعَيْهِ إِلَى الْمَرْفَقَيْنِ إِنْ شَاءَ، وَإِنْ اقْتَصَرَ عَلَى الْكَفَيْنِ أَجْزَأُ..

[تَنْبِيهُ: سُؤَالٌ وَجَوَابُهُ:]

السُّؤَالُ: هَلْ يُصَلِّي بِالتَّيْمُمِ الْوَاحِدِ عِدَّةَ صَلَوَاتٍ إِنْ لَمْ يَنْقُصْ تَيَمُّمُهُ؟

الْجَوَابُ: فِي الْمَسْأَلَةِ خِلَافٌ مَنْشُؤُهُ اجْتِهَادُ أَهْلِ الْعِلْمِ، إِذْ لَمْ يُوجَدْ نَصٌّ صَرِيحٌ فِي الْمَسْأَلَةِ يُثَبِّتُ أَحَدَ جَانِبَيْهَا وَيُبْطِلُ الْآخَرَ، وَالِاحْتِيَاظُ يَقْضِي بِالتَّيْمُمِ لِكُلِّ صَلَاةٍ.

(١) النسائي وأبو داود وأحمد وابن حبان وصححه ابن السكن.

الفصل السادس

في المسح على الخفين، والجباير

وفيه ثلاث مواد:

المادة الأولى: في مشروعية المسح على الخفين، والجباير:

مَشْرُوعِيَّةُ الْمَسْحِ عَلَى الْخَفَيْنِ وَمَا فِي مَعْنَاهُمَا مِنَ الْجَوَازَيْنِ وَالْمَوْقِفَيْنِ وَالنَّسَاخِينَ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، أَمَا الْكِتَابُ فَقَدْ قُرِئَ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَأَرْجِلُكُمْ بِالْحِجْرِ عَطْفًا عَلَى وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ فَدَلَّ هَذَا عَلَى جَوَازِ الْمَسْحِ، وَأَمَّا السُّنَّةُ فَقَدْ قَالَ ﷺ: «إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْ خَفِيَّهُ فَلْيَمْسَحْ عَلَيْهِمَا وَلْيَصِلْ، وَلَا يَخْلَعُهُمَا إِنْ شَاءَ إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ»^(١) وَمَا فِيهِ مِنْ إِطْلَاقٍ عَدَمِ التَّوْقِيفِ فَإِنَّهُ مَقِيدٌ بِحَدِيثِ التَّوْقِيفِ الْآتِي.

وَأَمَّا مَشْرُوعِيَّةُ الْمَسْحِ عَلَى الْجَبَائِرِ فَإِنَّهَا بِقَوْلِهِ ﷺ فِي الَّذِي شُجَّ رَأْسُهُ فغَسَلَ رَأْسَهُ فَمَاتَ: «إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَتِمَّمَ وَيَعْصَبَ عَلَى جُرْحِهِ خِرْقَةً ثُمَّ يَمْسَحَ عَلَيْهَا وَيَغْسِلَ سَائِرَ جَسَدِهِ»^(٢).

المادة الثانية: في شروط المسح:

يُشْتَرَطُ فِي الْمَسْحِ عَلَى الْخَفَيْنِ وَمَا مَعْنَاهُمَا، مَا يَلِي:

١ - أَنْ يَلْبَسَهُمَا عَلَى طَهَارَةٍ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلْمَغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَنْزِعَ خُفَيَّ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِيَغْسِلَ رِجْلَيْهِ فِي وَضُوئِهِ: «دَعَهُمَا فَيَأْتِي أَدْخَلَتْهُمَا طَاهِرَتَيْنِ»^(٣).

(١) الدراقطني والحاكم وصححه. (٢) أبو داود وعليه أكثر أهل العلم. (٣) متفق عليه.

- ٢ - أن يَكُونَا سَاتِرَيْنِ لِمَحَلِّ الْفَرْصِ .
- ٣ - أن يَكُونَا سَمِيكَيْنِ لَا تَبْدُو الْبَشَرَةَ مِنْ تَحْتِهِمَا .
- ٤ - أن لَا تَزِيدَ مَدَّةُ الْمَسْحِ عَلَى الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ لِلْمَقِيمِ ، وَلَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لِلْيَالِيهِ .
لِلْمَسَافِرِ ، لِقَوْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلِيَالِيَهُنَّ لِلْمَسَافِرِ وَيَوْمًا وَلَيْلَةً لِلْمَقِيمِ)^(١) .
- ٥ - أن لَا يَنْزِعَهُمَا بَعْدَ الْمَسْحِ ، فَلَوْ نَزَعَهُمَا وَجَبَ عَلَيْهِ غَسْلُ رِجْلَيْهِ وَإِلَّا بَطَلَ وَضُوؤُهُ .
- ٦ - وَأَمَّا الْمَسْحُ عَلَى الْجَبِيرَةِ فَلَا يُشْتَرَطُ لَهُ تَقَدُّمُ طَهَارَةٍ ، وَلَا التَّوَقُّيْتُ بِزَمَنِ مُحَدِّدٍ وَإِنَّمَا يُشْتَرَطُ لَهُ أَنْ تَكُونَ غَيْرَ زَائِدَةٍ عَلَى مَحَلِّ الْجُرْحِ إِلَّا بِمَا لَا بُدَّ مِنْهُ لِلرَّبْطِ وَأَنْ لَا تُنْزَعَ مِنْ مَكَانِهَا وَأَنْ لَا يَبْرَأَ الْجُرْحُ ، فَإِنْ سَقَطَتْ أَوْ بُرِيَ الْجُرْحُ بَطَلَ الْمَسْحُ وَوَجَبَ الْغَسْلُ .
تنبيهان :
- يَجُوزُ الْمَسْحُ عَلَى الْعِمَامَةِ لَضَرُورَةِ بَرْدٍ أَوْ سَفَرٍ ، لِرَوَايَةِ مُسْلِمٍ : (أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ تَوَضَّأَ فِي سَفَرِهِ ، فَمَسَحَ بِنَاصِيَّتِهِ وَعَلَى الْعِمَامَةِ) . لَكِنْ مَعَ مَسْحِ الْعِمَامَةِ مَسَحَ بَعْضُ النَّاصِيَّةِ ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ .
- لَا فَرْقَ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ فِي بَابِ مَسْحِ الْخُفَّيْنِ وَالْجَبَائِرِ وَغِطَاءِ الرَّأْسِ ، كَالْعِمَامَةِ وَنَحْوِهَا ، فَمَا جَازَ لِلرَّجُلِ جَازَ لِلْمَرْأَةِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ .
- المادة الثالثة : في كيفية المسح :

كيفية المسح على الخفين هي أن يَبْلُ يَدَيْهِ ، ثُمَّ يَضَعُ بَاطِنَ كَفَيْهِ الْيُسْرَى تَحْتَ عَقِبِ الْخُفِّ ، وَكَفِّ الْيَمْنَى عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ ، ثُمَّ يَمُرُّ الْيَمْنَى إِلَى سَاقِهِ وَالْيُسْرَى إِلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ ، وَلَوْ مَسَحَ أَعْلَى الْخُفِّ دُونَ بَاطِنِهِ لِأَجْزَأَهُ لِقَوْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوَّلَى بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ)^(٢) .

وَأَمَّا الْمَسْحُ عَلَى الْجَبَائِرِ فَإِنَّهُ يَبْلُ يَدَهُ وَيَمَسَحُ فَوْقَ الْجَبِيرَةِ كُلِّهَا مَرَّةً وَاحِدَةً .

(٢) أبوداود بإسناد حسن .

(١) مسلم .

الفصل السابع

في حكم الحيض ، والنِّفاسِ

وفيه ثلاثُ موادَّ:

المادة الأولى: في تعريفها:

١ - الحيضُ:

الحيضُ: دَمٌ يُرْجِيهِ الرَّجْمُ إِذَا بَلَغَتِ الْمَرْأَةُ، يَعْتَادُهَا فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ، لِحِكْمَةِ تَرْبِيَةِ الْوَلَدِ، وَأَقْلُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَأَكْثَرُهُ خَمْسَةٌ عَشَرَ يَوْمًا، وَغَالِبُهُ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ أَيَّامٌ، وَأَقْلُ الطَّهْرِ - أَيِ أَيَّامِهِ - ثَلَاثَةٌ عَشَرَ يَوْمًا، أَوْ خَمْسَةٌ عَشَرَ يَوْمًا، وَأَكْثَرُ الطَّهْرِ لَا حَدَّ لَهُ، وَغَالِبُهُ ثَلَاثَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ يَوْمًا، وَالنِّسَاءُ فِيهِ ثَلَاثُ: مُبْتَدَأٌ وَمَعْتَادَةٌ، وَمُسْتَحَاضَةٌ (★) وَلِكُلِّ حُكْمٍ.

أما المبتدأة: وهي التي تَرَى الدَّمَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ وَحُكْمُهَا أَنَّهَا إِذَا رَأَتْ الدَّمَ تَرَكَّتْ الصَّلَاةَ وَالصَّوْمَ وَالْوُطْءَ، وَانْتَظَرَتْ الطَّهْرَ، فَإِذَا رَأَتْهُ بَعْدَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَوْ أَكْثَرَ إِلَى خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا اغْتَسَلَتْ وَصَلَّتْ، وَإِنْ اسْتَمَرَّ مَعَهَا الدَّمُ بَعْدَ الْخَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا اعْتَبِرَتْ مُسْتَحَاضَةً بَعْدَ ذَلِكَ حُكْمُهَا حُكْمُ الْمُسْتَحَاضَةِ.

(*) يزيد بعض أهل العلم من فقهاء المالكية والشافعية دون الحنابلة و الحنفية رابعة وهي الحامل وحكمها أنها كغير الحامل إن لم تتغير عاداتها، فإن تغيرت قال ابن القاسم: تمكث للحيض بعد الثلاثة أشهر خمسة عشر يوماً، وبعد الستة أشهر على الحمل تمكث عشرين يوماً، وتمكث في آخر الحمل ثلاثين يوماً، بحجة أن دم الحيض يكثر كلما كبر الحمل، وأما الحنابلة والأحناف فلا يعدون الدم في الحمل حيضاً، وما يرى من الدم إنما دم علة وفساد فلا حكم له. اللهم إلا ما كان قبل الولادة بيوم أو يومين أو ثلاثة، فإنه دم نفاس، حكمه حكم دم النفاس.

وإن تقطَعَ دَمُهَا خِلَالَ الْخَمْسَةِ عَشْرَةَ يَوْمًا، فَكَانَتْ تَرَاهُ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ وَيَنْقَطِعُ
مِثْلَ ذَلِكَ، فَإِنَّهَا تَغْتَسِلُ وَتَصَلِّي كُلَّمَا رَأَتْ الطَّهْرَ، وَتَقْعُدُ كُلَّمَا رَأَتْ الدَّمَ.

وَأَمَّا الْمَعْتَادَةُ: وَهِيَ مَنْ كَانَتْ لَهَا أَيَّامٌ مَعْلُومَةٌ تُحِيضُهَا مِنَ الشَّهْرِ فَحُكْمُهَا أَنِهَا
تَتْرُكُ الصَّلَاةَ وَالصُّومَ وَالْوُطْءَ أَيَّامَ عَادَتِهَا، وَإِنْ رَأَتْ صُفْرَةً أَوْ كُذْرَةً بَعْدَ عَادَتِهَا لَا تَلْتَفِتُ
إِلَيْهَا، لِقَوْلِ أُمِّ عَطِيَّةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (كُنَّا لَا نَعُدُّ الصُّفْرَةَ أَوْ الْكُذْرَةَ بَعْدَ الطَّهَارَةِ
شَيْئًا)^(١). أَمَّا إِذَا رَأَتْ ذَلِكَ اثْنَاءَ الْعَادَةِ بَانَ تَحْلِيلَ أَيَّامَ عَادَتِهَا صُفْرَةً أَوْ كُذْرَةً، فَإِنَّهَا مِنْ
حِيضَتِهَا فَلَا تَغْتَسِلُ لَهَا وَلَا تَصَلِّي وَلَا تَصُومُ (★).

وَأَمَّا الْمُسْتَحَاضَةُ: وَهِيَ مَنْ لَا يَنْقَطِعُ عَنْهَا جَرِيَانُ الدَّمِ، وَحُكْمُهَا، أَنَّهَا إِذَا
كَانَتْ قَبْلَ أَنْ تَسْتَحَاضَ مَعْتَادَةً، وَعَرَفَتْ أَيَّامَ عَادَتِهَا فَإِنَّهَا تَقْعُدُ عَنِ الصَّلَاةِ أَيَّامَ عَادَتِهَا
مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَبَعْدَ انْقِضَائِهَا تَغْتَسِلُ وَتَصَلِّي وَتَصُومُ وَتُوطَأُ، وَإِنْ كَانَتْ لَا عَادَةَ لَهَا، أَوْ
كَانَتْ لَهَا عَادَةٌ وَنَسِيَتْ زَمَنَهَا أَوْ عَدَدَهَا فَإِنَّهَا إِنْ تَمَيَّزَ الدَّمُ مِنْ بَعْضِهِ فَكَانَ يَجْرِي مَرَّةً
أَسْوَدَ، وَمَرَّةً أَحْمَرَ، فَإِنَّهَا تَجْلِسُ أَيَّامَ الْأَسْوَدِ، وَتَغْتَسِلُ وَتَصَلِّي بَعْدَ انْقِضَائِهِ مَا لَمْ
يَتَجَاوَزْ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا.

وإنْ لَمْ يَتَمَيَّزْ دَمُهَا لَا بِسَوَادٍ وَلَا بِغَيْرِهِ، فَلِإِنَّهَا تَجْلِسُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ أَغْلَبَ
الْحَيْضِ وَهُوَ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ أَيَّامٍ، ثُمَّ تَغْتَسِلُ وَتَصَلِّي.

وَالْمُسْتَحَاضَةُ أَيَّامَ اسْتِحَاضَتِهَا، تَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلَاةٍ وَتَسْتَفِيرُ وَتَصَلِّي وَلَوْ كَانَ الدَّمُ
يَصُبُّ صَبًّا، وَلَا تُوطَأُ إِلَّا لِضُرُورَةٍ.

وَأَدْلَةٌ مَا سَبَقَ فِي أَحْكَامِ الْمُسْتَحَاضَةِ، الْأَحَادِيثُ التَّالِيَةُ:

١ - حَدِيثُ أُمِّ سَلَمَةَ: «أَنَّهَا اسْتَفْتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي امْرَأَةٍ تَهْرَاقُ الدَّمَ؟

(١) البخاري.

(*) يرى بعض أهل العلم أن من تجاوز الدم أيام عاداتها استظهرت بثلاثة أيام، ثم اغتسلت وصلت، ما لم
تتجاوز الخمسة عشر يوماً، فإنها تعد مستحاضة، فلا تستطهر بل تغتسل وتصلي كالمستحاضة.
وبعضهم يرى أن ما زاد على العادة لا تترك الصلاة لأجله إلا إذا تكررت مرتين أو ثلاثاً فتنتقل عاداتها إليه
حينئذ، وهو رأي ظاهر قوي.

فَقَالَ: لَتَنْظُرَ عِدَّةَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ الَّتِي كَانَتْ تَحِيضُهُنَّ مِنَ الشَّهْرِ قَبْلَ أَنْ يُصِيبَهَا الَّذِي أَصَابَهَا، فَلَتَتْرُكِ الصَّلَاةَ قَدَرِ ذَلِكَ مِنَ الشَّهْرِ فَإِذَا خَلَّفْتَ ذَلِكَ فَلتَغْتَسِلْ، ثُمَّ لَتَسْتَفِرَّ بَثْوٍ ثُمَّ لَتُصَلِّ^(١). فِي هَذَا الْحَدِيثِ شَاهِدٌ لِلْمُسْتَحَاضَةِ ذَاتِ الْعَادَةِ.

٢ - حَدِيثُ فَاطِمَةَ بِنْتِ أَبِي حُبَيْشٍ: (أَنَّهَا كَانَتْ تَسْتَحَاضُ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: إِذَا كَانَ دَمُ الْحَيْضِ فَإِنَّهُ أَسْوَدُ يُعْرَفُ، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَأَمْسِكِي عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِذَا كَانَ الْآخِرُ فَتَوَضَّئِي - بَعْدَ الْاِغْتِسَالِ - وَصَلِّي فَإِنَّمَا هُوَ عِرْقُ^(٢)). فِي هَذَا شَاهِدٌ لَغَيْرِ الْمَعْتَادَةِ أَوْ لِمَنْ نَسِيَتْ عَادَتَهَا وَكَانَ دَمُهَا مُتَمَيِّزًا.

٣ - حَدِيثُ حَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ، قَالَتْ: (كَنتُ اسْتَحَاضُ حَيْضَةً كَثِيرَةً شَدِيدَةً فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَسْتَفْتِيهِ، فَقَالَ: إِنَّمَا هِيَ رَكْضَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ فَتَحِيضِي سِتَّةَ أَيَّامٍ، أَوْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ اغْتَسِلِي، فَإِذَا اسْتَنْقَاطَ فَصْلِي أَرْبَعَةَ وَعَشْرِينَ يَوْمًا، أَوْ ثَلَاثَةً وَعَشْرِينَ يَوْمًا، وَصُومِي وَصَلِّي، فَإِنَّ ذَلِكَ يُجْزِيكَ، وَكَذَلِكَ فَافْعَلِي كُلَّ شَهْرٍ كَمَا تَحِيضُ النِّسَاءُ)^(٣). وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ شَاهِدٌ لِمَنْ لَا عَادَةَ لَهَا وَلَا تَمَيِّزًا.

ب - النِّفَاسُ:

النِّفَاسُ هُوَ الدَّمُ الْخَارِجُ مِنَ الْفَرْجِ عَقِبَ الْوِلَادَةِ، وَلَا حَدَّ لَأَقْلِهِ، فَمَتَى رَأَتْ النِّسَاءُ الطَّهْرَ^(٤)، اغْتَسَلَتْ وَصَلَّتْ، إِلَّا الْوُطْءَ فَإِنَّهُ يَكْرَهُ لَهَا كِرَاهَةً تَنْزِيهِ قَبْلَ الْأَرْبَعِينَ يَوْمًا خَشْيَةً أَنْ تَتَأَذَى بِالْوُطْءِ، وَأَمَّا أَكْثَرُهُ فَأَرْبَعُونَ يَوْمًا لَمَّا رُويَ أَنَّ أُمَّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (كَانَتْ النِّسَاءُ تَجْلِسُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا). وَقَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: كَمْ تَجْلِسُ الْمَرْأَةُ إِذَا وَلَدَتْ؟ فَقَالَ: (أَرْبَعِينَ يَوْمًا، إِلَّا أَنْ تَرَى الطَّهْرَ قَبْلَ ذَلِكَ)^(٥). وَعَلَيْهِ فَإِذَا بَلَغَتْ النِّسَاءُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا اغْتَسَلَتْ وَصَلَّتْ وَصَامَتْ وَلَوْ لَمْ تَطْهَرْ، غَيْرَ أَنَّهَا إِذَا لَمْ تَطْهَرْ تُصْبِحُ كَالْمُسْتَحَاضَةِ فِي الْحُكْمِ سِوَاءً بِسِوَاءٍ.

(١) أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

(٢) أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ.

(٤) الطَّهْرُ: الْجُفُوفُ بِانْقِطَاعِ الدَّمِ.

(٥) التِّرْمِذِيُّ وَأَعْلَهُ بِالْغَرَابَةِ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

(٢) التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

وعن بعض أهل العلم، أن النفساء تجلس خمسين أو ستين يوماً وكونها تجلس أربعين فقط أحوط لدينها.

المادة الثانية: فيما يُعرف به الطهر:

يُعرف الطهر بأحد شيئين: أولهما القصة البيضاء وهي ماء أبيض يخرج عقب الطهر، وثانيهما الجفوف، وهو أن تدخل المرأة القطن في فرجها فتخرجها جافة، تفعل ذلك قبل النوم وبعدة لترى هل طهرت أم لم تطهر.

المادة الثالثة: فيما يُمنع بالحيض والنفس، وما يُباح:

أ - ما يُمنع بالحيض والنفس:

يمنع بالحيض والنفس أمور:

١ - الوطء، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾^(١).

٢ - الصلاة والصيام، غير أن الصوم يُقضى بعد الطهر، والصلاة لا تقضى لقوله ﷺ: «اليس إذا حاضت المرأة لم تصل ولم تصم»^(٢). وقول عائشة رضي الله عنها: «كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة»^(٣).

٣ - دخول المسجد، لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا أجل المسجد لحائض ولا لجنب»^(٤).

٤ - قراءة القرآن، لحديث: «لا يقرأ الجنب ولا الحائض شيئاً من القرآن»^(٥).

٥ - الطلاق، فإن الحائض لا تطلق بل تنتظر حتى تطهر، وقبل أن تمس تطلق، لما روي «أن ابن عمر رضي الله عنهما، طلق امرأته وهي حائض، فأمره رسول الله ﷺ أن يراجعها ويمسكها حتى تطهر»^(٦).

(٥) تقدم.

(٦) البخاري.

(٣) البخاري.

(٤) أبو داود.

(١) البقرة.

(٢) البخاري.

ب - مَا يُبَاحُ مَعَ الْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ :

يُباحُ مع الحيضِ والنَّفَاسِ أمورٌ هي :

١ - المباشرةُ فيما دونَ الفرجِ ، لقوله ﷺ : « اصنعوا كلَّ شيءٍ إِلَّا النكاحَ » .

٢ - ذكرُ الله تعالى ، إذ لَمْ يَرَدْ في ذلك نهْيٌ عن الشارعِ .

٣ - الإحرامُ والوقوفُ بعرفةَ وسائرُ أعمالِ الحجِّ أو العمرةِ إِلَّا الطوافَ بالبيتِ فلا يحلُّ إِلَّا بعدَ الطهْرِ والغسلِ ، لقولِ الرسولِ ﷺ لعائشةَ رضيَ الله عنها : « افعلي ما يفعلُ الحاجُّ ، غيرَ أن لا تطوفي البيتَ حتَّى تطهري »^(١) .

٤ - مؤاكلتُهُمَا ومشاربَتُهُمَا لقولِ عائشةَ رضيَ الله عنها : « كنتُ أشربُ وأنا حائضٌ فأناولُهُ النبيُّ ﷺ فيضعُ فاهُ على موضعِ فيٍّ فيشربُ »^(٢) . وقولِ عبدِ الله بنِ مسعودٍ : « سألتُ النبيَّ ﷺ عن مؤاكلةِ الحائضِ ؟ فقال : وأكلِهَا »^(٣) .

(١) متفق عليه .

(٢) مسلم .

(٣) أحمد والترمذي وهو حسن .

الفصل الثامن

في الصلاة

وفيه أربع عشرة مادة:

المادة الأولى: في حكمها، وحكميتها، وبيان فضلها:

أ - حكم الصلاة:

الصلاة فريضة الله على كل مؤمن، إذ أمر الله تعالى بها في غير ما آية من كتابه، قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾^(١). وقال: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾^(٢). وجعلها رسول الله عليه الصلاة والسلام القاعدة الثانية من قواعد الإسلام الخمس فقال: «بُني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان»^(٣) فتاركها يقتل شرعاً، والمتهاون بها فاسق قطعاً.

ب - حكمتها:

ومن الحكمة في شرعية الصلاة أنها تطهر النفس وتزكّيها، وتوَهِّل العبد لمناجاة الله تعالى في الدنيا ومجاورته في الدار الآخرة، كما أنّها تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٤).

(١) النساء.

(٢) البخاري.

(٣) العنكبوت.

(٤) البقرة.

ج - فضلها :

يَكْفِي فِي بَيَانِ فَضِيلَةِ الصَّلَاةِ، وَعُظْمِ شَأْنِهَا، قِرَاءَةُ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ التَّالِيَةِ :

١ - قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(١).

٢ - قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»^(٢).

٣ - قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٣).

٤ - قَوْلُهُ ﷺ: «عِنْدَمَا سُئِلَ عَنْ أَيِّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «الصَّلَاةُ لَوْ قَتَلَهَا»^(٤).

٥ - قَوْلُهُ ﷺ: «مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ كَمِثْلِ نَهْرٍ عَذِبَ غَمْرِ بَابٍ أَحَدِكُمْ يَقْتَحِمُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، فَمَا تَرَوْنَ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرْنِهِ؟. قَالُوا: لَا شَيْءَ؟ قَالَ: فَإِنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ تَذْهَبُ الذُّنُوبَ كَمَا يَذْهَبُ الْمَاءُ الدَّرْنَ»^(٥).

٦ - قَوْلُهُ ﷺ: «مَا مِنْ أَمْرٍ مَسْلُومٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ، وَذَلِكَ الدَّهْرُ كُلُّهُ»^(٥).

المادة الثانية: في تقسيم الصَّلَاةِ إِلَى فَرَضٍ، وَسُنَّةٍ، وَنَفْلِ:

أ - الفرض:

الفرض من الصَّلَاةِ هُوَ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ: الظُّهْرُ، وَالْعَصْرُ، وَالْمَغْرِبُ، وَالْعِشَاءُ وَالصُّبْحُ، لقَوْلِهِ ﷺ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ، مِنْ أَتَى بِهِنَّ

(٤، ٥) مسلم.

(٣) متفق عليه.

(١، ٢) مسلم.

لم يَضِيعْ مِنْهُنَّ شَيْئاً اسْتِخْفَافاً بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ»^(١).

ب - السنة :

السنة من الصلاة هي الوتر، ورغيبه الفجر، والعيذان، والكسوف والاستسقاء، وهذه سنن مؤكدة.

وتحية المسجد، والرواتب مع الفرائض، وركعتان بعد الوضوء، وصلاة الضحى، والتراويح، وقيام الليل، وهذه سنن غير مؤكدة.

ج - النفل :

النفل هو ما عدا السنن المؤكدة، وغير المؤكدة ما كان من صلاة مطلقة بليل ونهار.

المادة الثالثة : في شروط الصلاة :

أ - شروط وجوبها، وهي :

١ - الإسلام، فلا تجب على كافر، إذ تقدّم الشهادتين شرط في الأمر بالصلاة لقوله ﷺ : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة». ولقوله لمعاذ : «فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن أطاعوا لك بذلك فاجبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة»^(٢).

٢ - العقل، فلا تجب الصلاة على مجنون لقوله ﷺ : «رُفِعَ الْقَلَمُ عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل»^(٣).

٣ - البلوغ، فلا تجب على صبي حتى يحتلم، لقوله عليه الصلاة والسلام :

(٣) أبو داود والحاكم وصححه .

(٢) البخاري .

(١) أحمد وغيره وهو حسن .

«وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ». غَيْرَ أَنَّهُ يُؤْمَرُ بِهَا وَيُصَلِّيُهَا اسْتِحْبَاباً لِقَوْلِهِ ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغُوا سَبْعًا، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا إِذَا بَلَغُوا عَشْرًا، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^(١).

٤ - دُخُولُ وَقْتِهَا، فَلَا تَجِبُ صَلَاةٌ قَبْلَ دُخُولِ وَقْتِهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾، أَي ذَاتَ وَقْتٍ مُّحَدَّدٍ، وَلَأَنَّ جَبْرِيلَ نَزَلَ فَعَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْقَاتَ الصَّلَاةِ، فَقَدْ قَالَ لَهُ: قُمْ فَصَلِّهِ، فَصَلَّى الظُّهْرَ حِينَ زَالَتْ الشَّمْسُ، ثُمَّ جَاءَهُ الْعَصْرُ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهِ، فَصَلَّى الْعَصْرَ - حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ، ثُمَّ جَاءَهُ الْمَغْرِبُ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهِ، فَصَلَّى الْمَغْرِبَ حِينَ وَجَبَتْ الشَّمْسُ، ثُمَّ جَاءَهُ الْعِشَاءُ فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهِ، فَصَلَّى الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، ثُمَّ جَاءَهُ الْفَجْرُ حِينَ بَرَقَ الْفَجْرُ، ثُمَّ جَاءَهُ مِنَ الْغَدِ لِلظُّهْرِ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهِ، فَصَلَّى الظُّهْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ، ثُمَّ جَاءَهُ الْعَصْرُ، فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهِ، فَصَلَّى الْعَصْرَ حِينَ صَارَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلِهِ، ثُمَّ جَاءَهُ الْمَغْرِبُ وَقَتًا وَاحِدًا لَمْ يَزَلْ عَنْهُ، ثُمَّ جَاءَهُ الْعِشَاءُ حِينَ ذَهَبَ نَصْفُ اللَّيْلِ، أَوْ قَالَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، فَصَلَّى الْعِشَاءَ، ثُمَّ جَاءَهُ حِينَ أَسْفَرَ جَدًّا فَقَالَ: قُمْ فَصَلِّهِ، فَصَلَّى الْفَجْرَ، ثُمَّ قَالَ: مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتُ»^(٢).

٥ - النِّقَاءُ مِنْ دَمَيِّ الْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ، فَلَا تَجِبُ الصَّلَاةُ عَلَى حَائِضٍ وَلَا عَلَى نَفْسَاءٍ حَتَّى تَطْهُرَ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا أَقْبَلَتْ حَيْضُكَ فَاتْرُكِي الصَّلَاةَ»^(٣).

ب - شُرُوطُ صَحَّتِهَا، وَهِيَ:

١ - الطَّهَارَةُ مِنَ الْحَدَثِ الْأَصْغَرِ وَهُوَ عَدَمُ الْوُضُوءِ، وَمِنَ الْحَدَثِ الْأَكْبَرِ، وَهُوَ عَدَمُ الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَمِنَ الْخَبَثِ وَهُوَ النَّجَاسَةُ فِي ثَوْبِ الْمُصَلِّي أَوْ بَدَنِهِ أَوْ مَكَانِهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةً بِغَيْرِ طَهْوٍ».

(١) الترمذي وحسنه.

(٢) مفتق عليه.

(٣) مسلم.

٢ - سَتْرُ الْعَوْرَةِ، لقوله تعالى: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(١). فلا تَصِحُّ صلاةٌ مكشوفٍ العورة، إذ الزينة في الثياب، ما يَسْتُرُ الْعَوْرَةَ.

وعورة الرجل ما بين سُرَّتِهِ وَرَكَبَتِهِ، وعورة المرأة فيما عدا وجهها وكنفها لقوله ﷺ: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ حَائِضٍ إِلَّا بِخِمَارٍ»^(٢). وقوله لما سُئِلَ عن صلاة المرأة في الدرع والخمار بغير إزار، فقال: «إِذَا كَانَ الدَّرْعُ سَابِغاً يُغْطِي ظَهْرَ قَدَمَيْهَا»^(٣).

٣ - اسْتِقْبَالُ الْقِبْلَةِ، إذ لا تَصِحُّ صَلَاةٌ لغيرها، لقوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ - المسجد الحرام - غير أن العاجز عن استقبالها لخوف، أو مرضٍ ونحوهما يَسْقُطُ عَنْهُ هَذَا الشَّرْطُ لعجزه، كما أَنَّ الْمَسَافِرَ لَهُ أَنْ يَتَنَقَّلَ عَلَى ظَهْرِ دَابَّتِهِ حَيْثُمَا تَوَجَّهَتْ لِلْقِبْلَةِ وَلِغَيْرِهَا، إِذْ رَوَى ﷺ «يُصَلِّي عَلَى رَاحِلَتِهِ وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَيْثُمَا تَوَجَّهَتْ بِهِ»^(٤).

المادة الرابعة: في فُرُوضِ الصَّلَاةِ، وسننها ومكروهايتها ومبطلاتها، وما يُبَاحُ فِيهَا

أ - فُرُوضُهَا:

فُرُوضُ الصَّلَاةِ هِيَ:

١ - الْقِيَامُ فِي الْفَرِيضَةِ لِلْقَادِرِ عَلَيْهِ، فلا تَصِحُّ الْفَرِيضَةُ مِنْ جُلُوسٍ لِلْقَادِرِ عَلَى الْقِيَامِ لقوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾. وقول الرسول ﷺ لعمران بن حصين: «صَلِّ قَائِماً فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِداً فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ»^(٥).

٢ - النِّيَّةُ، وهي عَزْمُ الْقَلْبِ عَلَى أَدَاءِ الصَّلَاةِ الْمَعِينَةِ لقوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(٦).

(١) الأعراف.

(٤) مسلم.

(٢) أبوداود بإسناد جيد.

(٥) البخاري.

(٣) الترمذي وحسنه والحاكم وصححه.

(٦) تقدم.

٣ - تكبيرة الإحرام بلفظ: الله أكبر، لقوله ﷺ: «مفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم»^(١).

٤ - قراءة الفاتحة، لقوله ﷺ: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»^(٢). غير أنها تسقط عن المأموم إذا جهر إمامه بالقراءة، إذ أنه مأمور بالإنصات لقراءة إمامه بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾^(٣). ولقوله ﷺ: «إذا كبر الإمام فكبروا، وإذا قرأ فأنصتوا»^(٤). وإذا أسر الإمام قرأ المأموم وجوباً.

٥ - الركوع.

٦ - الرفع منه، لقوله عليه الصلاة والسلام للمسيء صلاته: «ثم أركع حتى تطمئن راکعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً»^(٥).

٧ - السجود.

٨ - الرفع منه، لقوله ﷺ للمسيء صلاته: «ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً». ولقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾^(٦).

٩ - الطمأنينة في الركوع والسجود والقيام والجلوس، لقوله ﷺ للمسيء صلاته: حتى تطمئن (*) ذكر له ذلك في الركوع والسجود والجلوس وذكر له الاعتدال في القيام.

(١) أبوداود والترمذي وصححه الحاكم.
(٢) البخاري.
(٣) الأعراف.
(٤) مسلم.
(٥) البخاري.
(٦) سورة الحج.

(*) نص حديث المسيء صلاته وهو رافع بن خلد:

«وإذا قمت للصلاة فأسبع الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راکعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، افعل ذلك في صلاتك كلها». مسلم.

وحقيقة الطمأنينة: أن يمكث الراكع والساجد والجالس أو القائم بعد استقرار أعضائه زمناً بقدر ما يقول (سبحان ربي العظيم) مرة واحدة، وما زاد على هذا القدر فهو سنة.

١٠ - السلام.

١١ - الجلوس للسلام، فلا يخرج من الصلاة بغير السلام، ولا يسلم إلا وهو جالس لقوله عليه الصلاة والسلام: «وتحليلها السلام».

١٢ - الترتيب بين الأركان، فلا يقرأ الفاتحة قبل تكبيرة الإحرام، ولا يسجد قبل أن يركع، إذ هيئة الصلاة حفظت عن الرسول ﷺ، وعلمها الصحابة وقال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»^(١)، فلا يجوز تقديم متأخر فيها، ولا تأخير متقدم إلا بطلت الصلاة.

ب - سنتها:

سُنن الصلاة قسمان، مؤكدة كالواجب، وغير مؤكدة كالمستحب.

فالمؤكدة هي:

١ - قراءة سورة أو شيء من القرآن كالأية والآيتين بعد قراءة الفاتحة في صلاة الصبح وفي أولى الظهر والعصر والمغرب والعشاء، لما روي أن النبي ﷺ كان يقرأ في الظهر في الأوليتين بأم الكتاب وسورتين، وفي الركعتين الأخريتين بأم الكتاب، وكان يسمعهم الآية أحياناً^(٢).

٢ - قول سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد للإمام والفد، وقول: ربنا لك الحمد للمأموم، لقول أبي هريرة رضي الله عنه إن النبي ﷺ كان يقول: سمع الله لمن حمده، حين يرفع صلبه من الركعة ثم يقول وهو قائم: ربنا ولك الحمد^(٣).

(١) البخاري.

متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

ولقوله عليه الصلاة والسلام: «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ، فَقُولُوا؛ اَللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»^(١).

٣ - قولُ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ فِي الرُّكُوعِ ثَلَاثًا، وَقَوْلُ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى فِي السُّجُودِ، لقوله ﷺ لما نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾: «اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ» وَلَمَّا نَزَلَ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قَالَ: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ»^(٢).

٤ - تَكْبِيرَةُ الْإِنْتِقَالِ مِنَ الْقِيَامِ إِلَى السُّجُودِ وَمِنَ السُّجُودِ إِلَى الْجُلُوسِ وَمِنْهُ إِلَى الْقِيَامِ لِسَمَاعِ ذَلِكَ مِنْهُ ﷺ.

٥ - التَّشَهُّدُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي وَالْجُلُوسُ لَهُمَا.

٦ - لَفْظُ التَّشَهُّدِ وَهُوَ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا، وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ^(٣).

٧ - الْجَهْرُ فِي الصَّلَاةِ الْجَهْرِيَّةِ، فَيَجْهَرُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَفِي صَلَاةِ الصُّبْحِ، وَيُسِرُّ فِيمَا عَدَا ذَلِكَ.

٨ - السِّرُّ فِي الصَّلَاةِ السَّرِيَّةِ.

هَذَا فِي الْفَرِيضَةِ، وَأَمَّا فِي النَّافِلَةِ فَالْسُّنَّةُ فِيهَا الْإِسْرَارُ إِنْ كَانَتْ نَهَارِيَّةً، وَالْجَهْرُ إِنْ كَانَتْ لَيْلِيَّةً، إِلَّا إِذَا خَافَ أَنْ يُوْذِيَ غَيْرَهُ بِقِرَاءَتِهِ فَإِنَّهُ يَسْتَحَبُّ لَهُ الْإِسْرَارُ.

٩ - الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي التَّشَهُّدِ الْأَخِيرِ، فَبَعْدَ قِرَاءَةِ التَّشَهُّدِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»^(٤).

(٣) رواه الشيخان.

(٤) مسلم.

(١) مسلم.

(٢) أحمد وأبو داود بسند جيد.

وَأَمَّا غَيْرُ الْمُؤَكَّدَةِ فَهِيَ :

١ - دُعَاءُ الاستفتاح ، وهو : «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ»^(١) ، ولا إلهَ غيرُكَ»^(٢) .

٢ - الاستعاذةُ في الركعة الأولى والبسملة سِرّاً في كلّ ركعة ، لقوله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٣) .

٣ - رفع اليدين حَذْوَ المنكبين عند تكبيرة الإحرام وعند الركوع وعند الرفع منه ، وعند القيام من اثنتين ، لقول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يَكُونَا حَذْوَ مَنْكَبَيْهِ ثُمَّ يَكْبُرُ ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ رَفَعَهُمَا مِثْلَ ذَلِكَ ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ رَفَعَهُمَا كَذَلِكَ ، وَقَالَ : سَمِعَ اللَّهَ لِمَنْ حَمِدَهُ ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»^(٤) .

٤ - قَوْلُ (آمِينَ) بعد قراءة الفاتحة ، لما رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ : «إِذَا تَلَا ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَالَ (آمِينَ) يَمْدُ بِهَا صَوْتَهُ»^(٥) . ولقوله : «إِذَا قَالَ الْإِمَامُ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ فَقُولُوا : (آمِينَ) ، فَإِنَّ مَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٦) .

٥ - تطويل القراءة في الصُّبْحِ ، والتقصيرُ في العصرِ والمغربِ ، والتوسطُ في العشاءِ والظهرِ ، لما رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ كَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى أَنْ أَقْرَأْ فِي الصُّبْحِ بِطَوَالِ الْمَفْصَلِ ، وَأَقْرَأْ فِي الظُّهْرِ بِأَوَسِطِ الْمَفْصَلِ ، وَأَقْرَأْ فِي الْمَغْرِبِ بِقِصَارِ الْمَفْصَلِ»^(٧) .

٦ - الدعاءُ بين السَّجْدَتَيْنِ ، وَهُوَ : «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَعَافِنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي» ، لما رُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ ذَلِكَ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ»^(٨) .

(١) الجذ : العظمة .

(٢) رواه مسلم موقوفاً على عمر رضي الله عنه . (٥) الترمذي وحسنه .

(٣) النحل .

(٦) البخاري .

(٤) متفق عليه .

٧ - دُعَاءُ الْقُنُوتِ فِي الرُّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ أَوْ فِي رُكْعَةِ الْوُتْرِ، بَعْدَ الْقِرَاءَةِ أَوْ بَعْدَ الرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ^(١).

وَمِمَّا وَرَدَ مِنْ أَلْفَاظِهِ :

«اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِّي وَاصْرِفْ عَنِّي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَبِمَعَاذِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ مِنْكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(٢).

٨ - هَيْئَةُ الْجُلُوسِ الْوَارِدَةُ عَنْهُ ﷺ فِي صِفَةِ صَلَاتِهِ وَهِيَ الْاِفْتِرَاشُ فِي سَائِرِ الْجُلُوسَاتِ^(٣) وَالتَّوَرُّكُ فِي الْجُلُوسَةِ الْآخِرَةِ.

الْاِفْتِرَاشُ :

هُوَ أَنْ يَجْعَلَ بَاطِنَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى وَيَنْصِبَ الْيُمْنَى.

التَّوَرُّكُ :

هُوَ أَنْ يَجْعَلَ بَاطِنَ رِجْلِهِ الْيُسْرَى تَحْتَ فِخْذِ الْيُمْنَى، وَيَجْعَلَ أَلْيَتَهُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَنْصِبَ قَدَمَهُ الْيُمْنَى، وَيَجْعَلَ الْيَدَ الْيُسْرَى فَوْقَ الرُّكْبَةِ الْيُسْرَى مَبْسُوطَةً الْأَصَابِعَ، وَيَقْبِضُ أَصَابِعَ يَدِهِ الْيُمْنَى كُلَّهَا وَيُشِيرُ بِالسَّبَابَةِ يُحَرِّكُهَا عِنْدَ تِلَاوَةِ التَّشْهِيدِ، لَمَّا رَوَى أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا جَلَسَ فِي التَّشْهِيدِ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فِخْذِهِ الْيُمْنَى، وَيَدُهُ

(١) الترمذي والنسائي وغيرهما.

(٢) ثبت القنوت في صلاة الصبح برواية الشيخين، وثبت القنوت في ركعة الوتر برواية الترمذي وعامة أصحاب السنن كأبي داود والنسائي وغيرهما.

(٣) روى الافتراش والتورك البخاري عن أبي حميد وقال: فإذا جلس في الركعتين جلس على رجله اليسرى ونصب اليمنى، وإذا جلس في الركعة الأخيرة قدم رجله اليسرى ونصب الأخرى وقعد على مقعدته، قاله أبو حميد وهو يصف صلاة رسول الله عليه الصلاة والسلام لنفر من أصحابه رضي الله عنهم.

اليسرى، وأشار بالسبابة، ولم يُجاوِزَ بصره إشارته»^(١).

٩ - وَضَعَ اليَدَيْنِ عَلَى الصَّدْرِ، الِئْمَنَى فَوْقَ الْيَسْرَى، لِقَوْلِ سَهْلٍ: كَانَ النَّاسُ يُؤْمَرُونَ أَنْ يَضَعَ الرَّجُلُ يَدَهُ الْيَمْنَى عَلَى ذِرَاعِهِ الْيَسْرَى فِي الصَّلَاةِ، وَلِقَوْلِ جَابِرٍ: «مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِرَجُلٍ وَهُوَ يُصَلِّي وَقَدْ وَضَعَ يَدَهُ الْيَسْرَى عَلَى الْيَمْنَى فَانْتَرَعَهَا وَوَضَعَ الْيَمْنَى عَلَى الْيَسْرَى»^(٢).

١٠ - الدُّعَاءُ فِي السُّجُودِ: لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَلَا إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ رَاكِعاً أَوْ سَاجِداً، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعِظُمُوا فِيهِ رَبِّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمَنْ - حَقِيقٌ - أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»^(٣).

١١ - الدُّعَاءُ فِي الشَّهَادَةِ الْآخِرَةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ»، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ الشَّهَادَةِ الْآخِرَةِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، الْخ»^(٤).

١٢ - التَّيَامُنُ بِالسَّلَامِ.

١٣ - التَّسْلِيمَةُ الثَّانِيَةُ عَلَى يَسَارِهِ، لَمَّا رُويَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُسَلِّمُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ، وَحَتَّى يُرَى بَيَاضُ خَدِّهِ^(٥).

١٤ - الذِّكْرُ وَالدُّعَاءُ بَعْدَ السَّلَامِ لِلْأَحَادِيثِ الْآتِيَةِ:

١ - عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثاً، وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمَنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»^(٦).

٢ - عَنْ مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا ثُمَّ قَالَ: «يَا

(١) مسلم. (٣، ٤، ٥) مسلم.

(٦) مسلم.

(١) مسلم.

(٢) أحمد بإسناد صحيح.

مَعَاذُ إِنِّي لِأَحْبَبَ، أَوْصِيكَ يَا مَعَاذُ لَا تَدْعُنْ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»^(١)

٣ - عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه أن النبي ﷺ كَانَ يَقُولُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٢).

٤ - عن أبي أمامة أن النبي ﷺ، قَالَ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ»^(٣).

٥ - عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قَالَ: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَكَبَّرَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»^(٤).

٦ - عن سعد بن أبي وقاص أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَرُدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»^(٥). وَكَانَ سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَعْلَمُهُنَّ أَوْلَادَهُ.

ج - مَكْرُوهَاتُهَا:

١ - الِاتِّفَاتُ بِالرَّأْسِ أَوْ بِالْبَصَرِ لِقَوْلِهِ ﷺ: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ»^(٦).

٢ - رَفْعُ الْبَصَرِ إِلَى السَّمَاءِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى

(١) أحمد وأبو داود والحاكم وصححه. (٤) مسلم.

(٢) البخاري. (٥) البخاري.

(٣) النسائي والطبراني. (٦) البخاري.

- السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ، لَيَنْتَهِيْنَ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ»^(١).
- ٣ - التَّخْصُّرُ، وَهُوَ وَضْعُ الْيَدِ عَلَى الْخَاصِرَةِ لِقَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُصَلِّيَ مُخْتَصِرًا»^(٢).
- ٤ - أَنْ يَكُفَّ الْمُصَلِّي مَا اسْتَرْسَلَ مِنْ شَعْرِهِ أَوْ كُمِّهِ أَوْ ثَوْبِهِ لِقَوْلِهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْضَاءٍ وَلَا أَكُفُّ شَعْرًا وَلَا ثَوْبًا»^(٣).
- ٦ - تَشْيِيقُ الْأَصَابِعِ أَوْ فَرَقْعُهَا، لَمَّا رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ رَأَى رَجُلًا قَدْ شَبَكَ أَصَابِعَهُ فِي الصَّلَاةِ فَفَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ وَقَالَ: «لَا تُفَرِّقْ أَصَابِعَكَ وَأَنْتَ فِي الصَّلَاةِ»^(٤).
- ٧ - مَسْحُ الْحَصَى أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ مِنْ مَوْضِعِ السُّجُودِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَإِنَّ الرَّحْمَةَ تُوَاكِهُ فَلَا يَمْسَحُ الْحَصَى»^(٥). وَقَوْلِهِ: «إِنْ كُنْتُ فَأَعِلَّا فَمَرَّةً وَاحِدَةً».
- ٨ - الْعَبَثُ، وَكُلُّ مَا يَشْغَلُ عَنِ الصَّلَاةِ وَيُذْهِبُ خُشُوعَهَا، كَالْعَبَثِ بِاللَّحْيَةِ أَوْ الثِّيَابِ، أَوْ النَّظَرِ إِلَى زَخْرَفَةِ الْبُسْطِ أَوْ الْجُدْرَانِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَسْكُنُوا فِي الصَّلَاةِ»^(٦).
- ٩ - الْقِرَاءَةُ فِي الرُّكُوعِ أَوْ السُّجُودِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا»^(٧).
- ١٠ - مَدَافَعَةُ الْأَخْبَثَيْنِ، الْيُولِ أَوْ الْغَائِطِ.
- ١١ - الصَّلَاةُ بِحُضْرَةِ الطَّعَامِ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا صَلَاةَ بِحُضْرَةِ طَعَامٍ وَلَا هُوَ يُدَافِعُ الْأَخْبَثَيْنِ».

(١) مسلم.
 (٢) متفق عليه.
 (٣) مسلم.
 (٤) ابن ماجة بإسناد ضعيف وعامة أهل العلم على العمل به.
 (٥) أبو داود والترمذي بسند صحيح.
 (٦) مسلم.
 (٧) مسلم.

١٢ - ١٣ - الجلوس على العقبين (★) وافتراش الذراعين، لقول عائشة: «كان رسول الله ﷺ ينهى عن عقبة الشيطان - الجلوس على العقبتين - وينهى عن أن يفتريش الرجل ذراعيه افتراش السبع»^(١).

د - مبطلاتها:

يُبطل الصلاة أمور هي:

١ - ترك ركني من أركانها إن لم يتداركه أثناء الصلاة، أو بعدها بقليل لقوله ﷺ للمسيء صلاته وقد ترك الطمأنينة والاعتدال وهما ركنان: «ارجع فصل فإنك لم تصل»^(٢).

٢ - الأكل أو الشرب، لقوله ﷺ: «إن في الصلاة لشغلاً»^(٣).

٣ - الكلام لغير إصلاحها، لقوله تعالى: «وقوموا لله قانتين». وقول الرسول ﷺ: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس»^(٤).

فإن كان الكلام لإصلاحها وذلك كأن يسلم الإمام ثم يسأل عن إتمام صلاته، فإذا قيل له لم تتم أتمها، أو يستفتح الإمام في قراءته فيفتح عليه المأموم، فذلك لا بأس به، إذ تكلم رسول الله ﷺ في صلاته، وتكلم ذو اليمين ولم تبطل صلاتهما، فقد قال ذو اليمين مخاطباً النبي ﷺ: أنسيت أم قصرت الصلاة؟ فقال له رسول ﷺ: «لم أنس ولم تقصر»^(٥).

٤ - الضحك وهو الفقهه لا التبسم، فقد أجمع المسلمون على بطلان صلاة

(*) عقب الشيطان هي الإقعاء، والإقعاء هو أن يلمص إلبته بالأرض وينصب ساقه، ويضع يديه على الأرض، كإقعاء الكلب.

(١) مسلم.

(٢) مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) مسلم.

(٥) متفق عليه.

من صَحِّحِكَ، فَقَهَّقَهَا فِيهَا، حَتَّى أَنْ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ يَرَى بُطْلَانَ وَضُورِهِ أَيْضاً، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ ﷺ قَوْلُهُ: «لَا يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْكَثْرُ وَلَكِنْ يَقْطَعُهَا الْقَهْقَهَةُ»^(١).

٥ - الْعَمَلُ الْكَثِيرُ، لِمَنَافَاتِهِ لِلْعِبَادَةِ، وَانْشَغَالِ الْقَلْبِ وَالْأَعْضَاءِ بِغَيْرِ الصَّلَاةِ، أَمَّا الْعَمَلُ الْيَسِيرُ كِإِصْلَاحِ عِمَامَتِهِ، أَوْ تَقَدُّمِ خُطْوَةٍ إِلَى الصَّفِّ لِسَدِّ فُرْجَةٍ، أَوْ مَدِّ يَدِهِ إِلَى شَيْءٍ، حَرَكَةً وَاحِدَةً، فَلَا تَبْطُلُ الصَّلَاةُ بِهِ لَمَّا صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ رَفَعَ (أَمَامَةً) وَوَضَعَهَا وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ يُؤْمِ النَّاسَ^(٢). وَأَمَامَةٌ هِيَ بِنْتُ زَيْنَبَ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ.

٦ - زِيَادَةُ مِثْلِ الصَّلَاةِ سَهْوًا، كَأَنْ يُصَلِّيَ الظُّهْرَ ثَمَانِيَةً، أَوْ الْمَغْرِبَ سِتًّا، أَوْ الصُّبْحَ أَرْبَعًا، لِأَنَّ سَهْوَهُ الْكَبِيرَ إِلَى حَدٍّ أَنْ يَزِيدَ فِي الصَّلَاةِ مِثْلَهَا، دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ خُشُوعِهِ الَّذِي هُوَ سِرُّ صَلَاتِهِ وَرُوحُهَا، وَإِذَا فَقَدَتْ الصَّلَاةُ رُوحَهَا بَطَلَتْ.

٧ - ذِكْرُ صَلَاةٍ قَبْلَهَا كَانَ يَدْخُلُ فِي الْعَصْرِ، وَيَذْكُرُ أَنَّهُ مَا صَلَّى الظُّهْرَ، فَإِنَّ الْعَصْرَ تَبْطُلُ حَتَّى يُصَلِّيَ الظُّهْرَ، إِذْ التَّرْتِيبُ بَيْنَ الصَّلَوَاتِ الْخُمْسِ فَرَضٌ لَوُرُودِهَا عَنِ الشَّارِعِ مُرْتَبَةً فَرَضًا بَعْدَ فَرَضٍ، فَلَا تُصَلَّى صَلَاةٌ قَبْلَ الَّتِي قَبْلَهَا مُبَاشَرَةً.

٥ - مَا يُبَاحُ فِيهَا:

يُبَاحُ لِلْمُصَلِّيِ فِعْلُ أُمُورٍ، مِنْهَا:

١ - الْعَمَلُ الْيَسِيرُ كِإِصْلَاحِ رِدَائِهِ لثُبُوتِ مِثْلِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّحِيحِ.

٢ - التَّنَحُّنُ عِنْدَ الْاضْطِرَارِ إِلَيْهِ.

٣ - إِصْلَاحُ مَنْ فِي الصَّفِّ بِجَذْبِهِ إِلَى الْأَمَامِ أَوْ إِلَى الْوَرَاءِ، أَوْ إِدَارَةُ الْمُؤْتَمَرِ مِنَ الْيَسَارِ إِلَى الْأَمَامِ كَمَا أَدَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنَ عَبَّاسٍ مِنْ يَسَارِهِ إِلَى يَمِينِهِ لَمَّا وَقَفَ بِاللَّيْلِ يُصَلِّيُ إِلَى جَنْبِهِ^(٣).

٤ - التَّثَاؤُبُ وَوَضْعُ الْيَدِ عَلَى الْفَمِ.

(١) الطبراني في الصغير بسند لا بأس به.

(٣) البخاري.

(٢) البخاري.

٥ - الاستفتاحُ على الإمام ، والتسبيحُ لَهُ إِنْ سَهَا ، لقوله ﷺ : «مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ فليقل: سُبْحَانَ اللَّهِ» (١) .

٦ - دَفَعَ المَارَيْنَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، لقوله ﷺ : «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ ، فَإِذَا أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلْيَدْفَعْهُ ، فَإِنْ أَبَى ، فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ» (٢) .

٧ - قَتَلَ الحَيَّةَ والعقربَ إِنْ قَصَدْتُهُ وتَعَرَّضْتَ لَهُ وَهُوَ فِي صَلَاتِهِ ، لقوله ﷺ : «أَقْتُلُوا الْأَسْوَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ ، الحَيَّةَ والعقربَ» (٣) .

٨ - حَكَّ جَسَدِهِ بِيَدِهِ ، إِذْ هُوَ مِنَ الْعَمَلِ الْيَسِيرِ الْمُغْتَفَرِ .

٩ - الإِشَارَةُ بِالْكَفِّ لِمَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ ، «لِفَعْلِهِ ﷺ ذَلِكَ» (٤) .

المادةُ الخامسةُ : فِي سُجُودِ السَّهْوِ :

مَنْ سَهَا فِي صَلَاتِهِ فَرَادَ رَكْعَةً أَوْ سَجْدَةً أَوْ نَحْوَهُمَا ، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْجُدَ جَبْرًا لصلَاتِهِ - سَجْدَتَيْنِ بَعْدَ تَمَامِ صَلَاتِهِ ثُمَّ يُسَلِّمُ ، وَكَذَلِكَ مَنْ تَرَكَ سَنَةً مُؤَكَّدَةً مِنْ سُنَنِ الصَّلَاةِ سَهْوًا فَإِنَّهُ يَسْجُدُ لَهَا قَبْلَ سَلَامِهِ ، وَكَذَلِكَ كَانَ يَتْرُكُ التَّشَهُّدَ الْوَسْطَ وَلَمْ يَذْكُرْهُ بِالْمَرَّةِ أَوْ ذَكَرْهُ بَعْدَ أَنْ اسْتَمَّ قَائِمًا فَإِنَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْجُدَ قَبْلَ السَّلَامِ ، وَكَذَا مَنْ سَلَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ قَبْلَ أَنْ يُتِمَّهَا فَإِنَّهُ يَعُودُ إِنْ قَرَّبَ الزَّمَنُ فَيُتِمُّ صَلَاتَهُ ، وَيَسْجُدُ بَعْدَ السَّلَامِ .

والأَصْلُ فِي هَذَا قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ وَفَعَلَهُ : «فَقَدْ سَلَّمَ ﷺ مِنْ اثْنَيْنِ فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ ، فَعَادَ فَاتَمَّ الصَّلَاةَ وَسَجَدَ بَعْدَ السَّلَامِ» (٥) .

كَمَا قَامَ مَرَّةً مِنَ الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ وَلَمْ يَتَشَهَّدْ فَسَجَدَ قَبْلَ السَّلَامِ وَقَالَ : «إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ فَلَمْ يَذَرِ كَمْ صَلَّى أَثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا؟ فَلْيَطْرَحِ الشَّكَّ وَلْيَتَيْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ ، ثُمَّ يَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلَّمَ ، فَإِنْ كَانَ صَلَّى خَمْسًا شَفَعْنَ لَهُ صَلَاتَهُ ، وَإِنْ كَانَ صَلَّى إِتِمَامًا لِأَرْبَعٍ كَانَتَا تَرْغِيمًا لِلشَّيْطَانِ» (٦) .

(١) متفق عليه .

(٣) الترمذي .

(٢) متفق عليه .

(٦) رواه مسلم .

(٤) الترمذي .

وَأَمَّا مَنْ سَهَا خَلَفَ الْإِمَامَ فَلَا سَجُودَ عَلَيْهِ - عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْعِلْمِ - إِلَّا أَنْ يَسْهُوَ
إِمَامُهُ فَيَسْجُدُ مَعَهُ لَوْجُوبِ مُتَابَعَةِ الْإِمَامِ ، وَلارتباط صَلَاتِهِ بِصَلَاةِ إِمَامِهِ وَقَدْ سَجَدَ
أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ النَّبِيِّ لَمَّا سَهَا وَسَجَدَ^(١) .

المادة السادسة: في كيفية الصلاة:

كيفية الصلاة هي:

أَنْ يَقِفَ الْمُسْلِمُ بَعْدَ دُخُولِ وَقْتِهَا مُتَطَهِّرًا ، مُسْتَوِرَ الْعُورَةِ ، مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ ،
فَيُقِيمُ لَهَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ لَفْظِ الْإِقَامَةِ ، رَفَعَ يَدَيْهِ مُحَاضِيًا بِهِمَا مِنْكَبَيْهِ نَاقِبًا الصَّلَاةِ الَّتِي
أَرَادَ أَنْ يَصَلِّيَهَا قَائِلًا : اللَّهُ أَكْبَرُ ، وَيَضَعُ يَدَهُ الْيَمِينَ عَلَى الْيَسَارِ فَوْقَ صَدْرِهِ ، ثُمَّ يَسْتَفْتِحُ
وَيَقُولُ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ سِرًّا ، فَيَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ : وَلَا الضَّالِّينَ قَالَ :
آمِينَ ، ثُمَّ يقرأ سورة ، أَوْ مَا تيسَّرَ لَهُ مِنَ آيَاتِ الْقُرْآنِ ، ثُمَّ يرفع يديه حذو منكبيه ويركع
قائلًا : اللَّهُ أَكْبَرُ ، فَيُمْكِنُ كَفِيهِ مِنْ رُكْبَتَيْهِ وَيَمُدُّ صَلْبَهُ - ظَهْرَهُ - وَلَا يرفع رَأْسَهُ وَلَا يَنْكُسُهُ
بَلْ يُمَدُّ فِي سَمْتِ ظَهْرِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ وَهُوَ رَاكِعٌ : سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ ثَلَاثًا أَوْ أَكْثَرَ ثُمَّ
يُرفع مِنَ الرُّكُوعِ رافعًا يديه حذو منكبيه قائلًا : سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ، حَتَّى إِذَا اسْتَوَى
قَائِمًا فِي اعْتِدَالٍ قَالَ : رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ ، ثُمَّ يَهْوِي إِلَى
السُّجُودِ قَائِلًا : اللَّهُ أَكْبَرُ ، فَيَسْجُدُ عَلَى أَعْضَائِهِ السَّبْعَةِ وَهِيَ : الْوَجْهُ وَالْكَفَانِ وَالرُّكْبَتَانِ
وَالْقَدَمَانِ ، مُمَكِّنًا جَبْهَتَهُ وَأَنْفَهُ مِنَ الْأَرْضِ قَائِلًا : سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى ثَلَاثًا أَوْ أَكْثَرَ ،
وإن دَعَا بِخَيْرٍ فَحَسَنٌ ، ثُمَّ يرفع مِنَ السُّجُودِ قَائِلًا . اللَّهُ أَكْبَرُ فَيَجْلِسُ مَفْتَرِشًا رِجْلَهُ
الْيُسْرَى جَالِسًا عَلَيْهَا ، نَاصِبًا الْيُمْنَى وَيَقُولُ : رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي ، وَاهْدِنِي
وَارْزُقْنِي ، ثُمَّ يَسْجُدُ كَمَا سَبَقَ ، ثُمَّ يَنْهَضُ لِلرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ ، فَيَفْعَلُ فِيهَا مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي
الْأُولَى ، ثُمَّ يَجْلِسُ لِلتَّشْهُدِ ، فَإِنْ كَانَتْ ثُنَائِيَّةً كَصَلَاةِ الصُّبْحِ فَإِنَّهُ يَتَشَهَّدُ وَيُصَلِّي عَلَى

(١) روى هذا الترمذي في حديث قيامه صلى الله عليه وسلم من الثانية بدون جلوس ، فقال : «فلما فرغ من
صلاته سجد سجدتين ثم سلم ، وسجدهما الناس معه ، مكان ما نسي من الجلوس» . وإن كانت الرواية
معلولة ، فإن العمل عليها من كافة أهل العلم ، وكذا لقوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح : «لا
تختلفوا على إمامكم» .

النبي ﷺ، ويسلمُ قائلاً: السلامُ عليكم ورحمةُ الله مُلتفتاً إلى اليمين، ثم يسلمُ ملتفتاً إلى اليسار كذلك.

وإن كانت غير ثنائية، فإنه إذا قرأ التشهد ينهضُ مكبراً رافعاً يديه حذو منكبيه فيتمُ صلاته على النحو الذي تقدّم، إلا أنه يقتصرُ في القراءة على الفاتحة فقط، فإذا فرغ جلس متوركاً بإفضائه بوركته إلى الأرض ونصب قدمه اليمنى وبطون أصابعها إلى الأرض، ثم يشهد ويصلي على النبي ﷺ، ويستعيد بالله من عذاب جهنم، وعذاب النار، وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال، ويسلمُ جهرًا قائلاً: السلامُ عليكم ورحمةُ الله مُلتفتاً إلى اليمين، ثم يسلمُ تسلمةً ثانيةً ملتفتاً بها إلى اليسار، وإن لم يكن به أحد.

المادة السابعة: في حكم صلاة الجماعة، والامامة، والمشبوق:

أ - صلاة الجماعة

١ - حكمها:

صلاة الجماعة سنة واجبة في حق كل مؤمن لم يمنعه عذر من حضورها، وذلك لقوله ﷺ: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم صلاة الجماعة إلا استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»^(١) وقوله ﷺ: والذي نفسي بيده، لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب، ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم أمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم»^(٢). وقوله للرجل الأعمى الذي قال له: يا رسول الله إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد، فرخص له، فلما ولى دعاه، فقال: هل تسمع النداء بالصلاة؟ فقال: نعم، قال: فأجب»^(٣).

وقول ابن مسعود رضي الله عنه: «ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها - صلاة

(١) أحمد وأبو داود، والنسائي والحاكم وهو صحيح.

(٢) مسلم.

(٣) متفق عليه.

الجماعة - إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادي بين اثنين حتى يقام في الصف^(١).

٢ - فضلها:

فضل صلاة الجماعة كبير، وأجرها عظيم فقد قال عليه الصلاة والسلام: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة، وقال صلاة الجمع - الجماعة - تزيد على صلاته في بيته، وصلاته في سوقه خمسا وعشرين درجة، فإن أحدكم إذا توضأ فأحسن الوضوء، وأتى المسجد لا يريد إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعه الله بها درجة، أو خط عنه خطيئة حتى يدخل المسجد، وإذا دخل المسجد كان في صلاة ما كانت الصلاة تحبسه، وتضلي عليه الملائكة ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه ما لم يحدث»^(٢).

٣ - أقلها:

أقل صلاة الجماعة اثنان: الإمام وآخر معه، وكلما كثر العدد كان أحب إلى الله تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام: «صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل، وما كان أكثر فهو أحب إلى الله تعالى»^(٣).

وكونها في المسجد أفضل، والمسجد البعيد أفضل من القريب، لقول الرسول ﷺ: «إن أعظم الناس أجراً أبعدهم إليها ممشى».

٤ - شهود النساء لها:

وللنساء أن يشهدن صلاة الجماعة في المساجد إن أمنت الفتنة ولم يخش أذى

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان وصححه ابن السكن والحاكم ومعنى أزكى: أكثر أجراً.

لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»^(١) غير أن صلاة المرأة في بيتها أفضل لها، لقوله ﷺ: «وَلْيَخْرُجْنَ تَقْلَاتٍ»^(٢) أي غير متطيّبات، وقوله: «أَيُّمَا امرأةٍ أصابتُ بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة»^(٣).

٥ - الخروج والمشي إليها:

يستحب لمن خرج من بيته إلى المسجد أن يقدم رجله اليمنى ويقول: بِسْمِ اللَّهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلِمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَبِحَقِّ مُمْسَايَ هَذَا، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ إِشْرَاءً وَلَا بَطَرًا، وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً، خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَمَنْ فَوْقِي نُورًا، اللَّهُمَّ أَعْظِمْ فِيَّ نُورًا»^(٤).

ثم يمشي بسكينة ووقارٍ لقوله ﷺ: «إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا»^(٥) فإذا وصل إلى المسجد قدم رجله اليمنى، وقال: «بِسْمِ اللَّهِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَبِوَسْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلِّمْ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»^(٦).

ولا يجلس حتى يُصَلِّي تحية المسجد لقوله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ

(١) أحمد وأبو داود، (صحيحان).

(٢) أحمد وأبو داود (صحيحان).

(٣) مسلم.

(٤) روى أول اللفظ إلى - أو يجهل علي - الترمذي وصححه عن أم سلمة، والباقي رواه البخاري ومسلم مع اختلاف في اللفظ.

(٥) روى بعضه مسلم أيضاً.

(٦) رواه أحمد وابن ماجه.

فلا يجلس حتى يصلي ركعتين^(١). إلا أن يكون في وقت طلوع الشمس أو غروبها، فإنه يجلس ولا يصلي، لنهيهِ عليه الصلاة والسلام عن الصلاة في هذين الوقتين.

وإذا أَرَادَ الخروج من المسجد قَدَّمَ رجله اليسرى، وقال ما يَقُولُهُ عند دخوله، إلا أنه يَقُولُ عوضاً عن وافتح لي أبواب رحمتك - وافتح لي أبواب فضلك.

ب - الإمامة.

شروط الإمام :

يَشْتَرُطُ في الإمام أن يكون ذَكَراً عَدَلاً فقيهاً، فلا تصحُ إمامة المرأة للرجال، ولا تصحُ إمامة الفاسق المعروف الفسقي إلا أن يكون سلطاناً يُخَافُ منه، ولا إمامة الأبي الجاهل إلا لمثله، لقوله ﷺ: لا تؤمن امرأة ولا فاجر مؤمناً، إلا أن يقهره سلطان، أو يخاف سوطه أو سيفه. رواه ابن ماجة وهو ضعيف، غير أن الجمهور على العمل بمقتضاه، وما ورد من إمامة المرأة فهو مقيد بأهل بيتها من نساء وأولاد، كما أن ما ورد من إمامة الفاسق مقيد بالأحوال الاضطرارية.

٢ - الأولى بالإمامة :

أولى الجماعة بالإمامة أقرؤهم لكتاب الله تعالى، ثم أفقههم في دين الله، ثم الأكثر تقوى، ثم الأكبر سناً لقوله ﷺ: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء، فأكبرهم^(٢) سناً»،^(٣) ما لم يكن الرجل سلطاناً أو صاحب المنزل فيكون أولى من غيره بالإمامة، لقوله ﷺ: «لا يؤمن الرجل الرجل في أهله ولا سلطانه إلا بإذنه». روى هذه الجملة مع الحديث السابق سعيد بن منصور رحمه الله تعالى.

(١) مسلم.

(٢) وفي لفظ فأقدمهم سلماً، أي دخولاً في الإسلام.

(٣) مسلم.

٣ - إمامة الصبي :

تصح إمامة الصبي في النافلة دون الفريضة، إذ المفترض لا يصلي وراء المتنفل والصبي صلاته نافلة، فلا تصح إمامته في الفرض، لقوله ﷺ: (لا تختلفوا على إمامكم)^(١). ومن الاختلاف أن يصلي مفترض وراء متنفل. وخالف الجمهور في هذه المسألة الإمام الشافعي رحمه الله، فقال بجواز إمامة الصبي في الفروض مستشهداً برواية عمرو بن سلمة والتي جاء فيها أن النبي ﷺ قال لقومه: يؤمكم أقرؤكم، قال: فكنتم أؤمهم وأنا ابن سبع سنين^(٢). غير أن الجمهور ضعموا الرواية، وقالوا: على فرض صحتها فإنه من المحتمل أن يكون النبي ﷺ لم يبلغ على إمامة عمرو لهم، إذ كانوا في صحراء بعيدين عن المدينة.

٤ - إمامة المرأة :

تصح إمامة المرأة للنساء، وتقف وسطهن، إذ أذن الرسول ﷺ لأُم ورقة بنت نوفل في اتخاذ مؤذن لها في بيتها لتصلي بأهل بيتها^(٣).

٥ - إمامة الأعمى :

تصح إمامة الأعمى، إذ قد استخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم على المدينة مرتين، فكان يصلي بهم وهو رجل أعمى، رضي الله عنه^(٤).

٦ - إمامة المفضول :

تصح إمامة المفضول مع وجود من هو أفضل منه، إذ صلى رسول الله ﷺ وراء أبي بكر ووراء عبد الرحمن بن عوف، وهو أفضل منهما ومن سائر الخلق^(٥).

٧ - إمامة المتيمم :

تصح إمامة المتيمم بالمتوضي، إذ صلى عمرو بن العاص بسرية وهو متيمم، ومن معه متوضئون، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلم ينكره^(٦).

(١) تقدم.

(٢) أبو داود وهو صحيح.

(٣) البخاري.

(٤) أبو داود وهو صحيح.

(٥) أبو داود وهو صحيح.

٨ - إمامة المسافرين :

تصح إمامة المسافرين، غير أنه على المقيم إذا صلى وراء المسافرين أن يتم صلاته بعد الإمام، إذ صلى رسول الله ﷺ بأهل مكة وهو مسافر، وقال لهم: «يا أهل مكة أتموا صلاتكم فإننا قوم سفر»^(١).

وإن صلى مسافر وراء مقيم أتم معه، إذ سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الإتمام وراء المقيم؟ فقال: «سنة أبي القاسم»^(٢).

٩ - وقوف المأموم مع الإمام :

إذا أم الرجل آخر وقف على جنبه الأيمن، وكذا المرأة إذا أمت أخرى وقفت على جنبها، ومن أم اثنين فأكثر وقفوا وراءه، وإن اجتمع رجال ونساء وقف الرجال خلف الإمام ووقف النساء وراءهم، وإن كان رجل وامرأة وقف الرجل ولو صبيًا مميّزًا إلى جنب الإمام، ووقفت المرأة خلفهما، وذلك لقوله ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها»^(٣).

ولفعله ﷺ: «فقد وقف مرة في غزوة يصلي فجاء جابر فوقف عن يساره فأداره حتى أقامه عن يمينه، ثم جاء جبار بن صخر فقام عن يساره، فأخذهما ﷺ بيديه جميعاً فأقامهما خلفه»^(٤). ولقول أنس رضي الله عنه: (إن النبي صلى به وبأبيه، فأقامني عن يمينه، وأقام المرأة خلفنا)^(٥). وقوله أيضاً: (صفت أنا واليتيم وراء رسول الله ﷺ والعجوز من ورائنا)^(٦).

١٠ - سترة الإمام سترة لمن خلفه :

إذا صلى الإمام إلى سترة لم يحتج المأموم إلى سترة أخرى، إذ كانت تركز الحربة للنبي ﷺ فيصلي إليها ولا يأمر أحداً من خلفه بوضع سترة أخرى^(٧).

١ - وجوب متابعة الإمام :

يجب على المأموم أن يتابع إمامه، ويحرم عليه أن يسبقه، ويكره له أن يساويه

(١) مالك. (٣، ٤، ٥) مسلم.

(٧) متفق عليه.

(٦) البخاري.

(٢) أحمد وأصله في مسلم.

فإن سبقه في تكبيرة الإحرام وجب عليه أن يعيدها، وإلا بطلت صلاته، وكذا تبطل صلاته إن سلم قبله، وإن سبقه في الركوع أو السجود أو في الرفع منهما، وجب عليه أن يرجع ليركع أو يسجد بعد إمامه، وذلك لقوله ﷺ: «إنما يجعل الإمام ليؤتم به فلا تختلِفُوا عليه، فإذا كَبَّرَ فكَبِّروا، وإذا رَكَعَ فاركَعُوا، وإذا قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَن حَمِدَهُ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، وإذا سَجَدَ فاسْجُدُوا، وإذا صَلَّى قاعداً فصلُّوا قُعُوداً أَجْمَعُونَ»^(١). وقوله: «أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يحوّل رأسه رأس حمارٍ، أو يحوّل الله صورته صورة حمارٍ»^(٢).

١٢ - استخلاف الإمام المأموم لعذر:

إن ذكر الإمام أثناء صلاته أنه محدث، أو طرأ له الحدث، أو زحف، أو نأبى شيء لم يستطع الاستمرار معه في الصلاة، له أن يستخلف ممن وراءه من المأمومين من يتم بهم صلاتهم وينصرف، فقد استخلف عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف عندما طعن وهو في الصلاة^(٣)، واستخلف علي رضي الله عنه من رعايف أصابته^(٤).

١٣ - تخفيف الإمام الصلاة:

يستحب للإمام أن يطيل في الصلاة إلا قراءة الركعة الأولى إذا كان يرجو أن يدركها من تخلف من الجماعة فإنه ﷺ كان يطيلها، وذلك لقوله ﷺ: «إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فإن فيهم الضعيف والسيِّم والكبير، فإذا صلى لنفسه فليطوّل ما شاء»^(٥).

١٤ - كراهية إمامة من تكرهه الجماعة:

يكره للرجل أن يؤم أناساً هم له كارهون، إذا كانت كراهتهم له بسبب ديني لقوله عليه الصلاة والسلام: «ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبراً، رجل أم قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخوان متصارمان»^(٦).

(٥) متفق عليه.

(٣) البخاري.

(١) البخاري.

(٦) ابن ماجه بإسناد حسن.

(٤) رواه سعيد بن منصور.

(٢) متفق عليه.

١٥ - مَنْ يَلِي الْإِمَامَ، وَأَنْجَرَأُ الْإِمَامَ بَعْدَ السَّلَامِ :

يُسْتَحَبُّ أَنْ يَلِي الْإِمَامَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ لِقَوْلِهِ ﷺ : «لِيَلْنِي مِنْكُمْ أَوَّلُ الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى»^(١). كَمَا يُسْتَحَبُّ لِلْإِمَامِ إِذَا سَلَّمَ أَنْ يُنْخَرِفَ عَنْ مَصَلَّاهُ يَمِينًا، وَيَسْتَقْبِلَ النَّاسَ بِوَجْهِهِ، لِفِعْلِ الرَّسُولِ ﷺ ذَلِكَ». رَوَى هَذَا أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ عَنْ قَبِيصَةَ بِنِ هَلَبٍ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَنَا فَيَنْصَرِفُ عَلَى جَانِبَيْهِ جَمِيعًا، عَلَى يَمِينِهِ وَعَلَى شِمَالِهِ».

١٦ - تَسْوِيَةُ الصُّفُوفِ :

يُسَنُّ لِلْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِينَ تَسْوِيَةُ الصُّفُوفِ وَتَقْوِيمُهَا حَتَّى تَسْتَقِيمَ، إِذْ كَانَ الرَّسُولُ يُقْبَلُ عَلَى النَّاسِ وَيَقُولُ: «تَرَاصُّوْا وَعَدِّلُوْا». وَيَقُولُ: «سَوُّوْا صُفُوفَكُمْ، فَإِنْ تَسْوِيَةُ الصُّفُوفِ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ»^(٢). وَقَالَ: «لَتَسَوُّوْنَ صُفُوفَكُمْ وَلِيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وَجُوهِكُمْ»^(٣). وَقَالَ: «مَا مِنْ خُطْوَةٍ أَعْظَمَ أَجْرًا مِنْ خُطْوَةٍ مَشَاهَا رَجُلٌ إِلَى فُرْجَةٍ فِي الصَّفِّ فَسَدَّهَا»^(٤).

ج - الْمَسْبُوقُ

١ - دَخُولُهُ مَعَ الْإِمَامِ عَلَى أَيِّ حَالٍ :

إِذَا دَخَلَ الْمَصْلِيُّ الْمَسْجِدَ وَوَجَدَ الصَّلَاةَ قَائِمَةً وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ فَوْرًا مَعَ الْإِمَامِ عَلَى أَيِّ حَالٍ وَجَدَهُ، رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، أَوْ جَالِسًا، أَوْ قَائِمًا، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الصَّلَاةَ وَالْإِمَامُ عَلَى حَالٍ فَلْيَصْنَعْ كَمَا يَصْنَعُ الْإِمَامُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَفِي سَنَدِهِ ضَعْفٌ، غَيْرَ أَنَّ الْعَمَلَ عَلَيْهِ عِنْدَ جَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ لَمَّا عَضَدَهُ مِنْ رَوَايَاتٍ أُخْرَى.

٢ - ثُبُوتُ الرُّكْعَةِ بِإِذْرَاكِ الرُّكُوعِ :

تُثْبِتُ الرُّكْعَةُ لِلْمَأْمُومِ إِذَا أَذْرَكَ الْإِمَامَ رَاكِعًا فَرَكَعَ مَعَهُ قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ الْإِمَامُ مِنْ

(١) مسلم .

(٢) الترمذي وحسنه .

(٣) البزار وهو حسن .

(٤) متفق عليهما .

رُكُوعِهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا جِئْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ وَنَحْنُ سُجُودٌ فَاسْجُدُوا وَلَا تَعُدُّوْهَا شَيْئًا، وَمَنْ أَدْرَكَ الرُّكُوعَ فَقَدْ أَدْرَكَ الرُّكْعَةَ»^(١).

٣ - قَضَاءُ مَا فَاتَ بَعْدَ سَلَامِ الْإِمَامِ:

إِذَا سَلَّمَ الْإِمَامُ يَقُومُ الْمَأْمُومُ لِقَضَاءِ مَا فَاتَهُ مِنْ صَلَاتِهِ، وَإِنْ شَاءَ جَعَلَ مَا فَاتَهُ هُوَ آخِرَ صَلَاتِهِ لِقَوْلِهِ ﷺ: «فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأْتُمُوا»^(٢). فَلَوْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ الْمَغْرِبِ مَثَلًا، قَامَ فَاتَى بَاثْنَتَيْنِ الْأُولَى بِالْفَاتِحَةِ وَالسُّورَةِ وَالثَّانِيَةَ بِالْفَاتِحَةِ فَقَطْ ثُمَّ تَشَهَّدَ، وَإِنْ شَاءَ جَعَلَ مَا فَاتَهُ أَوَّلَ صَلَاتِهِ لِقَوْلِ الرَّسُولِ فِي رَوَايَةٍ أُخْرَى: «وَمَا فَاتَكُمْ فَأَقْضُوا»^(٣). وَعَلَيْهِ فَإِنْ فَاتَتْهُ رَكْعَةٌ مِنَ الْمَغْرِبِ قَامَ فَاتَى بِرَكْعَةٍ بِالْفَاتِحَةِ وَالسُّورَةِ جَهْرًا، كَمَا فَاتَتْهُ ثُمَّ تَشَهَّدَ وَسَلَّم.

وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنَّ كَوْنَ مَا يُدْرِكُهُ يَجْعَلُهُ أَوَّلَ صَلَاتِهِ أَرْجَحُ.

٤ - قِرَاءَةُ الْمَأْمُومِ خَلْفَ الْإِمَامِ:

لَا تَجِبُ عَلَى الْمَأْمُومِ الْقِرَاءَةُ إِذَا كَانَ فِي صَلَاةٍ جَهْرِيَّةٍ بَلْ يُسْنُّ لَهُ الْإِنْصَاتُ وَقِرَاءَةُ الْإِمَامِ مُجْزِيَةٌ لَهُ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ فَقِرَاءَةُ الْإِمَامِ لَهُ قِرَاءَةٌ»^(٤)، وَقَوْلِهِ: «مَا لِي أَنْزَعُ الْقُرْآنَ؟». فَانْتَهَى النَّاسُ أَنْ يَقْرَأُوا فِيمَا يَجْهَرُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ^(٥) وَقَوْلِهِ: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا قَرَأَ فَأَنْصِتُوا»^(٦). غَيْرَ أَنَّهُ يُسْنُّ لَهُ أَنْ يَقْرَأَ فِيمَا لَا يَجْهَرُ الْإِمَامُ فِيهِ، كَمَا يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يَقْرَأَ الْفَاتِحَةَ فِي سَكَنَاتِ الْإِمَامِ.

٥ - لَا يَجُوزُ الدُّخُولُ فِي النَّافِلَةِ إِذَا أُقِيمَتِ الْفَرِيضَةُ:

لَا يَجُوزُ أَنْ يَدْخُلَ فِي النَّافِلَةِ إِذَا أُقِيمَتِ الْفَرِيضَةُ، وَإِنْ أُقِيمَتِ وَهُوَ فِيهَا قَطَعَهَا

(٤) أحمد وابن ماجه وصححه وبعضهم.

(١) أبو داود.

(٥) الترمذي وحسنه.

(٢) مسلم.

(٦) مسلم.

(٣) البخاري.

إِنْ لَمْ تَتَعَقَّدِ الرُّكْعَةَ بِالرَّفْعِ مِنَ الرُّكُوعِ ، وَإِلَّا أَتَمَّهَا خَفِيفَةً ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ : « إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ » (١) .

٦ - مَنْ أُقِيمَتِ عَلَيْهِ صَلَاةُ الْعَصْرِ وَهُوَ لَمْ يَصِلْ الظُّهْرَ :
اِخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي حُكْمِ مَنْ لَمْ يَصِلْ الظُّهْرَ وَقَدْ أُقِيمَتِ صَلَاةُ الْعَصْرِ ،
فَهَلْ يَدْخُلُ مَعَ الْإِمَامِ بِنِيَّةِ الظُّهْرِ ، وَإِذَا سَلَّمَ قَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ أَوْ يَدْخُلُ بِنِيَّةِ الْعَصْرِ ،
فَإِذَا فَرَغَ قَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ مَعًا مَحَافِظَةً عَلَى التَّرْتِيبِ . وَلَوْلَا قَوْلُهُ ﷺ : « فَلَا
تَخْتَلِفُوا عَلَى الْإِمَامِ » لَكَانَ دَخُولُهُ بِنِيَّةِ الظُّهْرِ أَوَّلَى ، فَالْأَحْوَجُ إِذَا أَنْ يَدْخُلَ بِنِيَّةِ الْعَصْرِ
فَإِذَا فَرَغَ قَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ ، وَصَلَاتُهُ مَعَ الْإِمَامِ تَكُونُ لَهُ نَافِلَةً .

٧ - لَا يُصَلِّي خَلْفَ الصَّفِّ وَحْدَهُ :
لَا يَجُوزُ لِلْمَأْمُومِ أَنْ يَقِفَ خَلْفَ الصَّفِّ وَحْدَهُ ، فَإِنْ وَقَفَ مُخْتَارًا فَلَا صَلَاةَ لَهُ
لِقَوْلِهِ ﷺ لِرَجُلٍ صَلَّى خَلْفَ الصَّفِّ وَحْدَهُ : « اسْتَقْبِلْ صَلَاتَكَ ، فَلَا صَلَاةَ لِمَنْفَرِدٍ
خَلْفَ الصَّفِّ » (٢) .

وإِنْ وَقَفَ عَلَى يَمِينِ الْإِمَامِ فَلَا بَأْسَ .

٨ - الصَّفُّ الْأَوَّلُ أَفْضَلُ :

يَسْتَحَبُّ الاجْتِهَادُ فِي الصَّلَاةِ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ ، وَعَنْ يَمِينِ الْإِمَامِ لِقَوْلِهِ ﷺ :
« إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَعَلَى الثَّانِي ؟ وَفِي
الثَّالِثَةِ ، قَالَ : وَعَلَى الثَّانِي » (٣) . وَلِقَوْلِهِ : « خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا ،
وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا ، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا » (٤) .

وَقَوْلِهِ : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الَّذِينَ عَلَى مِائِمِ الصُّفُوفِ » (٥) وَقَوْلِهِ :
« تَقَدَّمُوا فَأَتَمُّوا بِي ، وَلِيَأْتُمْ بِكُمْ مَنْ وَرَاءَكُمْ ، وَلَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخَّرَهُمُ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ » (٦) .

(١) مسلم .

(٢) ابن ماجه وأحمد بإسناد حسن .

(٣) أحمد والطبراني بسند جيد .

(٤) مسلم .

(٥) أبو داود .

(٦) مسلم .

المادة الثامنة:

في الأذان والإقامة:

أ - الأذان:

١ - تعريفه:

الأذان: الإعلامُ بدخولِ وقتِ الصَّلَاةِ بِالْفَاطِ حَاصَّةٍ.

٢ - حكمه:

الأذان واجبٌ كفائيٌّ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينِ وَالْقَرْيِ، لقوله ﷺ: «إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤْذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيُؤْمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»^(١).

ويسنُّ للمسافرِ والبَّادي، لقوله ﷺ: «إِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ فَأُذِّنْتَ بِالصَّلَاةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالْبَدَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ حِنْ وَلَا إِنْسٍ، وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

٣ - صيغته:

صيغةُ الأذانِ، كَمَا عَلَّمَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي مَحْذُورَةَ هِيَ:

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ.

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

(ثُمَّ يَعُودُ فَيَقُولُ الشَّهَادَتَيْنِ مَرَّتَيْنِ بِصَوْتٍ عَالٍ وَهُوَ التَّرْجِيعُ.

حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ.

حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ.

(وَإِنْ كَانَ فِي أَذَانِ الْفَجْرِ قَالَ: الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ، الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ).

اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

(٢) البخاري.

(١) متفق عليه.

قَالَ أَبُو مَحْذُورَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَنِي الْأَذَانَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. ثُمَّ يَعُودُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (مرتين)، أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ (مرتين) حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ (مرتين)، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ (مرتين)، فَإِنْ كَانَتْ صَلَاةُ الصُّبْحِ قُلْتُ: الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ، الصَّلَاةُ خَيْرٌ مِنَ النَّوْمِ^(١) اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٢).

٤ - مَا يَتَّبِعِي أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْمُؤَذِّنُ:

يَحْسُنُ بِالْمُؤَذِّنِ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا، صَيِّتًا، عَالِمًا بِأَوْقَاتِ الصَّلَاةِ، وَأَنْ يُؤَذِّنَ عَلَى مَكَانٍ عَالٍ كَالْمَنَارَةِ وَنَحْوِهَا، وَأَنْ يُدْخَلَ إصْبَعِيهِ فِي أُذُنِيهِ، وَيَلْتَفِتَ يَمِينًا وَشِمَالًا بِكَلِمَتِي حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، وَأَنْ لَا يَأْخُذَ عَنْ أَذَانِهِ أَجْرَةً إِلَّا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ (خَزِينَةُ الدَّوْلَةِ) أَوْ الْأَوْقَافِ».

ب - الإِقَامَةُ

١ - حَكْمُهَا:

الإِقَامَةُ سُنَّةٌ وَاجِبَةٌ لِكُلِّ صَلَاةٍ فَرَضٍ مِنَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، سَوَاءً كَانَتْ صَلَاةً حَاضِرَةً أَوْ فَائِتَةً، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَائِمٌ ثَلَاثَةٌ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذُّبُّ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَّةُ»^(٣).

ولِقَوْلِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أُمِرَ بِلَالٌ أَنْ يُشَفِّعَ الْأَذَانَ، وَيُؤَيِّرَ الْإِقَامَةَ^(٤).

(١) لفظ الصلاة خير من النوم يقال له التثويب، وأن المؤذن يدعو إلى الصلاة بقوله: حي على الصلاة ثم يثوب، أي يعود، فيدعو إليها بلفظ: «الصلاة خير من النوم». قال بلال رضي الله عنه: «أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أثوب في الفجر». أحمد وغيره.

(٢) الترمذي وحسنه صحيحه.

(٣) تقدم.

(٤) مسلم.

٢ - صَيِّغَتُهَا:

وصيغتها، كما جاءت في حديث عبد الله بن زيد الذي رأى رؤيا الأذان هي: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

تنبيهان:

● الإمام أملك بالإقامة، فلا يُقيم المؤذن الصلاة إلا عند حضور الإمام، وإذنه بذلك، لخبر: «المؤذن أملك للأذان والإمام أملك بالإقامة»^(١). وفي سنده مجهول، غير أن العمل به عند عامة الفقهاء، ولعله اعتضد بشاهد آخر يروونه عن علي أو عمر رضي الله عنهما، وأما الأذان فإن المؤذن أملك به من غيره فيؤذن إذا دخل الوقت ولا ينتظر أحداً ولا يستأذنه إماماً كان أو غيره.

● يُسْتَحَبُّ مَا يَلِي:

١ - التَّرسُّل - التَّمَهُل - في الأذان، والحذر - الإسراع - في الإقامة، لقوله ﷺ لبلال: «إذا أذنت فترسل، وإذا أقيمت فاحذر»^(٢).

٢ - مُتَابَعَةُ المؤذنين والمقيمين سرّاً، فيقول السامع مثل ما يقول المؤذن أو المقيم، إلا لفظ - حي على الصلاة، حي على الفلاح - فلا يتابعه فيه وإنما يقول: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، ولفظ (قد قامت الصلاة) فإنه يقول (أقامها الله وأدامها)، لما روى أبو داود أن «بلالاً» أخذ في الإقامة، فلما أن قال: قد قامت الصلاة، قال النبي ﷺ: «أقامها الله وأدامها». ولما روى مسلم أنه ﷺ قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول المؤذن، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لِعَبْدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له شفاعتي.»

(٢) رواه أبو الشيخ عن أبي هريرة بسند حسن.

(١) رواه الترمذي.

٣ - الدَّعَاءُ بِخَيْرٍ بَعْدَ الْأَذَانِ، لَمَّا رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنَهُ عَنْهُ ﷺ: «الدَّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ». وَوَرَدَ عِنْدَ أَذَانِ الْمَغْرِبِ قَوْلُ: «اللَّهُمَّ هَذَا إِقْبَالُ لَيْلِكَ وَإِدْبَارُ نَهَارِكَ، وَأَصْوَاتُ دُعَايِكَ فَاعْفِرْ لِي».

المادة التاسعة: في القصر والجمع، وصلاة المريض، والخوف:

أ - القصر

١ - معناه:

القصر هو صلاة الرباعية ركعتين بالفاتحة والسورة، أما المغرب والصبح فلا تُقصران لكون المغرب ثلاثية، والصبح ثنائية.

٢ - حكمه:

القصر: مشروع بقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾^(١). وقول الرسول ﷺ: «لَمَّا سُئِلَ عَنْهُ: «صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ»^(٢).

ومواظبة الرسول عليه جعله سنة متأكدة، إذ ما سافر رسول الله ﷺ سقراً إلا قصر معه أصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

٣ - المسافة التي يسن القصر فيها:

لَمْ يُحَدِّدِ النَّبِيُّ ﷺ لِلْقَصْرِ مَسَافَةً يُتَهَيَّ إِلَيْهَا فِي الْقَصْرِ، وَإِنَّمَا جُمُهورُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالْأئِمَّةَ نَظَرُوا إِلَى الْمَسَافَاتِ الَّتِي قَصَرَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدُوهَا تُقَارِبُ أَرْبَعَةَ بُرْدٍ، فَجَعَلُوا الْأَرْبَعَةَ بُرْدٍ وَهِيَ ثَمَانِيَّةٌ وَأَرْبَعُونَ مِيلاً - حَدًّا أَدْنَى لِمَسَافَةِ الْقَصْرِ - فَمَنْ سَافَرَ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ سُنَّ لَهُ الْقَصْرُ، فَيُصَلِّي الرُّبَاعِيَّةَ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ، وَالْعِشَاءَ اثْنَتَيْنِ.

٤ - ابتداء القصر وانتهائه:

يَبْتَدِئُ الْمَسَافِرُ قَصْرَ صَلَاتِهِ مِنْ مُغَادَرَتِهِ مَسَاكِينَ بَلَدِهِ، وَيَسْتَمِرُّ يَقْصُرُ مَهْمَا

(٢) متفق عليه.

(١) النساء.

طَالَتُ مُدَّةَ سَفَرِهِ إِلَى أَنْ يَعُودَ إِلَى بَلَدِهِ، إِلَّا أَنْ يَنْوِيَ إِقَامَةَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ فَأَكْثَرَ فِي بَلَدٍ مَا يَنْزِلُ بِهِ فَإِنَّهُ يُتِمُّ وَلَا يَقْصُرُ، إِذْ بَيَّنَّهَ الْإِقَامَةُ يَسْتَرِيحُ خَاطِرُهُ، وَيَهْدَأُ بَالُهُ وَلَمْ تَبَقِ الْعِلَّةُ الَّتِي شُرِعَ مِنْ أَجْلِهَا الْقَصْرُ وَهِيَ قَلَقُ الْمَسَافِرِ وَانْشِغَالُ بَالِهِ بِمَهَامِ سَفَرِهِ، وَقَدْ مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَبُوكَ عِشْرِينَ يَوْمًا يَقْصُرُ الصَّلَاةَ^(١). قِيلَ لِأَنَّهُ لَمْ يَنْوِ الْإِقَامَةَ بِهَا.

٥ - النَّافِلَةُ فِي السَّفَرِ :

إِذَا سَافَرَ الْمُسْلِمُ لَهُ أَنْ يَتْرَكَ سَائِرَ النَّوَافِلِ مِنْ رَاتِبَةٍ وَغَيْرِهَا مَا عَدَا رَغِيْبَةَ الْفَجْرِ، وَالْوُتْرَ فَإِنَّهُ لَا يَحْسُنُ تَرْكُهَا، فَقَدْ كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: لَوْ كُنْتُ مُسَيِّحًا - مَتَنَفِّلًا - لَأَتَمَمْتُ صَلَاتِي^(٢).

كَمَا أَنَّ لِلْمَسَافِرِ أَنْ يَتَنَفَّلَ بِلَا كَرَاهِيَةٍ مَا شَاءَ مِنَ النَّوَافِلِ، فَقَدْ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الضُّحَى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ وَهُوَ مُسَافِرٌ، وَكَانَ يَتَنَفَّلُ عَلَى ظَهْرِ دَابَّتِهِ وَهُوَ فِي طَرِيقِهِ مِنْ سَفَرِهِ.

٦ - عُمُومُ سُنَّةِ الْقَصْرِ لِكُلِّ مُسَافِرٍ :

لَا فَرْقَ فِي سُنَّةِ الْقَصْرِ بَيْنَ مُسَافِرٍ رَاكِبٍ، وَمُسَافِرٍ مَاشٍ، وَلَا بَيْنَ رَاكِبٍ جَمَالٍ أَوْ سِيَارَةٍ أَوْ طَائِرَةٍ إِلَّا الْمَلَّاحَ إِذَا كَانَ لَا يَنْزِلُ مِنْ سَفِينَتِهِ طُولَ الدَّهْرِ، وَكَانَ لَهُ بِسَفِينَتِهِ أَهْلٌ فَإِنَّهُ لَا يُسَنُّ لَهُ الْقَصْرُ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يُتِمَّ صَلَاتَهُ لِأَنَّهُ كَمَسْتَوِطٍ لِلْسَفِينَةِ.

ب - الْجَمْعُ

١ - حُكْمُهُ :

الْجَمْعُ: رَخْصَةٌ جَائِزَةٌ إِلَّا الْجَمْعَ بَيْنَ الظُّهْرَيْنِ يَوْمَ عَرَفَةَ بِعَرَفَةَ، وَالْعِشَاءَ بَيْنَ لَيْلَةِ الْمَزْدَلِفَةِ فَإِنَّهُ سُنَّةٌ لَا تَخْيِيرَ فِي فِعْلِهَا، لَمَّا صَحَّ عَنْهُ ﷺ «أَنَّهُ صَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ بِعَرَفَةَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ، وَلَمَّا أَتَى الْمَزْدَلِفَةَ صَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ»^(٣).

صِفَتُهُ :

الْجَمْعُ هُوَ أَنْ يُصَلِّيَ الْمَسَافِرُ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمْعَ تَقْدِيمٍ فَيُصَلِّيُهُمَا فِي أَوَّلِ وَقْتِ

(٣) رواه مسلم.

(٢) مسلم.

(١) أحمد في المسند.

الظُّهْر، أَوْ جَمَعَ تَأْخِيرَ فَيُصَلِّيهِمَا فِي أَوَّلِ وَقْتِ الْعَصْرِ، أَوْ يَجْمَعُ الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ جَمْعَ تَقْدِيمٍ أَوْ تَأْخِيرٍ فَيُصَلِّيهِمَا فِي وَقْتٍ إِحْدَاهُمَا، وَذَلِكَ لِمَا وَرَدَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَحْرَجَ الصَّلَاةَ بِتَبُوكَ يَوْمًا ثُمَّ خَرَجَ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ جَمْعًا، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَهُوَ نَازِلٌ بِتَبُوكَ غَازِيًا ﷺ»^(١).

كَمَا أَنَّ لِأَهْلِ الْبَلَدِ أَنْ يَجْمَعُوا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِي الْمَسْجِدِ لَيْلَةَ الْمَطَرِ وَالْبَرْدِ الشَّدِيدِ أَوْ الرِّيحِ إِذَا كَانَ يَشُقُّ عَلَيْهِمُ الرُّجُوعُ إِلَى صَلَاةِ الْعِشَاءِ بِالْمَسْجِدِ، إِذْ قَدْ «جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فِي لَيْلَةِ مَطِيرَةٍ»^(٢).

كَمَا أَنَّ لِلْمَرِيضِ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الظُّهْرَيْنِ وَالْعِشَاءَيْنِ إِذَا كَانَ يَشُقُّ عَلَيْهِ أَدَاءُ كُلِّ صَلَاةٍ فِي وَقْتِهَا، إِذْ عِلَّةُ الْجَمْعِ هِيَ الْمَشَقَّةُ، فَمَتَى حَصَلَتِ الْمَشَقَّةُ جَازَ الْجَمْعُ، وَقَدْ تَعَرَّضَ الْحَاجَةُ الشَّدِيدَةُ لِلْمُسْلِمِ فِي الْحَضَرِ كَالْخَوْفِ عَلَى نَفْسٍ أَوْ عَرَضٍ أَوْ مَالٍ فَيُبَاحُ لَهُ الْجَمْعُ، فَقَدْ صَحَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَمَعَ فِي الْحَضَرِ مَرَّةً لِغَيْرِ مَطَرٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى بِالْمَدِينَةِ سَبْعًا وَثَمَانِيًا، الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ»^(٣). وَصَوَّرْتُهُ أَنْ يُؤَخَّرَ الظُّهْرُ وَيَقْدَمَ الْعَصْرُ لِأَوَّلِ وَقْتِهَا، وَيُؤَخَّرَ الْمَغْرِبُ وَيَقْدَمَ الْعِشَاءُ لِأَوَّلِ وَقْتِهَا، وَذَلِكَ لِاشْتِرَاكِهِ الصَّلَاتَيْنِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ.

ج - صَلَاةُ الْمَرِيضِ

إِذَا كَانَ الْمَرِيضُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ مُسْتَبَدًّا إِلَى شَيْءٍ، صَلَّى قَاعِدًا، وَإِذَا عَجَزَ عَنِ الْقُعُودِ، صَلَّى عَلَى جَنْبِهِ، وَإِنْ عَجَزَ صَلَّى مُسْتَلْقِيًا عَلَى قَفَاهُ مَاذَا رَجَلَيْهِ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَيَجْعَلُ سَجُودَهُ أَخْفَضَ مِنْ رُكُوعِهِ، وَإِنْ عَجَزَ عَنِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ أَوْ مَأْإِيمَاءَ، وَلَا يَتْرُكُ الصَّلَاةَ بَحَالٍ، لِقَوْلِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرٌ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا،

(١) متفق عليه.

(٢) البخاري.

(٣) متفق عليه.

الصواب: إن لفظ في ليلة مطيرة من تأول بعض الرواة كماللك، وليست اللفظة في البخاري

فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَصَلِّ عَلَى جَنْبِكَ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَمُسْتَلْقِيًا^(١). وَلَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.

د - صَلَاةُ الْخَوْفِ

١ - مَشْرُوعِيَّتُهَا:

صَلَاةُ الْخَوْفِ مَشْرُوعَةٌ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا أَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ، فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ، وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ، وَلْيَأْخُذُوا جِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾^(٢).

٢ - صِفَتُهَا فِي السَّفَرِ:

وَرَدَتْ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ كَيْفِيَّاتٌ مُخْتَلِفَةٌ مَرْدُّهَا إِلَى حَالَةِ الْخَوْفِ قُوَّةً وَضَعْفًا، وَأَشْهُرُ كَيْفِيَّاتِهَا إِذَا كَانَ الْقِتَالُ فِي السَّفَرِ: أَنْ يُقَسَّمِ الْمَعْسُكُ إِلَى طَائِفَتَيْنِ: طَائِفَةٍ تَقِفُ تَجَاهَ الْعَدُوِّ، وَطَائِفَةٍ تَصِفُّ وَرَاءَ الْإِمَامِ فَيُصَلِّي بِهَا رَكْعَةً، وَتُثَبَّتُ قَائِمًا، وَتَقُومُ هِيَ فَتُصَلِّي رَكْعَةً أُخْرَى وَتُسَلِّمُ، وَتَذْهَبُ فَتَقِفُ مَوْقِفَ الطَّائِفَةِ الْأُخْرَى، وَتَأْتِي الْأُخْرَى فَيُصَلِّي بِهَا الْإِمَامُ رَكْعَةً وَتُثَبَّتُ جَالِسًا، فَتَقُومُ هِيَ وَتَأْتِي بِرَكْعَةٍ أُخْرَى، ثُمَّ يُسَلِّمُ بِهِمْ.

وَشَاهِدُ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ حَدِيثُ سَهْلِ بْنِ حَيْثَمَةَ إِذْ جَاءَ فِيهِ: «أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَطَائِفَةٌ وَجَّاهَ الْعَدُوِّ، فَصَلَّى بِالنَّبِيِّ مَعَهُ رَكْعَةً، ثُمَّ ثَبَّتَ قَائِمًا، فَاتَمَّوا لِأَنْفُسِهِمْ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَجَّاهَ الْعَدُوِّ، وَجَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى فَصَلَّى بِهِمُ الرُّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ صَلَاتِهِ، ثُمَّ ثَبَّتَ جَالِسًا فَاتَمَّوا لِأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ سَلَّمَ بِهِمْ»^(٣).

٣ - صِفَتُهَا فِي الْحَضَرِ:

وَإِنْ كَانَ الْقِتَالُ فِي الْحَضَرِ حَيْثُ لَا قَصْرَ لِلصَّلَاةِ: صَلَّتِ الطَّائِفَةُ الْأُولَى رَكْعَتَيْنِ مَعَ الْإِمَامِ، وَرَكْعَتَيْنِ وَحْدَهَا، وَالْإِمَامُ قَائِمٌ، وَتَأْتِي الطَّائِفَةُ الْأُخْرَى فَيُصَلِّي بِهَا الْإِمَامُ رَكْعَتَيْنِ وَتُثَبَّتُ جَالِسًا فَتُتِمُّ لِنَفْسِهَا رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يُسَلِّمُ بِهِمْ.

٤ - إِذَا لَمْ يُعْمَكِنْ قِسْمَةُ الْجَيْشِ لَاشْتِدَادِ الْقِتَالِ:

إِذَا اشْتَدَّ الْقِتَالُ، وَلَمْ تُعْمَكِنْ قِسْمَةُ الْجَيْشِ صَلُّوا فُرَادَى عَلَى أَيْ حَالٍ كَانُوا

(٣) مسلم.

(٢) النساء.

(١) البخاري.

مُشَاءً أَوْ رُكْبَانًا لِلْقِبْلَةِ أَوْ لِغَيْرِهَا يَوْمُثُونَ إِيْمَاءً لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾^(١). وقوله ﷺ: «وَأِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَلْيُصَلُّوا قِيَامًا وَرُكْبَانًا»^(٢). وَمَعْنَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ أَي إِذَا كَثُرَ الْخَوْفُ وَاحْتَدَمَتِ الْمَعْرَكَةُ وَاخْتَلَطُوا بِالْعَدُوِّ.

٥ - الطَّالِبُ لِلْعَدُوِّ أَوْ الْهَارِبُ مِنْهُ:

مَنْ طَلَبَ عَدُوًّا يَخْشَى فَوَاتَهُ، أَوْ طَلَبَهُ عَدُوٌّ يَخْشَى أَنْ يَظْفَرَ بِهِ صَلَّى عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ، مَاشِيًّا أَوْ سَاعِيًّا إِلَى الْقِبْلَةِ أَوْ غَيْرِهَا، وَهَكَذَا كُلُّ مَنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، صَلَّى صَلَاةَ الْخَوْفِ بِحَسَبِ حَالِهِ، وَيَشْهَدُ لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾. وَعَمَلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَدْ بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَلَبِ الْهَذَلِيِّ، فَقَالَ: (لَمَّا خِفْتُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي مَا يُؤْخِرُ الصَّلَاةَ، فَاذْطَلَقْتُ أُمْسِي وَأَنَا أَصْلِي أَوْمِيَّ إِيْمَاءً نَحْوَهُ، فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ) الْحَدِيثُ^(٣).

المادة العاشرة: في صلاة الجمعة:

١ - حُكْمُهَا:

صَلَاةُ الْجُمُعَةِ وَاجِبَةٌ، بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾. وَقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «لِيَنْتَهِينَ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ، أَوْ لِيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لِيَكُونَنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»^(٤). وقوله ﷺ: «الْجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ إِلَّا أَرْبَعَةً: عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، أَوْ امْرَأَةٌ، أَوْ صَبِيٌّ، أَوْ مَرِيضٌ»^(٥).

٢ - الْحُكْمُ فِي مَشْرُوعِيَّتِهَا:

مِنْ الْحُكْمِ الَّتِي شُرِعَتْ لَهَا صَلَاةُ الْجُمُعَةِ: جَمْعُ الْمَكْلُفِينَ الْقَادِرِينَ عَلَى

(١) أي قياماً على أقدامهم.

(٢) البخاري.

(٣) البخاري.

(٤) مسلم.

(٥) رواه أبو داود وقال: طارق بن شهاب رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئاً.

تَحْمِلُ الْمَسْئُولِيَّاتِ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ أَوْ الْقَرْيَةِ، أَوَّلَ كُلِّ أُسْبُوعٍ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ لِيَتَلَقَّى كُلُّ مَا يَجِدُ وَيَحْدُثُ مِنْ قَرَارَاتٍ وَبَيِّنَاتٍ يُصَدِّرُهَا إِمَامُ الْمُسْلِمِينَ وَخَلِيفَتُهُمْ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِإِصْلَاحِ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ. وَلْيَسْمَعُوا مِنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، مَا يَحْمِلُهُمْ عَلَى النُّهُوضِ بِوَاجِبَاتِهِمْ، وَيُسَاعِدُهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِهَا فِي نَشَاطٍ وَحَزْمٍ طَوَالَ الْأُسْبُوعِ.

وَتَبْدُو هَذِهِ الْحِكْمَةُ لِلتَّأَمُّلِ مِنْ خِلَالِ شُرُوطِ الْجُمُعَةِ وَخَصَائِصِهَا، إِذْ مِنْ شُرُوطِهَا الْقَرْيَةُ، وَالْجَمَاعَةُ وَالْمَسْجِدُ وَتَوْحِيدُهُ، وَالْخُطْبَةُ وَكُونُهَا مِنَ الْخَلِيفَةِ أَوْ الْوَالِي، وَتَحْرِيمُ الْكَلَامِ أَثْنَاءَهَا، وَسُقُوطُهَا عَنِ الْعَبْدِ وَالْمَرْأَةِ وَالصَّبِيِّ وَالْمَرِيضِ، لِأَنَّ تَكْلِيفَ هَؤُلَاءِ غَيْرُ تَامٍ وَلَيْسُوا بِقَادِرِينَ عَلَى الْقِيَامِ بِمَا قَدْ يُطَالَبُونَ بِهِ عَلَى الْمَنْبَرِ مِنْ مَسْئُولِيَّاتٍ وَتَكَالِيفٍ.

٣ - فَضْلُ يَوْمِهَا:

يَوْمُ الْجُمُعَةِ يَوْمٌ فَاضِلٌ وَعَظِيمٌ، مِنْ خَيْرِ أَيَّامِ الدُّنْيَا، قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَفِيهِ خَلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ»^(١). فَيَنْبَغِي أَنْ يُعْظَمَ بِتَعْظِيمِ اللَّهِ لَهُ، فَيُكْثَرُ فِيهِ مِنَ الصَّالِحَاتِ، وَيَتَبَعَدُ فِيهِ عَنِ جَمِيعِ السَّيِّئَاتِ.

٤ - آدَابُهَا وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُؤْتَى فِي يَوْمِهَا:

١ - الْاِغْتِسَالُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَحْضُرُهَا، لِقَوْلِهِ ﷺ: «غَسَلَ الْجُمُعَةَ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ»^(٢).

٢ - تُبَسُّ نَظِيفِ الثِّيَابِ، وَمَسُّ الطَّيِّبِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ الْغَسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَبِلَبْسٍ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِهِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ طِيبٌ مَسَّ مِنْهُ».

٣ - التَّبَكُّيرُ إِلَيْهَا، أَيْ الذَّهَابُ إِلَيْهَا قَبْلَ دُخُولِ وَقْتِهَا بِزَمَنِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: مَنْ

(١) متفق عليه.

(٢) مسلم.

اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ غَسْلَ الْجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَهُ، وَمِنْ رَاحٍ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمِنْ رَاحٍ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمِنْ رَاحٍ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمِنْ رَاحٍ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، إِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ^(١).

٤ - صَلَاةٌ مَا تَسْرَ مِنَ النَّافِلَةِ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ فَأَكْثَرَ (*) لقوله ﷺ: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ بِمَا اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ وَيَدْهِنُ مِنْ دُهْنِهِ أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَرْوِحُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يَصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يَنْصِتُ لِلْإِمَامِ إِذَا تَكَلَّمَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ الْآخَرَى مَا لَمْ يَغْشُ الْكِبَائِرَ»^(٢).

٥ - قَطَعَ الْكَلَامَ وَالْعَبَثَ بِمَسِّ الْحَصَى وَنَحْوِهَا إِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ، لقوله ﷺ: «إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ: أَنْصِتْ فَقَدْ لَغَوْتَ»^(٣).

وقوله: «مَنْ مَسَّ الْحَصَا فَقَدْ لَغَا، وَمَنْ لَغَا فَلَا جُمُعَةَ لَهُ»^(٤).

٦ - إِذَا دَخَلَ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ، لقوله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ وَلْيَتَجَوَّزْ فِيهِمَا»^(٥).

٧ - يُكْرَهُ تَخْطِي رِقَابِ الْجَالِسِينَ وَالتَّفَرُّقَ بَيْنَهُمْ، لقوله ﷺ: «لِلَّذِي رَأَاهُ يَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ: «اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ»^(٦). وقوله: «وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ»^(٧).

(١) رواه مالك.

(*) أما الصلاة بعدها فقد صح أن النبي عليه الصلاة والسلام، كان يصلي ركعتين في بيته، كما ورد في الصحيح، صلاة أربع ركعات في المسجد، بعد أن يتكلم أو ينتقل من مجلسه الذي صلى الجمعة فيه.

(٢) البخاري.

(٣، ٤) مسلم.

(٥، ٦) أبو داود.

(٧) الحديث السابق.

٨ - يَحْرُمُ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ عِنْدَ النَّدَاءِ لَهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾^(١).

٩ - يُسْتَحَبُّ قِرَاءَةُ سُورَةِ الْكَهْفِ فِي لَيْلَتِهَا أَوْ يَوْمِهَا، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْجُمُعَتَيْنِ»^(٢).

١٠ - الْإِكْتَارُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِقَوْلِهِ: «أَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةِ الْجُمُعَةِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كُنْتُ لَهُ شَهِيداً وَشَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

١١ - الْإِكْتَارُ مِنَ الدُّعَاءِ يَوْمَهَا، لِأَنَّ بِهَا سَاعَةَ اسْتِجَابَةٍ، مَنْ صَادَفَهَا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ وَأَعْطَاهُ مَا سَأَلَ، قَالَ ﷺ: «إِنَّ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً لَا يُؤَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»^(٤). وَوَرَدَ أَنَّهَا مَا بَيْنَ خُرُوجِ الْإِمَامِ إِلَى الْفَرَاغِ مِنَ الصَّلَاةِ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّهَا بَعْدَ الْعَصْرِ^(٥).

٥ - شُرُوطُ وَجوبِهَا؛ وهي:

- ١ - الذُّكُورِيَّةُ، فَلَا تَجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ.
- ٢ - الْحَرِّيَّةُ، فَلَا تَجِبُ عَلَى مَمْلُوكٍ.
- ٣ - الْبُلُوغُ، فَلَا تَجِبُ عَلَى صَبِيٍّ.
- ٤ - الصِّحَّةُ، فَلَا تَجِبُ عَلَى مَرِيضٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى حُضُورِهَا لِمَا بِهِ مِنْ مَرَضٍ.
- ٥ - الْإِقَامَةُ، فَلَا تَجِبُ عَلَى مُسَافِرٍ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «الْجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى

(١) الجمعة.

(٢) الحاكم وصححه.

(٣) رواه البيهقي بإسناد حسن.

(٤) مسلم.

(٥) روى حديث كون الساعة بعد العصر، أحمد وابن ماجه، وهو صحيح، وروى كونها ما بين جلوس الإمام إلى الفراغ من الصلاة، أبو داود وإسناده ضعيف.

كُلِّ مُسْلِمٍ إِلَّا أَرْبَعَةً: عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، أَوْ امْرَأَةٌ، أَوْ صَبِيٌّ، أَوْ مَرِيضٌ. وقوله ﷺ^(١): «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَعَلَيْهِ الْجُمُعَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا مَرِيضًا أَوْ مُسَافِرًا أَوْ امْرَأَةً أَوْ صَبِيًّا أَوْ مَمْلُوكًا»، هَذَا وَكُلٌّ مِنْ حَضَرَهَا يَمْنُنُ لَا تَجِبُ عَلَيْهِمْ، وَصَلَّاهَا مَعَ الْإِمَامِ أَجْزَأُ لَهُ وَسَقَطَ عَنْهُ الْوَاجِبُ، فَلَا يُصَلِّي الظَّهْرَ بَعْدَهَا أَبَدًا.

٦ - شُرُوطُ صَحَّتِهَا:

١ - الْقَرْيَةُ، فَلَا تَصِحُّ الْجُمُعَةُ فِي بَادِيَةٍ أَوْ فِي سَفَرٍ، إِذْ لَمْ تَصَلِّ الْجُمُعَةُ عَلَى عَهْدِ الرُّسُولِ ﷺ إِلَّا فِي الْمَدِينِ وَالْقَرْيِ، وَلَمْ يَأْمُرْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الْبَادِيَةِ بِصَلَاتِهَا، وَعَلَى كَثْرَةِ سَفَرِهِ ﷺ لَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ صَلَّاهَا فِي سَفَرٍ أَبَدًا.

٢ - الْمَسْجِدُ، فَلَا تَصِحُّ الْجُمُعَةُ فِي غَيْرِ أَبْنِيَةِ الْمَسَاجِدِ وَأَفْنِيَّتِهَا حَتَّى لَا يَتَعَرَّضَ الْمُسْلِمُونَ لِلْحَرِّ أَوْ الْبَرْدِ الْمُضِرِّينَ.

٣ - الْخُطْبَةُ، فَلَا تَصِحُّ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ بِدُونِ خُطْبَةٍ فِيهَا؛ إِذْ مَا شُرِعَتْ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ إِلَّا مِنْ أَجْلِ الْخُطْبَةِ.

٧ - لَا تَجِبُ عَلَى مَنْ كَانَ بَعِيدًا عَنِ الْقَرْيَةِ:

لَا تَجِبُ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ عَلَى مَنْ كَانَ يَسْكُنُ بَعِيدًا عَنِ الْمَدِينَةِ الَّتِي تُقَامُ فِيهَا الْجُمُعَةُ بِأَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «الْجُمُعَةُ عَلَى مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ»^(٢)، وَالْعَادَةُ جَارِيَةٌ أَنَّ صَوْتَ الْمُؤَذِّنِ لَا يَتَجَاوَزُ مَدَاهُ الثَّلَاثَةِ أَمْيَالٍ (أَرْبَعَةُ كِيلُو وَنِصْفُ).

٨ - مَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ الْجُمُعَةِ أَوْ أَقَلَّ:

إِذَا أَدْرَكَ الْمَسْبُوقَ رَكْعَةً مِنَ الْجُمُعَةِ، أَضَافَ إِلَيْهَا ثَانِيَةً بَعْدَ سَلَامِ الْإِمَامِ وَأَجْزَأَتْهُ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ أَدْرَكَ مِنَ الصَّلَاةِ رَكْعَةً، فَقَدْ أَدْرَكَهَا كُلَّهَا»^(٣).

(١) رواه الدارقطني والبيهقي، وفي سنده ضعف، والعمل عليه عند جماهير المسلمين سلفاً وخلفاً.

(٢) رواه أبو داود والدارقطني وهو ضعيف، وبه العمل عند أحمد ومالك والشافعي. وذلك لرواية مسلم: هل تسمع النداء بالصلاة؟ قاله للذي طلب منه الترخيص في التخلف عن الجماعة، لضعف بصره، فإن مفهومه أنه لو كان لا يسمع النداء بالصلاة لسقط عليه واجب الحضور.

(٣) متفق عليه.

وَأَمَّا مَنْ أَدْرَكَ أَقْلَ مِنْ رَكْعَةٍ كَسَجْدَةٍ وَنَحْوَهَا فَإِنَّهُ يَنْوِيهَا ظَهْرًا وَيُتِمُّهَا أَرْبَعًا بَعْدَ سَلَامِ الْإِمَامِ .

٩ - تَعَدُّدُ أَقَامَةِ الْجُمُعَةِ فِي الْبَلَدِ الْوَاحِدِ :

إِذَا لَمْ يَتَّسِعِ الْمَسْجِدُ الْعَتِيقُ وَلَمْ يُمْكِنْ تَوْسِيعُهُ، جَازَ أَنْ تُقَامَ الْجُمُعَةُ فِي مَسْجِدٍ آخَرَ مِنَ الْمَدِينَةِ أَوْ مَسَاجِدَ بِحَسَبِ الْحَاجَةِ .

كَيْفِيَّةُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ :

كَيْفِيَّةُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، هِيَ أَنْ يَخْرُجَ الْإِمَامُ بَعْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ، فَيَرْقَى الْمَنْبَرَ فَيَسْلُمُ عَلَى النَّاسِ حَتَّى إِذَا جَلَسَ أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ أَذَانَهُ لِلظُّهْرِ، فَإِذَا فَرَغَ مِنَ الْأَذَانِ قَامَ الْإِمَامُ فَيَخْطُبُ النَّاسَ خُطْبَةً يَفْتَتِحُهَا بِحَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ يَعِظُ النَّاسَ وَيَذَكِّرُهُمْ رَافِعًا صَوْتَهُ، فَيَأْمُرُ بِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَنْهَى بِنَهْيِهِمَا، وَيُرْغَبُ وَيُرْعَبُ، وَيَذَكِّرُ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَيَجْلِسُ جَلْسَةً خَفِيفَةً، ثُمَّ يَقُومُ مُسْتَأْنِفًا خُطْبَتَهُ فَيَحْمَدُ اللَّهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ، وَيُوَاصِلُ خُطْبَتَهُ بِنَفْسِ اللَّهْجَةِ وَذَلِكَ الصَّوْتُ الَّذِي هُوَ أَشْبَهُ بِصَوْتِ مَنْذِرِ جَيْشٍ حَتَّى إِذَا فَرَغَ فِي غَيْرِ طُولٍ، نَزَلَ وَأَقَامَ الْمُؤَذِّنُ لِلصَّلَاةِ، صَلَّى بِالنَّاسِ رَكْعَتَيْنِ يَجْهَرُ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ، وَيُخَسِّنُ أَنْ يَقْرَأَ فِي الْأُولَى بَعْدَ الْفَاتِحَةِ بِسُورَةِ الْأَعْلَى، وَفِي الثَّانِيَةِ بِالْعَاشِيَةِ وَنَحْوِهَا^(١).

المادة الحادية عشرة: في سنة الوتر، ورغبة الفجر والرواتب،

والنفل المطلق:

أ - الْوُتْرُ

١ - حُكْمُهُ - وَتَعْرِيفُهُ :

الوتر سنة واجبة لا ينبغي للمسلم تركها بحال .

والوتر هو أن يصلي المسلم آخر ما يصلي من نافلة الليل بعد صلاة العشاء،

(١) ورد في صحيح مسلم، استحباب القراءة بسورة الجمعة والمنافقون.

رَكْعَةً تُسَمَّى الْوُتْرَ، لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمْ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى»^(١).

٢ - مَا يَسُنُّ قَبْلَهُ:

مِنْ السُّنَّةِ أَنْ يُصَلِّيَ قَبْلَ الْوُتْرِ رَكْعَتَانِ فَأَكْثَرُ إِلَى عَشْرِ رَكْعَاتٍ، ثُمَّ يُصَلِّي الْوُتْرَ، لِفِعْلِهِ ﷺ ذَلِكَ فِي الصَّحِيحِ.

٣ - وَقْتُهُ:

وَقْتُ الْوُتْرِ مِنْ صَلَاةِ الْعِشَاءِ إِلَى قُبَيْلِ الْفَجْرِ، وَكَوْنُهُ آخِرَ اللَّيْلِ أَفْضَلُ مِنْ أَوَّلِهِ، إِلَّا لِمَنْ خَافَ أَنْ لَا يَسْتَيْقِظَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ ظَنَّ مِنْكُمْ أَنْ لَا يَسْتَيْقِظَ آخِرَ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ ظَنَّ مِنْكُمْ أَنَّهُ يَسْتَيْقِظُ آخِرَهُ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَحْضُورَةٌ وَهِيَ أَفْضَلُ»^(٢).

٤ - مَنْ نَامَ عَنِ الْوُتْرِ حَتَّى أَصْبَحَ:

إِذَا نَامَ الْمُسْلِمُ عَنِ الْوُتْرِ، وَلَمْ يَسْتَيْقِظْ، حَتَّى أَصْبَحَ فَصَاَهُ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ وَلَمْ يُوتِرْ، فَلْيُوتِرْ»^(٣). وَقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنِ الْوُتْرِ أَوْ نَسِيَهُ، فَلْيُصَلِّهِ، إِذَا ذَكَرَهُ»^(٤).

٥ - الْقِرَاءَةُ فِي الْوُتْرِ:

يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقْرَأَ فِي الرُّكْعَتَيْنِ، قَبْلَهُ بِالْأَعْلَى وَالْكَافِرُونَ، وَفِي رَكْعَةِ الْوُتْرِ بِالصَّغِيرِ، وَالْمَعُودَتَيْنِ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ^(٥).

٦ - كَرَاهَةُ تَعَدُّدِ الْوُتْرِ:

يُكْرَهُ تَعَدُّدُ الْوُتْرِ، فِي اللَّيْلَةِ الْوَاحِدَةِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا وَتْرَانِ بَلِيلَةٍ»^(٦). وَمَنْ أَوْتَرَ أَوَّلَ اللَّيْلِ، ثُمَّ اسْتَيْقِظَ وَأَرَادَ أَنْ يَتَنَفَّلَ، تَنَفَّلَ، وَلَا يُعِيدُ الْوُتْرَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا وَتْرَانِ بَلِيلَةٍ».

(١) أبو داود صحيح.

(٢) البخاري.

(٣) روي حديث القراءة في الوتر بما ذكر أبو داود والنسائي بإسناد حسن.

(٤) مسلم.

(٥) الترمذي وهو حسن.

(٦) الحاكم صحيح.

ب - رَغِيَّةُ الْفَجْرِ .

١ - حكمها:

رَغِيَّةُ الْفَجْرِ سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ كَالْوُتْرِ، إِذْ هِيَ مُبْتَدَأُ صَلَاةِ الْمُسْلِمِ بِالنَّهَارِ، وَالْوُتْرُ مُخْتَتَمُ صَلَاتِهِ بِاللَّيْلِ، أَكَّدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعَمَلِهِ، إِذْ حَافِظٌ عَلَيْهَا وَمَا تَرَكَهَا قَطُّ، وَرَغَّبَ فِيهَا بِقَوْلِهِ: «رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(١). وَقَوْلِهِ: «لَا تَدْعُوا رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ وَإِنْ طَارَدَتْكُمُ الْخَيْلُ»^(٢).

٢ - وَقْتُهَا:

وَقْتُ سُنَّةِ الْفَجْرِ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الصُّبْحِ، وَمَنْ نَامَ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ أَوْ نَسِيَهَا صَلَاتَهَا مَتَى ذَكَرَهَا، إِلَّا إِذَا دَخَلَ الزَّوَالُ فَإِنَّهَا تَسْقُطُ حِينَئِذٍ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يُصَلِّ رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَلْيُصَلِّهُمَا»^(٣). وَقَدْ نَامَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَرَّةً مَعَ أَصْحَابِهِ فِي غَزَاةٍ وَلَمْ يَسْتَيْقِظُوا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، فَتَحَوَّلُوا عَنْ مَكَانِهِمْ قَلِيلًا، ثُمَّ أَمَرَ الرَّسُولُ «بِلَالًا» فَأَذَّنَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الصُّبْحَ»^(٤).

٣ - صِفَتُهَا:

سُنَّةُ الْفَجْرِ رَكَعَتَانِ خَفِيفَتَانِ يَقْرَأُ فِيهِمَا بِالْكَافِرُونَ، وَالصَّامِدُ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ سِرًّا، لَوْ قَرَأَ، فِيهِمَا بِالْفَاتِحَةِ وَحْدَهَا أَجْزَأُ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصَلِّي الرَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الْغَدَاةِ فَيُخَفِّفُهُمَا حَتَّى إِنِّي لَأَشْكُ أَقْرَأُ فِيهَا بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ أَمْ لَا؟»^(٥). وَقَوْلُهَا: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي رَكَعَتَيِ الْفَجْرِ: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَكَانَ يُسِرُّ بِهِمَا»^(٦).

ج - الرُّوَاتِبُ .

الرُّوَاتِبُ هِيَ السَّنَنُ الْقَبْلِيَّةُ وَالْبَعْدِيَّةُ مَعَ الْفَرَائِضِ وَهِيَ: رَكَعَتَانِ قَبْلَ الظُّهْرِ

(٥) مالك .

(٣) البهقي وسنده جيد .

(١) مسلم .

(٦) مسلم .

(٤) البخاري .

(٢) أحمد وأبو داود .

ورَكَعَتَانِ بَعْدَهَا، وَرَكَعَتَانِ قَبْلَ الْعَصْرِ، وَرَكَعَتَانِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكَعَتَانِ أَوْ أَرْبَعٌ بَعْدَ الْعِشَاءِ لِقَوْلِ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَفِظْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ رَكَعَاتٍ، وَرَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ فِي بَيْتِهِ، وَرَكَعَتَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ»^(١). وقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ الرَّسُولُ ﷺ لَا يَدْعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ»^(٢). ولقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَا بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ»^(٣). وقوله: «رَجِمَ اللَّهُ امْرَأً صَلَّى أَرْبَعًا قَبْلَ الْعَصْرِ»^(٤).

د - التَطَوُّعُ أَوْ النِّفْلُ الْمَطْلُوقُ.

١ - فَضْلُهُ.

لِنَوَافِلِ الصَّلَاةِ فَضْلٌ عَظِيمٌ. قَالَ ﷺ: «مَا أَذِنَ اللَّهُ لِعَبْدٍ فِي شَيْءٍ أَفْضَلَ مِنْ رَكَعَتَيْنِ يُصَلِّيهِمَا، وَأَنْ الْبِرَّ لِيُذَرَّ فَوْقَ رَأْسِ الْعَبْدِ مَا دَامَ فِي صَلَاتِهِ»^(٥). وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلَّذِي سَأَلَهُ مُرَافَقَتَهُ فِي الْجَنَّةِ: «أُعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»^(٦).

٢ - حِكْمَتُهُ:

وَمِنَ الْحِكْمَةِ فِي النِّفْلِ أَنَّهُ يَجْبُرُ الْفَرِيضَةَ إِنْ نَقَصَتْ، فَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ، يَقُولُ رَبُّنَا لِلْمَلَائِكَةِ - وَهُوَ أَعْلَمُ - انظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا؟. فَإِنْ كَانَتْ تَامَةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَةً، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا قَالَ: انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟. فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ: أَتَمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَةً مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ تَوَخَّذُوا الْأَعْمَالُ عَلَى ذَلِكَ»^(٧).

٣ - وَقْتُهُ:

اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا ظَرْفٌ لِنِفْلِ الْمَطْلُوقِ مَا عَدَا خَمْسَ أَوْقَاتٍ فَلَا نِفْلَ فِيهَا

وَهِيَ:

١ - مِنْ بَعْدِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ.

(١) متفق عليه.

(٢) البخاري.

(٥) الترمذي وهو صحيح.

(٦) مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٧) أبو داود وهو حسن.

(٤) الترمذي وهو حسن.

٢ - من طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَى أَنْ تَرْتَفِعَ قَيْدُ رُمُحٍ .

٣ - عِنْدَمَا يَقُومُ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ إِلَى الزَّوَالِ .

٤ - مِنْ بَعْدِ زَوَالِ الْعَصْرِ إِلَى الْاَضْفَرَارِ .

٥ - مِنَ الْاَضْفَرَارِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ .

وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ لَعَمْرٍو بَيْنَ عَبَسَةٍ وَقَدْ سَأَلَهُ عَنِ الصَّلَاةِ: «صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ اقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ وَتَرْتَفِعَ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مُحْضُورَةٌ»^(١) حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمُحِ، ثُمَّ اقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ تُسَجَّرُ جَهَنَّمُ - أَيْ يُوقَدُ عَلَيْهَا - فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مُحْضُورَةٌ حَتَّى تَصْلِيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ اقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ»^(٢). وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ»^(٣).

٤ - الْجُلُوسُ فِي النَّفْلِ :

يَجُوزُ التَّنْفُلُ مِنْ قُعُودٍ، غَيْرَ أَنْ لِلْمَتَنَفِّلِ الْقَاعِدِ نِصْفَ مَا لِلْمَتَنَفِّلِ الْقَائِمِ مِنَ الْأَجْرِ فَقَطْ. وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ قَاعِدًا نِصْفُ الصَّلَاةِ»^(٤).

٥ - بَيَانُ أَنْوَاعِ التَّطَوُّعِ :

١ - تَحِيَّةُ الْمَسْجِدِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ»^(٥).

٢ - صَلَاةُ الضُّحَى وَهِيَ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ فَأَكْثَرُ إِلَى ثَمَانِي رَكَعَاتٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: إِنَّ

(١) محضورة: أي تحضرها الملائكة وتشهدها، وفي ذلك شهادة بخير للمسلم.

(٢) ذلك بأن الشيطان يدني رأسه منها حتى وكأنه حملها برأسه تضليلاً لعباد الشمس.

(٣) مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) الشيخان.

اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: «ابْنَ آدَمَ ارْكَعْ لِي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَكْفِكَ آخِرَهُ»^(١).

٣ - تَرَاوِيحُ رَمَضَانَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٢).

٤ - صَلَاةُ رَكَعَتَيْنِ بَعْدَ الْوُضُوءِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَتَوَضَّأُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ فَيُحْسِنُ الْوُضُوءَ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ الَّتِي تَلِيهَا»^(٣).

٥ - صَلَاةُ رَكَعَتَيْنِ عِنْدَ الْقُدُومِ مِنَ السَّفَرِ فِي مَسْجِدِ الْحَيِّ، لِفَعْلِهِ ﷺ ذَلِكَ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرِهِ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ»^(٤).

٦ - رَكَعَتَا التَّوْبَةِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ إِلَّا غُفِرَ لَهُ»^(٥).

٧ - الرَكَعَتَانِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «صَلُّوا قَبْلَ الْمَغْرِبِ، ثُمَّ قَالَ: فِي الثَّالِثَةِ لِمَنْ شَاءَ»^(٦).

٨ - رَكَعَتَا الاسْتِخَارَةِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا هُمْ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي فَاقْدِرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ. وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاقْدِرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضْنِي بِهِ»^(٧).

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وسنده جيد.

(٢) البخاري.

(٣) مسلم.

(٤) الشيخان.

(٥) الترمذي وهو حسن.

(٦، ٧) البخاري.

وَيُسَمِّي ^(١) حَاجَتَهُ عِنْدَ قَوْلٍ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ .

٩ - صَلَاةُ الْحَاجَةِ ، وَهِيَ أَنْ يُرِيدَ الْمُسْلِمُ حَاجَتَهُ فَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ وَيَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى حَاجَتَهُ ، لِقَوْلِهِ ﷺ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ يَتَمُهِمَا أُعْطَاهُ اللَّهُ مَا سَأَلَ مُعْجَلًا أَوْ مُؤَخَّرًا » ^(٢) .

١٠ - صَلَاةُ التَّسْبِيحِ ، وَهِيَ أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ ، يَقُولُ بَعْدَ الْقِرَاءَةِ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً ، وَفِي الرُّكُوعِ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، وَفِي الرَّفْعِ مِنْهُ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، وَفِي السُّجُودِ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، وَفِي الرَّفْعِ مِنْهُ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، وَفِي جَلْسَةِ الْإِسْتِرَاحَةِ بَيْنَ الرَكَعَتَيْنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ . فَيَكُونُ مَجْمُوعُ التَّسْبِيحَاتِ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ خَمْسًا وَسَبْعِينَ تَسْبِيحَةً . لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ لَعَمْرِهِ الْعَبَّاسِ : « يَا عَبَّاسُ ، يَا عَمَّاهُ أَلَا أُعْطِيكَ . . . إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ فَذَكَرَ لَهُ كَيْفِيَّةَ صَلَاةِ التَّسْبِيحِ ، وَقَالَ : « إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فافْعَلْ ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي عَمْرِكَ مَرَّةً » ^(٣) .

١١ - سَجْدَةُ الشُّكْرِ : وَهِيَ أَنْ تُحَدِّثَ لِلْمُسْلِمِ نِعْمَةً كَأَنْ يَظْفَرَ بِمَرْغُوبٍ . أَوْ يَنْجُوَ مِنْ مَرْهُوبٍ فَيَخِرَّ سَاجِدًا لِلَّهِ تَعَالَى شُكْرًا عَلَى نِعْمَتِهِ ، إِذْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ أَمْرٌ يَسُرُّهُ ، أَوْ يُبَشِّرُهُ بِهِ خَرَّ سَاجِدًا شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ : « مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَاةٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا . سَجَدَ شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى » ^(٤) .

١٢ - سُجُودُ التَّلَاوَةِ : يُسَنُّ سُجُودُ التَّلَاوَةِ ، لِقَوْلِهِ ﷺ : « إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ

(١) لا تكون الاستخارة إلا في الأمور المباحة ، إذ الواجبات مأمور بها ، والمحرمات منهي عنها فلا يطلب المسلم أبدًا الخير في أمر أمر بفعله ، ولا في آخر أمر بتركه .

(٢) أحمد بسند صحيح .

(٣) أبو داود وغيره وصححه بعضهم .

(٤) أحمد .

اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ! أُمِرَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ، فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ
بِالسُّجُودِ فَعَصَيْتُ، فَمِثْلِي النَّارُ»^(١).

فَإِذَا قَرَأَ الْمُسْلِمُ آيَةَ السُّجْدَةِ أَوْ اسْتَمَعَ إِلَيْهَا مِنْ قَارِئٍ سُنَّ لَهُ أَنْ يَسْجُدَ سَجْدَةً
يَكْبُرُ فِيهَا عِنْدَ الْخَفْضِ وَالرَّفْعِ، وَيَقُولُ فِي سَجُودِهِ: سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ
وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، وَالْأَكْمَلُ لِلْأَجْرِ
أَنْ يَكُونَ السَّاجِدُ نَظِيرًا مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ.

وَمَوَاضِعُ السُّجُودِ فِي الْقُرْآنِ مَعْلُومَةٌ فِي الْمَصَاحِفِ وَهِيَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَجْدَةً،
لِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَرَأَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَجْدَةً فِي
الْقُرْآنِ مِنْهَا ثَلَاثٌ فِي الْمَفْصَلِ وَفِي الْحَجِّ سَجْدَتَانِ»^(٢).

الْمَادَّةُ الثَّانِيَّةُ عَشْرَةَ: فِي صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ:

أ- حُكْمُهَا، وَوَقْتُهَا:

صَلَاةُ الْعِيدَيْنِ: الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى، سُنَّةٌ مُؤَكَّدَةٌ كَالْوَجِبِ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا فِي
قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، وَأَنَاطَ بِهَا فَلَاحُ الْمُؤْمِنِ فِي قَوْلِهِ:
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾^(٣). فَعَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوَاطَبَ
عَلَيْهَا، وَأَمَرَ بِهَا، وَأَخْرَجَ لَهَا حَتَّى النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ. وَهِيَ شَعِيرَةٌ مِنْ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ،
وَمُظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِهِ الَّتِي يَتَجَلَّى فِيهَا الْإِيمَانُ وَالتَّقْوَى.

وَوَقْتُهَا: مِنْ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ قَبْلَ رُوحِ إِلَى الزَّوَالِ. وَالْأَفْضَلُ أَنْ تُصَلَّى
الْأَضْحَى فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ، لِيَتِمَّكَنَ النَّاسُ مِنْ ذَبْحِ أَضَاجِيهِمْ. وَأَنْ تُؤَخَّرَ صَلَاةُ
الْفِطْرِ، لِيَتِمَّكَنَ النَّاسُ مِنْ إِخْرَاجِ صَدَقَاتِهِمْ، إِذْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُ هَكَذَا، قَالَ

(١) مسلم.

(٢) أبو داود وغيره وحسنه بعضهم.

(٣) الأعلى.

جُنْدَبٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي بِنَا الْفِطْرَ وَالشَّمْسُ عَلَى قَيْدٍ رَمَحَيْنِ، وَالْأَضْحَى عَلَى قَيْدٍ رُمَحٍ»^(٢).

ب - مَا يَنْبَغِي لَهَا مِنْ آدَابٍ:

١ - الْغُسْلُ وَالتَّطَيُّبُ وَتُبَسُّ الْجَمِيلِ مِنَ الثِّيَابِ، لِقَوْلِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْعِيدَيْنِ، أَنْ نَلْبَسَ أَجُودَ مَا نَجِدُ، وَأَنْ نَتَطَيَّبَ بِأَجُودِ مَا نَجِدُ، وَأَنْ نَضْحِيَ بِأَثْمَنِ مَا نَجِدُ»^(٣)، «وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَلْبَسُ بَرْدَةً حَبْرَةً فِي كُلِّ عِيدٍ»^(٤).

٢ - الْأَكْلُ قَبْلَ الْخُرُوجِ إِلَى صَلَاةِ عِيدِ الْفِطْرِ، وَالْأَكْلُ مِنْ كَيْدِ الْأَضْحَى بَعْدَ الصَّلَاةِ فِي عِيدِ الْأَضْحَى، لِقَوْلِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ، وَلَا يَأْكُلُ يَوْمَ الْأَضْحَى حَتَّى يَرْجِعَ، فَيَأْكُلُ مِنْ أَضْحِيَّتِهِ»^(٥).

٣ - التَّكْبِيرُ مِنْ لَيْلَتِي الْعِيدَيْنِ، وَيَسْتَمِرُّ فِي الْأَضْحَى إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَفِي الْفِطْرِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ الْإِمَامُ عَلَيْهِمُ لِلصَّلَاةِ.

ولفظه: اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، وَيَتَأَكَّدُ عِنْدَ الْخُرُوجِ إِلَى الْمُصَلَّى، وَبَعْدَ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَةِ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ الثَّلَاثَةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾^(٦). وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾. وَقَوْلِهِ: ﴿وَلِتَكْبِرُوا لِلَّهِ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾^(٧).

٤ - الْخُرُوجُ إِلَى الْمُصَلَّى مِنْ طَرِيقٍ، وَالرُّجُوعُ مِنْ أُخْرَى؛ لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ ذَلِكَ. قَالَ جَابِرٌ: «كَانَ النَّبِيُّ إِذَا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ»^(٨).

٥ - أَنْ تُصَلَّى فِي صَحْرَاءَ، إِلَّا لَضَرُورَةٍ مَطَرٍ وَنَحْوِهِ، فَتُصَلَّى فِي الْمَسَاجِدِ.

(١) أورده الحافظ في التلخيص ولم يتكلم عليه، هكذا قال الشوكاني في النبل.

(٢) البقرة.

(٣) رواه الحاكم وسنده لا بأس به.

(٤) الحج.

(٥) الشافعي ولا بأس بإسناده للمتابعة.

(٦) البخاري.

(٧) أخرجه الترمذي وغير واحد، وصححه ابن القطان.

لمواظبة النبي ﷺ على صلاتيها في الصحراء، كما ورد في الصحيح.

٦ - التهنية، بقول المسلم لأخيه: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكَ، لما رُوِيَ أَنَّ أَصْحَابَ الرَّسُولِ ﷺ كَانُوا إِذَا التَقَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَوْمَ الْعِيدِ قَالُوا: «تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ»^(١).

٧ - عَدَمُ الْحَرَجِ فِي التَّوَسُّعِ فِي الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَاللَّهُوِ الْمَبَاحِ، لقوله ﷺ في عيد الأضحى: «أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ، وَذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢). وقول أنس: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ أَبَدَلَكُمْ اللَّهُ تَعَالَى بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا، يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ الْأَضْحَى». وقوله لأبي بكر رضي الله عنه، وَقَدْ انْتَهَزَ جَارِيَتَيْنِ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ يَنْشِدَانِ الشِّعْرَ يَوْمَ الْعِيدِ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَإِنَّ الْيَوْمَ عِيدُنَا»^(٣).

ج - صفتها:

صِفَةُ صَلَاةِ الْعِيدِ، هِيَ أَنْ يَخْرُجَ النَّاسُ إِلَى الْمُصَلَّى يُكَبِّرُونَ، حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ بَعْضُ أُمْتَارٍ، قَامَ الْإِمَامُ فَصَلَّى - يَلَا أَدَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ - رَكَعَتَيْنِ يُكَبِّرُ فِي الْأُولَى سَبْعًا، بِتَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ وَالنَّاسُ يَكَبِّرُونَ مِنْ خَلْفِهِ بِتَكْبِيرِهِ، وَيَقْرَأُ بِالْفَاتِحَةِ وَسُورَةَ الْأَعْلَى جَهْرًا. وَيُكَبِّرُ فِي الثَّانِيَةِ سِتًّا بِتَكْبِيرَةِ الْقِيَامِ، وَيَقْرَأُ بِالْفَاتِحَةِ، وَسُورَةَ الْغَاشِيَةِ، أَوْ الشَّمْسِ وَضَحَاها. فَإِذَا سَلَّمَ، قَامَ فَخَطَبَ فِي النَّاسِ خُطْبَةً، يَجْلِسُ اثْنَاءَهَا جَلْسَةً خَفِيفَةً. فَيُعْظُ فِيهَا وَيُذَكِّرُ، يُخَلِّلُهَا بِالتَّكْبِيرِ، كَمَا يَفْتَتِحُهَا بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ. وَإِنْ كَانَ فِي فِطْرٍ حَتَّ عَلَى صَدَقَةِ الْفِطْرِ، وَبَيَّنَّ بَعْضُ أَحْكَامِهَا. وَإِنْ كَانَ فِي أَضْحَى، حَتَّ عَلَى سُنَّةِ الْأَضْحِيَّةِ، وَبَيَّنَّ السُّنَّ الْمُجَزَّةَ فِيهَا. وَإِذَا فَرَغَ انصَرَفَ النَّاسُ مَعَهُ، إِذْ لَا صَلَاةَ سُنَّةَ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا، اللَّهُمَّ إِلَّا مَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعِيدِ، فَإِنَّ لَهُ أَنْ يُصَلِّيَهَا أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، لقول ابن مسعود رضي الله عنه: مَنْ فَاتَتْهُ صَلَاةُ الْعِيدِ،

(٣) النسائي صحيح.

(٤) البخاري.

(١) أحمد بسند جيد.

(٢) مسلم.

فَلْيُصَلِّ أَرْبَعًا. وَأَمَّا مَنْ أَدْرَكَ مِنْهَا شَيْئًا مَعَ الْإِمَامِ وَلَوْ التَّشَهُّدَ، فَإِنَّهُ يَقُومُ بَعْدَ سَلَامِ الْإِمَامِ فَيُصَلِّيهِمَا رَكَعَتَيْنِ، كَمَا فَاتَتْهُ سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ.

المادة الثالثة عشرة: في صلاة الكسوف^(١):

١ - حكمها، ووقتها:

صلاة الكسوف، سنة مؤكدة في حق الرجال والنساء، أمر بها رسول الله ﷺ بقوله: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا تُخَسَفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَصَلُّوا»^(٢).

وفعلها كصلاة العيدين، ووقتها من ظهور الكسوف في أحد النيرين: الشمس أو القمر إلى التجلي، وإن وقع الكسوف في آخر النهار حيث تكره النافلة كراهة شديدة، استبدل بالصلاة ذكر الله والاستغفار والتضرع والدعاء.

٢ - ما يستحب فعله في الكسوف:

يستحب الإكثار من الذكر والتكبير والاستغفار والدعاء والصدقة والعتق والبر والصلة، لقوله ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا تُخَسَفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ وَكَبِّرُوا وَتَضَعُوا وُجُوهَكُمْ»^(١).

٣ - كيفيتها:

كيفية صلاة الكسوف: أن يجتمع الناس في المسجد بلا أذان ولا إقامة، ولا بأس أن يُنادى لها بلفظ: الصلاة جامعة، فيصلي الإمام ركعتين في كل ركعة ركوعان وقيامان، مع تطويل لكل من القراءة والركوع والسجود، وإذا انتهى الكسوف أثناء الصلاة فلهم أن يتموها على هيئة النافلة العادية.

وليس في صلاة الكسوف خطبة مسنونة، وإنما للإمام أن يذكر الناس ويعظهم

(١) الكسوف هو ذهاب ضوء أحد النيرين: الشمس أو القمر، أو بعضه أي بعض الضوء لهما.

(٢) البخاري.

إِنْ شَاءَ وَهُوَ حَسَنٌ. لَقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «خَسَفَتِ الشَّمْسُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَقَامَ فَكَبَّرَ وَصَفَّ النَّاسُ وَرَأَاهُ، فَاقْتَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قِرَاءَةً طَوِيلَةً، ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ رُكُوعًا طَوِيلًا هُوَ أَذْنَى مِنَ الْقِرَاءَةِ الْأُولَى، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، ثُمَّ قَامَ فَاقْتَرَأَ قِرَاءَةً طَوِيلَةً هِيَ أَذْنَى مِنَ الْقِرَاءَةِ الْأُولَى، ثُمَّ كَبَّرَ فَرَكَعَ رُكُوعًا هُوَ أَذْنَى مِنَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ فَعَلَ فِي الرُّكْعَةِ الْأُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى اسْتَكْمَلَ أَرْبَعَ رُكْعَاتٍ (رُكُوعَاتٍ) وَأَرْبَعَ سَجَدَاتٍ، وَانْجَلَّتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يُنْصَرَفَ، ثُمَّ قَامَ، فَخَطَبَ النَّاسَ، فَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنَ آيَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا تَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَافْزِعُوا لِلصَّلَاةِ»^(٢).

٤ - خُسُوفُ الْقَمَرِ:

الصَّلَاةُ فِي خُسُوفِ الْقَمَرِ، كَالصَّلَاةِ فِي خُسُوفِ الشَّمْسِ، لَقَوْلِهِ ﷺ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَافْزِعُوا لِلصَّلَاةِ»^(٣). غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ رَأَوْا أَنَّ صَلَاةَ خُسُوفِ الْقَمَرِ كَسَائِرِ النُّوَافِلِ، تُصَلَّى أَفْرَادًا فِي الْبُيُوتِ وَالْمَسَاجِدِ فَلَا يُجْمَعُ فِيهَا وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يُثَبِّتْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَمَعَ النَّاسَ فِيهَا، كَمَا فَعَلَ فِي خُسُوفِ الشَّمْسِ.

هَذَا وَالْأَمْرُ وَاسِعٌ، فَمَنْ شَاءَ جَمَعَ، وَمَنْ شَاءَ صَلَّى مُنْفَرِدًا، إِذَا الْمَطْلُوبُ أَنْ يَفْزَعَ الْمُسْلِمُونَ لِلصَّلَاةِ وَالِدَعَاءِ رِجَالًا وَنِسَاءً لِيَكْشِفَ اللَّهُ بِهِمْ.

المادة الرابعة عشرة: في صلاة الاستسقاء:

١ - حكمها:

صلاة الاستسقاء، سنة مؤكدة فعلها رسول الله ﷺ وأعلنها في الناس وخرج لها إلى المصلّى، قال عبد الله بن زيد: «خرج النبي ﷺ يستسقي، فتوجه إلى القبلة

(١) البخاري.

(٢) مسلم.

وَحَوْلَ رِدَاءَهُ، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ، جَهَرَ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ»^(١).

٢ - مَعْنَاهَا:

وَهِيَ طَلَبُ السَّقْيِ^(٢) مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْبَلَادِ وَالْعِبَادِ بِالصَّلَاةِ وَالِدُعَاءِ،
وَالِاسْتِغْفَارِ عِنْدَ حُصُولِ الْجَدْبِ.

٣ - وَقْتُهَا:

وَقْتُ صَلَاةِ الْعِيدِ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «خَرَجَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
حِينَ بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ»^(٣).

غَيْرَ أَنَّهَا تَفْعَلُ فِي كُلِّ وَقْتٍ، مَا عَدَا أَوْقَاتِ الْكَرَاهَةِ الَّتِي نُهِيَ عَنِ الصَّلَاةِ فِيهَا.

٤ - مَا يَسْتَحَبُّ قَبْلَهَا:

يَسْتَحَبُّ أَنْ يُعْلِنَ عَنْهَا الْإِمَامُ قَبْلَ مَوَاعِدِهَا بِأَيَّامٍ، وَأَنْ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى التَّوْبَةِ مِنَ
الْمَعَاصِي وَالْخُرُوجِ مِنَ الْمَظَالِمِ، وَإِلَى الصِّيَامِ وَالصَّدَقَةِ، وَتَرْكِ الْمَشَاجِنِ، لِأَنَّ
الْمَعَاصِيَ سَبَبُ الْجَدْبِ، كَمَا أَنَّ الطَّاعَاتِ سَبَبُ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ.

٥ - صِفَتُهَا:

وَصِفَتُهَا: أَنْ يَخْرُجَ الْإِمَامُ وَالنَّاسُ إِلَى الْمَصَلَّى فَيُصَلِّي بِهِمْ، رَكَعَتَيْنِ يَكْبِرُ إِنْ
شَاءَ فِي الْأُولَى سَبْعًا، وَالثَّانِيَةِ خَمْسًا كَصَلَاةِ الْعِيدِ، وَيَقْرَأُ فِي الْأُولَى جَهْرًا: بِسَبْحِ
اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى بَعْدَ الْفَاتِحَةِ، وَفِي الثَّانِيَةِ بِالْعَاشِيَةِ، ثُمَّ يَسْتَقْبِلُ النَّاسَ وَيَخْطُبُ خُطْبَةً
يُكْثِرُ فِيهَا مِنَ الْاسْتِغْفَارِ، ثُمَّ يَدْعُو وَالنَّاسَ يُؤْمِنُونَ، ثُمَّ يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ فَيَحْوِلُ رِدَاءَهُ مَا

(١) متفق عليه.

(٢) سبب الجدب وقلة المطر الذنوب وكثرة المعاصي، يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم «لم ينقص قوم
المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا
منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا» ابن ماجه.

(٣) رواه أبو داود والحاكم وصححه.

على اليمين على اليسار، وما على اليسار على اليمين، ويحوّل الناس أُرديتهم، ثم يدعون ساعة وينصرفون.

وذلك لقول أبي هريرة رضي الله عنه: «خَرَجَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ يَسْتَسْقِي وَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ بِلَا أَذَانٍ وَلَا إِقَامَةٍ، ثُمَّ خَطَبَنَا وَدَعَا اللَّهَ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ نَحْوَ الْقِبْلَةِ رَافِعاً يَدَيْهِ ثُمَّ قَلَبَ رِدَاءَهُ فَجَعَلَ الْيَمْنَ عَلَى الْاَيْسَرِ، وَالْاَيْسَرَ عَلَى الْاَيْمَنِ»^(١).

٦ - بَعْضُ مَا وَرَدَ مِنْ أَلْفَاظِ الدَّعَاءِ فِيهَا:

رُويَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَسْقَى قَالَ: «اللَّهُمَّ أَسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا»^(٢) مَرِيئًا غَدَقًا^(٣) مُجَلَّلًا عَامًّا طَبَقًا^(٤) سَحًا دَائِمًا. اللَّهُمَّ أَسْقِنَا الْغَيْثَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، اللَّهُمَّ بِالْعِبَادِ وَالْبِلَادِ وَالْبَهَائِمِ وَالْخَلْقِ مِنَ اللَّأْوَاءِ وَالْجَهْدِ وَالضَّنَكِ مَا لَا نَشْكُوهُ إِلَّا إِلَيْكَ. اللَّهُمَّ أَنْبِتْ لَنَا الزَّرْعَ وَأِدِّرْ لَنَا الضَّرْعَ، وَأَسْقِنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَنْبِتْ لَنَا مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ. اللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنَّا الْجَهْدَ وَالْجُوعَ وَالْعُرْيَ، وَاكْشِفْ عَنَّا مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا يَكْشِفُهُ غَيْرُكَ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ، إِنَّكَ كُنْتَ غَفَّارًا، فَأَرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَارًا. اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبِهَائِمَكَ، وَانْشُرْ رَحِمَتَكَ، وَأَخِي بِلَدِكَ الْمَيِّتَ»^(٥).

كَمَا رُويَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْمَطَرِ: «اللَّهُمَّ سَقِّيا رَحْمَةً وَلَا سَقِّيا عَذَابٍ، وَلَا بَلَاءً، وَلَا هَدْمًا وَلَا غَرَقًا، اللَّهُمَّ عَلَى الضَّرَابِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ، اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا»^(٦).

(١) أحمد وابن ماجه والبيهقي وقالوا رواه ثقات.

(٢) محمود العاقبة، والمريع الذي يأتي بالريع.

(٣) الغدق: الكثير.

(٤) الطبق: العام.

(٥) ابن ماجه ورجال سنده ثقات وبعض الألفاظ لأبي داود.

(٦) الشافعي وأغلب ألفاظه في الصحيحين، والضراب: الروابي.

الفصل التاسع

في أحكام الجنائز

وفيه ثلاث مواد:

المادة الأولى: فيما ينبغي من لدن المريض إلى الوفاة:

١ - وجوب الصبر:

ينبغي للمسلم إذا نزل به ضرر فلا يتسخط ولا يظهر الجزع، إذ أمر الله ورسوله بالصبر في غير ما آية وحديث، غير أنه لا بأس أن يقول المريض إذا سُئِلَ عن حاله: 'إني مريض، أوي ألم، والحمد لله على كل حال'.

٢ - استحباب التداوي:

يستحب للمسلم المريض التداوي بالأدوية المباحة، لقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً فَتَدَاوُوا»^(١). غير أنه لا يجوز التداوي بالمحرم كالخمر والخنزير ونحوهما لقول الرسول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِي مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ»^(٢).

٣ - جواز الاسترقاء:

يجوز للمسلم الاسترقاء بالآيات القرآنية والأدعية النبوية والكلام الطيب لقوله ﷺ: «لَا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ»^(٣).

٤ - تحريم التمايم والعزائم:

يحرم تعليق واستعمال العزائم، فلا يجوز للمسلم أن يعلق تميمة لقوله ﷺ:

(٣) مسلم.

(٢) رواه الطبراني بإسناد صحيح.

(١) ابن ماجة والحاكم وصححه.

«مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ»^(١). وقوله ﷺ: «مَنْ عَلَّقَ تَمِيمَةً فَلَا أَتَمُّ اللَّهُ لَهُ، وَمَنْ عَلَّقَ وَدْعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ»^(٢). وقوله ﷺ للذي أَبْصَرَ علي يَدِهِ حَلْقَةً مِنْ صُفْرِ: «وَيْحَكَ مَا هَذِهِ؟» قَالَ: «مِنَ الْوَاهِنَةِ، قَالَ: انْزِعْهَا، فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَّا وَهْنًا، وَإِنَّكَ لَوِيتَ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا»^(٣).

٥ - بَعْضُ مَا كَانَ يَسْتَشْفِي بِهِ ﷺ:

كَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَضَعُ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ عَلَى الْمَرِيضِ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهَبِ الْبَاسَ. أَشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ شِفَاءً لَا يُعَادِرُ سَقَمًا»^(٤). وَقَالَ لِلَّذِي شَكَا إِلَيْهِ وَجَعًا: «ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي يَأْلُمُ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِاسْمِ اللَّهِ وَقُلْ سَبْعَ مَرَاتٍ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاطِرُ»^(٥). كَمَا رَوَى مُسْلِمٌ أَيْضًا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اشْتَكَى فَرَقَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ: بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُ أَرْقِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ، أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ.

٦ - جَوَازُ اسْتِطْبَاطِ الْكَافِرِ وَالْمَرْأَةِ:

أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى جَوَازِ مَدَاوَاةِ الْكَافِرِ (إِذَا كَانَ أَمِينًا) لِلْمُسْلِمِ، وَعَلَى جَوَازِ مَدَاوَاةِ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةِ لِلرَّجُلِ فِي حَالِ الضَّرُورَةِ، إِذْ اسْتُخْدِمَ الرَّسُولُ ﷺ بِغُضِّ الْمُشْرِكِينَ فِي بَعْضِ الشُّؤُنِ^(٦). وَكَانَ نِسَاءُ الصَّحَابَةِ يُدَاوِينَ الْجُرْحَى فِي الْجِهَادِ عَلَى عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ^(٧).

(١) أحمد والحاكم وصححه.

(٢) أحمد والحاكم وقال صحيح وقال صحيح الإسناد.

(٣) أحمد.

(٤) البخاري.

(٥) مسلم.

(٦) من ذلك ما روى البخاري من استحجاره ﷺ لرجل خريت يعرف الطريق.

(٧) روى البخاري عن الربيع بنت معوذ قولها: كنا نغزو مع الرسول ﷺ نسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة.

٧ - جَوَازُ اتِّخَاذِ الْمَحَاجِرِ الصَّحِيَّةِ :

يَجُوزُ بَلْ يَسْتَحَبُّ أَنْ يُجْعَلَ أَصْحَابُ الْأَمْرَاضِ الْمُعْدِيَةِ فِي جَنَاحٍ خَاصٍّ مِنَ الْمُسْتَشْفَيَاتِ، وَأَنْ يُمْنَعَ الْأَصْحَاءُ مِنَ الْإِتِّصَالِ بِهِمْ سِوَى مُمَرِّضِهِمْ، لِقَوْلِهِ ﷺ لِأَصْحَابِ الْإِبِلِ: «لَا يُورَدَنَّ مُمَرِّضٌ عَلَى مِصْحٍ»^(١). فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الْحَيَوَانِ فَفِي الْإِنْسَانِ مِنْ بَابِ أَوْلَى، وَلِقَوْلِهِ ﷺ فِي الطَّاعُونَ: «إِذَا وَقَعَ بَارِضٌ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا وَإِذَا وَقَعَ بَارِضٌ وَلَسْتُمْ بِهَا فَلَا تَهَيِّطُوا عَلَيْهَا»^(٢). وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «لَا عَذْوَى وَلَا طَيْرَةَ»^(٣) فَمَعْنَاهُ لَا عَذْوَى مُؤَثِّرَةٌ بِنَفْسِهَا، أَيْ بِدُونِ إِرَادَةِ اللَّهِ ذَلِكَ، إِذْ لَا يَقَعُ فِي مُلْكِ اللَّهِ مَا لَا يُرِيدُ، وَهَذَا غَيْرُ مَانِعٍ مِنْ اتِّخَاذِ سَبَبِ الْوِقَايَةِ مَعَ اعْتِقَادِ أَنْ لَا وَاقِيَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ الَّذِي لَا يَقِيهِ اللَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَسْلَمَ. وَقَدْ سُئِلَ ﷺ عَنِ الْجَمَلِ الْأَجْرَبِ فَقَالَ: وَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟^(٤).

فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ التَّأثيرَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَأَنَّ مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

٨ - وَجُوبُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ :

يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ عِيَادَةُ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ إِذَا مَرَضَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَطْعِمُوا الْجَائِعَ وَعُدُّوا الْمَرِيضَ، وَفُكُّوا الْعَانِي - الْأَسِيرَ»^(٥). وَيَسْتَحَبُّ لَهُ إِذَا عَادَهُ فِي مَرَضِهِ أَنْ يَدْعُوهُ بِالشِّفَاءِ وَأَنْ يوصِيَهُ بِالصَّبْرِ، وَأَنْ يَقُولَ لَهُ مَا يُطِيبُ بِهِ نَفْسَهُ، كَمَا يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ لَا يُطِيلَ الْجُلُوسَ عِنْدَهُ، وَكَانَ ﷺ إِذَا عَادَ مَرِيضًا قَالَ لَهُ: «لَا بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»^(٦). فَلْيَقُلْ الْمُسْلِمُ ذَلِكَ لِأَخِيهِ.

٩ - وَجُوبُ حَسَنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ حَالَ الْمَرَضِ :

يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ إِذَا مَرَضَ وَأَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ أَنْ يُحْسِنَ الظَّنَّ بِاللَّهِ مِنْ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ سَوْفَ يَرْحَمُهُ وَلَا يَعَذِّبُهُ، وَيَغْفِرَ لَهُ وَلَا يَأْخِذْهُ، وَأَنَّهُ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ وَرَحْمَتُهُ وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ»^(٧).

١٠ - تَلْقِينُ الْمَيِّتِ :

يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ إِذَا عَينَ احْتِضَارَ أَخِيهِ أَنْ يُلْقِنَهُ كَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ فيقولُ عِنْدَهُ:

(١) البخاري (٦، ٥).

(٢) الترمذي وصححه.

(٣) مسلم (٧، ٤، ٣، ١).

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَذْكُرُهُ بِهَا حَتَّى يَذْكُرَهَا وَيَقُولُهَا، فَإِذَا قَالَهَا كَفَّ عَنْهُ، وَإِنْ هُوَ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ غَيْرِهَا أَعَادَ تَلْقِينَهُ رَجَاءً أَنْ يَكُونَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَقِنَا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(١). وقوله: مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٢).

١١ - تَوْجِيهُ الْمُحْتَضِرِ إِلَى الْقَبْلَةِ:

يَنْبَغِي أَنْ يُوَجَّهَ الْمُحْتَضِرُ، وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَتْ عَلَيْهِ عَلَامَاتُ الْمَوْتِ، إِلَى الْقَبْلَةِ مُضْطَجِعاً عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ، وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ فَمُسْتَلْقِياً عَلَى ظَهْرِهِ وَرِجْلَاهُ إِلَى الْقَبْلَةِ، وَإِنْ اشْتَدَّتْ بِهِ سَكَرَاتُ الْمَوْتِ قُرِئَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ (يَس) رَجَاءً أَنْ يُخَفِّفَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِبَرَكَتِهَا لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فَتُقْرَأَ عِنْدَهُ (يَس) إِلَّا هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْهِ»^(٣).

١٢ - تَغْمِيزُ عَيْنَيْهِ وَتَسْحِيَّتُهُ:

إِذَا فَاضَتْ رُوحُ الْمُسْلِمِ وَجَبَ تَغْمِيزُ عَيْنَيْهِ وَسِتْرُهُ بَغِطَاءٍ وَأَنْ لَا يُقَالَ عِنْدَهُ إِلَّا خَيْرًا: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ. اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ» لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا حَضَرْتُمْ الْمَرِيضَ أَوِ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»^(٤) وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ^(٥) عِنْدَمَا مَاتَ فَأَغْمَضَهُ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ، فَضِجْ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ فَقَالَ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»^(٦).

المادة الثانية: فيما ينبغي من وفاته إلى دَفْنِهِ:

١ - الإِعْلَانُ عَنْ وَفَاتِهِ:

يَسْتَحَبُّ أَنْ تُعْلَنَ وَفَاةُ الْمُسْلِمِ فِي أَقْرَبَائِهِ وَأَصْدِقَائِهِ وَالصَّالِحِينَ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ

(١) ٣، ٤، ٦ مسلم.

(٢) أحمد وأبو داود وهو صحيح.

(٥) رواه صاحب الفردوس عن أبي الدرداء وأبي ذر وهو ضعيف.

(٧) شق بصر الميت: نظر إلى شيء لا يرتد إليه طرفه.

لِيَحْضُرُوا جَنَازَتَهُ، فَقَدْ نَعَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النِّجَاشِيَّ لِلنَّاسِ لَمَّا مَاتَ فِي الصَّحِيحِ .
كَمَا نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا؛ وَعَبَدَ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ لَمَّا اسْتَشْهَدُوا . وَإِنَّمَا النَّعْيُ الْمُنْهِيُّ عَنْهُ
هُوَ مَا كَانَ فِي الشُّوَارِعِ ، وَعَلَى أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ وَصِيَّاحٍ فَمِثْلُ ذَلِكَ
مُنْهِيٌّ عَنْهُ شَرْعًا .

٢ - تَحْرِيمُ النَّيَاحَةِ ، وَجَوَازُ الْبُكَاءِ :

يَحْرُمُ النَّوْحُ وَالصُّرَاخُ عَلَى الْمَيِّتِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ
الْحَيِّ»^(١) . وَقَوْلِهِ: «مَنْ نَيَّحَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ بِمَا نَيَّحَ عَلَيْهِ»^(٢) . وَكَانَ ﷺ يَأْخُذُ الْبَيْعَةَ
عَلَى النِّسَاءِ أَنْ لَا يَنْحُنَّ، قَالَتْهُ أُمُّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي الصَّحِيحِ، وَقَالَ ﷺ: «إِنِّي
بَرِيءٌ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالْحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ»^(٣) .

أَمَّا الْبُكَاءُ فَلَا بَأْسَ بِهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ لَمَّا تُوفِّي وَلَدُهُ إِبْرَاهِيمُ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَذْمَعُ
وَالْقَلْبُ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا . وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ»^(٤) .
وَبَكَى ﷺ لِمَوْتِ أُمَامَةَ بِنْتِ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ . فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَبْكِي، أَوْ لَمْ تَنْهَ عَنْ
الْبُكَاءِ؟ فَقَالَ: «إِنَّمَا هِيَ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ
الرَّحْمَاءَ»^(٥) .

٣ - تَحْرِيمُ الْأَحْدَادِ^(٦) أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ :

يَحْرُمُ أَنْ تَجِدَّ الْمُسْلِمَةُ عَلَى مَيِّتٍ لَهَا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا عَلَى زَوْجِهَا، فَإِنَّهَا
تَجِدُّ وَجُوبًا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرًا، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تُجِدُّ الْمَرْأَةُ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثٍ إِلَّا
عَلَى زَوْجٍ، فَإِنَّهَا تُجِدُّ عَلَيْهِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرًا»^(٧) .

٤ - قَضَاءُ دُيُونِهِ :

تَنْبَغِي الْمَبَادَرَةُ بِقَضَاءِ دُيُونِ الْمَيِّتِ إِنْ كَانَ عَلَيْهِ دُيُونٌ، إِذْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَمْتَنِعُ
مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى صَاحِبِ الدَّيْنِ حَتَّى يُقْضَى دَيْنُهُ . وَقَالَ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مَعْلُوقَةٌ بِدَيْنِهِ،
حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»^(٨) .

(١)، (٣)، (٤)، (٥) البخاري .

(٢) مسلم .

(٧) متفق عليه .

(٨) البخاري .

(٦) الإحْدَاد: تَرَكَ الزَّيْنَةَ، مِنَ لِبَاسٍ وَكُحْلٍ وَحَنَاءٍ وَطِيبٍ .

٥ - الاستِرْجَاعُ، والدَّعَاءُ، والصَّبْرُ:

ينبغي لأهل المِيتِ أن يلزموا الصَّبْرَ في هذه السَّاعَةِ بالخصوصِ، لقوله ﷺ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدَمَةِ الْأُولَى»^(١). وأن يُكثِرَ من الدَّعَاءِ والاستِرْجَاعِ، لقوله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ تَصِيبُهُ مَصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مَصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»^(٢). وقوله: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «مَا لِعِبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ»^(٣).

٦ - وَجُوبُ تَغْسِيلِهِ:

إِذَا مَاتَ الْمُسْلِمُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا وَجَبَ تَغْسِيلُهُ، سواءَ كَانَ جَسَدُهُ كَامِلًا أَوْ كَانَ بَعْضُهُ فَقْطًا، وَالَّذِي لَا يَغْسَلُ مِنْ مَوْتَى الْمُسْلِمِينَ هُوَ شَهِيدُ الْمَعْرَكَةِ الَّذِي سَقَطَ قَتِيلًا بِأَيْدِي الْكُفَّارِ، فِي مِيزَانِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، لقوله ﷺ: «لَا تَغْسِلُوهُمْ فَإِنْ كُلُّ جَرْحٍ، أَوْ كُلُّ دَمٍ يَفُوحُ مِسْكَاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

٧ - صِفَةُ غَسْلِ الْمِيتِ:

لَوْ أَفْرِغَ الْمَاءُ عَلَى جَسَدِ الْمِيتِ، وَذَلِكَ حَتَّى عَمَّ الْمَاءُ سَائِرَهُ لِأَجْزَاءِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ الصِّفَةُ الْمُسْتَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ هِيَ:

أَنْ يُوضَعَ الْمِيتُ عَلَى شَيْءٍ مُرْتَفِعٍ، وَتَتَوَلَّى غَسْلُهُ أَمِينٌ صَالِحٌ، لقوله ﷺ: «لِيُغْسَلَ مَوْتَاكُمْ الْمَأْمُونُونَ»، فَيَغْصَرُ بَطْنُهُ بِرَفْقٍ لِمَا عَسَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ مِنْ أَدَى ثُمَّ يُلْفُ عَلَى يَدِهِ خِرْقَةً، وَيُنَوِي غَسْلَهُ، ثُمَّ يَغْسِلُ فَرْجَهُ، وَمَا بِهِ مِنْ أَدَى، ثُمَّ يَنْزِعُ الْخِرْقَةَ وَيُوضِعُهَا وَضْعَ الصَّلَاةِ، ثُمَّ يَغْسِلُ سَائِرَ جَسَدِهِ بَادِئًا بِأَعْلَاهُ إِلَى أَسْفَلِهِ، يَغْسِلُهُ ثَلَاثًا، وَإِنْ لَمْ يَحْصُلْ نَقَاءُ غَسْلِهِ خَمْسًا، وَيَجْعَلُ فِي الْغَسَلَاتِ الْأَخِيرَةِ صَابُونًا وَنَحْوَهُ. وَإِنْ كَانَ الْمِيتُ مُسْلِمَةً، تُقَضَّتْ ضَفَائِرُ شَعْرِهَا وَغُسِلَتْ، ثُمَّ أُعِيدَ صَفْرُهَا، إِذْ

(٤) أحمد بسند صحيح.

(٣) مسلم.

(١، ٢) البخاري.

أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْ يُفْعَلَ بِشَعْرِ ابْنَتِهِ هَكَذَا»^(١). ثُمَّ يُوَضَّعُ عَلَيْهِ الْحُنُوطُ، الطِّيبُ وَنَحْوُهُ.

٨ - مِنْ عَجَزَ عَنْ غَسْلِهِ يُمَّمُ:

إِذَا لَمْ يُوجَدْ مَاءٌ لَغُسْلِ الْمَيِّتِ، أَوْ مَاتَ رَجُلٌ بَيْنَ نِسَاءٍ أَوْ امْرَأَةٌ بَيْنَ رِجَالٍ يُمَّمُ وَكَفَّنَ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ وَدُفِنَ، وَيَقُومُ التَّيْمُمُ مَقَامَ الْغُسْلِ عِنْدَ الْعَجَزِ، كَالْجَنْبِ إِذَا عَجَزَ عَنِ الْغُسْلِ تَيَّمَّمَ وَصَلَّى. وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: (إِذَا مَاتَتِ الْمَرْأَةُ مَعَ رِجَالٍ لَيْسَ مَعَهُمْ امْرَأَةٌ غَيْرُهَا، وَالرَّجُلُ مَعَ النِّسَاءِ لَيْسَ مَعَهُنَّ رَجُلٌ غَيْرُهُ، فَإِنْهُمَا يُيَمَّمَانِ وَيُدْفَنَانِ)^(٢). وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَمْ يَجِدْ الْمَاءَ.

٩ - تَغْسِيلُ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ صَاحِبَهُ:

يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يُغْسِلَ امْرَأَتَهُ، وَلِلْمَرْأَةِ أَنْ تَغْسِلَ زَوْجَهَا، لِقَوْلِهِ ﷺ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (لَوْ مِتَّ لَغَسَلْتُكَ وَكَفَّنْتُكَ)^(٣). وَلِأَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، غَسَلَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا^(٤).

كَمَا يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَغْسِلَ الصَّبِيَّ ابْنَ سِتِّ سَنَوَاتٍ فَأَقْلَ. وَأَمَّا تَغْسِيلُ الرَّجُلِ الصَّبِيَّةَ فَقَدْ كَرِهَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ.

١٠ - وَجُوبُ تَكْفِينِهِ:

يَجِبُ أَنْ يَكْفَنَ الْمُسْلِمُ إِذَا غُسِّلَ، بِمَا يَسْتُرُ سَائِرَ جَسَدِهِ، فَقَدْ كُفِّنَ مَصْعَبُ ابْنِ عُمَيْرٍ مِنْ شَهَدَاءِ أَحَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَرْدَةٍ قَصِيرَةٍ، فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَغْطُوا رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ، وَأَنْ يَغْطُوا رِجْلَيْهِ بِالْإِذْخِرِ - نَبَاتٌ^(٥). فَذَلِكَ هَذَا عَلَى فَرِيضَةِ تَغْطِيَةِ سَائِرِ الْجَسَدِ.

(١)، (٢) البخاري.

(٣) أبو داود وهو مرسل، غير أن العمل به عند جماهير الشعب.

(٤) رواه ابن ماجه، وفي سنده ضعف وزال بالمتابعة.

(٥) رواه البيهقي والدارقطني والشافعي، وإسناده حسن.

١١ - استحبابُ بياضِ الكَفَنِ ونظافتهِ :

يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ الكَفَنُ أبيضَ نظيفاً، جديداً كانَ أو قديماً، لقوله ﷺ: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ»^(١). كما يُسْتَحَبُّ أَنْ يُجَمَّرَ الكَفَنُ - بالعود - لقوله ﷺ: «إِذَا أَجْمَرْتُمُ المَيِّتَ فَاجِمِرُوهُ ثَلَاثًا»^(٢). وَأَنْ يَكُونَ ثَلَاثَ لِفَافٍ للرجلِ، وخمساً للمرأة، فقد كَفَّنَ الرسولُ ﷺ في ثَلَاثِ ثِيَابٍ بياضٍ سَحُولِيَّةٍ جُددٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ، إِلَّا المَحْرَمَ فَإِنَّهُ يَكْفُنُ فِي إِحْرَامِهِ: رِدَائِهِ وَإِزَارِهِ فَقَطْ وَلَا يُطَيَّبُ وَلَا يُعْطَى رَأْسُهُ إِبْقَاءً عَلَى إِحْرَامِهِ، لقوله ﷺ في الَّذِي وَقَعَ مِنْ عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ عَرَفَاتٍ فَمَاتَ، «غَسِّلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْهِ، وَلَا تَحْنُطُوهُ، وَلَا تَحْمُرُوا رَأْسَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبَّيًّا»^(٣). وَلَا تُخَمِّرُوا: أَي لَا تُغَطُّوا.

١٢ - كَفَنُ الحَرِيرِ :

يُحْرَمُ أَنْ يَكْفَنَ المُسْلِمُ فِي ثَوْبٍ حَرِيرٍ، إِذَا الحَرِيرُ مُحَرَّمٌ لِبَسُهُ عَلَى الرِّجَالِ، فَيُحْرَمُ تَكْفِينُهُمْ فِيهِ. وَأَمَّا المُسْلِمَةُ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ لِبَسَ الحَرِيرِ حَلَالاً لَهَا، فَإِنَّهُ يَكْرَهُ لَهَا أَنْ تَكْفَنَ فِيهِ، لِأَنَّهُ إِسْرَافٌ وَمَغَالَاةٌ نَهَى عَنْهُمَا الشَّارِعُ، فَقَدْ رَوَى عَنْهُ ﷺ: «لَا تُغَالُوا بِالكَفَنِ فَإِنَّهُ يُسَلَّبُ سَرِيعاً»^(٤). وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ الْحَيَّ أَوْلَى بِالْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ، إِنَّمَا هُوَ لِلْمُهَلَّةِ - الْقَيْحِ - أَوِ الصَّدِيدِ يَسِيلُ مِنَ الْمَيِّتِ»^(٥).

١٣ - الصَّلَاةُ عَلَيْهِ :

وَالصَّلَاةُ عَلَى المُسْلِمِ إِذَا مَاتَ فَرَضٌ كَفَايَةً كَغَسْلِهِ وَكَفْنِهِ وَدْفْنِهِ، إِذَا قَامَ بِهَا بَعْضُ المُسْلِمِينَ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي عَلَى أَمْوَاتِ المُسْلِمِينَ، حَتَّى أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ أَنْ يَلْتَزِمَ بِدُيُونِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا مَاتَ المُسْلِمُ وَتَرَكَ دَيْنًا لَمْ يُقْضَ يَمْتَنِعُ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ»^(٦).

(١) الترمذي وصححه.

(٢) متفق عليه.

(٣) (٥، ٦) البخاري.

(٤) أبو داود وفي سنده مقال.

(٥) أحمد والحاكم وصححه.

١٤ - شروط الصلاة على الميت:

يُشْتَرَطُ للصلاة على الجَنَازَةِ، ما يُشْتَرَطُ للصلاة من طَهَارَةِ الْحَدَثِ وَالْخَبَثِ، وَسِتْرِ الْعَوْرَةِ، وَاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ، لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ سَمَّاها صَلَاةً، فَقَالَ: صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ، فَتُعْطَى إِذَا حُكِمَ الصَّلَاةُ فِي شُرُوطِهَا.

١٥ - فروضها:

فروض صلاة الجَنَازَةِ هي: الْقِيَامُ لِلْقَادِرِ عَلَيْهَا، وَالنِّيَّةُ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ». وقراءة الْفَاتِحَةِ، أَوِ الْحَمْدُ وَالنَّشَاءُ عَلَى اللَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَالتَّكْبِيرَاتُ الْأَرْبَعُ، وَالدَّعَاءُ، وَالسَّلَامُ.

١٦ - كيفيتها:

وكيفيتها هي: أَنْ تُوضَعَ الْجَنَازَةُ أَوِ الْجَنَائِزُ قِبْلَةً، وَيَقِفَ الْإِمَامُ وَالنَّاسُ وَرَاءَهُ ثَلَاثَةَ صُفُوفٍ، فَأَكْثَرُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ثَلَاثَةَ صُفُوفٍ فَقَدْ أُوجِبَتْ»^(١). فيرفع يديه ناوياً الصلاة على الميت أو الأموات، إِنْ تَعَدَّدُوا قَائِلًا: اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ يَقْرَأُ الْفَاتِحَةَ أَوْ يَحْمَدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ ثُمَّ يَكْبِرُ رَافِعاً يَدَيْهِ إِنْ شَاءَ، أَوْ يَتْرُكُهُمَا عَلَى صَدْرِهِ، الْيُمْنَى فَوْقَ الْيُسْرَى، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الصَّلَاةَ الْإِبْرَاهِيمِيَّةَ، ثُمَّ يَكْبِرُ وَيَدْعُو لِلْمَيِّتِ، ثُمَّ يَكْبِرُ وَإِنْ شَاءَ دَعَا وَسَلَّمَ بَعْدَ التَّكْبِيرَةِ الرَّابِعَةِ مَبَاشَرَةً تَسْلِيمَةً وَاحِدَةً، لَمَا رُوي أَنَّ السُّنَّةَ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْجَنَازَةِ أَنْ يُكْبَرَ الْإِمَامُ، ثُمَّ يَقْرَأُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ بَعْدَ التَّكْبِيرَةِ الْأُولَى سِرّاً فِي نَفْسِهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَيُخْلِصُ الدَّعَاءَ لِلْجَنَازَةِ فِي التَّكْبِيرَاتِ، وَلَا يَقْرَأُ فِي شَيْءٍ مِنْهُنَّ ثُمَّ يُسَلِّمُ سِرّاً فِي نَفْسِهِ^(٢).

١٧ - المسبوق في صلاة الجَنَازَةِ:

والمسبوق إِنْ شَاءَ قَضَى مَا فَاتَهُ مِنَ التَّكْبِيرِ مُتَتَابِعاً، وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ وَسَلَّمَ مَعَ الْإِمَامِ لِقَوْلِهِ ﷺ لعائشةَ وَقَدْ سَأَلَتْهُ أَنَّهُ يُخْفِي عَلَيْهَا بَعْضَ التَّكْبِيرِ لَا تَسْمَعُهُ «مَا سَمِعَتْ

(٢) الشافعي وصحح الحافظ إسناده.

(١) الترمذي وحسنه.

فَكَبَّرِي وَمَا فَاتَكَ فَلَا قَضَاءَ عَلَيْكَ» احتجَّ بهذا الحديث صاحبُ المغني، ولم أقف له على تخريجٍ .

١٨ - مَنْ دُفِنَ وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِ:

مَنْ دُفِنَ وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِ صَلَّيْ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ، إِذْ صَلَّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الَّتِي تَقُمُ الْمَسْجِدَ بَعْدَ أَنْ دُفِنَتْ وَصَلَّي أَصْحَابُهُ خَلْفَهُ^(١). كَمَا يُصَلِّي عَلَى الْغَائِبِ وَلَوْ بَعُدَتْ الْمَسَافَةُ، إِذْ صَلَّي ﷺ عَلَى النَّجَاشِيِّ وَهُوَ فِي الْحَبَشَةِ وَالرُّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ^(٢).

١٩ - أَلْفَاظُ الدَّعَاءِ:

رُوِيَ^(٣) عَنْهُ ﷺ أَلْفَاظُ أَدْعِيَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْهَا مَا يَلِي - وَأَيُّ لَفْظٍ اسْتَعْمَلَ مِنْهَا أَجْزَأُ:

«اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانًا ابْنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ وَحَبْلٍ جَوَارِكَ فَقِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ. اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا وَذَكَرِنَا وَأُنثَانَا وَحَاضِرِنَا وَغَائِبِنَا. اللَّهُمَّ مِنْ أَحْيَيْتَهُ مَنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مَنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الْإِيمَانِ. اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ».

وإن كَانَ الْمَيِّتُ صَبِيًّا قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَوْلَدِيهِ سَلَفًا وَذُخْرًا وَفَرْطًا وَثَقَلْ بِهِ مَوَازِينَهُمْ وَأَعْظِمْ بِهِ أَجُورَهُمْ، وَلَا تَحْرِمْنَا وَإِيَّاهُمْ أَجْرَةَ وَلَا تَفْتُنَّا وَإِيَّاهُمْ بَعْدَهُ. اللَّهُمَّ الْحَقُّهُ بِصَالِحِ سَلَفِ الْمُؤْمِنِينَ فِي كِفَالَةِ إِبْرَاهِيمَ وَأَبْدَلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَعَافِهِ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَمَنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ».

٢٠ - تَشْيِيعُ الْجَنَازَةِ وَفَضْلُهُ:

مِنْ السَّنَةِ تَشْيِيعُ الْجَنَازَةِ وَهُوَ الْخُرُوجُ مَعَهَا، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «عُودُوا الْمَرِيضَ وَامْشُوا مَعَ الْجَنَازَةِ تَذَكُّرُكُمْ الْآخِرَةِ»^(٤). وَالْإِسْرَاعُ بِهَا لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَسْرِعُوا فَإِنْ تَكَ

(٣) بعضها في الصحيح وبعضها في السنن.

(١) البخاري .

(٤) مسلم .

(٢) كما ورد في الصحيح .

صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنَّ تَكُ سِوَى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ»^(١). كما يُسْتَحَبُّ الْمَشْيُ أَمَامَهَا، إِذْ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يَمْشُونَ أَمَامَ الْجَنَازَةِ»^(٢).

وَأَمَّا فَضْلُ التَّشْيِيعِ فَقَدْ قَالَ فِيهِ ﷺ: «مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهَا حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا وَيُفْرَغَ مِنْ دَفْنِهَا فَإِنَّهُ يَرْجِعُ مِنَ الْأَجْرِ بِقِيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحَدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تَدْفَنَ فَإِنَّهُ يَرْجِعُ بِقِيرَاطٍ»^(٣).

٢١ - مَا يُكْرَهُ عِنْدَ التَّشْيِيعِ :

يُكْرَهُ خُرُوجُ النِّسَاءِ مَعَ الْجَنَازَةِ لِقَوْلِ أَمِّ عَطِيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «نُهِينَا أَنْ نَتَّبِعَ الْجَنَازَةَ وَلَمْ يَعْزِمَ عَلَيْنَا»^(٤). كما يُكْرَهُ رَفْعُ الصَّوْتِ عِنْدَهَا بِذِكْرِ أَوْ قِرَاءَةِ أَوْ غَيْرِهَا، إِذْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَكْرَهُونَ رَفْعَ الصَّوْتِ عِنْدَ ثَلَاثٍ: عِنْدَ الْجَنَازَةِ وَعِنْدَ الذِّكْرِ وَعِنْدَ الْقِتَالِ^(٥).

كما يُكْرَهُ الْجُلُوسُ قَبْلَ أَنْ تُوَضَعَ الْجَنَازَةُ مِنْ عَلَى الْأَعْنَاقِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا اتَّبَعْتُمُ الْجَنَازَةَ فَلَا تَجْلِسُوا حَتَّى تُوَضَعَ بِالْأَرْضِ»^(٦).

٢٢ - دَفْنُهُ :

دَفْنُ الْمَيِّتِ، وَهُوَ مُوَارَاةُ جَسَدِهِ كَامِلًا بِالتُّرَابِ^(٧) فَرَضٌ كِفَايَةً، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾^(٨). وَلَهُ أَحْكَامٌ مِنْهَا:

١ - أَنْ يُعَمَّقَ الْقَبْرُ تَعَمِيقًا يَمْنَعُ وَصُولَ السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ إِلَى الْمَيِّتِ وَيَحْجُبُ

(١)، (٢) البخاري.

(٣) مسلم.

(٤) رواه أبو داود والنسائي وغيرهما، وبه قال الجمهور من الأئمة، رخصهم الله، وهو كون المشي أمام الجنابة أفضل.

(٥) ابن المنذر عن قيس بن عباد.

(٦) متفق عليه.

(٧) من مات بالبحر يرجأ يوماً أو يومين إن لم يتغير ليدفن بالبر، وإن لم يمكن الوصول إلى البر قبل تغييره غسل وصلي عليه ثم يربط معه شيء ثقيل ويرسل في البحر. بهذا أفتى أهل العلم.

(٨) سورة عبس.

رائحته أن تخرج فتؤذي، لقوله ﷺ: «أخفروا وأعمقوا وأحسنوا وأدفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد. فقالوا: من نُقِّدُ يا رسول الله؟ قال: قَدِّمُوا أَكْثَرَهُمْ قُرْآنًا»^(١).

٢ - أن يُلْحَدَ في القبر، إذ اللحد أفضل، وإن كان الشق جائزاً، لقوله ﷺ: «اللحد لنا والشق لغيرنا»^(٢). واللحد، هو الحفر في جانب القبر الأيمن، والشق، هو الحفر في وسط القبر.

٣ - يستحب لمن حضر الدفن أن يَحْثُو ثَلَاثَ حِثَايَاتٍ مِنَ التُّرَابِ بِيَدِهِ، فيرمي بها في القبر من جهة رأس الميت، لفعل الرسول ﷺ ذلك كما ذكره ابن ماجه بسند لا بأس به.

٤ - أن يُدْخَلَ الميت من مؤخر القبر إذا تيسر ذلك، وأن يُوجَّه إلى القبلة موضوعاً على جنبه الأيمن، وأن تُحَلَّ أَرْبَطَةٌ كَفَنِيهِ، وأن يَقُولَ وَاضِعُهُ: بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لفعل الرسول ﷺ ذلك^(٣).

٥ - أن يُغَطَّى قبر المرأة بثوب أثناء وضعها في قبرها، إذ كان السلف يسجون قبر المرأة حال وضعها دون قبر الرجل.

المادة الثالثة: فيما ينبغي بعد الدفن:

١ - الاستغفار للميت والدعاء له:

يُستحب لمن حضر الدفن أن يستغفر للميت، وأن يسأل له التثبيت في المسألة لقوله ﷺ: «استغفروا لأخيكُم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل»^(٤). كان يقوله عند الفراغ من الدفن، وكان بعض السلف يقول: «اللهم هذا عبدك نزل بك، وأنت خير منزول به، فاغفر له ووسع مدخله»^(٥).

(١) الترمذي وصححه.

(٢) أحمد وأبو داود والترمذي وفي إسناده مقال وصححه بعضهم.

(٣) أبو داود والحاكم وصححه.

(٤) منهم ابن مسعود وعلي رضي الله عنهما.

(٥) ابن ماجه بسند حسن.

٢ - تَسْطِيحُ الْقَبْرِ أَوْ تَسْوِيَّتُهُ:

يَنْبَغِي أَنْ يُسَوَّى الْقَبْرُ بِالْأَرْضِ لِأَمْرِهِ ﷺ بِتَسْوِيَةِ الْقُبُورِ بِالْأَرْضِ ، غَيْرَ أَنْ تَسْنِمَ الْقَبْرَ جَائِزٌ وَهُوَ رُفِعَ الْقَبْرَ قَدْرَ شِبْرٍ مُسْنَمًا وَاسْتَحَبَّهُ الْجُمْهُورُ ، لِأَنَّ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ مُسْنَمًا .

وَلَا بَأْسَ بِوَضْعِ الْعَلَامَةِ عَلَى الْقَبْرِ لِيُعْرَفَ بِهَا مِنْ حَجَرٍ وَنَحْوِهَا ، لِأَنَّهُ ﷺ عَلَّمَ قَبْرَ عَثْمَانَ بْنِ مَطْعُونٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِصَخْرَةٍ ، وَقَالَ : أَتَعَلَّمُ بِهَا قَبْرَ أَخِي ؛ وَأُدْفَنُ إِلَيْهِ مِنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي .

٣ - تَحْرِيمُ تَجْصِيسِ الْقَبْرِ وَالْبِنَاءِ عَلَيْهِ:

يَحْرُمُ تَجْصِيسُ الْقَبْرِ أَوْ الْبِنَاءِ عَلَيْهِ ، لَمَا رَوَى مُسْلِمٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يُجْصَصَ الْقَبْرُ أَوْ يُبْنَى عَلَيْهِ .

٤ - كَرَاهِيَةُ الْجُلُوسِ عَلَى الْقُبُورِ:

يَكْرَهُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ أَوْ يَطَّأَهُ بِرِجْلِهِ لِقَوْلِهِ ﷺ : « لَا تَجْلِسُوا عَلَى الْقُبُورِ ، وَلَا تُصَلُّوا عَلَيْهَا »^(١) . وَقَوْلِهِ : « لِأَنَّ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتَحَرَّقَ ثِيَابُهُ فَتَخْلَصَ إِلَى جَلْدِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرِ »^(٢) .

٥ - تَحْرِيمُ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ:

يَحْرُمُ بِنَاءُ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ ، وَاتِّخَاذُ السُّرُجِ عَلَيْهَا ، لِقَوْلِهِ ﷺ : « لَعَنَ اللَّهُ زَوَارِبَ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذَاتِ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ »^(٣) . وَقَوْلِهِ : « لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ »^(٤) .

٦ - تَحْرِيمُ نَبْشِ الْقَبْرِ وَنَقْلِ رُفَاتِهِ:

يَحْرُمُ نَبْشُ الْقُبُورِ وَنَقْلُ رُفَاتِ أَهْلِهَا ، أَوْ إِخْرَاجُ أَصْحَابِهَا مِنْهَا إِلَّا لَضَرُورَةٍ أَكِيدَةُ

(٤) متفق عليه .

(٣) الترمذي والحاكم وهو صحيح .

(١ ، ٢) مسلم .

كَأَن يُدْفَنَ بِلا غَسَلٍ مِثْلًا، كَمَا يُكْرَهُ نَقْلُ الْمَيِّتِ الَّذِي لَمْ يُدْفَنَ بَعْدُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ إِلَّا إِذَا كَانَ الْمَنْقُولُ إِلَيْهِ أَحَدَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، مَكَّةَ، أَوِ الْمَدِينَةَ، أَوْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. كَذَلِكَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «ادْفِنُوا الْقَتْلَى فِي مَصَارِعِهِمْ»^(١).

٧ - اسْتِحْبَابُ التَّعْزِيَةِ:

تُسْتَحَبُّ تَعْزِيَةُ أَهْلِ الْمَيِّتِ رَجَالًا كَانُوا أَوْ نِسَاءً قَبْلَ الدَّفْنِ وَبَعْدَهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْمَعْزِينَ غَائِبًا أَوْ بَعِيدًا فَلَا بَأْسَ إِنْ تَأَخَّرَتْ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعْزِّي أَخَاهُ بِمَصِيبَةٍ إِلَّا كَسَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جِلَلِ الْكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

٨ - مَعْنَى التَّعْزِيَةِ:

والتَّعْزِيَةُ هِيَ التَّصْبِيرُ، وَحَمْلُ أَهْلِ الْمَيِّتِ عَلَى الْعَزَاءِ وَالصَّبْرِ بِذِكْرِ مَا يُهَوِّنُ عَلَيْهِمُ الْمَصَابَ، وَيُخَفِّفُ عَنْهُمْ شِدَّةَ الْحُزَنِ، وَتُؤَدِّي التَّعْزِيَةُ بَأْيَ لَفْظٍ كَانَ. وَمِمَّا يُرَوَّى عَنْهُ ﷺ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ لَا بَيْتِي وَقَدْ أُرْسِلْتُ إِلَيْهِ أَنْ ابْنًا لَهَا قَدْ مَاتَ، فَارْسَلْ إِلَيْهَا مَنْ يُقْرِئُهَا السَّلَامَ وَيَقُولُ لَهَا: «إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مَسْمُومٍ، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»^(٣).

وَكَتَبَ بَعْضُ السَّلَفِ يُعْزِّي أَحَدًا بِوَفَاةِ وَلَدِهِ فَقَالَ: مِنْ فَلَانٍ إِلَى فَلَانٍ، سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحَمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَا بَعْدُ، فَأَعْظَمَ اللَّهُ لَكَ الْأَجْرَ، وَالْهَمَّكَ الصَّبْرَ، وَرَزَقْنَا وَإِيَّاكَ الشُّكْرَ، فَإِنَّ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَهْلَنَا مِنْ مَوَاجِبِ اللَّهِ الْهَنِئَةِ، وَعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةِ، مَتَّعَكَ اللَّهُ بِهِ فِي غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ، وَقَبَضَهُ مِنْكَ بِأَجْرِ كَبِيرٍ. الصَّلَاةُ وَالرَّحْمَةُ وَالْهُدَى إِنْ احْتَسَبْتَهُ. فَاصْبِرْ، وَلَا يَخْطُبُ جَزَعُكَ أَجْرَكَ فَتَنْدَمَ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْجَزَعَ لَا يَرُدُّ مَيِّتًا، وَلَا يَدْفَعُ جَزَأً، وَمَا هُوَ نَازِلٌ فَكَأَنَّ قَدْ، وَالسَّلَامُ.

وَقَدْ يَكْفِي فِي التَّعْزِيَةِ قَوْلُ: أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ، وَاحْسَنَ عَزَاكَ وَغَفَرَ لِمَيْتِكَ، وَيَقُولُ الْمَعْزِي: آمِينَ، أَجْرَكَ اللَّهُ، وَلَا أَرَاكَ مَكْرُوهًا.

(٣) رواه البخاري.

(٢) ابن ماجه بسند حسن.

(١) أبوداود وغيره وهو صحيح.

٩ - بدعة المائيم :

ومما يجب تركه والابتعاد عنه ما ابتدعه الناس لغلبة الجهل من الاجتماع في البيوت للتعزية وإقامة المآدب، وصرف الأموال من أجل المباهة والفخر، إذ السلف الصالح لم يكونوا يجتمعون في البيوت، بل كان يعزي بعضهم بعضاً في المقبرة، وعند الملاقاة في أي مكان، ولا بأس أن يقصده إلى محله إن لم يتمكن من مقابلته في المقبرة أو الشارع، إذ المحدث هو الاجتماع الخاص المعد إعداداً متعمداً.

١٠ - اصطناع المعروف لأهل الميت :

يستحب صنع الطعام لأهل الميت، ويقوم بذلك الأقارب أو الجيران يوم الوفاة، لقوله ﷺ: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد أتاهم أمر يشغلهم»^(١). أما أن يصنع أهل الميت أنفسهم الطعام لغيرهم فهذا مكروه لا ينبغي لما فيه من مضاعفة المصيبة عليهم، وإن حضر من تجب ضيافته كغريب مثلاً استحب أن يقوم الجيران والأقارب بضيافته بدلاً عن أهل الميت.

١١ - الصدقة على الميت :

يستحب الصدقة على الميت لما روى مسلم عن أبي هريرة أن رجلاً قال: «يا رسول الله إن أبي مات وترك مالا ولم يوص فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه؟ قال: نعم». ولما ماتت أم سعيد بن عباد رضي الله عنهما قال: يا رسول الله إن أبي مات أتصدق عنها؟ قال: نعم. قال: فأني الصدقة أفضل؟ قال: سقي الماء^(٢).

١٢ - قراءة القرآن على الميت :

لا بأس أن يجلس المسلم في المسجد أو في بيته فيقرأ القرآن، فإذا فرغ من تلاوته سأل الله تعالى للميت المغفرة والرحمة، متوسلاً إلى الله عز وجل بترك التلاوة التي تلاها من كتاب الله تعالى.

(١) أحمد والترمذي والحاكم وهو صحيح. (٢) أحمد والنسائي وغيرهما.

أَمَّا اجْتِمَاعُ الْقُرَاءِ فِي بَيْتِ الْهَالِكِ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَإِهْدَاؤُهُمْ ثَوَابَ قِرَائَتِهِمْ لِلْمَيِّتِ، وَإِعْطَاؤُهُمْ أَجْرًا عَلَى ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ أَهْلِ الْمَيِّتِ فَهَذَا بِدْعَةٌ مِنْكَرَةٌ يَجِبُ تَرْكُهَا، ودَعْوَةُ الْإِخْوَةِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى اجْتِنَابِهَا وَالِابْتِعَادِ عَنْهَا، إِذْ لَمْ يَعْرِفْهَا سَلَفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الصَّالِحِ، وَلَمْ يَقُلْ بِهَا أَهْلُ الْقُرُونِ الْمَفْضَلَةِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لِأَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ دِينًا لَمْ يَكُنْ لِآخِرِهَا دِينًا بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

١٣ - حُكْمُ زِيَارَةِ الْقُبُورِ:

زِيَارَةُ الْقُبُورِ مُسْتَحَبَّةٌ لِأَنَّهَا تَذَكُّرٌ بِالْآخِرَةِ وَتَنْفَعُ الْمَيِّتَ بِالدَّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ لَهُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تَذَكِّرُكُمْ بِالْآخِرَةِ»^(١).

إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمَقْبَرَةُ أَوْ الْمَيِّتُ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ يَضْطَرُّ الزَّائِرُ مَعَهَا إِلَى شِدِّ رَحْلِ وَسَفَرٍ خَاصٍّ فَإِنَّهَا حِينَئِذٍ لَا تُشْرَعُ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(٢).

١٤ - مَا يَقُولُهُ زَائِرُ الْقُبُورِ:

يَقُولُ الزَّائِرُ لِقُبُورِ الْمُسْلِمِينَ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُهُ إِذَا زَارَ (الْبَقِيعَ) وَهُوَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَآحِقُونَ، أَنْتُمْ فَرَطْنَا وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُمْ. اللَّهُمَّ ارْحَمْهُمْ»^(٣).

١٥ - حُكْمُ زِيَارَةِ الْقُبُورِ لِلنِّسَاءِ:

لَمْ يَخْتَلِفْ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي جَرَمَةِ كَثْرَةِ تَرُدِّ الْمَرْأَةِ عَلَى الْمَقَابِرِ لِزِيَارَتِهَا، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ زَوَارَاتِ الْقُبُورِ».

(١) مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

وأما مع عدم الكثرة والتكرار فبعض كره لها الزيارة مطلقاً للحديث السابق،
وبعض أجاز لما ثبت أن عائشة رضي الله عنها زارت قبر أخيها عبد الرحمن، فسئلت
عن ذلك فقالت: «نعم كان قد نهى عن زيارة القبور، ثم أمر بزيارتها»^(١).

ومن أجاز زيارة النساء القليلة اشترط عدم فعلها أي منكر كان، كأن تنوح عند
القبر، أو تصرخ، أو تخرج متبرجة، أو تنادي الميت وتساله حاجتها؛ إلى غير ذلك
مما شوه فعله من النساء الجاهلات بأمور الدين في غير زمان ومكان.

(١) الحاكم والبيهقي وصححه الذهبي .

الْفَصْلُ الْعَاشِرُ

في الزَّكَاةِ

وفيه خَمْسُ مَوَادٍّ:

المادة الأولى: في حُكْمِ الزَّكَاةِ، وحِكْمَتِهَا، وحُكْمِ مَانِعِهَا:

١ - حِكْمَتُهَا:

الزَّكَاةُ فَرِيضَةُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، مَلَكَ نَصَاباً مِنْ مَالٍ بِشُرُوطِهِ. فَرَضَهَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ بِقَوْلِهِ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^(١). وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾^(٢). وقوله: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(٣).

وبقول الرسول ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَحُجَّ الْبَيْتِ وَصَوْمَ رَمَضَانَ»^(٤).

وقوله: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(٥). وقوله في وَصِيَّةٍ مَعَاذَ جِنِّ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَاعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، فِي

(١) التوبة.

(٢) المزمّل.

(٢) البقرة.

(٤)، ٢٥ متفق عليه.

كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُواكَ فاعْلِمَهُمْ أَنَّهُ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ إِلَى فَقَرَائِهِمْ. فَإِنْ هُمْ أَطَاعُواكَ لَذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(١).

ب - حَكْمَتُهَا:

من الحكمة في مشروعية الزكاة ما يلي:

- ١ - تطهير النفس البشرية من رذيلة البخل والشح، والشر والطمع.
- ٢ - مؤاساة الفقراء، وسد حاجات المعوزين والبُؤساء والمُحرومين.
- ٣ - إقامة المصالح العامة، التي تتوقف عليها حياة الأمة وسعادتها.
- ٤ - التحديد من تضخم الأموال عند الأغنياء، وبأيدي التجار والمحترفين، كيلا تُحصَر الأموال في طائفة محدودة، أو تكون دولة بين الأغنياء.

ج - حُكْمُ مَانِعِيهَا:

من مَنَعَ الزكاة جاحداً لفرضيتها كفر. ومن مَنَعَهَا بُخْلاً مَعَ إقراره بوجوبها أثم، وأخذت منه كرهاً مع التعزير. وإن قَاتَلَ دُونَهَا قُوتِلَ، حَتَّى يَخْضَعَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَيُؤَدِّيَ الزكاة، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزكاةَ فإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾^(٢). ولقوله ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزكاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»^(٣). كما أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قِتَالِ مَانِعِي الزكاة قَالَ: (وَاللَّهُ لَوْ مَنَعُونِي عَنَّا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَيْهَا)^(٤). وَوَأَفَقَهُ الصَّحَابَةُ عَلَى ذَلِكَ، فَكَانَ إِجْمَاعاً مِنْهُمْ.

المادة الثانية: في أجناس الأموال المزكاة وغيرها:

أ - النَقْدَانِ:

النقدان، وهما الذهب والفضة، وما يقوم بهما من عروض التجارة وما يُلْحَقُ

(٤) البخاري.

(٢) التوبة.

(٣، ١) متفق عليه.

بِهِمَا مِنَ الْمَعَادِنِ وَالرِّكَازِ، وَمَا يَقُومُ مَقَامَهُمَا مِنَ الْأَوْرَاقِ الْمَالِيَّةِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١). وقول الرسول ﷺ : «لَيْسَ فِيمَا دُونَ خُمُسِ أَوَاقٍ مِنَ الْفِضَّةِ صَدَقَةٌ»^(٢). وقوله ﷺ : «الْعَجَمَاءُ جُرْحُهَا جُبَارٌ، وَالْبِشْرُ جُبَارٌ، وَالْمَعْدِنُ جُبَارٌ، وَفِي الرِّكَازِ الْخُمُسُ»^(٣).

ب - الْأَنْعَامُ :

الْأَنْعَامُ : هِيَ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾^(٤). وقوله ﷺ لمن سَأَلَهُ عَنْ الْهَجْرَةِ : «وَيَحْكُ إِنَّ شَأْنَهَا شَدِيدٌ، فَهَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ تُؤَدِّي صَدَقَتَهَا؟ قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : فَاعْمَلْ مِنْ وَرَاءِ الْبَحَارِ فَإِنَّ اللَّهَ لَنْ يَتْرَكَ مِنْ عَمَلِكَ شَيْئًا»^(٥). وقوله ﷺ : «وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا مِنْ رَجُلٍ تَكُونُ لَهُ إِبِلٌ أَوْ بَقَرٌ أَوْ غَنَمٌ، لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلَّا أَتَى بِهَا الْقِيَامَةَ أَعْظَمَ مَا تَكُونُ وَأَسْمَنُهَا تَطْوُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا كُلَّمَا جَازَتْ أُخْرَاهَا، رَدَّتْ عَلَيْهِ أَوْلَاهَا حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ»^(٦).

ج - الثَّمَرُ وَالْحَبُوبُ :

الْحَبُوبُ : هِيَ كُلُّ مَذْخَرٍ مَقْتَاتٍ، مِنْ قَمْحٍ وَشَعِيرٍ، وَقُولٍ وَحُمْصٍ وَجُلْبَانَةٍ وَلُؤْيَاءٍ وَعَدَسٍ وَذَرَّةٍ وَسُلْتٍ وَرَرٍْ وَنَحْوِهَا.

وَأَمَّا الثَّمَرُ : فَهُوَ الثَّمَرُ وَالزَّيْتُونُ وَالزَّيْبُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾. وقوله سبحانه : ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾^(٧). وقول الرسول ﷺ : «لَيْسَ فِيمَا دُونَ خُمُسَةِ أَوْسَقٍ صَدَقَةٌ»^(٨). وقوله ﷺ : «فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالْعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيَا الْعُشْرُ وَفِيمَا سَقَى بِالنُّضْحِ نَصْفُ الْعُشْرِ»^(٩).

(١) التوبة.
(٢) ، ٨ متفق عليه.
(٣) ، ٥ ، ٦ البخاري.
(٤) البقرة.
(٥) الأنعام.
(٦) رواه البخاري.
(٧) ، ٣ ، ٥ ، ٦ البخاري.
(٨) ، ٣ ، ٥ ، ٦ البخاري.

د - الأموال التي لا تُزكى .

الأموال التي لا تُزكى هي :

١ - العبيد والخيل والبغال والحمير، لقوله ﷺ : «لَيْسَ عَلَى الْعَبْدِ فِي فَرَسِهِ وَغُلَامِهِ صَدَقَةٌ»^(١) . وأنه لم يثبت عنه ﷺ أخذ الزكاة عن البغال والحمير قط .

٢ - المال الذي لم يبلغ نصاباً إلا أن يتطوع صاحبه، لقوله ﷺ : «لَيْسَ فِيْمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ فِيْمَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ مِنَ الْوَرِقِ صَدَقَةٌ، وَلَيْسَ فِيْمَا دُونَ خَمْسِ دَوْدٍ مِنَ الْإِبِلِ صَدَقَةٌ»^(٢) .

٣ - الفواكه والخضراوات، إذ لم يثبت في زكاتها عن الرسول شيء، بيد أنه يُستحب إعطاء شيء منها للفقراء والجيران لعموم قوله تعالى : ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ .

٤ - حلي النساء^(٣)، إذا لم يُقصد به غير الزينة، فإن قصد به مع الزينة الادخار لوقت الحاجة فإنه تجب فيه الزكاة لما شابه من معنى الادخار .

٥ - الجواهر الكريمة كالزمررد والياقوت واللؤلؤ، وسائر الجواهر، إلا أن تكون للتجارة فتجب الزكاة في قيمتها كعروض التجارة .

٦ - العروض التي للقبية لا للتجارة كالفرش ونحوها، وكذا الدور والمصانع والسيارات فلا زكاة فيها، إذ لم يرد عن الشارع زكاتها .

المادة الثالثة : في بيان شروط أنصبة المراكيات والمقادير الواجبة فيها :

أ - النقدان وما في معناهما :

١ - الذهب : وشرط زكاته أن يحول عليه الحول، وأن يبلغ نصاباً، ونصابه

(١) البخاري .

(٢) متفق عليه .

(٣) الأحوط في حلي النساء الزكاة على كل حال لما ورد من الأحاديث من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة وقد رأى في يديها فتحات من فضة : «ما هذا يا عائشة؟» فقالت : صنعتهن أترين لك يا رسول الله؟ فقال : أتؤدين زكتهن؟ قالت : لا . قال : «هو حبك من النار» .

عَشْرُونَ دِينَارًا، والوَاجِبُ فِيهِ رُبْعُ الْعَشْرِ، فَبِئْسَ كَيْلٌ عَشْرِينَ دِينَارًا نَصْفُ دِينَارٍ وَمَا زَادَ فَبِحَسَابِهِ قَلٌّ أَوْ كَثْرٌ.

٢ - الْفِضَّةُ: وَشَرَطُهَا الْحَوْلُ وَبُلُوغُ النَّصَابِ كَالذَّهَبِ، وَنَصَابُهَا خَمْسُ أَوَاقٍ وَهِيَ مِائَةُ دِرْهَمٍ، وَالوَاجِبُ فِيهَا رُبْعُ الْعَشْرِ كَالذَّهَبِ فِي مِائَتَيْ دِرْهَمٍ خَمْسَةُ دَرَاهِمٍ وَمَا زَادَ فَبِحَسَابِهِ.

٣ - مَنْ مَلَكَ قِسْطًا مِنَ الذَّهَبِ لَمْ يَبْلُغِ النَّصَابَ، وَآخَرُ مِنَ الْفِضَّةِ لَمْ يَبْلُغِ النَّصَابَ جَمْعُهُمَا مَعًا إِذَا بَلَغَا نَصَابًا زَكَاةً مَعًا كَلَّا بِحَسَابِهِ، لَمَّا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ضَمَّ الذَّهَبَ إِلَى الْفِضَّةِ وَالْفِضَّةَ إِلَى الذَّهَبِ وَأَخْرَجَ الزَّكَاةَ عَنْهُمَا^(١). كَمَا أَنَّهُ يُجْزَى إِخْرَاجُ أَحَدِ النَّقْدَيْنِ عَنِ الْآخَرِ، فَمَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ دِينَارٌ جَارَ لَهُ إِخْرَاجُ عَشْرَةِ دَرَاهِمٍ مِنَ الْفِضَّةِ، وَالْعَكْسُ يَصِحُّ كَذَلِكَ، كَمَا أَنَّ الْأَوْرَاقَ الْمَالِيَةَ الْيَوْمَ تُزَكَّى زَكَاةَ النَّقْدَيْنِ وَهُوَ رُبْعُ الْعَشْرِ، فِي حِينَ أَنَّ أَرْصَدَةَ الْأَوَاقِ لَدَى الْحُكُومَاتِ تَتَكَوَّنُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ مَعًا.

٤ - عُرُوضُ التِّجَارَةِ: وَهِيَ إِمَّا مُدَارَةً^(٢) أَوْ مُحْتَكِرَةً^(٣)، فَإِنْ كَانَتْ مُدَارَةً قَوْمَهَا بِالنَّقُودِ رَأْسَ كُلِّ حَوْلٍ، فَإِنْ بَلَغَتْ نَصَابًا أَوْ لَمْ تَبْلُغْ وَلَكِنْ لَدَيْهِ نَقُودٌ أُخْرَى غَيْرَهَا زَكَاةً بِنِسْبَةِ اثْنَيْنِ وَنِصْفٍ فِي الْمِائَةِ، وَإِنْ كَانَتْ مُحْتَكِرَةً زَكَاةً يَوْمَ بَيْعِهَا لِسَنَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَوْ مَكَثَتْ أَغْوَامًا عِنْدَهُ يَنْتَظِرُ بِهَا غَلَاءَ الْأَسْعَارِ.

٥ - الدِّيُونُ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى أَحَدٍ دَيْنٌ وَكَانَ يَقْدِرُ عَلَى الْحُصُولِ عَلَيْهِ مَتَى شَاءَ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُضَمَّهُ إِلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ نَقُودٍ أَوْ عُرُوضٍ وَيُزَكِّيهِ مَتَى حَالَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ نَقُودٌ سِوَى الدَّيْنِ، وَكَانَ الدَّيْنُ يَبْلُغُ نَصَابًا زَكَاةً كَذَلِكَ، وَمَنْ كَانَ لَهُ دَيْنٌ عَلَى مُعْسِرٍ لَهُ اسْتِرْدَادُهُ مَتَى شَاءَ، زَكَاةً يَوْمَ يَقْبِضُهُ لِعَامٍ وَاحِدٍ وَلَوْ مَضَتْ عَلَيْهِ عِدَّةُ سَنَاتٍ.

(١) ضَمَّ النَّقْدَيْنِ فِي تَكْمِلَةِ النَّصَابِ هُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ، وَالْحَدِيثُ يَرْوِيهِ أَصْحَابُ مَالِكٍ عَنْ بَكْرِ بْنِ الْأَشَجِّ: «مَضَتْ السَّنَةُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَمَّ الذَّهَبَ إِلَى الْفِضَّةِ وَالْفِضَّةَ إِلَى الذَّهَبِ وَأَخْرَجَ الزَّكَاةَ عَنْهُمَا.

(٢) الْمُدَارَةُ: هِيَ الَّتِي تَبَاعُ بِالسَّعْرِ الْوَاقِعِ وَلَا يَنْتَظَرُ بِهَا ارْتِفَاعُ الْأَسْعَارِ.

(٣) الْمُحْتَكِرَةُ: هِيَ الَّتِي يَنْتَظَرُ بِهَا غَلَاءُ الْأَسْعَارِ.

٦ - الرِّكَازُ - وَهُوَ دَفْنُ الْجَاهِلِيَّةِ، فَمَنْ وَجَدَ بَارِضِهِ أَوْ دَارِهِ مَالاً مَذْفُوناً مِنْ أَمْوَالِ الْجَاهِلِيَّةِ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ بِدَفْعِ خُمُسِهِ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَشَارِيعِ الْخَيْرِيَّةِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «فِي الرِّكَازِ الْخُمُسُ»^(١).

٧ - الْمَعَادِنُ: إِنْ كَانَ الْمَعْدِنُ ذَهَباً أَوْ فِضَّةً زَكَّى مَا اسْتَخْرَجَهُ مِنْهُ إِنْ بَلَغَ نَصَاباً، وَسِوَاهُ حَالَ الْحَوْلِ أَوْ لَمْ يَحُلْ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ كُلَّمَا اسْتَخْرَجَ كَمِيَّةً زَكَاةً مَتَى بَلَغَتْ نَصَاباً. وَهَلْ يُزَكِّيْهَا بِرُبْعِ الْعَشْرِ أَوْ بِالْخُمُسِ كَالرِّكَازِ؟. اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ، فَمَنْ قَالَ يُزَكَّى الْمَعْدِنُ بِالْخُمُسِ قَاسَهُ عَلَى الرِّكَازِ. وَمَنْ قَالَ يُزَكَّى زَكَاةَ النَّقْدَيْنِ أَخَذَ بِمَعْمُومِ قَوْلِهِ ﷺ: «لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ أَوَاقٍ صَدَقَةٌ»، فَقَوْلُهُ ﷺ: خَمْسُ أَوَاقٍ شَامِلٌ لِلْمَعْدِنِ وَغَيْرِهِ، وَالْأَمْرُ فِي هَذَا وَاسِعٌ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْمَعْدِنُ حَدِيداً أَوْ نُحَاساً أَوْ كِبْرَيْتاً أَوْ غَيْرَهَا فَيُسْتَحَبُّ تَزْكِيَةُ الْمُسْتَخْرَجِ مِنْهُ مِنْ قِيَمَتِهِ بِنِسْبَةِ اثْنَيْنِ وَنُصْفٍ فِي الْمِائَةِ، إِذْ لَمْ يَرِدْ نَصٌّ صَرِيحٌ فِي وَجُوبِ الزَّكَاةِ فِيهِ وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الذَّهَبِ أَوْ الْفِضَّةِ فَيُزَكَّى وَجُوباً.

٨ - الْمَالُ الْمُسْتَفَادُ: إِنْ كَانَ الْمَالُ الْمُسْتَفَادُ رِبْحَ تِجَارَةٍ أَوْ نِتَاجَ حَيَوَانٍ زَكَاةُ بَرَكَاةٍ أَصْلِهِ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْحَوْلِ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ الْمُسْتَفَادُ مِنْ غَيْرِ رِبْحٍ تِجَارَةٍ أَوْ نِتَاجِ حَيَوَانٍ اسْتَقْبَلَ بِهِ إِنْ كَانَ نَصَاباً حَوْلًا كَامِلاً ثُمَّ زَكَاةُ. فَمَنْ وَهَبَ لَهُ مَالٌ أَوْ وَرِثَهُ لَا زَكَاةَ فِيهِ حَتَّى يَحُولَ عَلَيْهِ الْحَوْلُ.

ب - الْأَنْعَامُ، وَهِيَ:

١ - الْإِبِلُ: وَشُرُوطُ زَكَاتِهَا أَنْ يَحُولَ عَلَيْهَا الْحَوْلُ وَأَنْ تَبْلُغَ نَصَاباً، وَنَصَابُهَا أَنْ تَكُونَ خَمْساً مِنَ الْإِبِلِ فَأَكْثَرَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسِ ذَوْدٍ صَدَقَةٌ»^(٢).

وَالوَاجِبُ فِي الْخُمْسِ شَاةٌ جَذَعَةٌ أَوْفَتْ سَنَةً وَدَخَلَتْ فِي الثَّانِيَةِ مِنْ غَالِبِ الْغَنَمِ الْمَزْكِيِّ ضَاناً أَوْ مَعْزاً. وَفِي الْعَشْرِ شَاتَانِ. وَفِي الْخُمْسِ عَشْرَةٌ ثَلَاثُ شِيَاءٍ، وَفِي

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه. والذود: يطلق على العدد من الثلاثة إلى العشرة من الإبل.

العشرين أربع شياه، وفي الخمس والعشرين بنت مخاض من الإبل وهي ما أوفت سنة ودخلت في الثانية فإن لم توجد فابن لبون يُجزى عنها ما أوفى ستين ودخل في الثالثة، فإذا بلغت ستاً وثلاثين فبنت لبون. وإذا بلغت ستاً وأربعين فحقة أوفت ثلاث سنين ودخلت الرابعة، وإذا بلغت إحدى وستين فجدعة أوفت أربعاً ودخلت في الخامسة، فإذا بلغت ستاً وسبعين فابنتا لبون، فإذا بلغت إحدى وتسعين فحقتان، فإذا بلغت مائة وعشرين ففي كل أربعين ابنة لبون، وفي كل خمسين حقة.

[تنبيه]: من وجبت عليه سن معينة ولم يجدّها دفع الموجد إن كان أقل سنّاً من المطلوب، وزاد العامل شاتين، أو عشرين درهماً، وإن كان أكبر من المطلوب زاده العامل شاتين أو عشرين درهماً جبراً للنقص، إلا ابن اللبون فإنه يُجزى عن ابنة المخاض، بلا زيادة كما تقدّم.

٢ - البقر:

شرط البقر الحول والنصاب كالإبل، ونصابها ثلاثون رأساً من البقر، والواجب فيها عجل تباع أوفى سنة. فإذا بلغت أربعين ففيها ميسنة أوفت ستين فإذا زادت ففي كل أربعين ميسنة وفي كل ثلاثين عجل، لقوله ﷺ: «في كل ثلاثين نبيع، وفي كل أربعين ميسنة»^(١).

٣ - الغنم:

الغنم هي الضأن والمعز، وشروطها الحول وأن تبلغ نصاباً، ونصابها أربعون رأساً وفيها شاة جدعة، فإذا بلغت مائة وإحدى وعشرين ففيها شاتان، فإذا بلغت مائتين وواحدة فأكثر ففيها ثلاث شياه، فإذا زادت على الثلاثمائة ففي كل مائة شاة، لقوله ﷺ: «فإذا زادت ففي كل مائة شاة».

[تنبيهات]

١ - اشترط الجمهور السوم^(٢) في الأنعام، وهي أن تُرعى الماشية أكثر السنة

(١) أبو داود والترمذي وصححه ابن حبان والحاكم.

(٢) السوم: الرعي، يقال سام الماشية يسومها إذا تركها ترعى في الفلاة.

في العُشْبِ العامِّ في الفَلَاةِ، ولم يشترطه في وجوبِ الزكاةِ الإمامُ مالكٌ رحمه الله، وهو عملُ أهلِ المدينةِ.

وحُجَّةُ الجمهورِ قولُ الرسولِ ﷺ: «وفي سائمةِ الغنمِ إذا كانت أربعينَ ففيها شاةٌ إلى عشرينَ ومائةٍ، فقولُهُ ﷺ «وفي سائمةِ الغنمِ» انتزعَ منه الجمهورُ دليلَ اشتراطِ السُّومِ في زكاةِ الأنعامِ في الغنمِ بالنَّصِّ وفي الإبلِ والبقرِ بالقياسِ على الغنمِ. وقالوا: إن في مشقةِ العلفِ وكلفتهِ ما يجعلُ القيْدَ بالسُّومِ معتبراً.

٢ - لا زكاةٌ في الأوقاصِ من كُلِّ الأنعامِ - والوقصُّ هو ما بينَ الفريضتينِ - فالذي يملكُ أربعينَ شاةً تجبُ عليها شاةٌ إلى أن تبلغَ مائةً وعشرينَ، فإذا زادتْ واحدةً وجبَ عليه فيها شاتانِ، فالعددُ بينَ الأربعينَ والمائةِ والعشرينَ يُسمى وقصاً ولا زكاةٌ فيه، وهكذا في أوقاصِ الإبلِ والبقرِ. وذلكَ لأنَّ النبيَّ ﷺ لما ذَكَرَ فرائضَ الأنعامِ كانَ يقولُ: «إذا بلغتْ كذا ففيها كذا فعلمَ أن العددَ بينَ الفريضتينِ لا زكاةٌ فيه».

٣ - يُضَمُّ في الزكاةِ: الضأنُ إلى المعزِ لأنهما جنسٌ واحدٌ، وكذا الجواميسُ إلى البقرِ، والإبلُ العرابُ^(١) إلى البختِ^(٢) لشُمُولِ لفظِ الجنسِ لهما في قوله: ﷺ: «وفي سائمةِ الغنمِ إذا كانت أربعينَ ففيها شاةٌ». وقوله ﷺ: «في كلِّ خمسٍ ذودُ شاةٍ». وقوله: «في كلِّ ثلاثينَ من البقرِ».

٤ - الخليطانِ إذا كانَ كُلُّ منهما يملكُ نصاباً واتحدَ راعيهُما ومرعاهُما ومراحيهُما ومبيئهُما تؤخذُ الزكاةُ عنهما مجتمعينَ، ثم هُما يتراذانِ بالسُّويةِ، فإذا كانَ لأحدهُما - مثلاً - أربعونَ شاةً، وللآخر ثمانونَ وأخذَ الساعي شاةً من شياهِ صاحِبِ الأربعينَ ردَّ صاحِبُ الثمانينَ ثلثي شاةٍ على صاحِبِ الأربعينَ. هذا ولا يجوزُ الجمعُ بينَ الغنمَينِ المتفرقيْنِ هُروباً من الزكاةِ، ولا تفرقةِ المجتمعينِ كذلكَ، لما جاءَ في كتابِ أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه: «ولا يُجمعُ بينَ متفرقيْنِ، ولا يُفرَّقُ بينَ مجتمعينِ خشيةَ الصدقةِ، وما كانَ من خليطينِ فإنَّهُما يتراجعانِ بينهما بالسُّويةِ»^(٣).

(١) العرابُ. إبل العرب.

(٢) البخت: إبل خراسان التي لها سنامان.

(٣) البخاري ومالك.

٥ - لَا تُقْبَلُ فِي الزَّكَاةِ سَخْلَةُ الْغَنَمِ (الصَّغِيرَةُ) وَلَا الْعَجَاجِيلُ فِي الْبَقَرِ، وَلَا الْفَصِلَانِ فِي الْإِبِلِ، وَلَكِنَّهَا تُحَسَّبُ عَلَى أَصْحَابِهَا لِقَوْلِ عَمْرِو بْنِ رَضِيٍّ اللَّهُ عَنْهُ لِعَامِلِهِ: عُدُّ عَلَيْهِمُ السَّخْلَةُ وَلَا تَأْخُذْهَا.

٦ - لَا تُؤْخَذُ فِي الزَّكَاةِ هَرَمَةٌ وَلَا مَعِيْبَةٌ عَيْبًا يَنْقُصُ قِيَمَتَهَا، لِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَلَا تُؤْخَذُ فِي الصَّدَقَةِ هَرَمَةٌ وَلَا ذَاتُ عَوَارٍ وَلَا تَيْسٌ». كَمَا لَا تُؤْخَذُ كِرَائِمُ الْأَمْوَالِ كَالْمَاخِضِ وَهِيَ الْحَامِلُ تُقَارِبُ الْوِلَادَةَ، وَكَالْفَحْلِ، وَالشَّاةُ تُسَمَّنُ لِلْأَكْلِ. وَالرُّبَى الَّتِي تُرَبَّى وَلَدَهَا، لِقَوْلِهِ ﷺ لِمَعَاذٍ: «إِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ». وَلَنْهِيَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَصْدِيقَ يَأْخُذُ الْأَكُوْلَةَ^(١) وَالرُّبَى^(٢) وَالْمَاخِضَ^(٣) وَفَحْلَ الْغَنَمِ.

ج - الثَّمَرُ وَالْحُبُوبُ:

شَرُطُ الْحَبِّ وَالثَّمَرِ أَنْ يَزْهُوَ الثَّمَرُ - يَصْفَرُّ أَوْ يَحْمَرُّ - وَأَنْ يُفْرَكَ الْحَبُّ وَأَنْ يَطْبَيَّبَ الْعَنْبُ وَالزَّيْتُونُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾. وَنَصَابُهَا خَمْسَةٌ أَوْسُقٍ، وَالْوُسْقُ سِتُونَ صَاعًا، وَالصَّاعُ أَرْبَعَةُ أَمْدَادٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ»^(٤). وَالْوَاجِبُ فِيهَا إِنْ كَانَتْ تُسْقَى بِلَا كُفْلَةٍ بَأَنْ كَانَتْ عَثْرِيَّةً، أَوْ تُسْقَى بِمَاءِ الْعِيُونِ وَالْأَنْهَارِ الْعُشْرُ. فَفِي خَمْسَةِ أَوْسُقٍ نِصْفُ وَسْقٍ؛ وَإِنْ كَانَتْ تُسْقَى بِكُلْفَةٍ بَأَنْ تُسْقَى بِالْإِدْلَاءِ وَالسَّوَانِي وَنَحْوِهَا فَفِيهَا نِصْفُ الْعُشْرِ؛ فَفِي خَمْسَةِ أَوْسُقٍ رُبْعُ وَسْقٍ؛ وَمَا زَادَ فَجَسَائِهِ قَلٌّ أَوْ كَثْرٌ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «فِيمَا سَقَّتِ السَّمَاءُ وَالْعِيُونُ أَوْ كَانَ عَثْرِيًّا»^(٥) الْعُشْرُ وَفِيمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ وَنِصْفُ الْعُشْرِ^(٦).

[تَنْبِيهَاتُ:]

١ - مَنْ كَانَ يَسْقِي زَرْعَهُ مَرَّةً بَالَةً وَمَرَّةً بَدُونَهَا الْوَاجِبُ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ الْعُشْرِ،

(١) الْأَكُوْلَةُ: الشَّاةُ تَعْزَلُ وَتُسَمَّنُ لِلْأَكْلِ.

(٢) الرُّبَى: الشَّاةُ تُرَبَّى فِي الْبَيْتِ لِلْبَن.

(٣) الْمَاخِضُ: الشَّاةُ الَّتِي قَارِبَتِ الْوِلَادَةَ.

(٤، ٥) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(٦) الْعُشْرِي: الْبَعْلُ الَّذِي يَشْرَبُ بِعُرْوِهِ مِنْ ثَرَى الْأَرْضِ بِدُونِ سَقِي.

هَكَذَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ ، وَقَالَ الْعَلَامَةُ ابْنُ قَدَامَةَ : « لَا نَعْلَمُ فِيهِ خِلَافًا » .

٢ - تُجْمَعُ أَنْوَاعُ التَّمْرِ إِلَى بَعْضِهَا فَإِنْ بَلَغَتْ نَصَاباً زُكِّيَتْ مِنْ وَسْطِهَا ، فَلَا يَتَعَيَّنُ دَفْعُهَا مِنَ الْجَيِّدِ وَلَا مِنَ الرَّدِيِّ .

٣ - يُجْمَعُ الْقَمْحُ وَالشَّعِيرُ وَالسَّلْتُ فِي الزَّكَاةِ ، فَإِنْ بَلَغَ الْمَجْمُوعُ نَصَاباً زُكِّيَ مِنْ غَالِيهِ .

٤ - تَجْمَعُ أَنْوَاعُ الْقُطَيْبَةِ وَهِيَ الْقَوْلُ وَالْحَمَصُ وَالْعَدَسُ وَالْجُلْبَانَةُ وَالتُّرْمُسُ فَإِنْ بَلَغَتْ نَصَاباً زُكِّيَتْ مِنْ غَالِيهَا .

٥ - إِذَا بَلَغَ كُلُّ مِنَ الزَّيْتُونِ أَوْ حَبِّ الْفُجْلِ أَوْ الْجُلْجَلَانِ نَصَاباً زُكِّيَ مِنْ زَيْتِهِ .

٦ - تُجْمَعُ أَنْوَاعُ الْعَنْبِ إِلَى بَعْضِهَا فَإِذَا بَلَغَتْ نَصَاباً زُكِّيَتْ ، وَإِنْ يَبَعَثُ قَبْلَ أَنْ تَصِيرَ زَبِيباً أُخْرِجَتِ الزَّكَاةُ مِنْ ثَمَنِهَا وَهِيَ الْعَشْرُ أَوْ نِصْفُ الْعَشْرِ بِحَسَبِ السَّقْيِ .

٧ - الْأَرُزُّ وَالذَّرَّةُ وَالذُّخْنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا صِنْفٌ مُسْتَقِلٌّ فَلَا تَجْمَعُ إِلَى بَعْضِهَا ، فَإِذَا لَمْ يَبْلُغِ الصِّنْفُ مِنْهَا نَصَاباً فَلَا زَكَاةَ فِيهِ .

٨ - مَنْ اسْتَأْجَرَ أَرْضاً فَحَرَثَهَا فَبَلَغَ الْحَاصِلُ نَصَاباً وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَزَكِّيَهُ .

٩ - مَنْ مَلَكَ ثَمَراً أَوْ حَبّاً بَائِراً وَجِهَ مِنْ أَوْجِهِ الْمَلِكِ بِهَبَةٍ أَوْ شِرَاءٍ أَوْ إِزْثٍ بَعْدَ اسْتِوَائِهِ فَلَا زَكَاةَ عَلَيْهِ فِيهِ ، إِذْ زَكَاتُهُ عَلَى وَاهِبِهِ أَوْ بَائِعِهِ . وَلَوْ مَلَكَهُ قَبْلَ اسْتِوَائِهِ لَوَجِبَتْ عَلَيْهِ زَكَاتُهُ .

١٠ - مَنْ كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ اسْتَغْرَقَ جَمِيعَ مَالِهِ ، أَوْ نَقَصَهُ مِنَ النَّصَابِ فَلَا زَكَاةَ عَلَيْهِ .

المادة الرابعة: في مصارف الزكاة:

مصارف الزكاة ثمانية ذكرها الله عز وجل في كتابه فقال: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ، وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ، وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ، وَفِي الرِّقَابِ ، وَالْغَارِمِينَ ،

وفي سبيلِ الله وابنِ السبيلِ فريضةً من الله، والله عليمٌ حكيمٌ».

إيضاحٌ لها:

وإيضاحٌ هذه المصاريف الثمانية كالتالي:

١ - الفقراء: الفقير من لم يكن لديه من المال ما يسد حاجته وحاجة من يعولهم من طعامٍ وشرابٍ وملبسٍ ومسكنٍ، وإن ملك نصاباً من المال.

٢ - المسكين: المسكين قد يكون أخف فقراً من الفقير أو أشد. غير أن حكمهما واحد في كل شيء، وقد عرف الرسول ﷺ المسكين في بعض أحاديثه فقال: «ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان، والتمرّة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس»^(٢).

٣ - العاملون عليها: العامل على الزكاة هو الجابي لها أو الساعي لجمعها أو القيم عليها أو الكاتب لها في ديوانها فيعطى منها أجرة عائلته ولو كان غنياً، لقوله ﷺ: «لا تحل الصدقة لغني» إلا لخمسة: لعامل عليها، أو رجل اشتراها بماله، أو غارم، أو غارٍ في سبيل الله، أو مسكين تصدق عليه منها فأهدى منها لغني»^(٣).

٤ - المؤلفة قلوبهم: المؤلف قلبه الرجل المسلم يكون ضعيف الإسلام وتكون له الكلمة النافذة في قومه، فيعطى من الزكاة تليفاً لقلبه وجمعاً له على الإسلام رجاء أن يعم نفعه أو يكف شره، أو لرجل كافر طمعاً في إيمانه أو إيمان قومه فيعطى من الزكاة ترغيباً لهم في الإسلام وتحبيباً لهم فيه.

وقد يتعدى هذا السهم إلى كل من يحقق مصلحة للإسلام والمسلمين من أوجه الدعاية كبعض رجال الصحف وأهل الأقاليم.

٥ - في الرقاب: المراد من هذا المصريف هو أن يكون المسلم رقيقاً فيشتري

(١) التوبة.

(٣) شديد.

(٢) البخاري.

من الزكاة ويُعْتَقُ في سَبِيلِ اللَّهِ. أو الْمُسْلِمُ يَكُونُ مُكَاتَباً فَيُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ مَا يُسَدِّدُ بِهِ نَجُومَ كِتَابَتِهِ لِيُصْبِحَ حُرّاً بَعْدَ ذَلِكَ.

٦ - الْغَارِمُونَ: الْغَارِمُ هُوَ الْمَدِينُ الَّذِي تَحْمَلُ دَيْنًا فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَتَعَذَّرُ عَلَيْهِ تَسْدِيدُهُ فَيُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ مَا يُسَدُّ بِهِ دَيْنَهُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَجُلُ الْمَسْأَلَةَ إِلَّا ثَلَاثَ: لِذِي فَقْرٍ مُذْقِعٍ^(١) أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْطَعٍ^(٢) أَوْ لِذِي دَمٍ^(٣) مُوَجِّعٍ^(٤)».

٧ - فِي سَبِيلِ اللَّهِ: الْمَرَادُ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ الْعَمَلُ الْمَوْصِلُ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ وَجَنَاتِهِ وَأَخْصَهُ الْجِهَادُ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيُعْطَى الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا، وَيَشْمَلُ هَذَا السَّهْمُ سَائِرَ الْمَصَالِحِ الشَّرْعِيَّةِ الْعَامَّةِ كَعِمَارَةِ الْمَسَاجِدِ وَبِنَايَةِ الْمُسْتَشْفَيَاتِ وَالْمَدَارِسِ وَالْمَلَاجِيءِ لِلْيَتَامَى. غَيْرَ أَنَّ أَوَّلَ مَا يُبْدَأُ بِهِ الْجِهَادُ مِنْ إِعْدَادِ السِّلَاحِ وَالزَّادِ وَالرِّجَالِ وَسَائِرِ مَتَطَلِّبَاتِ الْجِهَادِ وَالْغُرُوفِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى.

٨ - ابْنُ السَّبِيلِ: ابْنُ السَّبِيلِ هُوَ الْمَسَافِرُ الْمُنْقَطِعُ عَنْ بَلَدِهِ الْبَعِيدِ، فَيُعْطَى مِنَ الزَّكَاةِ مَا يُسَدُّ حَاجَتَهُ فِي غُرْبَتِهِ، وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا فِي بَلَادِهِ، نَظَرًا لِمَا عَرَضَ لَهُ مِنَ الْفَقْرِ فِي حَالِ سَفَرِهِ وَانْقِطَاعِهِ. وَهَذَا إِنْ لَمْ يُوَجَدْ مِنْ يُقْرِضُهُ قَرْضًا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى قَضَائِهِ حَاجَاتِهِ، فَإِنْ وَجَدَ مِنْ يُقْرِضُهُ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْرِضَ، وَلَا تُعْطَى لَهُ الزَّكَاةُ مَا دَامَ غَنِيًّا فِي بَلَادِهِ.

[تَنْبِيهَاتُ:]

١ - لَوْ دَفَعَ مُسْلِمٌ زَكَاةَ مَالِهِ لِأَيِّ صِنْفٍ مِنَ الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ أَجْزَأَ ذَلِكَ، غَيْرَ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُقَدَّمَ الْأَهَمُّ وَالْأَكْثَرُ حَاجَةً، وَإِنْ كَانَ مَالُ الزَّكَاةِ كَثِيرًا فَوَزَعَهُ عَلَى كُلِّ صِنْفٍ مَوْجُودٍ مِنَ الثَّمَانِيَةِ لَكَانَ أَفْضَلَ.

٢ - لَا تُدْفَعُ الزَّكَاةُ إِلَى مَنْ تَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ نَفَقَتُهُمْ، كَالْوَالِدَيْنِ وَالْأَبْنَاءِ،

(١) شديد.

(٢) شديد: شنيع.

(٣) المراد به المسلم يتحمل دية فيطالب بها ولا يجد ما يسدها به.

(٤) الترمذي وحسنه.

وَأِنْ سَفَلُوا، وَالزَّوْجَةَ لَوْجُوبٍ نَفَقَتِهِمْ عَلَيْهِ عِنْدَ احتياجِهِمْ إِلَى النَّفَقَةِ.

٣ - لَا تُعْطَى الزَّكَاةُ لَالَ النَّبِيِّ ﷺ لِشَرَفِهِمْ وَهُمْ: بَنُو هَاشِمٍ، وَأَلُّ عَلِيٍّ، وَأَلُّ جَعْفَرٍ، وَأَلُّ عَقِيلٍ، وَأَلُّ الْعَبَّاسِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَبْغِي لَالَ مُحَمَّدٍ ﷺ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ»^(١).

٤ - يُجْزَى الْمُسْلِمُ أَنْ يَدْفَعَ زَكَاةَ مَالِهِ لِإِمَامِهِ الْمُسْلِمِ، وَلَوْ كَانَ جَائِرًا، وَتَبْرًا بِذَلِكَ ذِمَّتُهُ، لِقَوْلِهِ ﷺ فِي الزَّكَاةِ: «إِذَا أَذِيَتْهَا إِلَى رَسُولِي فَقَدْ بُرِّئَتْ مِنْهَا فَلَكَ أَجْرُهَا، وَإِنَّمَا عَلَى مَنْ بَدَّلَهَا»^(٢).

٥ - لَا تُعْطَى الزَّكَاةُ لِكَافِرٍ وَلَا لِفَاسِقٍ، كَتَارِكِ الصَّلَاةِ، وَالْمُسْتَهْتِرِ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ إِلَى فَقَرَائِهِمْ» أَيُّ أَغْنِيَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَفَقَرَائِهِمْ، وَلَا لَغَنِيٍّ، وَلَا لِقَوِيٍّ مَكْتَسِبٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا حَظَّ فِيهَا لَغَنِيٍّ، وَلَا لِقَوِيٍّ مَكْتَسِبٍ»^(٣)، يَعْنِي يَكْتَسِبُ قَدْرَ كِفَايَتِهِ.

٦ - لَا يَجُوزُ نَقْلُ الزَّكَاةِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى آخَرَ يَبْعُدُ بِمَسَافَةٍ قَصِيرٍ فَأَكْثَرَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «تُرَدُّ عَلَى فَقَرَائِهِمْ»، وَاسْتَشْنَى أَهْلُ الْعِلْمِ مَا إِذَا انْعَدَمَ الْفُقَرَاءُ مِنْ بَلَدٍ، أَوْ كَانَتْ الْحَاجَةُ فِيهِ أَشَدَّ، فَإِنَّهُ يَجُوزُ نَقْلُهَا إِلَى بَلَدٍ آخَرَ فِيهِ فَقَرَاءٌ، يَفْعَلُ ذَلِكَ الْإِمَامُ أَوْ غَيْرُهُ.

٧ - مَنْ لَهُ دَيْنٌ عَلَى فَقِيرٍ فَأَرَادَ أَنْ يَجْعَلَهُ مِنْ زَكَاتِهِ، جَازَ ذَلِكَ إِذَا كَانَ بِحَيْثُ لَوْ طَلَبَهُ مِنَ الْفَقِيرِ لَتَكَلَّفَ وَسَدَّدَهُ لَهُ، أَمَّا إِذَا كَانَ آيسًا مِنْ سِدَادِهِ، أَوْ أَعْطَاهُ لِرُدِّهِ عَلَيْهِ، فَلَا يَجُوزُ ذَلِكَ.

٨ - لَا تُجْزَى الزَّكَاةُ إِلَّا بِنِيَّتِهَا، فَلَوْ دَفَعَهَا بِغَيْرِ نِيَّةِ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ لَمَّا أَجْزَأَتْهُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا نَوَى»، فَعَلَى ذَافِعِهَا أَنْ يَنْوِيَ بِهَا الزَّكَاةَ الْفَرِيضَةَ عَلَيْهِ فِي مَالِهِ، وَأَنْ يَقْصِدَ بِهَا وَجَهَ اللَّهِ تَعَالَى، إِذْ الْإِخْلَاصُ شَرْطٌ فِي قَبُولِ كُلِّ عِبَادَةٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٤).

(٣) أحمد وقواه.

(١) مسلم.

(٤) البينة.

(٢) أحمد وأورده الحافظ في التخليص وسكت عنه.

المادة الخامسة: في زكاة الفطر:

١ - حكمها:

زكاة الفطر سنة واجبة على أعيان المسلمين، لقول ابن عمر رضي الله عنه: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زكاة الفطر من رَمَضَانَ صَاعاً من تَمْرٍ، أو صَاعاً من شَعِيرٍ، على العبد والحر، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين»^(١).

٢ - حكمها:

من حكمة زكاة الفطر: أَنَّهَا تُطَهِّرُ نَفْسَ الصَّائِمِ مِمَّا يَكُونُ قد عُلقَ بِهَا من آثارِ اللغو والرَّفثِ، كما أَنَّهَا تُغْنِي الفقراء والمساكين عن السؤالِ يومَ العيد، فقد قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: (فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زكاة الفطر طَهْرَةً للصائم من اللغو والرَّفثِ، وطُعْمَةً للمساكين)^(٢). وقال ﷺ: «أَغْنَوْهُمْ عن السؤالِ في هذا اليوم»^(٣).

٣ - مقدارها وأنواع الطعام التي تُخرجُ منها:

مقدارُ زكاة الفطر صَاعٌ، والصَّاعُ أربعة أمدادٍ (حَفَنَاتٍ) وتُخْرَجُ من غَالِبِ قُوتِ أَهْلِ الْبَلَدِ، سواءَ كَانَ قَمْحاً أو شَعيراً أو تَمْراً أو أُرْزاً أو زَبیباً أو إِقْطاً، لقول أبي سعيدٍ رضي الله: (كُنَّا إِذْ كَانَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخْرِجُ زكاة الفطر عن كلِّ صغيرٍ وكبيرٍ، حرٍّ أو مملوكٍ، صَاعاً من طعامٍ، أو صَاعاً من إِقْطٍ (اللَّبْنُ المَجْفَفُ) أو صَاعاً من شَعِيرٍ، أو صَاعاً من تَمْرٍ، أو صَاعاً من زَبیبٍ)^(٤).

٤ - لا تُخرجُ من غير الطعام:

الواجبُ أن تُخْرِجَ زكاة الفطر من أنواعِ الطعامِ، ولا يُعَدَّلُ عَنْهُ إلى النُقُودِ إلا

(١) متفق عليه.

(٢) أبو داود وابن ماجه وصححه الحاكم وتامة: «... فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات».

(٣) البيهقي وسنده ضعيف.

(٤) متفق عليه.

لِضُرُورَةٍ، إِذْ لَمْ يَثْبُتْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْرَجَ بِدَلَّهَا نَقُودًا، بَلْ لَمْ يُنْقَلْ حَتَّى عَنْ الصَّحَابَةِ إِخْرَاجُهَا نَقُودًا.

٥ - وَقْتُ وَجُوبِهَا وَقْتُ إِخْرَاجِهَا:

تَجِبُ زَكَاةُ الْفِطْرِ بِحُلُولِ لَيْلَةِ الْعِيدِ، وَأَوْقَاتُ إِخْرَاجِهَا: وَقْتُ جَوَازٍ وَهُوَ إِخْرَاجُهَا قَبْلَ يَوْمِ الْعِيدِ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، لِفِعْلِ ابْنِ عُمَرَ ذَلِكَ. وَوَقْتُ أَدَاءِ فَاضِلٍ وَهُوَ مِنْ طُلُوعِ فَجْرِ يَوْمِ الْعِيدِ إِلَى قَبْلِ الصَّلَاةِ، لِأَمْرِ ﷺ بِزَكَاةِ الْفِطْرِ أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ، وَلِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طَهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ فِيهِ زَكَاةٌ مُتَقَبَّلَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ فِيهِ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ»^(١). وَوَقْتُ قَضَائِهِ وَهُوَ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِيدِ فَصَاعِدًا فَإِنَّهَا تُؤَدَّى فِيهِ وَتَجْزِيءُ وَلَكِنْ مَعَ كَرَاهَةٍ.

٦ - مَصْرُفُهَا:

مَصْرِفُ زَكَاةِ الْفِطْرِ كَمَصْرِفِ الزُّكُوتِ الْعَامَّةِ، غَيْرَ أَنَّ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ أَوْلَى بِهَا مِنْ بَاقِي السِّهَامِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَغْنُوهُمْ عَنِ السُّؤَالِ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَلَا تُدْفَعُ لغيرِ الْفُقَرَاءِ إِلَّا عِنْدَ انْعِدَامِهِمْ، أَوْ خِيفَةَ فَقْرِهِمْ، أَوْ اسْتِدَادِ حَاجَةٍ غَيْرِهِمْ مِنْ ذَوِي السِّهَامِ.

[تَنْبِهَاتُ:]

١ - يَجُوزُ أَنْ تَدْفَعَ الْمَرْأَةُ الْغَنِيَّةُ زَكَاتَهَا لزوجِهَا الْفَقِيرِ، وَالْعَكْسُ لَا يَجُوزُ، لِأَنَّ نَفَقَةَ الْمَرْأَةِ وَاجِبَةٌ عَلَى الرَّجُلِ، وَلَيْسَتْ نَفَقَةُ الرَّجُلِ وَاجِبَةٌ عَلَى الْمَرْأَةِ.

٢ - تَسْقُطُ زَكَاةُ الْفِطْرِ عَمَّنْ لَا يَمْلِكُ قُوَّةَ يَوْمِهِ، إِذْ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.

٣ - مَنْ فَضَّلَ لَهُ عَنْ قُوَّةِ يَوْمِهِ شَيْءٌ فَأَخْرَجَهُ أَجْزَأَهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

(١) تقدم.

- ٤ - يَجُوزُ صَرْفُ صَدَقَةِ فَرْدٍ إِلَى مَتَعَدِّدِينَ مُوزَعَةً عَلَيْهِمْ، وَيَجُوزُ صَرْفُ صَدَقَةِ
عَدَّةِ أَفْرَادٍ إِلَى فَرْدٍ وَاحِدٍ، إِذَا جَاءَتْ عَنِ الشَّارِعِ مَطْلَقَةً غَيْرَ مُقَيَّدَةٍ.
- ٥ - تَحِبُّ زَكَاةُ الْفَطْرِ عَلَى الْمُسْلِمِ فِي الْبَلَدِ الَّذِي هُوَ مُقِيمٌ بِهِ.
- ٦ - لَا يَجُوزُ نَقْلُ زَكَاةِ الْفَطْرِ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ إِلَّا لِمُضْرُورَةٍ، شَأْنُهَا شَأْنُ
الزَّكَاةِ.

الفصل الحادي عشر

في الصِّيَامِ

وفيه عشر مواد:

المادة الأولى: في تعريف الصوم، وتاريخ فرضه:

١ - تعريف الصوم:

الصوم لغة: الإمساك، وشرعاً: الإمساك بنية التعبد عن الأكل والشرب وغشيان النساء، وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

٢ - تاريخ فرضية الصوم:

فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ الصِّيَامَ كَمَا فَرَضَهُ عَلَى الْأُمَمِ الَّتِي سَبَقَتْهَا، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١). وَكَانَ ذَلِكَ فِي يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهَجْرَةِ الْمُبَارَكَةِ.

المادة الثانية: في فضل الصوم، وفوائده:

أ - فضله:

يَشْهَدُ لِفَضْلِ الصَّوْمِ وَيَقْرُرُهُ الْأَحَادِيثُ النَّالِيَةُ:

قَوْلُهُ ﷺ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ، كَجُنَّةٍ أَحَدُكُمْ مِنَ الْقِتَالِ»^(٢).

(٢) أحمد وغيره، وسكت عنه السيوطي.

(١) البقرة.

وقوله ﷺ: «من صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ زَحَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ بِذَلِكَ الْيَوْمِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^(١). وقوله ﷺ: «إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةً لَا تُرَدُّ»^(٢). وقوله: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرِّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ، فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»^(٣).

ب - فوائد: للصيام فوائد رُوحِيَّةٌ واجتماعِيَّةٌ وصِحِّيَّةٌ وهي:

من الفوائد الروحية للصوم أنه يعودُّ الصَّبْرَ ويقوِّي عليه، ويُعلِّمُ ضبطَ النفسِ ويساعدُ عليه، ويوجدُ في النفسِ ملكةَ التَّقْوَى ويربِّيها، وبخاصَّةِ التَّقْوَى التي هي العلة البارزة من الصوم، في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ، كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ومن الفوائد الاجتماعية للصوم أنه يعودُّ الأمة النظامَ والاتِّحَادَ، وحُبَّ العَدْلِ والمساواة، ويكونُ في المؤمنين عاطفةَ الرِّحْمَةِ وخلقُ الإحسانِ، كما يَصُونُ المَجْتَمَعَ من الشرورِ والمفاسدِ.

ومن الفوائد الصِّحِّيَّة للصيام، أَنَّهُ يُطَهِّرُ الْأَمْعَاءَ وَيُصْلِحُ الْمَعْدَةَ، وَيَنْظِفُ الْبَدَنَ مِنَ الْفَضَلَاتِ وَالرَّوَاسِبِ، وَيَخَفِّفُ مِنْ وَطْأَةِ السَّمَنِ وَثِقَلِ الْبَطْنِ بِالشَّحْمِ. وفي الحديث عنه ﷺ: «صُومُوا تَصِحُّوا»^(٤).

المادة الثالثة: فيما يُسْتَحَبُّ من الصوم، وما يُكْرَهُ، وما يَحْرُمُ.

أ - مَا يُسْتَحَبُّ من الصِّيَامِ:

يُسْتَحَبُّ صِيَامُ الْأَيَّامِ التَّالِيَةِ:

١ - يَوْمَ عَرَفَةَ، لغير الحاجِّ وهو تاسِعُ ذِي الْحِجَّةِ، لقوله ﷺ: «صَوْمُ يَوْمِ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ ذُنُوبَ سِتِّينَ مَاضِيَةً وَمُسْتَقْبَلَةً، وَصَوْمُ عَاشُورَاءَ يُكَفِّرُ سَنَةً مَاضِيَةً»^(٥).

(١) ، ٣) متفق عليه . (٤) ابن السني، وأبو نعيم، وحسنه السيوطي .

(٢) ابن ماجه والحاكم وصححه . (٥) مسلم .

٢ - يَوْمُ عَاشُورَاءَ وَيَوْمُ قَاسُوعَاءَ، وَهُمَا الْعَاشِيرُ وَالتَّاسِعُ مِنْ شَهْرِ الْمُحَرَّمِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «... وَصَوْمُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ يُكَفِّرُ سَنَةً مَاضِيَةً»^(١). كَمَا صَامَ ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ وَقَالَ: «إِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ».

٣ - سِتَّةُ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: مِنْ صَامَ رَمَضَانَ وَأَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»^(٢).

٤ - النِّصْفُ الْأَوَّلُ مِنْ شَهْرِ شَعْبَانَ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (مَا رَأَيْتُ الرُّسُولَ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَهْرِ شَعْبَانَ)^(٣).

٥ - الْعَشْرُ الْأَوَّلُ مِنْ شَهْرِ الْحِجَّةِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ - يَعْنِي الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنَ الْحِجَّةِ - قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ»^(٤).

٦ - شَهْرُ الْمُحَرَّمِ، لِقَوْلِهِ ﷺ عِنْدَمَا سُئِلَ: أَيُّ الصِّيَامِ أَفْضَلُ بَعْدَ رَمَضَانَ؟ قَالَ: «شَهْرُ اللَّهِ الَّذِي تَدْعُونَهُ الْمُحَرَّمُ»^(٥).

٧ - الْأَيَّامُ الْبَيْضُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَهِيَ: الثَّلَاثُ عَشَرَ وَالرَّابِعَ عَشَرَ وَالْخَامِسَ عَشَرَ، لِقَوْلِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ أَنْ نَصُومَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ الْبَيْضِ: ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةٍ، وَقَالَ: هِيَ كَصَوْمِ الدَّهْرِ»^(٦).

٨ - ٩ - يَوْمُ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمُ الْخَمِيسِ، لَمَا رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ أَكْثَرَ مَا يَصُومُ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسَ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: «إِنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ كُلُّ اِثْنَيْنٍ وَخَمِيسٍ فَيُغْفَرُ لِلَّهِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَوْ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ إِلَّا الْمُتَهَاجِرِينَ فَيَقُولُ أَخْرَهُمَا»^(٧).

(١) ٥، ٢، ١ مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٦) النسائي وصححه ابن حبان.

(٧) أحمد وسنده صحيح.

(٤) البخاري.

١١ - صِيَامُ يَوْمٍ وَإِفْطَارُ يَوْمٍ ، لقوله ﷺ : « أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ كَانَ يَنَامُ نِصْفَهُ وَيَقُومُ ثَلَاثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفِطِرُ يَوْمًا »^(١) .

١٢ - الصِّيَامُ لِلْأَعَزِّ الَّذِي لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الزَّوْجِ ، لقوله ﷺ : « مِنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ »^(٢) رواه البخاري .

ب - مَا يُكْرَهُ مِنَ الصَّوْمِ :

١ - صِيَامُ يَوْمِ (عُرْفَةَ) لِمَنْ وَقَفَ بِهَا لِنَهْيِهِ ﷺ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عُرْفَةَ لِمَنْ بَعَرَفَةَ^(٣) .

٢ - صِيَامُ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مُنْفَرِدًا ، لقوله ﷺ : « إِنْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عِيدُكُمْ فَلَا تَصُومُوهُ إِلَّا أَنْ تَصُومُوا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ »^(٤) .

٣ - صِيَامُ يَوْمِ السَّبْتِ مُنْفَرِدًا ، لقوله ﷺ : « لَا تَصُومُوا يَوْمَ السَّبْتِ إِلَّا فِيمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا لِحَاءً^(٥) عَنَبٍ أَوْ عُودَ شَجَرَةٍ فَلْيَمْضِغْهُ »^(٦) .

٤ - صَوْمُ آخِرِ شَعْبَانَ لقوله ﷺ : « إِذَا انْتَصَفَ شَعْبَانٌ فَلَا تَصُومُوا »^(٧) .
[تنبيه] :

الكَرَاهَةُ فِي صِيَامِ هَذِهِ الْأَيَّامِ كَرَاهَةُ تَنْزِيهِ ، وَمَا يَلِي كَرَاهَتَهُ كَرَاهَةُ تَحْرِيمٍ ، وَهُوَ :

١ - الْوِصَالُ : وَهُوَ مَوَاصَلَةُ الصَّوْمِ يَوْمَيْنِ فَأَكْثَرَ بِلَا إِفْطَارٍ ، لقوله ﷺ : « لَا تُوَاصِلُوا »^(٨) . وقوله : « إِيَّاكُمْ وَالْوِصَالَ »^(٩) .

٢ - صَوْمُ يَوْمِ الشُّكِّ ، وَهُوَ يَوْمُ الثَّلَاثِينَ مِنْ شَعْبَانَ ، لقوله ﷺ : « مَنْ صَامَ يَوْمَ الشُّكِّ فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ »^(١٠) .

(١) متفق عليه .

(٢) أصحاب السنن وحسنه الترمذي .

(٣) أصحاب السنن وصححه ابن حبان .

(٤) البخاري .

(٥) متفق عليه .

(٦) البخاري تعليقا .

(٧) وجاء : خصاء يعني أنه يكسر حدة الشهوة .

(٨) أبو داود وصححه الحاكم .

(٩) البزار وسنده جيد وأصله في الصحيحين .

(١٠) اللحاء : القشر .

٣ - صَوْمُ الدَّهْرِ، وَهُوَ صَوْمُ السَّنَةِ كُلِّهَا بِلَا فِطْرِ فِيهَا، لِقَوْلِهِ ﷺ «لَا صَامَ مَنْ صَامَ الْأَبَدَ»^(١). وَقَوْلِهِ: «مَنْ صَامَ الْأَبَدَ، فَلَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ»^(٢).

٤ - صَوْمُ الْمَرْأَةِ بِلَا إِذْنِ زَوْجِهَا وَهُوَ حَاضِرٌ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَصُمْ الْمَرْأَةُ يَوْمًا وَاحِدًا، وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، إِلَّا رَمَضَانَ»^(٣).

ج - الصَّوْمُ الْمَحْرَمُ، وَهُوَ صَوْمُ الْأَيَّامِ التَّالِيَةِ:

١ - صَوْمُ يَوْمِ الْعِيدِ فِطْرًا كَانَ أَوْ أَضْحَى، لِقَوْلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَذَا يَوْمَانِ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ صَوْمِهِمَا: يَوْمُ فِطْرِكُمْ مِنْ صَوْمِكُمْ، وَالْيَوْمُ الَّذِي تَأْكُلُونَ فِيهِ مِنْ نُسُكِكُمْ»^(٤).

٢ - أَيَّامُ التَّشْرِيقِ الثَّلَاثَةِ، إِذْ «أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَائِحًا يَصِيحُ فِي (مِنَى) أَنْ لَا تَصُومُوا هَذِهِ الْأَيَّامَ، فَإِنَّهَا أَيَّامُ أَكْلٍ وَشَرْبٍ وَبَعَالٍ»^(٥). وَفِي لَفْظٍ وَذَكَرَ اللَّهُ.

٣ - أَيَّامُ الْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ، إِذِ الْإِجْمَاعُ عَلَى فَسَادِ صَوْمِ الْحَائِضِ وَالنَّفَاسِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَلَيْسَتْ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تَصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟. فَذَلِكَ مِنْ نَقْصَانِ دِينِهَا»^(٦).

٤ - صَوْمُ الْمَرِيضِ الَّذِي يَخْشَى عَلَى نَفْسِهِ الْهَلَكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾^(٧).

المادة الرابعة في وجوب صوم رمضان، وبيان فضله:

أ - وجوب صوم رمضان:

صِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ وَاجِبٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾^(٨). وَقَوْلِ رَسُولِهِ ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ:

(١) مسلم.

(٢) البخاري.

(٣) النساء.

(٤) البقرة.

(١) مسلم.

(٢) أحمد والنسائي وصححه.

(٣) متفق عليه.

(٤) مسلم.

شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَحُجُّ الْبَيْتِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ^(١). وقوله ﷺ: «عَرَى الْإِسْلَامَ وَقَوَاعِدُ الدِّينِ ثَلَاثَةٌ عَلَيْهِنَّ أُسِّسَ الْإِسْلَامُ مَنْ تَرَكَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ فَهُوَ بِهَا كَافِرٌ حَلَالُ الدَّمِ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ»^(٢).

ب - فَضْلُ رَمَضَانَ:

لرَمَضَانَ فضائلٌ عظيمةٌ، ومزايَا عديدةٌ لم تكن لِغَيْرِهِ من الشُّهُورِ. والأَحَادِيثُ التَّالِيَةُ تُثَبِّتُ ذَلِكَ وتُؤَكِّدُهُ:

قوله ﷺ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مَكْفِرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، إِنْ اجْتَنِبْتَ الْكَبَائِرُ»^(٣). وقوله ﷺ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٤). وَقَالَ ﷺ: «وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَلْهَثُ عَطْشًا كُلَّمَا وَرَدَ حَوْضًا مُنِعَ مِنْهُ، فَجَاءَهُ صِيَامُ رَمَضَانَ فَسَقَاهُ وَرَوَاهُ»^(٥). وقوله ﷺ: «إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجَانِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَنَادَى مُنَادٌ: «يَا بَاغِيَّ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، يَا بَاغِيَّ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عِتْقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ»^(٦).

المادة الخامسة: في فضل البرِّ والإِحْسَانِ في رَمَضَانَ:

لفُضْلِ رَمَضَانَ، قد فَضِّلَ كُلُّ مَا يَقَعُ فِيهِ مِنْ أَفْعَالِ الْخَيْرِ وَأَصْرُبِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

١ - الصَّدَقَةُ: إِذْ قَالَ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ صَدَقَةٌ فِي رَمَضَانَ»^(٧). وَقَالَ ﷺ: «مَنْ فَطَرَ

(١) متفق عليه.

(٢) أبو يعلى في مسنده بسند حسن.

(٣) مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٥) الطبراني في حديث منامه الطويل «ص».

(٦) الترمذي وقال غريب ورواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين.

(٧) الترمذي وهو ضعيف.

صَائِماً فَلَهُ أَجْرُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ^(١). وقال ﷺ: «مَنْ فَطَرَ صَائِماً عَلَى طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ مِنْ حَلَالٍ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ فِي سَاعَاتِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَصَلَّى عَلَيْهِ جِبْرِيلُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ»^(٢). وَكَانَ ﷺ. أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ^(٣).

٢ - قِيَامُ اللَّيْلِ: إِذْ قَالَ ﷺ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»^(٤). وَكَانَ ﷺ يُحِبُّ لَيْلِيَّ رَمَضَانَ، وَإِذَا كَانَ الْعَشْرُ الْأَوَّلُ أَيْقَطَ أَهْلَهُ، وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ يَطِيقُ الصَّلَاةَ»^(٥).

تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: إِذْ كَانَ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي رَمَضَانَ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فِي رَمَضَانَ^(٦).

وَكَانَ ﷺ يُطِيلُ الْقِرَاءَةَ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ أَكْثَرَ مِمَّا يُطِيلُ فِي غَيْرِهِ، فَقَدْ صَلَّى مَعَهُ حَدِيقَةُ لَيْلَةٍ فَقَرَأَ بِالْبَقَرَةِ ثُمَّ آلَ عَمْرَانَ ثُمَّ النِّسَاءَ، لَا يَمُرُّ بِآيَةٍ تَخْوِيفٍ إِلَّا وَقَفَ عِنْدَهَا يَسْأَلُ فَمَا صَلَّى رَكَعَتَيْنِ حَتَّى جَاءَ «بِلَالٌ» فَأَذَنَهُ بِالصَّلَاةِ كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ. وَقَالَ ﷺ: «الصَّيَّامُ وَالْقِيَامُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصَّوْمُ: «رَبِّ مَنْعَتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ بِالنَّهَارِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ، مَنْعَتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنَا بِهِ»^(٧).

٤ - الِاعْتِكَافُ: وَهُوَ مُلَازِمَةُ الْمَسْجِدِ لِلْعِبَادَةِ تَقَرُّباً إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَدْ اعْتَكَفَ ﷺ وَلَمْ يَزَلْ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيحِ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ، وَتَكْفُلُ اللَّهُ لِمَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ بَيْتَهُ بِالرُّوحِ وَالرَّحْمَةِ وَالْجَوَازِ عَلَى الصَّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ»^(٨).

٥ - الِاعْتِمَارُ: وَهُوَ زِيَارَةُ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ لِلطَّوَافِ وَالسُّعْيِ، فِي رَمَضَانَ، إِذْ

(١) أحمد والترمذي وهو صحيح. (٥) مسلم.

(٢) الطبراني وأبو الشيخ. (٦) البخاري.

(٣) البخاري. (٧) أحمد والنسائي.

(٤) متفق عليه. (٨) الطبراني والبخاري.

قال : « عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حُجَّةً مَعِيَ »^(١) . وَقَالَ ﷺ : « الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا »^(٢) .

المادة السادسة : فِي ثُبُوتِ شَهْرِ رَمَضَانَ :

يُثْبِتُ دُخُولَ رَمَضَانَ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ : أَوَّلُهُمَا كَمَالُ الشَّهْرِ السَّابِقِ عَنْهُ وَهُوَ شَعْبَانُ فَإِذَا تَمَّ لَشَعْبَانَ ثَلَاثُونَ يَوْمًا ، فَيَوْمُ الْوَاحِدِ وَالثَّلَاثِينَ هُوَ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ قَطْعًا . وَثَانِيَهُمَا رُؤْيُ هِلَالِهِ ، فَإِذَا رُؤِيَ هِلَالُ رَمَضَانَ لَيْلَةَ الثَّلَاثِينَ مِنْ شَعْبَانَ فَقَدْ دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ وَوَجِبَ صَوْمُهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ »^(٣) . وَقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ : « إِذَا رَأَيْتُمُ الْهِلَالَ فَصُومُوا وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَافْطَرُوا فَإِنْ غَمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْبَلُوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا »^(٤) .

وَيَكْفِي فِي ثُبُوتِ رُؤْيِيهِ شَهَادَةُ عَدْلٍ أَوْ عَدْلَيْنِ إِذْ أَحْجَزَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهَادَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَى رُؤْيِيهِ هِلَالِ رَمَضَانَ^(٥) . أَمَّا رُؤْيُ شَوَالٍ لِلْإِفْطَارِ فَلَا تَثْبُتُ إِلَّا بِشَهَادَةِ عَدْلَيْنِ ، إِذَا لَمْ يُحْزَرْ الرَّسُولُ ﷺ شَهَادَةُ الْعَدْلِ الْوَاحِدِ فِي الْإِفْطَارِ^(٦) .
[تَنْبِيْهُ]

مَنْ رَأَى هِلَالَ رَمَضَانَ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَصُومَ وَإِنْ لَمْ يَقْبَلْ شَهَادَتَهُ ، وَمَنْ رَأَى هِلَالَ الْفِطْرِ وَلَمْ يَقْبَلْ شَهَادَتَهُ لَا يُفْطِرُ ، لِقَوْلِهِ ﷺ : « الصَّوْمُ يَوْمَ تَصُومُونَ ، وَالْفِطْرُ يَوْمَ تَفْطَرُونَ ، وَالْأَضْحَى يَوْمَ تُضْحُونَ »^(٧) .

المادة السابعة : فِي شُرُوطِ الصَّوْمِ ، وَحُكْمِ صَوْمِ الْمَسَافِرِ ، وَالْمَرِيضِ ، وَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ ، وَالْحَامِلِ ، وَالْمَرْضِعِ :

أ- شُرُوطُ الصَّوْمِ :

يُشْتَرَطُ فِي وَجُوبِ الصَّوْمِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا بِالْغَا ، لِقَوْلِهِ ﷺ :

(١) ، (٢) متفق عليه . (٥) أبو داود وغيره وهو صحيح .
(٣) البقرة . (٦) الطبراني والدارقطني .
(٤) مسلم . (٧) الترمذي وحسنه ولابن ماجه « الفطر يوم تفطرون والأضحى يوم تضحون » .

«رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَفِيْقَ، وَعَنْ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ»^(١). وَإِنْ كَانَتْ مُسْلِمَةٌ يَشْتَرِطُ لَهَا فِي صَحَّةِ صَوْمِهَا أَنْ تَكُونَ طَاهِرَةً مِنْ دَمِ الْحَيْضِ وَالنَّفَاسِ، لِقَوْلِهِ ﷺ فِي بَيَانِ نَقْصَانِ دِينِ الْمَرْأَةِ: «أَلَيْسَتْ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟»^(٢).

ب - الْمَسَافِرُ:

إِذَا سَافَرَ الْمُسْلِمُ مَسَافَةً قَصْرًا، وَهِيَ ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ مِيلًا، رَخَّصَ لَهُ الشَّارِعُ فِي الْفِطْرِ عَلَى أَنْ يَقْضِيَ مَا أَفْطَرَ فِيهِ عِنْدَ حُضُورِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(٣). ثُمَّ هُوَ إِنْ كَانَ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ لَا يَشُقُّ عَلَيْهِ فَصَامَ لَكَانَ أَحْسَنَ، وَإِنْ كَانَ يَشُقُّ عَلَيْهِ فَأَفْطَرَ كَانَ أَحْسَنَ. لِقَوْلِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ فَمِنَّا الصَّائِمُ، وَمِنَّا الْمُفْطِرُ فَلَا يَجِدُ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ، وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ، ثُمَّ يَرَوْنَ أَنَّ مِنْ وَجَدَ قُوَّةَ فَصَامَ فَإِنَّ ذَلِكَ حَسَنٌ، وَيَرَوْنَ مَنْ وَجَدَ ضَعْفًا فَأَفْطَرَ، فَإِنَّ ذَلِكَ حَسَنٌ»^(٤).

ج - الْمَرِيضُ:

إِذَا مَرَضَ الْمُسْلِمُ فِي رَمَضَانَ نَظَرَ، فَإِنْ كَانَ يَقْدِرُ عَلَى الصَّوْمِ بِلَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ صَامَ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ أَفْطَرَ، ثُمَّ إِنْ كَانَ يَرْجُو الْبُرْءَ مِنْ مَرَضِهِ فَإِنَّهُ يَنْتَظِرُ حَتَّى الْبُرْءِ ثُمَّ يَقْضِي مَا أَفْطَرَ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ لَا يُرْجَى بُرْؤُهُ أَفْطَرَ وَتَصَدَّقَ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ يُفْطِرُهُ بِمِدَّةٍ طَعَامٍ، أَيْ حَفْنَةٍ قَمْحٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامٍ مَسَاكِينَ﴾^(٥).

د - الشَّيْخُ الْكَبِيرُ:

إِذَا بَلَغَ الْمُسْلِمُ أَوْ الْمُسْلِمَةُ سِنًّا مِنَ الشَّيْخُوخَةِ لَا يَقْوَى مَعَهُ عَلَى الصَّوْمِ أَفْطَرَ

(١) أحمد وأبو داود وهو صحيح.

(٢) مسلم.

(٣) البخاري.

(٤) البقرة.

(٥) البقرة.

وتصدق على كل يوم يفطره بمدي من طعام، لقول ابن عباس رضي الله عنهما: «رُخِّصَ لِلشَّيْخِ الْكَبِيرِ أَنْ يُطْعِمَ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ مَسْكِينًا وَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ»^(١).

هـ - الحامل والمرضة:

إِذَا كَانَتْ الْمُسْلِمَةُ حَامِلًا فَخَافَتْ عَلَى نَفْسِهَا، أَوْ عَلَى مَا فِي بَطْنِهَا أَفْطَرَتْ، وَعِنْدَ زَوَالِ الْعُذْرِ قَضَتْ مَا أَفْطَرَتْهُ، وَإِنْ كَانَتْ مُوسِرَةً تَصَدَّقَتْ مَعَ كُلِّ يَوْمٍ تَصَوْمُهُ بِمَدٍّ مِنْ قَمْحٍ فَيَكُونُ أَكْمَلُ لَهَا وَأَعْظَمُ أَجْرًا.

وهكذا الحكم بالنسبة إلى المرضعة إذا خافت على نفسها، أو على ولدها ولم تجد من ترضعه لها، أو لم يقبل غيرها. وهذا الحكم مستنبط من قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾، فإن معنى يطيقونه: يطيقونه بمشقة شديدة، فإن هم أفطروا قضاوا أو أطعموا مسكيناً.

[تنبيهان]:

١ - من فرط في قضاء رمضان بدون عذر حتى دخل عليه رمضان آخر فإن عليه أن يطعم مكان كل يوم يقضيه مسكيناً.

٢ - من مات من المسلمين وعليه صيام قضاء عنه وليه، لقوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ»^(٢). وقوله لمن سألته قائلًا: «إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ أَفَأَقْضِيهِ عَنْهَا؟». قَالَ: نَعَمْ، فَيَدِينُ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَى»^(٣).

المادة الثامنة في أركان الصوم، وسننه، ومكروهاته:

أركان الصوم، وهي:

١ - النية، وهي عزم القلب على الصوم امتثالاً لأمر الله عز وجل، أو تقرباً إليه، لقوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ». فإذا كان الصوم فرضاً فالنية تجب لبطل قبل الفجر، فقوله ﷺ: «مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصِّيَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَلَا صِيَامَ لَهُ»^(٤). وإن كان نفلاً

(٤) الترمذي.

(٢، ٣) متفق عليه.

(١) الدراقطني والحاكم وصححه.

صَحَّتْ وَلَوْ بَعْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ، وَارْتِفَاعِ النَّهَارِ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ طَعِمَ شَيْئاً، لَقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: «هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟». قُلْنَا: لَا. قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ»^(١).

٢ - الإِمْسَاكُ، وَهُوَ الْكَفُّ عَنِ الْمُفْطَرَاتِ مِنْ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَجَمَاعٍ.

٣ - الزَّمَانُ، وَالْمَرَادُ بِهِ النَّهَارُ، وَهُوَ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ فَلَوْ صَامَ امْرُؤٌ لَيْلاً وَأَفْطَرَ نَهَاراً لَمَا صَحَّ صَوْمُهُ أَبَدًا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(٢).

ب - سُنَنُ الصَّوْمِ، وَهِيَ:

١ - تَعْجِيلُ الْفِطْرِ، وَهُوَ الْإِفْطَارُ عَقِبَ تَحَقُّقِ غُرُوبِ الشَّمْسِ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ»^(٣). وَقَوْلِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ يُصَلِّي الْمَغْرِبَ حَتَّى يُفْطِرَ وَلَوْ عَلَى شَرْبَةِ مَاءٍ»^(٤).

٢ - كَوْنُ الْفِطْرِ عَلَى رُطْبٍ أَوْ تَمْرٍ أَوْ مَاءٍ، وَأَفْضَلُ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ أُولَاهَا وَآخِرُهَا أَدْنَاهَا. وَهُوَ الْمَاءُ، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُفْطَرَ عَلَى وَتْرٍ: ثَلَاثٍ أَوْ خَمْسٍ أَوْ سَبْعٍ لِقَوْلِ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفْطِرُ عَلَى رَطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَعَلَى تَمْرَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ»^(٥).

٣ - الدَّعَاءُ عِنْدَ الْإِفْطَارِ إِذْ كَانَ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ فِطْرِهِ: «اللَّهُمَّ لَكَ صُومْنَا وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْنَا، فَتَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»^(٦). وَكَانَ ابْنُ عُمرَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي»^(٧).

٤ - السُّحُورُ، وَهُوَ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ فِي السَّحْرِ آخِرَ اللَّيْلِ بَنِيَّةَ الصَّوْمِ،

(١) مسلم.

(٢) البقرة.

(٥) الطبراني.

(٦) أبو داود.

(٣) متفق عليه.

(٧) رواه ابن ماجة وهو صحيح.

(٤) الترمذي وحسنه.

لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنْ فَضَلَ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكَلَهُ السَّحَرِ»^(١). وقوله: «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَهً»^(٢).

هـ - تَأْخِيرُ السَّحُورِ إِلَى الْجُزْءِ الْآخِرِ مِنَ اللَّيْلِ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ أُمِّي بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ وَأَخَّرُوا السَّحَرَ»^(٣).

وَيَبْتَدِئُ وَقْتُ السَّحُورِ مِنْ نَصْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ وَيَنْتَهِي قَبْلَ الْفَجْرِ بِدَقَائِقَ لِقَوْلِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ فَقُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالسَّحُورِ، قَالَ: قَدَرُ خُمُسِينَ آيَةً»^(٤).

[تَنْبِيْهُ:]

مَنْ شَكَّ فِي طُلُوعِ الْفَجْرِ لَهُ أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَشْرَبَ حَتَّى يَتَيَقَّنَ طُلُوعَ الْفَجْرِ ثُمَّ يُمَسِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾^(٥). وقد قيل لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنِّي أَتَسَحَّرُ إِذَا شَكَّكَتُ أَمْسَكْتُ، فَقَالَ لَهُ: كُلْ مَا شَكَّكَتَ حَتَّى لَا تَشْكُ»^(٦).

ج - مَكْرُوهُاتُ الصَّوْمِ:

يُكْرَهُ لِلصَّائِمِ أُمُورٌ مِنْ شَأْنِهَا الْإِفْضَاءُ إِلَى فَسَادِ الصَّوْمِ، وَإِنْ كَانَتْ فِي حَدِّ ذَاتِهَا لَا تُفْسِدُ الصَّوْمَ، وَهِيَ:

١ - الْمُبَالَغَةُ فِي الْمَضْمَضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ عِنْدَ الْوُضُوءِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «وَبَالَغْ فِي الْاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا»^(٧)، فَقَدْ كَرِهَ لَهُ ﷺ الْمُبَالَغَةَ فِي الْاسْتِنْشَاقِ خَشْيَةً أَنْ يَصِلَ إِلَى جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَاءِ فَيُفْسِدَ صَوْمَهُ.

(١) مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) أحمد وهو صحيح.

(٤) متفق عليه.

(٥) البقرة.

(٦) رواه ابن أبي شيبة وأورده الحافظ في الفتح. والأكل والشرب حتى يتبين طُلُوعُ الْفَجْرِ مَذْهَبُ الْجَمَاهِيرِ.

ورأى مالك أن من أكل شاكاً في طُلُوعِ الْفَجْرِ فَإِنَّ عَلَيْهِ الْقَضَاءَ، وَهَذَا مَجْرَدُ احْتِيَاظٍ فَقَطْ.

(٧) أصحاب السنن وابن خزيمة وصححه.

٢ - الْقُبْلَةُ، إِذْ قَدْ تَثِيرُ شَهْوَةً تُجْرِي إِلَى إِفْسَادِ الصَّوْمِ بِخُرُوجِ الْمَذْيِ أَوْ الْجِمَاعِ حَيْثُ تَجِبُ الْكَفَّارَةُ.

٣ - إِدَامَةُ النَّظَرِ بِشَهْوَةٍ إِلَى الزَّوْجَةِ.

٤ - الْفَكْرُ فِي شَأْنِ الْجَمَاعِ.

٥ - اللَّمْسُ بِالْيَدِ لِلْمَرْأَةِ أَوْ مُبَاشَرَتُهَا بِالْجَسَدِ.

٦ - مَضْغُ الْعِلْكِ خَشْيَةً أَنْ يَتَسَرَّبَ بَعْضُ أَجْزَائِهِ مِنْهُ إِلَى الْحَلْقِ.

٧ - ذَوْقُ الْقِدْرِ أَوْ الطَّعَامِ.

٨ - الْمَضْمَضَةُ لغيرِ وُضوءٍ أَوْ جَاحَةٍ تَدْعُو إِلَيْهَا.

٩ - الْاِكْتِحَالُ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ، وَلَا بَاسَ بِهِ فِي آخِرِهِ.

١٠ - الْحِجَامَةُ أَوْ الْفَصْدُ خَشْيَةً الضَّعْفِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْإِفْطَارِ لَمَّا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّغْيِيرِ بِالصَّوْمِ.

المادة التاسعة: فيما يُبْطَلُ الصَّوْمُ، وَمَا يُبَاحُ لِلصَّائِمِ فَعْلُهُ، وَمَا يُعْفَى عَنْهُ فِيهِ:

١ - مَا يُبْطَلُ الصَّوْمُ أُمُورٌ هِيَ:

١ - وَضُوءٌ مَائِعٌ إِلَى الْجَوْفِ بِوَاسِطَةِ الْأَنْفِ كَالسَّعُوطِ، أَوْ الْعَيْنِ وَالْإِذْنِ كَالْتَّقْطِيرِ، أَوِ الدُّبْرِ وَقَبْلَ الْمَرْأَةِ كَالْحُقْنَةِ.

٢ - مَا وَصَلَ إِلَى الْجَوْفِ بِالمَبَالِغَةِ فِي الْمَضْمَضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ فِي الْوُضُوءِ وَغَيْرِهِ.

٣ - خُرُوجُ الْمَنِيِّ بِإِدَامَةِ النَّظَرِ أَوْ إِدَامَةِ الْفِكْرِ أَوْ قُبْلَةٍ أَوْ مُبَاشَرَةٍ.

٤ - الْأَسْتِقَاءُ الْعَمْدُ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ اسْتَقَاءَ عَمْدًا فَلْيَقْضِ». أَمَّا مَنْ غَلَبَهُ الْقَيْءُ فَقَاءَ بِدُونِ اخْتِيَارِهِ فَلَا يُفْسِدُ صَوْمَهُ.

٥ - الْأَكْلُ أَوْ الشَّرْبُ أَوْ الْوُطْءُ فِي حَالِ الْإِكْرَاهِ عَلَى ذَلِكَ.

(١) ما ذكر من هذه المبطلات هو الصحيح من مذاهب أهل العلم، وما من مسألة إلا وعليها دليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع. أو قياس صحيح.

- ٦ - مَنْ أَكَلَ وَشَرِبَ ظَانًّا بَقَاءَ اللَّيْلِ ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ طُلُوعُ الْفَجْرِ.
- ٧ - مَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ ظَانًّا فِي دُخُولِ اللَّيْلِ ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ بَقَاءُ النَّهَارِ.
- ٨ - مَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا، ثُمَّ لَمْ يُمِسِّكَ ظَانًّا أَنْ الْأَمْسَاكَ غَيْرُ وَاجِبٍ عَلَيْهِ مَا دَامَ قَدْ أَكَلَ وَشَرِبَ فَوَاصِلَ الْفِطْرِ إِلَى اللَّيْلِ.
- ٩ - وَصُولُ مَا لَيْسَ بِطَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ إِلَى الْجَوْفِ بِوَاسِطَةِ الْفَمِ كَاثِبِلَاعِ جَوْهَرَةٍ أَوْ خَيْطٍ لِمَا رَوَى أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (الصَّوْمُ لِمَا دَخَلَ وَلَيْسَ لِمَا خَرَجَ)^(١). يُرِيدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهِذَا أَنَّ الصَّوْمَ يَفْسُدُ بِمَا يَدْخُلُ فِي الْجَوْفِ لَا بِمَا يَخْرُجُ كَالْدَّمِ وَالْقَيْءِ.
- ١٠ - رَفَضُ نِيَّةِ الصَّوْمِ وَلَوْ لَمْ يَأْكُلْ أَوْ يَشْرَبْ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُتَنَاوِلٍ لِلْإِفْطَارِ وَإِلَّا فَلَا.
- ١١ - الرُّدَّةُ عَنِ الْإِسْلَامِ إِنْ عَادَ إِلَيْهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ^(٢).
- وهذه المبطلات كلها تُفْسِدُ الصَّوْمَ وَتُوجِبُ قَضَاءَ الْيَوْمِ الَّذِي فَسَدَ بِهَا غَيْرَ أَنَّهَا لَا كَفَّارَةٌ فِيهَا، إِذِ الْكَفَّارَةُ لَا تَجِبُ إِلَّا مَعَ مُبْطِلَيْنِ وَهُمَا:
- ١ - الْجَمَاعُ الْعَمْدُ مِنْ غَيْرِ إِكْرَاهٍ: لِقَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَا أَهْلَكَكَ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ. فَقَالَ: هَلْ تَجِدُ مَا تَعْتِقُ رَقَبَةً؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لَا قَالَ: فَهَلْ تَجِدُ مَا تَطْعِمُ مَسْكِينًا؟ قَالَ: لَا، ثُمَّ جَلَسَ، فَأَتَى النَّبِيَّ بِعَرَقٍ^(٣) فِيهِ تَمْرَةٌ، فَقَالَ: خُذْ تَصَدَّقْ بِهِذَا، قَالَ: فَهَلْ عَلَى أَفْقَرٍ مِنَّا، فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ

(١) ابن أبي شيبة وأورده الحافظ في الفتح عند ذكر البخاري له تعليقاً.

(٢) الزمر.

(٣) العرق: الزنبيل، وما به من التمر كان خمسة عشر صاعاً.

لَا بَيْتَهَا أَهْلُ بَيْتِ أَخُو جُ إِلَيْهِ مِنَّا؟ فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ وَقَالَ: «اذهَبْ فَاطِمَةُ أَهْلَكَ»^(١).

٢ - الْأَكْلُ أَوْ الشُّرْبُ بِلَا عُذْرٍ مُبِيحٌ : عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ رَحِمَهُمَا اللَّهُ، وَدَلِيلُهُمَا: أَنَّ رَجُلًا أَفْطَرَ فِي رَمَضَانَ، فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ «أَنْ يُكْفَرَ»^(٢). وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَفْطَرْتُ يَوْمًا فِي رَمَضَانَ مُتَعَمِّدًا، فَقَالَ ﷺ: أَعْتَقَ رَقَبَةً، أَوْ صُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، أَوْ أَطْعِمْ سِتِينَ مَسْكِينًا»^(٣).

ب - مَا يُبَاحُ لِلصَّائِمِ فَعَلُهُ :

يُبَاحُ لِلصَّائِمِ أُمُورٌ وَهِيَ :

١ - السَّوَاكُ طَوْلَ النَّهَارِ، اللَّهُمَّ إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، فَإِنَّهُ كَرِهَهُ لِلصَّائِمِ بَعْدَ الزَّوَالِ.

التَّبَرُّدُ بِالْمَاءِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَسَوَاءٌ يَصُبُّهُ عَلَى جَسَدِهِ، أَوْ يَغْمِسُ فِيهِ.

٣ - الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالْوُطْءُ لَيْلًا، حَتَّى يَتَحَقَّقَ طُلُوعُ الْفَجْرِ.

٤ - السَّفَرُ لِحَاجَةٍ مَبَاحَةٍ، وَإِنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ سَفَرَهُ سَيُلْجِئُهُ إِلَى الْإِفْطَارِ.

٥ - التَّدَاوِي بِأَيِّ دَوَاءٍ حَلَالٍ، لَا يَصِلُ إِلَى جَوْفِهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَمِنْ ذَلِكَ اسْتِعْمَالُ الْإِبْرَةِ إِنْ لَمْ تَكُنْ لِلتَّغْذِيَةِ.

٦ - مَضْغُ الطَّعَامِ لِطِفْلِ صَغِيرٍ لَا يَجِدُ مِنْ يَمَضْغُ لَهُ طَعَامَهُ الَّذِي لَا غِنَى لَهُ عَنْهُ يَشْرَطُ أَنْ لَا يَصِلَ إِلَى جَوْفِ الْمَاضِغِ مِنْهُ شَيْءٌ.

٧ - التَّطَيُّبُ وَالتَّبَخُّرُ، وَذَلِكَ لِعَدَمِ وُرُودِ النَّهْيِ فِي كُلِّ هَذِهِ عَنِ الشَّارِعِ.

ج - مَا يُعْفَى عَنْهُ :

يُعْفَى الصَّائِمُ عَنْ أُمُورٍ، وَهِيَ :

١ - بُلْعُ الرِّيقِ وَلَوْ كَثُرَ، وَالْمَرَادُ بِهِ رِيقُ نَفْسِهِ لَا رِيقُ غَيْرِهِ.

(٢) مالك.

(٣ ، ١) متفق عليه.

٢ - غَلَبَةُ الْقِيءِ وَالْقَلَسِ إِنْ لَمْ يُرْجَعْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَى جَوْفِهِ، بَعْدَ أَنْ يَكُونَ قَدْ وَصَلَ إِلَى طَرْفِ لِسَانِهِ.

٣ - ابْتِلَاغُ الذُّبَابِ غَلَبَةً وَيُدَوِّنُ اخْتِيَارًا.

٤ - غُبَارُ الطَّرِيقِ وَالْمَصَانِعِ، وَدُخَانُ الْحَطَبِ، وَسَائِرُ الْأَبْحَرَةِ الَّتِي لَا يُمَكِّنُ التَّحَرُّزُ مِنْهَا.

٥ - الإِصْبَاحُ جُنْبًا، وَلَوْ يَمْضِي عَلَيْهِ النَّهَارُ كُلُّهُ وَهُوَ جُنْبٌ.

٦ - الْإِحْتِلَامُ، فَلَا شَيْءَ عَلَى مَنْ احْتَلَمَ وَهُوَ صَائِمٌ، لِحَدِيثٍ: «وَرُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ، عَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَفِيْقَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ»^(١).

٧ - الْأَكْلُ أَوْ الشُّرْبُ خَطَأً أَوْ نِسْيَانًا، إِلَّا أَنْ يَالِكَا يَرَى أَنَّ عَلَيْهِ الْقَضَاءَ فِي الْفَرَضِ كَاخْتِيَاطٍ مِنْهُ. وَأَمَّا النَّفْلُ فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ الْبَتَّةَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيَتِمَّ صَوْمُهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ»^(٢). وَقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ أَفْطَرَ فِي رَمَضَانَ نَاسِيًا فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ وَلَا كَفَّارَةٌ»^(٣).

المادة العاشرة: في بيان الكفارة، والحكمة منها:

الكفارة:

الكفارة ما يُكْفَرُ بِهِ، الذَّنْبُ الْمَتَرْتَّبُ عَلَى الْمُخَالَفَةِ لِلشَّارِعِ، فَمَنْ خَالَفَ الشَّارِعَ فَجَامَعَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، أَوْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ عَامِدًا وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُكْفَرَ عَنْ هَذِهِ الْمُخَالَفَةِ بِفِعْلٍ وَاحِدَةٍ مِنْ ثَلَاثٍ: عِثْقُ رَقَبَةٍ مُؤَمَّنَةٍ، أَوْ صِيَامِ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، أَوْ إِطْعَامِ سِتِّينَ مَسْكِينًا، لِكُلِّ مَسْكِينٍ مُدٌّ مِنْ بُرٍّ أَوْ شَعِيرٍ أَوْ تَمْرٍ بِحَسَبِ الْإِسْطَاعَةِ، لَمَّا مَرَّ فِي حَدِيثِ الرَّجُلِ الَّذِي وَقَعَ عَلَى امْرَأَتِهِ، فَاسْتَفْتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَتُعَدُّ الْكَفَّارَةُ بِتُعْدُدِ الْمُخَالَفَةِ، فَمَنْ جَامَعَ فِي يَوْمٍ وَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فِي يَوْمٍ آخَرَ، فَإِنَّ عَلَيْهِ كَفَّارَتَيْنِ.

(١) تقدم.

(٣) رواه الدارقطني وهو صحيح.

(٢) متفق عليه.

ب - الحَكْمَةُ فِي الْكُفَّارَةِ:

والحَكْمَةُ فِي الْكُفَّارَةِ هِيَ صَوْنُ الشَّرِيعَةِ عَنِ التَّلَاعُبِ بِهَا، وَانْتِهَاكَ حُرْمَتِهَا. كَمَا أَنَّهَا تُطَهِّرُ نَفْسَ الْمُسْلِمِ مِنْ آثَارِ ذَنْبِ الْمَخَالَفَةِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا بِلاَ تَحْذِيرٍ، وَمِنْ هُنَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُؤَدَّى الْكُفَّارَةُ عَلَى النُّحْوِ الَّذِي شُرِعَتْ عَلَيْهِ كَمِيَّةٌ وَكَيْفِيَّةٌ، حَتَّى تَنْجَحَ فِي أَدَاءِ مُهِمَّتِهَا بِإِزَالَةِ الذَّنْبِ وَمَحْوِ آثَارِهِ مِنْ عَلَى النَّفْسِ. وَالْأَصْلُ فِي الْكُفَّارَةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾^(١). وَقَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(٢).

(١) هود.

(٢) الترمذي وحسنه.

الفصل الثاني عشر

في الحج والعمرة

وفيه عشر مواد:

المادة الأولى: في حكم الحج والعمرة، والحكمة فيهما:

أ- حكمهما:

الحج فريضة الله على كل مسلم ومسلمة استطاعا إليه سبيلاً، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(١). وقول الرسول ﷺ: «بُني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان»^(٢).

وهو فرض مرة في العمر لقوله ﷺ: «الحج مرة، فمن زاد فهو تطوع»^(٣). غير أنه يستحب تكراره كل خمسة أعوام، لقوله ﷺ: «فيما يرويه عن ربه عز وجل: «إن عبداً صححت له جسمه، وسعت عليه في المعيشة يمضي عليه خمسة أعوام لا يفد إليّ المحروم»^(٤).

أما العمرة فهي سنة واجبة، لقوله تعالى: ﴿وَاتِمُوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ﴾^(٥) وقول رسول الله ﷺ: «حج عن أبيك واعتبر»^(٦). لمن سأل: إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن^(٧).

(١) آل عمران.

(٢) متفق عليه.

(٥) البقرة.

(٦) أصحاب السنن وصححه الترمذي.

(٣) أبو داود وأحمد والحاكم وصححه.

(٤) ابن حبان في صحيحه. والبيهقي وتكلم في سننه. (٧) الظعن: الرحلة والانتقال من مكان إلى آخر.

ب - حِكْمَتُهُمَا:

من الحكمة في الحج والعمرة، تطهير النفس من آثار الذنوب لتصبح أهلاً لكرامة الله تعالى في الدار الآخرة، لقوله ﷺ: «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(١).

المادة الثانية: في شروط وجوبها:

يُشْتَرَطُ لَوْجُوبِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ عَلَى الْمُسْلِمِ الشُّرُوطُ الْآتِيَةُ:

١ - الإسلام، فلا يُطالَبُ غيرُ المسلم بحج ولا بعمرة، ولا بغيرهما من أنواع العبادات، إذ الإيمان شرط في صحة الأعمال وقبولها.

٢ - العقل، إذ لا تكليف على المجانين.

٣ - البلوغ، إذ لا تكليف على الصبي حتى يبلغ، لقوله ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَفِيقَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ»^(٢).

٤ - الاستطاعة، وهي الزاد والراحلة، لقوله تعالى: «اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». فالفقر الذي لا مال لديه ينفقه على نفسه أثناء حجه، وعلى عياله إن كان له عيال، حين يتركهم وراءه لا يجب عليه حج ولا عمرة. وكذا من وجد مالا لنفقته ونفقة عياله، ولكن لم يجد ما يركبه، وهو لا يقوى على المشي، أو وجد ولكن الطريق غير مأمون، بحيث يخاف فيه على نفسه أو ماله فإنه لا يجب عليه الحج ولا العمرة، لعدم استطاعته.

المادة الثالثة: في الترغيب، في الحج والعمرة، والترهيب من تركهما:

لقد رغب الشارع في هاتين العبادتين العظيمتين، وحث على فعلهما، ودعا إلى ذلك بأساليب متنوعة، وأضرب من البيان مختلفه من ذلك قوله ﷺ: «أَفْضَلُ

(٢) تقدم.

(١) متفق عليه.

الأعمال: إيمان بالله ورسوله، ثم جهاد في سبيله ثم حج مبرور^(١). وقوله: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، خرج من ذنبيه كيوم ولدته أمه»^(٢). وقوله ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(٣). وقوله: «جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج المبرور»^(٤). وقوله: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور»^(٥)، ليس له جزاء إلا الجنة»^(٦).

كما رهب من تركهما وحذر من التقاعس عن فعلهما بما لا مزيد عليه، فقال: «من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو منع من سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء، يهودياً أو نصرانياً»^(٧). وقال علي رضي الله عنه: «من ملك زاداً وراحلةً تبليغه إلى بيت الله الحرام ولم يحج، فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً»^(٨). وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ حُجًّا مَبْرُورًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾. وقال عمر رضي الله عنه: «لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار، فينظروا كل من كانت له جدة ولم يحج فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين، ما هم بمسلمين»^(٩).

المادة الرابعة: في الركن الأول من أركان الحج والعمرة:

أركان الحج؛ والعمرة:

للحج أربعة أركان وهي: الإحرام، والطواف، والسعي، والوقوف بعرفة فلو سقط منها ركن لبطل الحج.

(١) ٢، ٣، متفق عليه.

(٢) النسائي وهو صحيح.

(٣) الحج المبرور: هو الخالي من جنس الأثام المحفوف بالصالحات والخيرات.

(٤) البخاري.

(٥) أحمد وأبو يعلى والبيهقي وإن كان ضعيفاً، فإن له متابعات حسن بها كما قال الشوكاني.

(٦) الترمذي ووصفه بالغرابة وهو عنده مرفوع والموقوف أصح.

(٧) رواه البيهقي، وسعيد في سننه.

وللعمرّة ثلاثة أركانٍ، وهي: الإحرام والطواف، والسعي، فلا تتم إلا بها وتفصيل هذه الأركان كالتالي:

الرُّكنُ الأوَّل من أركان الحج والعمرة الإحرام وهو نيّة الدخول في أحد النُسكين: الحج والعمرة المقارِنة للتجرّد والتلبية، ولهُ واجباتٌ وسننٌ ومحظوراتٌ وهي:

أ- الواجبات:

المَراد من الواجبات الأعمال التي لو ترك أحدها لوجب على تاركه دمٌ، أو صيامٌ عشرة أيامٍ إن عجز عن الدّم، وواجبات الإحرام ثلاثة، وهي:

١- الإحرام من الميقات: وهو المكان الذي حدّده الشارع للإحرام عنده بحيث لا يجوز تعديّه بدون إحرام لمن كان يريد الحج أو العمرة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «وَقَت رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ذَا الْحُلَيْفَةِ، وَلَأَهْلِ الشَّامِ الْجَحْفَةَ، وَلَأَهْلِ نَجْدٍ قَرْنَ الْمَنَازِلِ، وَلَأَهْلِ الْيَمَنِ يَلْمَمَ، قَالَ: فَهِنَّ لَهُنَّ وَلِمَنْ أَتَى عَلَيْهِنَّ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِنَّ لِمَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَجَّ أَوْ الْعُمْرَةَ، فَمَنْ كَانَ دُونَهُنَّ فَمَهْلَهُ مِنْ أَهْلِهِ، وَكَذَلِكَ حَتَّى أَهْلُ مَكَّةَ يُهْلَوْنَ»^(١) منها»^(٢).

٢- التجرّد من المخيط: فلا يلبس المحرم ثوباً ولا قميصاً ولا بُرْئساً، ولا يعمّم بعمامة ولا يغطي رأسه بشيء أبداً، كما لا يلبس خُفّاً ولا جِذَاءً، لقوله ﷺ: «لا يلبس المحرم الصَّوْبَ ولا العَمَائِمَ ولا السَّرَاوِيلَ ولا البَرَائِسَ ولا الخُفَّافَ، إلّا من لم يجد نعلين فليلبس خُفَّين وليقطعهُمَا من أسفل الكعبين»^(٣)، كما لا يلبس من الثياب شيئاً مسّه زعفرانٌ أو ورسٌ، ولا تتقب المرأة ولا تلبس القفازين. لما روى البخاري من النهي عن ذلك.

٣- التلبية، وهي قول: «لَبَّيْكَ»^(٤) اللهم لبّيك لا شريك لك لبّيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك.

(١) الإهلال: رفع الصوت بالتلبية ناوياً السك.

(٤) معنى لبّيك: إجابة لك بعد إجابة.

(٢، ٣) البخاري.

يَقُولُهَا الْمَحْرَمُ عِنْدَ الشَّرُوعِ فِي الْإِحْرَامِ وَهُوَ بِالْمِيقَاتِ لَمْ يَتَجَاوَزْهُ وَيَسْتَحَبُّ تَكَرُّرُهَا وَرَفْعُ الصَّوْتِ بِهَا وَتَجْدِيدُهَا عِنْدَ كُلِّ مَنَاسِبَةٍ مِنْ نُزُولٍ أَوْ رُكُوبٍ أَوْ إِقَامَةٍ صَلَاةٍ أَوْ فَرَاحٍ مِنْهَا، أَوْ مَلَاقَةِ رِفَاقٍ.

ب - السُّنَنُ:

السُّنَنُ، هِيَ الْأَعْمَالُ الَّتِي لَوْ تَرَكَهَا الْمَحْرَمُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ فِيهَا دَمٌ، وَلَكِنْ يَفُوتُهُ بِتَرْكِهَا أَجْرٌ كَبِيرٌ وَهِيَ:

١ - الْاِغْتِسَالُ لِلْإِحْرَامِ، وَلَوْ لِنَفْسَاءٍ أَوْ حَائِضٍ، إِذَا أَنَّ امْرَأَةً لِأَيِّ امْرَأَةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَضَعَتْ وَهِيَ تَتَوَيَّحُ الْحَجَّ، فَأَمَرَهَا الرَّسُولُ ﷺ بِالْاِغْتِسَالِ^(١).

٢ - الْإِحْرَامُ فِي رِدَاءٍ أَوْ إِزَارٍ أَبْيَضَيْنِ نَظِيفَيْنِ لِفَعْلِهِ ﷺ ذَلِكَ.

٣ - وَقُوعُ الْإِحْرَامِ عَقِبَ صَلَاةٍ نَافِلَةٍ أَوْ فَرِيضَةٍ.

٤ - تَقْلِيمُ الْأُظَافِرِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ، وَتَنْفُ الْإِبْطِ، وَحُلُّقُ الْعَانَةِ، لِفَعْلِهِ ﷺ ذَلِكَ.

٥ - تَكَرُّرُ التَّلْبِيَةِ وَتَجْدِيدُهَا كُلَّمَا تَجَدَّدَتْ حَالٌ مِنْ رُكُوبٍ أَوْ نُزُولٍ أَوْ صَلَاةٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ لَبَّى حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ»^(٢).

٦ - الدَّعَاءُ وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عَقِبَ التَّلْبِيَةِ، إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا فَرَّغَ مِنَ التَّلْبِيَةِ سَأَلَ الْجَنَّةَ وَاسْتَعَاذَ بِهِ مِنَ النَّارِ^(٣).
- الْمُحْظُورَاتُ:

الْمُحْظُورَاتُ، هِيَ الْأَعْمَالُ الْمَمْنُوعَةُ، وَالَّتِي لَوْ فَعَلَهَا الْمُؤْمِنُ لَوَجَبَ عَلَيْهِ فِيهَا فَذْيَةٌ دَمٌ أَوْ صِيَامٌ أَوْ إِطْعَامٌ، وَتِلْكَ الْأَعْمَالُ هِيَ:

١ - تَغْطِيَةُ الرَّأْسِ بِأَيِّ غِطَاءٍ كَانَ.

(٣) الشافعي والدرناقطني.

(٢) ابن تيمية في منسكه ولم يخرج به.

(١) مسلم.

- ٢ - حَلَقَ الشَّعْرَ أَوْ قَصَّهُ وَإِنْ قَلَّ، وَسَوَاءٌ كَانَ شَعْرَ رَأْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ.
- ٣ - قَلَّمَ الْأَظْفَارَ، وَسَوَاءٌ كَانَتْ الْيَدَيْنِ أَوْ الرِّجْلَيْنِ.
- ٤ - مَسَّ الطَّيِّبَ.
- ٥ - لُبَسَ الْمَخِيطَ مَطْلَقًا.
- ٦ - قَتَلَ صَيْدَ الْبَرِّ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾^(١).
- ٧ - مُقَدَّمَاتُ الْجَمَاعِ، مِنْ قُبْلَةٍ وَنَحْوِهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾^(٢). وَالْمَرَادُ مِنَ الرَّفَثِ: مُقَدَّمَاتُ الْجَمَاعِ وَكُلُّ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ.
- ٨ - عَقْدُ النِّكَاحِ أَوْ خُطْبَتُهُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يُنْكَحُ الْمَحْرُمُ وَلَا يُنْكَحُ وَلَا يُخْطَبُ»^(٣).
- ٩ - الْجَمَاعُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾. وَالرَّفَثُ شَامِلٌ لِلْجَمَاعِ وَمُقَدَّمَاتِهِ.

حَكْمُ هَذِهِ الْمَحْظُورَاتِ:

حَكْمُ هَذِهِ الْمَحْظُورَاتِ: الْخُمْسُ الْأَوَّلَى مَنْ فَعَلَ وَاجِدًا مِنْهَا وَجَبَتْ عَلَيْهِ فَدْيَةٌ وَهِيَ: صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، أَوْ إِطْعَامُ سِتَّةِ مَسَاكِينَ لِكُلِّ مَسْكِينٍ مُدَّ مِنْ بَرٍّ، أَوْ ذَبْحُ شَاةٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾^(٤). وَأَمَّا قَتْلُ الصَّيْدِ فَفِيهِ جَزَاؤُهُ بِمِثْلِهِ مِنَ النَّعْمِ^(٥) لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَجَزَاءُ مِثْلٍ﴾^(٦) مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ. وَأَمَّا مُقَدَّمَاتُ الْجَمَاعِ فَإِنَّ عَلَى فَاعِلِهَا دَمًا، وَهُوَ ذَبْحُ

(١) المائدة.

(٢) البقرة.

(٣) البقرة.

(٤) النعم: الإبل والبقر والغنم.

(٥) مما عرفت مثليه بقضاء الصحابة: النعامة حكم فيها ببذنة، وحمار الوحش وبقر الوحش والضبع والأيل (٦) مما عرفت مثليه بقضاء الصحابة: النعامة حكم فيها ببذنة، والأرنب بعناق، والحمام بشاة، وإن لم يوجد للحيوان مثل قوم بدرهم وتصديق بقيمته، وإن لم يستطع صام عن كل مد يوماً.

شاة، وأما الجماع فإنه يُفسد الحج بالمرة، غير أنه يجب الاستمرار فيه حتى يتم وعلى صاحبه بدنة - أي بعير - فإن لم يجد صام عشرة أيام، وعليه مع ذلك القضاء من عام آخر لما روى مالك في الموطأ أن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبا هريرة سئلوا عن رجل أصاب أهله وهو محرم بالحج؟ فقالوا: ينفذان ويمضيان لوجههما حتى يقضيا حجهما، ثم عليهما حج قابل والهذي.

وأما عقد النكاح وخطبته وسائر الذنوب كالغيبة والنميمة وكل ما يدخل تحت لفظ الفسوق ففيه التوبة والاستغفار، إذ لم يرد عن الشارع وضع كفارة له سوى التوبة والاستغفار.

المادة الخامسة: الركن الثاني وهو الطواف:

الطواف، هو الدوران حول البيت سبعة أشواط، وله شروط وسنن وآداب تتوقف حقيقته عليها، وهي:

أ - شروطه، وهي:

١ - النية عند الشروع فيه، إذ الأعمال بالنيات، فكان لا بد للطائف من نية طواف، وهي عزم القلب على الطواف تعبدًا لله تعالى، وطاعة له عز وجل.

٢ - الطهارة من الخبث والحدث، لخبر، الطواف حول البيت مثل الصلاة.

٣ - ستر العورة، إذ الطواف كالصلاة، لقوله ﷺ: «الطواف حول البيت مثل الصلاة إلا أنكم تتكلمون فيه، فمن تكلم فلا يتكلم إلا بخير»^(١). وعليه فمن طاف بغير نية أو طاف وهو محدث أو عليه نجاسة أو طاف وهو مكشوف العورة، فطوافه فاسد وعليه إعادته.

٤ - أن يكون الطواف بالبيت داخل المسجد ولو بعد من البيت.

٥ - أن يكون البيت على يسار الطائف.

(١) الترمذي.

٦ - أن يكون الطواف سبعة أشواط، وأن يبدأ بالحجر الأسود ويختمه به لفعل الرسول ﷺ ذلك كما ورد في الصحيح.

٧ - أن يوالي بين الأشواط، فلا يفصل بينها لغير ضرورة، ولو فصل بينها وترك الموالاة لغير ضرورة بطل طوافه ووجب إعادة.

ب - سنته، وهي:

١ - الرَّمْلُ، وهو سنة للرجال القادرين دون النساء^(١) وحقيقته: أن يسارع الطائف في مشيه مع تقارب خطاه، ولا يسُن إلا في طواف القدوم، وفي الأشواط الثلاثة الأولى منه فقط.

٢ - الاضطباع، وهو كشف الضبع^(٢) أي الكف الأيمن، ولا يسُن إلا في طواف القدوم خاصة، وللرجال دون النساء، ويكون في الأشواط السبعة عامة.

٣ - تقبيل الحجر الأسود عند بدء الطواف إن أمكن، وإلا اكتفى بلمسه باليد أو الإشارة عند تعدد ذلك. لفعله عليه الصلاة والسلام ذلك.

٤ - قول: بسم الله، والله أكبر. اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ عند بدء الشوط الأول.

٥ - الدعاء أثناء الطواف وهو غير محدد ولا معين بل يدعو كل طائف بما يفتح الله عليه غير أنه يسُن ختم كل شوط بقول: ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

٦ - استلام الركن اليماني باليد، وتقبيل الحجر الأسود كلما مرَّ بهما أثناء طوافه لفعله ﷺ ذلك كما ورد في الصحيح.

(١) روى مسلم عن ابن عمر، أن النبي ﷺ رمل من الحجر الأسود ثلاثاً ومشى أربعاً.

(٢) روى أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اعتمروا من الجعرانة فاضطبعوا، فجعلوا أريديهم تحت آباطهم وقذفوها على عواتقهم اليسرى.

٧ - الدعاء بالملتزم عند الفراغ من الطواف. والملتزم هو المكان ما بين باب البيت والحجر الأسود، لفعل ابن عباس رضي الله عنهما ذلك.

٨ - صلاة ركعتين بعد الفراغ من الطواف خلف مقام إبراهيم يقرأ فيهما بالكافرون والإخلاص بعد الفاتحة، لقوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾^(١).

الشرب من ماء زمزم والتضلع منه بعد الفراغ من صلاة الركعتين.

١٠ - الرجوع لاستلام الحجر الأسود قبل الخروج إلى المشعى.

[تنبيه] أدلة جميع ما تقدم عمل الرسول ﷺ المبين في حجة الوداع .
ج - آدابه، وهي:

١ - أن يكون الطواف في خشوع واستحضار قلب، وشعور بعظمة الله عز وجل وفي خوف منه تعالى، ورغبة فيما لديه.

٢ - أن لا يتكلم الطائف لغير ضرورة، وإن تكلم تكلم بخير فقط، لقوله ﷺ: «فمن تكلم فلا يتكلم إلا بخير»^(٢).

٣ - أن لا يؤذي أحداً بقول أو فعل، إذ أذية المسلم محرمة ولا سيما في بيت الله تعالى.

٤ - أن يكثر من الذكر والدعاء والصلاة على النبي ﷺ.

المادة السادسة: في الركن الثالث، السعي:

السعي: هو المشي بين الصفا والمروة ذهاباً وحيئة بنية التعبد، وهو ركن الحج والعمرة، لقوله تعالى: ﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾^(٢). وقوله ﷺ: «اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي»^(٣). وله شروط وسنن وآداب وهي:

(٣) البقرة.

(١) البقرة.

(٤) ابن ماجه وأحمد والشافعي وقال في الفتح هو حسن لكثرة طرقه.

(٢) تقدم.

أ - شُرُوطُ السَّعْيِ ، وَهِيَ :

١ - النِّيَّةُ ، لَفِيهِ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » . فَكَانَ لَا بُدَّ مِنْ نِيَّةِ التَّعَبُّدِ بِالسَّعْيِ طَاعَةً لِلَّهِ وَامْتِثَالًا لِأَمْرِهِ .

٢ - التَّرْتِيبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الطَّوَافِ ، بِأَنْ يُقَدَّمَ الطَّوَافُ عَلَى السَّعْيِ .

٣ - الْمَوَالَاةُ بَيْنَ أَشْوَاطِهِ ، غَيْرَ أَنْ الْفَضْلَ الْيَسِيرَ لَا يَضُرُّ وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ لَضَرُورَةٍ .

٤ - إِكْمَالُ الْعَدَدِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ ، فَلَوْ نَقَصَ شَوْطٌ أَوْ بَعْضُ الشُّوْطِ لَمْ يُجْزِئْ ، إِذْ حَقِيقَتُهُ مَتَوَقِّفَةٌ عَلَى تَمَامِ أَشْوَاطِهِ .

٥ - وَقُوعُهُ بَعْدَ طَوَافٍ صَحِيحٍ ، سَوَاءَ كَانَ الطَّوَافُ وَاجِبًا أَوْ سُنَّةً غَيْرَ أَنْ الْأُولَى ، أَنْ يَكُونَ بَعْدَ طَوَافٍ وَاجِبٍ كَطَوَافِ الْقُدُومِ ، أَوْ رُكْنٍ كَطَوَافِ الْإِفَاضَةِ .

ب - سَنَنُ السَّعْيِ ، وَهِيَ :

١ - الْحَبَبُ ، وَهِيَ سُرْعَةُ الْمَشْيِ بَيْنَ الْمِيلَيْنِ الْأَخْضَرَيْنِ الْمَوْضُوعَيْنِ عَلَى حَافَتَيِ الْوَادِي الْقَدِيمِ الَّذِي خُبَّتْ فِيهِ « هَاجَرُ » أُمُّ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وَهُوَ سُنَّةٌ لِلرِّجَالِ الْقَادِرِينَ دُونَ الضَّعْفَةِ وَالنِّسَاءِ ^(١) .

٢ - الْوُقُوفُ عَلَى الصِّفَا وَالْمَرْوَةِ لِلدُّعَاءِ فَوْقَهُمَا .

٣ - الدُّعَاءُ عَلَى كُلِّ مِنْ الصِّفَا وَالْمَرْوَةِ فِي كُلِّ شَوْطٍ مِنَ الْأَشْوَاطِ السَّبْعَةِ .

٤ - قَوْلُ اللَّهِ أَكْبَرُ ثَلَاثًا عِنْدَ الرُّقْيِ عَلَى كُلِّ مِنْ الصِّفَا وَالْمَرْوَةِ فِي كُلِّ شَوْطٍ وَكَذَا قَوْلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، اللَّهُ الْمَلِكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَحْدَهُ صَدَقَ وَعْدُهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ .

٥ - الْمَوَالَاةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الطَّوَافِ ، بِحَيْثُ لَا يَفْصِلُ بَيْنَهُمَا بَدُونٌ عَذْرٌ شَرْعِيَّةٌ .

(١) رَوَى الشَّافِعِيُّ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رَأَتْ نِسَاءً يَسْعِينَ - يَسْرَعْنَ فَقَالَتْ : أَمَا لَكُنْ فِينَا اسُوءَةٌ ؟ لَيْسَ عَلَيْكُنَّ سَعْيٌ . أَيْ خَبِبَ وَسْرَعَةُ مَشْيٍ

ج - آداب السَّعْيِ ، وَهِيَ :

١ - الْخُرُوجُ إِلَيْهِ مِنْ بَابِ الصَّفَا تَالِيًا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ، وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا ، فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(١) .

٢ - أَنْ يَكُونَ السَّاعِي مَتَطَهِّرًا .

٣ - أَنْ يَسْعَى مَاثِيًا إِنْ قَدَّرَ عَلَى ذَلِكَ بِدُونِ مَشَقَّةٍ .

٤ - أَنْ يُكْثَرَ مِنَ الذِّكْرِ^(٢) ، وَالِدَّعَاءِ ، وَأَنْ يَشْتَغَلَ بِهِمَا دُونَ غَيْرِهِمَا .

٥ - أَنْ يَغُضَّ بَصَرَهُ عَنِ الْمَحَارِمِ ، وَأَنْ يَكْفَّ لِسَانَهُ عَنِ الْمَائِمِ .

٦ - أَنْ لَا يُؤْذِيَ أَحَدًا مِنَ السَّاعِينَ أَوْ غَيْرِهِمْ ، مِنَ الْمَارَّةِ بِأَيِّ أذىً قَوْلٍ أَوْ

فَعْلٍ .

٧ - اسْتِحْضَارُهُ فِي نَفْسِهِ ذُلَّهُ وَفَقْرُهُ وَحَاجَتُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي هِدَايَةِ قَلْبِهِ ، وَتَرْكِيَةِ نَفْسِهِ ، وَإِصْلَاحِ حَالِهِ .

المَادَّةُ السَّابِعَةُ : فِي الرُّكْنِ الرَّابِعِ ، وَهُوَ الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ :

الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ ، هُوَ الرُّكْنُ الرَّابِعُ مِنْ أَرْكَانِ الْحَجِّ ، لِقَوْلِهِ ﷺ : «الْحَجُّ عَرَفَةٌ»^(٣) . وَحَقِيقَتُهُ : الْحُضُورُ بِالْمَكَانِ الْمَسْمُومِ عَرَفَاتٍ ، لِحِظَةٍ فَأَكْثَرَ بَنِيَّةِ الْوُقُوفِ مِنْ بَعْدِ ظَهْرِ يَوْمٍ تَاسِعِ الْحِجَّةِ إِلَى فَجْرِ الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنْهُ . وَلَهُ وَاجِبَاتٌ وَسُنَنٌ وَأَذَابٌ يَتِمُّ بِهَا وَهِيَ :

أ - الْوَاجِبَاتُ ، وَهِيَ :

١ - الْحُضُورُ بِعَرَفَةَ يَوْمَ تَاسِعِ الْحِجَّةِ بَعْدَ الزَّوَالِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ .

(١) البقرة .

(٢) لما روى الترمذي وصححه أنه صلى الله عليه وسلم قال : «إنما جعل رمي الحجار والسعي بين الصفا والمروة لإقامة ذكر الله تعالى» .

(٣) أحمد والترمذي وهو صحيح .

- ٢ - المبيت بمزدلفة بعد الإفاضة من عرفات ليلة عاشر الحجة .
- ٣ - رمي جمار العقبة يوم النحر .
- ٤ - الحلق أو التقصير بعد رمي جمرة العقبة يوم النحر .
- ٥ - المبيت بمنى ثلاث ليلٍ ، وهي ليلالي : الحادي عشر ، والثاني عشر ، والثالث عشر ، أو ليلتين لمن تعجل وهما : ليلة الحادي عشر والثاني عشر .
- ٦ - رمي الجمرات الثلاث بعد زوال كل يومٍ من أيام التشريق الثلاثة أو الاثنين .
- [تنبيه] : أدلة هذه الواجبات عمله ﷺ ، وقد قال : «لتأخذوا عني مناسككم»^(١) .
- وقال ﷺ : «حجوا كما رأيتموني أحج»^(٢) . وقال عليه الصلاة والسلام : «قفوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم»^(٣) .
- ب - السنن ، وهي :
- ١ - الخروج إلى (منى) يوم التروية - وهو ثامن الحجة والمبيت بها ليلة التاسع - وعدم الخروج منها إلا بعد طلوع الشمس ، لصلاة خمس صلوات بها .
- ٢ - وجوده بعد الزوال (بينمة) ، وصلاته الظهر والعصر قصراً ، وجمعاً مع الإمام .
- ٣ - إتيانه لموقف (عرفات) بعد أدائه صلاة الظهر والعصر مع الإمام والاستمرار بالموقف ذاكراً داعياً حتى غروب الشمس .
- ٤ - تأخير صلاة المغرب إلى أن ينزل بجمع (المزدلفة) فيصلي المغرب والعشاء بها جمع تأخير .
- ٥ - الوقوف مستقبل القبلة ذاكراً داعياً عند المشعر الحرام «جبل قُزَح» حتى الإسفار البين .

(٣) الترمذي وحسنه .

(٢) في الصحيح .

(١) مسلم .

٦ - التَّزْيِيبُ بَيْنَ رَمِي جَمْرَةِ (العَقَبَةِ) وَالنَّحْرِ وَالْحَلْقِ وَطَوَافِ الزِّيَارَةِ
«الإِفَاضَةِ».

٧ - أَدَاءُ طَوَافِ الزِّيَارَةِ فِي يَوْمِ النَّحْرِ قَبْلَ الْغُرُوبِ.

ج - الْأَدَابُ، وَهِيَ:

١ - التَّوَجُّهُ مِنْ (مِنَى) صَبَاحَ النَّاسِعِ إِلَى (نَمْرَةٍ) بِطَرِيقِ (ضَبِّ) لِفَعْلِهِ ﷺ ذَلِكَ.

٢ - الْاِغْتِسَالُ بَعْدَ الزَّوَالِ لِلْوُقُوفِ (بِعَرَفَةَ) وَهُوَ مُشْرُوعٌ حَتَّى لِلْحَائِضِ

وَالنِّسَاءِ.

٣ - الْوُقُوفُ بِمَوْقِفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ الصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ الْمَفْرُوشَةِ فِي أَسْفَلِ
جَبَلِ الرَّحْمَةِ الَّذِي يَتَوَسَّطُ (عَرَفَةَ).

٤ - الذِّكْرُ والدَّعَاءُ وَالْإِكْتَارُ مِنْهُمَا وَهُوَ مُسْتَقْبَلُ الْقِبْلَةِ بِالْمَوْقِفِ حَتَّى تَغْرُبَ
الشَّمْسُ.

٥ - كَوْنُ الْإِفَاضَةِ مِنْ (عَرَفَةَ) عَلَى طَرِيقِ الْمَازَمِينِ، لَا عَلَى طَرِيقِ (ضَبِّ) الَّذِي
أَتَى مِنْهُ، لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ مِنْ هَذِيهِ أَنْ يَأْتِيَ مِنْ طَرِيقٍ وَيَرْجِعَ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ.

٦ - السَّكِينَةُ فِي السَّيْرِ وَعَدَمُ الْإِسْرَاعِ فِيهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ
بِالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالْإِضَاعِ». وَالْإِضَاعُ هُوَ الْإِسْرَاعُ.

٧ - الْإِكْتَارُ مِنَ التَّلْبِيَةِ^(٢) فِي طَرِيقِهِ إِلَى (مِنَى) وَ (عَرَفَاتٍ) وَ (مزدَلِفَةَ) وَ (مِنَى)
إِلَى أَنْ يَشْرُعَ فِي رَمِي جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ.

٨ - التِّقَاطُ سَبْعِ حَصِيَّاتٍ مِنْ (مزدَلِفَةَ) لِرَمِي جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ.

٩ - الدَّفْعُ مِنْ (مزدَلِفَةَ) بَعْدَ الْإِسْفَارِ وَقَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ.

١٠ - الْإِسْرَاعُ فِي السَّيْرِ بَبْطُنٍ مُحْبَسٍ، وَتَحْرِيكُ الدَّابَّةِ أَوْ دَفْعُ السَّيَّارَةِ قَدْرَ رَمِيَةِ
حَجَرٍ إِنْ لَمْ يَخْشَ ضَرَرًا.

رَمِي جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ بَيْنَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَالزَّوَالِ.

(١) البخاري.

(٢) كل هذه الآداب ثابتة في السنة الصحيحة فما من مسألة إلا ولها مأخذها من قول الرسول ﷺ أو فعله.

١٢ - قَوْلُ: (اللَّهُ أَكْبَرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ يَرْمِيهَا.

١٣ - مِبَاشَرَةُ ذَبْحِ الْهَدْيِ أَوْ شُهُودُهُ حَالَ نَحْرِهِ أَوْ ذُبْحِهِ، وَقَوْلُ: اللَّهُمَّ هَذَا مِنْكَ وَإِلَيْكَ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي، كَمَا تَقَبَّلْتَ مِنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ، بَعْدَ أَنْ يَقُولَ: (بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ الْوَاجِبُ قَوْلُهُمَا.

١٤ - الْأَكْلُ مِنَ الْهَدْيِ، إِذْ كَانَ ﷺ يَأْكُلُ مِنْ كَبِدِ أَضْحِيَّتِهِ أَوْ هَذِيهِ.

١٥ - الْمَشْيُ إِلَى رَمْيِ الْجَمَرَاتِ الثَّلَاثِ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ.

١٦ - قَوْلُ: اللَّهُ أَكْبَرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، وَقَوْلُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا وَسَعْيًا مَشْكُورًا، وَذَنْبًا مَغْفُورًا.

١٧ - الْوُقُوفُ لِلدَّعَاءِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ بَعْدَ رَمْيِ الْجَمْرَةِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ دُونَ الثَّالِثَةِ، لِأَنَّهُ لَا دُعَاءَ يُسْتَحَبُّ عِنْدَهَا، إِذْ كَانَ ﷺ يَرْمِيهَا وَيَنْصَرِفُ.

١٨ - رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي مُسْتَقْبِلًا لَهَا جَاعِلًا الْبَيْتَ عَنْ يَسَارِهِ، وَ(مَنَى) عَنْ يَمِينِهِ.

١٩ - قَوْلُ الْمَنْصَرِفِ مِنْ مَكَّةَ: آيُونَ^(١) تَائِيُونَ، عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، إِذْ كَانَ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْهَا.

المَادَّةُ الثَّامِنَةُ: فِي الْإِحْصَارِ:

مَنْ أَحْصَرَ، أَيُ مَنَعَ مِنْ دُخُولِ مَكَّةَ، أَوِ الْوُقُوفِ (بِعَرَفَةَ) بَعْدَ رَمْيِ أَوْ مَرَضٍ وَنَحْوِهِ مِنَ الْمَوَانِعِ الْقَاهِرَةِ وَجَبَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ شَاؤَ أَوْ بَدَنَةً أَوْ بَقَرَةً فِي مَحَلِّ إِحْصَارِهِ، أَوْ يَبْعَثُ بِهَا إِلَى الْحَرَمِ إِنْ أَمَكْنَهُ ذَلِكَ^(٢) وَيَتَحَلَّلُ مِنْ إِحْرَامِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾^(٣).

(١) بعد أن يقول: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

(٢) يرى بعض أهل العلم أن من عجز عن الذبح صام عشرة أيام قياساً على من ترك واجباً في الحج ولم يستطع الدم.

(٣) البقرة.

المادة التاسعة: في طَوَافِ الْوَدَاعِ :

طَوَافُ الْوَدَاعِ هُوَ أَحَدُ أَطْوَفَةِ الْحَجِّ الثَّلَاثَةِ وَهُوَ سُنَّةٌ وَاجِبَةٌ مِنْ تَرْكِهِ لَغَيْرِ عَذْرِ وَجَبَ عَلَيْهِ دَمٌ، وَمَنْ تَرَكَهُ لِعَذْرِ فَلَا دَمَ عَلَيْهِ. وَيَأْتِي بِهِ الْحَاجُّ أَوْ الْمُعْتِمِرُ عِنْدَمَا يُرِيدُ الرَّجُوعَ إِلَى أَهْلِهِ بَعْدَ فَرَاغِهِ أَوْ عَمَرَتِهِ وَانْتِهَاءِ إِقَامَتِهِ بِمَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ، فَيَأْتِي بِهِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ يُرِيدُ الْخُرُوجَ فِيهَا مِنْ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ بَحِثٌ إِذَا طَافَ لَا يَشْتَغِلُ بِشَيْءٍ بَلْ يَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ مُبَاشَرَةً، وَإِنْ هُوَ أَقَامَ زَمَنًا بَيْنَ أَوْ شَرَاءٍ وَنَحْوِهِمَا بِلَا ضَرُورَةٍ تَدْعُو إِلَى ذَلِكَ أَعَادَ الطَّوَافَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَفِرَنَّ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَهْدِهِ بِالْبَيْتِ»^(١).

المادة العاشرة: في كَيْفِيَةِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ :

كَيْفِيَةُ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، هِيَ :

أَنْ يُقْلِمَ مَنْ أَرَادَ الْإِحْرَامَ بِأَحَدِ النُّسَكَيْنِ أَظْفَارَهُ، وَيُقَصِّ شَارِبَهُ، وَيَحْلِقَ عَانَتَهُ، وَيَنْتِفَ إِطْيَاهُ ثُمَّ يَغْتَسِلَ وَيَلْبَسَ إِزَارًا وَرَدَاءً أَيْضَيْنِ نَظِيفَيْنِ وَيَلْبَسَ نَعْلَيْنِ. وَإِذَا وَصَلَ إِلَى الْمِيَقَاتِ صَلَّى فَرِيضَةً أَوْ نَافِلَةً ثُمَّ نَوَى نُسَكَهُ قَائِلًا: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ حَجًّا»، هَذَا إِنْ أَرَادَ الْإِفْرَادَ، وَإِنْ أَرَادَ التَّمَتُّعَ قَالَ: «عُمْرَةً»، وَإِنْ أَرَادَ الْقِرَانَ قَالَ: «حَجًّا وَعُمْرَةً». وَلَهُ أَنْ يَشْتَرِطَ عَلَى رَبِّهِ فَيَقُولَ: «إِنْ مَحَلِّي مِنَ الْأَرْضِ حَيْثُ تَحْسِنِي»^(٢). فَإِنَّهُ إِنْ حَصَلَ لَهُ مَانِعٌ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوَاصِلَةِ الْحَجِّ أَوْ الْعُمْرَةِ كَمَرَضٍ وَنَحْوِهِ تَحَلَّلَ مِنْ إِحْرَامِهِ وَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَوَاصِلُ التَّلْبِيَةَ رَافِعًا بِهَا صَوْتَهُ فِي غَيْرِ إِجْهَادٍ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ امْرَأَةً فَإِنَّهَا لَا تَجْهَرُ بِهَا، وَلَا بَأْسَ أَنْ تَرْفَعَ صَوْتَهَا بِقَدْرِ مَا تُسْمِعُ رَفِيقَتَهَا مَعَهَا.

وَيُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يَدْعُو وَيُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ كُلَّمَا فَرَّغَ مِنَ التَّلْبِيَةِ كَمَا يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يَجِدِّدَ التَّلْبِيَةَ كُلَّمَا تَجَدَّدَتْ حَالٌ مِنْ رُكُوبٍ أَوْ نَزُولٍ أَوْ صَلَاةٍ، أَوْ مَلَاقَاةٍ رِفَاقٍ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكْفُفَ لِسَانَهُ عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَبَصَرَهُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ. كَمَا يَنْبَغِي

(١) مسلم.

(٢) لحديث عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لضباعة بنت الزبير: حجي واشترطي أن محلي حيث تحبيني. وذلك لأنها كانت مريضة، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فأرشدتها إلى الاشتراط المذكور.

أَنْ يُكْثِرَ فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ رَجَاءً أَنْ يَكُونَ حُجَّةً مَبْرُوراً، فليُحْسِنَ إِلَى الْمُحْتَاجِينَ، وَلْيَتَسَيَّمْ هَاشِئاً بَاشِئاً فِي وَجْهِهِ الرِّفَاقِ، مُلِيناً لَهُمُ الْكَلَامَ بَازِلًا لَهُمُ السَّلَامَ وَالطَّعَامَ، وَإِذَا وَصَلَ مَكَّةَ اسْتَحَبَّ لَهُ أَنْ يَغْتَسِلَ لِدُخُولِهَا، وَإِذَا وَصَلَهَا دَخَلَهَا مِنْ أَعْلَاهَا، وَإِذَا وَصَلَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ دَخَلَهُ مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ: بَابِ السَّلَامِ، وَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ وَإِلَى اللَّهِ اللَّهُمَّ لِي أَبْوَابُ فَضْلِكَ. وَإِذَا رَأَى الْبَيْتَ رَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمَنْكَ السَّلَامُ فَحِينًا رَبَّنَا بِالسَّلَامِ. اللَّهُمَّ زِدْ هَذَا الْبَيْتَ تَشْرِيفاً وَتَعْظِماً وَتَكْرِيماً وَمَهَابَةً وَبَرّاً، وَزِدْ مَنْ شَرَفَهُ، وَكَرَّمَهُ مِنْ حُجَّةٍ أَوْ اعْتَمَرَهُ تَشْرِيفاً وَتَعْظِماً وَتَكْرِيماً وَمَهَابَةً وَبَرّاً. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَثِيراً، كَمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَكَمَا يَنْبَغِي لكَرَمِ وَجْهِهِ وَجِزِّ جَلَالِهِ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَلَّغَنِي بَيْتَهُ وَرَأَيْتُ لَذَلِكَ أَهْلًا. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ دَعَوْتَ إِلَى حَجِّ بَيْتِكَ الْحَرَامِ وَقَدْ جِئْتُكَ لَذَلِكَ. اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنِّي وَاعْفُ عَنِّي، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ. لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ.

ثُمَّ يَتَقَدَّمُ إِلَى الْمَطَافِ مُتَطَهِّراً مُضْطَبِعاً فَيَأْتِي الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فَيَقْبَلُهُ أَوْ يَسْتَلِمُهُ، أَوْ يُشِيرُ إِلَيْهِ إِنْ لَمْ يُمْكِنْ تَقْبِيلُهُ وَلَا اسْتِلَامُهُ، ثُمَّ يَسْتَقْبِلُ الْحَجَرَ وَيَقِفُ مُعْتَدِلاً نَاقِياً طَوَافُهُ قَائِلاً: بِاسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ. اللَّهُمَّ إِيْمَاناً بِكَ وَتَصَدِيقاً بِكِتَابِكَ، وَوَفَاءً بِعَهْدِكَ، وَاتِّبَاعاً لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ. ثُمَّ يَأْخُذُ فِي الطَّوَافِ جَاعِلاً الْبَيْتَ عَنْ يَسَارِهِ رَامِلاً، أَيْ مُهْرِوِلاً، إِنْ كَانَ فِي طَوَافِ الْقُدُومِ وَهُوَ يَدْعُو أَوْ يَذْكُرُ أَوْ يَصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلَى أَنْ يُحَازِي الرُّكْنَ الْيَمَانِي فَيَسْتَلِمُهُ بِيَدِهِ، وَيَخْتُمُ الشُّوْطَ بِدَعَاءٍ: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

ثُمَّ يَطُوفُ الشُّوْطَ الثَّانِي وَالثَّلَاثَ هَكَذَا. وَلَمَّا يَشْرُعْ فِي الشُّوْطِ الرَّابِعِ يَتَرَكُ الرَّمْلَ وَيَمْشِي فِي سَكِينَةٍ حَتَّى يُتِمَّ الْأَرْبَعَةَ الْأَشْوَاطَ الْبَاقِيَةَ فَإِذَا فَرَّغَ أَقَى الْمُتَلَزِمَ وَدَعَا بِأَكْبِيَا خَاشِعاً، ثُمَّ يَأْتِي مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ فِيصَلِّيَ خَلْفَهُ يَقْرَأُ فِيهَا بِالْفَاتِحَةِ وَالْكَافِرُونَ وَالْفَاتِحَةَ وَالصَّمَدِ، ثُمَّ بَعْدَ الْفَرَاغِ يَأْتِي (زَمَزَمَ) فَيَشْرَبُ مِنْهُ مُسْتَقْبِلَ الْبَيْتِ حَتَّى يَرَوِي، وَيَدْعُو عِنْدَ الشَّرْبِ بِمَا شَاءَ وَإِنْ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي إِسْأَلُكَ عِلْماً نَافِعاً وَرِزْقاً وَاسِعاً وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ فَحَسَنَ ثُمَّ يَأْتِي الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فَيَقْبَلُهُ أَوْ يَسْتَلِمُهُ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْمُسْعَى مِنْ

بَابِ الصَّفَا تَالِيًا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ . .﴾
إِلَى قَوْلِهِ شَاكِرٌ عَلَيْهِمْ . حَتَّى إِذَا وَصَلَ إِلَى الصَّفَا رَقِيَهُ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ وَقَالَ: اللَّهُ
أَكْبَرُ ثَلَاثًا، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، ثُمَّ
يَدْعُو بِمَا شَاءَ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ثُمَّ يَنْزِلُ قَاصِدًا (الْمَرْوَةَ) فَيَمْشِي فِي الْمَسْعَى
ذَاكِرًا دَاعِيًا إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي الْمَشَارِ إِلَيْهِ الْآنَ بِالْعُمُودِ الْأَخْضَرِ فَيُخَبُّ
مُسْرِعًا إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى الْعُمُودِ الْأَخْضَرِ الثَّانِي، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الْمَشْيِ فِي سَكِينَةٍ ذَاكِرًا
دَاعِيًا مَصْلِيًّا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى (الْمَرْوَةَ) فَيَرْقَاهُ ثُمَّ يَكْبُرُ وَيَهْلِلُ وَيَدْعُو
كَمَا صَنَعَ عَلَى (الصَّفَا) ثُمَّ يَنْزِلُ فَيَسْعَى مَا شَاءَ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي فَيُخَبُّ وَيُهْرَوِلُ، وَلَمَّا
يَخْرُجُ يَمْشِي حَتَّى يَصِلَ إِلَى (الصَّفَا) فَيَرْقَاهُ ثُمَّ يَكْبُرُ وَيَهْلِلُ وَيَدْعُو ثُمَّ يَنْزِلُ قَاصِدًا
(الْمَرْوَةَ) فَيَصْنَعُ كَمَا صَنَعَ أَوَّلًا حَتَّى يُتِمَّ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ بِشِمَانِي وَقَفَاتٍ: أَرْبَعٍ عَلَى
(الصَّفَا) وَأَرْبَعٍ عَلَى (الْمَرْوَةَ)، ثُمَّ إِنْ كَانَ مُعْتَمِرًا قَصَرَ شَعْرَهُ وَحَلَّ مِنْ إِحْرَامِهِ وَقَدْ
تَمَّتْ عَمْرَتُهُ، وَكَذَا إِنْ كَانَ مُتَمَتِّعًا بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَقَدْ تَمَّتْ عَمْرَتُهُ بِمَجَرِّدِ فِرَاقِهِ مِنَ
السَّعْيِ وَتَقْصِيرِهِ مِنْ شَعْرِهِ، وَإِنْ كَانَ مُفْرَدًا أَوْ قَارِنًا وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَبْقَى عَلَى إِحْرَامِهِ
حَتَّى يَقِفَ (بِعِرْفَاتٍ) وَيُزِمِّي جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ يَوْمَ النَّحْرِ، وَعِنْدَئِذٍ يَتَحَلَّلُ.

وَإِذَا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ ثَامِنُ الْحَجَّةِ أَحْرَمَ بَنِيَّةَ الْحَجِّ عَلَى النَّحْرِ الَّذِي أَحْرَمَ فِيهِ
بِعَمْرَتِهِ، إِنْ كَانَ مُتَمَتِّعًا، وَأَمَّا الْمُفْرَدُ أَوْ الْقَارِنُ فَإِنَّهُمَا عَلَى إِحْرَامِهِمَا الْأَوَّلِ. وَخَرَجَ
مَلْبِيًّا إِلَى (مَنَى) ضَحَى لَيْقِيمَ بِهَا يَوْمَهُ وَلَيْلَتُهُ فَيَصِلِي بِهَا خَمْسَ أَوقَاتٍ، حَتَّى إِذَا
طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ يَوْمِ (عِرْفَةَ) خَرَجَ مِنْ (مَنَى) مُلْبِيًّا قَاصِدًا (نَمْرَةَ) بِطَرِيقِ (ضَبِّ)
فَيَقِيمُ بِهَا إِلَى الزَّوَالِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَأْتِي الْمَسْجِدَ مُصَلِّي الرَّسُولِ ﷺ فَيُصَلِّي مَعَ الْإِمَامِ
الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ قَصْرًا وَجَمَعَ تَقْدِيمًا فَإِذَا قَضَيْتِ الصَّلَاةَ ذَهَبَ إِلَى (عِرْفَاتٍ) لِلْوُقُوفِ
بِهَا، وَلَهُ أَنْ يَقِفَ فِي أَيِّ جِزْءٍ مِنْهَا، لِقَوْلِهِ ﷺ: «وَقِفْتُ هَا هُنَا وَ(عِرْفَاتُ) كُلِّهَا
مَوْقِفٌ»^(١). وَإِنْ وَقَفَ عِنْدَ الصَّخْرَاتِ فِي أَسْفَلِ جَبَلِ الرَّحْمَةِ، وَهُوَ مَوْقِفُ رَسُولِ

(١) مسلم.

اللَّهُ ﷻ فَحَسَنَ وَلَهُ أَنْ يَقِفَ رَاجِئًا أَوْ رَاجِلًا أَوْ قَاعِدًا يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى وَيَدْعُوهُ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ وَيَدْخُلُ جُزْءٌ مِنَ اللَّيْلِ يَسِيرُ، أَفَاضَ فِي سَكِينَةٍ مَلْبِيًا إِلَى «مَزْدَلَفَةَ» بِطَرِيقِ الْمَازِمَيْنِ فَيَنْزِلُ بِهَا وَقَبْلَ أَنْ يَضَعَ رَحْلَهُ يَصَلِّي الْمَغْرِبَ ثُمَّ يَضَعُ رَحْلَهُ وَيَصَلِّي بِهَا الْعِشَاءَ وَيَبِيتُ بِهَا حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى الصُّبْحَ وَقَصَدَ الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ لِيَقِفَ عِنْدَهُ مُهَلِّلاً مُكَبِّرًا ذَاعِيًا وَلَهُ أَنْ يَقِفَ فِي أَيِّ مَكَانٍ مِنْ (مَزْدَلَفَةَ)، لِقَوْلِهِ ﷻ: «وَقَفْتُ هَاهُنَا وَجُمُعْتُ كُلَّهَا مَوْقِفٌ»^(١). حَتَّى إِذَا أَسْفَرَ الصُّبْحُ وَقَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ التَّقَطَّ سَبْعَ حَصِيَّاتٍ لِيَرْمِيَ بِهَا جَمْرَةَ (العقبة) وَيَنْدِفِعُ إِلَى (مَنَى) مَلْبِيًا، وَإِذَا وَصَلَ مُحْصِرًا حَرَكُ دَابَّتِهِ وَأَسْرَعَ فِي سَبِيلِهِ نَحْوَ رَمِيَةِ حَجَرٍ، وَلَمَّا يَصِلُ إِلَى (مَنَى) يَذْهَبُ رَأْسًا إِلَى جَمْرَةِ (العقبة) فَيَرْمِيهَا بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ يَرْفَعُ يَدَهُ اليمْنَى حَالَ الرَّمْيِ قَائِلًا: اللَّهُ أَكْبَرُ، وَإِنْ زَادَ اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا مَبْرُورًا وَسَعْيًا مُشْكُورًا وَذَنْبًا مَغْفُورًا فَحَسَنَ، ثُمَّ إِنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ عَمَدَ إِلَيْهِ فَذَبَحَهُ أَوْ أَتَابَ مِنْ يَذْبَحُ عَنْهُ إِنْ كَانَ عَاجِزًا، وَلَهُ أَنْ يَذْبَحَ فِي أَيِّ مَكَانٍ شَاءَ، لِقَوْلِهِ ﷻ: «نَحَرْتُ هَاهُنَا وَ (مَنَى) كُلَّهَا مَنْحَرٌ»^(٢). ثُمَّ يَحْلِقُ أَوْ يَقْصِرُ، وَالْحَلْقُ أَفْضَلُ، وَإِلَى هُنَا فَقَدْ تَحَلَّلَ التَّحَلُّلُ الْأَصْغَرَ فَلَمْ يَبْقَ مُحَرَّمًا عَلَيْهِ إِلَّا النِّسَاءُ، لِقَوْلِهِ ﷻ: «إِذَا رَمَى أَحَدُكُمْ جَمْرَةَ الْعُقْبَةِ وَحَلَقَ فَقَدْ حَلَّ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا النِّسَاءَ»^(٣) فَلَهُ أَنْ يُغَيِّطِي رَأْسَهُ وَيَلْبَسَ ثِيَابَهُ ثُمَّ يَسِيرُ إِلَى (مَكَّةَ) إِنْ أَمَكَنَ لِيَطُوفَ طَوَافَ الْإِفَاضَةِ الَّذِي هُوَ أَحَدُ أَرْكَانِ الْحَجِّ الْأَرْبَعَةِ فَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ مُتَطَهِّرًا فَيَطُوفُ عَلَى نَحْوِ طَوَافِ الْقُدُومِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَضْطَعُ - لَا يَكْشِفُ عَنْ كَتِفِهِ - وَلَا يَرْمِلُ، أَيْ لَا يُسْرِعُ فِي الْإِسْوَاطِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى، فَإِذَا أَتَمَّ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ خَلْفَ الْمَقَامِ، ثُمَّ إِنْ كَانَ مُفْرَدًا أَوْ قَارِنًا، وَقَدْ سَعَى مَعَ طَوَافِ الْقُدُومِ فَإِنْ سَعَى الْأَوَّلَ يَكْفِيهِ وَإِنْ كَانَ مَتَمِّعًا خَرَجَ إِلَى الْمُسَعَى فَسَعَى بَيْنَ (الصَّفَا) وَ (الْمَرْوَةِ) سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي تَقَدَّمَ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ سَعْيِهِ فَقَدْ تَحَلَّلَ كَامِلَ التَّحَلُّلِ، وَلَمْ يَبْقَ مُحَرَّمًا عَلَيْهِ شَيْءٌ؛ إِذْ أَصْبَحَ حَلَالًا يَفْعَلُ كُلَّ مَا كَانَ مُحْظُورًا عَلَيْهِ بِسَبَبِ الْإِحْرَامِ، ثُمَّ يَعُودُ مِنْ يَوْمِهِ إِلَى (مَنَى) فَيَبِيتُ بِهَا، وَإِذَا

(١، ٢) مسلم.

(٣) أبو داود وفي سنده ضعف وبه العمل عن جماهير الحابة والأئمة، رحمهم الله تعالى.

زَاغَتِ الشَّمْسُ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ذَهَبَ إِلَى الْجُمَرَاتِ فَرَمَى الْجُمَرَةَ الْأُولَى وَهِيَ الَّتِي تَلِي مَسْجِدَ (الْخَيْفِ) رَمَاهَا بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ، وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى يَكْبُرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ. وَلَمَّا يَفْرُغُ مِنْ رَمِيهَا يَتَنَحَّى قَلِيلًا، فَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ يَدْعُو بِمَا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَسِيرُ إِلَى الْجُمَرَةِ الْوُسْطَى فَيَرْمِيهَا كَمَا رَمَى الْأُولَى، وَيَتَنَحَّى قَلِيلًا فَيَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَيَدْعُو، ثُمَّ يَسِيرُ إِلَى جُمَرَةِ (الْعَقَبَةِ) وَهِيَ الْأَخِيرَةُ فَيَرْمِيهَا بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ يَكْبُرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ وَلَا يَدْعُو بَعْدَهَا، إِذْ لَمْ يَدْعُ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا، وَيَنْصَرِفُ، فَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْيَوْمِ الثَّانِي خَرَجَ فَرَمَى الْجُمَرَاتِ ^(١) الثَّلَاثَ عَلَى النُّحُوِّ الَّذِي سَبَقَ. ثُمَّ إِنْ تَعَجَّلَ نَزَلَ (مَكَّةَ) مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَإِنْ لَمْ يَتَعَجَّلْ بَاتَ لَيْلَتَهُ (بِمَنَى)، وَإِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْيَوْمِ الثَّالِثِ رَمَى الْجُمَرَاتِ كَمَا تَقَدَّمَ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى (مَكَّةَ)، وَإِذَا عَزَمَ عَلَى السَّفَرِ إِلَى أَهْلِهِ طَافَ طَوَافَ الْوَدَاعِ سَبْعَةَ أَشْوَاطٍ. وَصَلَّى بَعْدَهُ رَكْعَتَيْنِ خَلْفَ الْمَقَامِ، وَانْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، لَهُ الْحَمْدُ. وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيُّونَ تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ، وَنَصَرَ عَبْدُهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ.

(١) روى ابن ماجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قوله: حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم. ففيه دليل النيابة في الرمي عن الصغير ومن في حكمه من المرضى والعاجزين.

الفصل الثالث عشر

في زيارة المسجد النبوي والسلام على النبي ﷺ في قبره الشريف

وفيه ثلاث مَوَادَّ:

المادة الأولى: في فضل المدينة وأهلها؛ وفضل المسجد النبوي الشريف:

أ- فضل المدينة:

المدينة حَرَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وذَارُ هَجَرِيهِ، ومِهْبَطُ وَحْيِهِ، حَرَمُهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، كما حَرَّمَ سَيِّدُنَا إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَأَنَا أَحَرَّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا - حُرَّتَيْهَا»-(١). وَقَالَ: «المدينة حَرَامٌ مَا بَيْنَ عَائِثٍ إِلَى ثَوْرٍ فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحِدًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ، لَا يُخْتَلَى خِلَافَهَا وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهَا وَلَا تُلْتَقَطُ لِقَطْعُهَا إِلَّا لِمَنْ أَشَادَ بِهَا، وَلَا يَصْلُحُ لِرَجُلٍ أَنْ يَحْمِلَ فِيهَا السِّلَاحَ لِقِتَالٍ، وَلَا يَصْلُحُ أَنْ يُقَطَعَ مِنْهَا شَجَرَةٌ إِلَّا أَنْ يَعْلِفَ رَجُلٌ بَعِيرَهُ»-(٢). وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَمَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلَّ نَاحِيَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ بَرِيدًا فِي بَرِيدٍ لَا يَخْبِطُ شَجَرَةٌ وَلَا يُعْضَدُ إِلَّا مَا يُسَاقُ بِهِ الْجَمَلُ»-(٣). وَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَأْرَزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرَزُ الْحَيَّةُ إِلَى جَحْرِهَا، لَا يَصِيرُ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشَدَّتِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»-(٤). وَقَالَ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَفْعَلْ فَإِنِّي أَشْهَدُ لِمَنْ مَاتَ بِهَا»-(٥). وَقَالَ ﷺ: «إِنَّمَا الْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ تَنْفِي خَبَثُهَا، وَيَنْصَعُ طَيْبُهَا»-(٦). وَقَالَ ﷺ

(١، ٢) مسلم.

(٤) متفق عليه.

(٣) أبو داود وسننه جيد.

(٥) الترمذي وابن حنبل وغيرهما.

(٦) مسلم.

«المدينة خَيْرُ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، لَا يَدْعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبَدَلَ اللَّهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ وَلَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لَأَوَائِهَا وَجْهَهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً أَوْ شَهِيداً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

ب - فضل أهل المدينة:

أهل المدينة، وهُم جيرة رسول الله ﷺ وعُمَارُ مَسْجِدِهِ، وَسُكَّانُ بَلَدِهِ، وَالْمَرَابِطُونَ فِي حَرَمِهِ، وَالْحَارُمُونَ لِحِمَاهُ، مَتَى اسْتَقَامُوا وَاصْلَحُوا كَانُوا أَعْلَى النَّاسِ قَدْرًا، وَأَشْرَفَهُمْ مَكَانًا، وَوَجَبَ احْتِرَامُهُمْ وَتَقْدِيرُهُمْ، وَلَزِمَتْ مَحَبَّتُهُمْ وَمَوَالَاتُهُمْ، حَذَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَذْيَتِهِمْ فَقَالَ: «لَا يَكِيدُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ أَحَدٌ إِلَّا أَنْمَاعَ كَمَا يَنْمَاعُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ»^(٢). وَقَالَ: «لَا يُرِيدُ أَحَدٌ أَهْلَ الْمَدِينَةِ بَسْوَءٌ إِلَّا أَذَابَهُ اللَّهُ فِي النَّارِ ذَوْبَ الرِّصَاصِ أَوْ ذَوْبَ الْمِلْحِ فِي الْمَاءِ»^(٣). وَدَعَا لَهُمْ ﷺ بِالْبَرَكَةِ فِي أَرْزَاقِهِمْ حُبًّا فِيهِمْ وَتَكْرِيمًا لَهُمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ فِي مَكِّيَالِهِمْ، وَبَارِكْ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ وَمِذْهِمْ»^(٤). وَأَوْصَى أُمَّتَهُ عَامَةً عَلَيْهِمْ بِخَيْرٍ، فَقَالَ: «الْمَدِينَةُ مُهَاجِرِي فِيهَا مَضْجَعِي، وَمِنْهَا مَبْعَثِي حَقِيقٌ عَلَى أُمَّتِي حِفْظُ جِيرَانِي مَا لَمْ يَرْتَكِبُوا الْكِبَايِرَ، وَمَنْ حَفِظَهُمْ كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً وَشَهِيداً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٥).

ج - فضل المسجد النبوي الشريف:

المسجد النبويُّ أحدُ المساجدِ الثلاثةِ التي نَوَّهَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِذِكْرِهَا، إِذْ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَبَّحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾، فَإِنَّ فِي لَفْظِ الْأَقْصَى إِشَارَةً وَاضِحَةً إِلَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، إِذِ الْأَقْصَى اسْمُ تَفْضِيلٍ عَلَى الْقَاصِي، وَمَنْ كَانَ بِمَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ كَانَ الْمَسْجِدُ الْقَاصِي مِنْهُ هُوَ الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ، وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى هُوَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، فَذَكَرَ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ بِالْإِشَارَةِ ضَمَّنَ الْمَسْجِدَيْنِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ أَيَّامَ نَزُولِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ قَدْ وُجِدَ بَعْدُ، وَقَالَ ﷺ فِي بَيَانِ فَضْلِهِ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا

(١، ٣) مسلم.

(٢) البخاري.

(٥) الطبراني في الكبير، وفي سنده متروك.

المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه»^(١).

وجعله ثاني المساجد الثلاثة التي لا تُشدُّ الرحالُ إلَّا إليها، فقال: «لا تُشدُّ الرحالُ إلَّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى». وخصَّ هذا المسجد بِمَزِيَّةٍ لم تكن لغيره من المساجد، وهي الروضة الشريفة التي قال فيها رسول الله ﷺ: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمَنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ»^(٢). وَرَوَى عَنْهُ ﷺ: «مَنْ صَلَّى فِي مَسْجِدِي أَرْبَعِينَ صَلَاةً لَا تَفُوتُهُ صَلَاةٌ كُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ»^(٣).

ولهذا كانت زيارة هذا المسجد للصلاة فيه من القرب التي يتوسَّلُ بها المسلم إلى ربه في قضاء حاجاته والفوز بمرضاته تعالى.

المادة الثانية في زيارة المسجد النبوي والسلام على الرسول ﷺ وصاحبيه:

لما كانت زيارة المسجد النبوي عبادة كانت مفتقرة إلى نية كسائر العبادات، إذ الأعمال بالنيات. فليَنو المسلم بزيارته للمسجد النبوي للصلاة فيه والتقرب إلى الله تعالى، والتزلف إليه طاعة ومحبة، فإذا وصل المسجد متطهراً قدَّم رجله اليمنى، كما هي السنة في دخول المساجد، وقال: «بِسْمِ اللَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وافتحْ لي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»، ثُمَّ أَتَى الرُّوضَةَ الشَّرِيفَةَ - إِنْ وَجَدَ لَهُ مَتَسَعاً فِيهَا - وَإِلَّا فَفِي أَيِّ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِي الْمَسْجِدِ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ أَوْ مَا فَتَحَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الصَّلَاةِ، ثُمَّ يَقْصِدُ الْحُجْرَةَ الشَّرِيفَةَ فَيَسْلِمُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَيَقْفُ مُسْتَقْبِلَ الْمَوَاجَهَةِ الشَّرِيفَةِ فَيَسْلِمُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ قَائِلاً: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَ خَلْقِ اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ

(١) مسلم إلى قوله إلا المسجد الحرام، وروى الجملة الأخيرة أحمد وابن حبان في صحيحه.

(٢) متفق عليه.

(٣) أحمد وقال المنذري رواه رواة الصحيح، ورواه الطبراني والترمذي بلفظ آخر.

أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، قَدْ بَلَغْتَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ، وَنَصَحْتَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدْتَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِكَ وَأَزْوَاجِكَ وَذُرِّيَّتِكَ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا. ثُمَّ يَتَنَحَّى قَلِيلًا إِلَى الْيَمِينِ فَيَسْلِمُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ قَائِلًا: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ صَفِيُّ رَسُولِ اللَّهِ، وَصَاحِبُهُ فِي الْغَارِ، جَزَاكَ اللَّهُ عَنْ أُمَّةٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَيْرًا.

ثُمَّ يَتَنَحَّى نَحْوَ الْيَمِينِ قَلِيلًا وَيَسْلِمُ عَلَى عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَائِلًا: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا عَمَرُ الْفَارُوقُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ جَزَاكَ اللَّهُ عَنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرًا ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَإِذَا أَرَادَ التَّوَسُّلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِهَذِهِ الزِّيَارَةِ فَلْيَتَعَدَّ قَلِيلًا مِنَ الْمَوَاجِهُةِ الشَّرِيفَةِ وَيَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَيَدْعُ اللَّهَ مَا شَاءَ وَيَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ مَا أَرَادَ.

وَبِذَلِكَ تَكُونُ قَدْ تَمَّتْ زِيَارَةُ الْمُسْلِمِ لِلْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، فَإِنْ شَاءَ سَافِرٌ، وَإِنْ شَاءَ أَقَامَ، غَيْرَ أَنَّ الْإِقَامَةَ بِالْمَدِينَةِ لِلصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ أَفْضَلُ وَلَا سِيَّمَا وَقَدْ وَرَدَ التَّرغِيبُ فِي صَلَاةِ أَرْبَعِينَ صَلَاةً فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ.

المادة الثالثة: في زيارة الأماكن الفاضلة بالمدينة المنورة:

يَحْسُنُ بِالْمُسْلِمِ إِذَا شَرَّفَهُ اللَّهُ بِزِيَارَةِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَالْوُقُوفِ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَرَّمَهُ بِدُخُولِ طَيِّبَةٍ - طَيِّبَ اللَّهُ ثَرَاهَا - يَحْسُنُ بِهِ أَنْ يَأْتِيَ مَسْجِدَ قَبَاءَ لِلصَّلَاةِ فِيهِ، إِذْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَزُورُهُ وَيَصَلِّي فِيهِ، وَكَذَلِكَ كَانَ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَقَالَ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ وَأَحْسَنَ الطُّهُورَ ثُمَّ أَتَى مَسْجِدَ قَبَاءَ لَا يَرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ عُمْرَةٍ»^(١). وَكَانَ ﷺ: يَأْتِي مَسْجِدَ قَبَاءَ رَاكِبًا وَمَاشِيًا فَيَصَلِّي فِيهِ رَكَعَتَيْنِ^(٢). كَمَا يَزُورُ قُبُورَ الشَّهَدَاءِ (بِأَحَدٍ)، إِذْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْرُجُ لَزِيَارَتِهِمْ فِي قُبُورِهِمْ وَيَسْلِمُ عَلَيْهِمْ^(٣). وَبِهَذِهِ الزِّيَارَةِ لَشَهَدَاءِ (أَحَدٍ) يُمْكِنُهُ مَشَاهِدَةُ جَبَلِ (أَحَدٍ) الْجَبَلِ الَّذِي قَالَ فِيهِ الرَّسُولُ ﷺ: «(أَحَدٌ) جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنَحْبُهُ»^(٤). وَقَالَ فِيهِ: «(أَحَدٌ)

(١) أحمد والنسائي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الإسناد.

(٣) أبو داود.

(٤) متفق عليه.

(٢) مسلم.

جبل من جبال الجنة، واضطرب مرة تحت رجله ﷺ، وكان معه أبو بكر وعمر وعثمان، فقال له: «أسكن (أحد) - وضربه برجله - فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان»^(١).

كما يزور مقبرة (البقيع) إذ كان ﷺ يزور أهلها ويسلم عليهم، كما ورد في الصحيح. ولأنها ضمت آلاف الصحابة والتابعين وغيرهم من عباد الله الصالحين فيأتيها فيسلم على أهلها قائلًا: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين أنتم سابقون، وإننا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين. نسأل الله لنا ولكم العافية في الدنيا والآخرة، اللهم اغفر لنا ولهم، وارحمنا وإياهم، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتننا بعدهم».

(١) البخاري.

الفصل الرابع عشر

في الأضحية، والعقيقة

وفيه مادتان:

المادة الأولى: في الأضحية:

- ١ - تعريفها: الأضحية هي الشاة تُذبح ضحى يوم العيد تقرباً إلى الله تعالى.
- ٢ - حكمها: الأضحية سنة واجبة على أهل كل بيت مسلم قدر أهله عليها، وذلك لقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾، وقول الرسول ﷺ: «مَنْ كَانَ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَلْيُعِدْ»^(١). وقول أبي أيوب الأنصاري: «كَانَ الرَّجُلُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُضْحِي بِالشَّاةِ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»^(٢).
- ٣ - فضلها: يشهد لما لسنة الأضحية من الفضل العظيم قول الرسول ﷺ: «مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ عَمَلًا أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِرَاقَةِ دَمٍ، وَإِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأُظْلَافِهَا وَأَشْعَارِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ فَيَطْبِئُوا بِهَا نَفْسًا»^(٣). وقوله ﷺ: «وَقَدْ قَالُوا لَهُ مَا هَذِهِ الْأَضَاجِي؟. قَالَ: سَنَةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ. قَالُوا: مَا لَنَا مِنْهَا؟. قَالَ: بِكُلِّ شَعْرَةٍ حَسَنَةٌ، قَالُوا: فَالْصُّوفُ؟ قَالَ: بِكُلِّ شَعْرَةٍ مِنَ الصُّوفِ حَسَنَةٌ»^(٤).

٤ - حكمتها: من الحكمة في الأضحية:

- ١ - التقرب إلى الله تعالى بها، إذ قال سبحانه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾. وقال

(٣) ابن ماجه والترمذي وحسنه مع استغرابه.

(١) متفق عليه.

(٤) ابن ماجه والترمذي «حسن».

(٢) الترمذي وصححه.

عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾^(١). والنسك هنا هو الذبح تقرباً إليه سبحانه وتعالى.

٢ - إحياء سنة إمام الموحدين إبراهيم الخليل عليه السلام، إذ أوحى الله إليه أن يذبح ولده إسماعيل، ثم فذاه بكبش فذبحه بدلاً عنه، قال تعالى: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾^(٢).

٣ - التوسعة على العيال يوم العيد، وإشاعة الرحمة بين الفقراء والمساكين.

٤ - شكر الله تعالى على ما سخر لنا من بهيمة الأنعام، قال تعالى: ﴿فكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمَعْتَرَّ، كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾^(٤).

٥ - أحكامها:

١ - سنّها: لا يُجزيء في الأضحية من الضأن أقل من الجذع، وهو ما أوفى سنة أو قاربها. وفي غير الضأن من المعز والإبل والبقر لا يجزيء أقل من الثني وهو في الماعز ما أوفى سنة ودخل في الثانية. وفي الإبل ما أوفى أربع سنوات ودخل في الخامسة. وفي البقر ما أوفى سنتين ودخل في الثالثة، لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تذبحوا إلا مسنة، إلا أن يعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن والمسنة من الأنعام هي الشنية»^(٥).

٢ - سلامتها: لا يُجزيء في الأضحية سوى السليمة من كل نقص في خلقيتها، فلا تجزيء العوراء ولا العرجاء ولا العضباء (أي مكسورة القرن من أصله أو مقطوعة الأذن من أصلها) ولا المريضة ولا العجفاء (وهي الهازل التي لا مخ فيها)، وذلك لقوله ﷺ: «أربع لا تجوز في الأضاحي: العوراء البين عورها، والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين ضلعها، والكسيرة التي لا تنقي - يعني لا نقي فيها - أي لا مخ في عظامها وهي الهازل العجفاء»^(٦).

(٣) الحج.

(١) الأنعام.

(٦) الترمذي وصححه.

(٤، ٥) مسلم.

(٢) الصافات.

٣ - أَفْضَلُهَا: أَفْضَلُ الْأُضْحِيَّةِ مَا كَانَتْ كَبْشًا أَقْرَنَ فَحَلًّا أَبْيَضَ يَخَالُطُهُ سَوَادٌ حَوْلَ عَيْنَيْهِ وَفِي قَوَائِمِهِ، إِذْ هَذَا هُوَ الْوَصْفُ الَّذِي اسْتَحَبَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَضَحَّى بِهِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ ضَحَّى بِكَبْشٍ أَقْرَنَ يَطَأُ فِي سَوَادٍ وَيَمْشِي فِي سَوَادٍ وَيَنْظُرُ فِي سَوَادٍ»^(١).

٤ - وَقْتُ ذَبْحِهَا: وَقْتُ ذَبْحِ الْأُضْحِيَّةِ صَبَاحَ يَوْمِ الْعِيدِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، أَيْ صَلَاةِ الْعِيدِ فَلَا تُجْزَى قَبْلَهُ أَبَدًا، لِقَوْلِهِ ﷺ: مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا يَذْبَحُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَقَدْ تَمَّ نُسْكُهُ وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ»^(٢). أما بعد يوم العيد فإنه يجوز تأخيرها لليوم الثاني والثالث بعد العيد لما روي «كل أيام التشريق ذبح»^(٣).

٥ - مَا يَسْتَحَبُّ عِنْدَ ذَبْحِهَا: يَسْتَحَبُّ أَنْ يُوَجَّهَهَا إِلَى الْقِبْلَةِ وَيَقُولَ: «إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ». وَإِذَا بَاشَرَ الذَّبْحَ أَنْ يَقُولَ: «بِسْمِ اللَّهِ»^(٤) وَاللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ هَذَا مِنْكَ وَلَكَ».

٦ - صِحَّةُ الْوَكَّالَةِ فِيهَا: يَسْتَحَبُّ أَنْ يَبَاشَرَ الْمُسْلِمُ أُضْحِيَّتَهُ بِنَفْسِهِ وَإِنْ أَنَابَ غَيْرُهُ فِي ذَبْحِهَا جَازَ ذَلِكَ بِلَا حَرَجٍ وَلَا خِلَافٍ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي هَذَا.

٧ - قِسْمَتُهَا الْمُسْتَحَبَّةُ: يَسْتَحَبُّ أَنْ تُقَسَّمَ الْأُضْحِيَّةُ ثَلَاثًا، يَأْكُلُ أَهْلُ الْبَيْتِ ثَلَاثًا وَيَتَصَدَّقُونَ بِثَلَاثٍ، وَيَهْدُونَ لِأَصْدِقَائِهِمُ الثَّلَاثَ الْآخَرَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «كُلُوا وَادْخِرُوا وَتَصَدَّقُوا»^(٥) وَيَجُوزُ أَنْ يَتَصَدَّقُوا بِهَا كُلِّهَا، كَمَا يَجُوزُ أَنْ لَا يَهْدُوا مِنْهَا شَيْئًا.

(١) الترمذي وصححه.

(٢) البخاري.

(٣) أحمد وفي سنده مقال وهناك آثار عن علي وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم تشهد له. وقال مالك وأبو حنيفة وهو مروى عن عمر وولده رضي الله عنهما ولا تؤخر الأضحية عن ثالث العيد.

(٤) التسمية واجبة بالكتاب الكريم، قال تعالى: «وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ» الأنعام.

(٥) متفق عليه.

٨ - أُجْرَةُ جَازِرِهَا مِنْ غَيْرِهَا . لَا يُعْطَى الْجَازِرُ أَجْرَةَ عَمَلِهِ مِنَ الْأُضْحِيَّةِ لِقَوْلِ
عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقُومَ عَلَى بُذْنِهِ : وَأَنْ أَتَصَدَّقَ بِلُحُومِهَا
وَجُلُودِهَا وَجِلَالِهَا ، وَأَنْ لَا أُعْطِيَ الْجَازِرُ مِنْهَا شَيْئًا . وَقَالَ : نَحْنُ نُعْطِيهِ مِنْ عِنْدِنَا »^(١) .

٩ - هَلْ تُجْزَى الشَّاةُ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ؟ : تُجْزَى الشَّاةُ الْوَاحِدَةُ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ
كَافَّةً وَإِنْ كَانُوا أَنْفَرًا عِدِيدِينَ لِقَوْلِ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « كَانَ الرَّجُلُ فِي عَهْدِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُضْحِي بِالشَّاةِ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ »^(٢) .

١٠ - مَا يَتَجَبُّهُ مِنْ عِزَمٍ عَلَى الْأُضْحِيَّةِ : يَكْرَهُ كِرَاهَةً شَدِيدَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ
يُضْحِيَ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ شَعْرِهِ أَوْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا وَذَلِكَ إِذَا أَهْلُ هِلَالٍ شَهْرٍ ذِي الْحِجَّةِ حَتَّى
يُضْحِيَ لِقَوْلِهِ ﷺ : « إِذَا رَأَيْتُمْ هِلَالَ ذِي الْحِجَّةِ وَأَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يُضْحِيَ فَلْيُمْسِكْ عَنْ
شَعْرِهِ وَأَظْفَارِهِ حَتَّى يُضْحِيَ »^(٣) .

١١ - تَضَحُّيَةُ الرَّسُولِ ﷺ عَنْ جَمِيعِ الْأُمَّةِ : مَنْ عَجَزَ عَنْ الْأُضْحِيَّةِ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ نَالَهُ أَجْرُ الْمُضْحِيْنَ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَ ذَبْحِهِ لِأَحَدٍ كَبْشَيْنِ قَالَ :
« اللَّهُمَّ هَذَا عَنِّي وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحَّ مِنْ أُمَّتِي »^(٤) .

المادة الثانية في العقيقة :

١ - تعريفها : العقيقة هي الشاةُ تذبحُ للمولود يوم سابع ولادته .

٢ - حكمها : العقيقة سنة متأكدة للقادر عليها من أولياء المولود ، وذلك
لِقَوْلِهِ ﷺ : « كُلُّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ ، وَيُسَمَّى وَيُحَلَّقُ رَأْسُهُ »^(٥) .

٣ - حكمتها : من الحكمة في العقيقة شكر الله تعالى على نعمة الولد ،
والوسيلة لله عز وجل في حفظ المولود ورعايته .

(١) متفق عليه .

(٢) تقدم .

(٣) مسلم .

(٤) أحمد وأبو داود والترمذي . .

(٥) أبو داود والنسائي وصححه غير واحد .

٤ - أَحْكَامُهَا: من أَحْكَامِ الْعَقِيقَةِ:

١ - سَلَامَتُهَا وَسُنُّهَا: مَا يُجْزَى فِي الْأُضْحِيَّةِ مِنَ السِّنِّ وَالسَّلَامَةِ مِنَ النِّقْصِ يُجْزَى فِي الْعَقِيقَةِ، وَمَا لَا يُجْزَى فِي الْأُضْحِيَّةِ لَا يُجْزَى فِي الْعَقِيقَةِ.

٢ - طَعْمُهَا وَإِطْعَامُهَا: يُسْتَحَبُّ أَنْ تُقَسَّمَ كَمَا تُقَسَّمُ الْأُضْحِيَّةُ فَيَأْكُلُ مِنْهَا أَهْلُ الْبَيْتِ وَيَتَصَدَّقُونَ وَيَهْدُونَ.

٣ - مَا يُسْتَحَبُّ يَوْمَ الْعَقِيقَةِ: يُسْتَحَبُّ أَنْ يُعَقَّ عَلَى الذَّكَرِ بَشَاتَيْنِ: «إِذْ ذَبَحَ الرَّسُولُ ﷺ عَنِ الْحَسَنِ كَبْشَيْنِ»^(١).

كما يُسْتَحَبُّ أَنْ يُسَمَّى الْمَوْلُودُ يَوْمَ سَابِعِهِ، وَأَنْ يُخْتَارَ لَهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ أَحْسَنُهَا. وَأَنْ يُحْلَقَ رَأْسُهُ، وَيُتَصَدَّقَ بِوَرْنٍ شَعْرِهِ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً أَوْ مَا يَقُومُ مَقَامَهُمَا مِنَ الْعَمَلَةِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «كُلُّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ تُذَبِّحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ، وَيُسَمَّى وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ»^(٢).

٤ - الْأَذَانُ وَالْإِقَامَةُ فِي أَذُنِي الْمَوْلُودِ: اسْتَحَبَّ أَهْلُ الْعِلْمِ إِذَا وُضِعَ الْمَوْلُودُ أَنْ يُؤَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيَمْنَى، وَيُقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى، رَجَاءً أَنْ يَحْفَظَهُ اللَّهُ مِنْ أُمِّ الصَّبْيَانِ وَهِيَ تَابِعَةُ الْجَانِّ. لِمَا رَوَى: «مَنْ وَلَدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيَمْنَى، وَأَقَامَ فِي أُذُنِهِ الْيُسْرَى لَمْ تَضُرَّهُ أُمُّ الصَّبْيَانِ»^(٣).

٥ - إِذَا فَاتَ السَّابِعُ وَلَمْ يُذَبِّحْ فِيهِ: صَحَّ يَوْمَ الرَّابِعِ عَشَرَ، أَوْ يَوْمَ الْوَاحِدِ وَالْعَشْرِينَ، وَإِنْ مَاتَ الْمَوْلُودُ قَبْلَ السَّابِعِ لَمْ يُعَقَّ عَنْهُ.

(١) الترمذي وصححه.

(٢) يستحب حلق رأس الذكر لا الجارية فإنه يكره حلق رأسها.

(٣) تقدم.

(٤) ابن السني مرفوعاً وأورده صاحب التخليص ولم يتكلم عليه.

البَابُ الخَامِسُ



الفصل الأول

في الجهاد

وفيه إحدى عشرة مادة:

المادة الأولى: في حكم الجهاد؛ وبيان أنواعه؛ والحكمة فيه:

أ - حكم الجهاد:

حكم الجهاد الخاص الذي هو قتال الكفار والمحاربين فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن البعض الآخر، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً، فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾^(١). غير أنه يتعين على من عينه الإمام فيصبح فرض عين في حقه، لقوله ﷺ: «وإذا استنفرتم فأنفروا»^(٢). وكذا إذا داهم العدو بلداً فإنه يتعين على أهلها حتى النساء منهم مدافعة و قتاله.

ب - أنواع الجهاد:

١ - جهاد الكفار والمحاربين، ويكون باليد، والمال، واللسان، والقلب لقوله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»^(٣).

٢ - جهاد الفساق، ويكون باليد واللسان والقلب، لقوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

(٣) أحمد وأبو داود والنسائي وإسناده صحيح.

(٢) متفق عليه.

(١) التوبة.

٣ - جِهَادُ الشَّيْطَانِ، وَيَكُونُ بِدْفَعِ مَا يَأْتِي بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ، وَتَرْكِ مَا يَزِينُهُ مِنَ الشُّهَوَاتِ، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْرَتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾. وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾^(١).

٤ - جِهَادُ النَّفْسِ، وَيَكُونُ بِحَمْلِهَا عَلَى أَنْ تَتَعَلَّمَ أُمُورَ الدِّينِ وَتَعْمَلَ بِهَا وَتُعَلِّمَهَا، وَبَصْرِهَا عَنْ هَوَاهَا وَمَقَاوِمَةِ رُغُونَاتِهَا.

وجهاد النفس من أعظم أنواع الجهاد حتى قيل فيه: الجهاد الأكبر^(٢).

ج - حِكْمَةُ الْجِهَادِ:

ومن الحكمة في الجهاد بأنواعه: أَنْ يُعَبَّدَ اللَّهُ وَحْدَهُ مَعَ مَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنْ دَفْعِ الْعُدُوِّ وَالشَّرِّ، وَحِفْظِ الْأَنْفُسِ وَالْأَمْوَالِ، وَرِعَايَةِ الْحَقِّ وَصِيَانَةِ الْعَدْلِ، وَتَعْمِيمِ الْخَيْرِ وَنَشْرِ الْفَضِيلَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾^(٣).

المادة الثانية: في فضل الجهاد:

ورد في فضل الجهاد والاستشهاد في سبيل الله تعالى من الأخبار الإلهية الصادقة والأحاديث النبوية الصحيحة الثابتة ما يجعل الجهاد من أعظم القرب وأفضل العبادات، ومن تلك الأخبار الإلهية والأحاديث النبوية قول الله تعالى: ﴿إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ، وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(٤). وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾^(٥).

(١) فاطر.

(٢) حديث ضعيف رواه البيهقي والخطيب في تاريخه عن جابر رضي الله عنه بلفظ: قدم النبي «صلى الله عليه وسلم». من غزاة فقال عليه الصلاة والسلام: قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى

الجهاد الأكبر؟ قال: «مجاهدة العبد هواه».

(٣) الأنفال.

(٤) التوبة.

(٥) الصمد.

وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ؟ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرْ، لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١). وقوله سبحانه في فضل المجاهدين المستشهدين: ﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٢).

وقول الرسول ﷺ وقد سُئِلَ عَنْ أَفْضَلِ النَّاسِ؟ فَقَالَ: «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ مُؤْمِنٌ فِي شُعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ يَعْبُدُ اللَّهَ وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»^(٣). وقوله ﷺ: «مِثْلُ الْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، كَمِثْلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ إِنْ تَوَفَّاهُ، أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يُرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»^(٤) وقوله ﷺ، وقد سَأَلَهُ رَجُلٌ قَائِلًا: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ، فَقَالَ: لَا أَجِدُ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمَجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتَرُ وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟ قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟^(٥). وقوله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَكُلُّمُ - أَي لَا يَجْرَحُ - أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يَكُلُّمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدِّمْرِ وَالرَّيْحُ رِيحُ الْمَسْكِ»^(٦). وقوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ الْيَفَاقِ»^(٧). وقوله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْدُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ، ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أُقْتَلَ»^(٨). وقوله ﷺ: «مَا أَغْبَرْتُ قَدَمًا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَسَّتْهُ النَّارُ»^(٩).

(١) الصف.

(٢) آل عمران.

(٥) النسائي وهو في الصحيحين بمعناه.

(٦) (٧) (٨) البخاري.

(٣) متفق عليه.

(٩) مسلم.

(٤) ابن ماجه، وهو في الصحيحين بأتم من هذا اللفظ.

وقوله ﷺ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، إِلَّا الشَّهِيدَ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ»^(١).

المادة الثالثة: في الرباط؛ وحكمه وبيان فضله:

١ - تعريفه: الرباط هو مرابطة الجيوش الإسلامية بسلاحها وعتادها الحربي في أماكن الخطر والثغور التي يمكن للعدو أن يدخلها، أو يهاجم المسلمين وبلادهم منها.

٢ - حكمه: الرباط واجب كفائي كالجهاد، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وقد أمر الله تعالى به في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).

٣ - فضله: الرباط من أفضل الأعمال وأعظم القرب، قال فيه رسول الله ﷺ: «رَبَاطٌ يَوْمٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»^(٣). وقال ﷺ: «كُلُّ الْمَيِّتِ يَخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ، إِلَّا الْمَرَابِطُ فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُؤْمَنُ مِنْ فُتَانِ الْقَبْرِ»^(٤). فتان القبر المراد بهما منكرو ونكير. وقال ﷺ: «حَرَسَ لَيْلَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُقَامُ لَيْلَهَا وَيَصَامُ نَهَارُهَا»^(٥). وقال ﷺ: «حُرِمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٦). وقال ﷺ: «مَنْ حَرَسَ وَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ مَتَطَوَّعاً لَمْ يَرِ النَّارَ بَعَيْنِهِ إِلَّا تَجَلَّهَ الْقَسَمُ»^(٧) وقال ﷺ لأنس بن أبي مرثد وقد أمره أن يحرس المعسكر ليلاً، فلما أصبح جاءه فقال له: هل نزلت الليلة؟ فقال أنس: لا، إلا مُصَلِّياً أو قَاضِياً حَاجَةً، فقال له ﷺ: «قَدْ أُوجِبَتْ فَلَا عَلَيْكَ أَنْ لَا تَعْمَلَ عملاً بعدها»^(٨).

(١) الطبراني والحاكم وهو حسن.

(١) متفق عليه.

(٢) الطبراني والحاكم وهو صحيح.

(٢) آل عمران.

(٣) أحمد وهو صحيح الإسناد.

(٣) متفق عليه.

(٤) النسائي وأبو داود.

(٤) أبو داود والترمذي وصححه.

المادة الرابعة: في وجوب الاعداد للجهاد:

الإعداد للجهاد يكون بإحضار الأسباب وإيجاد العتاد الحربي بكافة أنواعه وهو فرض كالجهاد نفسه، غير أنه مقدم عليه وسابق له، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^(١).

وقال عقبه بن عامر رضي الله عنه: «سمعتُ رسولَ الله على المنبر يقول: وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوَّة، ألا إنَّ القوَّةَ الرميَّ، ألا إنَّ القوَّةَ الرميَّ، ألا إنَّ القوَّةَ الرميَّ»^(٢). وقال ﷺ: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ يُدخِلُ بالسَّهمِ الواحدِ ثلاثةَ نفرٍ الجنةَ: صانعُه يحتسِبُ في صنعتهِ الخيرَ، والرَّامي به، ومنبلُه، وأرْمُوها واركبُوها وأن تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوها، ليسَ من اللُّهُوِّ إلَّا ثلاثٌ: تأديبُ الرَّجُلِ فرسه، وملاعبتهِ وأهله، ورميُّه بقوسيه أو نَبْلِهِ»^(٣).

وبناءً على هذا وجب على المسلمين سواء كانوا دولةً واحدةً أو دولاً شتى أن يعدُّوا من السلاح ويهيئوا من العتاد الحربي ويدربوا من الرجال على فنون الحرب والقتال ما يمكنهم لا من ردِّ هجمات العدوِّ فحسب، بل في الغزو في سبيلِ الله لإعلاء كلمة الله ونشر العدل والخير والرحمة في الأرض.

كما وجب أيضاً على المسلمين أن يكون التجنيد إجبارياً بينهم. فما من شابٍ يبلُغ الثامنة عشرة من عمره إلَّا يُضطرُّ إلى الخدمة العسكرية لمدة سنة ونصف، يُحسِنُ خلالها سائر فنون الحرب والقتال، ويسجَّلُ بعدها اسمه في ديوان الجيش العام، ويكون بذلك مستعداً لداعي الجهاد في أية لحظة يدعوه فيها، ومع صلاح نيته قد يجري له عمل المرابط في سبيلِ الله، ما دام اسمه في ذلك الديوان العام.

كما يجب على المسلمين أن يعدُّوا من المصانع الحربية المتبعة لكلِّ سلاحٍ وجَد في العالم، أو يجد فيه، ولو أدى ذلك بهم إلى ترك كلِّ ما ليس بضروريٍّ من المأكَلِ والمشربِ والملبسِ والسكن. الأمر الذي يجعلهم يقومون بواجب الجهاد ويؤدُّون

(٣) أصحاب السنن كافة.

(٢) مسلم.

(١) الأنفال.

فريضة على أحسن الوجوه وأكملها. وإلا فهم آثمون وعرضة لعذاب الله في الدنيا وفي الآخرة.

المادة الخامسة: في أركان الجهاد:

للجهاد الشرعي المحقق لإحدى الحسنيين: السيادة أو الشهادة، أركان هي:

١ - النية الصالحة، إذ الأعمال بالنيات، والنية في الجهاد أن يكون الغرض منه إعلاء كلمة الله تعالى لا غير، فقد سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل حمية، ويقاتل رياء، فأي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»^(١).

٢ - أن يكون وراء إمام مسلم وتحت رايته وبإذنه، فكما لا يجوز للمسلمين وإن قل عدوهم - أن يعيشوا بدون إمام، لا يجوز لهم أن يقاتلوا بغير إمام قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢) وبناء على هذا فإنه يجب على أية مجموعة من المسلمين تريد أن تجاهد غازية في سبيل الله تعالى، أو تتحرر وتخلص من قبضة الكافر أن تباع أولاً رجلاً منها تتوكل فيه أغلب شروط الإمامة من علم وتقوى وكفاية، ثم تنظم صفوفها، وتجمع أمرها وتجاهد بالسنتها وأموالها وأيديها حتى يكتب الله لها النصر.

٣ - إعداد العدة، وإحضار ما يلزم للجهاد من سلاح وعتاد ورجال في حدود الإمكان، مع بذل كامل للاستطاعة، واستفراغ الجهد في ذلك، لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(٣).

٤ - رضا الأبوين، وإذنهما لمن كان له أبوان أو أحدهما، لقوله ﷺ للرجل الذي استأذنه في الجهاد: أحيي والذاك؟ قال: نعم: قال: «ففيهما فجاهد»^(٤). إلا إذا داهم العدو القرية، أو عين الإمام الرجل، فإنه يسقط إذن الأبوين.

(١) متفق عليه.

(٣) الأنفال.

(٢) النساء.

(٤) البخاري.

٥ - طاعة الإمام ، فمن قاتل وهو عاصٍ للإمام ومات فقد مات ميتة جاهليّة، لقوله ﷺ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيُضِرَّ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شَيْئاً فَمَاتَ عَلَيْهِ إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»^(١).

المادة السادسة: فيما يلزم لخوض المعركة:

لا بُدَّ للمجاهد عند خوض المعركة من توفر الأحوال الآتية:

١ - الثبات والاستماتة حال الزحف، إذ حرم الله عز وجل الانهزام أمام العدو حال الزحف، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زُحُفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأُدْبَارَ﴾^(٢). وهذا فيما إذا كان عدو الكفار لا يزيد على ضعفتي عدد المسلمين، فإن زاد بأن قاتل رجل من المسلمين ثلاثة من الكفار فأكثر مثلاً فلا يحرم الانهزام، كما أن من انهزم قصد مخادعة الكفار لينقض عليهم، أو انهزم لينحاز إلى فئة المسلمين لا يعد منهزماً ولا إنم عليه، بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مَتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ﴾^(٣).

٢ - ذكر الله بالقلب واللسان استمداداً للقوة من الله تعالى بذكر وعده ووعدته وولايته ونصرتيه لأوليائه، فيثبت بذلك القلب ويربط الجأش.

٣ - طاعة الله وطاعة رسوله، بعدم مخالفة أمرهما ولا ارتكاب نهيهما.

٤ - ترك النزاع والخلاف، لدخول المعركة صفّاً واجداً لا ثلثة فيه ولا ثغرة، قلوب مترابطة وأجساد مترابطة كالبيان المخصوص يشد بعضه بعضاً.

٥ - الصبر والمصابرة، والاستماتة في خوض المعركة حتى ينكشف العدو وتنهزم صفوفه. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(٤).

(١)، (٢)، (٣) الأنفال.

(١) متفق عليه.

المادة السابعة: في آداب الجهاد:

للجهاد آداب تجب مراعاتها، فإنها عوامل النصر فيه، وهي:

١ - عدم إفشاء سير الجيش وخططه الحربية، فقد كان رسول الله ﷺ إذا أراد الخروج إلى غزوة ما ورى بغيرها (كما ورد في الصحيح).

٢ - استعمال الرموز والشعارات والإشارات بين أفراد الجيش، ليعرف بها بعضهم بعضاً في حال اختلاطهم بالعدو أو قريبهم من مكانه، فقد قال ﷺ: «إن يبتكُم العدو فقولوا: حم لا ينصرون، وكان شعار سرية غزت مع أبي بكر، أمت أمت»^(١).

٣ - الصمت عند خوض المعركة، إذ اللغط والصراخ يُسببان الفشل بتبديد القوى وتشتت الفكر، لما روى أبو داود أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يكرهون الصوت عند القتال.

٤ - اختيار الأماكن الصالحة للقتال وترتيب المقاتلين واختيار الزمن المناسب لشن الهجوم على العدو، إذ كان ﷺ من هديه في الحروب اختيار المكان والزمان لشن المعارك^(٢).

٥ - دعوة الكفار قبل إعلان الحرب عليهم أو مهاجمتهم إلى الإسلام أو الاستسلام بدفع الجزية، فإن أبوا فإلقتال، إذ كان ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أو جيش أو صاه بتقوى الله في خاصة نفسه وبمن معه من المسلمين خيراً، وقال ﷺ: «إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال، فأيتها أجابوك إليها فاقبل منهم، وكف عنهم، ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم»^(٣).

(١) الترمذي وغيره وهو صحيح، وأمت فعل أمر من أمت يمت.

(٢) مسلم.

(٣) الترمذي.

٦ - عَدَمُ السَّرِقَةِ مِنَ الْغَنَائِمِ وَعَدَمُ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ وَالشُّيُوخِ وَالرَّهْبَانِ إِنْ لَمْ يَشَارِكُوا فِي الْقِتَالِ ، فَإِنْ قَاتَلُوا قُتِلُوا ، لِقَوْلِهِ ﷺ لِأَمْرَائِهِ : « انْطَلِقُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا تَقْتُلُوا شَيْخًا فَانِيًّا وَلَا طِفْلًا وَلَا صَغِيرًا وَلَا امْرَأَةً وَلَا تَغْلُوا وَضُمُّوا غَنَائِمَكُمْ وَأَصِلُّوا وَأَحْسِنُوا ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ »^(١) .

٧ - عَدَمُ الْغَدْرِ بِمَنْ أَجَارَهُ مُسْلِمٌ عَلَى حَيَاتِهِ ، لِقَوْلِهِ ﷺ : « لَا تَغْدِرُوا »^(٢) . وقوله : « إِنْ الْغَادِرُ نَبَّصَ لَهُ لَوَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يُقَالُ : هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ »^(٣) .

٨ - عَدَمُ احْرَاقِ الْعُدُوِّ بِالنَّارِ ، لِقَوْلِهِ ﷺ : « إِنْ وَجَدْتُمْ فُلَانًا فَاقْتُلُوهُ وَلَا تُحْرِقُوهُ بِالنَّارِ فَإِنَّهُ لَا يُعَذَّبُ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ »^(٤) .

٩ - عَدَمُ الْمُثَلَّةِ بِالْقَتْلِ ، لقولِ عُمَرَ بْنِ حُصَيْنٍ : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحُثُّنَا عَلَى الصَّدَقَةِ وَبِنَهَانَا عَنِ الْمُثَلَّةِ »^(٥) . ولقوله ﷺ : « أَعَفُّ النَّاسِ قَتْلَهُ أَهْلِ الْإِيمَانِ »^(٦) .

١٠ - الدِّعَاءُ بِالنُّصْرِ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، إِذْ كَانَ ﷺ يَقُولُ بَعْدَ التَّعَبَةِ لِلْمَعْرَكَةِ « اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمَجْبِرِي السَّحَابِ وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ »^(٧) . وقوله ﷺ : « ثِنْتَانِ لَا تُرْدَانِ أَوْ قَلَمَا تُرْدَانِ : الدِّعَاءُ عِنْدَ النَّدَاءِ وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا »^(٨) .

المادة الثامنة : في عقد الذمة ، وأحكامها :

أ - عقد الذمة :

عقد الذمة هو تأمين من أجاب المسلمين إلى دفع الجزية من الكفار ، وتعهد للمسلمين بالتزام أحكام الشريعة الإسلامية في الحدود كالقتل والسرقه والعرض .

(١) أبو داود ومعناه في الصحيح .

(٥) أبو داود بسند صحيح .

(٦) أبو داود بسند جيد .

(٢) مسلم .

(٧) متفق عليه .

(٣) متفق عليه .

(٨) أبو داود بسند صحيح .

(٤) البخاري .

ب - من يتولى عقد الذمة:

يتولى عقد الذمة الإمام أو نائبه من أمراء الاجناد فقط، أما غيرهما فليس له حق في ذلك، بخلاف، الإجارة والتأمين، فإنه لكل مسلم ذكرًا كان أو أنثى أن يجير ويؤمن، إذ قد أجارت أم هانيء بنت أبي طالب رجلاً من المشركين يوم الفتح فأتى الرسول ﷺ فذكرت له ذلك، فقال: «قد أجرنا من أجرت وأمننا من أمنيت يا أم هانيء»^(١).

ج تمييز أهل الذمة عن المسلمين:

يجب أن يتميز أهل الذمة عن المسلمين في لباس ونحوه ليُعرفوا، وأن لا يذفوا في مقابر المسلمين، كما لا يجوز أن يقام لهم، ولا أن يتدوا بالسلام، ولا أن يتصدروا في المجالس، لقوله ﷺ: «لا تبدوا اليهود والنصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروا إلى أضيقيه»^(٢):

د - ما يمنع منه أهل الذمة:

يمنع أهل الذمة من أمور، منها:

١ - بناء الكنائس أو البيع، أو تجديد ما انهدم منها، لقوله ﷺ: «لا تبني الكنيست في الإسلام، ولا يجدد ما خرب منها»^(٣).

٢ - تعلية بناء منزله على منازل المسلمين، لقوله ﷺ: «الإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه»^(٤).

٣ - التظاهر أمام المسلمين بشرب الخمر وأكل الخنزير، أو الأكل والشرب في نهار رمضان، بل عليهم أن يستخفوا بكل ما هو حرام على المسلمين خشية أن يفتنوا المسلمين.

(٣) أورده صاحب المغني ونيل الأوطار، ولم يعلاه.

(٤) البيهقي وهو حسن.

(١) البخاري.

(٢) مسلم.

هـ - مَا يُتَّقَضُ بِهِ عَقْدُ الذِّمَّةِ : يُتَّقَضُ عَقْدُ الذِّمَّةِ بِأُمُورٍ، مِنْهَا :

- ١ - الِامْتِنَاعُ مِنْ بَذْلِ الْجَزْيَةِ .
- ٢ - عَدَمُ التَّزَامِيهِمْ بِأَحْكَامِ الشَّرْعِ الَّتِي كَانَتْ شَرْطاً فِي الْعَقْدِ .
- ٣ - تَعَدِّيهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِقَتْلِ ، أَوْ قَطْعِ طَرِيقٍ ، أَوْ تَجَسُّسٍ ، أَوْ إِيْوَءِ جَاسُوسٍ لِلْعَدُوِّ أَوْ زِنًى بِمُسْلِمَةٍ .
- ٤ - أَنْ يَذْكُرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْ كِتَابَهُ بِسُوءٍ .

و- مَا لِأَهْلِ الذِّمَّةِ :

لأهل الذِّمَّةِ على المسلمين حفظُ أَرْوَاحِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَعَدَمُ أَذْيَتِهِمْ مَا وَفَّوْا بِعَهْدِهِمْ فَلَمْ يَنْكُثُوهُ، لقوله ﷺ : «مَنْ آذَى ذِمًّا فَأَنَا خَصْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١) . فَإِنْ هُمْ نَكَثُوا عَهْدَهُمْ وَنَقَضُوا بَارِتِكَابٍ مَا مِنْ شَأْنِهِ نَقْضُ الْعَهْدِ حُلَّتْ دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ ، دُونَ نَسَائِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ ، إِذْ لَا يُؤْخَذُ الْمَرْءُ بِذَنْبٍ غَيْرِهِ .

المادة التاسعة : في الهدنة ، والمعاهدة ، والصِّلح :

أ - الهدنة :

يَجُوزُ عَقْدُ الْهَدْنَةِ مَعَ الْمُحَارِبِينَ ، إِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ تَحْقِيقُ مَصْلَحَةٍ مُحَقَّقَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ . فَقَدْ هَادَنَ ﷺ فِي حُرُوبِهِ كَثِيراً مِنَ الْمُحَارِبِينَ ، وَمِنْ ذَلِكَ مَهَادَنَتُهُ لِيَهُودِ الْمَدِينَةِ عِنْدَ نَزُولِهِ بِهَا ، حَتَّى نَقَضُوهَا وَغَدَرُوا بِهِ ﷺ ، فَقَاتَلَهُمْ وَأَجْلَاهُمْ عَنْهَا .

ب - المعاهدة :

يَجُوزُ عَقْدُ مَعَاهِدَةٍ عَدَمِ اعْتِدَاءٍ وَحَسَنِ جَوَارٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْدَائِهِمْ ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ مُحَقِّقاً لِمَصْلَحَةٍ رَاجِحَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ ، فَقَدْ عَقَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَعَاهِدَاتِ وَكَانَ يَقُولُ : «نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ»^(٢) . قَالَ تَعَالَى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ

(١) الخطيب في تاريخه عن ابن مسعود بإسناد حسن .

(٢) مسلم .

عَنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ»^(١).
وَحَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَتْلَ الْمَعَاهدِ فَقَالَ: «مَنْ قَتَلَ مَعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»^(٢).
وَقَالَ ﷺ: «إِنِّي لَا أُخَيِّسُ بِالْعَهْدِ وَلَا أُحْبِسُ الْبَرْدَ»^(٣).

ج - الصُّلْحُ:

يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يُصَالِحُوا مِنْ أَعْدَائِهِمْ مَنْ شَاءُوا، إِذَا اضْطَرُّوا إِلَى ذَلِكَ،
وَكَانَ الصُّلْحُ يَحْقِيقُ لَهُمْ فَوَائِدَ لَمْ يَحْصُلُوا عَلَيْهَا بِذَوْنِهِ، فَقَدْ صَالَحَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ مَكَّةَ
صَلَحَ الْحُدَيْيَّةِ، كَمَا صَالَحَ أَهْلَ نَجْرَانَ عَلَى أَمْوَالٍ يُؤَدُّونَهَا، وَصَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ
عَلَى أَنْ يَدْفَعُوا لَهُ جَزِيَّةً مَعِيَّةً، وَصَالَحَ أَكِيدَرَ دَوْمَةَ^(٤) فَحَقَّنَ دَمَهُ عَلَى أَنْ يَدْفَعَ
الْجَزِيَّةَ.

المادة العاشرة: في قسمة الغنائم، والفِيء، والخَرَاج، والجزية، والنفل:

أ - قِسْمَةُ الْغَنَائِمِ:

الْغَنِيمَةُ هِيَ الْمَالُ الَّذِي يُمْلِكُ فِي دَارِ الْحَرْبِ. وَحُكْمُهُ: أَنْ يَخْمَسَ فَيَأْخُذَ
الْإِمَامُ خَمْسَهُ فَيَتَصَرَّفُ^(٥) فِيهِ بِالصَّلَاحَةِ لِلْمُسْلِمِينَ. وَيُقْسَمُ الْأَرْبَعَةُ الْأَخْمَاسِ الْبَاقِيَّةُ
عَلَى أَفْرَادِ الْجَيْشِ الَّذِينَ حَضَرُوا الْمَعْرَكَةَ، سِوَاءَ مَنْ قَاتَلَ أَوْ لَمْ يَقَاتِلْ، لِقَوْلِ عُمَرَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الْغَنِيمَةُ لِمَنْ شَهِدَ الْوَقْعَةَ»^(٦). فَيُعْطَى الْفَارِسُ ثَلَاثَةَ أَشْهُمٍ، وَالرَّاجِلُ
سَهْمًا وَاحِدًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خَمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ

(١) التوبة.

(٢) البخاري.

(٣) أبو داود والنسائي، وصححه ابن حبان. ومعنى لا أخيس: أي لا أنقض العهد. والبرد: الرسل.

(٤) أكيدر عربي غساني، وفي هذا دليل على أن الجزية تؤخذ من غير أهل الكتاب كما هو مذهب مالك
رحمه الله.

(٥) كون الإمام يتصرف في الخمس هو مذهب مالك ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية وكذا الشيخ ابن كثير
رحمهم الله تعالى.

(٦) البخاري.

وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ، وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ ﴿١﴾

[تنبيه]: يشارك الجيش سراياه في الغنيمه، وإذا أرسل الإمام سرية من الجيش فغنمت شيئاً، فإنه يقسم على سائر أفراد الجيش، ولا تختص به السرية وحدها.

ب - الفيء:

الفيء، هو ما تركه الكفار والمحاربون من أموال وهربوا عليه قبل أن يذاهموا ويُقاتلوا. وحكمه: أن الإمام يتصرف فيه بالمصلحة الخاصة والعامة للمسلمين كالخمس من الغنائم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ، فَلِلَّهِ خُمُسُهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (٢).

ج - الخراج:

الخراج هو ما يضرب على الأراضي التي احتلها المسلمون عنوة؛ فإن الإمام مخير عند احتلاله أرضاً بالقوة بين أن يقسمها بين المقاتلين وبين أن يوقفها على المسلمين، ويضرب على من هي تحت يده من مسلم وذمي خراجاً سنوياً مستعراً يُنفق بعد جبايته في صالح المسلمين العام، كما فعل عمر رضي الله عنه فيما فتحه من أرض الشام، والعراق ومصر (في الصحيح).

[تنبيه]: لو صالح الإمام العدو على خراج معين من أرضهم، ثم أسلم أهل تلك الأرض، فإن الخراج يسقط عنهم لمجرد إسلامهم بخلاف ما فتح عنوة (٣)، فإنه وإن أسلم أهله فيما بعد، يستمر مضروباً على تلك الأرض.

هـ - الجزية:

الجزية: ضريبة مالية تؤخذ من أهل الذمة نهاية الحول وقدرها ممن فتحت

(١) الأنفال. (٢) الحشر. (٣) عنوة: بالحرب والقتال، لا بصلح ومهادنة.

بِلَادُهُمْ عَنْوَةً أَرْبَعَةً^(١) دنانيرَ ذهباً، أو أربعونَ درهماً فضةً. تؤخذُ من الرجالِ البالغينَ دونَ الأطفالِ والنساءِ، وتسقطُ عن الفقيرِ المعديمِ والعاجزِ عن الكسبِ من مريضٍ وشيخٍ هريمٍ، أما أهلُ الصُّلحِ فيؤخذُ منهمُ ما صالَحُوا عليه، وبإسلايهمُ تسقطُ عنهمُ كافةٌ. وحُكْمُ الجزيةِ أنها تصرفُ في المصالحِ العامةِ. والأصلُ فيها قولُه تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ^(٢) وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٣).

و- النفلُ:

النفْلُ: ما يجعلُهُ الإمامُ لمن طَلَبَ إِلَيْهِ الْقِيَامَ بِمَهْمَةٍ حَرْبِيَّةٍ، فَيُعْطِيهِمْ زِيَادَةً عَلَى سِهَامِهِمْ شَيْئاً مِنَ الْغَنِيمَةِ بَعْدَ إِخْرَاجِ خَمْسِهَا عَلَى أَنْ لَا يَزِيدَ هَذَا النَّفْلُ عَلَى الرَّبْعِ، إِذَا كَانَ إِرسَالُهُمْ عِنْدَ دُخُولِ أَرْضِ الْعَدُوِّ، وَلَا عَلَى الثُّلُثِ إِنْ كَانَ بَعْدَ رَجُوعِهِمْ مِنْهَا لِقَوْلِ حَبِيبِ بْنِ مَسْلَمَةَ: «شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَفَلَ الرَّبْعَ فِي الْبِدَايَةِ، وَالثُّلُثَ فِي الرَّجْعَةِ»^(٤).

المادةُ الحاديةُ عشرة: في أسْرِى الحَرْبِ:

أَخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي حُكْمِ اسْرِى الْحَرْبِ مِنَ الْكَافِرِينَ هَلْ يُقْتَلُونَ، أَوْ يُفَادُونَ، أَوْ يُمْنُ عَلَيْهِمْ، أَوْ يُسْتَرْقُونَ؟ وَسَبَّبَ خِلَافُهُمْ وَرُودُ الْآيَاتِ مَجْمَلَةً فِي هَذَا الْبَابِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَضْرَبَ الرِّقَابَ حَتَّى إِذَا أَثْخَتَّمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مَتَّأَ بَعْدُ، وَإِذَا فِدَاءٌ﴾^(٥). فَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تَخَيَّرُ الْإِمَامَ بَيْنَ أَنْ يَمْنَّ عَلَى

(١) ويجوز نقصها إلى دينار، أو عشرة دراهم بحسب الحال غنى وفقراً، فقد أخذ رسول الله ﷺ من أهل اليمن ديناراً، وأخذ من أهل الشام أربعة دنانير.

(٢) يسلمونها بأيديهم وهم أغنياء منقادون أذلاء.

(٣) التوبة.

(٤) أحمد وأبو داود وصححه الحاكم وغيره.

(٥) سورة محمد.

الأسرى فيُطْلَقُ سراحهم بِدُونِ فِدَاءٍ، أَوْ يُفَادِيَهُمْ بِمَا يَشَاءُ مِنْ مَالٍ أَوْ سِلَاحٍ أَوْ رِجَالٍ .
 وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ يَقْضِي بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ دُونَ
 أُسْرِهِمْ لِيَمُنَّ عَلَيْهِمْ أَوْ يُفَادُوا.

غَيْرَ أَنَّ الْجُمْهُورَ يَرَى أَنَّ الْإِمَامَ مَخِيرٌ بَيْنَ الْقَتْلِ وَالْمَفَادَةِ، وَالْمَنْ وَالْأَسْتِرْقَاقِ
 بِمَا يَرَاهُ فِي صَالِحِ الْمُسْلِمِينَ، إِذْ ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَتَلَ بَعْضَ
 الْأَسْرَى، وَفَادَى آخَرِينَ، وَمَنْ عَلَى بَعْضٍ آخَرَ تَصَرُّفًا بِمَا يُحَقِّقُ الْمَصْلَحَةَ الْعَامَّةَ
 لِلْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ .

الفصل الثاني

في البيوع

وفيه تسع مواد:

المادة الأولى: في حكم البيع، وحكمته، وأركانه:

أ - حكم البيع:

البيع مشروع بالكتاب العزيز، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(١). وبالسنة القولية والعملية معاً، فقد باع النبي ﷺ واشترى وقال: «لَا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ». وقال: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا»^(٢).

ب - حكمته:

الحكمة في مشروعية البيع: هي بلوغ الإنسان حاجته مما في يد أخيه بغير حرج ولا مضرة.

ج - أركانه؛ أركان البيع خمسة، وهي:

١ - البائع، ولا بد أن يكون مالِكاً لما يبيع، أو مأذوناً له في بيعه رشيداً غير سفيه.

٢ - المشتري، ولا بد أن يكون جازئ التصرف بأن لا يكون سفيهاً، ولا صبيّاً لم يؤذن له.

٣ - المبيع - المثلن - ولا بد من أن يكون مباحاً طاهراً مقدوراً على تسليمه، معلوماً لدى المشتري ولو بوضفه.

(٢) متفق عليه.

(١) البقرة.

٤ - صِبْغَةُ الْعَقْدِ، وَهِيَ الْإِجَابُ وَالْقَبُولُ بِالْقَوْلِ نَحْوُ: بِعْنِي كَذَا، فَيَقُولُ الْبَائِعُ: بَعْتُكَ، أَوْ بِالْفِعْلِ كَانَ يَقُولُ: بِعْنِي ثَوْبًا مَثَلًا، فَيُنَاقِلُهُ إِثَاءً.

٥ - التَّرَاضِي، فَلَا يَصِحُّ بَيْعُ بَدُونِ رِضَا الطَّرَفَيْنِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْبَيْعُ عَنْ تَرَاضٍ»^(١).

المادة الثانية: فيما يصح من الشروط في البيع، وما لا يصح:

أ - ما يصح من الشروط:

يصح اشتراط وصف في البيع، فإن وُجد الوصف المشروط صح البيع وإلا بطل، وذلك كان يشترط مشتري في كتاب أن يكون ورقه أصفر، أو في منزل أن يكون بابؤه من حديد مثلاً.

كما يصح اشتراط منفعة خاصة كاشتراط بائع دابة الوصول عليها إلى محل كذا، أو بائع دار السكنى بها شهراً مثلاً، أو يشترط مشتري ثوباً خياطته، أو مشتري حطباً كسره، إذ قد اشترط جابر على رسول الله ﷺ جملان بعيره الذي باعه عن رسول الله ﷺ.

ب - ما لا يصح من الشروط:

١ - الجمع بين شرطين في بيع واحد، كأن يشترط مشتري الحطب كسره وحمله، لقوله ﷺ: «لَا يَحِلُّ سَلَفٌ وَبَيْعٌ، وَلَا شَرْطَانِ فِي بَيْعٍ»^(٣).

٢ - أن يشترط ما يخل بأصل البيع، كأن يشترط بائع الدابة أن لا يبيعها المشتري، أو أن لا يبيعها زيداً، أو يهبها عمراً مثلاً، أو يشترط عليه أن يقرضه، أو يبيعه شيئاً، لقوله ﷺ: لَا يَحِلُّ سَلَفٌ وَبَيْعٌ، وَلَا شَرْطَانِ فِي بَيْعٍ، وَلَا يَبِيعُ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ»^(٣).

٣ - الشرط الباطل الذي يصح معه العقد، ويَبْطُلُ هُوَ: وَذَلِكَ كَأَنْ يَشْتَرِطَ أَنْ لَا يَخْسَرَ عِنْدَ بَيْعِ الْمَشْتَرِي، أَوْ أَنْ يَشْتَرِطَ بَائِعُ الْعَبْدِ أَنَّ الْوَلَاءَ لَهُ، فَالْشَّرْطُ فِي مِثْلِ

(١) رواه ابن ماجة بسند حسن. (٢) أبو داود والترمذي وصححه غير واحد. (٣) تقدم.

هَذَيْنِ بَاطِلٌ وَالتَّبِيعُ صَحِيحٌ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ»^(١).

المادة الثالثة: في حكم الخيار في البيع:

شرع الخيار في البيع في عدة مسائل، وهي:

١ - ما دام البائع والمشتري في المجلس قبل أن يتفرقا فلكل منهما الخيار في إمضاء البيع أو فسخه، لقوله ﷺ: «البَّعَانِ بِالْخِيَارِ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَّتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»^(٢).

٢ - إذا اشترط أحد البائعين مدة معينة للخيار فاتفقا على ذلك، فهما إذا بالخيار حتى تنقضي المدة، ثم يفضي البيع، لقوله ﷺ: «المُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ»^(٣).

٣ - إذا غبن أحدهما الآخر غبنًا فاحشًا، بأن بلغ الغبن الثلث فاكتر بان باعه ما يساوي عشرة بخمسة عشر، أو بعشرين مثلاً فإن للمشتري الفسخ أو الأخذ بالقيمة المعلومة، لقوله ﷺ: «لِلَّذِي كَانَ يُغْنِي فِي الشِّرَاءِ لَضَعْفِ عَقْلِهِ: «مَنْ بَايَعْتَ فَقُلْ لَا خِلَابَةَ» أَي لَا خَدِيعَةَ»^(٤)، فإنه متى ظهر أنه غبن رجع على من غبنه برّد الزائد إليه، أو بفسخ البيع.

٤ - إذا دلّس البائع في المبيع بأن أظهر الحسن وأخفى القبيح، أو أظهر الصالح وأبطن الفاسد أو جمع اللبّ في ضرع الشاة فإن للمشتري الخيار في الفسخ أو الإمضاء، لقوله ﷺ: «لَا تُصِرُّوا الْإِبِلَ وَلَا الْغَنَمَ فَمَنْ ابْتَاغَهَا فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَحْلُبَهَا إِنْ شَاءَ أَمْسَكَ وَإِنْ شَاءَ رَدَّهَا وَصَاعًا مِنْ تَمْرٍ»^(٥).

٥ - إذا وجد غيب ينقص قيمته ولم يكن قد علمه المشتري ورضي به حال المساومة فإن للمشتري الخيار في الإمضاء أو الفسخ، لقوله ﷺ: «لَا يَجِلُّ لِمُسْلِمٍ بَاعَ مِنْ أَخِيهِ بَيْعًا فِيهِ غَيْبٌ إِلَّا بَيَّنَّهُ لَهُ»^(٦)، ولقوله ﷺ في الصحيح: «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا».

(١) و (٢) (٣) أبو داود والحاكم وهو صحيح.

(٥) متفق عليه.

(٦) أحمد وابن ماجه وهو حسن.

(٤) البخاري.

٦ - إِذَا اخْتَلَفَ الْبَائِعَانِ فِي قَدْرِ الثَّمَنِ أَوْ فِي وَصْفِ السِّلْعَةِ حَلَفَ كُلُّ مِنْهُمَا لِلْآخِرِ ثُمَّ هُمَا بِالْخِيَارِ فِي إِمْضَاءِ الْبَيْعِ أَوْ فُسْخِهِ، لَمَا رُويَ: «إِذَا اخْتَلَفَ الْمُتَبَايِعَانِ وَالسِّلْعَةُ قَائِمَةٌ وَلَا بَيِّنَةٌ لِأَحَدِهِمَا تَحَالَفاً»^(١).

المادة الرابعة: في بيان أنواع من البيوع ممنوعة:

مَنْعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْوَاعاً مِنَ الْبَيْعِ لَمَّا فِيهَا مِنَ الْغَرَرِ الْمُؤَدِّي إِلَى أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَالْغِشِّ الْمَقْضِي إِلَى إِثَارَةِ الْأَحْقَادِ وَالنِّزَاعِ وَالْخُصُومَاتِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ذَلِكَ:

١ - بَيْعُ السِّلْعَةِ قَبْلَ قَبْضِهَا: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَشْتَرِيَ سِلْعَةً ثُمَّ يَبِيعَهَا قَبْلَ قَبْضِهَا مِمَّنْ اشْتَرَاهَا مِنْهُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا اشْتَرَيْتَ شَيْئاً فَلَا تَبِعْهُ حَتَّى تَقْبِضَهُ»^(٢). وَقَوْلِهِ: «مَنْ ابْتَاعَ طَعَاماً فَلَا يَبِعْهُ حَتَّى يَسْتَوْفِيَهُ». قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «وَلَا أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا بِثَلَاثٍ»^(٣).

يَبِيعُ الْمُسْلِمُ عَلَى الْمُسْلِمِ: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَشْتَرِيَ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ بِضَاعَةً بِخَمْسَةِ مَثَلًا، فَيَقُولَ لَهُ رُدَّهَا إِلَى صَاحِبِهَا وَأَنَا اشْتَرَيْتُهَا مِنْكَ بَسِئَةً، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَبِيعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ»^(٤).

يَبِيعُ النُّجْشَ^(٥): لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يُعْطِيَ فِي سِلْعَةٍ شَيْئاً وَهُوَ لَا يُرِيدُ شِرَاءَهَا، وَإِنَّمَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ السُّوَامُ فَيُغَرَّرَ بِالْمُشْتَرِي. كَمَا لَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ لِمَنْ يُرِيدُ شِرَاءَهَا: إِنَّهَا مُشْتَرَاةٌ بِكَذَا وَكَذَا كَاذِباً لِيُغَرَّرَ بِالْمُشْتَرِي وَسَوَاءٌ تَوَاطَأَ مَعَ صَاحِبِهَا أَمْ لَا، لِقَوْلِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ النُّجْشِ». بِقَوْلِهِ ﷺ «وَلَا تَنَاجَشُوا»^(٦).

(١) أصحاب السنن كافة والحاكم وصححه.

(٢) أحمد والطبراني وفي إسناده مقال وهو صالح.

(٣) البخاري.

(٤) ٦، ٤ متفق عليه.

(٥) النجش لغة: تغيير الصيد من مكانه ليهلك، وفي الشرع: الزيادة في السلعة بدون قصد شرائها وإنما ليوقع السوام عليها فيشترونها.

٤ - بَيْعُ الْمُحَرَّمِ وَالنَّجَسِ: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَبِيعَ مُحَرَّمًا، وَلَا نَجَسًا، وَلَا مُفْضِيًا إِلَى حَرَامٍ، فَلَا يَجُوزُ بَيْعُ خَمْرٍ وَلَا خِنْزِيرٍ، وَلَا صُورَةٍ، وَلَا مَيْتَةٍ، وَلَا صَنْمٍ، وَلَا عِنَبٍ لِمَنْ يَتَّخِذُهَا خُرًّا، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ». وقوله: «لَعَنَ اللَّهُ الْمُصَوِّرِينَ». وقوله: «مَنْ حَبَسَ الْعِنَبَ أَيَّامَ الْقَطْعِ حَتَّى يَبِيعَهَا مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ، أَوْ مِمَّنْ يَتَّخِذُهَا خُرًّا فَقَدْ تَقَحَّمَ النَّارَ عَلَى بَصِيرَةٍ»^(١).

٥ - بَيْعُ الْغَرَرِ: لَا يَجُوزُ بَيْعُ مَا فِيهِ غَرَرٌ، فَلَا يُبَاعُ سَمَكٌ فِي الْمَاءِ، وَلَا صُوفٌ عَلَى ظَهْرِ شَاةٍ، وَلَا جَبِينٌ فِي بَطْنٍ. وَلَا لَبَنٌ فِي ضَرْعٍ، وَلَا ثَمَرَةٌ قَبْلَ بُدْوٍ صَلَاحِهَا، وَلَا حَبٌّ قَبْلَ اشْتِدَادِهِ، وَلَا سَلْعَةٌ بِدُونِ النَّظَرِ إِلَيْهَا أَوْ تَقْلِيلِهَا وَفَحْصِهَا إِنْ كَانَتْ حَاضِرَةً، أَوْ بِدُونِ وَصْفِهَا وَمَعْرِفَةِ نَوْعِهَا وَكَمِّيَّتِهَا إِنْ كَانَتْ غَائِبَةً، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَشْتَرُوا السَّمَكَ فِي الْمَاءِ فَإِنَّهُ غَرَرٌ»^(٢). وقول ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبَاعَ تَمْرٌ حَتَّى يُطْعَمَ، أَوْ صُوفٌ عَلَى ظَهْرِ شَاةٍ، أَوْ لَبَنٌ فِي ضَرْعٍ، أَوْ سَمْنٌ فِي لَبَنٍ»^(٣). وقوله: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بَيْعِ الثَّمَرَةِ حَتَّى تُزَهَى؟ قَالَ: تَحْمَرُّ. وَقَالَ: إِذَا مَنَعَ اللَّهُ الثَّمَرَةَ فِيمَ تَسْتَحِلُّ مَالَ أَخِيكَ»^(٤). وقول أبي سَعِيدٍ الْخَذَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمَلَامَسَةِ وَالْمُنَابَذَةِ فِي الْبَيْعِ. وَالْمَلَامَسَةُ لَمَسُ الرَّجُلِ ثَوْبَ الْآخَرِ بِيَدِهِ بِاللَّيْلِ أَوْ النَّهَارِ وَلَا يُقْلِبُهُ، وَالْمُنَابَذَةُ أَنْ يَنْبُذَ الرَّجُلُ ثَوْبَهُ، وَيَنْبُذَ الْآخَرُ ثَوْبَهُ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بَيْعَهُمَا مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ، وَلَا فَحْصٍ، وَلَا تَقْلِيلٍ»^(٥).

٦ - بَيْعُ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَعْقِدَ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ وَاحِدَةٍ، بَلْ يَعْقِدُ حُلًّا صَفَقَةً عَلَى جِدَةٍ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِبْهَامِ الْمُؤَدِّي إِلَى أُذْيَةِ الْمُسْلِمِ، أَوْ كُلِّ مَالِهِ بِدُونِ حَقٍّ، وَلِعَقْدِ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ صُورًا، مِنْهَا أَنْ يَقُولَ لَهُ: بَعْتُكَ الشَّيْءَ بِعَشْرَةٍ خَالًا، أَوْ بِخَمْسَةِ عَشَرَ إِلَى أَجَلٍ وَبِمَضِي الْبَيْعِ، وَلَمْ يَبَيِّنْ لَهُ أَيُّ الْبَيْعَتَيْنِ

(١، ٤، ٥) الأحاديث متفق عليها.

(٢) أحمد وفي سنده مقال وله شاهد يصلح به. (٣) البيهقي والدارقطني وهو صالح.

أَمْضَاهَا. وَمِنْهَا أَنْ يَقُولَ لَهُ: بَعْتُكَ هَذَا الْمَنْزِلَ مَثَلًا بِكَذَا، عَلَى أَنْ تَبِيعَنِي كَذَا بِكَذَا. وَمِنْهَا أَنْ يَبِيعَهُ أَحَدُ شَيْئَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ بَدِينَارٍ مَثَلًا وَيُمْضِي الْعَقْدَ، وَلَمْ يَعْرِفِ الْمُشْتَرِي أَيَّ الشَّيْئَيْنِ قَدْ اشْتَرَى، لَمَّا رُويَ عَنْهُ عليه السلام: «أَنَّهُ نَهَى عَنْ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ».

بَيْعُ الْعُرْبُونِ: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَبِيعَ بِنِعِ عُرْبُونٍ، أَوْ يَأْخُذَ الْعُرْبُونُ بِحَالٍ، لَمَّا رُويَ عَنْهُ عليه السلام: «أَنَّهُ نَهَى عَنْ بَيْعِ الْعُرْبُونِ»^(٢). قَالَ مَالِكٌ فِي بَيَانِهِ هُوَ أَنْ يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الشَّيْءَ، أَوْ يَكْتَرِيَ الدَّابَّةَ، ثُمَّ يَقُولَ: «أَعْطَيْتُكَ دِينَارًا عَلَى أَنْ تَرَكْتُ السِّلْعَةَ أَوْ الْكَرَاءَ فَمَا أُعْطَيْتُكَ لَكَ».

٨- بَيْعُ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَبِيعَ سِلْعَةً لَيْسَتْ عِنْدَهُ، أَوْ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَمْلِكَهُ لَمَّا قَدْ يُؤَدِّي إِلَيْهِ ذَلِكَ مِنْ أَذْيَةِ الْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي فِي حَالِ عَدَمِ الْحَصُولِ عَلَى السِّلْعَةِ الْمَبِيعَةِ، وَلِذَا قَالَ عليه السلام: «لَا تَبِعْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ»^(٣). وَنَهَى عَنْ بَيْعِ الشَّيْءِ قَبْلَ قَبْضِهِ^(٤).

٩- بَيْعُ الدِّينِ بِالْذِّينِ: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَبِيعَ دَيْنًا بِدَيْنٍ، إِذْ هُوَ فِي حُكْمِ بَيْعِ الْمَعْدُومِ بِالْمَعْدُومِ، وَالْإِسْلَامُ لَا يُجِزُّ هَذَا. وَمِثَالُ بَيْعِ الدِّينِ بِالْذِّينِ: أَنْ يَكُونَ لَكَ عَلَى رَجُلٍ قِنْطَارٌ بَنٍ إِلَى أَجَلٍ فَتَبِيعَهُ إِلَى آخَرَ بِمِائَةِ رِيَالٍ إِلَى أَجَلٍ. وَمِثَالُ آخَرَ: أَنْ يَكُونَ لَكَ عَلَى رَجُلٍ شَاةٌ إِلَى أَجَلٍ فَلَمَّا يَحِلُّ الْأَجَلُ يَعْجِزُ الْمَدِينُ عَنْ أَدَائِهَا لَكَ، فَيَقُولُ لَكَ: بِعْنِيهَا بِخَمْسِينَ رِيَالًا إِلَى أَجَلٍ آخَرَ، فَتَكُونُ قَدْ بَعْتَهُ دَيْنًا بِدَيْنٍ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ بَيْعِ الْكَالَى بِالْكَالَى^(٥)، أَيِ الدِّينِ بِالْذِّينِ.

بَيْعُ الْعَيْنَةِ: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَبِيعَ شَيْئًا إِلَى أَجَلٍ، ثُمَّ يَشْتَرِيَهُ بِمَنْ بَاعَهُ لَهُ بِمَنْ أَقْلَ مِمَّا بَاعَهُ بِهِ، لِأَنَّهُ إِذَا بَاعَهُ إِيَّاهُ بِعَشْرَةٍ، ثُمَّ اشْتَرَاهُ مِنْهُ بِخَمْسَةٍ يَكُونُ كَمَنْ أَعْطَى خَمْسَةً إِلَى أَجَلٍ بِعَشْرَةٍ، وَهَذَا عَيْنُ رَبَا النَّسِيئَةِ الْمَحْرَمِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: إِذَا ضَنَّ النَّاسُ بِالْذِّينَارِ وَالْذِّهْمِ وَتَبَايَعُوا بِالْعَيْنَةِ

(١) أحمد والترمذي وصححه.

(٤) البخاري.

(٥) البيهقي والحاكم وهو صحيح.

(٢) مالك في الموطأ وغيره.

(٣) أصحاب السنن وصححه الترمذي.

وَاتَّبَعُوا أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ بَلَاءً فَلَا يَرَفَعُهُ حَتَّى يُرَاجِعُوا دِينَهُمْ»^(١). وَقَالَتْ امْرَأَةٌ لِعَائِشَةَ: «إِنِّي بَعْتُ غُلَامًا مِنْ زَيْدِ بْنِ الْأَرْقَمِ بِشَمَانِمَائَةِ دِرْهَمٍ نَسِيئَةً إِلَى أَجَلٍ وَإِنِّي اشْتَرَيْتُهُ مِنْهُ بِسِتَمَائَةِ دِرْهَمٍ نَقْدًا. فَقَالَتْ لَهَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: بِشَسَ مَا اشْتَرَيْتِ وَبَشَسَ مَا بَعْتِ، إِنَّ جِهَادَهُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ بَطَلَ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ»^(٢).

١١ بَيْعُ الْحَاضِرِ لِلْبَادِي: إِذَا أَتَى الْبَادِي أَوْ الْغَرِيبُ عَنِ الْبَلَدِ بِسِلْعَةٍ يُرِيدُ أَنْ يَبِيعَهَا فِي السُّوقِ بِسَعْرِ يَوْمِهَا لَا يَجُوزُ لِلْحَضَرِيِّ أَنْ يَقُولَ لَهُ أَتُرِكَ السِّلْعَةَ عِنْدِي وَأَنَا أَبِيعُهَا لَكَ بَعْدَ يَوْمٍ أَوْ أَيَّامٍ بِأَكْثَرِ مِنْ سَعْرِ الْيَوْمِ، وَالنَّاسُ فِي حَاجَةٍ إِلَى تِلْكَ السِّلْعَةِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ، دَعُوا النَّاسَ يُرْزُقُوا اللَّهُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ»^(٣).

١٢ الشُّرَاءُ مِنَ الرُّكْبَانِ: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَسْمَعَ بِالسِّلْعَةِ قَادِمَةً إِلَى الْبَلَدِ فَيُخْرِجُ لِيَتَلَقَّاهَا مِنَ الرُّكْبَانِ خَارِجَ الْبَلَدِ فَيَشْتَرِيهَا مِنْهُمْ هُنَاكَ، ثُمَّ يَدْخُلُهَا فَيَبِيعُهَا كَمَا شَاءَ، لَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ التَّغْيِيرِ بِأَصْحَابِ السِّلْعَةِ، وَالْإِضْرَارِ بِأَهْلِ الْبَلَدِ مِنْ تُجَارٍ وَغَيْرِهِمْ، وَلِذَا قَالَ رَسُولُ ﷺ: «لَا تُلْقُوا الرُّكْبَانَ، وَلَا يَبِيعُ حَاضِرٌ لِبَادٍ»^(٤).

١٣ - بَيْعُ الْمَصْرَاةِ: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَصْرِيَ الشَّاةَ، أَوْ الْبَقَرَةَ، أَوْ النَّاقَةَ، بِمَعْنَى يَجْمَعُ لِبَنَاقَتِهَا ضَرْعَهَا أَيَّامًا لَتُرَى وَكَأَنَّهَا حَلُوبٌ، فَيَرْغَبُ النَّاسُ فِي شِرَائِهَا فَيَبِيعُهَا، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْغَشْرِ وَالْخَدِيعَةِ، قَالَ ﷺ: «لَا تُصِرُّوا الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ، فَمَنْ ابْتَاغَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، بَعْدَ أَنْ يَحْلُبَهَا إِنْ رَضِيَهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ سَخِطَهَا رَدَّهَا وَصَاعًا مِنْ تَمْرٍ»^(٥).

١٤ الْبَيْعُ عِنْدَ النِّدَاءِ الْأَخِيرِ لَصَلَاةِ الْجُمُعَةِ: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَبِيعَ شَيْئًا، أَوْ يَشْتَرِيَ، وَقَدْ نُودِيَ لَصَلَاةِ الْجُمُعَةِ النِّدَاءِ الْأَخِيرِ الَّذِي يَكُونُ مَعَ الْإِمَامِ عَلَى الْمَنْبَرِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ»^(٦).

(١) أحمد وأبو داود وصححه ابن القطان. (٢) و (٤) و (٥) متفق عليه. (٣) و (٦) سورة الجمعة. (٧) نف.

١٥ - بَيْعُ الْمَرْابَةِ أَوْ الْمَحَاقِلَةِ: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَبِيعَ عَنَّا فِي الْكَرْمِ خَرْصاً بِزَبِيبٍ كَيْلًا، وَلَا زَرْعاً فِي سُنْبِلِهِ بِحَبِّ كَيْلًا، وَلَا رَطْباً فِي النَّخْلِ بِتَمْرٍ كَيْلًا إِلَّا بَيْعَ الْعَرَايَا فَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ، وَهُوَ أَنْ يَهَبَ الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ نَخْلَةً أَوْ نَخْلَاتٍ لَا يَتَجَاوَزُ تَمْرُهُنَّ خَمْسَةَ أَوْسُقٍ، ثُمَّ يَتَضَرَّرُ بِدُخُولِهِ عَلَيْهِ كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَجْنِيَ مِنْ رُطْبِهِ، فَيَشْتَرِيهَا مِنْهُ بِخَرْصِهَا تَمْرًا. وَدَلِيلُ الْأَوَّلِ قَوْلُ ابْنِ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمَرْابَةِ أَنْ يَبِيعَ تَمْرَ حَائِطِهِ»^(١) إِنْ كَانَ نَخْلًا بِتَمْرٍ كَيْلًا، وَإِنْ كَانَ كَرْمًا^(٢) أَنْ يَبِيعَهُ بِزَبِيبٍ كَيْلًا، وَإِنْ كَانَ زَرْعاً أَنْ يَبِيعَهُ بِطَعَامٍ^(٣) كَيْلًا، نَهَى عَنْ ذَلِكَ كُؤْلُهُ^(٤). وَدَلِيلُ الثَّانِي: قَوْلُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «رَخَّصَ لِصَاحِبِ الْعَرِيَّةِ أَنْ يَبِيعَهَا بِخَرْصِهَا»^(٥).

١٦ - بَيْعُ الثَّنِيَا: لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَبِيعَ شَيْئاً وَيَسْتَتِنِي بَعْضُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَا يَسْتَتِنِيهِ مَعْلُومًا، فَإِذَا بَاعَ بُسْتَانًا مَثَلًا لَا يَصِحُّ أَنْ يَسْتَتِنِي مِنْهُ نَخْلَةٌ أَوْ شَجَرَةٌ غَيْرَ مَعْلُومَةٍ، لَمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْغَرَرِ الْمَحْرَمِ، وَذَلِكَ لِقَوْلِ جَابِرٍ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمَحَاقِلَةِ وَالْمَرْابَةِ، وَالثَّنِيَا إِلَّا أَنْ تُعْلَمَ»^(٥).

المادة الخامسة: فِي بَيْعِ أَصُولِ الثَّمَارِ:

إِذَا بَاعَ الْمُسْلِمُ نَخْلًا أَوْ شَجَرًا، فَإِنْ كَانَ النَّخْلُ قَدْ أَبْرَأَ، وَالشَّجَرُ قَدْ ظَهَرَ ثَمْرُهُ فَإِنَّ الثَّمَرَ لِلْبَائِعِ إِلَّا أَنْ يَشْتَرِطَهَا الْمُشْتَرِي، وَإِلَّا فَهِيَ لِلْبَائِعِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ بَاعَ نَخْلًا قَدْ أَبْرَأَ فَتَجَرَّتْهَا لِلْبَائِعِ إِلَّا أَنْ يَشْتَرِطَ الْمُبْتَاعُ»^(٦).

المادة السادسة: فِي الرِّبَا وَالصَّرْفِ:

أ - الرِّبَا:

١ - تَعْرِيفُهُ: هُوَ الزِّيَادَةُ فِي أَشْيَاءَ مِنَ الْمَالِ مَخْصُوصَةٍ، وَهُوَ نَوْعَانِ: رِبَا فَضْلٍ، وَرِبَا نَسِيئَةٍ.

(١) الحائط: البستان والحديقة. (٢) المراد بالطعام هنا: الحب. (٣) والبخاري. (٤) و (٦) البخاري. (٥) (٢) الكرم: العنب. (٣) البخاري. (٥) رواه الترمذي وصححه.

فَرَبَا الْفَضْلُ: هُوَ بَيْعُ الْجَنْسِ الْوَاحِدِ. مِمَّا يَجْرِي فِيهِ الرَّبَا بِجَنْسِهِ مُتَفَاضِلًا، وَذَلِكَ كَبَيْعِ قِنْطَارٍ قَمْحٍ بِقِنْطَارٍ وَرُبْعٍ مِنَ الْقَمْحِ مَثَلًا، أَوْ بَيْعِ صَاعٍ تَمْرٍ بِصَاعٍ وَنَصْفٍ مِنَ التَّمْرِ مَثَلًا، أَوْ بَيْعِ أَوْقِيَّةٍ فِضَّةٍ بِأَوْقِيَّةٍ وَدَرَاهِمٍ مِنْ فِضَّةٍ مَثَلًا.

وَرَبَا النَّسِيئَةِ قِسْمَانِ: رَبَا الْجَاهِلِيَّةِ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ تَعَالَى فِي تَحْرِيمِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾^(١). وَحَقِيقَتُهُ: أَنَّ يَكُونَ لِلْمَرْءِ عَلَى آخَرٍ دَيْنٌ مُؤَجَّلٌ، وَلَمَّا يَجَلُّ أَجَلُهُ يَقُولُ لَهُ: إِمَّا أَنْ تَقْضِيَنِي أَوْ أُزِيدَ عَلَيْكَ - فَإِذَا لَمْ يَقْضِهِ زَادَ عَلَيْهِ نِسْبَةً مِنَ الْمَالِ وَانْتَظَرَهُ مَدَّةً أُخْرَى، وَهَكَذَا حَتَّى يَتَضَاعَفَ فِي فِتْرَةٍ مِنَ الزَّمَنِ إِلَى أَضْعَافٍ، وَمِنْ رَبَا الْجَاهِلِيَّةِ أَيْضًا: أَنَّ يُعْطِيَهُ عَشْرَةَ دَنَانِيرٍ مَثَلًا بِخَمْسَةِ عَشَرَ إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ.

وَرَبَا النَّسِيئَةِ، وَهُوَ بَيْعُ الشَّيْءِ الَّذِي يَجْرِي فِيهِ الرَّبَا كَأَحَدِ النَّقْدَيْنِ، أَوِ الْبُرِّ أَوِ الشَّعِيرِ، أَوِ التَّمْرِ بِآخَرٍ مِمَّا يَدْخُلُهُ الرَّبَا نَسِيئَةً، وَذَلِكَ كَانَ يَبِيعُ الرَّجُلُ قِنْطَارًا تَمْرًا بِقِنْطَارٍ قَمْحًا إِلَى أَجَلٍ مَثَلًا، أَوْ يَبِيعُ عَشْرَةَ دَنَانِيرٍ ذَهَبًا بِمِائَةِ وَعِشْرِينَ دَرَاهِمًا فِضَّةً إِلَى أَجَلٍ مَثَلًا.

٢ - حُكْمُهُ: الرَّبَا مُحَرَّمٌ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَحْلَ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٢). وَبِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾. وَبِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤَكِّلَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَكَاتِبَهُ»^(٣). وَقَوْلِهِ: «دِرْهُمٌ رَبًّا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَشَدَّ مِنْ سِتٍّ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً»^(٤). وَقَوْلِهِ ﷺ: «الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ بَابًا أَيْسَرُهَا أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ، وَإِنْ أَرَبَى الرَّبَا عَرَضُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ»^(٥). وَقَوْلِهِ ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَيَّقَاتِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هِيَ؟ قَالَ: «الشَّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحَصَّنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»^(٦).

(١) آل عمران.
(٢) البقرة.
(٣) رواه أصحابنا وصححه الترمذي.
(٤) أحمد بسند صحيح.
(٥) رواه الحاكم وصححه.
(٦) متفق عليه.

٣ - حَكْمَةُ تَحْرِيمِهِ: من الحَكَمِ في تحريم الربا زيادةً على الحَكْمَةِ العامَّةِ في جميع التكاليف الشرعية وهي امتحانُ إيمانِ العبدِ بالطاعةِ فعلاً وتركاً فإنَّها:

١ - المُحَافَظَةُ على مالِ المسلمِ، لئلاَّ يُؤْكَلَ بالباطلِ.

٢ - توجيهُ المسلمِ إلى استثمارِ ماله في أوجهٍ من المكاسبِ الشريفةِ الخالية من الاحتيالِ والخديعةِ، والبعيدةِ عن كلِّ ما يَجْلُبُ المشاقَّةَ بينَ المسلمينَ والبغضاءَ، وذلك كالِفِلاحةٍ والصناعةِ والتجارةِ الصحيحةِ النظيفَةِ.

٣ - سدُّ الطُّرُقِ الْمُفْضِيَةِ بالمسلمِ إلى عداوةِ أخيه المسلمِ ومشاقَّتِهِ، والمسيبةِ لَهُ بغضتِهِ وكراهيتِهِ.

٤ - تَجَنُّبُ المسلمِ ما يُؤدِّي بِهِ إلى هَلَاكِهِ، إِذْ أَكَلُ الرِّبَا بَاغٍ ظَالِمٌ، وَعَاقِبَةُ البَغْيِ وَالظُّلْمِ وَخِيَمَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾^(١). وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّهُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحْلَوْا مَحَارِمَهُمْ»^(٢).

٥ - فَتَحُ أَبْوَابِ الْبِرِّ فِي وَجْهِ المسلمِ لِيَتَزَوَّدَ لِآخِرَتِهِ فَيُقْرِضَ أَخَاهُ المسلمَ بِلاَ فائِدَةٍ، وَيُدَايِنَهُ، وَيَنْتَظِرُ مِيسَرَتَهُ، وَيُسِّرَ عَلَيْهِ وَيَرْحَمَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ، وَفِي هَذَا مَا يُشْفِعُ الْمَوَدَّةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَيُوجِدُ رُوحَ الْإِخَاءِ وَالتَّصَافِي بَيْنَهُمْ.

٤ - أَحْكَامُهُ:

١ - أَصُولُ الرِّبَوِيَّاتِ، أَصُولُ الرِّبَوِيَّاتِ سِتَّةٌ، وَهِيَ:

الذَّهَبُ، . وَالْفِضَّةُ، وَالْقَمْحُ، وَالشَّعِيرُ، وَالتَّمْرُ، وَالْمِلْحُ، لِقَوْلِهِ ﷺ:

«الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ، يَدًا بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَصْنَافُ فَيُعْجَرُ كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ»^(٣).

(١) يونس .

(٢) و (٣) مسلم .

وَقَاسَ أَهْلُ الْعِلْمِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالْأَثَمَةَ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، كُلُّ مَا اتَّفَقَ مَعَ هَذِهِ السُّنَّةِ فِي الْمَعْنَى وَالْعِلَّةِ مِنْ كُلِّ مَكِيلٍ أَوْ مَوْزُونٍ مَطْعُومٍ مَذْخَرٍ، وَذَلِكَ كَسَائِرِ الْحَبُوبِ، وَالزُّيُوتِ، وَالْعَسَلِ، وَاللَّحُومِ. قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: «لَا رَبًّا إِلَّا فِيمَا كِيلَ أَوْ وُزِنَ مِمَّا يُؤْكَلُ، أَوْ يُشْرَبُ».

٢ - الرَّبَا فِي جَمِيعِ الرِّبَوِيَّاتِ يَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

الأوَّلُ: أَنْ يُبَاعَ الْجَنْسُ الْوَاحِدُ بِجَنْسِهِ كَالذَّهَبِ بِالذَّهَبِ، أَوِ الْبُرِّ بِالْبُرِّ، أَوِ التَّمْرِ بِالتَّمْرِ، مَتَفَاضِلًا، لَمَّا رَوَى الشَّيْخَانِ أَنَّ «بِلَالًا» جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِتَمْرٍ بَرْنِي فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَيْنَ هَذَا يَا بِلَالُ؟». قَالَ: كَانَ عِنْدَنَا تَمْرٌ رَدِيءٌ فَبِعْتُ صَاعَيْنِ بِصَاعٍ لِيَطْعَمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْه!». عَيْنُ الرَّبَا. . عَيْنُ الرَّبَا. . لَا تَفْعَلْ، وَلَكِنْ إِنْ أُرِدْتُ أَنْ تَشْتَرِيَ فَبِعِ التَّمْرَ بِبَيْعٍ آخَرَ ثُمَّ اشْتَرِ بِهِ».

الثَّانِي: أَنْ يُبَاعَ الْجَنْسَانِ الْمُخْتَلِفَانِ كَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، أَوِ الْبُرِّ وَالتَّمْرِ بِبَعْضِهِمَا بَعْضًا، أَحَدُهُمَا حَاضِرٌ وَثَانِيهِمَا غَائِبٌ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَبِيعُوا مِنْهَا غَائِبًا بِنَاجِزٍ» وقولِهِ: «يَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالْفِضَّةِ يَدًا بِيَدٍ». وقولِهِ: «الذَّهَبُ بِالْوَرِقِ رَبًّا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ»^(١).

الثَّالِثُ: أَنْ يُبَاعَ الْجَنْسُ بِجَنْسِهِ مَتَسَاوِيًا، وَلَكِنْ أَحَدُهُمَا غَائِبٌ نَسِئَةً كَانَ يُبَاعُ الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، أَوِ التَّمْرُ بِالتَّمْرِ مِثْلًا بِمِثْلٍ مَتَسَاوِيًا، غَيْرَ أَنَّ أَحَدَهُمَا غَائِبٌ لِقَوْلِهِ ﷺ: «الْبُرُّ بِالْبُرِّ رَبًّا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ»^(٢) (مَعْنَى هَاءَ وَهَاءَ: يَدًا بِيَدٍ، أَيْ مُنَاجَزَةً).

٣ - لَا رَبًّا مَعَ الْحُلُولِ وَاخْتِلَافِ الْأَجْنَاسِ:

لَا يَدْخُلُ الرَّبَا بَيْعًا اخْتَلَفَ فِيهِ الثَّمَنُ وَالْمَثْمَنُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا نَسِئَةً^(٣).

(١) و(٢) الأحاديث متفق عليها.

(٣) اختلف أهل العلم في حكم بيع الحيوان بالحيوان نسيئة، وذلك لتعارض الأدلة، فقد ورد أن النبي ﷺ أمر عبدالله بن عمر أن يشتري البعير بالبعيرين إلى أجل، وذلك عند الحاجة كما ورد أنه ﷺ نهى عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة. والأقرب إلى الصواب والله أعلم أن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة ممنوع ما لم تكن ضرورة داعية إلى ذلك، أما كونه مناجزة فجائز مع التفاضل وعدمه، كما ورد في الصحيح.

وَهُوَ غَيْرُ النِّقَدَيْنِ، فَيُجُوزُ بَيْعُ الذَّهَبِ بِالْفِضَّةِ مَتَفَاضِلًا، وَبَيْعُ الْبَرِّ بِالتَّمْرِ أَوْ الْمَلْحِ بِالشَّعِيرِ مَتَفَاضِلًا إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ، أَيْ لَمْ يَكُنْ أَحَدُهُمَا نَسِيئَةً، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ»^(١).

كَمَا لَا رِبَا فِيمَا بَاعَ مِنَ الرِّبَوِيَّاتِ بِنَقْدٍ حَاضِرٍ أَوْ غَائِبٍ، وَسَوَاءٌ غَابَ الثَّمَنُ أَوْ السِّلْعَةُ، فَقَدْ اشْتَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَمَلَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي السَّفَرِ وَلَمْ يُسَدِّدْ لَهُ ثَمَنَهُ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ، كَمَا أَنَّ السَّلَامَ أَجَازَهُ الرَّسُولُ ﷺ بِقَوْلِهِ: «مَنْ أَسْلَفَ فِي شَيْءٍ فَلْيُؤَلِّفْ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ»^(٢). وَالسَّلَامُ يُقَدِّمُ فِيهِ الثَّمَنَ نَقْدًا، وَيَتَأَخَّرُ الثَّمَنُ إِلَى أَجَلٍ بَعِيدٍ.

٤ - بَيَانُ أَجْنَاسِ الرِّبَوِيَّاتِ:

الرِّبَوِيَّاتُ أَجْنَاسٌ، وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمُهورُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالْأئِمَّةِ هُوَ أَنَّ الذَّهَبَ جِنْسٌ، وَالْفِضَّةَ جِنْسٌ، وَالْقَمْحَ جِنْسٌ، وَالشَّعِيرَ جِنْسٌ، وَأَنْوَاعُ التَّمْرِ كُلُّهَا جِنْسٌ، وَالْقِطَانِي أَجْنَاسٌ مُخْتَلِفَةٌ، فَالْفُؤْلُ جِنْسٌ، وَالْحَمْصُ جِنْسٌ، وَالسَّرُّ جِنْسٌ، وَالذَّرَّةُ جِنْسٌ، وَأَنْوَاعُ الزُّيُوتِ كُلُّهَا جِنْسٌ، وَالْعَسَلُ جِنْسٌ، وَاللَّحُومُ أَجْنَاسٌ، فَلَحْمُ الْإِبِلِ جِنْسٌ^(٣)، وَلَحْمُ الْبَقَرِ جِنْسٌ، وَلَحْمُ الضَّأْنِ جِنْسٌ، وَلَحُومُ الطُّيُورِ جِنْسٌ، وَلَحُومُ الْأَسْمَاكِ الْمَخْتَلِفَةِ جِنْسٌ.

٥ - مَا لَا يَجْرِي فِيهِ الرِّبَا مِنَ الْأَطْعِمَةِ:

لَا يَجْرِي الرِّبَا فِي مِثْلِ الْفَوَاكِهِ، وَالْخَضِرَاوَاتِ لِأَنَّهَا لَا تُدْخَرُ مِنْ جَهَةٍ، وَلَمْ تَكُنْ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ مِمَّا يُكَالُ أَوْ يُوزَنُ مِنْ جَهَةٍ أُخْرَى، كَمَا أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْأَغْذِيَةِ الْأَسَاسِيَّةِ كَالْحَبُوبِ وَالْثِّمَارِ وَاللَّحُومِ، الْوَاردِ فِيهَا النَّصُّ الصَّرِيحُ الصَّحِيحُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.

(١) تقدم،

(٢) متفق عليها.

(٣) يرى مالك، رحمه الله تعالى، أن لحوم الإبل والبقر والغنم جنس واحد فلا يجوز بيع بعضها ببعض متفاضلاً ولا نسيئة

[تَنْبِيْهَانِ]:

الأوّل: في البنوك: (١)

البنوكُ الحالية في سائر بلادِ العالمِ الإسلامي أغلبُها يتعاملُ بالرّبا، بل ما وُضِعَ إلا على أساسِ ربويٍّ خالصٍ، فلا يجوزُ التعاملُ معها إلا فيما ألجأتُ إليه الضرورةُ كالتَّحويلِ من بلدٍ إلى آخر. وبناءً على هذا فقد وجبَ على الإخوة الصّالحين من المسلمين أن يَنْشِئُوا لَهُمْ بُنُوكاً إسلاميّةً بعيدةً عَنِ الرِّبَا خالِيةً من سائرِ معاملاته.

وهي صورةٌ تقريريّةٌ للبنك الإسلامي المقترح إنشاءهُ: يجتمعُ الإخوة المسلمون من أهلِ البلدِ، ويتفقون على إنشاءِ دارٍ يُسمونها (خزانة الجماعة) يختارون لها من بينهم من هو حفيظٌ عليمٌ، يتولّى إدارتها، وتسييرَ عملها.

وتكونُ مهمّةُ هذه الخزانة مقصورةً على ما يلي:

- ١ - قبولُ الإيداعاتِ (حفظُ أماناتِ الإخوان) بدوّنٍ مقابلٍ.
- ٢ - الإقراضُ، فنُقْرِضُ الإخوة المسلمين قروضاً تتناسبُ وإيراداتِهِمْ أو مَكاسِبَهُمْ بلا فائدةٍ.
- ٣ - المُشاركة في ميادينِ الفِلاحةِ، والتجارةِ، والبناءِ، والصناعةِ، فتُساهِمُ الخزانةُ في كلّ ميدانٍ يرى أَنَّهُ يُحَقِّقُ مَكاسِبَ وأرباحاً للخزانة.
- ٤ - المساعَدةُ على تحويلِ عُمَلَةِ الإخوانِ من بلدٍ إلى بلدٍ بلا أجرٍ إذا كانَ لها فرَعٌ في البلدِ المرادِ التحويلُ إليه.
- ٥ - على رأسِ كلّ سَنَةٍ تُصَفَّى حساباتُ الخزانةِ، وتوزَعُ الأرباحُ على المساهمين بحسبِ سُهُورِهِمْ في الخزانة.

الثاني: في التّامين:

لا بأسَ أن يُكوّنَ أهلُ البلدِ من الإخوة المسلمين الصّالحين صُنْدُوقاً يُساهِمُونَ

(١) البنوك: جمع بنك وهي عجمية وعربيها: مصرف، والجمع مصارف.

فِيهِ بِنِسْبَةِ إِيرَادَاتِهِمُ الشَّهْرِيَّةِ، أَوْ حَسَبًا يَتَّفَقُونَ عَلَيْهِ، مِنْ مَسَاهِمَةِ كُلِّ فَرْدٍ بِنَصِيبٍ مُعَيَّنٍ يَكُونُونَ فِيهِ سَوَاءً، عَلَى أَنْ يَكُونَ هَذَا الصَّنْدُوقُ وَقْفًا خَاصًّا بِالْإِخْوَةِ الْمُشْتَرِكِينَ، فَمَنْ نَزَلَ بِهِ حَادِثٌ دَهْرٍ، كَحَرِيقٍ، أَوْ ضَيَاعٍ مَالٍ، أَوْ إِصَابَةٍ فِي بَدَنِ أُعْطِيَ مِنْهُ مَا يُخَفِّفُ بِهِ عَنْهُ مُصَابَهُ.

غَيْرَ أَنَّهُ يَنْبَغِي مِلَاحَظَةً مَا يَلِي :

- ١ - أَنْ يَنْوِيَ الْمَسَاهِمُ بِمَسَاهِمَتِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى، لِيُثَابَ عَلَى ذَلِكَ.
- ٢ - أَنْ تُتَّحَدَّ فِيهِ الْمَقَادِيرُ الَّتِي تَمْنَحُ لِلْمَصَابِينَ، كَمَا حُدِّدَتْ أَنْصَبَةُ الْمَسَاهِمِينَ بِحَيْثُ يَكُونُ قَائِمًا عَلَى الْمَسَاوَاةِ التَّامَّةِ.
- ٣ - لَا مَنَاعَ مِنْ تَنْمِيَةِ أَمْوَالِ الصَّنْدُوقِ بِالْمَضَارِبَاتِ التَّجَارِيَةِ وَالْمَقَاوِلَاتِ الْعُمَرَانِيَّةِ، وَالْأَعْمَالِ الصَّنَائِعِيَّةِ الْمُبَاحَةِ.

ب - الصَّرْفُ :

- ١ - تَعْرِيفُهُ : الصَّرْفُ هُوَ بَيْعُ النُّقْدَيْنِ بَعْضُهُمَا بَعْضًا كَبَيْعِ دَنَانِيرِ الذَّهَبِ بِدَرَاهِمِ الْفِضَّةِ.
- ٢ - حُكْمُهُ : الصَّرْفُ جَائِزٌ، إِذْ هُوَ مِنَ الْبَيْعِ، وَالْبَيْعُ جَائِزٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «يَبْعُوا الذَّهَبَ بِالْفِضَّةِ كَيْفَ شِئْتُمْ يَدًا بِيَدٍ»^(١).

- ٣ - حُكْمُهُ : حُكْمُهُ مُشْرُوعِيَّةُ الصَّرْفِ الْإِرْفَاقُ بِالْمُسْلِمِ فِي تَحْوِيلِ عَمَلِيَّتِهِ إِلَى عَمَلٍ أُخْرَى هُوَ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهَا.

- ٤ - شُرُوطُهُ : يَشْتَرَطُ فِي صِحَّةِ جَوَازِ الصَّرْفِ التَّقَابُضُ فِي الْمَجْلِسِ بِحَيْثُ يَكُونُ يَدًا بِيَدٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ : «يَبْعُوا الذَّهَبَ بِالْفِضَّةِ كَيْفَ شِئْتُمْ يَدًا بِيَدٍ». وَقَوْلِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «لَا، وَاللَّهِ لَا تَفَارِقُهُ حَتَّى تَأْخُذَ مِنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الذَّهَبُ

(١) تعني يدًا بيدًا : مناجزة.

بِالْوَرَقِ رَبًّا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ». قَالَ عَمْرٌو لَطَلْحَةَ ابْنِ عُبَيْدٍ اللَّهُ لَمَا اصْطَرَفَ مِنْهُ مَالُكَ بَنُ أَوْسٍ فَأَخَذَ الدَّنَانِيرَ، وَقَالَ لَهُ: «حَتَّى يَأْتِيَ خَازِنِي مِنَ الْغَابَةِ»^(١) يَعْنِي فَيُعْطِيهِ حِينَئِذٍ الدَّرَاهِمَ.

٥ - أَحْكَامُهُ: لِلصَّرْفِ أَحْكَامٌ، هِيَ:

١ - يَجُوزُ صَرْفُ الذَّهَبِ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، إِذَا اتَّحَدَا فِي الْوِزْنِ بِحَيْثُ لَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ، وَلَا تُشِفُّوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلَا تَبِيعُوا الْوَرَقَ بِالْوَرَقِ إِلَّا مِثْلًا بِمِثْلٍ، وَلَا تُشَفُّوا بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ، وَلَا تَبِيعُوا مِنْهُمَا غَائِبًا بِنَاجِزٍ»^(٢). وَكَانَ ذَلِكَ فِي الْمَجْلِسِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ رَبًّا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ رَبًّا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ»^(٣).

٢ - يَجُوزُ التَّفَاضُلُ مَعَ اخْتِلَافِ الْجِنْسِ كَذَهَبٍ بِفِضَّةٍ، إِذَا كَانَ فِي الْمَجْلِسِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَدَا يَدٍ»^(٤).

٣ - إِذَا افْتَرَقَ الْمُتَصَارِفَانِ قَبْلَ التَّقَابُضِ بَطَلَ الصَّرْفُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ». وَقَوْلُهُ: «إِذَا كَانَ يَدَا يَدٍ»^(٥).

المادة السابعة: فِي السَّلَمِ:

١ - تَعْرِيفُهُ: السَّلَمُ أَوِ السَّلْفُ، هُوَ بَيْعٌ مُوصُوفٍ فِي الذَّمَّةِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَشْتَرِيَ الْمُسْلِمُ السِّلْعَةَ الْمَضْبُوتَةَ بِالْوَصْفِ مِنْ طَعَامٍ، أَوْ حَيَوَانٍ أَوْ غَيْرِهِمَا إِلَى أَجَلٍ مُعَيَّنٍ، فَيُدْفَعُ الثَّمَنُ وَيَنْتَظَرُ الْأَجَلَ الْمَحْدَدَ لِيَسْتَلِمَ السِّلْعَةَ، فَإِذَا حَلَّ الْأَجَلُ قَدَّمَ لَهُ الْبَائِعُ السِّلْعَةَ.

٢ - حَكْمُهُ: حَكْمُ السَّلَمِ الْجَوَازُ، إِذْ هُوَ مِنَ الْبَيْعِ، وَالْبَيْعُ جَائِزٌ، وَلِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «مَنْ أَسْلَفَ فِي شَيْءٍ فَلَيْسَ لَهُ فِيهِ كَيْلٌ مُعْلُومٌ، وَوَزْنٌ مُعْلُومٌ، إِلَى أَجَلٍ مُعْلُومٍ»^(٦). وَقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ

(٤) تقدم.

(٢) و (٣) و (٥) و (٦) متفق عليه.

(١) البخاري.

وَهُمْ يُسْلِفُونَ فِي الثِّمَارِ السَّنَةَ وَالسَّنَتَيْنِ وَالثَّلَاثَ»^(١).

٣- شروطه: يُشْتَرَطُ لَصَحَّةِ السَّلَمِ مَا يَلِي:

١- أَنْ يَكُونَ الثَّمَنُ نَقْدًا مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، أَوْ مَا نَابَ عَنْهُمَا مِنْ عُمَلَةٍ، كَيْ لَا يَبَاعَ رَبَوِيٌّ بِمِثْلِهِ نَسِيئَةً.

٢- أَنْ يَنْضَبَطَ الْمَبِيعُ بِوَصْفٍ تَامٍ يَشْخِصُهُ، وَذَلِكَ بِذِكْرِ جَنْسِهِ وَنَوْعِهِ وَقَدْرِهِ، حَتَّى لَا يَقَعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِ وَأَخِيهِ خِلَافٌ يُفْضِي بِهِمَا إِلَى الْمَشَاحَنَةِ وَالْعِذَاوَةِ.

٣- أَنْ يَكُونَ أَجَلُهُ مَعْلُومًا مُحَدَّدًا، وَبَعِيدًا كَنْصَفِ شَهْرٍ فَأَكْثَرَ.

٤- أَنْ يُقْبَضَ الثَّمَنُ فِي الْمَجْلِسِ حَتَّى لَا يُضَيَّحَ مِنْ بَابِ بَيْعِ الدِّينِ بِالْدِّينِ الْمُحَرَّمِ. وَالْأَصْلُ فِي هَذِهِ الشَّرُوطِ قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ أَسْلَفَ فِي شَيْءٍ فَلَيْسَ لَهُ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ، وَوَزَنٍ مَعْلُومٍ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ»^(٢).

أحكامه:

١- أَنْ يَكُونَ الْأَجَلُ مِمَّا تَتَغَيَّرُ الْأَسْوَاقُ فِيهِ وَذَلِكَ كَالشَّهْرِ وَنَحْوِهِ لِأَنَّ السَّلَمَ فِي الْأَجَلِ الْقَرِيبِ حَكْمُهُ حَكْمُ الْبَيْعِ يَشْتَرَطُ فِيهِ رُؤْيَةَ الْمَبِيعِ وَفَحْصُهُ.

٢- أَنْ يَكُونَ الْأَجَلُ زَمَنًا يَوْجَدُ فِيهِ غَالِبًا الْمُسْلِمَ فِيهِ فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُسَلَّمَ فِي رُطْبٍ فِي الرَّبِيعِ، أَوْ عَنَبٍ فِي الشِّتَاءِ مَثَلًا، لِأَنَّهُ مَدْعَاةٌ لِلشِّقَاقِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

٣- إِنْ لَمْ يُذَكَّرْ فِي الْعَقْدِ مَحَلُّ تَسْلِيمِ السِّلَعَةِ وَجَبَ تَسْلِيمُهَا فِي مَحَلِّ الْعَقْدِ، وَإِنْ ذُكِرَ ذَلِكَ وَعُيِّنَ لَهُ مَحَلٌّ خَاصٌّ فَهُوَ كَمَا عُيِّنَ فِي الْعَقْدِ، فَحَيْثُ اتَّفَقَا عَلَى مَحَلِّ التَّسْلِيمِ وَجَبَ تَسْلِيمُ السِّلَعَةِ فِيهِ، إِذَا الْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ.

صورة لكتابة البيع:

بعد البسملة الشريفة يقول:

«وبعد: فقد اشترى فلان الفلاني . . لنفسه من فلان الفلاني عن نفسه، وهما في حال صحتهما، وكمال عقليهما، وجواز أمرهما، اشترى منه عن طواعية واختيار

(٢) تقدم.

(١) متفق عليه.

جَمِيعِ الدَّارِ الكائِنَةِ بِمَحَلَّةِ كَذَا مِنْ مَدِينَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ كَذَا أَرْضًا وَبِنَاءً عُلوًّا وَسُفْلًا، وَالتِّي صَفَتْهَا عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَشَاهِدَةُ، وَتَصَادَقَ عَلَيْهِ الطَّرَفَانِ الْمُتَبَايِعَانِ مِنْ كَوْنِهَا تَشْتَمِلُ عَلَى كَذَا وَكَذَا. . (تُوصَفُ وَصْفًا كَامِلًا) وَالتِّي يُحَدِّثُهَا شَرْقًا الْمَنْزِلُ الْفُلَانِي الَّذِي يُعْرَفُ بِفُلَانٍ، وَغَرْبًا كَذَا. وَشَمَالًا وَجَنُوبًا كَذَا وَكَذَا. . بِجَمِيعِ مَنَافِعِهَا وَمَرَافِقِهَا وَطَرَفِهَا وَعُلُوقِهَا وَسُفْلِهَا وَأَحْجَارِهَا وَأَخْشَابِهَا وَأَبْوَابِهَا وَنَوَافِذِهَا، وَمَجَارِي مِيَاهِهَا، وَكَافَّةُ مَنَافِعِهَا الدَّاخِلَةِ فِيهَا وَالخَارِجَةِ عَنْهَا شَرَاءً شَرْعِيًّا خَالِيًّا مِنَ الثَّنَاءِ وَمِنْ كُلِّ شَرْطٍ مُفْسِدٍ لِلْبَيْعِ مُخَلٍّ بِهِ، وَذَلِكَ بِثَمَنِ مَبْلُغُهُ كَذَا. . دَفَعَ الْمُشْتَرِي الْمَذْكُورُ أَعْلَاهُ إِلَى الْبَائِعِ الْمَذْكُورِ أَعْلَاهُ جَمِيعِ الثَّمَنِ الْمَذْكُورِ أَعْلَاهُ، فَقَبَضَهُ قَبْضًا شَرْعِيًّا، وَسَلَّمَ الْبَائِعُ الْمَذْكُورُ جَمِيعَ الْمِيعِ الْمَوْصُوفِ، وَالْمَحْدُودِ أَعْلَاهُ فَتَسَلَّمَهُ مِنْهُ تَسْلَمًا شَرْعِيًّا كَتَسْلِيمِ مِثْلِهِ لِمِثْلٍ ذَلِكَ. وَقَدْ خَيْرَ كُلُّ مِنَ الْمُتَبَايِعَيْنِ صَاحِبَهُ فَاخْتَارَا عَنْ طَوَاعِيَةٍ وَاخْتِيَارٍ إِمْضَاءَ الْعَقْدِ وَإِبْرَامَهُ وَتَفَرُّقًا عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ أَشْهَدَا عَلَيْهِمَا مِنْ يَعْرِفُهُمَا وَهُمَا فُلَانٌ وَفُلَانٌ. . تَمَّ ذَلِكَ بِتَارِيخِ كَذَا» . .

صُورَةُ لِكِتَابَةِ السَّلَمِ :

بَعْدَ الْحَمْدِ لِلَّهِ تَعَالَى :

«أَقْرَرُ فُلَانٌ أَنَّهُ قَبَضَ وَتَسَلَّمَ مِنْ فُلَانٍ كَذَا وَكَذَا. . سَلَمًا فِي كَذَا وَكَذَا. . مِنْ الْقَمْحِ مِثْلًا (وَيُذَكِّرُ نَوْعَهُ) وَذَلِكَ بِمَكِيلِ مَدِينَةِ كَذَا. يَقْدَمُ لَهُ بِذَلِكَ بَعْدَ مُضَيِّ شَهْرَيْنِ كَامِلَيْنِ مِنْ تَارِيخِهِ مَحْمُولًا إِلَى الْمَكَانِ الْفُلَانِي. وَأَقْرَرُ بِالْمَلَاءَةِ وَالْقَدَرَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَقَبَضَ رَأْسَ مَالِ السَّلَمِ الشَّرْعِيِّ فِي مَجْلِسِ الْعَقْدِ وَهُوَ مَبْلُغُ كَذَا. . وَتَمَّ بِتَارِيخِ كَذَا» . .

المَادَّةُ الثَّامِنَةُ : فِي الشُّفْعَةِ، وَأَحْكَامِهَا :

تَعْرِيفُهَا : الشُّفْعَةُ هِيَ أَخْذُ الشَّرِيكِ حِصَّةَ شَرِيكِهِ التِّي بَاعَهَا بِثَمَنِهَا الَّذِي بَاعَهَا

وَأَحْكَامُهَا هِيَ :

١ - ثُبُوتُهَا شَرْعًا، ثَبَّتَ الشُّفْعَةَ بِقَضَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِهَا، فَقَدْ رُوِيَ فِي

الصحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قوله: «قضى رسول الله ﷺ بالشفعة في كل ما ينقسم، فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة»^(١).

٢- لا تثبت الشفعة إلا فيما هو قابل للقسم، فإن كان غير قابل للقسمه كالحمامات والأزحية والدور الضيقة، فلا شفعة، لقوله ﷺ: فيما ينقسم.

٣- لا تثبت الشفعة في المقسوم الذي ضربت حدوده وصرفت طرقه، لقوله ﷺ: «فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة»، ولأنه بعد القسمه يصح الشريك جارا، ولا شفعة للجار على الصحيح.

٤- لا شفعة في المنقول كالثياب والحيوان، وإنما هي في المشاع من أرض، وما يتصل بها من بناء وغرس، إذ لا ضرر يتصور مع غير الأرض وما يتصل بها فيرفع بالشفعة.

٥- يسقط حق الشفيع بحضوره العقد أو بعلمه بالبيع ولم يطالب بالشفعة حتى مضت مدة، لحديث: «الشفعة لمن واثبها»^(٢). وحديث: «الشفعة كحل العقال»^(٣). إلا أن يكون غائبا فإن له الحق في المطالبة بها ولو بعد سنين طويلة.

٦- تسقط الشفعة فيما إذا أوقف المشتري ما اشتراه أو وهبه أو تصدق به، إذ ثبوت الشفعة معناه إبطال هذه القرب، وتصحيح القرب أولى من إثبات الشفعة التي لا يقصد منها إلا رفع ضرر مظنون.

٧- للمشتري الغلة والنماء المنفصل، فإن بنى أو غرس فللشفيع تملكه بقيمته، أو قلعه مع غرم النقص، إذ لا ضرر ولا ضرار.

٨- عهدة الشفيع على المشتري؛ وعهدة المشتري على البائع، فالشفيع يطالب المشتري، والمشتري يرجع على البائع في كل ما يتعلق بما وجبت فيه الشفعة.

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق من قول ابن شريح، ومعنى واثبها: بادرها.

(٣) رواه ابن ماجه. وفيه ضعف.

٩ - حَقُّ الشَّفَعَةِ لَا يُبَاعُ وَلَا يُوهَبُ، فَلَيْسَ لِمَنْ وَجِبَتْ لَهُ الشَّفَعَةُ أَنْ يَبِيعَ حَقَّهُ فِيهَا، أَوْ يَهَبَهُ لِآخَرَ، إِذْ بَيْعُهَا أَوْ هِبَتُهَا مُنَاقِضَةٌ لِلْغَرَضِ الَّذِي شُرِعَتْ لَهُ الشَّفَعَةُ، وَهُوَ دَفْعُ الضَّرَرِ عَنِ الشَّرِيكِ.

المادة التاسعة: في الإقالة:

١ - تعريفها: الإقالة هي فسخ البيع وتركه ورد الثمن إلى صاحبه والسلعة إلى بائعها إذا ندم أحد المتبايعين أو كلاهما.

٢ - حكمها: تُسَحَّبُ الإقالة عند طلب أحد المتبايعين لها لقوله ﷺ: «من أقال مُسْلِماً بَيْعَتَهُ أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ»^(١). وقوله ﷺ: «مَنْ أَقَالَ نَادِماً أَقَالَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢).

٣ - أحكامها: أحكام الإقالة هي:

١ - اختلاف، هل الإقالة تُعْتَبَرُ فسخاً للبيع الأول، أو هي بيع جديد؟. ذهب إلى الأول أحمد والشافعي وأبو حنيفة، وإلى الثاني مالك رحمه الله.

٢ - تجوز الإقالة إن هلك بعض المبيع في البعض الباقي.

٣ - لا يجوز في الإقالة أن ينقص الثمن أو يزيد وإلا فلا إقالة، وأصبحت حينئذ بيعاً جديداً تجري عليه أحكام البيع بكاملها من استحقاق الشفعة، واشتراط القبض في الطعام، وما إلى ذلك من صيغة البيع وغيرها.

(١) أبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه.

(٢) البيهقي بسند صحيح.

الفصل الثالث

في جُمْلَةِ عُقُودٍ

وفيه ثمانِي مَوَادَّ:

المادة الأولى: في الشَّرِكَةِ:

أ - مَشْرُوعِيَّتُهَا: الشَّرِكَةُ مَشْرُوعَةٌ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَهُمْ شَرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ﴾^(١). وقوله: ﴿وَإِنْ كَثُرَ مِنْ الْخِلَاطِ لِيُنْفِي عَنْهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٢). ومعنى الْخِلَاطِ الشَّرَكَاءُ، وبِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ﴾»^(٣). وقوله ﷺ «يَدُ اللَّهِ عَلَى الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَتَخَاوُنَا»^(٤).

ب - تعريفُهَا: الشَّرِكَةُ هِيَ أَنْ يَشْتَرِكَ اثْنَانِ فَأَكْثَرُ فِي مَالٍ اسْتَحَقُّهُ بِوَرَاثَةٍ وَنَحْوِهَا أَوْ جَمْعُوهُ مِنْ بَيْنِهِمْ أَقْسَاطًا لِيَعْمَلُوا فِيهِ بِتَنْمِيَّتِهِ فِي تِجَارَةٍ أَوْ صِنَاعَةٍ أَوْ زَرَاةٍ، وَهِيَ أَنْوَاعٌ:

النوع الأول، شَرِكَةُ الْعِنَانِ:

وَهِيَ أَنْ يَشْتَرِكَ شَخْصَانِ فَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَجُوزُ تَصَرُّفُهُمْ فِي جَمْعٍ قَدَرٍ مِنَ الْمَالِ مُوزَعًا عَلَيْهِمْ أَقْسَاطًا مَعْلُومَةً، أَوْ أَشْهُمَا مَعْيَنَةً مُحَدَّدَةً، يَعْمَلُونَ فِيهِ مَعًا لِتَنْمِيَّتِهِ وَيَكُونُ

(١) النساء.

(٢) سورة ص.

(٣) أبو داود وسكت عنه، وأعله ابن القطان وصححه الحاكم وتمام اللفظ: «فإنه خاؤه خرجت من بينهما» يعني ينزع البركة من مالهما.

(٤) الدارقطني وسكت عنه المنذري وهو بلفظ: «ما لم يخن أحدهما صاحبه».

الرَّابِحُ بَيْنَهُمْ بِحَسَبِ أَصْهُمِهِمْ فِي رَأْسِ الْمَالِ، كَمَا تَكُونُ الْوَضِيعَةُ (الْخَسَارَةُ) بِحَسَبِ الْأَصْهُمِ كَذَلِكَ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ الْحَقُّ فِي التَّصَرُّفِ فِي الشَّرِكَةِ بِالْإِصَالَةِ عَنْ نَفْسِهِ وَبِالْوَكَالَةِ عَنْ شُرَكَائِهِ، فَيَبِيعُ وَيَشْتَرِي وَيَقْبِضُ وَيُدْفَعُ، وَيُطَالِبُ بِالذَّيْنِ وَيَخَاصِمُ وَيُرَدُّ بِالْغَيْبِ، وَبِاخْتِصَارٍ: يَفْعَلُ كُلُّ مَا هُوَ فِي مَصْلَحَةِ الشَّرِكَةِ.

ولصحة هذه الشركة شروط، وهي؛

١ - أن تكون بين مسلمين، إذ لا يؤمن غير المسلم أن يتعامل بالربا، أو يدخل فيها مالا حراما، إلا أن يكون التصرف من بيع وشراء بيد المسلم فإنه لا مانع إذا لعدم الخوف من إدخال مال حرام على الشركة.

٢ - أن يكون رأس المال معلوماً وقسط كل واحد من الشركاء معروفاً لأن الربح والوضيعة مترتبان على معرفة رأس المال والسهم فيه. والجهل برأس المال أو أسهم الشركاء يؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل وهو حرام لقوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾^(١).

٣ - أن يكون الربح مُشاعاً يُوزَعُ بحسب السهم فلا يجوز أن يقول إن ما ربحناه من الضأن فهو لفلان، وما ربحناه من الكتان مثلاً فهو لفلان لما في ذلك من الغرر وهو مُحَرَّمٌ.

٤ - أن يكون رأس المال نقوداً ومن كان لديه عرض وأراد الاشتراك فَوَمَّ عَرْضُهُ بنقد بسعر يومه ودخل في الشركة، لأن العروض مجهولة القيمة والمعاملة بالمجهول ممنوعة شرعاً لما تؤدي إليه من تضييع الحقوق وأكل مال الناس بالباطل.

٥ - أن يكون العمل بحسب السهام كالربح والوضيعة، فمن كان نصيبه في الشركة الربع فإن عليه عمل يوم من أربعة أيام مثلاً وهكذا... وإن استأجروا عاملاً فأجرته من رأس المال بحسب سهم الشركاء.

(١) البقرة.

٦ - وَإِنْ مَاتَ أَحَدُ الشَّرِيكَيْنِ بَطَلَتْ الشَّرِكَةُ، وَكَذَا إِنْ جُنَّ مَثَلًا، وَلِوَرَثَةِ الْمَيِّتِ وَأَوْلِيَاءِ الْمَجْنُونِ حُلُّ الشَّرِكَةِ أَوْ إِمضَاؤُهَا بِعَقْدِهَا الْأَوَّلِ .

النُّوعُ الثَّانِي، شَرِكَةُ الْأَبْدَانِ ^(١) :

وَهِيَ أَنْ يَشْتَرِكَ اثْنَانِ فَاكْتَرَّ فِيمَا يَكْتَسِبَانِهِ بِأَبْدَانِهِمَا كَأَنْ يَشْتَرِكَا فِي صِنَاعَةٍ شَيْءٍ أَوْ خِيَاظَةٍ أَوْ غَسَلٍ ثِيَابٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَمَا يَحْصُلَانِ عَلَيْهِ فَهُوَ بَيْنَهُمَا أَنْصَافٌ أَوْ عَلَى مَا اتَّفَقَا عَلَيْهِ .

وَالْأَصْلُ فِي جَوَازِهَا مَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ وَسَعْدًا وَعَمَّارًا اشْتَرَكُوا يَوْمَ (بَدْرٍ) فِيمَا يَحْصُلُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِ الْمَشْرِكِينَ فَلَمْ يَجِءْ عَمَّارُ وَعَبْدُ اللَّهِ بِشَيْءٍ وَجَاءَ سَعْدٌ بِأَسِيرَيْنِ فَأَشْرَكَ بَيْنَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ . وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ مَشْرُوعِيَّةِ قِسْمَةِ الْغَنَائِمِ ^(٢) .

وَأَحْكَامُ هَذِهِ الشَّرِكَةِ، هِيَ :

- ١ - أَنْ لِكُلِّ مِنْهُمَا طَلَبُ الْأَجْرَةِ وَأَخْذُهَا مِنَ الْمُسْتَأْجِرِ لَهَا .
- ٢ - إِنْ مَرِضَ أَحَدُهُمَا، أَوْ غَابَ لَعَذْرٍ فَإِنَّ مَا حَصَلَ عَلَيْهِ أَحَدُهُمَا هُوَ بَيْنَهُمَا .
- ٣ - إِنْ طَالَتْ غَيْبَةُ أَحَدِهِمَا أَوْ طَالَتْ مَدَّةُ مَرَضِهِ فَإِنَّ لِلصَّحِيحِ أَنْ يُقِيمَ مَقَامَهُ أَحَدًا، وَأَجْرَتُهُ مِنْ نَصِيبِ الْمَرِيضِ، أَوْ الْغَائِبِ .
- ٤ - إِنْ تَعَذَّرَ حُضُورُ أَحَدِهِمَا فَإِنَّ لِلْآخَرِ فُسْخَ الشَّرِكَةِ .

النُّوعُ الثَّلَاثُ؛ شَرِكَةُ الْوُجُوهِ ^(٣) .

شَرِكَةُ الْوُجُوهِ هِيَ أَنْ يَشْتَرِكَ اثْنَانِ فَاكْتَرَّ فِي شِرَاءِ سَلْعَةٍ بِجَاهِهَا وَيَبْعَانِهَا وَمَا يَحْصُلَانِ عَلَيْهِ مِنْ رِبْحٍ فَهُوَ بَيْنَهُمَا . وَالْخَسَارَةُ إِنْ كَانَتْ فَعَلَيْهِمَا بِالسَّوِيَّةِ كَالرَّبْحِ .

(١) جمع بدن، أي الذوات والأجسام .

(٢) الحديث صحيح وبه عمل أحمد ومالك وأبو حنيفة، رحمة الله تعالى عليهم .

(٣) الوجوه: جمع وجه، والمراد هنا الجاه والعرض .

النوع الرابع: شركة المفاوضة:

هي أوسع من شركة العنان والوجوه والأبدان، إذ هي تشملهما وتشمل المضاربة أيضاً، وهي أن يفوض كل من الشريكين كل تصرف مالي وبدني من أنواع الشركة، فيبيع ويشترى ويضارب ويوكل ويخاصم ويرتهن، ويسافر بالمال، ويكون الربح بينهما على ما اتفقا عليه، والخسارة بحسب نصيب كل منهما المالي.

المادة الثانية: في المضاربة:

١ - تعريفها: المضاربة أو القراض هي أن يعطي أحد لآخر مالا معلوماً يتجر فيه، وأن يكون الربح بينهما على ما اشترطاه. والخسارة إن كانت فمن رأس المال فقط، إذ العامل يكفيه خسارة جهده فلم يكلف خسارة أخرى.

٢ - مشروعيتها: المضاربة مشروعة بإجماع الصحابة، والأئمة^(١). على جوازها وقد كانت معمولاً بها على عهد رسول الله ﷺ فأقرها.

٣ - أحكامها، أحكام المضاربة، هي:

١ - أن تكون بين مسلمين جائزي التصرف، ولا بأس أن تكون بين مسلم وكافر إذا كان رأس المال من الكافر، والعمل من المسلم، إذ المسلم لا يخشى معه الربا، ولا المال الحرام.

٢ - أن يكون رأس المال معلوماً.

٣ - أن يعين نصيب العامل من الربح، فإن لم يعينه للعامل أجره عمله، ولرب المال الربح كله. أما إن قال: الربح بيننا فهو مناصفة بينهما.

(١) من ذلك ما روى مالك في الموطأ أن ابني عمر بن الخطاب وهما عبدالله، وعبيدالله كانا قد مرا بأبي موسى الأشعري بالبصرة فأعطاهما مالا ليوصلاه إلى عمر رضي الله عنه، ثم أشار عليهما بأن يأخذا به بضاعة يتجران فيها، ثم إذا باعاهما دفعا رأس المال إلى عمر ففعلا، لكن عمر منعهما من الربح، فقال له عبيدالله: لو جعلته قراضاً، بعد أن قال له: لو نقص هذا المال أو هلك لضمناه، فأخذ عمر رأس المال ونصف الربح وأعطاهما نصف الربح الباقي، فجعله قراضاً.

٤ - إن اختلفا في الجزء المشروط هل هو الربع أو النصف مثلاً، فيقبل قول رب المال مع يمينه.

٥ - ليس للعامل أن يضارب في مال رجل آخر إذا كان يضرب بمال الأول إلا إذا أذن له صاحبه الأول في ذلك، لتحريم الضرر بين المسلمين.

٦ - لا يقسم الربح ما دام العقد باقياً إلا إذا رضي الطرفان بالقسمة واتفقا عليها.

٧ - رأس المال يجبر دائماً من الربح فلا يستحق العامل من الربح شيئاً إلا بعد جبر رأس المال، هذا ما لم يقسم الربح، فإن اتجراً في غنم فربحاً وأخذ كل منهما نصيبه من الربح ثم اتجراً في حب أو كتان مثلاً فخسراً من رأس المال شيئاً فالخسارة من رأس المال وليس على العامل جبره مما ربح في تجارة سبقت.

٨ - إن انفسخت المضاربة وبقي بعض المال عرضاً، أي بضاعة، أو ديناً عند أحد فطالب رب المال تنضيضه، أي بيع العرض ليصير نقداً أو طلب ارتجاع الدين فإن على العامل القيام بذلك.

٩ - يقبل قول العامل فيما يدعيه من هلاك المال أو خسارته إن لم تقم بينة تكذبه فيما ادعاه، وإن ادعى الهلاك وأقام بينة على ذلك حلف وصدقت دعواه.

المادة الثانية: في المساقاة والمزارعة: (١)

أ - المساقاة:

١ - تعريفها: المساقاة هي إعطاء نخل أو شجر لمن يقوم بسقيه وعمل سائر ما يحتاج إليه من خدمة بجزء معلوم من ثمره مشاعاً فيه.

حكمها: المساقاة جائزة، والأصل في جوازها عمله ﷺ وعمل خلفائه الراشدين من بعده، فقد أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ

(١) المساقاة والمزارعة مصدران من ساقاه وزارعه.

عَامِلَ أَهْلٍ (خَيْبَرَ) بِشَطْرِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا (أَيَ مِنْ أَرْضِ خَيْبَرَ) مِنْ زَرْعٍ وَثَمَرٍ، كَمَا أَمْضَى هَذِهِ الْمَعَامَلَةَ مِنْ بَعْدِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرُو وَعَثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٣ - أَحْكَامُهَا: أَحْكَامُ الْمَسَاقَاةِ هِيَ:

١ - أَنْ يَكُونَ النَّخْلُ أَوْ الشَّجَرُ مَعْلُومًا عِنْدَ إِبْرَامَ الْعَقْدِ، فَلَا تَجْرِي الْمَسَاقَاةُ فِي مَجْهُولٍ خَشْيَةَ الْغَرَرِ وَهُوَ حَرَامٌ.

٢ - أَنْ يَكُونَ الْجُزْءُ الْمُعْطَى لِلْعَامِلِ مَعْلُومًا كَرُبْعٍ أَوْ خُمْسٍ مَثَلًا، وَأَنْ يَكُونَ مُشَاعًا فِي جَمِيعِ النَّخْلِ أَوْ الشَّجَرِ، إِذْ لَوْ حُصِرَ فِي نَخْلٍ أَوْ شَجَرٍ خَاصٍّ قَدْ يَثْمِرُ وَقَدْ لَا يَثْمِرُ، وَفِي ذَلِكَ غَرَرٌ يَحْرِمُهُ الْإِسْلَامُ.

٣ - عَلَى الْعَامِلِ أَنْ يَقُومَ بِكُلِّ مَا يَلْزَمُ لِإِصْلَاحِ النَّخْلِ أَوْ الشَّجَرِ مِمَّا جَرَى الْعُرْفُ أَنْ يَقُومَ بِهِ الْعَامِلُ فِي الْمَسَاقَاةِ.

٤ - إِنْ كَانَ عَلَى الْأَرْضِ الْمَعْطَاةِ مُسَاقَاةٌ خَرَجَ أَوْ ضَرْبِيَّةٌ فَهِيَ عَلَى الْمَالِكِ دُونَ الْعَامِلِ إِذَا خَرَجَ أَوْ الضَّرْبِيَّةُ مُتَعَلِّقٌ بِالْأَصْلِ بِدَلِيلٍ أَنَّ الضَّرْبِيَّةَ مَدْفُوعَةٌ، وَلَوْ لَمْ تُغْرَسِ الْأَرْضُ أَوْ تُزْرَعُ. أَمَّا الزَّكَاةُ فَهِيَ عَلَى مَنْ بَلَغَ نَصِيْبُهُ مِنَ الثَّمَرِ نَصَابًا: سَوَاءٌ كَانَ الْعَامِلُ أَوْ رَبُّ الْأَرْضِ، إِذَا الزَّكَاةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالثَّمَرَةِ نَفْسِهَا.

٥ - تَجُوزُ الْمَسَاقَاةُ فِي الْأَصُولِ كَانَ يَدْفَعُ رَجُلٌ لِآخَرَ أَرْضًا لِيَغْرِسَهَا نَخْلًا أَوْ شَجَرًا، وَيَقُومُ بِسَقْيِهِ وَإِصْلَاحِهِ إِلَى أَنْ يَثْمَرَ عَلَى أَنْ لَهُ الرُّبْعُ مِنْهُ أَوْ الثُّلُثُ مَثَلًا بِشَرْطِ أَنْ تُحَدَّدَ الْمُدَّةُ بِأَثْمَارِهَا مَثَلًا، وَأَنْ يَأْخُذَ الْعَامِلُ نَصِيْبَهُ مِنَ الْأَرْضِ وَالشَّجَرِ مَعًا.

٦ - لِلْعَامِلِ إِنْ عَجَزَ عَنِ الْعَمَلِ بِنَفْسِهِ أَنْ يُنِيبَ غَيْرَهُ، وَلَهُ الثَّمَرَةُ الْمُسْتَحِقَّةُ بِالْعَقْدِ.

٧ - إِنْ هَرَبَ الْعَامِلُ قَبْلَ بَدْءِ الثَّمَرَةِ فَلِرَبِّ الْأَرْضِ الْفَسْخُ، وَإِنْ هَرَبَ بَعْدَ بَدْءِ الثَّمَرِ أَقَامَ مَنْ يُتِمُّ الْعَمَلَ بِأَجْرَةٍ مِنْ نَصِيْبِ الْعَامِلِ.

٨ - إِنْ مَاتَ الْعَامِلُ فَلِرَبِّهِ أَنْ يُنِيبُوا غَيْرَهُ مِنْ طَرَفِهِمْ، وَإِنْ اتَّفَقَ الطَّرَفَانِ عَلَى الْفَسْخِ فُسِخَتِ الْمَسَاقَاةُ.

ب - المَزَارَعَةُ :

١ - تعْرِيفُهَا: المَزَارَعَةُ هِيَ أَنْ يَدْفَعَ رَجُلٌ لِآخَرَ أَرْضاً يَزْرَعُهَا عَلَى جُزْءٍ مُعَيَّنٍ مُشَاعٍ فِيهَا.

حُكْمُهَا: أَجَازَ المَزَارَعَةَ جَمْهُورُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالْأَثَمَةَ وَمَنْعَهَا آخَرُونَ. وَدَلِيلُ الْمُجِيزِينَ مَعَامَلَتُهُ ﷺ أَهْلَ (خَيْرٍ) بِشَطْرِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنْ زَرْعٍ وَثَمَرٍ. وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَامَلَ أَهْلَ (خَيْرٍ) بِشَطْرِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنْ زَرْعٍ وَثَمَرٍ، فَكَانَ يُعْطِي أَزْوَاجَهُ مِائَةَ وَسْقٍ (ثَمَانُونَ وَسْقًا ثَمَرًا وَعِشْرُونَ وَسْقًا شَعِيرًا)، وَحَمَلُوا مَا رَوَى مِنَ النَّهْيِ عَنِ المَزَارَعَةِ إِمَّا عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ بِشَيْءٍ مَجْهُولٍ مُحْتَجِّجٍ بِحَدِيثِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذْ قَالَ: «كُنَّا مِنْ أَكْثَرِ الْأَنْصَارِ حَقْلًا، فَكُنَّا نَكْرِي الْأَرْضَ عَلَى أَنْ لَنَا هَذِهِ وَلَهُمْ هَذِهِ فَرُبَّمَا أُخْرِجَتْ هَذِهِ وَلَمْ تَخْرُجْ هَذِهِ فَهَنَانَا عَنْ ذَلِكَ»^(١) أَوْ أَنَّهَا لِلْكَرَاهَةِ التَّنْزِيهِيَّةِ بِدَلِيلِ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَنْهَ عَنْهُ، وَلَكِنْ قَالَ: أَنْ يَمْنَحَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ خَيْرَ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ عَلَيْهِ خَرَجًا مَعْلُومًا»^(٢)

٣ - أَحْكَامُهَا: أَحْكَامُ المَزَارَعَةِ هِيَ :

١ - أَنْ تَكُونَ الْمُدَّةُ مَحْدُودَةً مَعِيْنَةً كَسَنَةِ مَثَلًا.

٢ - أَنْ يَكُونَ الْجُزْءُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ مَعْلُومَ الْقَدْرِ كَالنِّصْفِ أَوِ الثُّلُثِ أَوِ الرَّبْعِ مَثَلًا، وَأَنْ يَكُونَ مُشَاعًا فِي جَمِيعِ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ، فَلَوْ قِيلَ: لَكَ مَا يَنْبُتُ فِي كَذَا لَمْ تَصِحَّ.

٣ - أَنْ يَكُونَ الْبَذْرُ مِنْ صَاحِبِ الْأَرْضِ. أَمَّا إِذَا كَانَ الْبَذْرُ مِنَ الْعَامِلِ فِيهِ الْمَخَابَرَةُ. وَالْخِلَافُ فِي جَوَازِهَا أَشَدُّ مِنَ الْخِلَافِ فِي المَزَارَعَةِ لِقَوْلِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ

(١) متفق عليه.

(٢) البخاري.

عَنْهُ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمَخَابِرَةِ»^(١).

٤ - لَوْ اشْتَرَطَ رَبُّ الْأَرْضِ أَخَذَ بِذُرِّهِ مِنَ الْمَحْصُولِ قَبْلَ قِسْمَتِهِ وَمَا بَقِيَ فَهُوَ لَهُ وَلِلْعَامِلِ بِحَسَبِ مَا اشْتَرَطَاهُ لَمْ تَصِحَّ الْمَزَارَعَةُ.

٥ - كَرَاءُ الْأَرْضِ بِثَمَنِ نَقْدًا أَوْلَى مِنَ الْمَزَارَعَةِ لِقَوْلِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ «... أَمَّا بِالذَّهَبِ أَوْ الْوَرَقِ فَلَمْ يَنْهَنَا».

٦ - يُسْتَحَبُّ لِمَنْ لَهُ أَرْضٌ زَائِدَةٌ عَنْ حَاجَتِهِ أَنْ يَمْنَحَهَا أَخَاهُ الْمُسْلِمَ بِلَا أَجْرِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزِرْعَهَا أَوْ لِيَمْنَحَهَا أَخَاهُ». وَقَوْلُهُ: «أَنْ يَمْنَحَ أَخَاهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْخُذَ عَلَيْهِ خَرَجًا مَعْلُومًا»^(٢).

٧ - الْجُمْهُورُ عَلَى مَنَعِ تَأْجِيرِ الْأَرْضِ بِالطَّعَامِ، إِذْ فِيهِ مَعْنَى بَيْعِ الطَّعَامِ بِالطَّعَامِ نَسِيبَةً وَمُتَفَاضِلًا وَهُوَ مَمْنُوعٌ، وَأَمَّا مَا رُوِيَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ جَوَازِهِ فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى الْمَزَارَعَةِ لَا عَلَى تَأْجِيرِ الْأَرْضِ بِالطَّعَامِ.

المادة الرابعة في الإجارة:

١ - تعريفها: الإجارة هي عقد لازم على منفعة مدة معلومة بثمن معلوم.

٢ - حكمها: الإجارة جائزة، لقوله تعالى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾^(٣). وقوله: ﴿إِنْ خَيْرٌ مِنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَ الْأَمِينُ﴾^(٤). وقوله: ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ﴾^(٥). وقول الرسول ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُؤْفَهِ أَجْرَهُ»^(٦) وَلَا سِتِّجَارِهِ ﷺ مَعَ أَبِي بَكْرٍ فِي هَجْرَتِهِمَا

(١) أحمد بسند صحيح، والمخابرة: قال في الفتح هي أن يكون البذر من العامل، وتخالف المزارعة في كون المزارعة البذر فيها من صاحب الأرض.

(٢) في الصحيح.

(٣) الكهف.

(٤) و (٥) القصص.

(٦) البخاري.

رَجُلًا خَرِيَّتًا مِنْ بَنِي الدَّلِيلِ يُرْشِدُهُمَا إِلَى دُرُوبِ الْمَدِينَةِ وَمَسَالِكِهَا^(١).

٣ - شُرُوطُهَا :

١ - مَعْرِفَةُ الْمَنْفَعَةِ كَسَكْنَى الدَّارِ، أَوْ خِيَاطَةِ الثَّوبِ مَثَلًا، إِذْ هِيَ كَالْبَيْعِ، وَالْبَيْعُ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْمِيعَةِ.

٢ - إِبَاحَةُ الْمَنْفَعَةِ، فَلَا يُجُوزُ اسْتِجَارُ أَمَةٍ لِلوِطْءِ أَوْ امْرَأَةٍ لِلْغِنَاءِ أَوْ النُّوحِ. مَثَلًا، أَوْ أَرْضًا لُتُبْنَى كَنِيسَةً أَوْ مَخْمَرَةً.

٣ - مَعْرِفَةُ الْأَجْرَةِ لِقَوْلِ أَبِي سَعِيدٍ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ اسْتِجَارِ الْأَجِيرِ حَتَّى يُبَيَّنَ لَهُ أَجْرُهُ»^(٢).

٤ - أَحْكَامُهَا :

١ - جَوَازُ اسْتِجَارِ مُعَلِّمٍ لِتَعْلِيمِ عِلْمٍ أَوْ صِنَاعَةٍ، لِمَقَادَاةِ^(٣) النَّبِيِّ ﷺ بِغَضِّ أَسْرَى (بَذْرِ) بِتَعْلِيمِهِمْ عَدَدًا مِنْ صِبْيَانِ الْمَدِينَةِ الْكَتَابَةِ.

٢ - جَوَازُ اسْتِجَارِ الشَّخْصِ بِطَعَامِهِ وَكِسْوَتِهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ وَقَدْ قَرَأَ (طِسِمَ) حَتَّى بَلَغَ قِصَّةَ مُوسَى: «إِنَّ مُوسَى آجَرَ نَفْسَهُ ثَمَانِي حِجَجٍ أَوْ عَشْرًا عَلَى عِفَّةٍ فَرَجِهِ وَطَعَامِ بَطْنِهِ»^(٤).

٣ - صِحَّةُ اسْتِجَارِ دَارٍ مُعَيَّنَةٍ يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ بِقَاوُهَا إِلَيْهَا.

٤ - إِذَا أَجَرَهُ شَيْئًا ثُمَّ مَنَعَهُ مِنَ الْإِنْتِفَاعِ بِهِ مَدَّةً سَقَطَ مِنَ الْأَجْرَةِ بِقَدْرِ مَدَّةِ الْمَنْعِ. وَإِنْ تَرَكَ الْمُسْتَاجِرُ الْإِنْتِفَاعَ مِنْ نَفْسِهِ فَعَلَيْهِ الْأَجْرَةُ كَامِلَةً.

٥ - تُفْسَخُ الْإِجَارَةُ بِتَلَفِ الْعَيْنِ الْمُؤْجَرَةِ كَسُقُوطِ الدَّارِ أَوْ مَوْتِ الدَّابَّةِ مَثَلًا،

(١) فِي الصَّحِيحِ.

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِجَالُهُ الصَّحِيحُ.

(٣) يَرْوِي هَذَا أَصْحَابُ الْمَغَازِي وَالسِّرِ كَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ.

(٤) أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَةَ، وَفِي إِسْنَادِهِ مَقَالٌ.

وعلى المستأجرِ أجره المدة السابقة التي انتفع فيها بالعين المؤجرة.

٦ - من استأجر شيئاً فوجده معيباً فإن له ما لم يكن قد علم بالعيب ورضي به ابتداءً، وإن انتفع بالمؤجر مدة فعلية أجرتها.

٧ - الأجير المشترك كالخياط والحداد يضمن ما أتلّفه بفعله لا ما ضاع من دكانه، لأنه حينئذ يكون كالوديعة، والودائع لا تضمن ما لم يفرط صاحبها، والأجير الخاص كمن استأجر شخصاً يعمل عنده خاصة، لا ضمان عليه فيما أتلّفه ما لم يثبت أنه فرط أو تعدى.

٨ - تلزم الأجرة بالعقد، ويتعين دفعها بعد استيفاء المنفعة أو تمام العمل، إلا أن يكون قد اشترط دفعها عند العقد لحديث النبي ﷺ: «لكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله»^(١).

٩ - للمستأجر حبس العين حتى يستوفي أجره إذا كان عمله ذا تأثير في العين كالخياط مثلاً، وإن كان لا تأثير فيه كمن أجر على حمل بضاعة إلى مكان كذا فليس له حبسها بل يوصلها إلى محلها ويطلب بأجره.

١٠ - من عالج أو داوى مريضاً بأجرة، ولم يكن قد عرف بالطب فأتلف شيئاً فعليه ضمانه لقوله ﷺ: «من تطب ولم يعلم منه طب^(٢) فهو ضامن»^(٣).

المادة الخامسة: في الجعالة:

١ - تعريفها: الجعالة لغة ما يُعطاه الإنسان على أمر يفعله، وشرعاً: أن يجعل جائز التصرف قدراً معلوماً من المال لمن يقوم له بعمل خاص معلوماً أو مجهولاً،

(١) أحمد وفي سننه ضعف.

(٢) من علم الطب منه، هو من يعرف العلل والأدوية وله أساتذة يشهدون له بصناعة الطب والحقق فيها وأجازوا له أن يباشر عمل الطبيب.

(٣) أبو داود والنسائي وابن ماجه، وقال فيه أبو داود لا يدري هو صحيح أم لا؟.

كَأَن يَقُولَ: مَنْ بَنَى لِي هَذَا الْحَائِطَ، فَلَهُ كَذَا مِنَ الْمَالِ مَثَلًا، فَالَّذِي يَبْنِي لَهُ الْحَائِطَ يَسْتَحِقُّ الْجُعْلَ الَّذِي جَعَلَهُ عَلَيْهِ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا.

٢ - حَكْمُهَا: الْجَعَالَةُ جَائِزَةٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَن جَاءَ بِهِ جُمْلٌ بِعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾^(١). وَلِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ لِلَّذِينَ جَاعَلُوا عَلَى رُقْيَةٍ لَدِيغٍ بَقِطْعٍ مِنَ الْغَنَمِ: «خَذُوهَا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ»^(٢).

٣ - أَحْكَامُهَا، أَحْكَامُ الْجَعَالَةِ هِيَ:

١ - الْجَعَالَةُ عَقْدٌ جَائِزٌ، فَيَجُوزُ لِكُلِّ مِنَ الطَّرَفَيْنِ الْمُتَعَاقِدَيْنِ فُسْخُهُ، وَإِنْ كَانَ الْفُسْخُ قَبْلَ الْعَمَلِ فَلَا شَيْءَ لِلْعَامِلِ، وَإِنْ كَانَ أَثْنَاءَهُ فَلَهُ أَجْرَةٌ مِثْلَ عَمَلِهِ:

٢ - لَا يَشْتَرِطُ فِي الْجَعَالَةِ أَنْ تَكُونَ مَدَّةَ الْعَمَلِ مَعْلُومَةً، فَإِنْ قَالَ مَنْ رَدَّ عَلَيَّ دَابَّتِي الضَّالَّةَ أَوْ الشَّارِدَةَ فَلَهُ دِينَارٌ، فَقَدْ اسْتَحَقَّ الدِّينَارَ مَنْ رَدَّهَا لَهُ وَلَوْ بَعْدَ شَهْرٍ أَوْ سَنَةٍ.

٣ - إِذَا قَامَ جَمَاعَةٌ بِالْعَمَلِ اقْتَسَمُوا الْجُعْلَ بَيْنَهُم بِالسُّوِّيَّةِ.

٤ - لَا تَجُوزُ الْجَعَالَةُ فِي مُحَرَّمٍ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: مَنْ غَنَى أَوْ زَمَّرَ أَوْ ضَرَبَ فُلَانًا أَوْ شَتَمَهُ فَلَهُ كَذَا.

٥ - مَنْ رَدَّ اللَّقْطَةَ أَوْ الضَّالَّةَ أَوْ قَامَ بِالْعَمَلِ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ فِيهِ جَعَالَةً فَلَا يَسْتَحِقُّهَا، إِذْ عَمَلُهُ كَانَ ابْتِدَاءً تَطَوُّعًا، فَلَيْسَ لَهُ حَقٌّ فِي الْجَعَالَةِ إِلَّا فِي رَدِّ الْعَبْدِ الْآبِقِ، أَوْ فِي إِنْقَاضِ غَرِيقٍ، فَإِنَّهُ يُعْطَى تَشْجِيعًا لَهُ عَلَى عَمَلِهِ.

٦ - إِذَا قَالَ: مَنْ أَكَلَ كَذَا، أَوْ شَرِبَ كَذَا مِنْ الْخَلَالِ فَلَهُ جَعْلٌ كَذَا صَحَّتْ الْجَعَالَةُ إِلَّا إِذَا قَالَ مِنْ أَكَلٍ وَتَرَكَ مِنْهُ شَيْئًا فَعَلَيْهِ كَذَا فَلَا تَصِحُّ.

٧ - إِذَا اخْتَلَفَ الْمَالِكُ وَالْعَامِلُ فِي قَدْرِ الْجَعَالَةِ فَالْقَوْلُ قَوْلُ الْمَالِكِ بِبَيِّنَةٍ، وَإِنْ

(٢) بعض حديث أخرجه البخاري في كتاب الإجارة.

(١) يوسف.

اختلفا في أصل الجعالة، فالقول قول العامل بيمينه.

المادة السادسة: في الحوالة:

١ - تعريفها: الحوالة تحويل الدين ونقله من ذمة إلى ذمة، وذلك كأن يكون على شخص دين، وله على آخر دين مماثل للدين الذي عليه، ويطلبه صاحب الدين بدينه فيقول له: أحلتك على فلان، فإن لي عنده ديناً مماثلاً لدينك فعذه منه، فمتى رضي المحال برئت ذمة المحيل.

٢ - حكمها: الحوالة جائزة، غير أنه يجب على المحال إذا أجيل على مليء أن يقبل، لقوله ﷺ: «مطل الغني ظلم فإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبّع»^(١). وقوله: «مطل الغني ظلم، وإذا أجيلت على مليء فاتبعه»^(٢).

٣ - شروطها: شروط الحوالة هي:

١ - أن يكون الدين المحال عليه ديناً ثابتاً مستقراً في ذمة المدين المراد الإحالة عليه.

٢ - أن يكون الدينان متماثلين جنساً وعداً أو قدراً وصفة وأجلاً.

٣ - أن يكون برضى كل من المحيل والمحال: إذ المحيل وإن كان عليه حق فإنه ليس بملزم بأدائه عن طريق الحوالة، بل هو مخير في كيفية أداء هذا الحق ولأن المحال، وإن كان الشارح طلب منه قبول الحوالة، فإنه غير ملزم له إلا من باب الاحسان فقط، إذ الحوالة ليست عقداً لازماً، وإنما هي عقد قصد به الإرفاق بين المسلمين.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أصحاب السنن وهو صحيح واللفظ لابن ماجه، والمطل: تأخير ما استحق أدائه بغير عذر. مأخوذ من المطل الذي هو المد والتطويل.

٤ - أَحْكَامُهَا:

١ - أَنْ يَكُونَ الْمَحَالُّ عَلَيْهِ مَلِيئاً أَيْ قَادِراً عَلَى الْوَفَاءِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا اتَّبَعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيٍّ^(١) فَلْيَتَّبِعْ»^(٢).

٢ - إِنْ أُحِيلَ عَلَى شَخْصٍ فَبَانَ أَنَّهُ مُفْلَسٌ، أَوْ مَيِّتٌ، أَوْ غَائِبٌ غَيْبَةً بَعِيدَةً رَجَعَ بِحَقِّهِ عَلَى الْمُحِيلِ.

٣ - إِنْ أَحَالَ رَجُلٌ عَلَى آخَرَ، ثُمَّ الرَّجُلُ الْمَحَالُّ عَلَيْهِ أَحَالَ عَلَى آخَرَ جَازَتْ الْحَوَالَةُ، إِذْ لَا يَضُرُّ تَكَرُّرُ الْمَحَالِّ وَالْمَحَالِّ عَلَيْهِ مَتَى اسْتَوْفِيَتْ الشُّرُوطُ.

المَادَّةُ السَّابِعَةُ: فِي الضَّمَانِ، وَالْكَفَالَةِ وَالرَّهْنِ وَالْوَكَالَةِ، وَالصَّلَحِ:

أ - الضَّمَانُ:

١ - تَعْرِيفُهُ: الضَّمَانُ تَحْمُلُ الْحَقِّ عَلَى مَنْ هُوَ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ كَأَنْ يَكُونَ عَلَى شَخْصٍ حَقٌّ فَطَالَ بِهٖ، فَيَقُولُ آخَرُ جَائِزُ التَّصَرُّفِ: هُوَ عَلَيَّ وَأَنَا ضَامِنُهُ فَيَصِيرُ بِذَلِكَ ضَامِناً، وَلصَاحِبِ الْحَقِّ مَطَالِبَتُهُ بِحَقِّهِ، وَإِنْ لَمْ يَفِ طَالِبُ صَاحِبِ الْحَقِّ الْمَضْمُونُ.

٢ - حُكْمُهُ: الضَّمَانُ جَائِزٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾^(٣). يَعْنِي ضَامِناً أَوْ كَفَيْلاً. وَلِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «الزَّعِيمُ غَارِمٌ»^(٤). وَقَوْلِهِ ﷺ: «إِلَّا إِنْ قَامَ أَحَدُكُمْ فَضْمَنَهُ»^(٥) فِي الرَّجُلِ الَّذِي مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ وَلَا وَفَاءَ لَهُ، فَاِمْتَنَعَ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ.

١ - أَحْكَامُهُ: أَحْكَامُ الضَّمَانِ هِيَ:

١ - يُعْتَبَرُ فِي الضَّمَانِ رِضَى الضَّامِنِ، أَمَّا الْمَضْمُونُ فَلَا عِبْرَةَ بَرَضَاءُ.

(١) مفهوم الشرط، أنه إذا أُحِيلَ عَلَى غَيْرِ مَلِيٍّ لَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَّبِعَ، إِذْ لَا فَائِدَةَ مِنْ اتِّبَاعِ فَقِيرٍ لَا يَنَالُ مِنْهُ شَيْءٌ.

(٢) تقدم.

(٣) يوسف.

(٤) أبو داود والترمذي وحسنه.

(٥) ثابت في صحيح البخاري.

٢ - لا تَبْرَأُ ذِمَّةُ الْمُضْمُونِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَبْرَأَ ذِمَّةُ صَاحِبِهِ، وَإِنْ بُرِّئَتْ ذِمَّةُ الْمُضْمُونِ
بُرِّئَتْ ذِمَّةُ الضَّامِنِ.

٣ - لا تَعْتَبَرُ فِي الضَّمَانِ مَعْرِفَةُ الْمُضْمُونِ، إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يَضْمَنَ الرَّجُلُ مَنْ لَا
يَعْرِفُهُ الْبَتَّةَ، لِأَنَّ الضَّمَانَ تَبَرُّعٌ وَإِحْسَانٌ.

٤ - لا ضَمَانَ إِلَّا فِي حَقِّ ثَابِتٍ فِي الذِّمَّةِ، أَوْ فِيمَا هُوَ آيِلٌ لِلثَّبُوتِ كَالْجَعَالَةِ
مَثَلًا.

٥ - لَا بَأْسَ فِي تَعَدُّدِ الضَّمَنَاءِ، كَمَا لَا بَأْسَ أَنْ يَضْمَنَ الضَّامِنُ غَيْرَهُ أَيْضًا.

صَوْرَةُ كِتَابَةِ الضَّمَانِ (*):

بَعْدَ الْبِسْمَلَةِ، وَحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى . . .

قَدْ حَضَرَ إِلَى شَهْوَدِهِ فِي يَوْمِ تَارِيخِهِ كَذَا . . . وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ شُهُودَهُ أَنَّهُ ضَمِنَ
وَكَفَّلَ عَنْ ذِمَّةِ فُلَانٍ . . . مَا مَبْلُغُهُ كَذَا . . . (حَالًا، أَوْ مُقْسِطًا، أَوْ مُؤَجَّلًا إِلَى أَجَلٍ
كَذَا . . .) ضَمَانًا شَرْعِيًّا. فِي ذِمَّتِهِ وَمَالِهِ. وَأَقْرَّ بِالْمَلَاءَةِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَبِمَعْرِفَةِ
مَعْنَى الضَّمَانِ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ شَرْعًا. وَقِيلَ الْمُضْمُونُ ضَمَانُهُ، وَذَلِكَ بِتَارِيخٍ كَذَا . . .

ب - الْكَفَالَةُ:

١ - تَعْرِيفُهَا: الْكَفَالَةُ هِيَ أَنْ يُلْتَزِمَ جَائِزُ التَّصَرُّفِ بِإِذَاءِ حَقٍّ وَجَبَ عَلَى شَخْصٍ
أَوْ يُلْتَزِمَ بِإِحْضَارِهِ لَدَى الْمَحْكَمَةِ.

٢ - حُكْمُهَا: الْكَفَالَةُ جَائِزَةٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا
مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾^(١). وَقَوْلِهِ ﷺ: «لَا كَفَالَةَ فِي حَدِّ»^(٢).

(*) ليس المقصود من وضع هذه الصور أن يلتزمها الكاتب ويتقيد بحروفها ولا يخرج عنها، وإنما المقصود
وضع النموذج للكتابة فقط مع الإشارة إلى أركان الكتابة، تلك الأركان التي لا بد منها، كذكر الطرفين
المتعاقدين، وما يجري فيه التعاقد وذكر الشهود.

(١) يوسف.

(٢) البيهقي وابن عدي وفي سنده ضعف، ومعناه صحيح.

وقوله ﷺ: «الرَّعِيمُ غَارِمٌ»^(١). «وَالرَّعِيمُ هُوَ الْكَفِيلُ».

٣ - أَحْكَامُهَا، أَحْكَامُ الْكَفَالَةِ هِيَ:

١ - يُشْتَرَطُ فِي الْكَفَالَةِ مَعْرِفَةُ الْمَكْفُولِ، وَبِخَاصَّةٍ كَفَالَةُ الْأَحْضَارِ.

٢ - يُعْتَبَرُ فِي الْكَفَالَةِ رِضَا الْكَفِيلِ.

٣ - إِنْ كَفَلَ الشَّخْصُ كَفَالَةً مَالِيَةً، فَمَاتَ الْمَكْفُولُ ضَمِنَ الْمَالُ، وَإِنْ كَفَلَ كَفَالَةً وَجْهِهِ وَإِحْضَارَ وَمَاتَ الْمَكْفُولُ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ^(٢).

٤ - مَتَى أَحْضَرَ الْكَفِيلُ الْمَكْفُولَ بِالْوَجْهِ أَمَامَ الْحَاكِمِ بَرِئَتْ ذِمَّتُهُ.

٥ - لَا تَصِحُّ الْكَفَالَةُ إِلَّا فِي الْحَقُوقِ الَّتِي تَجُوزُ النِّيَابَةُ فِيهَا، مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالذِّمَمِ كَالْأَمْوَالِ، أَمَّا مَا لَا نِيَابَةَ فِيهِ كَالْحُدُودِ وَالْقِصَاصِ، فَلَا تَصِحُّ الْكَفَالَةُ فِيهَا، لقوله ﷺ: «لَا كَفَالَةَ فِي حَدِّ (*)»^(٣).

ج - الرُّهْنُ:

١ - تَعْرِيفُهُ: هُوَ تَوْثِيقُ دَيْنٍ بَعَيْنٍ يُمَكِّنُ إِيْفَاؤُهُ مِنْهَا، أَوْ مِنْ ثَمَنِهَا، وَذَلِكَ كَانَ يَسْتَدِينُ شَخْصٌ مِنْ آخَرٍ دَيْنًا، فَيَطْلُبُ الدَّائِنُ مِنْهُ وَضْعَ شَيْءٍ تَحْتَ يَدِهِ مِنْ حَيَوَانٍ أَوْ عَقَارَاتٍ أَوْ غَيْرِهِمَا لِيَسْتَوْثِقَ دَيْنَهُ، فَمَتَى حَلَّ الْأَجَلُ وَلَمْ يُسَدِّدْ لَهُ دَيْنَهُ اسْتَوْفَاهُ مِمَّا تَحْتَ يَدِهِ، فَالدَّائِنُ يُسَمَّى مُرْتَهِنًا، وَالْمَدِينُ يُسَمَّى رَاهِنًا، وَالْعَيْنُ الْمُرْهُونَةُ تُسَمَّى رَهْنًا.

٢ - حَكْمُهُ: الرُّهْنُ جَائِزٌ، بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾^(٤) وَلَمْ تَجِدُوا

(١) تقدم.

(٢) قال مالك رضي الله تعالى عنه: يغرم المال وإن كفل كفالة وجه.

(*) خالف الأحناف في هذه المسألة الجمهور، وقالوا بجواز الكفالة في الحدود، لضعف الحديث.

(٣) البيهقي.

(٤) في الآية دليل على أن الرهن جائز، سفرًا وحضرًا، والقيد بالسفر فيها خارج مخرج الغالب، إذ السفر مظنة عدم وجود من يكتب أو يشهد.

كَاتِبًا فِرْهَانَ مَقْبُوضَةً^(١). وَيَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «لَا يُغْلَقُ الرَّهْنُ مِنْ صَاحِبِهِ الَّذِي رَهَنَهُ، لَهُ غُنْمُهُ وَعَلَيْهِ غُرْمُهُ»^(٢). وَقَوْلُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رَهْنٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِرْعًا عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي الْمَدِينَةِ وَأَخَذَ مِنْهُ شَعِيرًا لِأَهْلِيهِ»^(٣).

٣ - أَحْكَامُهُ، أَحْكَامُ الرَّهْنِ هِيَ:

١ - يَلْزَمُ الرَّهْنُ بِالْقَبْضِ - الرَّاهِنُ لَا الْمُرْتَهِنَ - فَلَوْ أَرَادَ الرَّاهِنُ اسْتِرْدَادَ الرَّهْنِ مِنْ يَدِ الْمُرْتَهِنِ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، أَمَّا الْمُرْتَهِنُ فَإِنَّ لَهُ رَدَّهُ، إِذُ الْحَقُّ حَقُّهُ فِي ذَلِكَ.

٢ - مَا لَا يَبْصَحُ بَيْعُهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ، لَا يَصِحُّ رَهْنُهُ إِلَّا الزَّرْعُ وَالشَّمْرُ قَبْلَ بُدْؤِ صِلَاحِهِمَا، فَإِنْ بَيْعَهُمَا حَرَامٌ، وَرَهْنُهُمَا جَائِزٌ، إِذْ لَا غَرَرَ فِي ذَلِكَ عَلَى الْمُرْتَهِنِ، لِأَنَّ دَيْنَهُ ثَابِتٌ فِي الدِّمَةِ وَلَوْ تَلَفَ الزَّرْعُ أَوْ الشَّمْرُ.

٣ - مَتَى حَلَّ أَجَلُ الرَّهْنِ، طَالَِبَ الْمُرْتَهِنُ بَدْلَهُ، فَإِنْ وَفَّاهُ الرَّاهِنُ رَدَّ إِلَيْهِ رَهْنَهُ، وَإِلَّا اسْتَوْفَى حَقَّهُ مِنَ الرَّهْنِ الْمُجْبُوسِ تَحْتَ يَدِهِ مِنْ غَلَّتِهِ وَنَمَائِهِ إِنْ كَانَ، وَإِلَّا بَاعَهُ وَاسْتَوْفَى حَقَّهُ، وَمَا فَضِلَ رَدُّهُ عَلَى صَاحِبِهِ، وَإِنْ لَمْ يَفِ الرَّهْنُ بِكُلِّ الدَّيْنِ فَمَا بَقِيَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ الرَّاهِنِ.

٤ - الرَّهْنُ أَمَانَةٌ فِي يَدِ الْمُرْتَهِنِ، فَإِنْ تَلَفَ بِتَفْرِيطٍ مِنْهُ أَوْ تَعَدَّى ضَمِنَهُ وَإِلَّا فَلَا ضَمَانَ عَلَيْهِ وَيَبْقَى دَيْنُهُ فِي ذِمَّةِ الرَّاهِنِ.

٥ - يَجُوزُ وَضْعُ الرَّهْنِ تَحْتَ يَدِ أَمِينٍ غَيْرِ الْمُرْتَهِنِ، إِذُ الْعِبْرَةُ بِالِاسْتِثْقَاءِ وَهُوَ حَاصِلٌ عِنْدَ الْأَمِينِ.

٦ - لَوْ اشْتَرَطَ الرَّاهِنُ عَدَمَ بَيْعِ الرَّهْنِ عِنْدَ حُلُولِ الْأَجَلِ بَطُلَ الرَّهْنُ كَمَا لَوْ اشْتَرَطَ الْمُرْتَهِنُ أَنَّهُ مَتَى حَلَّ الْأَجَلُ وَلَمْ تَوْفِي دَيْنِي فَالرَّهْنُ لِي يَبْطُلَ الرَّهْنُ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يُغْلَقُ الرَّهْنُ، الرَّهْنُ لِمَنْ رَهَنَهُ، لَهُ غُنْمُهُ وَعَلَيْهِ غُرْمُهُ»^(٤).

(١) القرة.

(٣) السحار.

(٢) الشافعي والدرقايني وابن ماجه وهو حسن لكثرة طرقه.

(٤) ابن ماجه بسند حسن.

٧ - إذا اختلفَ الراهنُ والمرتهنُ في قَدَرِ الدَّيْنِ فالقولُ قولُ الراهنِ بيمينه إلا أن يجيءَ المرتهنُ ببيّنة. وإن اختلفا في الرهنِ فقالَ الراهنُ: رهنْتُكَ دابةً وابنتُها فقالَ المرتهنُ بل دابةٌ فقط، فالقولُ قولُ المرتهنِ بيمينه إلا أن يجيءَ الراهنُ ببيّنة على دعواه لقوله ﷺ: «البينةُ على المدعي واليمينُ على من انكر»^(١).

٨ - إن ادَّعى المرتهنُ ردَّ الرهنِ فأنكرَ الراهنُ فالقولُ قولُ الراهنِ بيمينه إلا أن يجيءَ المرتهنُ ببيّنة تُثبتُ ردّه.

٩ - للمرتهن أن يركبَ ما يركبُ من الرهنِ ويحلِبَ ما يحلبُ بقدرِ نفقتهِ على الرهنِ، وعليه أن يتحرى العدلَ في ذلك فلا ينتفعُ منه بأكثرَ من نفقتهِ عليه لقوله ﷺ: الظَّهْرُ يركبُ بنفقتهِ إذا كانَ مرهوناً، ولبنُ الدِّرِّ يشربُ بنفقتهِ إذا كانَ مرهوناً، وعلى الذي يركبُ ويشربُ النفقةَ»^(٢).

١٠ - إثمارُ الرهنِ كإجارةٍ وغلّةٍ ونسلٍ ونحوها للراهنِ، وعليه سقيُّه وجميعُ ما يحتاجُ إليه لبقائه، لقوله ﷺ: «الرهنُ لمن رهنه، له غنمه وعليه غرمه»^(٣).

١١ - إن أنفقَ المرتهنُ على الحيوانِ الرهنِ بدوْنِ استئذانِ الراهنِ فلا يرجعُ به على الراهنِ، وإن تعدّرَ استئذانهُ لبعدهِ مثلاً فلهُ مطالبتهُ إن أنفقَ ما أنفقَهُ بنيةِ الرجوعِ على الراهنِ، وإلا فلا، لأنَّ المتطوِّعَ لا يرجعُ بعمله.

١٢ - إن خربَ الرهنُ بأن كانَ داراً فعمّره المرتهنُ بدوْنِ إذنِ الراهنِ فلا شيءَ له يرجعُ به على الراهنِ إلا ما كانَ من آلةٍ كخشبٍ أو ججارةٍ؛ إذ يتعدّرُ نزْعُها فإنَّ له الرجوعَ بها على الراهنِ.

١٣ - إذا ماتَ الراهنُ أو أفلسَ فالمرتهنُ أحقُّ من سائرِ الغرماءِ، فإذا حلَّ الأجلُ باعهُ واستوفى منه دينه، وما فضِّلَ ردّه، وإن لم يفِ فهو أسوةٌ مع الغرماءِ في الباقي.

(١) البيهقي بإسناد صحيح وأصله في الصحيحين.

(٢) تقدم.

(٣) البخاري.

٤ - صُورَةُ كِتَابِهِ الرَّهْنِ :

بعدَ البسملةِ وحَمْدِهِ تَعَالَى .

أَقْرَفُ فُلَانٌ . . . أَنْ عَلَيْهِ دَيْنًا قَدَرُهُ كَذَا . . . لِفُلَانٍ ، وَأَنْ أَجَلَ هَذَا الدَّيْنِ هُوَ نِهَائِيَّةٌ سَنَةً أَوْ شَهْرٍ كَذَا . . . ، وَلِلْإِسْتِثْنَاءِ فَقَدْ رَهَنَ الْمُقَرَّرُ الْمَذْكُورُ تَحْتَ يَدِ الْمُضَرِّ لَهُ الْمَذْكُورِ ، تَوْثِيقَةً عَلَى الدَّيْنِ الْمَعِينِ أَعْلَاهُ ، مَا ذَكَرَ أَنَّهُ لَهُ وَبِيَدِهِ وَمَلِكِهِ إِلَى جِزْنِ هَذَا الرَّهْنِ وَهُوَ جَمِيعُ الدَّارِ الْفُلَانِيَّةِ ، أَوْ جَمِيعِ الشَّيْءِ الْفُلَانِي . . . رَهْنًا صَحِيحًا شَرْعِيًّا مُسْلَمًا مَقْبُوضًا بِيَدِ الْمَرْتَهِنِ ، فَقَبْلَ الْمَرْتَهِنِ الْمَذْكُورِ الرَّهْنُ قَبُولًا شَرْعِيًّا . وَذَلِكَ بِتَارِيخِ كَذَا . . .

د - الْوَكَالَةُ :

١ - تَعْرِيفُهَا : الْوَكَالَةُ اسْتِنَابَةُ الشَّخْصِ مَنْ يَنْوُبُ عَنْهُ فِي أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَجُوزُ فِيهَا النِّيَابَةُ كَالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالْمَخَاصِمَةِ وَنَحْوِهَا^(١) .

٢ - شُرُوطُهَا : يَشْتَرَطُ فِي كُلِّ مِنَ الْوَكِيلِ وَالْمُوَكَّلِ جَوَازُ التَّعَرُّفِ أَيْ التَّكْلِيفِ .

٣ - حُكْمُهَا : الْوَكَالَةُ جَائِزَةٌ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أَيْ الصَّدَقَةَ وَهُمْ وَكَلَاءُ الْإِمَامِ فِي جَمْعِ الزَّكَاةِ ، وَقَالَ تَعَالَى ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ الْكَهْفُ . فَقَدْ وَكَّلُوا أَحَدَهُمْ فِي شِرَاءِ الطَّعَامِ لَهُمْ ، وَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ لِأَنْتَيْسَ : «أَعْدُ يَا أَنْتَيْسُ إِلَى أَمْرَاءِ هَذَا فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمَهَا»^(٢) فَوَكَّلَ ﷺ أَنْتَيْسًا فِي التَّحْقِيقِ فِي الدَّعْوَى ثُمَّ فِي إِقَامَةِ الْحَدِّ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «وَكَّلَنِي النَّبِيُّ ﷺ فِي حِفْظِ زَكَاةِ رَمْضَانَ» وَقَالَ ﷺ لَجَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «إِذَا أَتَيْتَ وَكَيْلِي فَخُذْ مِنْهُ خَمْسَةَ عَشَرَ وَسَقَا ، وَإِنْ ابْتَغَى مِنْكَ آيَةً - أَيْ عَلَامَةً - فَضَعْ يَدَكَ عَلَى تَرْقُوتِكَ»^(٣) وَبَعَثَ ﷺ أَبَا رَافِعٍ مَوْلَاهُ وَرَجُلًا مِنْ

(١) لَا يَنْبَغِي تَوَكُّلَ الْكَافِرِ فِي أُمُورِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ خَشْيَةَ أَنْ يَتَعَاطَى مُحَرَّمًا ، كَمَا لَا يَنْبَغِي وَكَالَتَهُ فِي الْقَبْضِ مِنْ مُسْلِمٍ كَرَاهِيَةً أَنْ يَسْتَعْلِيَ عَلَيْهِ .

(٢) الْبَخَارِيُّ .

(٣) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالدِّرَاقُطْنِيُّ وَاسْنَادُهُ حَسَنٌ وَبَعْضُهُ فِي الْبَخَارِيِّ .

الأنصارِ فزَوْجَاهُ ميمونةَ بنتَ الحارثِ رضيَ اللهُ عَنْهَا وَهُوَ بالمدينةِ فوَكَّلَهُمَا في عقدِ النِّكَاحِ^(١).

٤ - أحكامُ الوَكَّالَةِ هِيَ :

١ - تُثَبَّتُ الوَكَّالَةُ بِكُلِّ قولٍ يَدُلُّ على الإِذْنِ ، فلا تُشْتَرَطُ لَهَا صِغَةً خاصَّةً .
٢ - تَصِحُّ الوَكَّالَةُ في كُلِّ حقٍّ شَخْصِيٍّ من . خُودِ كالْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالنِّكَاحِ وَالرَّجْعَةِ وَالْفُسُوحِ كَالطَّلَاقِ وَالْخُلْعِ ، كما تَصِحُّ في حَقوقِ اللَّهِ تعالى التي تَجُوزُ فيها النِّيَابَةُ كَتَفْرِيقِ الزَّكَاةِ وَكَالْحَجِّ عن مَيِّتٍ أو عَاجِزٍ .

٣ - تَصِحُّ الوَكَّالَةُ في إثْبَاتِ الحُدُودِ^(٢) وفي استيفائها، لقوله ﷺ : «أُعْذِرُ إِلَى امْرَأَةٍ هَذَا فَإِنْ اعْتَرَفَتْ فَأَرْجُمُهَا» .

٤ - لا تَصِحُّ الوَكَّالَةُ في القُرْبِ التي لا تَجُوزُ النِّيَابَةُ فيها كالصَّلَاةِ والصِّيَامِ ، كما لا تَصِحُّ في اللِّعَانِ وَالظُّهَارِ وَالْأَيْمَانِ وَالنَّذُورِ وَالشَّهَادَاتِ ، كما لا تَصِحُّ في كُلِّ مُحَرَّمٍ إِذْ ما لا يَجُوزُ فَعْلُهُ لا تَجُوزُ الوَكَّالَةُ فِيهِ .

٥ - تَبْطُلُ الوَكَّالَةُ بِفَسْخِ أَحَدِ الطَّرَفَيْنِ لَهَا أو بِمَوْتِ أَحَدِهِمَا أو جُنُونِهِ أو بَعْزِلِ الْمُوَكَّلِ لِلْوَكِيلِ .

٦ - فَمَنْ وُكِّلَ في بَيْعٍ أو شِرَاءٍ لا يَبِيعُ ولا يَشْتَرِي من نَفْسِهِ ولا من وَلَدِهِ ولا من زَوْجَتِهِ ولا مِنْ لا تَقْبَلُ شهادَتُهُ هُمْ لِأَنَّهُ يُتَّهَمُ بِالْمَحَابَاةِ لِلْقَرَابَةِ ، ومثْلُ الوَكِيلِ في هَذِهِ الْمُضَارِبِ وَالْوَصِيِّ وَالشَّرِيكَ وَالْحَاكِمُ وَنَاظِرُ الْوَقْفِ .

٧ - لا يَضْمَنُ الْوَكِيلُ ما ضَاعَ أو تَلَفَ إِذَا لم يَفْرِطْ أو يَتَعَدَّ فيما وُكِّلَ فِيهِ . وإن فَرَطَ أو تَعَدَّى فَعَلَيْهِ ضَمَانٌ ما أَضَاعَ أو أَتْلَفَ .

٨ - تَصِحُّ الوَكَّالَةُ الْمُطْلَقَةُ فيجُوزُ التَّوَكُّيلُ في سَائِرِ الْحَقُوقِ الشَّخْصِيَّةِ ، فَيَتَصَرَّفُ^(٤)

(١) مالك .

(٢) يشترط فقهاء السادة الأحناف حضور الموكل في استيفاء الحدود .

الوكيل في سائر الحقوق الشخصية للموكل إلا في مثل الطلاق؛ إذ لا بد فيه من إرادة المطلق وعزمه عليه.

٩- من عين له موكله شراء شيء لا يجوز له غيره، فمتى اشترى غير ما عين له فالموكل بالخيار في قبوله أو رده، وكذا إن اشترى له معيباً أو اشترى بغير ظاهر فإن الموكل يُخیر في ذلك بالأخذ أو الترك.

١٠- تصح الوكالة بأجرة، ويشترط فيها تحديد الأجرة وبيان العمل الموكل فيه.

هـ - صورة كتابتها:

بعد حمد الله تعالى.

لقد وكل فلان.. فلاناً وهما في صحتهما وكمال عقليهما وجواز أمرهما: أن يقوم له بكذا.. وقبل الموكل المذكور الوكالة وأقرها بعد أن أشهدا عليها فلاناً وفلاناً وذلك بتاريخ كذا..

هـ - الصلح:

١- تعريفه: الصلح عقد بين متخاصمين يتوصل به إلى حل الخلاف بينهما وذلك كأن يدعي شخص على آخر حقاً يعتقد أنه صاحبه فيقره المدعى عليه لعدم معرفته به فيصالحه على جزء منه اتقاء للخصومة واليمين التي تلزمه في حالة إنكاره.

٢- حكمه: الصلح جائز لقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصَالِحَا بَيْنَهُمَا إِلَّا صَلَاحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ النساء. وقول الرسول ﷺ «الصلح بين المسلمين جائز إلا صلحاً حرم حلالاً أو أحل حراماً»^(١).

٣- أقسامه: للصلح في الأموال ثلاثة أقسام وهي:

أ- الصلح على الإقرار: وهو أن يدعي شخص على آخر حقاً، فيقر له به فيعطيه المدعي شيئاً مصلحته حيث لم ينكر عليه حقّه، كأن يضع عنه بعض الدين

(١) أبو داود والترمذي وصححه.

الذي أقرَّ له به أو يهبه بعض العين الذي اعترفَ له بها، أو يُقرَّ له بدابةٍ فيعطيه ثوباً مثلاً.

ب - الصلح على الإنكار^(١): وهو أن يدعي شخص حقاً فينكر المدعى عليه ثم يُصلحه بإعطاء شيءٍ ليرك دعواه ويريد من الخصومة واليمين التي تلزمه عند الإنكار.

ج - الصلح على السكوت: وهو أن يدعي شخص على آخر حقاً فيسكت المدعى عليه فلا يُقر ولا ينكر فيصالح المدعي بشيء حتى يسقط دعواه ويترك مخاصمته.

٤ - أحكام الصلح هي:

١ - الصلح على الشيء المدعى بغير الأخذ منه كالبيع فيما يجوز وما يمتنع وفي سائر أحكام البيع من الرد بالعيب والخيار في الغبن والشفعة فيما لم يقسم، فلو ادعى شخص على آخر داراً فصالحه بثوب واشترط عليه أن لا يلبسه فلأنه لم يصح الصلح لأنه يكون كالبيع إذا اشترط فيه شرطٌ مخلٌ بالعقد، ولو ادعى عليه دنانير حالة فصالحه بدراهم مؤجلة لم يصح الصلح لأن الصرف يشترط فيه القبض في المجلس، ولو ادعى عليه بستاناً فصالحه بنصف دار، فإن الشريك في الدرا له الحق في المطالبة بالشفعة في النصف المصالح به. ولو صالحه بحيوانٍ على دعوى فوجده معيباً فهو مخير بين رده أو أخذه، وهكذا كل صلح كان من غير جنس المصطلح عليه فهو كالبيع في سائر أحكامه.

٢ - إذا كان أحد المتصالحين عالماً بكذب نفسه فالصلح باطل في حقه، وما أخذه بوجه الصلح فهو حرام عليه.

٣ - من اعترف بحقٍ وامتنع عن ادائه إلا بإعطائه شيئاً لم يحل له ذلك، كمن اعترف باللف دينارٍ عليه وامتنع عن أدائها إلا أن يوضع عنه خمسمائة منها، أمّا إذا لم

(١) الإمام الشافعي رحمه الله تعالى يرى عدم صحة صلح الإنكار خلافاً للجمهور.

يَشْتَرِطُ وَضَعَ شَيْءٍ مِنْهَا وَإِنَّمَا الْمُقَرَّرُ لَهُ تَبَرَّعَ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ بِشَفَاعَةِ آخَرٍ عِنْدَهُ فَاسْقَطَ شَيْئًا جَارَ لِلْمُقَرَّرِ أَخْذُهُ، وَذَلِكَ لِمَا صَحَّ «أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَلَّمَ غُرَمَاءَ جَابِرٍ لِيَضْعُوا عَنْهُ شَطْرَ دِينِهِ»^(١). كَمَا أَنَّ ابْنَ أَبِي حَزْرَدٍ تَقَاضَى كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ دَيْنَهُ فِي الْمَسْجِدِ فَارْتَفَعَتْ اصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حُجْرَتِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا ثُمَّ نَادَى يَا كَعْبُ، فَقَالَ كَعْبُ: لَبَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ ضَعِ الشَّطْرَ مِنْ دَيْنِكَ فَقَالَ قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «قُمْ فَأَعْطِهِ»^(٢).

٤ - لَوْ صَالَحَ شَرِيكُهُ فِي حَائِطٍ عَلَى أَنْ يَفْتَحَ نَافِذَةً أَوْ بَابًا فِيهِ بِعَوَضٍ مُعَيَّنٍ صَحَّ الصُّلْحُ لِأَنَّهُ كَالْبَيْعِ .

صورة كتابة الصلح :

بَعْدَ الْبِسْمِلَةِ الشَّرِيفَةِ وَحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ فَقَدْ صَالَحَ فُلَانٌ فُلَانًا عَمَّا ادَّعَاهُ مِنْ أَنَّهُ يَمْلِكُ وَيَسْتَحِقُّ الدَّارَ الْفُلَانِيَّةَ (يُصِفُهَا وَيُحَدِّدُهَا) الَّتِي هِيَ بَيْنَ الْمَدْعَى عَلَيْهِ فُلَانٍ، بَعْدَ تَنَازُعِهِمَا فِي عَيْنِ الدَّعْوَى، وَاعْتَرَفَ الْمُصَالِحُ الْأَوَّلُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا ادَّعَاهُ الثَّانِي . وَصَدَّقَهُ عَلَيْهِ التَّصَدِيقُ الشَّرْعِيُّ بِمَا مَبْلَغُهُ كَذَا مِنَ الدَّرَاهِمِ أَوْ بِمَا هُوَ كَذَا مِنَ الْأَشْيَاءِ مُصَالِحَةً شَرْعِيَّةً، رَضِيًّا وَاتَّفَقًا عَلَيْهَا وَتَدَاعِيًّا إِلَيْهَا، دَفَعَ الْمُصَالِحُ الْأَوَّلُ إِلَى الثَّانِي جَمِيعَ مَا صَالَحَهُ بِهِ، وَقَبَضَهُ قَبْضًا شَرْعِيًّا . وَأَقْرَأَ الْمُصَالِحَ الثَّانِي الْمَذْكُورُ أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ مَعَ الْمُصَالِحِ الْأَوَّلِ فِي هَذِهِ الدَّارِ الْمُصَالِحَ عَلَيْهِمْ حَقًّا وَلَا اسْتِحْقَاقًا، وَلَا دَعْوَى وَلَا طَلْبًا، وَلَا مُلْكًا وَلَا شُبْهَةَ مُلْكٍ وَلَا مَنَفْعَةً وَلَا اسْتِحْقَاقَ مَنَفْعَةٍ وَلَا شَيْئًا قَلًّا أَوْ كَثُرًا .

وَتَصَادَقَا عَلَى ذَلِكَ كِلَهُ تَصَادُقًا شَرْعِيًّا، ثُمَّ ذَلِكَ بِطَرِيقِ كَذَا . . .

المادة الثامنة: في إحياء الموات، وفضل الماء والأقطاع، والجمي:

أ - إحياء الموات :

١ - تعريفه: إحياء الموات هو أن يعمد المسلم إلى الأرض التي ليست ملكًا

(٢) البخاري .

(١) البخاري .

لِأَحَدٍ فَيَعْمَرُهَا بَغْرَسٍ شَجَرٍ فِيهَا، أَوْ بِنَاءٍ، أَوْ حَفْرِ بئرٍ فَتَخْتَصُّ بِهِ، وَتَكُونُ مُلْكًا لَهُ.

٢ - حَكْمُهُ: حَكْمُ إِحْيَاءِ الْمَوَاتِ الْجَوَازِ وَالْإِبَاحَةِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ»^(١).

٣ - أَحْكَامُهُ:

١ - لَا تَثْبُتُ مِلْكِيَّةُ الْأَرْضِ الْمَوَاتِ لِمَنْ أَحْيَاهَا إِلَّا بِشَرْطَيْنِ:

أَوَّلُهُمَا: أَنْ يَعْمَرَهَا حَقِيقَةً بَغْرَسٍ الشَّجَرِ، أَوْ بِنَاءٍ الدُّورِ، أَوْ حَفْرِ الْآبَارِ ذَاتِ الْمِيَاهِ فَلَا يَكْفِي فِي إِحْيَائِهَا أَنْ يَزْرَعَ فِيهَا زَرْعًا، أَوْ يَضَعَ عَلَيْهَا عَلَامَاتٍ أَوْ يَحْتَجِزَهَا بِحَاجِزٍ مِنْ شَوْكٍ وَنَحْوِهِ. وَإِنَّمَا يَكُونُ أَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِهِ فَقَطْ.

ثَانِيًا: أَنْ لَا تَكُونَ مَخْتَصَّةً بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ. وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا»^(٢).

٢ - إِذَا كَانَتْ الْأَرْضُ قَرِيبَةً مِنْ الْبَلَدِ أَوْ كَانَتْ دَاخِلَهُ فَلَا تَعْمُرُ إِلَّا بِإِذْنِ الْحَاكِمِ، إِذْ قَدْ تَكُونُ مِنَ الْمَرَافِقِ الْعَامَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ، فَيَتَأَذُّونَ بِامْتِلَاقِهَا وَتَعْمِيرِهَا.

٣ - لَا يُمْلِكُ الْمُعْدِنُ بِالْإِحْيَاءِ سِوَاءَ كَانَ مِلْحًا أَوْ نَفْطًا أَوْ غَيْرَهُمَا مِنَ الْمَعَادِنِ لَتَعْلُقِ مَصَالِحَ الْمُسْلِمِينَ الْعَامَّةِ بِهِ، فَقَدْ أَفْطَحَ النَّبِيُّ ﷺ مُعْدِنَ مِلْحٍ فَرَوَّجَعَ فِي ذَلِكَ، فَاسْتَرَدَّهُ مِمَّنْ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ^(٣).

٤ - مَنْ ظَهَرَ لَهُ فِيمَا أَحْيَاهُ مِنَ الْأَرْضِ مَاءٌ جَارٍ كَانَ أَحَقُّ بِهِ مِنْ غَيْرِهِ فَيَأْخُذُ مِنْهُ حَاجَتَهُ قَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ، وَمَا فَضِّلَ فَهُوَ لِلْمُسْلِمِينَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «النَّاسُ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي الْمَاءِ، وَالْكَلَالِ، وَالنَّارِ»^(٤).

[تَنْبِيهَاتٌ]:

● حَرِيمُ الْبئرِ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا كَانَتْ قَدِيمَةً وَإِنَّمَا اسْتَجَدَّ حَفْرَهَا فَقَطْ خَمْسُونَ

(١) أحمد الترمذي وصححه. (٣) رواه أبو داود والترمذي وحسنه.
(٢) البخاري. أحمد وأبو داود وصحح الحافظ إسناده.

ذِرَاعاً، وَإِنْ أَنْشَأَ حَفَرَهَا فَحَرِيمُهَا مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي حَوْلَهَا خَمْسَةُ وَعَشْرُونَ ذِرَاعاً، فَيَمْلِكُ صَاحِبُ الْبَرِّ هَذِهِ الْمَسَاحَةَ حَوْلَ بَيْتِهِ، إِذْ عَمِلَ بِذَلِكَ بَعْضُ السَّلَفِ وَلَمَّا رُوِيَ (حَرِيمُ الْبَرِّ مَدُّ رَشَائِهَا) ^(١).

● حَرِيمُ الشَّجَرَةِ أَوْ النَّخْلَةِ قَدْرُ امْتِدَادِ أَغْصَانِهَا أَوْ جَرِيدِهَا، فَمَنْ مَلَكَ شَجَرَةً فِي أَرْضٍ مَوَاتٍ لَهُ مَا حَوْلَهَا مِنَ الْأَرْضِ بِقَدْرِ طُولِ غُصْنِهَا وَجَرِيدَتِهَا، لَقَوْلِهِ ﷺ: «حَرِيمُ النَّخْلَةِ مَدُّ جَرِيدِهَا» ^(٢).

● حَرِيمُ الدَّارِ مَا يَتَسَعُّ حَوْلَهَا لَطَرِحُ كَنَاسَةٍ أَوْ إِنَاخَةِ إِبِلٍ أَوْ تَحْضِيرِ سَيَّارَةٍ فَمَنْ بَنَى دَاراً بِأَرْضٍ مَوَاتٍ كَانَ لَهُ مَا حَوْلَهَا مِمَّا يُسَمَّى مَرْفَقاً لَهَا عُرفاً.

ب - فَضْلُ الْمَاءِ :

١ - تعريفُهُ : المرادُ بفضْلِ الماءِ أَنْ يَكُونَ لِلْمُسْلِمِ مَاءٌ بئرٍ أَوْ نَهْرٍ يَزِيدُ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ فِي شُرْبِهِ وَسَقْيِهِ لَزَرْعِهِ أَوْ شَجَرِهِ.

٢ - حُكْمُهُ : حُكْمُ فَضْلِ الْمَاءِ الزَّائِدِ عَنِ الْحَاجَةِ، أَنْ يُبَدَلَ لِلْمَحْتَاجِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَلَا ثَمَنٍ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يُبَاعُ فَضْلُ الْمَاءِ لِيُبَاعَ بِهِ الْكَلَاءُ» ^(٣). وَقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يُمْنَعُ فَضْلُ الْمَاءِ لِيُمنَعَ بِهِ الْكَلَاءُ» ^(٤).

٣ - أَحْكَامُهُ : أَحْكَامُ فَضْلِ الْمَاءِ هِيَ :

١ - لَا يَتَعَيَّنُ بِذَلِكَ الْمَاءِ الزَّائِدُ إِلَّا بَعْدَ الْاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ.

٢ - أَنْ يَكُونَ الْمُبْدُولُ إِلَيْهِ مُحْتَاجاً إِلَيْهِ.

٣ - أَنْ لَا يَلْحَقَ صَاحِبُهُ ضَرَرٌ بِبَذْلِهِ بَوَاجِهِ مِنَ الْوُجُوهِ.

(١) ابن ماجة وسنده ضعيف، والرشاء، هو الحبل.

(٢) ابن ماجة وسنده ضعيف.

(٣) مسلم.

(٤) متفق عليه بلفظ «لا تمنعوا فضل الماء ليمنع به الكلاء» لأنهم كانوا على عهد النبي ﷺ. يسمعون الرعاة من سقي ماشيتهم ليتبعدوا عنهم فيبقى لهم العشب خالصاً لهم.

جـ - الإقطاع:

١ - تعريفه: الإقطاع، هُوَ أَنْ يَقْطَعَ الْحَاكِمُ مِنَ الْأَرْضِ الْعَامَّةِ الَّتِي لَيْسَتْ مِلْكاً لِأَحَدٍ قِطْعَةً يَنْتَفِعُ بِهَا فِي زَرْعٍ أَوْ غَرْسٍ أَوْ بِنَاءٍ اسْتِغْلَالاً أَوْ تَمْلِكاً.

٢ - حكمه: الإقطاع جائز للإمام المسلم من دون غيره من الناس، إِذْ قَدْ أَقْطَعَ النَّبِيُّ ﷺ^(١)، وَأَقْطَعَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَعَمَرُ وَغَيْرُهُمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٣ - أحكامه:

١ - أَنْ لَا يَقْطَعَ غَيْرُ الْإِمَامِ، إِذْ لَيْسَ لِأَحَدٍ التَّصَرُّفُ فِي الْأَمْلاكِ الْعَامَّةِ غَيْرُهُ.

٢ - أَنْ لَا يَقْطَعَ مَنْ يَقْطَعُهُ أَكْثَرُ مِمَّا يَقْدِرُ عَلَى إِحْيَائِهِ وَتَعْمِيرِهِ.

٣ - مَنْ أَقْطَعَهُ الْإِمَامُ أَرْضاً ثُمَّ عَجَزَ عَنْ تَعْمِيرِهَا، اسْتَرَدَّهَا الْإِمَامُ مِنْهُ مَحَافِظَةً عَلَى الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ.

٤ - لِلْإِمَامِ أَنْ يَقْطَعَ إِقْطَاعَ إِرْفَاقٍ مِنْ شَاءَ مِنَ الرِّعَايَا، مَجَالِسَ اللَّبَيْعِ فِي الْأَسْوَاقِ وَالسَّاحَاتِ الْعَامَّةِ وَالشُّوَارِعِ الْوَاسِعَةِ، إِنْ لَمْ يَحْصُلْ بِذَلِكَ ضَرَرٌ لِعَامَّةِ النَّاسِ. وَلَا يَمْلِكُ الْمُقْطُوعُ لَهُ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يَكُونُ أَحَقُّ بِهِ مِنْ غَيْرِهِ فَقَطْ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ سَبَقَ إِلَى مَا لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ مُسْلِمٌ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ»^(٢).

٥ - لَيْسَ لِمَنْ أَقْطَعَهُ الْإِمَامُ مَجْلِساً، أَوْ سَبَقَ إِلَيْهِ بِدُونِ إِقْطَاعٍ، أَنْ يَضُرَّ بِأَحَدٍ، بَأَنْ يَحْجُبَ عَنْهُ الثُّورَ، أَوْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُشْتَرِينَ أَنْ يَرَوْا بِضَاعَتَهُ الْمَعْرُوضَةَ لِلْبَيْعِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ».

[تنبيه]: إِذَا سَالَ الْوَادِي انْتَفَعَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ الْأَعْلَى فَالْأَعْلَى حَتَّى تَنْتَهِيَ الْمَزَارِعُ الْمَرَادُ سَقِيَّتُهَا أَوْ يَنْتَهِيَ مَاءُ السَّيْلِ، وَالْمَزَارِعُ الْمَتَسَاوِيَةُ فِي الْقُرْبِ مِنْ أَوَّلِ

(١) متفق عليه بلفظ: «كنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهو مني علو، ثم لي فرسخ». والمتكلمة بهذا أسماء بنت أبي بكر امرأة الزبير رضي الله عنهم أجمعين.

(٢) رواه أبو داود، وصححه الضياء في المختارة.

السَّيْلُ يُقَسَّمُ بَيْنَهُمُ السَّيْلُ بِحَسَبِ كَبَرِ الْمَزَارِعِ وَصَغَرِهَا، وَإِنْ تَشَاحُّوا أُقْرِعَ بَيْنَهُمْ. وَذَلِكَ لِمَا رَوَى ابْنُ مَاجَةَ عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَضَى فِي شَرْبِ النَّخْلِ مِنَ السَّيْلِ أَنَّ الْأَعْلَى قَبْلَ الْأَسْفَلِ، وَيُتْرَكُ الْمَاءُ إِلَى الْكُعْبَيْنِ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَاءُ إِلَى الْأَسْفَلِ الَّذِي يَلِيهِ، وَهَكَذَا حَتَّى تَنْقُضِيَ الْحَوَائِطُ، أَوْ يَفْنَى الْمَاءُ. وَلِقَوْلِهِ ﷺ: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ ارْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ»^(١).

د - الْجِمَى :

١ - تعريفه: الْجِمَى هُوَ الْأَرْضُ الْمَوَاتُ تُحْمَى مِنَ الرَّعْيِ فِيهَا لِيَكْثُرَ عُشْبُهَا فَتَرْعَاهَا بِهَائِمٍ خَاصَّةً.

٢ - حُكْمُهُ: لَا يُجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْمِيَ مِنَ الْأَرَاذِي الْعَامَّةِ لِلْمُسْلِمِينَ ذِرَاعاً فَأَكْثَرَ إِلَّا الْإِمَامَ إِذَا كَانَ ذَلِكَ لِمَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا جِمَى إِلَّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ»^(٢). فَقَدْ أَفَادَ الْحَدِيثُ أَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْمِيَ إِلَّا اللَّهَ وَرَسُولُهُ أَوْ خَلِيفَتُهُمَا، وَهُوَ الْإِمَامُ كَمَا يُفِيدُ أَنَّ الْإِمَامَ لَا يَحْمِيَ لغيرِ الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ، لِأَنَّ مَا كَانَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ يُنْفَقُ دَائِماً فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ، كَالْخُمْسِ مِنَ الْغَنَائِمِ وَالْفَيْءِ وَخُمْسِ الرِّكَازِ وَنَحْوِهَا. فَقَدْ حَمَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّقِيعَ لِإِبِلِ وَخَيْلِ الْجِهَادِ^(٣) كَمَا حَمَى عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرْضاً، وَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: «الْمَالُ مَالُ اللَّهِ، وَالْعِبَادُ عِبَادُ اللَّهِ، وَاللَّهُ.. وَاللَّهُ.. نَوْلَا مَا أَحْمَلُ عَلَيْهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا حَمَيْتُ مِنَ الْأَرْضِ شِبْرًا فِي شِبْرٍ»^(٤).

٣ - أَحْكَامُهُ، لِلْجِمَى أَحْكَامٌ هِيَ :

١ - لَا يَحْمِيَ إِلَّا خَلِيفَةُ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامُهُمْ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا جِمَى إِلَّا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ»^(٥).

(١) البخاري .

(٢) البخاري بلفظ آخر .

(٣) تقدم .

(٤) (٢، ٣) البخاري .

٢ - لا يُحْمَى من الأرض إلا الموات التي ليست ملكاً لأحد.

٣ - لا يحمي الخليفة لخاصة نفسه، بل لمصالح المسلمين العامة.

٤ - يلحق بالقياس ما تحمي الدولة من بعض الجبال لتنمية الأشجار في الغابات، فيُنظر في ذلك، فإذا كان يُحقّق مصلحة راجحة للمسلمين أقرّت الحكومة على ذلك، وإذا بان أنه أضرّ بالمسلمين ولم يحقّق لهم فائدة راجحة، فلا تُقرّ عليه إذ لا حمى إلا لله ولرسوله ﷺ.

الفصل الرابع

في جُمْلَةِ أَحْكَامِ

وفيه تسع مواد:

المادة الأولى: في القرض:

١ - تعريفه: القرض لغة هو القطع، وشرعاً: دفع مالٍ لمن ينتفع به، ثم يردُّ بذله، وذلك كأن يقول محتاج لمن يصح تبرُّعه: أقرضني أو أسلفني كذا من مالٍ أو متاعٍ أو حيوانٍ مدة ثم أردُّه عليك، فيفعل.

٢ - حكمه: القرض مستحب بالنسبة للمقرض، لقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً، فيضاعفه له وله أجرٌ كريمٌ﴾^(١). وقوله ﷺ «من نفس عن أخيه كربةً من كرب الدنيا نفس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة»^(٢). وأما بالنسبة للمقرض فهو جائز مباح لا حرج فيه؛ إذ قد استقرض رسول الله ﷺ بكراً من الإبل وردَّ جملاً خياراً، وقال: «إِنَّ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَحْسَنَهُمْ قِضَاءً»^(٣).

٣ - شروطه، شروط القرض هي:

١ - أن يعرف قدر القرض بكيلٍ أو وزنٍ أو عددٍ.

٢ - أن يعرف وصفه وسنُّه إن كان حيواناً.

٣ - أن يكون القرض ممن يصح تبرُّعه، فلا يصح ممن لا يملك ولا من غير

رشيده.

(٣) البخاري.

(٢) مسلم.

(١) الحديد.

٤ - أَحْكَامُهُ، لِلْقَرْضِ أَحْكَامٌ هِيَ :

١ - أَنْ يُمْلِكَ الْقَرْضُ بِالْقَبْضِ، فَمَتَى قَبْضُهُ الْمُسْتَقْرَضُ مَلَكَهُ وَأَصْبَحَ فِي ذِمَّتِهِ .

٢ - يَجُوزُ الْقَرْضُ إِلَى أَجَلٍ، وَكَوْنُهُ بِدُونِ أَجَلٍ أَحْسَنُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِرْفَاقِ بِالْمُسْتَقْرَضِ .

٣ - إِنْ بَقِيَتِ الْعَيْنُ كَمَا كَانَتْ يَوْمَ الْاِقْتِرَاضِ رُدَّتْ، وَإِنْ تَغَيَّرَتْ بِنَقْصٍ أَوْ زِيَادَةٍ رُدَّ مِثْلُهَا إِنْ كَانَ لَهَا مِثْلٌ وَإِلَّا فَمَقْدُومَتُهَا .

٤ - إِنْ كَانَ الْقَرْضُ لَا مُؤَوَّنَةً فِي حَمْلِهِ جَازَ وَفَاؤُهُ فِي أَيِّ مَكَانٍ أَرَادَ الْمُقْرَضُ وَإِلَّا فَإِنَّهُ لَمْ يَلْزَمْ الْمُقْتَرِضَ وَفَاؤُهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ .

٥ - يَحْرُمُ أَيُّ نَفْعٍ يَجْرُهُ الْقَرْضُ لِلْمُقْرَضِ، سَوَاءً كَانَ بِزِيَادَةٍ فِي الْقَرْضِ أَوْ بِتَجْوِيدِهِ أَوْ بِنَفْعٍ آخَرَ خَرَجَ عَنِ الْقَرْضِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ بِشَرْطٍ وَتَوَاطَوْا بَيْنَهُمَا، أَمَّا إِذَا كَانَ مَجْرَدَ إِحْسَانٍ مِنَ الْمُقْتَرِضِ فَلَا بَأْسَ، إِذْ أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَمَلًا خِيَارًا رُبَاعِيًّا فِي بَكْرِ صَغِيرٍ، وَقَالَ: إِنْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ أَحْسَنَهُمْ قَضَاءً^(١).

المادة الثانية: في الوديعة:

١ - تعريفها: الوديعة ما يُودَعُ - أي يُتْرَكُ - مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ لَدَى مَنْ يَحْفَظُهُ لِيَرُدَّهُ إِلَى مُودِعِهِ مَتَى تَطَلَّبَهُ .

٢ - حائنها: الوديعة مشروعة بقولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ﴾^(٢). وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾^(٣). ويقولِ الرَّسُولُ ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ لِمَنْ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»^(٤). إِذْ الْوَدِيعَةُ مِنْ جِنْسِ الْأَمَانَاتِ، وَحُكْمُ الْوَدِيعَةِ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ فَقَدْ يَكُونُ قَبُولُهَا وَاجِبًا

(٣) النساء .

(١) البخاري .

(٤) أبو داود والترمذي وحسنه .

(٢) البقرة .

على المسلم، وذلك إذا اضطرَّ إليه مسلم في حفظ ماله، بأن لم يجد من يحفظه له سواه. وقد يكون مستحباً فيما إذا طُلب منه حفظ شيء وهو يأنس من نفسه القدرة على حفظه، إذ هذا من باب التعاون على البرِّ المأمور به في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(١). وقد يكون قبول الوديعة مكروهاً. وذلك فيما إذا كان الشخص عاجزاً عن حفظها.

٣ - أحكامها:

١ - أن يكون كل من المودع عنده مكلِّفاً رشيداً، فلا يُودع الصبي والمجنون، ولا يُودع عندهما.

٢ - لا ضمان على المودع عنده إذا تلفت الوديعة بدون تعدٍّ منه أو تفريطٍ لقوله ﷺ: «لَا ضَمَانَ عَلَى مُؤْتَمِنٍ»^(٢). وقوله ﷺ: «مَنْ أُوْدِعَ وَدِيعَةً فَلَا ضَمَانَ عَلَيْهِ»^(٣).

٣ - لكل من المودع والمودع عنده ردُّ الوديعة متى شاء.

٤ - لا يجوز للمودع عنده أن ينتفع بالوديعة بأيِّ وجه من وجوه النفع إلا بإذن صاحِبها ورضاه.

٥ - إذا اختلف في ردِّ الوديعة فالقول قول المودع عنده بيمينه، إلا أن يأتي المودع ببينة تُثبت عدم ردها إليه.

٤ - كيفية كتابتها:

أ - صورة كتابة الإيداع:

أقرَّ فلانٌ . . . أنه قبضَ وتسلمَ من فلانٍ . . . مبلغَ كذا . . . على سبيل الإيداع.

(١) المائدة.

(٢) الدارقطني وفي إسناده ضعف، والجهامير على العمل به.

(٣) ابن ماجه وفي سنده ضعف. ومعنى الحديث: أن من أودع وديعة فتلقت بغير جناية أو تفريط فلا ضمان عليه.

الشرعيّ مُلتزماً حَفَظَ هَذِهِ الْوَدِيعَةَ وَصَوَّنَهَا فِي حِرْزٍ مِثْلَهَا فِي الْمَكَانِ الَّذِي أَمَرَهُ الْمُوَدِّعُ أَنْ يَضَعَهَا فِيهِ. وَحَضَرَ الْمُوَدِّعُ الْمَذْكُورُ وَصَدَّقَ عَلَى ذَلِكَ التَّصْدِيقِ الشَّرْعِيِّ.

ب - كِتَابَةُ الرَّدِّ:

أَقْرَفُ فُلَانٌ أَنَّهُ قَبِعُضَ وَتَسَلَّمَ مِنْ فُلَانٍ... مَا مَبْلُغُهُ كَذَا... قَبِضًا شَرْعِيًّا وَصَارَ عَذْلِكَ إِلَيْهِ وَبَيْدِهِ وَحَوَزَتِهِ، وَعَذْلِكَ هُوَ الْقَدْرُ الَّذِي كَانَ الْعَقَابِضُ الْمَذْكُورُ أَوْدَعَهُ عِنْدَ الْمَقْبُوضِ مِنْهُ قَبْلَ تَارِيخِهِ، وَلَمْ يُؤْجَرْ لَهُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ قَلٌّ أَوْ كَثْرٌ، وَصَدَقَهُ الدَّافِعُ الْمَذْكُورُ عَلَى ذَلِكَ تَصْدِيقًا شَرْعِيًّا. تَمَّ ذَلِكَ بِتَارِيخٍ كَذَا...

المادة الثالثة في العارية:

١ - تعريفها: العارية هي الشيء يُعْطَى لِمَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ زَمَنًا ثُمَّ يَرُدُّهُ، كَأَن يَسْتَعِيرَ مُسْلِمٌ مِنْ آخَرَ قَلَمًا يَكْتُبُ بِهِ أَوْ ثَوْبًا يَلْبَسُهُ ثُمَّ يَرُدُّهُ.

٢ - حكمها: العارية مشروعة بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ وقوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾. وبقوله ﷺ: «بَلْ عَارِيَةٌ مِثْلُ هَذِهِ». قَالَ ذَلِكَ لَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةٍ لَمَّا اسْتَعَارَ مِنْهُ أَذْرُعًا، وَقَالَ: أَغْضَبَا يَا مُحَمَّدٌ؟^(١). وبقوله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبٍ إِبِلٍ وَلَا بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّهَا إِلَّا أُقْعِدَ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَقَاعٌ قَرَقِرَ^(٢) تَطَوُّهُ ذَاتُ الظِّلْفِ بِظِلْفِهَا، وَتَنْطَحُهُ ذَاتُ الْقَرْنِ بِقَرْنِهَا، لَيْسَ فِيهَا يَوْمئِذٍ جَمَاءٌ وَلَا مَكْسُورَةٌ الْقَرْنِ. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا حَقُّهَا قَالَ: إِطْرَاقُ فَحْلِهَا، وَإِعَارَةُ ذَلْوِهَا، وَمِنْحَتُهَا وَحْلُهَا عَلَى الْمَاءِ، وَحَمْلُ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(٣). وَحُكْمُهَا الْاسْتِحْبَابُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾. وَقَدْ تَكُونُ وَاجِبَةً عَلَى مَنْ اضْطُرَّ إِلَيْهِ مُسْلِمٌ فِي اسْتِعَارَةِ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَهُوَ عَنْهُ فِي غِنًى، وَأَخُوهُ الْمُسْلِمُ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ.

٣ - أحكامها، أحكام العارية هي:

١ - لَا يُعَارَ إِلَّا شَيْءٌ مَبَاحٌ، فَلَا تُعَارَ جَارِيَةٌ لِلوُطْءِ، وَلَا مُسْلِمٌ لخدمَةِ كَافِرٍ، وَلَا

(١) أبو داود وأحمد النسائي وصححه الحاكم.

(٣) البخاري.

(٢) القرقر: المستوي على الأرض.

طَيِّبٌ أَوْ ثَوْبٌ لِمَحْرَمٍ، إِذِ التَّعَاوُنُ عَلَى الْإِثْمِ حَرَامٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى

الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

٢ - إِنْ اشْتَرَطَ الْمَعِيرُ الضَّمَانَ لِعَارِيَّتِهِ ضَمِنَهَا الْمُسْتَعِيرُ إِنْ أَتْلَفَهَا، لِقَوْلِهِ ﷺ: «الْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ»^(١). وَإِنْ لَمْ يَشْتَرَطْ وَتَلَفَتْ بَدُونِ تَعَدٍّ وَلَا تَفْرِيطٍ فَلَا يَجِبُ ضَمَانٌ، وَلَكِنَّهُ يَسْتَحِبُّ ضَمَانُهَا، لِقَوْلِهِ ﷺ لِأَحَدَى نِسَائِهِ وَقَدْ كَسَرَتْ آيَةَ طَعَامٍ: «طَعَامٌ بِطَعَامٍ، وَآيَةٌ بَأَيَّةٍ»^(٢). وَإِنْ تَلَفَتْ بِتَعَدٍّ أَوْ تَفْرِيطٍ ضَمِنَتْ بِمِثْلِهَا أَوْ قِيمَتِهَا، لِقَوْلِهِ ﷺ: «عَلَى الْيَدِ مَا أَخَذْتَ حَتَّى تُؤَدِّيَهُ».

٣ - عَلَى الْمُسْتَعِيرِ مَوْئِنَةُ الْعَارِيَةِ عِنْدَ رَدِّهَا كَأَنَّكَ لَا تَحْمِلُ إِلَّا بِحَامِلٍ أَوْ بِأَجْرَةٍ سَيَّارَةٍ مِثْلًا، لِقَوْلِهِ ﷺ: «عَلَى الْيَدِ مَا أَخَذْتَ حَتَّى تُؤَدِّيَهُ»^(٣).

٤ - لَا يَجُوزُ لِلْمُسْتَعِيرِ أَنْ يُؤْجَرَ مَا اسْتَعَارَهُ. أَمَّا إِعَارَتُهُ فَلَا بَأْسَ إِنْ كَانَ يَتَحَقَّقُ رِضَا الْمَعِيرِ لَهُ، وَإِلَّا فَلَا.

٥ - إِنْ أَغَارَ حَائِطًا لَوْضَعِ خُشْبٍ مِثْلًا، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ فِي عَارِيَّتِهِ حَتَّى يَسْقُطَ الْجِدَارُ، وَكَذَا مِنْ أَغَارَ أَرْضًا لِلزَّرَاعَةِ فَلَا يَرْجِعُ حَتَّى يُحْصَدَ الزَّرْعُ، لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْإِضْرَارِ بِالْمُسْلِمِ وَهُوَ حَرَامٌ.

٦ - مَنْ أَغَارَ عَارِيَةً إِلَى أَجَلٍ يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ لَا يَطْلُبَ رَدَّهَا إِلَّا بَعْدَ نِهَايَةِ الْأَجَلِ.

٤ - كَيْفِيَّةُ^(٤) كِتَابَتِهَا:

أَغَارَ فُلَانٌ... فُلَانًا... مَا ذَكَرَ أَنَّهُ لَهُ وَبِيَدِهِ وَتَحْتَ تَصَرُّفِهِ، وَذَلِكَ جَمِيعُ الدَّارِ الْفُلَانِيَّةِ أَوْ الْغُرْسِ الْفُلَانِيِّ أَوْ الثَّوْبِ كَذَا... عَلَى أَنْ يَسْكُنَ أَوْ يَلْبَسَ أَوْ يَرْكَبَ هَذَا الْمَذْكُورَ إِلَى مَدَّةٍ كَذَا... أَوْ مَسَافَةٍ كَذَا... عَارِيَةً صَحِيحَةً جَائِزَةً مَضْمُونَةً مَرْدُودَةً مُؤَدَّاةً، وَسَلَّمْ فُلَانٌ الْمَعِيرُ إِلَى فُلَانٍ الْمُسْتَعِيرِ الدَّابَّةَ الْمَذْكُورَةَ فَتَسَلَّمَهَا تَسْلَمًا شَرْعِيًّا

(١) أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ. (٣) أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ.

(٢) الْبُخَارِيُّ. (٤) لَا فَرْقَ بَيْنَ لَفْظِ كَيْفِيَّةٍ وَصُورَةٍ أَوْ انْمَوْذَجٍ.

وصارت بيده على الحكم المشروح أعلاه قيل كل منهما ذلك من الآخر قبولاً شرعياً وذلك بتاريخ كذا .

المادة الرابعة: في الغضب:

١ - تعريفه: الغضب هو الاستيلاء على مال الغير قهراً بغير حق، وذلك كأن يستولي أحد على دار أحد فيسكنها أو دابة أحد فيركبها.

٢ - حكمه: الغضب محرم لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾^(١). وقول الرسول ﷺ: «أَلَا إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ». وقوله ﷺ: «من اقتطع من الأرض شبراً ظُلماً طُوقَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ» وقوله ﷺ: «لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا عَنْ طِيبِ نَفْسِهِ»^(٢).

٣ - أحكامه: أحكام الغضب هي:

- ١ - تأديب الغاصب لحق الله تعالى بسجنه أو ضربه زجراً له ولا مثاله.
- ٢ - يجب على الغاصب رد ما اغتصبه، وإن تلف في يده ضمنه بمثله إن كان له مثل أو بقيمته.
- ٣ - من اغتصب شيئاً فأصابه بغيب فوّت على صاحبه الغرض منه رد مثله وأخذ ما اغتصبه وأعابه، وإن تعدّر، رده وقيمة النقص معه.
- ٤ - غلّة المغصوب تردّ معه كاملة، وذلك كنتاج الحيوان أو غلّة الأشجار أو أجره الدابة مثلاً.

٥ - أن كان المغصوب أرضاً فبنى فيها الغاصب أو غرس لزمه هدم البناء وقلع الأشجار وإصلاح الأرض التي فسدت بالبناء أو الغرس، وإن شاء ترك ما بناه أو

(١) البقرة.

(٢) الدارقطني وله شاهد قوي وهو «لا يحل لامرئ أن يأخذ عصا أخيه بغير طيب نفس منه». ورواه ابن حبان والحاكم في صحيحهما. عن أبي حميد عن أنس عنه ﷺ.

غَرِسُهُ، وَأَخَذَ قِيمَتَهُ أَنْقَاضاً وَذَلِكَ إِنْ رَضِيَ صَاحِبُ الْأَرْضِ بِهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَيْسَ لِعَرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ»^(١).

٦ - إِذَا اتَّجَرَ الْغَاصِبُ بِمَا غَصَبَهُ فَرَيْحَ رَدَّهَ مَعَ الرَّيْحِ .

٧ - إِذَا اخْتَلَفَ الْغَاصِبُ وَصَاحِبُ الشَّيْءِ فِي قِيمَةِ الْمَغْصُوبِ أَوْ صِفَتِهِ، فَالْقَوْلُ قَوْلُ الْغَاصِبِ بِمِثْلِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بَيِّنَةٌ لَصَاحِبِ الشَّيْءِ الْمَغْصُوبِ .

٨ - مَنْ أَتْلَفَ مَالَ غَيْرِهِ بِغَيْرِ إِذْنِ صَاحِبِهِ وَجَبَ عَلَيْهِ ضَمَانُهُ، وَذَلِكَ كَأَنْ يُحْرِقَهُ أَوْ يَمْزِقَهُ أَوْ يَفْتَحَ بَاباً مَغْلَقاً أَوْ قَفْصاً أَوْ وَكَاءً أَوْ رِبَاطاً فَيَتَقَلَّتْ مَا كَانَ دَاخِلَ الْبَيْتِ أَوْ الْقَفْصِ .

٩ - الْكَلْبُ الْعَقُورُ يَفْرِطُ صَاحِبُهُ فِي رِبْطِهِ فَيَأْكُلُ شَخْصاً يَجِبُ عَلَيْهِ ضَمَانُهُ .

١٠ - الدَّابَّةُ تَرْسَلُ لَيْلاً فَتُتْلَفُ زَرْعاً، عَلَى صَاحِبِهَا ضَمَانُهُ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنْ عَلَى أَهْلِ الْأَمْوَالِ حَفَظُهَا بِالنَّهَارِ وَمَا أَفْسَدَتْ بِاللَّيْلِ فَهُوَ مَضْمُونٌ عَلَيْهِمْ»^(٢).

١١ - الدَّابَّةُ بَدُونِ رَاكِبٍ أَوْ سَائِقٍ تُتْلَفُ شَيْئاً فَلَا ضَمَانَ فِيهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «الْعَجَمَاءُ جُبَارٌ»، أَيْ هَذَرٌ بَاطِلٌ. وَكَذَا إِنْ كَانَتْ مَرْكُوبَةً وَأَتْلَفَتْ بِرَجُلِهَا، لِقَوْلِهِ ﷺ: «رَجُلُ الْعَجَمَاءِ جُبَارٌ، أَمَّا مَا تُتْلَفُ بِفِيهَا أَوْ بِبَيْدِهَا، فَمَضْمُونٌ إِذَا كَانَتْ مَرْكُوبَةً»^(٣).

المادة الخامسة: في اللَّقْطَةِ وَاللَّقِيطِ :

أ - اللَّقْطَةُ :

١ - تَعْرِيفُهَا: اللَّقْطَةُ هِيَ الشَّيْءُ الْمَلْتَقِطُ مِنْ مَوْضِعٍ غَيْرِ مَمْلُوكٍ لِأَحَدٍ، وَذَلِكَ كَأَنْ يَجِدَ الْمُسْلِمُ بِطَرِيقٍ مَا دَرَاهِمَ أَوْ دِينَاراً فَيَخَافُ ضَيَاعَهَا فَيَلْتَقِطُهَا.

٢ - حِكْمُهَا: يَجُوزُ التَّقَاطُ اللَّقْطَةِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَمَّا سُئِلَ عَنْهَا: «اعْرِفْ عِفَاصَهَا

(١) أبو داود والدرقايني وبه العمل عند بعض أهل العلم، هكذا قال الترمذي.

(٢) أبو داود وأحمد وابن ماجه.

(٣) أبو داود وهو معلول.

وَوَكَاءَهَا، ثُمَّ عَرَفَهَا سَنَةً فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا وَإِلَّا فَشَأْنُكَ». وَسُئِلَ عَنْ ضَالَّةِ الْغَنَمِ فَقَالَ: «خَذَهَا فِيهِ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذَّنْبِ»^(١). غَيْرَ أَنَّهُ يَسْتَحَبُّ الِاتِّقَاطُ لِمَنْ يَثِقُ بِأَمَانَةِ نَفْسِهِ، وَيُكْرَهُ لِمَنْ لَا يَثِقُ فِي أَمَانَتِهَا، إِذْ تَعْرِضُ أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ لِلتَّلْفِ لَا يَجُوزُ.

٣ - أَحْكَامُهَا، أَحْكَامُ اللَّقْطَةِ هِيَ:

١ - إِنْ كَانَتْ اللَّقْطَةُ تَافَهُةً بِحَيْثُ لَا تَتَّبَعُهَا هِمَّةُ أَوْسَاطِ النَّاسِ، وَذَلِكَ كَالْتَمَرَةِ وَحَبَّةِ الْعَنْبِ أَوْ الْخَرْقَةِ الْبَالِيَةِ، أَوْ السُّوْطِ وَالْعَصَا فَإِنَّهُ لَا بَأْسَ بِالتَّقَاطُطِ وَلَمْ يَلْتَقِطْهَا الْإِنْتِفَاعُ بِهَا فِي الْحَالِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ تَعْرِيفُهَا وَلَا الْإِحْتِفَاطُ بِهَا، وَذَلِكَ لِقَوْلِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رَخَّصَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَصَا وَالسُّوْطِ وَالْحَبْلِ وَأَشْبَاهِهِ يَلْتَقِطُهُ الرَّجُلُ فَيَنْتَفِعُ بِهِ»^(٢).

٢ - إِنْ كَانَتْ اللَّقْطَةُ مِمَّا تَتَّبَعُهَا هِمَّةُ أَوْسَاطِ النَّاسِ وَجَبَ عَلَى مُلْتَقِطِهَا أَنْ يَعْرِفَهَا سَنَةً كَامِلَةً، يُعْلِنُ عَنْهَا عِنْدَ أَبْوَابِ الْمَسَاجِدِ وَفِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْعَامَّةِ أَوْ بِوَسْطَةِ الصَّحَافَةِ وَالْإِذَاعَةِ، فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا وَعَرَفَ وَعَاءَهَا أَوْ عَدَدَهَا وَصِفَاتِهَا أَعْطَاهُ إِيَّاهَا، وَإِنْ لَمْ يَجِءْ بَعْدَ الْحَوْلِ الْكَامِلِ انْتَفَعَ بِهَا أَوْ تَصَدَّقَ إِنْ شَاءَ، وَلَكِنْ بَنِيَّةٌ ضَمَانُهَا لَوْ جَاءَ صَاحِبُهَا يَوْمًا يَطْلُبُهَا.

٢ - لَقْطَةُ الْحَرَمِ، أَيِ (مَكَّةَ) لَا يَجُوزُ التَّقَاطُطُ إِلَّا إِذَا خِيفَ ضَيَاعُهَا، وَمِنْ التَّقِطِ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعْرِيفُهَا مَا دَامَ بِالْحَرَمِ، وَإِذَا خَرَجَ سَلَّمَهَا إِلَى الْحَاكِمِ وَلَيْسَ لَهُ تَمْلُكُهَا لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَامٌ، لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهُ، وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهُ وَلَا تَلْتَقِطُ لَقِطَتُهُ إِلَّا لِمَعْرِفٍ».

٤ - لَقْطَةُ الْحَيَوَانِ، وَتُسَمَّى ضَالَّةَ الْحَيَوَانِ إِنْ كَانَتْ شَاءَ بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ جَازَ التَّقَاطُطُ وَالْإِنْتِفَاعُ بِهَا فِي الْحَالِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «هِيَ لَكَ أَوْ لِأَخِيكَ أَوْ لِلذَّنْبِ»^(٣). وَإِذَا

(١) متفق عليهما.

(٢) رواه أحمد وأبو داود وفي إسناده مقال، والعمل به عند جماهير أهل العلم، وهو معارض بحديث: من التقط لقطة يسيرة حبلاً أو درهماً أو شبه ذلك فليعرفها ثلاثة أيام، فإن كانت فوق ذلك فليعرفها سنة.

(٣) تقدم.

كَانَتْ إِبِلًا فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ التَّقَاطُهَا بِحَالٍ ، لِقَوْلِهِ ﷺ : مَا لَكَ وَلَهَا مَعَهَا حِذَاؤُهَا وَسَقَاؤُهَا ، تَرِدُ الْمَاءَ وَتَأْكُلُ الشَّجَرَ حَتَّى يَجِيءَ صَاحِبُهَا فَيَأْخُذُهَا^(١) . ومثل ضالّة الإبل ضالّة الحمير والبغال والخيول وتسمى الهوامل فإنه لا يجوز التقاطها كذلك .

٤ - كيفية كتابتها :

أَقْرَ فُلَانٌ . . أَنَّهُ فِي الْيَوْمِ . . . مِنْ شَهْرِ كَذَا . . التَّقَطُّ فِي مَوْضِعٍ كَذَا . . كَيْسًا ضَمْنَهُ كَذَا . . وَأَنَّهُ عَرَفَهُ لَوْقَتِهِ وَسَاعَتِهِ وَنَادَى عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ وَفِي الْأَسْوَاقِ وَالشُّوَارِعِ وَالْمَسَاجِدِ أَيَّامًا مُتَتَالِيَةً وَجُمُعًا مُتَابِعَةً وَأَشْهُرًا مُتَرَادِفَةً مَا يَزِيدُ عَلَى سَنَةٍ كَامِلَةٍ فَلَمْ يَحْضُرْ لَهَا طَالِبٌ وَخِشْيٌ عَلَى نَفْسِهِ الْمَوْتِ . وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ شُهُودُهُ أَنَّهُ وَجَدَهَا فَالتَّقَطُّهَا وَأَنهَا تَحْتَ يَدِهِ وَفِي حِيَازَتِهِ ، فَإِنْ حَضَرَ مِنْ يَدْعِيهَا وَوَضَعَهَا وَثَبَّتَ مِلْكُهَا لَهَا ، أَخَذَهَا وَبَرَىءَ الْمَلْتَقِطُ الْمَذْكُورُ عَنْ عَهْدَتِهَا وَخَلَّتْ يَدُهُ مِنْهَا بِتَسْلِيمِهِ إِيَّاهَا لِمَالِكِهَا بِالطَّرِيقِ الشَّرْعِيِّ وَذَلِكَ بِتَارِيخٍ . . .

ب - اللَّقِيطُ :

١ - تعريفه : اللَّقِيطُ طِفْلٌ يُوجَدُ مَبْذُورًا فِي مَكَانٍ مَا لَا يُعْرَفُ لَهُ نَسَبٌ وَلَا دُعَيْنِ أَحَدٌ .

٢ - حكمه : يَجِبُ عَلَى الْكَفَايَةِ أَخْذُهُ وَتَرْبِيَّتُهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ ، وَلَأنَّهُ نَفْسٌ مُحْتَرَمَةٌ يَجِبُ حِفْظُهَا .

٣ - أحكامه ، أحكام اللقيط ، هي :

- ١ - يَنْبَغِي لِمَلْتَقِطِهِ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ وَعَلَى مَا وَجَدَ مَعَهُ مِنْ مَتَاعٍ أَوْ مَالٍ .
- ٢ - إِنْ وَجَدَ اللَّقِيطُ فِي بِلَادٍ إِسْلَامِيَّةٍ فَهُوَ مُسْلِمٌ ، وَلَوْ كَانَ بِهَا غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ .
- ٣ - إِنْ وَجَدَ مَعَ اللَّقِيطِ مَالٌ أَنْفَقَ عَلَيْهِ مِنْهُ فَإِنْ لَمْ يَوْجَدَ مَعَهُ شَيْءٌ أَنْفَقَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَإِلَّا فَنَفَقَتُهُ عَلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ .

(١) متفق عليه .

٤ - ميراث اللقيط إن مات وديته إن قُتِلَ لَبِيتَ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، والإمام هو وليه في القصاصِ والدية فإن شاء اقتصَّ له وإن شاء أخذَ الديةَ لَبِيتَ المَالِ.

٥ - إن أقرَّ رجلٌ أن اللقيطَ ولدهُ الحقُّ به إذا كان مُمكنًا أن يكونَ ولدهُ، وكذا إن أقرَّت به امرأةُ الحقُّ بها.

٤ - كيفية كتابته :

أشهد عليه فلان أنه في الوقتِ الفلاني اجتازَ بالمكانِ الفلاني فوجدَ صبيًّا ملقى على الأرضِ وصفتهُ كذا . . وأنه لقيطٌ لم يكنْ له فيه ملكٌ ولا شبهةُ ملكٍ ولا حقٌّ من الحقوقِ الموصَّلةِ لملكه وأنه مستمرٌّ في يدهُ بحكمِ التقاطه إياه على الحكمِ المشروحِ أعلاه . وعرفَ الحقُّ في ذلك فأقرَّ به ، والصدقُ فاتبعه لوجوبه عليه شرعاً، وأشهدَ عليه بذلك في تاريخٍ كذا .

المادة السادسة : في الحجرِ والتفليسِ :

أ - الحجرُ :

١ - تعريفه : الحجرُ هو منعُ الإنسانِ من التصرفِ في ماله لصغيرٍ أو جنونٍ أو سفهٍ أو فُلسٍ .

٢ - حكمه : الحجرُ مشروعٌ بقولِ الله تعالى : ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾^(١) . ويعملُ الرسول ﷺ : «إِذَا حَجَرَ ﷺ عَلَى مُعَاذَ مَالِهِ لَمَّا اسْتَغْرَقَهُ الدِّينُ قَبَاعَهُ وَسَدَّدَ عَنْهُ دُبُونَهُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِمُعَاذَ شَيْءٌ»^(٢) .

٣ - أحكامُ مَنْ يُحَجَرُ عليهم :

١ - الصغيرُ : وهو الطفلُ الذي لم يبلغْ الحلمَ وحكمه أنْ تصرفاتِهِ المالية غيرُ جائزةٍ إلا برضا والدَيْهِ، أو وصِيِّهِ إن كانَ يتيماً، ويستمرُّ الحجرُ عليه إلى البلوغِ ما لم

(٢) الدراقطني والحاكم وصححه .

(١) النساء .

يُظْهِرُ مِنْهُ سَفَهَهُ فَيَسْتَمِيرُ الْحَجْرُ إِلَى صَلَاحِهِ، وَإِنْ كَانَ يَتِيماً مُوصًى عَلَيْهِ فَحَجْرُهُ يَبْقَى إِلَى تَرْشِيدِهِ بَعْدَ بَلُوغِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَابْتَأُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾^(١).

٢ - السَّفِيهُ: وَهُوَ الْمَبْذِرُ لِمَالِهِ بِإِنْفَاقِهِ فِي شَهَوَاتِهِ أَوْ بِسُوءِ تَصَرُّفِهِ لِقَلَّةِ مَعْرِفَتِهِ بِمَصَالِحِهِ، فَيُحَجِّرُ عَلَيْهِ بِطَلَبٍ مِنْ وَرَثَتِهِ فَيُمنَعُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ بِهَبَةٍ أَوْ بَيْعٍ أَوْ شَرَاءٍ حَتَّى يَرُشِّدَ فَإِنْ تَصَرَّفَ بَعْدَ الْحَجْرِ عَلَيْهِ فَتَصَرُّفَاتُهُ بَاطِلَةٌ لَا يُنْفَذُ مِنْهَا شَيْءٌ؛ وَمَا كَانَ قَبْلَ الْحَجْرِ عَلَيْهِ فَنَافِذٌ لَا يُرَدُّ مِنْهُ شَيْءٌ.

٣ - الْمَجْنُونُ: وَهُوَ مَنْ اخْتَلَّ عَقْلُهُ فَضَعُفَ إدْرَاكُهُ فَيُحَجِّرُ عَلَيْهِ فَلَا تُنْفَذُ تَصَرُّفَاتُهُ الْمَالِيَّةُ إِلَى أَنْ يَبْرَأَ وَيَعُودَ إِلَيْهِ كَمَالُ عَقْلِهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ الْمَجْنُونِ الْمَغْلُوبِ عَلَى عَقْلِهِ حَتَّى يَبْرَأَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ»^(٢).

٤ - الْمَرِيضُ: وَهُوَ مَنْ مَرِضَ مَرَضاً يُخَافُ مِنْهُ الْهَلَاكُ عَادَةً فَإِنْ لَوَرَّثَتِهِ الْمَطَالَبَةُ بِالْحَجْرِ عَلَيْهِ فَيُمنَعُ مِنَ التَّصَرُّفِ بِمَا يَزِيدُ عَنْ قَدْرِ حَاجَتِهِ مِنْ أَكْلِ وَشَرْبٍ وَمَلْبَسٍ وَمَسْكَنِ وَدَوَاءٍ حَتَّى يَبْرَأَ أَوْ يَهْلِكَ.

ب - التَّفْلِيسُ:

١ - تَعْرِيفُهُ: هُوَ أَنْ تَسْتَغْرِقَ دِيُونَ الْإِنْسَانِ جَمِيعَ مَا يَمْلِكُ فَلَمْ يُصْبَحْ لَهُ فِي مَالِهِ وَفَاءٌ لَدِيُونِهِ.

٢ - أَحْكَامُهُ: لِلتَّفْلِيسِ أَحْكَامٌ هِيَ:

١ - الْحَجْرُ عَلَيْهِ^(٣)، إِذَا طَالَ بِذَلِكَ الْغُرَمَاءُ، أَيْ أَصْحَابُ الدُّيُونِ.

(١) النساء.

(٢) أحمد وأبو داود وهو صحيح.

(٣) يرى الإمام أبو حنيفة، رحمه الله تعالى عدم الحجر على المفلس.

٢ - يَبِيعُ جَمِيعَ مَا يَمْلِكُ مَا عَدَا لِبَاسِهِ وَمَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ كَطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ ثُمَّ قِسْمَةً ذَلِكَ عَلَى الْغُرَمَاءِ مُحَاصَصَةً بِحَسَبِ دُيُونِهِمْ .

٣ - مَنْ وَجَدَ مِنَ الْغُرَمَاءِ مَتَاعَهُ بَعِيْنِهِ لَمْ يَتَغَيَّرْ أَخْذُهُ دُونَ بَاقِي الْغُرَمَاءِ ، لِقَوْلِهِ ﷺ : « مَنْ أَدْرَكَ مَتَاعَهُ بَعِيْنِهِ عِنْدَ إِنْسَانٍ قَدْ أَفْلَسَ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ »^(١) . وَهَذَا مُشْرُوطٌ أَيْضاً بِأَنْ لَا يَكُونَ قَدْ أَخَذَ مِنْ ثَمَنِهِ شَيْئاً وَإِلَّا فَهُوَ أَسْوَأُ الْغُرَمَاءِ .

٤ - مَنْ ثَبَتَ إِعْسَارُهُ عِنْدَ الْحَاكِمِ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ مَالٌ أَوْ مَتَاعٌ يَبَاعُ فَيُسَدَّدُ بِهِ دَيْنُهُ فَلَا تَجُوزُ مَطَالِبَتُهُ وَلَا مَلَاذِمَتُهُ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾^(٢) . وَلِقَوْلِهِ ﷺ لِغُرَمَاءِ أَحَدِ الْمَدِينِيْنَ مِنَ الصُّحَابَةِ : « خُذُوا مَا وَجَدْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلَّا لَكُمْ إِلَّا ذَلِكَ »^(٣)

٥ - إِذَا قُسِمَ الْمَالُ وَظَهَرَ غَرِيْمٌ لَمْ يَكُنْ قَدْ عَلِمَ بِالْحِجْرِ وَيَبِيعُ مَالَهُ الْمَحْجُورُ عَلَيْهِ رَجَعَ عَلَى الْغُرَمَاءِ بِحَقِّهِمْ مِنَ الْمَالِ مُحَاصَصَةً لَهُمْ .

٦ - مَنْ عَلِمَ بِالْحِجْرِ عَلَى مَدِينٍ ثُمَّ عَامَلَهُ لَيْسَ لَهُ أَنْ يُحَاصِصَ الْغُرَمَاءَ الَّذِينَ وَقَعَ الْحِجْرُ لَهُمْ وَيَبْقَى دَيْنُهُ فِي ذِمَّةِ الْمَفْلَسِ إِلَى الْمَيْسَرَةِ .

٣ - كَيْفِيَّةُ كِتَابَةِ الْحِجْرِ عَلَى الْمَفْلَسِ :

بعد البسملة وحمد الله تعالى . . .

هَذَا مَا أَشْهَدُ بِهِ عَلَى نَفْسِي قَاضِي الْمَحْكَمَةِ فُلَانٌ : أَنَّهُ حَجَرَ عَلَى فُلَانٍ حِجْراً صَحِيحاً شَرْعِيّاً ، وَمَنْعَهُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ الْحَاصِلِ بِيَدِهِ يَوْمئِذٍ ، وَالْحَادِثِ بَعْدَهُ ، مَنْعاً تَاماً بِحُكْمٍ مَا ثَبَتَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّيُونِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْوَاجِبَةِ فِي ذِمَّتِهِ لِأَرْبَابِهَا الزَّائِدَةِ عَلَى قَدْرِ مَالِهِ ، وَمُبْلَغُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدُّيُونِ هُوَ كَذَا . . . وَبَيَانُ ذَلِكَ هُوَ مَالُ فُلَانٍ كَذَا بِمَقْتَضَى سَنَدٍ تَارِيخِهِ كَذَا . . . وَلِفُلَانٍ كَذَا ، وَقَدْ أَثْبَتَ كُلُّ مِنَ الْغُرَمَاءِ دَيْنَهُ لَدَى الْمَحْكَمَةِ بِمَوْجِبِ سَنَدَاتٍ صَحِيحَةٍ مَعْتَبَرَةٍ شَرْعاً وَاسْتُحْلِفَ كُلُّ مِنْهُمْ عَلَى ذَلِكَ .

(٣) مسلم .

(٢) البقرة .

(١) متفق عليه .

وكانَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ ثَبَتَ عِنْدَ الْمُحَكِّمَةِ بِالْبَيِّنَةِ الشَّرْعِيَّةِ أَنَّ الْمَدِينِ الْمَذْكُورَ مُعْسِرٌ عَاجِزٌ
عَنْ وَفَاءِ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدُّيُونِ الْمَذْكُورَةِ وَأَنْ مَوْجُودَهُ لَا تَفِي قِيمَتُهُ بِمَا
عَلَيْهِ مِنَ الدُّيُونِ إِلَّا عَلَى الْمَحَاصَصَةِ، الثُّبُوتُ الشَّرْعِيُّ، وَحَكَمَ بَفَلْسِ
الْمَذْكُورِ وَصَحَّحَ الْحَجَرَ عَلَيْهِ حُكْمًا شَرْعِيًّا مَسْئُولًا فِيهِ. وَفَرَضَ لَهُ فِي مَالِهِ نَفَقَتَهُ وَنَفَقَةَ
مَنْ تَلَزَّمَتْهُ نَفَقَتُهُمْ مِنْ زَوْجِهِ وَوَلَدِهِ وَهُمْ فَلَانٌ وَفَلَانٌ . . . مِنْ أَكْلٍ وَشَرْبٍ وَمَا لَا بُدَّ مِنْهُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ كَذَا . . . إِلَى حِينِ الْفَرَاغِ مِنْ بَيْعِ أُمْتِعَتِهِ وَأَمْلَاكِه، وَقَسَمَ مَا يَتَحَصَّلُ بَيْنَ
الْغَرَمَاءِ بِنِسْبَةِ دِيُونِهِمْ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ. وَذَلِكَ بِتَارِيخٍ كَذَا . . .

كَيْفِيَّةُ كِتَابَةِ الْحَجَرِ عَلَى السَّفِيهِ الْمُبْدَرِ:

بعد البسملة وحمد الله تعالى . . .

أَشْهَدُ عَلَيْهِ قَاضِي الْمُحَكِّمَةِ أَنَّهُ حَجَرَ عَلَى فَلَانٍ حَجْرًا صَحِيحًا شَرْعِيًّا، وَمَنْعَهُ
مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ الْحَاصِلِ يَوْمَئِذٍ، وَالْحَادِثِ بَعْدَهُ مَنْعًا شَرْعِيًّا، وَحَجْرًا مَعْتَبَرًا بَعْدَ
أَنْ ثَبَتَ عِنْدَهُ بِالْبَيِّنَةِ الشَّرْعِيَّةِ أَنَّ فَلَانًا الْمَذْكُورَ سَفِيهٌ مُفْسِدٌ لِمَالِهِ مُبْدَرٌ لَهُ مُسْرِفٌ فِي
إِنْفَاقِهِ وَفِي بَيْعِهِ وَابْتِيَاعِهِ، مُسْتَحِقٌّ لَضَرْبِ الْحَجَرِ عَلَيْهِ، وَمَنْعِهِ مِنَ التَّصَرُّفِ إِلَى أَنْ
يُسْتَقِيمَ حَالُهُ، وَيُثَبَّتَ رُشْدُهُ، وَيُظْهَرَ صَلَاحُهُ، وَأَنَّ الْمَصْلَحَةَ فِي إِيقَاعِ الْحَجَرِ عَلَيْهِ
وإِبْطَالِ تَصَرُّفَاتِهِ. وَحَكَمَ بِسَفَاهِهِ حُكْمًا شَرْعِيًّا وَنَهَاهُ عَنِ الْمَعَامَلَاتِ، وَأَبْطَلَ فَعْلَهُ فِي
جَمِيعِ التَّصَرُّفَاتِ إِبْطَالًا شَرْعِيًّا، وَفَرَضَ لَهُ فِي مَالِهِ بِرَسْمِ نَفَقَتِهِ وَنَفَقَةَ مَنْ تَلَزَّمَتْهُ نَفَقَتُهُ
مِنْ زَوْجَتِهِ فَلَانَةَ . . . وَأَوْلَادِهِ الصَّغَارِ وَهُمْ فَلَانٌ . . . وَمَا لَا بُدَّ لَهُ مِنْهُ شَرْعًا فِي كُلِّ يَوْمٍ
مِنْ تَارِيخٍ كَذَا . . . وَأَوْجَبَ لَهُمْ ذَلِكَ فِي مَالِهِ إِجْبَابًا شَرْعِيًّا بَعْدَ أَنْ ثَبَتَ عِنْدَهُ بِالْبَيِّنَةِ
الشَّرْعِيَّةِ أَنَّهُ تَحَصَّلُ الْكَفَايَةُ لَهُ وَلِمَنْ مَعَهُ بِذَلِكَ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ زِيَادَةٌ عَلَى كِفَايَتِهِ،
ثُبُوتًا شَرْعِيًّا. حُرِّرَ بِتَارِيخٍ كَذَا . . .

المادة السابعة: في الوصية:

١ - تعريفها: الوصية هي العهد بالنظر في شيء أو التبرع بالمال بعد الوفاة.
وهي بهذا التعريف نوعان: الأول وصية إلى من يقوم بتسييد دين، أو إعطاء حق، أو

النظر في شأن أولاد صغارٍ إلى بلوغهم، والثاني: وصيةٌ بما يُصرفُ إلى الجهة الموصى لَهَا بِهِ.

٢ - حكمها: الوصية مشروعة بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾^(٢). وقول الرسول ﷺ: «مَا حَقَّ امْرِئٌ مُسْلِمٍ لَهُ مَا يُوصِي فِيهِ يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ»^(٣).

وتجِبُ الوصية على من عَلَيْهِ دَيْنٌ، أو عِنْدَهُ وَدِيعَةٌ، أو عَلَيْهِ حَقُّوْ خَشِيَّةٌ أَنْ يَمُوتَ فَتَضِيعُ أَمْوَالُ النَّاسِ وَحَقُوقُهُمْ فَيُسْأَلَ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. كما تُسْتَحَبُّ الوصية لِمَنْ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ وَوَرِثَتُهُ أَغْنِيَاءُ أَنْ يُوصِيَ بِشَيْءٍ مِنْ مَالِهِ ثُلثًا أَوْ أَقَلَّ لِأَقْرَبَائِهِ مِنْ غَيْرِ الْوَارِثِينَ، أَوْ لِهَجْةٍ مِنْ جِهَاتِ الْخَيْرِ، لِمَا رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا ابْنَ آدَمَ ثُلَاثَانِ لَمْ يَكُنْ لَكَ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا: جَعَلْتُ لَكَ نَصِيبًا فِي مَالِكَ حِينَ أَخَذْتُ بِكَطْمِكَ﴾»^(٤) لِأُطَهَّرَكَ بِهِ وَأَزْكِيكَ، وَصَلَاةُ عِبَادِي عَلَيْكَ بَعْدَ انْقِضَاءِ أَجَلِكَ^(٥). ولقوله ﷺ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ حِينَمَا سَأَلَهُ عَنِ الْوَصِيَّةِ «الثُلُثُ... وَالثُلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدْعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ»^(٦).

٣ - شروطُها: شروطُ الوصية ما يلي:

١ - أَنْ يُشْتَرَطَ فِي الْمَوْصَى لَهُ بِالنَّظَرِ إِلَى شَيْءٍ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا عَاقِلًا رَشِيدًا، إِذْ غَيْرُهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يُضَيِّعَ مَا أَسْنَدَ إِلَيْهِ النَّظَرُ فِيهِ مِنْ أَذَاءِ حَقِّقٍ أَوْ رِعَايَةِ صِغَارٍ.

٢ - يُشْتَرَطُ فِي الْمَرِيضِ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا مُمَيِّزًا مَالِكًا لِمَا يُوصِي فِيهِ.

٣ - يُشْتَرَطُ فِي الْمَوْصَى بِهِ أَنْ يَكُونَ مَبَاحًا فَلَا تُنْفَذُ وَصِيَّةٌ فِي مُحَرَّمٍ كَأَنْ يُوصِيَ الْمَرْءُ بِنَيْاحَةٍ عَلَيْهِ بَعْدَ مَوْتِهِ، أَوْ يُوصِيَ بِمَالٍ إِلَى كَنِيسَةٍ أَوْ إِلَى بَدْعَةٍ مَكْرُوهَةٍ أَوْ إِلَى مَجْلِسٍ لَهَوٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ.

(٤) الكظم محركا: الحلق، أو مخرج النفس.

(١) المائدة.

(٥) عبدالله بن حميد في مسنده بسند صحيح.

(٢) النساء.

(٦) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

٤ - يُشْتَرَطُ فِيمَنْ أَوْصِيَ لَهُ بِشَيْءٍ أَنْ يَقْبَلَهُ فَإِنْ رَفَضَهُ بَطَلَتْ الْوَصِيَّةُ، وَلَا حَقَّ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فِيهِ.

٤ - أَحْكَامُهَا: أَحْكَامُ الْوَصِيَّةِ، هِيَ:

١ - يَجُوزُ لِمَنْ أَوْصَى بِشَيْءٍ بَعْدَ مَوْتِهِ أَنْ يَرْجِعَ فِيهِ أَوْ بغيرِهِ كَمَا يَشَاءُ، لِقَوْلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يُغَيِّرُ الرَّجُلُ مِنْ وَصِيَّتِهِ مَا يَشَاءُ».

٢ - لَا يَجُوزُ لِمَنْ لَهُ وَرَثَةٌ أَنْ يُوصِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ ثُلُثِ مَالِهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ لِسَعْدٍ، وَقَدْ سَأَلَهُ قَائِلًا: أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِي مَالِي؟ قَالَ ﷺ: لَا. قَالَ فَالْشُّطْرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَالْثُلُثُ؟ قَالَ ﷺ: الْثُلُثُ. . . وَالثُلُثُ كَثِيرٌ، إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدْعَهُمْ عَالَةً^(١) يَتَكَفَّفُونَ^(٢) النَّاسَ^(٣).

٣ - لَا تَجُوزُ الْوَصِيَّةُ لِلْوَارِثِ، وَإِنْ قُلْتَ حَتَّى يُجِيزَهَا سَائِرُ الْوَرَثَةِ بَعْدَ وَفَاةِ الْمُوصِي، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الْوَرَثَةُ»^(٤).

٤ - إِذَا لَمْ يَفِ الثُّلُثُ الْمُوصَى بِهِ بِكَافَةِ الْوَصَايَا قُسِمَ عَلَى الْجِهَاتِ الْمُوصَى لَهَا بِالسُّوِيَّةِ كَالْمَحَاصِصَةِ لِلْعَرَمَاءِ.

٥ - لَا تُنْفَذُ الْوَصِيَّةُ إِلَّا بَعْدَ سِدَادِ الدِّيُونِ، لِقَوْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالذَّيْنِ قَبْلَ الْوَصِيَّةِ»^(٥)، وَذَلِكَ لِأَنَّ الدَّيْنَ وَاجِبٌ وَالْوَصِيَّةُ تَبَرُّعٌ، وَالوَاجِبُ مُقَدَّمٌ عَلَى التَّبَرُّعِ.

٦ - تَصِحُّ الْوَصِيَّةُ بِالْمَجْهُولِ أَوِ الْمَعْدُومِ، إِذْ هِيَ تَبَرُّعٌ وَإِحْسَانٌ، فَإِنْ حَصَلَتْ

(١) عالة: فقراء.

(٢) يتكففون: يسألون الناس بأكفهم.

(٣) متفق عليه.

(٤) الترمذي وصححه.

(٥) الترمذي وفي إسناده ضعف وقال فيه: إن العمل عليه عند أهل العلم.

فِيهَا وَنَعَمَتْ، وَإِنْ لَمْ تَحْصُلْ فَلَا حَرَجَ، وَذَلِكَ كَانَ يُوصِي الْمَرْءُ بِمَا تُنْتِجُ غَنَمُهُ أَوْ بِمَا تَغْلُهُ أَشْجَارُهُ.

٧ - يَصِحُّ قُبُولُ الْإِيصَاءِ فِي حَيَاةِ الْمُوصِي وَبَعْدَ مَوْتِهِ، كَمَا أَنَّ لِلْمُوصِي أَنْ يَعْزِلَ نَفْسَهُ طَالَمَا يَخْشَى ضَيَاعَ مَا وَصَّى فِيهِ مِنْ مَالٍ أَوْ حُقُوقٍ أَوْ يَتَأَمَّى.

٨ - مَنْ أَوْصَى فِي شَيْءٍ مُعَيَّنٍ لَا يَجُوزُ لَهُ التَّصَرُّفُ فِي غَيْرِهِ لِعَدَمِ وَجُودِ الْإِذْنِ، إِذَا لَمْ يَصِحَّ شَرْعاً التَّصَرُّفُ فِي حُقُوقِ النَّاسِ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ.

٩ - إِذَا ظَهَرَ عَلَى الْمَيِّتِ دَيْنٌ بَعْدَ إِخْرَاجِ الْوَصِيَّةِ فَلَيْسَ عَلَى الْوَصِيِّ ضَمَانٌ ذَلِكَ الدَّيْنِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ عَلِمَهُ وَأَغْفَلَهُ، وَلَا هُوَ قَدْ فَرَطَ فِيمَا عَهَدَ إِلَيْهِ.

١٠ - إِذَا أَوْصَى الْمَرْءُ بِشَيْءٍ مُعَيَّنٍ ثُمَّ تَلَفَ الْمُوصَى بِهِ بَطَلَتْ الْوَصِيَّةُ وَلَا تَلْزَمُهُ فِي مَالِهِ الْآخَرِ.

١١ - إِذَا أَوْصَى الْمَرْءُ لِوَارِثٍ وَصِيَّةً ثُمَّ لَمْ يُجْزِهَا بَعْضُ الْوَرَثَةِ وَأَجَازَهَا الْبَعْضُ الْآخَرُ نَفِذَتْ فِي نَصِيبِ مَنْ أَجَازَهَا دُونَ مَنْ لَمْ يُجْزِهَا، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الْوَرَثَةُ».

١٢ - مَنْ قَالَ فِي وَصِيَّتِهِ: أَوْصَيْتُ لِأَوْلَادِ فَلَانٍ بِكَذَا وَكَذَا... كَانَ لِلْمُوصَى لَهُمْ بِالسُّوِيَّةِ ذَكَوَرًا وَإِنَاثًا، لِأَنَّ لَفْظَ الْوَلَدِ يَشْمَلُ الذَّكَرَ وَالْإُنْثَى، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾، كَمَا أَنَّ مَنْ قَالَ: أَوْصَيْتُ لِبْنِي فَلَانٍ بِكَذَا... كَانَ لِلذَّكَوَرِ دُونَ الْإِنَاثِ، وَمَنْ قَالَ: أَوْصَيْتُ لِبَنَاتِ فَلَانٍ بِكَذَا... فَهُوَ لِلْإِنَاثِ فَقَطُّ.

١٣ - مَنْ كَتَبَ وَصِيَّةً وَلَمْ يُشْهَدْ عَلَيْهَا جَازَتْ، مَا لَمْ يُعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ رَجَعَ فِيهَا فَتَبَطَّلَ حِينَئِذٍ وَلَا تَنَفَّذَ.

كَيْفِيَّةُ كِتَابَةِ الْوَصِيَّةِ:

بَعْدَ الْبِسْمَلَةِ وَحَمْدِهِ تَعَالَى...

هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ... وَشُهِدُوهُ بِهِ عَارِفُونَ فِي صَحَّةِ عَقْلِهِ وَثُبُوتِ

فهيمه، وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. أوصى ولده وأهله وقرابته بتقوى الله عز وجل وطاعته، والتزام شريعته وإقامة دينه، والموت على الإسلام، كما أوصى، عفا الله عنه ولطف به، أنه إذا نزل به الموت الذي كتبه الله على خلقه أن يحتاط على تركته المخلفة عنه فيبدأ منها بتجهيزه وتكفينه ودفنه، ثم يسدد ما عليه من الديون الشرعية المستقرة في ذمته والتي أقر بها بحضرة شهوده وهي لفلان كذا. . . وأن يخرج عنه من ثلث ماله لفلان كذا. . . ثم ما بقي يقسمه بين ورثته وهم فلان وفلان. على الفريضة التي شرع الله تعالى. وأوصاه أن ينظر في أولاده الصغار وهم فلان ويحفظ لهم ما يخصهم من التركة إلى حين بلوغهم وإيناس رشدهم أوصى بذلك جميعه إليه، وعول بعد الله عليه، لعلمه بدينه وأمانته وعدالته وكفائته، وجعل له أن يسندهم إلى من يشاء ويوصي بهم إلى من أحب. وقبل الوصي المذكور من ذلك في مجلس الإيصاء وأمام الشهود قبولا شرعياً، وأشهد عليهما بذلك، وجرى توقيعه بعد تحريره وقراءته بتاريخ كذا. . .

المادة الثامنة: في الوقف:

١ - تعريفه: الوقف هو تحييس الأصل فلا يورث ولا يباع ولا يوهب، وتسبيل الثمرة لمن وُفِّت عليهم.

٢ - حكمه: الوقف مندوب إليه مرغّب فيه بقول الله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾^(١). وبقول الرسول ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ أَسْيَاءَ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ»^(٢). ومن الصدقة الجارية وقف البيوت والأراضي والمساجد وغيرها.

٣ - شروطه، يشترط في صحة الوقف ما يلي:

١ - أن يكون الواقف أهلاً للتبرع بأن يكون رشيداً مالِكاً.

(٢) مسلم.

(١) الأحزاب.

٢ - أن يكون الموقوف عليه، إن كان معيناً، ممن يصح تملكه، فلا يوقف على جنين في البطن، ولا على عبد مملوك، وإن كان الوقف على غير معين اشترط أن تكون الجهة الموقوف عليها ما تصح القربة معه، فلا يصح الوقف على لهُو أو كنيسته أو مُحَرَّمٍ.

٣ - أن يكون التوقيف بنص صريح كوقف أو حبس أو تصدق.

٤ - أن يكون الموقوف مما يتقى بعد أخذ غلته كالدور والأراضي وما إليها، أما ما يقنى بمجرد الانتفاع به كالمطعمات والروائح ونحوها فلا يصح توقيفه، ولا يسمى وقفاً بل هو صدقة.

٤ - أحكام الوقف هي:

١ - يصح الوقف على الأولاد، وإذا قال: أوقفت على أولادي شمل اللفظ الذكور والإناث معاً، كما شمل أولاد الذكور دون أولاد الإناث، وإن قال: وقفت على أولادي وأعقابهم شمل أولاد الذكور وأولاد الإناث معاً. وإن قال: وقفت على بني كان على الذكور دون الإناث، كما لو قال على بناتي كان للإناث فقط.

كل هذا إذا كان يفهم التفرقة بين مدلولات هذه الألفاظ، وإلا فلا عبرة بالفاظه.

٢ - يلزم العمل بما يشترطه الواقف من وصف، أو تقديم أو تأخير، فلو قال: وقفت كذا على عالمٍ محدث، أو فقيهٍ لم يتناول اللفظ سوى صاحب الصفة من نحوي، أو عروضي أو غيرهما، كما لو قال وقفت كذا على أولادي ثم أولادهم، ثم أولادهم. أو قال: الطبقة العليا تحجب السفلى كان على ما قال، ليس للطبقة الدنيا حق في الوقف حتى تنقرض العليا، فلو أوقف شيئاً على ثلاثة إخوة فمات أحدهم وترك أولاداً لم يكن لأولاده نصيب أبيهم بل يعود على أخويه ما دام الواقف قد اشترط حجب الطبقة العليا للطبقة السفلى.

٣ - يلزم الوقف بمجرد إعلانه، أو جيارته، أو تسليمه لمن وُفِّ عليه . . . فلا يجوز بعد ذلك فسحه ولا بيعه ولا هبته.

٤ - إِنْ تَعَطَّلَتْ مَنَافِعُ الْوَقْفِ لِحَرَابَةِ أَجَازَ عَنْهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بَيْعَهُ وَصَرَفَ ثَمَنِهِ فِي مِثْلِهِ، وَإِنْ فَضِّلَ شَيْءٌ صُرِفَ فِي مَسْجِدٍ أَوْ تُصَدِّقَ بِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ .

٥ - كَيْفِيَةُ كِتَابَةِ الْوَقْفِ .

بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ، وَحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى :

أَشْهَدُ فِلَانًا أَنَّهُ وَقَفَ وَحَبَسَ وَ أَيْدَ مَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ، الْجَارِي بَعْدَ ذَلِكَ فِي يَدِهِ وَمَلِكِهِ وَتَصَرُّفِهِ وَحِيَازَتِهِ، وَاخْتِصَاصِهِ إِلَى حِينٍ صُدُّورِ هَذَا الْوَقْفِ وَالثَّابِتِ لَهُ بِحُجَّةٍ رَقْمُهَا كَذَا . . وَالْمَنْجَرُ إِلَيْهِ بِالْإِثْرِ مِنْ وَالِدِهِ . وَذَلِكَ جَمِيعُ الْمُحْدُودِ بِكَذَا . . وَقَفَا صَحِيحًا شَرْعِيًّا وَحَبَسَا صَرِيحًا مُرْعِيًّا، لَا يُبَاعَ وَلَا يُوهَبُ وَلَا يُورَثُ وَلَا يُزْهَنُ، وَلَا يُمْلَكُ وَلَا يُسْتَبَدَّلُ إِلَّا بِمِثْلِهِ إِذَا انْعَدَمَتْ مَنَافِعُهُ بِمَحَلِّهِ مَبْتَغِيًّا فِيهِ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، وَمُتَّبَعًا فِيهِ تَعْظِيمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ، وَلَا يُبْطَلُ تَقَادُّمُ دَهْرٍ، وَلَا يُوهِنُهُ اخْتِلَافُ عَصْرِ كَلِمَا مَرَّ عَلَيْهِ زَمَانٌ أَكَّدَهُ، وَكَلَّمَا أَتَى عَلَيْهِ عَصْرٌ أَظْهَرَهُ وَأَثْبَتَهُ .

أَنْشَأَ الْوَاقِفُ فَلَانٌ - أَجْرَى اللَّهُ الْخَيْرَ عَلَى يَدَيْهِ - وَقَفَهُ هَذَا عَلَى كَذَا . . عَلَى أَنْ النَّازِرَ فِي هَذَا الْوَقْفِ وَالْمَتَوَلِّيَ عَلَيْهِ يَبْدَأُ مِنْ رُبْعِ الْوَقْفِ بِعِمَارَتِهِ وَتَرْمِيمِهِ وَإِصْلَاحِهِ لِإِتْقَاءِ عَيْنِهِ وَتَحْصِيلِ غَرَضِ وَاقِفِهِ، وَنُمُوِّ غَلَّتِهِ، وَمَا فَضِّلَ بَعْدَ ذَلِكَ يُصْرِفُهُ لِمَصَارِفِهِ الْمَعِينَةِ أَعْلَاهُ، وَهِيَ كَذَا . . يَبْقَى ذَلِكَ أَبَدَ الْأَبْدِينَ، وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ .

وَمَالَ هَذَا الْوَقْفِ عِنْدَ انْقِطَاعِ سُبُلِهِ وَتَعْدِيرِ جِهَاتِهِ إِلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ مِنْ أُمَّةٍ نَبِينَا مُحَمَّدٍ ﷺ .

وَشَرَطَ الْوَاقِفُ الْمَذْكُورُ النَّظَرَ لَهُ فِي وَقْفِهِ هَذَا، وَالْوَلَايَةَ عَلَيْهِ لِنَفْسِهِ مَدَّةَ حَيَاتِهِ، يَسْتَقِلُّ بِهَا وَحْدَهُ لَا يُشَارِكُهُ فِيهَا مَشَارِكٌ، وَلَا يَنَازِعُهُ فِيهَا مُنَازِعٌ، وَلَهُ أَنْ يُوصِيَ بِهِ وَيُسْنِدَهُ إِلَى مَنْ يَشَاءُ ثُمَّ مِنْ بَعْدِ وَفَاتِهِ لَوْلِيهِ فَلَانٍ . . أَوْ لِلْأَرْشَدِ مِنْ أَوْلَادِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَعَقِبِهِ

من أهل الوقف المذكور، فإن انقضىوا عن آخرهم ولم يبق منهم أحد كان النظر لفلان..

وشرط الواقف المذكور أن لا يُوجَر وقفه هذا، ولا شيء منه لأكثر من سنة فما فوقها، وأن لا يدخل المؤجر عقداً على عقد حتى تنقضي مدة العقد الأول، ويعود المأجور إلى يد الناظر وأمره.

أخرج الواقف هذا الوقف عن ملكه، وقطعه من ماله، وصيره صدقة بته بته مؤبدة جارية في الوقف المذكور على الحكم المذكور على الحكم الشرعي المشروح أعلاه، حالاً ومالاً، وتعذراً وإمكاناً، ورفع عنه يد ملكه، ووضع عليه يد ناظره ولايته.

وقد تم هذا الوقف ولزم ونفذ حكمه، وأبرم وصار وقفاً من أوقاف المسلمين، لا يحل لأحد أن ينقض هذا الوقف، أو يغيره، أو يفسده، أو يعطله بأمر، ولا بفتوى، ولا مشورة ولا حيلة، وهو يستعدي^(١) الله عز وجل على من قصد وقفه هذا بإفساد أو اعتداء، ويحاكمه لديه ويخاصمه بين يديه؛ يوم فقره وفاقيه، وذليله ومسكنته، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة، ولهم سوء الدار.

وقبل الواقف المشار إليه ماله قبوله من ذلك قبولاً شرعياً، وأشهد على نفسه الكريمة بذلك، وهو بحال الصحة والسلامة والطواعية والاختيار، وجواز أمره شرعاً. حرر ذلك بتاريخ كذا..

المادة التاسعة: في الهبة، والعمرى، والرقي:

أ- الهبة:

١- تعريفها: الهبة، هي تبرع الرشد بما يملك من مال أو متاع مباح، كأن يهب مسلم لآخر داراً أو ثياباً أو طعاماً أو يعطيه دراهم ودنانير.

حكمها: الهبة كالهدية مستحبتان، إذ هما من الخير المرغَّب في فعله

(١) يستعدي الله: يستغيثه ويستعينه ويستنصره.

والمسابقة إليه بقوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تَحِبُّونَ﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾. وقوله سبحانه: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى﴾^(٢). وقول الرسول ﷺ: «تَهَادُوا تَحَابُّوا وَتَصَافَحُوا يَذْهَبَ الْغُلُّ عَنْكُمْ»^(٣). وقوله ﷺ: «الْعَائِدُ فِي هَبْتِهِ كَالْعَائِدِ فِي قَيْتِهِ»^(٤). وقول عائشة رضي الله عنها: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا»^(٥). وقوله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَأَنْ يُنْسَأَ^(٦) لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(٧).

٣ - شروطها، شروط الهبة، هي:

- ١ - الإيجاب، وهو إجابة الواهب مَنْ سَأَلَهُ شَيْئًا، وَإِعْطَاؤُهُ إِيَّاهُ بِرِضَا نَفْسٍ.
- ٢ - القبول، وهو أن يقبل الموهوب له الهبة بأن يقول قبلت ما وهبتي أو يتناولها بيده ليأخذها، إذ لو أن مسلمًا أعطى عطية أو وهب هبة لأحد ولم يقبضها حتى مات الواهب فإنها تصبح من حقوق الورثة لاحقًا للموهوب له فيها لفقدان شرطها، وهو القبول إذ لو قبلها لقبضها بأي نوع من أنواع القبض.
- ٤ - أحكامها، أحكام الهبة هي:

١ - إن كانت العطية لأحد الأولاد استجب إعطاء باقي الأولاد مثلها لقوله ﷺ: «اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ»^(٨).

٢ - يحرم الرجوع في الهبة لقوله ﷺ: «الْعَائِدُ فِي هَبْتِهِ كَالْعَائِدِ فِي قَيْتِهِ»^(٩). إلا أن تكون الهبة من والد لولده، فإن له الرجوع فيها، إذ الولد وماله لوالديه ولقول الرسول ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُعْطِيَ الْعَطِيَّةَ فَيَرْجِعَ فِيهَا إِلَّا الْوَالِدَ فِيمَا يُعْطِي لَوْلَدِهِ»^(١٠).

(١) آل عمران.

(٥) و (٦) البخاري.

(٢) البقرة.

(٧) ينسأ له في أثره: يؤخر له في أجله.

(٣) ابن عساکر بسند حسن.

(٨) و (٩) متفق عليه.

(١٠) الترمذي وصححه.

(٤) متفق عليه.

٣ - تَكَرَّرَ هَبَّةُ التَّوَابِ، وَهِيَ أَنْ يُهْدِيَ الْمُسْلِمُ لِأَخَرٍ هَدِيَّةً لِيُكَافِئَهُ عَنْهَا بِأَكْثَرِ مِنْهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لَتُرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ، وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾^(١). وَالْمُهْدَى إِلَيْهِ بِالْخِيَارِ فِي قَبُولِهَا وَرَفْضِهَا، وَإِذَا قَبِلَهَا وَجَبَ عَلَيْهِ مَكَافَأَةُ الْمُهْدِي بِمَا يُسَاوِيهَا أَوْ أَكْثَرَ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا»^(٢). وَلِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ»^(٣) وَقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أُبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ»^(٤).

٤ - كَيْفِيَّةُ كِتَابَةِ الْهَبَةِ:

بعد البسملة وحمد الله تعالى . .

وَهَبَ فَلَانُ الْبَالِغُ الرَّشِيدُ فِي حَالِ صِحَّتِهِ وَجَوَازِ تَصَرُّفَاتِهِ فَلَانًا . . جَمِيعَ الْمَكَانِ لِمَحْدُودٍ بِكَذَا . . الْمَعْلُومِ عِنْدَهُمَا الْعِلْمَ الشَّرْعِيَّ هَبَّةً شَرْعِيَّةً بِغَيْرِ عَوَضٍ وَلَا هَبَّةٍ، مُشْتَمِلَةً عَلَى الْإِيجَابِ وَالْقَبُولِ وَخِلَیِ الْوَاهِبِ بَيْنَ الْوَصِيَّةِ وَالْمَوْهُوبِ لَهُ، التَّخْلِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ، فَوَجَبَ بِذَلِكَ الْقَبْضُ وَصَارَتْ الْهَبَةُ الْمَذْكُورَةُ مِلْكًا مِنْ أَمْلَاكِهِ وَحَقًّا مِنْ حُقُوقِهِ وَذَلِكَ بِتَارِيخٍ كَذَا . .

[تَنْبِيهُ]: إِذَا كَانَتْ الْهَبَةُ مِنْ وَالِدٍ إِلَى وَلَدِهِ قِيلَ فِيهَا: قَبْلَ الْمَذْكُورِ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ لَوْلَا لِدِهِ الْمَذْكُورِ تَسْلَمًا شَرْعِيًّا، وَصَارَتْ الْهَبَةُ الْمَذْكُورَةُ أَعْلَاهُ مِلْكًا مِنْ أَمْلَاكِ وَلَدِهِ الصَّغِيرِ الْمَذْكُورِ وَحَقًّا مِنْ حُقُوقِهِ، وَاسْتَقَرَّ ذَلِكَ بِيَدِ الْوَالِدِ الْمَذْكُورِ وَحَيَازَتِهِ لَوْلَا لِدِهِ فَلَان. تَمَّ ذَلِكَ بِتَارِيخٍ . .

ب - الْعُمَرَى:

١ - تَعْرِيفُهَا: الْعُمَرَى، هِيَ أَنْ يَقُولَ الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ: أَعْمَرْتُكَ دَارِي أَوْ بَسْتَانِي، أَوْ وَهَبْتُكَ سَكْنَى دَارِي، أَوْ غَلَّةَ بَسْتَانِي مَدَّةَ عَمْرِكَ، أَوْ طَوْلَ حَيَاتِكَ.

(١) رواه الديلمي .

(٢) الروم .

(٣) النسائي وابن حبان وغيرهما وسنده صحيح .

(٤) البخاري .

٢ - حَكْمُهَا: الْعَمْرَى جَائِزَةٌ لِقَوْلِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «إِنَّمَا الْعَمْرَى الَّتِي أَجَازَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ: هِيَ لَكَ وَلِعَقِبِكَ، فَأَمَّا إِذَا قَالَ: هِيَ لَكَ مَا عِشْتَ، فَإِنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى صَاحِبِهَا»^(١).

٣ - أَحْكَامُهَا: أَحْكَامُ الْعَمْرَى هِيَ:

١ - إِنْ أُطْلِقَ لَفْظُهَا بِأَنْ قِيلَ: أَعْمَرْتُكَ هَذِهِ الدَّارَ فِيْهِ لِمَنْ أَعْمَرَهَا وَلِعَقِبِهِ مِنْ بَعْدِهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «الْعَمْرَى لِمَنْ وَهَبْتَ لَهُ»^(٢). وَكَذَا بِأَنْ قِيدَتْ، بِلَفْظٍ: هِيَ لَكَ وَلِذَرِيَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ، فِيْهِ لَهُ وَلِعَقِبِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَلَا تَعُودُ إِلَى الْمَعْمَرِ بِحَالٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْمَرَ عَمْرَى لَهُ وَلِعَقِبِهِ فَإِنَّهَا لِلَّذِي أُعْطِيَهَا لَا تَرْجِعُ إِلَى الَّذِي أَعْطَاهَا، لِأَنَّهُ أُعْطِيَ عَطَاءً وَقَعَتْ فِيْهِ الْمَوَارِثُ»^(٣).

٢ - إِنْ قِيدَتْ الْعَمْرَى بِلَفْظٍ: هِيَ لَكَ مَا حَيَّيْتُ، وَإِذَا مِتَّ رَجَعَتْ إِلَيَّ أَوْ إِلَى ذَرِيَّتِي مِنْ بَعْدِي فَإِنَّهَا تَرْجِعُ بَعْدَ مَوْتِ الْمَعْمَرِ لَهُ إِلَى الْمَعْمَرِ لِقَوْلِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا الْعَمْرَى الَّتِي أَجَازَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ: هِيَ لَكَ وَلِعَقِبِكَ. فَأَمَّا إِذَا قَالَ: هِيَ لَكَ مَا عِشْتَ فَإِنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى صَاحِبِهَا»^(٤).

ج - الرُّقْبَى:

١ - تَعْرِيفُهَا: الرُّقْبَى هِيَ أَنْ يَقُولَ الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ: إِنْ مِتُّ قَبْلَكَ فَذَا رِي لَكَ، أَوْ بَسْتَانِي مَثَلًا، وَإِنْ مِتُّ قَبْلِي فَذَا رِي لِي، أَوْ يَقُولَ: هَذَا لَكَ مُدَّةَ عَمْرِكَ فَإِنْ مِتُّ قَبْلِي رَجِعَ إِلَيَّ وَإِنْ مِتُّ قَبْلَكَ فَهُوَ لَكَ فَيَكُونُ لِأَخِيهِمَا مَوْتًا.

٢ - حَكْمُهَا: الرُّقْبَى مَكْرُوهَةٌ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تُرْقِبُوا فَمَنْ أَرْقَبَ شَيْئًا فَهُوَ سَبِيلُ الْمِيرَاثِ»^(٥)، وَلِأَنَّ الْارْتِقَابَ وَهُوَ انْتِظَارُ الْمُرْقَبِ قَدْ يَجُرُّ إِلَى أَنْ يَتَمَنَّى الْمُرْقَبُ لَهُ

(١) مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٤) تقدم.

(٣) أبو داود والنسائي والترمذي وصححه. (٥) أحمد وأبو داود وابن ماجه والنسائي وإسناده حسن.

موتَ أَخِيهِ الْمُرْقَبِ بَلْ قَدْ يَسْعَى فِي إِهْلَاكِهِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، فَلِهَذَا كَرِهَ جَمْهُورُ الْعُلَمَاءِ
الرُّقْبَى .

٣ - أَحْكَامُهَا: إِنْ ارْتَكَبَ الْمُسْلِمُ الْمَكْرُوهَ وَأَرْقَبَ رُقْبَى، فَإِنَّ هَذِهِ الرُّقْبَى تَجْرِي
عَلَى أَحْكَامِ الْعُمَرَى، فَمَا أَطْلَقَ مِنْهَا لِمَنْ أَرْقَبَهَا وَلِعَقْبِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَمَا قُيِّدَ فَهُوَ بِحَسَبِ
الْقَيْدِ، فَإِنْ اشْتَرَطَ رَجُوعَهَا رَجَعَتْ، وَإِنْ لَمْ يَشْتَرِطْ فَلَا تَرْجِعُ .

٤ - كَيْفِيَّةُ كِتَابَةِ الْعُمَرَى أَوِ الرُّقْبَى :

بَعْدَ الْبِسْمَلَةِ وَحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ . .

لَقَدْ أَعْمَرَ فُلَانٌ، أَوْ أَرْقَبَ فُلَانًا جَمِيعَ الدَّارِ أَوِ الْبَسْتَانِ الْمَحْدُودِ كَذَا . . إِعْمَارًا
أَوْ إِرْقَابًا شَرْعِيًّا صَحِيحًا بَأَن قَالَهُ: أَعْمَرْتُكَ أَوْ أَرْقَبْتُكَ كَذَا . . مَا عِشْتَ، فَإِذَا مِتَّ
عَادَتْ إِلَيَّ - وَإِنْ ذَكَرَ الْعَقَبَ قَالَ: وَلِعَقْبِكَ مِنْ بَعْدِكَ وَسَلَّمِ الْمَعْمَرُ أَوِ الْمُرْقَبُ أَوِ
الْمُرْقَبُ لَهُ جَمِيعَ الدَّارِ الْمَذْكُورَةِ، فَتَسَلَّمَ مِنْهُ تَسْلِيمًا، وَصَارَتْ بِيَدِ الْمَعْمَرِ لَهُ
الْمَذْكُورِ يَتَصَرَّفُ فِيهَا بِالسَّكَنِ أَوِ الْإِسْكَانِ وَالْإِنْتِفَاعِ بِهِ مَدَّةَ حَيَاتِهِ، وَجَرَى الْإِشْهَادُ
وَالْتَوْقِيعُ عَلَى ذَلِكَ بِتَارِيخٍ كَذَا . .

الفصل الخامس

في النِّكَاحِ ، وَالطَّلَاقِ ، وَالرَّجْعَةِ ، وَالْخُلْعِ ، وَاللِّعَانِ ، وَالْإِيلَاءِ ، وَالظَّهَارِ ، وَالْعَدَدِ ، وَالنَّفَقَاتِ ، وَالْحَضَانَةِ

وفيه تسع مواد:

المادة الأولى: في النِّكَاحِ:

١ - تعريفه: النِّكَاحُ أو الزَّوْجُ، عقد يُحِلُّ لكلٍّ من الزَّوْجَيْنِ الاستمتاع بصاحبه.

٢ - حكمه: النِّكَاحُ مشروع بقولِ اللَّهِ تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ، مَثْنَى وَثُلَاثَ، وَرُبَاعَ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً، أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(١). وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾^(٢).

يَبْدَأُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى مَنْ قَدَرَ عَلَى مُؤُونَتِهِ، وَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ الْوُقُوعَ فِي الْحَرَامِ. وَيَسُنُّ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَخَفِ الْعَنْتَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنْ أُغْضِيَ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ»^(٣). وقوله ﷺ: «تَزَوَّجُوا الْوُدُودَ الْوُلُودَ، فَإِنِّي مَكَايِرُ بِكُمْ الْأَمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٤).

٣ - حكمته، من حكمِ الزَّوْاجِ:

١ - الإبقاء على النوعِ الانساني بالتناسلِ الناتج عن النِّكَاحِ.

(٣) متفق عليه.

(١) النساء.

(٤) أحمد وابن حبان وصححه.

(٢) النور.

٢ - حَاجَةٌ كُلٌّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ إِلَى صَاحِبِهِ، لِتَحْصِينِ فَرْجِهِ بِقَضَاءِ شَهْوَةِ الْجَمَاعِ الْفَطْرِيَّةِ.

٣ - تَعَاوُنُ كُلٍّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ عَلَى تَرْبِيَةِ النَّسْلِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى حَيَاتِهِ.

٤ - تَنْظِيمُ الْعَلَاqَةِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ عَلَى أَسَاسٍ مِنْ تَبَادُلِ الْحَقُوقِ وَالتَّعَاوُنِ الْمُثْمِرِ فِي دَائِرَةِ الْمُوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ، وَالاحْتِرَامِ وَالتَّقْدِيرِ.

٤ - أَرْكَانُ النِّكَاحِ، يَلْزَمُ لَصِحَّةِ النِّكَاحِ تَوْفُّرُ أَرْبَعَةِ أَرْكَانٍ هِيَ:

أ - الْوَلِيُّ: وَهُوَ أَبُو الزَّوْجَةِ، أَوْ الْوَصِيُّ، أَوْ الْأَقْرَبُ فَلَاقْرَبُ مِنْ عَصَبَتِهَا أَوْ ذُو الرَّأْيِ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ السُّلْطَانُ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ»^(١). وَقَوْلِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَنْكَحُ الْمَرْأَةُ إِلَّا بِإِذْنِ وَلِيِّهَا، أَوْ ذِي الرَّأْيِ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ السُّلْطَانِ»^(٢).

أَحْكَامُ الْوَلِيِّ، وَلِلْوَلِيِّ أَحْكَامٌ تَجِبُ مِرَاعَاتُهَا وَهِيَ:

١ - كَوْنُهُ أَهْلًا لِلْوَلَايَةِ بِأَنْ يَكُونَ ذَكَرًا بَالِغًا عَاقِلًا رَشِيدًا حُرًّا.

٢ - أَنْ يَسْتَأْذِنَ وَلِيَّتَهُ فِي إِنْكَاحِهَا، مِمَّنْ أَرَادَ تَزْوِيجَهَا مِنْهُ إِنْ كَانَتْ بِكَرًا وَكَانَ الْوَلِيُّ أَبًا، وَيَسْتَأْمِرُهَا أَيْ يَطْلُبُ أَمْرَهَا إِنْ كَانَتْ ثَيِّبًا، أَوْ كَانَتْ بِكَرًا، وَكَانَ الْوَلِيُّ غَيْرَ أَبِي، لِقَوْلِهِ ﷺ: «الْأَيْمُ أَحَقُّ بِنَفْسِهَا مِنْ وَلِيِّهَا، وَالْبِكْرُ تُسْتَأْذَنُ، وَإِذْنُهَا صُمَاتُهَا»^(٣).

٣ - لَا تَصِحُّ وَلَايَةُ الْقَرِيبِ مَعَ وَجُودِ مَنْ هُوَ أَقْرَبُ مِنْهُ، فَلَا تَصِحُّ وَلَايَةُ الْأَخِ لِأَبٍ مَعَ وَجُودِ الشَّقِيقِ مَثَلًا، وَلَا وَلَايَةُ ابْنِ الْأَخِ مَعَ وَجُودِ الْأَخِ.

٤ - إِذَا أَدْنَتْ الْمَرْأَةُ لِاثْنَيْنِ مِنْ أَقْرَبَائِهَا فِي تَزْوِيجِهَا، فَزَوَّجَهَا كُلَّ مِنْهُمَا مِنْ أُولَى، فَهِيَ لِلأَوَّلِ مِنْهُمَا، وَإِنْ وَقَعَ الْعَقْدُ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ بَطَلَ نِكَاحُهَا مِنْهُمَا مَعًا.

ب - الشَّاهِدَانِ:

المراد بالشاهدين، أن يحضر العقد اثنان فأكثر من الرجال العُدُولِ المسلمين

(١) أصحاب السنن. وصححه الحاكم وابن حبان، (٢، ٣) رواهما مالك في الموطأ بسند صحيح.

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(١). وقول الرسول ﷺ: «لا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّيِّ وَشَاهِدَيْنِ عَدْلٍ»^(٢).

أحكامُ الشاهدين، ومن أحكام هذا الركن:

- ١ - أن يكونا اثنين فأكثر.
- ٢ - أن يكونا عدلين، والعدالة تتحققُ باجتنابِ الكبائر وتركِ غالبِ الصغائر. فالفاسقُ بزناً أو شربِ خمرٍ، أو باكلِ رباً، لا تصحُّ شهادته، لقوله تعالى: ﴿ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾. وقول الرسول: «... وشاهدي عَدْلٍ».
- ٣ - يُستحسنُ الإكثارُ من الشهود لقلَّةِ العدالة في زماننا هذا.

ج - صيغةُ العقد:

صيغةُ العقد، هي قولُ الزوج أو وكيله في العقد: زَوَّجَنِي ابْنَتَكَ أو وصيتَكَ فلانة... وقول الولي: لَقَدْ زَوَّجْتُكَ أو أَنْكِحْتُكَ ابْنَتِي فلانة... وقول الزوج: قَبِلْتُ زَوَّاجَهَا مِنْ نَفْسِي.

أحكامها، ولهذا الركن أحكامٌ منها:

- ١ - كفاءةُ الزوج للزوجة، بأن يكونَ حُرّاً ذا خلقٍ ودينٍ وأمانةٍ، لقوله ﷺ: «إِذَا أَتَاكُمْ مِنْ تَرْضَوْنَ خَلْقَهُ وَدِينَهُ فزَوِّجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ»^(٣).
- ٢ - تصحُّ الوكالة في العقد، فللزَّوجِ أَنْ يُوكِّلَ مِنْ شَاءَ، أما الزوجةُ فولَّيها هو الذي يتولَّى عقدَ نكاحها.

د - المهر:

المهرُ أو الصداقُ هو ما تُعْطَاهُ المرأةُ لِجَلِيَّةِ الاستمتاعِ بها، وهو واجبٌ، بقول

(١) الآية وإن كانت في الرجعة والطلاق، غير أن الزواج مقيس عليهما.

(٢) البيهقي والدارقطني وهو معلول، ورواه الشافعي من طريق آخر مرسلًا وقال فيه: أكثر أهل العلم يقولون به، وكذا قال الترمذي.

(٣) الترمذي وقال فيه حسن غريب.

اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾^(١). وقول الرسول ﷺ: «التَّيْسُ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ»^(٢).

أحكامه، للمهر أحكام هي:

١ - يُسْتَحَبُّ تَخْفِيفُهُ، لقوله ﷺ: «أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مُؤَنَّةً»^(٣). ولأنَّ صَدَاقَ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَرْبَعَمِائَةِ دِرْهَمٍ أَوْ خَمْسَمِائَةِ^(٤). وَكَذَا كَانَ صَدَاقُ أَزْوَاجِهِ ﷺ.

٢ - يُسَنُّ تَسْمِيَتُهُ فِي الْعَقْدِ.

٣ - يَصِحُّ بِكُلِّ مَتَمَوْلٍ مَبَاحٍ تَزِيدُ قِيَمَتُهُ عَلَى رُبْعِ دِينَارٍ، لقوله ﷺ: «التَّيْسُ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ».

٤ - يَصِحُّ تَعْجِيلُهُ مَعَ الْعَقْدِ، وَيَصِحُّ تَأْجِيلُهُ أَوْ بَعْضُهُ إِلَى أَجَلٍ، لقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾. غَيْرَ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ إِعْطَاؤُهَا شَيْئًا قَبْلَ الدُّخُولِ لِمَا رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يُعْطِيَ فَاطِمَةَ شَيْئًا قَبْلَ الدُّخُولِ، فَقَالَ: مَا عِنْدِي شَيْءٌ، فَقَالَ: أَيْنَ دِرْعُكَ؟ فَأَعْطَاهَا دِرْعَهُ».

٥ - يَتَعَلَّقُ الصَّدَاقُ بِالذَّمَّةِ سَاعَةَ الْعَقْدِ وَيَجِبُ بِالدُّخُولِ، فَإِنْ طَلَّقَهَا قَبْلَ الدُّخُولِ سَقَطَ نَصْفُهُ وَبَقِيَ عَلَيْهِ نَصْفُهُ، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾^(٥).

٦ - إِنْ مَاتَ الزَّوْجُ قَبْلَ الدُّخُولِ بِهَا وَبَعْدَ الْعَقْدِ، ثَبَتَ لَهَا الْمِيرَاثُ وَالصَّدَاقُ

(١) النساء.

(٢) متفق عليه.

(٣) أحمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح.

(٤) أصحاب السنن وصححه الترمذي.

(٥) البقرة.

كَامِلًا لِقَضَاءِ رَسُولِ اللَّهِ بِذَلِكَ^(١) إِنْ كَانَ سَمَى لَهَا صَدَاقًا، وَإِنْ لَمْ يُسَمَّ فَلَهَا مَهْرٌ
الْمِثْلُ وَعَلَيْهَا عِدَّةُ الْوَفَاةِ.

٥ - آدَابُ النِّكَاحِ وَسُنَّتُهُ:

١ - الْخِطْبَةُ، وَهِيَ أَنْ يَقُولَ: إِنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ
شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. ثُمَّ يَقْرَأُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وَ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ
إِلَى... رَقِيبًا﴾ وَ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا إِلَى... عَظِيمًا﴾
لَمَا رَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَخْطُبَ لِحَاجَةٍ مِنْ نِكَاحٍ
أَوْ غَيْرِهِ فَلْيَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ... الخ»^(٢).

٢ - الْوَلِيمَةُ، لِقَوْلِهِ ﷺ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ لَمَّا تَزَوَّجَ: «أُولِمَ وَلَوْ بَشَاةً»^(٣).
وَالْوَلِيمَةُ: طَعَامُ الْعُرْسِ، وَيَجِبُ حُضُورُ مَنْ دُعِيَ إِلَيْهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ دُعِيَ إِلَى
عُرْسٍ أَوْ نَحْوِهَا فَلْيُجِبْ»^(٤). وَيُرَخَّصُ فِي عَدَمِ حُضُورِهَا إِنْ كَانَ بِهَا لَهْوٌ^(٥) أَوْ بَاطِلٌ.
وَمَنْ دَعَاهُ اثْنَانِ، قَدِمَ أُولَاهُمَا الَّذِي وَجَّهَ الدَّعْوَةَ، وَيُدْعَى لَهَا الْفُقَرَاءُ كَالْأَغْنِيَاءِ،
لِقَوْلِهِ ﷺ: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مِنْ يَابَاَهَا»^(٦).
وَمَنْ لَا يَجِبُ الدَّعْوَةُ، فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ دُعِيَ وَهُوَ صَائِمٌ أَجَابَ الدَّعْوَةَ؛
وَإِنْ شَاءَ أَكَلَ إِنْ كَانَ صَوْمُهُ تَطَوُّعًا، وَإِنْ شَاءَ دَعَا لَهُمْ وَخَرَجَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا دُعِيَ
أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيَصِلْ - أَيْ يَدْعُ - وَإِنْ كَانَ مَفْطَرًا فَلْيَطْعَمْ»^(٧).

(١) أصحاب السنن والترمذي وصححه الترمذي وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى لبروع بنت واشق لمامات
عنها زوجها ولم يسم لها صداقاً بمهر مثلها.

(٢) رواه الترمذي وصححه.

(٣) متفق عليه.

(٤) (٦، ٧) مسلم.

(٥) لما روى ابن ماجه بسند صحيح، أن علياً رضي الله عنه قال: صنعت طعاماً فدعوت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجاء فرأى في البيت تصاوير فرجع.

٣ - إعلَانُ النِّكَاحِ بِدُفٍّ، وَغَنَاءٍ مَبَاحٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «فَضْلُ مَا بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، الدُّفُّ وَالصَّوْتُ»^(١).

٤ - الدَّعَاءُ لِلزَّوْجَيْنِ، لِقَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ رَفَأَ الْإِنْسَانَ - إِذَا تَزَوَّجَ - قَالَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي الْخَيْرِ»^(٢).

٥ - أَنْ يَدْخُلَ بِهَا فِي شَوَالٍ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي شَوَالٍ، وَبَنَى بِي فِي شَوَالٍ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي؟ وَكَأَنْتَ تَسْتَحِثُّ أَنْ يَدْخُلَ نِسَاؤُهَا فِي شَوَالٍ»^(٣).

٦ - إِذَا دَخَلَ عَلَى زَوْجِهِ أَخَذَ بِنَاصِيَّتِهَا وَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهَا وَخَيْرٍ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا جَبَلْتَهَا عَلَيْهِ» إِذْ رُوِيَ عَنْهُ ﷺ ذَلِكَ»^(٤).

٧ - يَقُولُ عِنْدَ إِرَادَةِ الْجَمَاعِ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، لَمَّا رُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ الْخ... فَإِنْ قُدِّرَ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ وَلَدٌ لَنْ يَضُرَّ ذَلِكَ الْوَلَدَ الشَّيْطَانُ أَبَدًا»^(٥).

٨ - يَكْرَهُ لِلزَّوْجَيْنِ إِفْشَاءَ مَا جَرَى بَيْنَهُمَا مِنْ أَحَادِيثِ الْجَمَاعِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنْ مِنْ شَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى الْمَرْأَةِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يُنْشَرُ سُرُّهُمَا».

٦ - الشُّرُوطُ فِي النِّكَاحِ:

قَدْ تَشْتَرِطُ الزَّوْجَةُ عَلَى مَنْ خَطَبَهَا شُرُوطاً مَعْيِنَةً لَزَوَاجِهَا بِهِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَشْتَرِطُهُ مِمَّا يُدْعَمُ الْعَقْدَ وَيُقَوِّيه، وَذَلِكَ كَانَ تَشْتَرِطُ النِّفَقَةَ لَهَا، أَوِ الْوَطْءَ، أَوِ الْقِسْمَ لَهَا إِنْ كَانَ الْخَاطِبُ ذَا زَوْجَةٍ أُخْرَى، فَهَذَا الشَّرْطُ نَافِذٌ بِأَصْلِ الْعَقْدِ وَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ

(١) أصحاب السنن إلا (أبو داود).

(٢) ابن ماجه وأبو داود بمعناه وهو صحيح.

(٣) الترمذي وصححه.

(٤) متفق عليه.

(٥) مسلم.

الشرط مما يخل بالعقد كأن تشترط أن لا يستمتع بها، أو أن لا تصلح له طعامه أو شربه مما جرت العادة أن تقوم به الزوجة لزوجها، فهذا الشرط لاغٍ لا يجب الوفاء به، لأنه مخالف للغرض من الزواج بها.

وإن كان الشرط خارجاً عن دائرة ذلك كله، كأن تشترط عليه زيارة أقاربها، أو أن لا يخرجها من بلدتها مثلاً. بمعنى أنها اشترطت شرطاً لم يخل حراماً، ولم يحرم حلالاً، فإنه يجب الوفاء لها به، وإلا لها الحق في فسخ نكاحها إن شاءت، وذلك لقوله ﷺ: «أحق الشروط أن يوفى به ما استحللتم به الفروج»^(١).

كما يحرم على المرأة أن تشترط لزوجها بالرجل أن يطلق امرأته، لقوله ﷺ: «لا يخل أن تنكح امرأة بطلاق أخرى» رواه أحمد في المسند ولم أر من أعله. ولما روى البخاري ومسلم من أنه ﷺ نهى أن تشترط المرأة طلاق أخيها.

٦ - الخيار في النكاح:

يثبت الخيار لكل من الزوجين في الإبقاء على عصمة الزوجية أو فسخها لوجود سبب من الأسباب الآتية:

١ - العيب كالجنون أو الجذام أو البرص، أو داء الفرج المفوت للذة الاستمتاع، وكون الزوج خصياً أو مجنوناً أو عيناً لا يقوى على إتيان المرأة وغشيانها.

وفي حال الرغبة في فسخ النكاح ينظر فإن كان الفسخ قبل الوطء، فإن للزوج أن يرجع على المرأة فيما أعطاها من صداق، وإن كان بعد الوطء فلا يرجع عليها بشيء، إذ صداقها ثبت لها بما نال منها. وقيل يرجع به على من غرر به من ذويها، إن كان من غرر عالماً بالعيب. ودليل هذه المسألة أثر عمر في الموطأ وهو قوله: «أیما امرأة غرر بها رجل بها جنون أو جذام أو برص، فلها مهرها بما أصاب منها، وصداق الرجل على من غرر».

(١) متفق عليه.

٢ - الغرر، كأن يتزوج مَسْلَمَةً فتظهرُ كتابيَّةً، أو حرَّةً فتظهرُ أمةً، أو صَحِيحَةً فتظهرُ مريضةً بعورٍ أو عرجٍ، لقولِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا امْرَأَةٌ غُرِّ بِهَا رَجُلٌ فَلَهَا مَهْرُهَا بِمَا أَصَابَ مِنْهَا، وَصَدَاقُ الرَّجُلِ عَلَى مَنْ غَرَّه»^(١).

٣ - الإعسارُ بدفعِ الصداقِ الحالِ، فمن أُعْسِرَ بدفعِ صداقِ امرأتهِ الحالِّ - لا المؤجَّلِ - فإنَّ لامرأتهِ الحقُّ في الفسخِ قَبْلَ الدخولِ بِهَا، أَمَا إِنْ كَانَ بَعْدَ الدخولِ فلا حَقَّ لَهَا فِي الفسخِ، بَلْ يُنْضَى الْعَقْدُ وَيُثْبِتُ الصَّدَاقُ فِي ذِمَّتِهِ، وَلَيْسَ لَهَا مَنَعُ نَفْسِهَا مِنْهُ أَبَدًا.

٤ - الإعسارُ بالنفقة. فَمَنْ أُعْسِرَ بِنَفَقَةِ زَوْجَتِهِ انْتَهَرَتْهُ مَا اسْتَطَاعَتْ مِنَ الْوَقْتِ، ثُمَّ لَهَا الْحَقُّ فِي فسخِ نِكَاحِهَا مِنْهُ بِوَاسِطَةِ الْقَضَاءِ الشَّرْعِيِّ. قَالَ بِهَذَا الصَّحَابَةُ كَأَبِي هُرَيْرَةَ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَالتَّابِعُونَ كَالْحَسَنِ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَرَبِيعَةُ وَمَالِكٌ، رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ.

٥ - إِذَا غَابَ الزَّوْجُ وَلَمْ يُعْرِفْ مَكَانَ غَيْبَتِهِ، وَلَمْ يَتْرُكْ لَزَوْجَتِهِ نَفَقَةً وَلَمْ يُوصِرْ أَحَدًا بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَقُمْ غَيْرُهُ بِنَفَقَتِهَا، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهَا مَا تُنْفِقُهُ عَلَى نَفْسِهَا ثُمَّ تَرَجَّعَ بِهِ عَلَى زَوْجِهَا، فَإِنَّ لَهَا الْحَقَّ فِي فسخِ نِكَاحِهَا بِوَاسِطَةِ الْقَاضِي الشَّرْعِيِّ، فَتَرْفَعُ أَمْرَهَا إِلَيْهِ فَيُعْظَمُهَا وَيُوصِيهَا بِالصَّبْرِ، فَإِنْ أَبَتْ كَتَبَ الْقَاضِي مُحَضَّرًا بِوَاسِطَةِ شُهَدَاءٍ يَعْرِفُونَهَا وَيَعْرِفُونَ زَوْجَهَا، يَشْهَدُونَ عَلَى غَيْبَتِهِ وَإِعْسَارِهَا ثُمَّ يَجْرِي الْفَسْخُ بَيْنَهُمَا وَيَعْتَبَرُ هَذَا الْفَسْخُ طَلَقًا رَجْعِيًّا، فَإِنْ عَادَ الزَّوْجُ فِي مَدَّةِ الْعِدَّةِ عَادَتْ إِلَيْهِ.

كَيْفِيَّةُ كِتَابَةِ الْمَحْضَرِ:

بَعْدَ الْبَسْمَلَةِ وَحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

لَقَدْ حَضَرَ لَدَيْنَا الشَّاهِدَانِ فُلَانٌ... وَفُلَانٌ... وَهُمَا مِمَّنْ تَجُوزُ شَهَادَتُهُمَا لِعَدَالَتِهِمَا وَكَمَالِ رُشْدِهِمَا، وَشَهِدَا طَائِعِينَ شَهَادَةً لَا يَبْغِيَانِ بِهَا غَيْرَ وَجْهِ تَعَالَى،

(١) تقدم.

شَهِدَا بَأَنَّهُمَا يَعْرِفَانِ كَلَامَ مَنْ فُلَانٌ . . . وفُلَانَةٌ مَعْرِفَةً صَحِيحَةً شَرْعِيَّةً، ويشْهَدَانِ عَلَى أَنَّهُمَا فُلَانًا . . . وفُلَانَةٌ . . . زَوْجَانِ مَتَنَاجِحَانِ بِنِكَاحٍ شَرْعِيٍّ صَحِيحٍ، تَمَّ مَعَهُ الدُّخُولُ وَالخُلُوعُ. ثُمَّ غَابَ عَنْهَا مَدَّةٌ تَزِيدُ عَلَى كَذَا . . . وَتَرَكَهَا بِلَا نَفَقَةٍ وَلَا كَسْوَةٍ، وَلَا تَرَكَ عِنْدَهَا مَا تُنْفِقُهُ عَلَى نَفْسِهَا فِي حَالِ غَيْبَتِهِ، وَلَا مُتَبَرِّعًا بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهَا فِي حَالِ غَيْبَتِهِ، وَلَا أَرْسَلَ لَهَا شَيْئًا فَوْضَلَ إِلَيْهَا، وَلَا مَالَ لَهَا تُنْفِقُهُ عَلَى نَفْسِهَا وَتَرْجِعُ بِهِ عَلَيْهِ، وَهِيَ مُقِيمَةٌ عَلَى طَاعَتِهِ بِالْمَكَانِ الَّذِي تَرَكَهَا فِيهِ، وَمُتَضَرِّرَةٌ بِفُسْخِ نِكَاحِهَا مِنْهُ، يَعْلَمَانِ ذَلِكَ وَيَشْهَدَانِ بِهِ مَسْئُولَيْنِ عَنْهُ غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى.

ثُمَّ تَقَدَّمَتِ الزَّوْجَةُ الْمَذْكُورَةُ فُلَانَةٌ، فَحَلَفَتْ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، يَمِينًا شَرْعِيًّا عَلَى أَنَّ زَوْجَهَا الْمَذْكُورَ فُلَانًا قَدْ غَابَ عَنْهَا مَدَّةٌ كَذَا وَتَرَكَهَا بِلَا نَفَقَةٍ وَلَا كَسْوَةٍ . . . وَلَمْ يَتَرَكَ عِنْدَهَا مَا تُنْفِقُهُ عَلَى نَفْسِهَا فِي حَالِ غَيْبَتِهِ، وَلَا تَبَرَّعَ بِالْإِنْفَاقِ عَلَيْهَا، وَلَا أَرْسَلَ لَهَا شَيْئًا فَوْضَلَ إِلَيْهَا، وَلَا مَالَ لَهَا تُنْفِقُهُ عَلَى نَفْسِهَا وَتَرْجِعُ بِهِ عَلَيْهِ، وَأَنَّ مَنْ شَهِدَ لَهَا بِذَلِكَ صَادِقٌ فِي شَهَادَتِهِ، وَأَنَّهَا مُقِيمَةٌ عَلَى طَاعَتِهِ، مُتَضَرِّرَةٌ بِفُسْخِ نِكَاحِهَا مِنْهُ.

وَبِنَاءً عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ أُجْبِنَاهَا إِلَى سُؤَالِهَا بِفُسْخِ نِكَاحِهَا، لَمَّا قَامَ مِنَ الْبَيْتَةِ وَجَرَيَانِ الْحَلْفِ الْمَشْرُوحِ أَعْلَاهُ. فَقَالَتْ بِصَرِيحِ اللَّفْظِ: فَسَخْتُ نِكَاحِي مِنْ عَصْمَةِ زَوْجِي فُلَانٍ، فَكَانَ ذَلِكَ بِمَثَابَةِ طَلْقَةٍ وَاحِدَةٍ رَجْعِيَّةٍ انْفَسَخَ بِهَا نِكَاحُهَا مِنْ زَوْجِهَا الْمَذْكُورِ، وَذَلِكَ بِتَارِيخِ كَذَا . . .

٦ - الْعَتَقُ بَعْدَ الرِّقِّ، إِذَا كَانَتْ الزَّوْجَةُ أُمَةً تَحْتَ عَبْدٍ، ثُمَّ عُتِقَتْ فَإِنَّ لَهَا الْخِيَارَ فِي فُسْخِ نِكَاحِهَا مِنْ زَوْجِهَا الْعَبْدِ بِشَرْطِ أَنْ لَا تُمْكِنَهُ مِنْ نَفْسِهَا بَعْدَ عِلْمِهَا بِحَرِّيَّةِ نَفْسِهَا فَإِنْ مَكَّنَتْهُ بَعْدَ الْعِلْمِ فَلَا حَقَّ لَهَا فِي الْفُسْخِ لِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: «إِنَّ بَرِيرَةَ أُعْتِقَتْ وَكَانَ زَوْجُهَا عَبْدًا فَخَيَّرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَوْ كَانَ حُرًّا لَمْ يَخَيَّرَهَا».

٨ - الْحُقُوقُ الزَّوْجِيَّةُ:

أ - حُقُوقُ الزَّوْجَةِ عَلَى زَوْجِهَا: يَجِبُ لِلزَّوْجَةِ عَلَى زَوْجِهَا حُقُوقٌ كَثِيرَةٌ ثَبَّتَتْ

لَهَا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١). وبِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «إِنَّ لَكُمْ مِنْ نَسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنَسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا»^(٢). وَمِنْ هَذِهِ الْحُقُوقِ:

١ - نَفَقَتُهَا مِنْ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَكِسْوَةٍ وَسَكْنَى بِالْمَعْرُوفِ، لِقَوْلِهِ ﷺ لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْ حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ: «تُطْعَمُهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوها إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبُ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحُ»^(٣) وَلَا تَهْجُرُ إِلَّا فِي الْبَيْتِ - أَي لَا يُحَوَّلُهَا إِلَى بَيْتٍ آخَرَ يَهْجُرُهَا فِيهِ»^(٤)

٢ - الْاسْتِمْتَاعُ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّأَهَا وَلَوْ مَرَّةً فِي كُلِّ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ إِنْ عَجَزَ عَلَى قَدْرِ كِفَايَتِهَا مِنْهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٥).

٣ - الْمَيْتُ عِنْدَهَا فِي كُلِّ أَرْبَعِ لَيَالٍ لَيْلَةً إِذْ قُضِيَ بِهِ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٤ - الْقَسْمُ لَهَا بِالْعَدْلِ إِنْ كَانَ لَزَوْجِهَا نِسَاءً غَيْرَهَا، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ لِأَحَدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُجْرُ أَحَدُ شَقِيهِ سَاقِطاً أَوْ مَائِلاً»^(٦).

٥ - أَنْ يُقِيمَ عِنْدَهَا يَوْمَ تَزْوُجِهَا بِهَا سَبْعاً إِنْ كَانَتْ بِكَرّاً، وَثَلَاثاً إِنْ كَانَتْ ثِيْباً، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لِلْبِكْرِ سَبْعَةُ أَيَّامٍ، وَلِلثِيْبِ ثَلَاثُ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى نِسَائِهِ»^(٧).

٦ - اسْتِحْبَابُ إِذْنِهِ لَهَا فِي تَمْرِضِ أَحَدِ مُحَارِمِهَا، وَشُهُودِ جَنَازَتِهِ إِذَا مَاتَ، وَزِيَارَةِ أَقَارِبِهَا زِيَارَةً لَا تَضُرُّ بِمَصَالِحِ الزَّوْجِ.

ب - حُقُوقُ الزَّوْجِ: وَلِلزَّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ حُقُوقٌ ثَابِتَةٌ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

(١) سورة البقرة.

(٥) البقرة.

(٢) الترمذي وصححه.

(٦) الترمذي وصححه غيره.

(٣) أي لا يقل قبج الله وجهها.

(٧) مسلم.

(٤) أحمد وأبو داود وابن حبان وصححه الحاكم.

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١) فَمَا عَلَيْهِنَ هُوَ حَقُّوهُنَّ الزَّوْجِ، ولِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّ لَكُمْ مِنْ نَسَائِكُمْ حَقًّا»^(٢). وَهَذِهِ الْحَقُّوقُ هِيَ:

١ - الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ، فَتُطِيعُهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِالْمَعْرُوفِ، فَلَا تُطِيعُهُ فِيمَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ أَوْ يَشُقُّ عَلَيْهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾^(٣). وَقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ أَمِيرًا أَحَدًا أُنَّ يَسْجُدُ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لَزَوْجِهَا»^(٤).

٢ - حِفْظُ مَالِهِ وَصَوْنُ عَرَضِهِ وَأَنْ لَا تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْحَافِظَاتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾^(٥). وَقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «خَيْرُ النِّسَاءِ الَّتِي إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهَا أَسْرَتَكَ، وَإِذَا أَمَرْتَهَا أَطَاعَتْكَ، وَإِذَا غِبْتَ عَنْهَا حَفِظَتْكَ فِي نَفْسِهَا وَمَالِكَ»^(٦).

٣ - السَّفَرُ مَعَهُ إِذَا شَاءَ ذَلِكَ وَلَمْ تَكُنْ قَدْ اشْتَرَطْتَ عَلَيْهِ فِي عَقْدِهَا عَدَمَ السَّفَرِ بِهَا، إِذْ سَفَرُهَا مَعَهُ مِنْ طَاعَتِهِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْهَا.

٤ - تَسْلِيمُ نَفْسِهَا لَهُ مَتَى طَلَبَهَا لِلْإِسْتِمْتَاعِ بِهَا، إِذْ الْإِسْتِمْتَاعُ بِهَا، مِنْ حَقُّوقِهِ عَلَيْهَا، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ أَنْ تَجِيءَ فَبَاتَ غَضَبَانِ عَلَيْهَا، لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»^(٧).

٥ - اسْتِثْنَائُهُ فِي الصَّوْمِ إِذَا كَانَ حَاضِرًا غَيْرَ مُسَافِرٍ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ»^(٨).

٩ - نُشُورُ الزَّوْجَةِ:

إِذَا نَشَزَتِ الزَّوْجَةُ، أَيْ عَصَتْ زَوْجَهَا وَتَرَفَعَتْ عَنْهُ، وَامْتَنَعَتْ مِنْ أَذَاءِ حَقُّوقِهِ وَعَظَلَهَا فَإِنْ أَطَاعَتْ وَإِلَّا هَجَرَهَا فِي الْفِرَاشِ مَا شَاءَ مِنْ مَدَّةٍ، وَفِي الْكَلَامِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ لَا غَيْرَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ»^(٩). فَإِنْ أَطَاعَتْ وَإِلَّا

(١) البقرة.

(٥) النساء.

(٢) تقدم.

(٦) أبو داود ورواه بمعناه أحمد والنسائي والمحاكم وصححه.

(٣) النساء.

(٧، ٦، ٩) متفق عليه.

(٤) الترمذي وغيره.

ضَرَبَهَا فِي غَيْرِ الْوَجْهِ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ ، فَإِنْ أَطَاعَتْ وَإِلَّا بُعِثَ حَكَمٌ مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمٌ مِنْ أَهْلِهَا فَيُتَصَلَّانِ بِكُلِّ مِنْهُمَا عَلَى جِدَّةٍ سَعِيًّا وَرَاءَ الْإِصْلَاحِ وَالتَّوْفِيقِ بَيْنَهُمَا فَإِنْ تَعَذَّرَ ذَلِكَ فَرَقًا بَيْنَهُمَا بِطَلَاقٍ بَائِنٍ ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَاللَّائِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ، وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَاضْرِبُوهُنَّ ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ، وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾^(١).

١٠ - آدَابُ الْفِرَاشِ :

لِلْفِرَاشِ آدَابٌ تَنْبَغِي مُرَاعَاتُهَا وَالتَّادُّبُ بِهَا :

١ - مَلَاعِبَةُ الزَّوْجَةِ وَمَدَاعِبَتُهَا بِمَا يُثِيرُ دَاعِيَةَ الْجَمَاعِ عِنْدَهَا^(٢).

٢ - أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى فَرْجِهَا ، لِأَنَّهُ قَدْ يُسَبِّبُ لَهُ كِرَاهِيَتَهَا ، وَهُوَ مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُحَذَّرَ.

٣ - أَنْ يَقُولَ : بِسْمِ اللَّهِ ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مِنَّا مَا رَزَقْتَنَا ، لِتَرْغِيبِ الرَّسُولِ ﷺ فِي ذَلِكَ بِحَدِيثٍ مُتَّفَقٍ عَلَيْهِ بَلْفِظٍ : «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ قَالَ : اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ، فَإِنَّهُ أَنْ يُقَدَّرَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرَّهُ الشَّيْطَانُ أَبَدًا».

٤ - يَحْرُمُ أَنْ يَطَّأَهَا فِي حَيْضٍ أَوْ نَفَاسٍ ، وَقَبْلَ الْغُسْلِ مِنْهُمَا بَعْدَ الطُّهْرِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾^(٣).

٥ - يَحْرُمُ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّأَهَا فِي غَيْرِ الْقُبْلِ ، لِمَا وَرَدَ مِنَ التَّشْدِيدِ فِي ذَلِكَ ، كَقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ : «مَنْ أَتَى امْرَأَةً فِي دُبْرِهَا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(١) النساء .

(٢) لخبر : « لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقعن البهيمة ، وليكن بينهما رسول ، قيل : وما الرسول يا رسول الله ؟ قال : القبله والكلام » رواه الديلمي وهو منكر .

(٣) البقرة .

٦- أن لا ينزع قبل انقضاء شهرتها، لما في ذلك من أذيتها، وأذية المسلم محرمة.

٧- أن لا يعزل كراهية الحمل إلا بإذنها، وأن لا يعزل إلا لضرورة شديدة لقوله ﷺ عن العزل: هو الرأؤ الحفي^(١).

٨- يستحب له إذا أراد معاودة الجماع أن يتوضأ الوضوء الأصغر، وكذا إن أراد أن ينام، أو يأكل قبل الاغتسال.

٩- يجوز له أن يباشرها وهي حائض أو نفساء في غير ما بين السرة والركبة، لقوله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»^(٢).

١١ - الانكحة الفاسدة:

من الأنكحة الفاسدة التي نهى عنها النبي ﷺ ما يلي:

١ - نكاح المتعة: وهو النكاح إلى أجلٍ مُسمى بعيداً كان أو قريباً، كأن يتزوج الرجل المرأة على مدة معينة كشهر أو سنة مثلاً، وذلك للحديث المتفق عليه عن علي رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحُمير الأهلية زمن خيبر».

وحكم هذا النكاح البطلان، فيجب فسخه متى وقع. ويثبت فيه المهر إن كان قد دخل بالمرأة، وإلا فلا.

٢ - نكاح الشغار: وهو أن يزوج الولي وليته من رجلٍ على شرط أن يزوجه هو وليته، وسواء ذكراً لكل صداقاً أو لم يذكر، وذلك لقوله ﷺ: «لا شغار في الإسلام»^(٣). وقول أبي هريرة رضي الله عنه: «نهى رسول الله ﷺ عن الشغار، والشغار أن يقول الرجل زوجني ابنتك وأزوجك ابنتي، أو زوجني أختك وأزوجك أختي»^(٤). وقول ابن عمر رضي الله: «إن رسول الله ﷺ نهى عن الشغار، والشغار

(١) مسلم.

(٢) مسلم.

(٣) (٢) و(٣) و(٤) مسلم.

أن يزوّج الرجل ابنته على أن يزوّجه ابنته وليس بينهما صداق»^(١).

وحكم هذا النكاح أن يُفسخ قبل الدخول، وإن وقع الدخول فُسخ منه ما كان بدون صداق وما أُعطِيَ فيه لكلٍ صداق فلا يُفسخ.

٣ - نكاح المحلل: وهو أن تُطلق المرأة ثلاثاً فتحرّم على زوجها به لقوله تعالى: ﴿فلا تحلّ له من بعد حتّى تنكح زوجاً غيره﴾^(٢). فيتزوّجها آخر قصد أن يجعلها لزوجها الأول، فهذا النكاح باطل، لقول ابن مسعود: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المحلل والمحلل له»^(٣).

وحكم هذا النكاح أن يُفسخ ولا تحلّ به الزوجة لمن طلقها ثلاثاً، وثبت المهر للزوجة إن وطئت، ثم يفرق بينهما.

نكاح المحرم: وهو أن يتزوّج الرجل، وهو محرم بحجّ أو عمرّة قبل التحلل منهما.

وحكم هذا النكاح البطلان ثم إذا أراد الزوج بها جدّد عقدها بعد انقضاء حجه أو عمرته، لقوله ﷺ: «لا ينكح المحرم ولا يُنكح»^(٤). أي لا يعقد عقد نكاح له، ولا يعقد لغيره، والنهي هنا للتحريم، وهو مقتضى البطلان.

٥ - النكاح في العدة: وهو أن يتزوّج^(٥) الرجل المرأة المعتدة من طلاق أو وفاة، فهذا النكاح باطل، وحكمه: أن يفرق بينهما لبطلان العقد وثبت للمرأة الصداق إن كان قد خلا بها. ويحرم عليه أن يتزوّجها بعد انقضاء عدتها عقوبة له^(٦).

(١) متفق عليه.

(٢) البقرة.

(٣) الترمذي وصححه.

(٤) مسلم.

(٥) يحرم أن يخطب المسلم على خطبة أخيه المسلم، لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك». البخاري.

(٦) أهل العلم على أنه يجوز له أن يتزوّجها بعد انقضاء عدتها إذا كان لم يبين بها في عدتها، وأما إذا بنى بها فإن مالكا وأحمد، رحمهما الله تعالى يريان أنها تحرم عليه تحريماً مؤكداً.

وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ الْنِكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾^(١).

٦ - النِّكَاحُ بِلَا وَلِيٍّ : وَهُوَ أَنْ يَتَزَوَّجَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ بِدُونِ إِذْنِ وَلِيِّهَا، فَهَذَا النِّكَاحُ بَاطِلٌ، لِنَقْصَانِ رُكْنٍ مِنَ الْأَرْكَانِ، وَهُوَ الْوَلِيُّ، لِقَوْلِهِ ﷺ : «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ»^(٢). فَحُكْمُهُ أَنْ يَفْرَقَ بَيْنَهُمَا وَيُثْبِتَ لَهَا الْمَهْرُ إِنْ مَسَّهَا وَبَعْدَ الْاسْتِبْرَاءِ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِعَقْدٍ وَصَدَاقٍ إِنْ رَضِيَ وَلِيِّهَا بِذَلِكَ.

٧ - نِكَاحُ الْكَافِرَةِ غَيْرِ الْكِتَابِيَّةِ : لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ﴾^(٣). فَيَحْرُمُ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَزَوَّجَ كَافِرَةً مَجُوسِيَّةً كَانَتْ أَوْ شِيعِيَّةً، أَوْ وَثْنِيَّةً، كَمَا لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمَةٍ أَنْ تَتَزَوَّجَ كَافِرًا مُطْلَقًا كِتَابِيًّا أَوْ غَيْرِ كِتَابِيٍّ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾^(٤). وَمِنْ أَحْكَامِ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ مَا يَلِي :

١ - إِذَا أَسْلَمَ أَحَدُ الزَّوْجَيْنِ الْكَافِرَيْنِ بَطَلَ نِكَاحُهُمَا، فَإِنْ أَسْلَمَ الثَّانِي قَبْلَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ فَهُمَا عَلَى نِكَاحِهِمَا الْأَوَّلِ، وَإِنْ أَسْلَمَ بَعْدَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ، فَلَا بُدَّ مِنْ عَقْدٍ جَدِيدٍ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ^(٥).

٢ - إِذَا أَسْلَمَتِ الزَّوْجَةُ قَبْلَ الْبِنَاءِ بِهَا فَلَا شَيْءَ لَهَا مِنَ الْمَهْرِ، لِأَنَّ الْفُرْقَةَ كَانَتْ مِنْهَا، وَإِنْ أَسْلَمَ الزَّوْجُ فَلَهَا نِصْفُ الْمَهْرِ، وَإِذَا أَسْلَمَتْ بَعْدَ الْبِنَاءِ بِهَا فَلَهَا الْمَهْرُ كَامِلًا. وَحُكْمُ ارْتِدَادِ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ كَحُكْمِ إِسْلَامِ أَحَدِهِمَا سَوَاءً بِسَوَاءٍ.

٣ - مَنْ أَسْلَمَ وَتَحْتَهُ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِ نِسَوَةٍ قَدْ أَسْلَمْنَ مَعَهُ، أَوْ كُنَّ كِتَابِيَّاتٍ، وَلَوْ لَمْ يُسَلِّمَنَّ اخْتَارَ مِنْهُنَّ أَرْبَعًا وَفَارَقَ الْبَوَاقِي، لِقَوْلِهِ ﷺ : لِمَنْ أَسْلَمَ وَتَحْتَهُ عَشْرُ نِسَوَةٍ :

(١) البقرة.

(٢) تقدم.

(٣) البقرة.

(٤) الممتحنة.

(٥) الم يرد على ما ذهب إليه الجمهور أن الرسول ﷺ قد رد ابنته زينب إلى زوجها أبي العاص وقد تأخر إسلامه عن إسلامها بمدة، إذ من الممكن أن يكون حكم نكاح الكفار لم ينزل بعد، ولما نزل حكمه وأمرت زينب بالعدة كانت لم تنقض عدتها حتى جاء زوجها مسلماً فردت إليه بالنكاح الأول.

«اخْتَرَ مِنْهُنَّ أَرْبَعًا»^(١). وكذا من أسلم وتحتة أختانِ فارقَ منهما مَنْ شاءَ، إذ لا يحلُّ الجمعُ بينِ الأختينِ لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾. وقولِ النبي ﷺ لمن أسلم وتحتة أختانِ: «طَلَّقْ أَيْتَهُمَا شِئْتَ»^(٢).

٨ - نكاح المحرمات:

أ - المحرمات تحريماً مؤبداً:

١ - المحرمات بالنسب وهن: الأمُّ والجدَّة مطلقاً^(٣)، ومهما علَّت، والبنْتُ وبنْتُها ومهما نزلت، وبنْتُ الابنِ وبنْتُها مهما نزلت، والأختُ مطلقاً وبناتها وبناتُ ابنتها مهما نزلن، والعمَّة مطلقاً ومهما علَّت، والخالَّة مطلقاً ومهما علَّت، وبنْتُ الآخر مطلقاً، وبنْتُ ابنه وبنْتُ ابنته مهما نزلت، وذلك لقولِ الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾^(٤).

٢ - المحرمات بالمصاهرة وهن: زَوْجَةُ الأب، وزَوْجَةُ الجدِّ مهما علّا، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾^(٥). وأمُّ الزوجة وجدَّتها مهما علَّت، وبنْتُ الزوجة إن دخل بالأم، وكذا بنْتُ بنتِ الزوجة، أو بنْتُ ابنتها، لقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نَسَائِكُمْ وَرَبَائِكُمُ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نَسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾^(٦). وزوجة الابنِ أو ابني الابنِ، لقوله تعالى: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾^(٧).

٣ - المحرمات بالرضاع وهن: جميع من حُرِّمَ بالنسب من الأمهات، والبنات والأخوات والعمات والخالات، وبنات الأخ، وبنات الأخت، لقوله ﷺ: «يُحْرَمُ بِالرِّضَاعِ مَا يُحْرَمُ مِنَ النِّسَبِ»^(٨).

والرضاع المحرم ما كان دونَ الحولين، وتحقَّق معه حصولُ لبنٍ حقيقةً إلى جوفِ الرضيعِ ممَّا يُعتَبَرُ إرضاعاً، لقوله ﷺ: «لَا تُحْرَمُ الْمِصَّةُ وَالْمِصَّتَانِ»^(٩). لأنَّ

(١) أحمد والترمذي، وصححه ابن حبان وبه العمل عند كافة المسلمين. (٤) و(٥) و(٦) و(٧) النساء.

(٢) أحمد وصححه ابن حبان. (٨) متفق عليه.

(٣) سواء كانت من جهة الأم أو الأب. (٩) مسلم.

المصّة شيء تافه قد لا يحصل معه لبن إلى الجوف لقلته . . .

[تنبيهات]:

● زَوْجُ المرضعة يعتبر أباً للرضيع ، فأولاده من غير المرضعة إخوة له ويحرم عليه أمهات أبيه ، وأخواته وعماته وخالاته كافلاً ، كما أن المرضعة جميع أولادها من أي زوج هم إخوة للرضيع ، وذلك لقوله ﷺ ائذني لأفلق أخي أبي القعيس فإنه عمك ، وكانت امرأته قد أرضعت عائشة رضي الله عنها^(١) . فثبت الحديث العمومة من الرضاع فيتبعها إذا كل ما ذكر .

● إخوة الرضيع وأخواته لا يحرم عليهم أحد ممن حرم على الرضيع لأنهم لم يرضعوا مثله فيباح للآخر أن يتزوج من أرضعت أخاه ، أو أمها أو ابنتها ، أو أباه أو ابنه ، كما يباح للأخت أن تتزوج صاحب اللبن الذي رضع منه أخوها أو أختها ، أو أباه أو ابنه مثلاً .

● هل تعتبر زوجة الابن من الرضاع كزوجة الابن من الصلب فتحرّم؟ الجمهور على اعتبارها كحليّة الابن ، ومن رأى غير ذلك احتج بأن حليّة الابن محرّمة بالمصاهرة ، والرضاع لا يحرم إلا ما يحرم النسب فقط .

٤ - الملاعنة : يحرم أبداً على الرجل أن يتزوج امرأته التي لاعنها ، لقوله ﷺ : « المتلاعنان إذا تفرقا لا يجتمعان أبداً »^(٢) .

ب - المحرمات تحريماً مؤقتاً وهن :

١ - أخت الزوجة إلى أن تطلق أختها وتنقضي عدتها أو تموت ، لقوله تعالى في سياق بيان المحرمات : ﴿ . . . وأن تجمعوا بين الأختين ﴾ .

٢ - عمّة الزوجة أو خالتها ، فلا تنكح حتى تطلق بنت أخيها أو بنت أختها ،

(١) متفق عليه .

(٢) رواه أبو داود وقال مالك في الموطأ : السنة عندنا أن المتلاعنين لا يتناكحان أبداً .

وَتَنْقِضِي عِدَّتَهَا أَوْ تَتَوَفَّى، لِقَوْلِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُنْكَحَ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَتِهَا أَوْ خَالَئَتِهَا»^(١).

٣ - الْمُحْصَنَةُ (أَيِ الْمَتْرُوجَةِ) حَتَّى تُطَلَّقَ أَوْ تُؤَيَّمَ وَتَنْقِضِي عِدَّتَهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سِيَاقِ بَيَانِ الْمَحْرَمَاتِ: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾.

٤ - الْمُعْتَدَّةُ مِنْ طَلَاقٍ أَوْ وِفَاةٍ حَتَّى تَنْقِضِي عِدَّتَهَا وَيَحْرُمَ خِطْبَتُهَا كَذَلِكَ، وَلَا مَانِعٌ مِنَ التَّعْرِيطِ، كَقَوْلِهِ مَثَلًا: «إِنِّي فَيْكِ لِرَاغِبٌ»، وَذَلِكَ لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا، إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا، وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾^(٢).

٥ - الْمُطَلَّقةُ ثَلَاثًا حَتَّى تُنْكَحَ زَوْجًا آخَرَ وَتَفَارِقَهُ بِطَلَاقٍ أَوْ مَوْتٍ وَتَنْقِضِي عِدَّتَهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَحِلُّ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تُنْكَحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾^(٣).

٦ - الزَّانِيَةُ حَتَّى تُتَوَبَّ مِنَ الزَّانِي وَيُعْلَمَ ذَلِكَ مِنْهَا يَقِينًا وَتَنْقِضِي عِدَّتَهَا مِنْهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ، وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤). وَقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «الزَّانِي الْمَجْلُودُ لَا يَنْكِحُ إِلَّا مِثْلَهُ»^(٥).

المادة الثانية: في الطلاق:

١ - تعريفه؛ الطلاق، هو حُلُّ رَابِطَةِ الزَّوْجِ بِلَفْظٍ صَرِيحٍ: كَانَتْ طَالِقٌ، أَوْ كُنَايَةً مَعَ نِيَّتِهِ كَاذْهَبِي إِلَى أَهْلِكَ.

٢ - حكمه: الطلاق مباحٌ لرفعِ الضررِ عن أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾^(٦). وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾^(٧).

(١) متفق عليه.

(٥) أحمد وأبو داود وقال الحافظ رجاله ثقات.

(٢) البقرة.

(٦) البقرة.

(٣) البقرة.

(٧) الطلاق.

(٤) النور.

وقد يجبُ الطلاقُ إذا كَانَ مَا لِحَقَّ أَحَدَ الزَّوْجَيْنِ مِنَ الضَّرَرِ لَا يُرْفَعُ إِلَّا بِهِ، كما أَنَّهُ قَدْ يَحْرُمُ إِذَا كَانَ يُلْحَقُ بِأَحَدِ الزَّوْجَيْنِ ضَرَرًا وَلَمْ يَحَقُقْ مَنْفَعَةٌ تَفُوقُ ذَلِكَ الضَّرَرَ أَوْ تَسَاوِيَهُ، وَيَشْهَدُ لِلأَوَّلِ قَوْلُهُ ﷺ للذي شَكَا إِلَيْهِ بَدَاءَ امْرَأَتِهِ: طَلَّقَهَا^(١)، وَيَشْهَدُ لِلثَّانِي قَوْلُهُ ﷺ «أَيَّمَا امْرَأَةٍ سَأَلْتُ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ»^(٢).

٣ - أركانُهُ: لِلطَّلَاقِ ثَلَاثَةُ أَرْكَانٍ، وَهِيَ:

١ - الزَّوْجُ الْمَكْلُوفُ، فَلَيْسَ لغيرِ الزَّوْجِ أَنْ يُوقَعَ طَلَاقًا، لقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا الطَّلَاقُ أَخْذٌ بِالسَّاقِ»^(٣). كما أَنَّ الزَّوْجَ إِذَا لَمْ يَكُنْ عَاقِلًا بَالِغًا مُخْتَارًا غَيْرَ مُكْرَهٍ لَا يَقَعُ مِنْهُ طَلَاقٌ لقَوْلِهِ ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ»^(٤). ولقَوْلِهِ ﷺ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ، وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»^(٥).

٢ - الزَّوْجَةُ الَّتِي تَرْبِطُهَا بِالزَّوْجِ الْمَطْلُوقِ رَابِطَةُ الزَّوْاجِ حَقِيقَةٌ بَأَن تَكُونَ فِي عَصَمَتِهِ لَمْ تَخْرُجْ عَنْهُ بِفَسْخٍ أَوْ طَلَاقٍ أَوْ حُكْمًا، كَالْمَعْتَدَةِ مِنْ طَلَاقٍ رَجْعِيِّ أَوْ بَائِنٍ بَيْنُونَةٍ صَغْرَى فَلَا يَقَعُ الطَّلَاقُ عَلَى امْرَأَةٍ لَيْسَتْ لِلْمَطْلُوقِ وَلَا عَلَى امْرَأَةٍ بَانَتْ مِنْهُ بِالطَّلَاقِ الثَّلَاثِ، أَوْ بِالْفَسْخِ أَوْ بِطَلَاقِهَا قَبْلَ الدُّخُولِ بِهَا^(٦)، إِذْ لَمْ يَصَادِفِ الطَّلَاقُ مُحَلَّهُ فَهُوَ لَاغٍ لقَوْلِهِ ﷺ: «لَا نَذَرَ لَابْنِ آدَمَ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، وَلَا عِتْقَ لَهُ فِيمَا لَا يَمْلِكُ، وَلَا طَلَاقَ لَهُ فِيمَا لَا يَمْلِكُ»^(٧).

(١) أَبُو دَاوُدَ وَهُوَ صَحِيحٌ.

(٢) أَصْحَابُ السَّنَنِ وَهُوَ صَحِيحٌ.

(٣) ابْنُ مَاجَةَ وَالدَّارِ قُطْنِي وَهُوَ مَعْلُولٌ، غَيْرَ أَنَّهُ يَعْمَلُ بِهِ لكَثْرَةِ طَرَفِهِ وَلَمَّا عَاضَدَهُ مِنْ قُرْآنِ كَرِيمٍ.

(٤) تَقْدِمُ.

(٥) الطَّبْرَانِيُّ وَهُوَ صَحِيحٌ.

(٦) اخْتَلَفَ فِيمَنْ قَالَ: إِنْ تَزَوَّجْتَ فُلَانَةَ - يَسْمَى امْرَأَةً بِعَيْنِهَا - فَهِيَ طَالِقٌ.

(٧) التِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ.

٣ - اللفظ الدال على الطلاق صريحاً كان أو كنايةً، فالنية وحدها بدون تلفظ لا تكفي ولا تطلق بها الزوجة لقوله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به»^(١).

٤ - أقسامه: للطلاق أقسام، هي:

١ - الطلاق السني: وهي أن يطلق المرأة في طهر لم يمسه فيها، فإذا أراد المسلم أن يطلق امرأته لضرر لحق بأحدهما، وكان لا يدفع إلا بالطلاق، انتظرها حتى تحيض وتطهر، فإذا طهرت لم يمسه ثم يطلقها طلاقاً واحدة كان يقول مثلاً: إنك طالق، وذلك لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾^(٢).

٢ - الطلاق البدعي: وهو أن يطلق الرجل امرأته وهي حائض أو نفساء أو في طهر قد مسها فيه، أو يطلقها ثلاثاً في كلمة واحدة أو ثلاث كلمات في الحال كأن يقول: هي طالق، ثم طالق، ثم طالق، وذلك لأمر رسول الله ﷺ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وقد طلق امرأته وهي حائض، أن يراجعها ثم ينتظرها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد ذلك، وإن شاء طلق قبل أن يمس، ثم قال رسول الله ﷺ: «فإنك العدة التي أمر الله سبحانه أن تطلق لها النساء»^(٣). ولقوله ﷺ وقد أخبر أن رجلاً طلق امرأته ثلاثاً في كلمة واحدة: «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟» وبدا عليه غضب شديد^(٤).

والطلاق البدعي، كالسني عند جمهور العلماء في وقوعه وانحلال رابطة الزواج به.

٣ - الطلاق البائن: وهو الذي لا يملك المطلق معه حق الرجعة، فبمجرد وقوعه يصبح المطلق كخاطب من سائر الخطاب، وإن شاءت المطلقة قبلته بمهر

(٣) مسلم.

(١) متفق عليه.

(٤) النسائي، وقال ابن كثير إسناده جيد.

(١) سورة الطلاق.

وعقد، وإن شاءت رفضته. ريقع الطلاق بائناً في خمس صور وهي:

أ - أن يطلقها طلاقاً رجعيّاً، ثم يتركها فلا يراجعها حتى تنقضي عدتها فتبين عنه بمجرد انقضاء عدتها.

ب - أن يطلقها على مال تدفعه مخالعة.

ج - أن يطلقها الحكماء عندما يريان أن الطلاق أصلح من الإبقاء على الزواج.

د - أن يطلقها قبل الدخول بها، إذ المطلقة قبل الدخول لا عدة عليها، فتبين إذن لمجرد وقوع الطلاق عليها.

هـ - أن يئس طلاقها بأن يطلقها ثلاثاً في كلمة واحدة أو متفرقات في المجلس أو يطلقها الثالثة بعد اثنتين قبلها، فتبين منه بينونة كبرى، فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره.

٤ - الطلاق الرجعي: وهو ما يملك معه الزوج حق مراجعة مطلّقه، ولو بدون رضاها، لقوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾^(١). ولقوله ﷺ لابن عمر بعد أن طلق زوجته «راجعها...»^(٢).

والطلاق الرجعي ما كان دون الثلاث في المدخول بها وبدون عوض. والمطلقة طلاقاً رجعيّاً حكمها كحكم الزوجة في النفقة والسكنى وغيرهما، حتى تنقضي عدتها، فإذا انقضت عدتها بآنت من زوجها، وإن أراد الزوج مراجعتها يكفيه أن يقول لها: لقد رجعتك، ويسن أن يشهد على مراجعتها شاهدي عدل.

٥ - الطلاق الصريح: وهو ما لا يحتاج معه إلى نية الطلاق، بل يكفي فيه بلفظ الطلاق الصريح، وذلك كأن يقول: (أنت طالق) أو (مطلقة) أو (طلقتك) أو نحو ذلك.

(٢) مسلم.

(١) البقرة.

٦ - الطَّلَاقُ الْكِنَايَةُ: وهو ما يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى نِيَّةِ الطَّلَاقِ، إِذِ اللَّفْظُ غَيْرُ صَرِيحٍ فِي الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ كَأَن يَقُولَ: (الْحَقِّي بِأَهْلِكَ) أَوْ (اخْرُجِي مِنَ الدَّارِ)، أَوْ (لَا تَكَلِّمِينِي) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ فِيهِ الطَّلَاقُ وَلَا مَعْنَاهُ، مِثْلُ هَذَا لَا يَكُونُ طَلَاقًا إِلَّا إِذَا نَوَى بِهِ الطَّلَاقَ، وَقَدْ طَلَّقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِحْدَى نِسَائِهِ بِلَفْظٍ: «الْحَقِّي بِأَهْلِكَ»^(١). فَلَا شَكَّ أَنَّهُ نَوَى بِهِ الطَّلَاقَ وَالْأَفْأَنَ كَعَبِّ بْنِ مَالِكٍ لَمَّا قِيلَ لَهُ إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ امْرَأَتَكَ، فَقَالَ: أَطْلُقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: اعْتَزَلْهَا فَلَا تَقْرُبْهَا. فَقَالَ لَامِرَاتِهِ: الْحَقِّي بِأَهْلِكَ، فَالتَحَقَّتْ بِهِمْ وَلَا عُدَّ عَلَيْهِ هَذَا طَلَاقًا.

هَذَا فِي الْكِنَايَةِ الْخَفِيَّةِ، أَمَّا الْكِنَايَةُ الظَّاهِرَةُ كَقَوْلِهِ: أَنْتِ جَلِيَّةٌ^(٢). أَوْ بَائِنٌ تَحْلِيْنٌ لِلرِّجَالِ، فَهَذِهِ الْكِنَايَةُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى نِيَّةٍ بَلْ يَقَعُ الطَّلَاقُ بِمَجْرَدِ التَّلْفُظِ بِهَا.

٧ - الطَّلَاقُ الْمَنْجَزُ وَالْمَعْلَقُ: الطَّلَاقُ الْمَنْجَزُ هُوَ مَا تُطَلِّقُ بِهِ الزَّوْجَةَ فِي الْحَالِ، كَقَوْلِهِ: أَنْتِ طَالِقٌ مِثْلًا فَتُطَلِّقُ فِي الْحَالِ، وَأَمَّا الْمَعْلَقُ فَهُوَ مَا عُلِّقَ عَلَى فِعْلٍ شَيْءٍ أَوْ تَرْكِه، فَلَا يَقَعُ إِلَّا بَعْدَ وَقُوعِ مَا عُلِّقَ عَلَيْهِ مِثْلَ أَنْ يَقُولَ: إِنْ خَرَجْتَ مِنَ الْمَنْزِلِ فَأَنْتِ طَالِقٌ، أَوْ أَنْ وَلَدَتْ بِنْتًا فَأَنْتِ طَالِقٌ، فَلَا تُطَلِّقُ إِلَّا إِذَا خَرَجْتَ مِنَ الْمَنْزِلِ أَوْ وَلَدَتْ بِنْتًا.

٨ - طَّلَاقُ التَّخْيِيرِ وَالتَّمْلِيكِ: وَهُوَ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لَامِرَاتِهِ: اخْتَارِي أَوْ خَيْرِي تِلْكَ فِي مَفَارِقَتِي أَوْ الْبَقَاءِ مَعِي، فَإِنْ اخْتَارَتْ الطَّلَاقَ تَطَلَّقَتْ، وَقَدْ خَيَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نِسَاءَهُ فَاخْتَرْنَ عَدَمَ فِرَاقِهِ فَلَمْ يُطَلِّقَنَّ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِنْ كُنْتُنَّ تَرْضَوْنَ الْخَيْرَ﴾^(٣). وَأَمَّا التَّمْلِيكُ فَهُوَ أَنْ يَقُولَ: لَقَدْ مَلَكَتُكَ أَمْرُكَ، وَأَمْرُكَ بِيَدِكَ، فَإِذَا قَالَ لَهَا ذَلِكَ فَقَالَتْ: إِذَا أَنَا طَالِقٌ، تَطَلَّقْتَ طَلَقَةً وَاحِدَةً رَجْعِيَّةً^(٤).

(١) متفق عليه والمرأة: هي بنت الجون التي قالت له عندما دخل عليها: أعوذ بالله منك، فقال لها: عدت بعظيم: الحقي بأهلك.

(٢) اختلف هل يقع طلاق الكناية الجلية بانئناً أو رجعيّاً، وإذا كان بانئناً فهل بينونة صغرى أو كبرى ذهب إلى أنها بينونة كبرى لا تحل إلا بعد نكاح زوج آخر. مالك رحمه الله.

(٣) الأحزاب.

(٤) مالك وبعض أهل العلم يرون أن المملكة لو قالت: اخترت الطلاق الثلاث بانئ منه ولا يملك رجعتها ولا نكاحها، إلا بعد أن تنكح رجلاً آخر.

٩ - الطَّلَاقُ بِالْوَكَالَةِ أَوْ الْكِتَابَةِ: إِذَا وَكَّلَ الرَّجُلُ مِنْ يَطْلِقُ امْرَأَتَهُ، أَوْ كَتَبَ إِلَيْهَا كِتَابًا يُعْلِنُ لَهَا فِيهِ طَلَاقَهَا، ثُمَّ أَنْفَذَهُ إِلَيْهَا تَطَلَّقَتْ. وَلَا خِلَافَ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي ذَلِكَ؛ إِذِ الْوَكَالَةُ جَائِزَةٌ فِي الْحَقُوقِ، وَالْكِتَابَةُ تَقُومُ مَقَامَ النُّطْقِ عِنْدَ تَعَذُّرِهِ لَغَيْبَةٍ أَوْ خَرَسٍ مَثَلًا.

١٠ - الطَّلَاقُ بِالتَّحْرِيمِ^(١): وَهُوَ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ لَزَوْجَتِهِ: أَنْتِ عَلَيَّ حَرَامٌ أَوْ تَحْرِمِينَ أَوْ بِالْحَرَامِ، فَإِنْ نَوَى الطَّلَاقَ وَنَوَى بِهِ ظَهَارًا فَهُوَ ظَهَارٌ، تَجِبُ فِيهِ كَفَّارَةٌ الظَّهَارِ، وَإِنْ لَمْ يُرِدْ بِهِ طَلَاقًا وَلَا ظَهَارًا أَوْ أَرَادَ بِهِ الْحِلْفَ، كَأَنْ يَقُولَ: أَنْتِ حَرَامٌ إِنْ فَعَلْتَ كَذَا ففَعَلْتُ فِيهِ كَفَّارَةٌ يَمِينٍ لَا غَيْرَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا حَرَّمَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ فِيهِ يَمِينٌ يَكْفُرُهَا، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْوَةٌ^(٢)» (٣).

١١ - الطَّلَاقُ الْحَرَامُ: وَهُوَ أَنْ يَطْلِقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، أَوْ فِي ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ فِي الْمَجْلِسِ، كَانَ يَقُولُ عِبَارَةً: (أَنْتِ طَالِقٌ ثَلَاثًا) أَوْ يَقُولُ: أَنْتِ طَالِقٌ، طَالِقٌ، طَالِقٌ، فَهَذَا مُحَرَّمٌ بِالْإِجْمَاعِ، لِقَوْلِهِ ﷺ وَقَدْ أُخْبِرَ أَنَّ رَجُلًا طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا جَمْعًا، فَقَامَ غَضَبَانِ وَقَالَ: «أَيُّلَعَبُ بَكْتَابِ اللَّهِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ؟ حَتَّى قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا اقْتُلُهُ» (٤).

وَحُكْمُ هَذَا الطَّلَاقِ عِنْدَ جَمْهُورِ الْعُلَمَاءِ: الْأُثْمَةُ الْأَرْبَعَةُ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُ يَنْفَذُ ثَلَاثًا، وَأَنَّ الْمَطْلُوقَةَ بِهِ لَا تَحِلُّ لَزَوْجَتِهَا حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ، وَأَمَّا غَيْرُ الْجَمْهُورِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ طَلَقًا وَاحِدَةً بَائِنَةً أَوْ رَجْعِيَّةً عَلَى خِلَافٍ بَيْنَهُمْ، وَاخْتَلَفَتْ آرَاءُ الْعُلَمَاءِ لاختلاف الأدلة، ولما فهمه كل فريق من النصوص.

(١) هذه المسألة بلغ فيها الخلاف بين السلف مبلغاً عظيماً حتى بلغت فيها الأقوال نحواً من ثمانية عشر قولاً، وذلك لعدم وجود نص من كتاب أوسنة، وقد ذكرت أعدل الأقوال فيها إن شاء الله تعالى.

(٢) يعني بذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم حرم مارية فلم تحرم عليه، وإنما اكتفى بعقوبة رقية.

(٣) متفق عليه.

(٤) تقدم.

وبناءً على خلاف أهل العلم في هذا فإنه - والله تعالى أعلم - يحسن أن ينظر فيه إلى حال المطلق، فإن كان لا يريد من قوله أنت طالق بالثلاث إلا مجرد تخويف الزوجة أو كان يريد الحلف عليها كأن علقه على فعل شيء بأن، قال: أنت طالق بالثلاث، إن فعلت كذا ففعلت، أو كان في حالة غضب حاد، أو قال ذلك وهو لا يريد طلاقها البتة، فيمضى عليه طلاق واحدة بآثمة، وإن كان يريد من قوله: أنت طالق ثلاثاً حقيقة فراقها وإبانتها منه حتى لا تعود إليه بحال فيمضى عليه ثلاثاً، ولا تحل حتى تنكح زوجاً غيره، جمعاً بين الأدلة، ورحمة بالأمّة.

[تنبيهان].

● اتفق أهل العلم على أن المطلقة ثلاثاً إذا نكحت زوجاً غير زوجها نكاحاً صحيحاً ذاق في عسيلته وذاق عسيلتها، فإنها لو رجعت إلى زوجها ترجع وقد انهدم الطلاق الأول، فستقبل ثلاث تطليقات، واختلّفوا فيمن تطلقت واحدة أو اثنتين، ثم تزوجت وعادت إلى زوجها الأول، هل هذا الزواج يهدم الطلاق الأول أو يبقى محسوباً عليها؟ فذهب مالك إلى أن نكاح زوج غير زوجها لا يهدم إلا الثلاث، بينما يرى أبو حنيفة رحمه الله، وكذا في رواية عن أحمد أنه إن يهدم الثلاث فإنه من باب أولى يهدم ما بين الثلاث. وهو قول ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم - والله تعالى أعلم - .

● الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة، على أن العبد لا يملك من امرأته إلا طلقين، فإن طلقها الثانية بانت منه ولا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره.

المادة الثالثة: في الخلع:

١ - تعريفه: الخلع هو افتداء المرأة من زوجها الكارهة له بمال تدفعه إليه ليتخلى عنها.

٢ - حكمه: الخلع جائز إن استوفى شروطه، لقوله ﷺ لامرأة ثابت بن قيس، وقد جاءته تقول عن زوجها: يا رسول الله، ما أعتب عليه في خلقي ولا دين، ولكن

أَكْرَهَ الْكَفَرَ بَعْدَ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ لَهَا : «أَتُرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَزَوْجِهَا : «اقْبَلِ الْحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقًا»^(١) .

٣ - شروطُ الخلعِ هي :

١ - أن يكونَ البغضُ من الزوجة ، فإن كَانَ الزوجُ هوَ الكَارِهَ لها فليسَ لَهُ أن يأخذَ منها فديةً وإنما عليه أن يصبرَ عليها ، أو يطلقَهَا إن خَافَ ضرراً .

٢ - أن لا تطالبَ الزوجةُ بالخلعِ حتَّى تبلغَ درجةً من الضررِ ، تخافُ معها أن لا تقيمَ حدودَ اللَّهِ في نفسها أو في حقوقِ زوجِها .

٣ - أن لا يتعمدَ الزوجُ أذيةَ الزوجةِ حتَّى تخالِعَ منه ، فإن فَعَلَ فلا يحلُّ لَهُ أن يأخذَ منها شيئاً أبداً ، وهو عاصٍ ، والخلعُ ينفذُ طلاقاً بائناً ، فلو ارَادَ مراجعتها لا يحلُّ لَهُ إلا بعدَ عقدٍ جديدٍ .

٤ - أحكامُ الخلعِ هي :

١ - يُسْتَحَبُّ أن لا يأخذَ منها أكثرَ مما مهرَها به ، إذ قيسُ اكتفى من مخالعيه بالحديقةِ التي أمهرَها إياها ، وذلكَ بأمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

٢ - إن كَانَ الخلعُ بلفظِ الخلعِ اعتدتُ المخالعةُ بحيضةٍ واجدةٍ كالمستبرئة ، لأمره ﷺ امرأةٌ ثابتٌ أن تعتدَّ بحيضةٍ ، وإن كَانَ بلفظِ الطلاقِ ، فإن الجمهورَ على أنها تعتدُّ بثلاثةِ أَقْرَاءٍ .

٣ - لا يملكُ المخالِعُ مراجعتها في العدةِ ، إذ الخلعُ يبينها منه .

٤ - يخالِعُ الأبُّ عن ابنتِهِ الصغيرةِ إذا تضرَّرتْ نيابةً عنها لعدمِ رُشيدِها .

المادةُ الرابعةُ : في الإيلاءِ :

١ - تعريفُهُ : الإيلاءُ هو حلفُ الرجلِ بِاللَّهِ تَعَالَى أن لا يطأَ زوجتهَ مدةً تزيدُ على أربعةِ أشهرٍ .

(١) البخاري .

٢ - حكمه: الإيلاء جائز لتأديب الزوجة إذا كان أقل من أربعة أشهر، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١). وقد آلى رسول الله ﷺ من نسائه شهراً كاملاً، ويحرم إذا كان للإضرار بالزوجة فقط لا لقصدي تأديبها، لقوله ﷺ: «لا ضرر ولا ضرار»^(٢).

٣ - أحكامه: أحكام الإيلاء هي:

١ - إذا مضت مدة الإيلاء أي الأربعة أشهر ولم يجامع وطالبته زوجته لذي الحاکم إما أن يفيء أو يطلق، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. ولقول ابن عمر رضي الله عنهما: «إذا مضت أربعة أشهر يوقف حتى يطلق»^(٣).

٢ - إذا أوقف المولى ولم يطلق، طلق الحاكم عليه دفعاً للضرر اللاحق.

٣ - إن طلق المولى بعد أن أوقف فهو بحسب تطليقه إن كانت واحدة فهي رجعية وإن أبتها فهي بائنة لا يملك الرجعة معها إلا بعقد جديد.

٤ - تعتد المطلقة بالإيلاء عدة طلاق ولا يكفيها الاستبراء بحيضة إذ العدة ليست لعلة براءة الرجم فحسب.

٥ - إذا ترك الزوج جماع امرأته مدة الإيلاء بدون حلف يوقف كالمولى، إما أن يجامع أو يطلق إن طالبت الزوجة بذلك.

٦ - إذا فاء المولى قبل المدة التي حلف أن لا يعطا فيها وجبت عليه كفارة يمينه، لقوله ﷺ: «إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك»^(٤).

المادة الخامسة: في الظهار:

١ - تعريفه: الظهار هو أن يقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي.

(١) البقرة. (٣) البخاري.

(٢) أحمد وابن ماجه بسند حسن. (٤) متفق عليه.

٢ - حكمه: يحرم الظهار لتسميته تعالى له بالمنكر والزور، وكلاهما حرام. قال تعالى في المظاهرين: ﴿وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً﴾^(١).

٣ - أحكامه، أحكام الظهار هي:

١ - جمهور العلماء على أن الظهار لا يختص بلفظ الأم بل يكون بتشبيه الزوجة بكل محرمة عليه تحريماً مؤبداً كالبنات والجدات والأخوات والعمة والخالة، إذ الكل في حكم الأم في الحرمة المؤبدة.

٢ - تجب على المظاهر كفارة إذا عزم على العودة إلى زوجته المظاهر منها، لقوله تعالى: ﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقية من قبل أن يتماسا﴾^(٢).

٣ - يجب إخراج الكفارة قبل ميسر المظاهر منها بجماع أو مقدماته للآية السابقة.

٤ - لو مسها قبل إخراج الكفارة أثم، فليتب إلى الله تعالى بالندم والاستغفار، وليخرج الكفارة ولا شيء عليه، لقوله ﷺ لمن قال له: «إني تظاهرت من امرأتي فوعدت عليها قبل أن أكفر»، «ما حملك على ذلك يرحمك الله فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله»^(٣). فلم يلزمه بشيء غير الكفارة.

٥ - الكفارة واحدة من ثلاث، لا ينتقل عن الثانية إلا عند العجز عن التي قبلها وهي تحرير رقية مؤمنة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً، لقوله تعالى: ﴿فتحرير رقية من قبل أن يتماسا ذلك توعظون به والله بما تعملون خبير، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا، فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً﴾^(٤).

٦ - يجب مولاة الصيام، وسواء صام شهرين قمرين أو ستين يوماً بالعد فإن

(١) والمجادلة.

(٢) الترمذي وصححه.

(٣) والمجادلة.

فَرَّقَ الصَّوْمَ لغيرِ مرضٍ بطلَ الصَّوْمُ وَوَجِبَتْ إِعَادَتُهُ، لقوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾.

٧ - الواجبُ في الإطعامِ مُدٌّ من بَرٍّ أو مَدَّينِ من تمرٍ أو شعيرٍ لكلِّ مسكينٍ ولو أُعْطِيَ الواجبُ لأقلَّ من سِتِّينَ مسكيناً لَمَّا أَجْزَأَهُ.

المادةُ السادسةُ: في اللعانِ:

١ - تعريفُهُ: اللعانُ هو أن يرميَ الرجلُ زوجتهَ بالزنى بأن يقولَ: رأيتها تزني، أو ينفِي حَمْلَها أن يكونَ منه، فيُرفعُ الأمرُ إلى الحاكمِ، فيطالبُ الزوجَ بالبيّنةِ وهيَ الإتيانُ بأربعةِ شهودٍ يشهدونَ على رؤيةِ الزنى، فإن لم يَقُمْ البيّنةُ لاعتنَ الحاكمُ بينهما فيشهدُ الزوجُ أربعَ شهاداتٍ قائلًا: أشهدُ باللهِ لرأيتها تزني، أو أنّ هذا الحملَ ليسَ مِنِّي، ويقولُ: لعنةُ اللهِ عليه إن كانَ من الكاذبينَ. ثمَّ إن اعترفتِ الزوجةُ بالزنى أُقيمَ عليها الحدُّ، وإن لم تعترفْ شهدَتْ أربعَ شهاداتٍ قائلةً: أشهدُ باللهِ ما رأيَني أرْزني، أو أنّ هذا الحملَ منه، وتقولُ: غَضِبَ اللهُ عليها إن كانَ من الصادقينَ. ثم يفرَّقُ الحاكمُ بينهما فلا يجتمعانِ أبدًا.

٢ - مشروعيتهُ: اللعانُ مشروعٌ بقولِ اللهِ تعالى: ﴿والذين يرمون أزواجهن ولم يكن لهنَّ شهداءٌ إلا أنفسُهُنَّ، فشهادةُ أحدهنَّ أربعَ شهاداتٍ باللهِ إنه لمن الصادقينَ، والخامسةُ أنّ لعنةَ اللهِ عليه إن كانَ من الكاذبينَ. ويدروا عنها العذابُ أن تشهدَ أربعَ شهاداتٍ باللهِ إنه لمن الكاذبينَ، والخامسةُ أنّ غَضِبَ اللهُ عليها إن كانَ من الصادقينَ﴾^(١).

وبملاعنةِ الرسولِ ﷺ بينَ عويمِرِ العجلاني وامراتيه، وبينَ هلالِ بنِ أميةَ وامراتيه في الصحيحِ، ويقولُ ﷺ: «المتلاعنانِ إذا تفرّقا لا يجتمعانِ أبدًا»^(٢).

٣ - حكمتهُ، من الحكمةِ في مشروعيةِ اللعانِ ما يلي:

١ - صيانةُ عرضِ الزوجينَ والمحافظةُ على كرامةِ المسلمِ.

(٢) تقدم.

(١) النور.

٢ - دَفَعَ حَدَّ الْقَذْفِ عَنِ الزَّوْجِ ، وَحَدَّ الزَّنى عَنِ الزَّوْجَةِ .

٣ - التَّمَكُّنُ مِنْ نَفْيِ الْوَلَدِ الَّذِي قَدْ يَكُونُ لغيرِ صَاحِبِ الْفَرَّاشِ .

٤ - أَحْكَامُهُ ، أَحْكَامُ اللَّعَانِ هِيَ :

١ - أَنْ يَكُونَ الزَّوْجَانِ بِالْغَيْنِ عَاقِلَيْنِ ، لَعْدِمِ تَكْلِيفِ الْمَجْنُونِ وَالصَّبِيِّ بِقَوْلِ الرُّسُولِ ﷺ : «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ . . .» ^(١) .

٢ - أَنْ يَدَّعِيَ الزَّوْجُ رُؤْيَا الزَّوْجَةِ تَزْنِي ، وَفِي نَفْيِ الْحَمْلِ أَنْ يَدَّعِيَ أَنَّهُ لَمْ يَطَّأَهَا أَصْلًا ، أَوْ لَمَدَةٍ يُلْحَقُ بِهِ الْحَمْلُ ، كَأَنْ يَدَّعِيَ أَنَّهَا أَتَتْ بِهِ لِأَقَلِّ مِنْ سِتَّةِ شُهُورٍ . وَإِلَّا فَلَا مَلَاعَنَةً ، إِذْ لَا يَشْرُعُ اللَّعَانُ لِمَجْرَدِ التَّهْمَةِ ، أَوْ الظَّنِّ . لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ ^(٢) . وَقَوْلِ الرُّسُولِ ﷺ : «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ» ^(٣) . وَخَيْرٌ مِنْ لَعَانِهَا فِي حَالِ اتِّهَامِهَا فَقَطُّ أَنْ يَطْلُقَهَا وَيَسْتَرِيحَ مِنْ عَنَاءِ الْهَوَاجِسِ النَّفْسِيَّةِ ، وَالْأَمِ تَأْنِيْبِ الضَّمِيرِ .

٣ - أَنْ يُجْرِيَ اللَّعَانُ الْحَاكِمُ أَمَامَ طَائِفَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْ يَكُونَ بِالصَّبِيغَةِ الْوَارِدَةِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ .

٤ - أَنْ يَعِظَ الْحَاكِمُ الزَّوْجَ بِمَثَلِ قَوْلِ الرُّسُولِ ﷺ : «أَيُّمَا رَجُلٍ جَحَدَ وَلَدَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ احْتَجَبَ اللَّهُ مِنْهُ وَفَضَحَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ» ^(٤) . وَأَنْ يَعِظَ الزَّوْجَةَ بِقَوْلِ الرُّسُولِ ﷺ : «أَيُّمَا امْرَأَةٍ دَخَلْتُ عَلَى قَوْمٍ مِّنْ لَيْسَ مِنْهُمْ ، فَلَيْسَتْ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ، وَلَنْ يُدْخِلَهَا الْجَنَّةَ» ^(٥) .

٥ - أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمَا فَلَا يَجْتَمِعَانِ بَعْدُ ، لِقَوْلِهِ ﷺ : «الْمُتَلَاعِنَانِ إِذَا تَفَرَّقَا لَا يَجْتَمِعَانِ أَبَدًا» ^(٦) .

(١) الحديث تقدم . (٤) أبو داود والنسائي وابن ماجه ، وصححه ابن حبان .

(٢) الحجرات . (٥) تقدم .

(٣) متفق عليه . (٦) هو شرط من الحديث الذي قبله .

٦ - يَنْفِي الولدُ باللَّعَانِ مِنَ الزَّوْجِ الْمَلَاحِنِ فَلَا يَتَوَارَثَانِ، وَلَا يَنْفَقُ عَلَيْهِ، غَيْرَ أَنَّهُ يُعَامَلُ احتياطاً معاملة الابنِ فَلَا يَدْفَعُ إِلَيْهِ الزَّكَاةَ، وَيُثْبِتُ المحَرِّمَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَوْلَادِهِ، وَلَا قَصَاصَ بَيْنَهُمَا، وَلَا تَجُوزُ شَهَادَةُ كُلِّ مَنَّهُمَا لِلْآخَرِ.
وَيَلْحَقُ بِأُمِّهِ فَرْتُهُ وَيَرِثُهَا لِقَضَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَلَدِ الْمُتَلَاعِنِينَ، أَنَّهُ يَرِثُ أُمَّهُ وَتَرْتُهُ^(١).

٧ - إِذَا كَذَّبَ الزَّوْجُ نَفْسَهُ فِيمَا بَعْدَ لِحَاقٍ بِهِ الْوَلَدُ.

المادة السابعة: في العدد:

١ - تعريفها: العدة هي الأيام التي تَتَرَبَّصُ فيها المرأةُ المفارقةُ لزوجها فلا تتزوج فيها ولا تتعرض للزوج.

٢ - حكمها: العدة واجبة على كل مفارقة لزوجها بحياة أو وفاة، لقول الله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾^(٣). إلا المطلقة قبل الدخول بها فإنها لا عدة عليها، كما لا صداق لها وإنما لها المتعة^(*) لقوله

(١) أحمد وفي سنده مقال والعمل به عند الجمهور.

(٢، ٣) البقرة.

(*) اختلف أهل العلم في حكم المتعة. هل هي لكل مطلق أو هي لبغض المطلقات دون البغض، ثم هل هي واجبة، أو مندوبة؟

والذي يندو أنه الأقرب إلى الحق والصواب في هذه المسألة، والله أعلم، أن المتعة واجبة للمطلقة قبل الدخول إذ لم يسلم لها صداق، لصريح قول الله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ، أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً، وَبِعَوْنٍ عَلَى الْمَوِيعِ قُدْرُهُ، وَعَلَى الْمُقْتِرِ قُدْرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ كما هو صريح قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا، فَمَعُوهُنَّ وَسِرَّوَهُنَّ سِرَاحًا جَمِيلًا﴾.

وأما - المتعة - مندوبة لغيرها من المطلقات، لعموم قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّاتُ، مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾. وَوَجِبَتْ لغير المدخول بها التي لم يسلم لها صداقاً، لأنها ليس لها سبب المتعة، إذ لا =

تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ
فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا، فَمْتَعُوهُنَّ وَسِرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾^(١).

٣ - حكمتها، من الحكمة في مشروعية العدة ما يلي :

١ - إعطاء الزوج فرصة الرجوع إلى مطلّقتِه بدون كلفةٍ إن كَانَ الطلاق رجعيًّا .

٢ - معرفة براءة الرجم ، محافظةً على الأنساب من الاختلاط .

٣ - مشاركة الزوجة في مواساة أهل الزوج ، والوفاء للزوج ، إن كانت العدة
عدة وفاة .

٤ - أنواعها، العدة أنواع، وهي :

١ - عِدَّةُ الْمُطَلَّاقَةِ التي تحيضُ وهي ثلاثة أقرأ، لقوله تعالى : ﴿وَالْمُطَلَّاقَاتُ
يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(٢) . فَإِذَا طُلِّقَتِ الْمَرْأَةُ فِي طَهْرٍ ثُمَّ حَاضَتْ، ثُمَّ
طَهَرَتْ، ثُمَّ حَاضَتْ، ثُمَّ طَهَرَتْ، ثُمَّ حَاضَتْ، فَإِذَا طَهَرَتْ انْقَضَتْ عِدَّتُهَا . وَإِنْ قُلْنَا
المراد من الأقرأ الإطهارة كما هو رأي الجمهور فإنها تنقضي عدتها بدخولها في
الحيضة الثالثة، مع ملاحظة أنها لو طُلِّقَتْ فِي حَيْضٍ لَا يُعْتَبَرُ لَهَا حَيْضَةٌ تَعْتَدُ بِهَا .
هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلْحُرَّةِ، أَمَّا الْأَمَةُ فَعِدَّتُهَا قَرَأَانٍ فَقَطْ، لقوله ﷺ : «طَلَاقُ الْأَمَةِ تَطْلِيقَتَانِ
وَعِدَّتُهَا حَيْضَتَانِ»^(٣) .

= صَدَاقُ لَهَا، وَأَمَّا غَيْرُهَا فَإِنَّهُ لَهَا إِمَّا الصَّدَاقُ كَامِلًا كَالْمَدْخُولِ بِهَا، وَإِمَّا نِصْفُهُ كَغَيْرِ الْمَدْخُولِ بِهَا
وَالَّتِي سُبِّيَ لَهَا صَدَاقٌ فَاخْذَتْ نِصْفَهُ، فَتَكُونُ الْمَتَعَةُ غَيْرَ وَاجِبَةٍ لَهَا لَمَّا نَالَهَا مِنَ الصَّدَاقِ بِخِلَافِ
الْأُولَى، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْلُهَا شَيْءٌ سِوَى الْمَتَعَةِ .

هَذَا وَقَدْ اخْتَلَفَ أَيْضًا فِي مَقْدَارِ الْمَتَعَةِ، وَالْحَقِيقَةُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهَا كَمَا قَالَ مَالِكٌ لَيْسَ لَهَا حَدٌّ
مَعْرُوفٌ فِيهِ كِسُوءٌ وَنَفَقَةٌ فَعَلَى الْمَوْسِرِ كِسُوءٌ وَنَفَقَةٌ وَاسِعَةٌ بِحَسَبِ يَسَارِهِ، وَهِيَ عَلَى الْمُقْتَرِ كِسُوءٌ وَنَفَقَةٌ
ضَيِّقَةٌ بِحَسَبِ إِقْتَارِهِ، تَمْثِيلًا مَعَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسَعِ قَدْرَهُ، وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ
مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ﴾ .

(١) الأحزاب .

(٢) البقرة .

(٣) الدار قطني واتفق الجمهور على ضعفه، وصحح بعضهم وقفه والجمهور من الأئمة والسلف على العمل
به، وذهب الظاهرية إلى أنه لا فرق بين الحرة والأمة، والحر والعبد في بابي الطلاق والعدد .

٢ - عدّة المطلقة التي لا تحيضُ لكبرِ سيّتها، أو صغره، هي ثلاثة أشهر، لقوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَشْنَنُ مِنَ الْمَحِيضِ مَنْ نَسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضُنْ﴾ هَذَا لِلْحُرَّةِ وَلِلْأَمَةِ شَهْرَانِ لَا غَيْرَ.

٣ - عدّة المطلقة الحاملِ وهي وضعُ كميل حملها حرةً أو أمةً، لقوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾^(١).

٤ - عدّة المطلقة التي تحيضُ وانقطعَ حيضُها لسببٍ معروفٍ أو غير معروفٍ فإن كَانَ انقطاعَ حيضِها لسببٍ معروفٍ وذلك كرضاعٍ أو مرضٍ، فإنها تنتظرُ عودةَ الحيضِ وتعتدُّ به وإن طَالَ الزَّمَنُ.، وإن كَانَ لسببٍ غير ظاهرٍ اعتدتُ بسنة. تسعة أشهر مدة الحمل، وثلاثة أشهر للعدّة، والأمةُ تعتدُّ بأحدَ عشرَ شهراً، لقضاءِ عُمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ بهذا بَيْنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ وَلَمْ يُنْكِرْهُ مِنْكَرٌ^(٢).

٥ - عدّة المتوفى عنها زوجها وهي للحرّة أربعة أشهر وعشراً، وللأمة شهران وخمس ليل، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾^(٣).

٦ - عدّة المستحاضة، وهي التي لا يفارقها الدّم، فإذا كَانَ دُمُهَا يَتَمَيَّزُ عَنْ دَمِ الْإِسْتِحَاضَةِ، أو كانتَ لها عادةٌ تعرفُها، فإنها تعتدُّ بالإفراء. وإن كَانَ دُمُهَا غيرَ مُتَمَيِّزٍ وَلَا عَادَةً لَهَا كَمَبْتَدَأَةٍ اعتدتُ بالأشهرِ ثلاثة أشهرٍ كَالْأَيَسَةِ وَالصَّغِيرَةِ، وَهَذَا الْحُكْمُ مَقْيَاساً عَلَى حُكْمِهَا فِي الصَّلَاةِ.

٧ - عدّة من غابَ عنها زوجها، ولم يُعرفْ مصيرُها من حياةٍ أو موتٍ فإنها تنتظرُ أربعَ سنواتٍ من يَوْمِ انقطاعِ خبرِها، ثم تعتدُّ عدّة وفاةٍ أربعة أشهرٍ وعشراً^(٤).

(١) الطلاق.

(٢) عزاء تخريجه صاحب المغني إلى ابن المنذر.

(٣) البقرة.

(٤) وإن قدر أنها تزوجت بعد التربص بالعدة ثم جاء زوجها الأول فإنها تعود إلى الأول، إن رغب في ذلك، =

٥ - تَدَاخُلُ الْعِدَّةِ، قَدْ تَدَاخَلَ الْعِدَّةُ، وَذَلِكَ فِيمَا يَلِي :

١ - مُطَلَّقة طَلَقاً رَجْعِيّاً مَاتَ مُطَلِّقُهَا أَثْنَاءَ عِدَّتِهَا فَإِنَّهَا تَنْتَقِلُ مِنْ عِدَّةِ الطَّلَاقِ إِلَى عِدَّةِ الْوَفَاةِ فَتَعْتَدُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرَاً مِنْ يَوْمِ وَفَاةِ مُطَلِّقِهَا، لِأَنَّ الرَّجْعِيَّةَ لَهَا حَكْمُ الزَّوْجَةِ بِخِلَافِ الْبَائِنِ فَلَا تَنْتَقِلُ عِدَّتُهَا، إِذِ الرَّجْعِيَّةُ وَارِثَةٌ وَالْبَائِنُ لَا إِرْثَ لَهَا.

٢ - مُطَلَّقةٌ اعْتَدَّتْ بِالْحَيْضِ فَحَاضَتْ حَيْضَةً أَوْ حِيضَتَيْنِ، ثُمَّ أُيِسَتْ مِنْ الْحَيْضِ فَإِنَّهَا تَنْتَقِلُ إِلَى الْاعْتِدَادِ بِالشَّهْرِ فَتَعْتَدُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ.

٣ - مُطَلَّقةٌ صَغِيرَةٌ لَمْ تَحِضْ بَعْدُ، أَوْ كَبِيرَةٌ آيَسَتْ اعْتَدَّتْ بِالشَّهْرِ فَلَمَّا مَضَى شَهْرٌ أَوْ شَهْرَانِ مِنْ عِدَّتِهَا رَأَتْ الدَّمَ، فَإِنَّهَا تَنْتَقِلُ مِنَ الْاعْتِدَادِ بِالشَّهْرِ إِلَى الْاعْتِدَادِ بِالْحَيْضِ. هَذَا فِيمَا إِذَا لَمْ تَتِمَّ الْعِدَّةُ بِالشَّهْرِ. أَمَّا إِذَا تَمَّتِ الْعِدَّةُ، ثُمَّ جَاءَهَا الْحَيْضُ فَلَا عِبْرَةَ بِهِ، إِذْ عِدَّتُهَا قَدْ انْتَهَتْ.

٤ - مُطَلَّقةٌ شَرَعَتْ فِي الْعِدَّةِ بِالشَّهْرِ أَوْ الْأَقْرَاءِ وَأَثْنَاءَ ذَلِكَ ظَهَرَ لَهَا حَمْلٌ فَإِنَّهَا تَنْتَقِلُ إِلَى الْاعْتِدَادِ بِوَضْعِ الْحَمْلِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

[تَنْبِيْهَانِ]:

● فِي الْأَسْتِبْرَاءِ: يَجِبُ عَلَى مَنْ مَلَكَ أَمَةً يَوطَأُ مِثْلَهَا بِأَيِّ وَجْهِ مِنْ أَوْجِهِ الْمَلِكِ أَلَّا يَطَّأَهَا حَتَّى يَسْتَبْرَأَ إِنْ كَانَتْ تَحِيضُ فَبِحَيْضَةٍ، وَإِنْ كَانَتْ حَامِلاً فَبِوَضْعِ حَمْلِهَا. وَإِنْ كَانَتْ لَا تَحِيضُ لَصَغَرٍ أَوْ لَكَبَرٍ فَبِمُدَّةٍ يَتَأَكَّدُ مَعَهَا مِنْ عَدَمِ الْحَمْلِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تُوطَأُ حَامِلٌ حَتَّى تَضَعَ، وَلَا غَيْرُ حَامِلٍ حَتَّى تَحِيضَ حَيْضَةً»^(١). كَمَا يَجِبُ عَلَى مَنْ وَطِئَتْ مِنَ الْحَرَائِرِ بِشَبْهَةٍ أَوْ غَضَبٍ أَوْ زَنَى أَنْ تَسْتَبْرَأَ بِثَلَاثَةِ أَقْرَاءٍ إِنْ كَانَتْ تَحِيضُ، أَوْ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ إِنْ لَمْ تَكُنْ تَحِيضُ، وَبِوَضْعِ الْحَمْلِ إِنْ كَانَتْ حَامِلاً،

= غير أنه إن دخل بها الثاني اعتدت منه عدة طلاق، وإن لم يدخل بها فلا عدة عليها، وإن تركها الأول للثاني فلا يحتاج إلى عقد عليها، وفي حال تركها للثاني يطالب بقدر الصداق الذي أصدقها إياه، وللزوج الثاني أن يطالب به الزوجة، قضى بهذا عثمان وعلي رضي الله عنهما.

(١) أبو داود بإسناد حسن وصححه الحاكم

لقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَسْقِي مَاءَهُ وَلَدَ غَيْرِهِ»^(١).
وقوله ﷺ: «لَا تَسْقِي مَاءَكَ زَرْعَ غَيْرِكَ»^(٢).

● في الإحذاد: الإحذاد هو اجتناب المعتدة ما يدعو إلى جماعها، أو يرغب في النظر إليها من الزينة والطيب والتحسين.

فيجب على المتوفى عنها زوجها أن تحدد مدة عدتها فلا تلبس جميلاً ولا تتخضب بحناء، ولا تكتحل، ولا تمس الطيب، ولا تلبس حلياً، لقوله ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تَحْدُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»^(٣). ولقول أم عطية رضي الله عنها: «كُنَّا نُنْهَى أَنْ نَحْدُ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ الثَّلَاثِ لَيَالٍ إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، وَلَا نَكْتَحِلُ وَلَا نَلْبَسُ ثَوْباً مُصْبُغاً إِلَّا ثَوْبَ عَصَبٍ»^(٤).

كما يجب على المعتدة أن لا تخرج من بيتها، وإن خرجت لحاجة لزمها أن لا تبث إلا في بيتها الذي توفي عنها زوجها، وهي به، لقوله ﷺ لمن سألتها أن تتحول إلى بيت أهلها بعد وفاة زوجها: «أَمْكُثِي فِي بَيْتِكَ الَّذِي أَتَاكَ فِيهِ نَعْيُ زَوْجِكَ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ»^(٥) قالت: فاعتدت فيه أربعة أشهر وعشراً.

المادة الثامنة: في النفقات:

١ - تعريفها: النفقة، هي ما يُقدَّم من طعام وكسوة وسكنٍ لمن وجب له.

٢ - مَنْ تَجِبُ لَهُمُ النِّفْقَةُ، وعلى مَنْ تَجِبُ؟ تَجِبُ النِّفْقَةُ لِسِتَّةِ أَصْنَافٍ، وهي:

١ - الزوجة على زوجها، سواء كانت حقيقةً كالباقية في عصمة زوجها، أو حكماً كال المطلقة طلاقاً رجعيّاً قبل انقضاء عدتها، لقوله ﷺ: «أَلَا حَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ»^(٦).

(١) الترمذي وصححه ابن حبان.

(٢) الحاكم وأصله في النسائي وإسناده لا بأس به.

(٤) نوع من برود يمانية مخططة.

(٥) و(٦) الترمذي وصححهما.

(٣) متفق عليه.

٢ - المطلقة طلاقاً بائناً على مطلقتها من عدتها إن كانت حاملاً، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾^(١).

٣ - الأبوان على ولديهما، لقوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، ولقول الرسول ﷺ لما سُئِلَ عن أَحَقِّ النَّاسِ بِحَسَنِ الصُّحْبَةِ، فَقَالَ: «أُمُّكَ (ثَلَاثًا) ثُمَّ أَبُوكَ»^(٢).

٤ - الأولاد الصغار على والديهم، لقوله تعالى: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^(٣). وقوله ﷺ: «وَيَقُولُ الْوَلَدُ أَطْعِمْنِي إِلَى مَنْ تَدْعُنِي؟»^(٤).

٥ - الخادم على سيده، لقوله ﷺ: «لِلْمُلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا يُكَلِّفُ مِنَ الْعَمَلِ مَا لَا يُطِيقُ»^(٥).

٦ - البهائم على مالِكها، لقوله ﷺ: «دَخَلَتِ النَّارُ امْرَأَةً فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»^(١).

٣ - مقدار النفقة الواجبة: كَوْنُ النِّفْقَةِ مَا يَلْزَمُ لِحِفْظِ الْحَيَاةِ مِنْ طَعَامٍ صَالِحٍ وَشَرَابٍ طَيِّبٍ وَلِبَاسٍ يَبْقَى الْحَرَّ وَالْبَرْدَ وَسُكْنَى لِلرَّاحَةِ وَالِاسْتِقْرَارِ لَا خِلَافَ فِيهِ، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ فِي الْكَثْرَةِ وَالْقِلَّةِ، وَالْجَوْدَةِ وَالرَّدَاءَةِ، لِأَنَّ هَذَا يَكُونُ بِحَسَبِ يَسَارِ الْمُنْفِقِ وَإِعْسَارِهِ وَحَالِ الْمُنْفِقِ عَلَيْهِ حَضَارَةً وَبَدَاوَةً، وَلِذَا كَانَ اللَّائِقُ أَنْ يُتْرَكَ هَذَا الْأَمْرُ لِقَضَاةِ الْمُسْلِمِينَ، فَهُمْ الَّذِينَ يَفْرُضُونَ وَيَقْدِرُونَ بِحَسَبِ أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ الْمُخْتَلِفَةِ، وَظُرُوفِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ.

٤ - متى تسقط النفقة؟ تسقط النفقة في الأحوال الآتية:

١ - تسقط على الزوجة إذا نشزت، أو لم تمكن الزوج من الدخول بها، إذ

(١) الطلاق.

(٤) أحمد والدار قطني بسند صحيح من حديث طويل.

(٢) متفق عليه.

(٥) مسلم.

(٣) النساء.

النفقة في مقابل الاستمتاع بها، ولما تعدّر ذلك سقطت النفقة.

٢ - على المطلقة طلاقاً رجعيّاً إذا انقضت عدتها، إذ بانقضاء عدتها بانت منه.

٣ - على المطلقة الحامل إذا وضعت حملها، غير أنها إذا أرضعت ولدها وجبت لها أجره الرضاع، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ، وَأُتْمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾.

٤ - على الأبوين إذا استغنيا أو افتقر ولدهما بحيث لم يكن له فضل عن قوت يومه إذ لا يكلف الله نفساً إلّا ما آتاها.

٥ - على الأولاد إذا بلغ الذكر أو تزوجت البنت، ويستثنى من ذلك ما إذا بلغ الذكر مزمناً أو مجنوناً فإن نفقة الوالد عليه تستمر له.

[تنبيهان]:

● يجب على المسلم أن يصل رحمه وهم قرابته من جهة أبيه وأمه، فمن احتاج إلى طعام أو كسوة أو سكنٍ أطعمه أو كساه أو أسكنه إن كان لديه فضل من ماله وليبدأ بالأقرب فالأقرب، لقوله ﷺ: «يُدُّ الْمُعْطِي الْعُلْيَا وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ: أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأَخْتَكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ فَأَدْنَاكَ»^(١).

● إن امتنع مالك الحيوان من إطعام بهائمٍ بيعت عليه أو ذبحت. لثلاً تعذب بالجوع، وتعذيبها محرّم، لقوله ﷺ: «دَخَلَتِ النَّارَ امْرَأَةٌ فِي هَرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعاً فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»^(٢).

المادة التاسعة: في الحضانة:

١ - تعريفها: الحضانة هي إيواء الصغير وكفالتُهُ إلى سن البلوغ.

٢ - حكمها: الحضانة واجبة للصغار للمحافظة على أبدانهم وعقولهم وأديانهم.

(١) النسائي والدارقطني وصححه. (٢) تقدم.

٣ - عَلَى مَنْ تَجِبُ حَضَانَةُ الصَّغَارِ عَلَى الْأَبَوَيْنِ فَإِنْ فُقِدَا فَعَلَى الْأَقْرَبِ
فَالْأَقْرَبِ مَنْ دَوِيَ قَرَابَاتُهُمْ. وَإِنْ انْعَدَمَتِ الْقَرَابَةُ فَعَلَى الْحُكُومَةِ، أَوْ جَمَاعَةِ
الْمُسْلِمِينَ.

٤ - مَنْ الْأَوَّلَى بِحَضَانَةِ الْوَلَدِ؟ : إِذَا حَصَلَتِ الْفُرْقَةُ بَيْنَ أَبَوَيْ الْوَلَدِ بِطَلَاقٍ.
أَوْ وَفَاةٍ كَانَ الْأَحَقُّ بِحَضَانَتِهِ أُمُّهُ مَا لَمْ تَتَزَوَّجْ، لِقَوْلِهِ ﷺ لَمَنْ شَكَتْ إِلَيْهِ انْتِزَاعَ وَلَدِهَا:
«أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكِحِي»^(١) فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَأُمُّ الْأُمِّ (الْجَدَّةُ) فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَالْخَالَةُ،
لِأَنَّ الْجَدَّةَ لَأُمٍّ تَعْتَبَرُ أُمًّا، وَالْخَالَةَ تَعْتَبَرُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ
الْأُمِّ»^(٢). فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَأُمُّ الْأَبِ (الْجَدَّةُ) فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَالْأَخْتُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَالْعَمَّةُ،
فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَبِنْتُ الْأَخِ، فَإِنْ لَمْ يُوْجَدْ مِنَ الْمَذْكُورَاتِ حَاضِنَةٌ انْتَقَلَتْ حَضَانَةُ الْوَلَدِ
إِلَى أَبِيهِ، ثُمَّ جَدِّهِ، ثُمَّ أَخِيهِ، ثُمَّ ابْنِ أَخِيهِ، ثُمَّ عَمِّهِ، ثُمَّ الْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ مِنَ
الْعُسْبَةِ، وَالشَّقِيقُ يَقْدَمُ عَلَى الَّذِي لِأَبٍ، كَمَا أَنَّ الشَّقِيقَةَ تَقْدَمُ عَلَى الْيَتِي لِأَبٍ.

٥ - مَتَى يَسْقُطُ حَقُّ الْحَضَانَةِ؟ : لَمَّا كَانَ الْغَرَضُ مِنَ الْحَضَانَةِ هُوَ الْمَحَافَظَةُ
عَلَى حَيَاةِ الْوَلَدِ وَتَرْبِيَّتِهِ جَسْمَانِيًّا وَعَقْلِيًّا وَرُوحِيًّا كَانَ حَقُّ الْحَضَانَةِ يَسْقُطُ عَنْ كُلِّ مَنْ
لَمْ يَحْقِيقْ لِلْوَلَدِ أَغْرَاضَ الْحَضَانَةِ وَأَهْدَافَهَا، فَيَسْقُطُ حَقُّ الْأُمِّ إِذَا تَزَوَّجَتْ بِغَيْرِ قَرِيبٍ
مِنَ الْوَلَدِ الْمَحْضُونِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «... مَا لَمْ تَنْكِحِي» إِذْ زَوَّجَهَا بِأَجْنَبِيٍّ تَتَعَذَّرُ مَعَهُ
رِعَايَةُ الْوَلَدِ وَالْمَحَافَظَةُ عَلَيْهِ. كَمَا يَسْقُطُ حَقُّ الْحَضَانَةِ عَنِ الْحَاضِنَةِ.

١ - إِذَا كَانَتْ مَجْنُونَةً أَوْ مَعْتُوَهَةً.

٢ - إِذَا كَانَتْ مَرِيضَةً مَرَضًا مُعْدِيًا كَجَدَامٍ وَنَحْوِهِ.

٣ - إِذَا كَانَتْ صَغِيرَةً غَيْرَ بِالْغَةِ وَلَا رَشِيدَةً.

٤ - إِذَا كَانَتْ عَاجِزَةً عَنْ صِيَانَةِ الْوَلَدِ وَالْمَحَافَظَةِ عَلَى بَدَنِهِ وَعَقْلِهِ وَدِينِهِ.

٥ - إِذَا كَانَتْ كَافِرَةً، خَشِيَّةً عَلَى دِينِ الْوَلَدِ وَعَقَائِدِهِ.

٦ - مَدَّةُ الْحَضَانَةِ: يَمْتَدُّ زَمَنُ الْحَضَانَةِ إِلَى أَنْ يُلْبَغَ الْغُلَامُ، وَتَتَزَوَّجَ الْجَارِيَةُ

(١) أحمد وأبو داود وصححه الحاكم. (٢) متفق عليه.

ويدخل بها زوجها، غير أنه في حال انفصال الزوجية عن زوجها، واستقلال الأم أو غيرها بحضانة الولد تكون مدة الحضانة بالنسبة إلى الجارية سبع سنوات فقط. ثم تنتقل حضانتها إلى الولد، إذ هو أولى بها بعد السابعة من سائر الحاضنات. كما أن الغلام إذا بلغ السابعة خيّر بين أمه ووالده فأيهما اختار انتقلت حضانته إليه، وإن لم يختَر أحدهما وتشاحا في ذلك أقرع بينهما.

٧ - نفقة الولد وأجرة الحاضنة: على الأب المحضون له نفقة ولديه وأجرة الحاضنة بحسب حاله، لأن الحاضنة كالمرضعة، والمرضعة لها أجر الرضاع، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾، إلا أن تطوع الحاضنة بخدمتها فلا شيء في ذلك، وتقدر نفقة الولد وأجرة الحاضنة بحسب يسار المحضون له وإعساره، لقوله تعالى: ﴿لَيَنْفِقَنَّ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾^(١).

٨ - تردد المحضون بين أبيه وأمه: إذا بلغ الطفل سبعا وخيّر بين أمه وأبيه فإن اختار الأم كان عندها بالليل، وعند أبيه بالنهار، وإن كان اختار الأب كان عنده بالليل والنهار إذ وجوده بالنهار عند أبيه حفظ له غالبا إذ يقوم بتربيته وتعليمه، ولا تقوم به الأم غالبا.

كما يجب إذا اختار الأب أن لا يمنع من أمه في أي وقت ممكن، إذ صلة الرحم واجبة، والعقوق حرام.

٩ - السفر بالطفل: إذا أراد أن يسافر أحد الأبوين سفرا يعود بعده إلى البلد كان الولد عند المقيم منهما، وإن كان المريد السفر لا يعود إلى البلد ينظر في مصلحة الطفل هل هي مع من بقي في البلد من أب أو أم أو مع من انتقل إلى بلد آخر ليقيم به، فحيث تحققت مصلحة الطفل كان مع من يحققها له إذ المصلحة هي الهدف من الحضانة المقصود للشارع.

(١) قدر: بمعنى ضيق.

(٢) الطلاق.

١٠- الطفل المحضون أمانة: يجبُ على الحاضنة أن تتعلم أن الطفل المحضون أمانة تلزمها مراعاته والمحافظة عليه، فإن شعرت أنها عاجزة عن التربية الكافية والرعاية التامة وجب عليها أن تضع هذه الأمانة في يد تقوى على رعايتها وصيانتها، فلا ينبغي أن تكون الأجرة التي تتلقاها من المحضون له هي الغاية من حضنته فتصر على إبقاء الطفل في حضنتها من أجل ذلك.

ومن هنا وجب على ولي الطفل، كما هو واجب القضاة أن يراعوا دائماً في باب الحضانة مصلحة الطفل فقط، وهي تربية جسمه وعقله وروحه، بدون التفات إلى أي اعتبار آخر، إذ صيانة الطفل هي الغاية المقصودة للشارع من الحضانة.

الفصل السادس

في المَوَارِيثِ وَأَحْكَامِهَا

وفيه اثنتا عشرة مادة:

المادة الأولى: في حكم التَّوَارِثِ:

التَّوَارِثُ بينَ المسلمين واجبٌ بالكتابِ والسُّنَّةِ، قالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ، وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ، أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾. وقالَ: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾^(١). وقالَ رسولُهُ ﷺ: «الْحَقُّوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَلأُولَى رَجُلٍ ذَكَرٍ»^(٢). وقالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَلَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ»^(٣).

المادة الثانية: في أسبابِ الارثِ، وموانعِهِ، وشروطِهِ:

أ - أسبابُ الارثِ:

لا يَثْبُتُ لأحدٍ إرثٌ من آخرٍ إلا بسببٍ من أسبابٍ ثلاثة، وهي:

١ - النَّسَبُ، أي القرابةُ، بأن يكونَ الوارثُ من آبَاءِ الموروثِ، أو أبنائِهِ، أو حَوَاشِيهِ كالإخوةِ وأبنائِهِم، والأعمامِ وأبنائِهِم، لقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيًّ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾.

٢ - النِّكَاحُ، وهو العقدُ الصحيحُ على الزوجَةِ، ولو لم يكن بناءً ولا خلوةً،

(٣) رواه أبو داود وغيره من أصحاب السنن.

(٢) متفق عليه.

(١) النساء.

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾. وَتَوَارَثَ الزَّوْجَانِ فِي الطَّلَاقِ الرَّجْعِيِّ، وَالْبَائِنِ إِنْ طَلَّقَهَا فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ.
 ٣ - الْوَلَاءُ، وَهُوَ أَنْ يَعْتِقَ امْرُؤٌ رَقِيقًا عَبْدًا، أَوْ جَارِيَةً، فَيَكُونُ لَهُ بِذَلِكَ وَلَاؤُهُ، فَإِذَا مَاتَ الْعَتِيقُ وَلَمْ يَتْرُكْ وَاِرثًا وَرِثَهُ مِنْ عَتِقِهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ»^(١).
 ب - مَوَانِعُ الْإِرْثِ:

قَدْ يُوجَدُ سَبَبُ الْإِرْثِ، وَلَكِنْ يَمْنَعُ مِنْهُ مَانِعٌ فَلَا يَرِثُ الشَّخْصُ لِذَلِكَ الْمَانِعِ.
 وَالْمَوَانِعُ هِيَ:

١ - الْكُفْرُ، فَلَا يَرِثُ الْقَرِيبُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ، وَلَا الْكَافِرُ قَرِيبَهُ الْمُسْلِمَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ، وَلَا الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ»^(٢).
 ٢ - الْقَتْلُ. فَلَا يَرِثُ الْقَاتِلُ مَنْ قَتَلَهُ، عِقَابُهُ لَهُ عَلَى جَنَائِيَّتِهِ، إِنْ كَانَ الْقَتْلُ عَمْدًا، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَيْسَ لِلْقَاتِلِ مِنْ تَرِكَةِ الْمَقْتُولِ شَيْءٌ»^(٣).

٣ - الرِّقُّ، فَالرَّقِيقُ لَا يَرِثُ وَلَا يُورَثُ، وَسَوَاءٌ كَانَ الرِّقُّ تَامًا، أَوْ نَاقِصًا كَالْمَبْعُوضِ وَالْمَكَاتِبِ وَأُمِّ الْوَلَدِ، إِذَ الْجَمِيعُ مَا زَالَ حَكْمُ الرِّقِّ يَشْمَلُهُمْ، وَاسْتَشْنَى بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ (الْمَبْعُوضَ) فَقَالُوا: يَرِثُ وَيُورَثُ عَلَى قَدْرِ مَا فِيهِ مِنَ الْحَرِّيَّةِ، لَخَبَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «فِي الْعَبْدِ يُعْتَقُ بَعْضُهُ: يَرِثُ وَيُورَثُ عَلَى قَدْرِ مَا عُتِقَ مِنْهُ»^(٤).

٤ - الزَّنى، فابْنُ الزَّنى لَا يَرِثُ وَالِدَهُ، وَلَا يَرِثُهُ وَالِدُهُ، وَإِنَّمَا يَرِثُ أُمُّهُ وَتَرِثُهُ دُونَ أَبِيهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ»^(٥).

٥ - اللَّعَانُ، فابْنُ الْمَتَلَاعِنِينَ لَا يَرِثُ وَالِدَهُ الَّذِي نَفَاهُ، وَلَا يَرِثُهُ وَالِدُهُ، قِيَاسًا عَلَى ابْنِ الزَّنى.

عَدَمُ الْإِسْتِهْلَالِ، فَالْمَوْلُودُ الَّذِي تَضَعُهُ أُمُّهُ مَيْتًا فَلَا يَسْتَهْلُ صَارِخًا عِنْدَ الْوَضْعِ.

(١) (٢) متفق عليه. (٤) ذكره صاحب المغني.

(٣) رواه ابن عبد البر وصححه. (٥) متفق عليه.

لَا يَرِثُ وَلَا يُورَثُ، لَعَدَمِ جُودِ الْحَيَاةِ الَّتِي يَعْقُبُهَا مَوْتُ فِيحْصُلُ الْإِرْثُ.

جـ - شُرُوطُ الْإِرْثِ :

يَشْتَرِطُ فِي صَحَّةِ الْإِرْثِ مَا يَلِي :

١ - عَدَمُ جُودِ مَانِعٍ مِنَ الْمَوَانِعِ السَّابِقَةِ، إِذْ الْمَانِعُ يُبْطِلُ الْإِرْثَ.

٢ - مَوْتُ الْمُورُوثِ وَلَوْ حُكْمًا بِأَنْ يَحْكُمَ الْقَاضِي بِمَوْتٍ مَفْقُودٍ مَثَلًا، لِأَنَّ الْحَيَّ لَا يَمُوتُ إِجْمَاعًا.

٣ - كَوْنُ الْوَارِثِ حَيًّا يَوْمَ مَوْتِ مُورِثِهِ، فَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مَاتَ أَحَدُ أَوْلَادِهَا، وَفِي بَطْنِهَا جَنِينٌ، فَإِنَّ هَذَا الْجَنِينَ يَسْتَحِقُّ الْإِرْثَ لِأَنَّ حَيَاتَهُ مَتَحَقِّقَةٌ يَوْمَ مَوْتِ أَخِيهِ، وَإِنْ حَمَلَتْ بِهِ بَعْدَ مَوْتِ أَخِيهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَقٌّ فِي الْإِرْثِ مِنْ أَخِيهِ الَّذِي مَاتَ، وَهُوَ لَمْ يَتَخَلَّقْ بَعْدَ.

المادة الثالثة: في بيان من يرث من الرجال والنساء:

١ - الْوَارِثُونَ مِنَ الذُّكُورِ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ :

١ - الزَّوْجُ، فَإِنَّ الزَّوْجَ يَرِثُ زَوْجَتَهُ إِذَا مَاتَتْ، وَلَوْ كَانَتْ مُطْلَقَةً إِذَا لَمْ تَنْقُصْ عَدَّتُهَا، فَإِنْ انْقَضَتْ عَدَّتُهَا فَلَا إِرْثَ لَهُ مِنْهَا.

٢ - الْمَعْتِقُ، أَوْ عَصْبَتُهُ الذُّكُورُ عِنْدَ فَقْدِهِ.

٣ - الْأَقَارِبُ، وَهُمْ أَصُولٌ، وَفُرُوعٌ، وَحَوَاشٍ، فَالْأَصُولُ: الْأَبُ وَالْجَدُّ وَإِنْ عَلَا، وَالْفُرُوعُ: الْإِبْنُ وَابْنُ الْإِبْنِ مَهْمَا نَزَلَ. وَالْحَوَاشِي الْقَرِيبَةُ، وَهُمْ الْإِخْوَةُ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِنْ نَزَلُوا. وَالْإِخْوَةُ لَأُمٍّ. وَالْحَوَاشِي الْبَعِيدَةُ وَهُمْ الْعَمُّ وَابْنُ الْعَمِّ وَإِنْ نَزَلَ أَشْقَاءُ أَوْ لِأَبٍ.

هَؤُلَاءِ هُمُ الذُّكُورُ الْوَارِثُونَ، وَلَا يَتَصَوَّرُ جُودُهُمْ وَارِثِينَ فِي تَرَكَّةٍ وَاحِدَةٍ أَبَدًا، وَذَلِكَ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يَحْجُبُ بَعْضًا، فَالْأَبُ يَحْجُبُ الْجَدَّ، وَالْأَخُوَّةُ لِلْأُمِّ، وَالْإِبْنُ

يَحْجُبُ الْإِخْ، وَالْأَخُ يَحْجُبُ الْعَمَّ وَهَكَذَا. فَلَوْ اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ فِي تَرَكَةٍ فَلَا يَرِثُ مِنْهُمْ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: الزَّوْجُ، وَالْإِبْنُ، وَالْأَبُ فَقَطْ.

ب - الْوَارِثَاتُ مِنَ الْأُنَاثِ:

الوارِثَاتُ مِنَ النِّسَاءِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ، وَهِيَ:

١ - الزَّوْجَةُ.

٢ - الْمَعِيْقَةُ.

٣ - ذَوَاتُ الْقَرَابَةِ، وَهِنَّ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ: أَصُولٌ، وَهِنَّ الْأُمُّ وَالْجَدَّةُ لِأُمٍّ، أَوْ لَأَبٍ، وَفُرُوعٌ، وَهِنَّ الْبَنْتُ، وَبَنْتُ الْإِبْنِ وَإِنْ نَزَلَتْ، وَحَاشِيَةٌ قَرِيبَةٌ وَهِيَ الْأَخْتُ مَطْلَقًا.

[تَنْبِيْهُ]: لَا تَرِثُ الْعَمَّةُ وَلَا الْخَالَةُ، وَلَا بَنْتُ الْبَنِّ وَلَا وَلَدُهَا وَلَا بَنْتُ الْإِخْ، وَلَا بَنْتُ الْعَمِّ مَطْلَقًا.

المَادَّةُ الرَّابِعَةُ: فِي بَيَانِ الْفُرُوضِ:

الْفُرُوضُ الْمَقْدَّرَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ سِتَّةٌ وَبَيَانُهَا كَالْتَّالِي:

١ - الْيَصْفُ، وَرِثَتُهُ خَمْسَةُ أَفْرَادٍ وَهُمْ: الزَّوْجُ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْهَالِكَةِ وَلَدٌ وَلَا وَلَدٌ وَلَدٍ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى.

٢ - الْبَنْتُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهَا أَخٌ أَوْ أُخْتُ أَوْ أَكْثَرُ، فَلَا تَرِثُ النِّصْفَ إِلَّا إِذَا انْفَرَدَتْ.

٣ - بَنْتُ الْإِبْنِ إِذَا انْفَرَدَتْ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهَا وَلَدٌ ابْنٌ كَذَلِكَ.

٤ - الْأَخْتُ الشَّقِيْقَةُ إِذَا انْفَرَدَتْ بِأَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهَا أَخٌ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهَا أَبٌ وَلَا ابْنٌ، وَلَا ابْنُ ابْنٍ.

٥ - الْأَخْتُ لِأَبٍ إِذَا انْفَرَدَتْ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهَا أَخٌ، وَلَا أَبٌ، وَلَا ابْنُ ابْنٍ.

ب - الرُّبُعُ : ويرثُهُ نَفَرَانِ فَقَطْ، وَهُمَا :

١ - الزَّوْجُ إِنْ كَانَ لِلزَّوْجَةِ الْهَالِكَةُ وَلَدٌ أَوْ وَلَدٌ وَلَدٍ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى .

٢ - الزَّوْجَةُ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَزَوْجِهَا الْهَالِكُ وَلَدٌ وَلَا وَلَدٌ وَلَدٍ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى .

ج - الثُّمْنُ : ويرثُهُ نَفَرٌ وَاحِدٌ وَهُوَ الزَّوْجَةُ، وَإِنْ كُنَّ زَوَاجَاتٍ اقْتَسَمْنَهُ. وَذَلِكَ إِنْ كَانَ لِلزَّوْجِ الْهَالِكُ وَلَدٌ، أَوْ وَلَدٌ وَلَدٍ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى .

د - الثُّلَاثَانِ : ويرثُهُمَا أَرْبَعَةُ أَصْنَافٍ :

١ - الْبَنَاتَانِ فَكَثُرَ عِنْدَ انْفِرَادِهِمَا عَنِ الْإِبْنِ، أَيْ أُخِيهِمَا .

٢ - بَنَاتَا الْإِبْنِ فَكَثُرَ إِنْ انْفَرَدَتَا عَنِ وَلَدِ الصُّلْبِ، ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى، وَعَنِ ابْنِ الْإِبْنِ الَّذِي هُوَ أُخُوهُمَا .

٣ - الشَّقِيقَتَانِ فَكَثُرَ إِنْ انْفَرَدَتَا عَنِ الْإِبْنِ، وَوَلَدِ الصُّلْبِ، ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى، وَعَنِ الشَّقِيقِ .

٤ - الْأَخْتَانِ لِأَبٍ فَكَثُرَ إِنْ انْفَرَدَتَا عَمَّنْ ذُكِرَ فِي الشَّقِيقَتَيْنِ وَعَنِ الْآخَرِ لِأَبٍ .

هـ - الثُّلُثُ : ويرثُهُ ثَلَاثَةُ أَنْفَارٍ، وَهُمْ :

١ - الْأُمُّ، إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْهَالِكِ وَلَدٌ وَلَدٍ، ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى، وَلَا جَمْعٌ مِنَ الْإِخْوَةِ اثْنَانِ فَكَثُرَ، ذُكُورًا أَوْ أُنَاثًا .

٢ - الْأَخُوَّةُ لِلْأُمِّ إِنْ تَعَدَّدُوا بِأَنْ كَانُوا اثْنَيْنِ فَكَثُرَ وَلَمْ يَكُنْ لِلْهَالِكِ أَبٌ، وَلَا جَدٌّ، وَلَا وَلَدٌ وَلَا وَلَدٌ وَلَدٍ، ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى .

٣ - الْجَدُّ، إِنْ كَانَ مَعَ إِخْوَةٍ، وَكَانَ الثُّلُثُ أَوْفَرَ لَهُ وَأَحْظُّ، وَذَلِكَ فِيمَا إِذَا زَادَ عَدَدُ الْإِخْوَةِ عَنِ اثْنَيْنِ مِنَ الذُّكُورِ أَوْ أَرْبَعٍ مِنَ الْإِنَاثِ .

[تَنْبِيْهُ] : الثُّلُثُ الْبَاقِي :

١ - إِذَا هَلَكَتْ امْرَأَةٌ وَخَلَفَتْ زَوْجَهَا وَأَبَاهَا وَأُمُّهَا فَقَطْ فَإِنَّ مَسْأَلَتَهَا تَكُونُ مِنْ سِتَّةٍ

للزَّوْجِ نصفها ثلاثة، وللأُمِّ ثلثُ النصفِ الباقي وهو واحدٌ، وللأبِ الاثنانِ الباقيانِ بالتعصيبِ.

٢ - إِذَا هَلَكَ رَجُلٌ عَنْ امْرَأَتِهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ لَا غَيْرَ، فَاَلْمَسْأَلَةُ مِنْ أَرْبَعَةٍ رُبْعَهَا لِلزَّوْجَةِ وَهُوَ وَاحِدٌ، وللأُمِّ ثلثُ الباقي وهو واحدٌ، واثنانِ للأبِ بالتعصيبِ.

فَالأُمُّ فِي هَاتَيْنِ الْمَسْأَلَتَيْنِ لَمْ تَرِثْ ثُلُثَ التَّرَكَةِ، وَإِنَّمَا وَرِثَتْ ثُلُثَ بَاقِي التَّرَكَةِ. بهذا قَضَى عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى عُرِفَتْ هَاتَانِ الْمَسْأَلَتَانِ بِالْعُمَرِيَّتَيْنِ.
و- السُّدُسُ: وَيَرِثُهُ سَبْعَةُ أَنْفَارٍ، وَهُمْ:

١ - الأُمُّ، إِنْ كَانَ لِلْهَالِكِ وَلَدٌ أَوْ وَلَدٌ وَلَدٌ، أَوْ كَانَ لَهُ جَمْعٌ مِنَ الْإِخْوَةِ اثْنَانِ فَأَكْثَرُ ذُكُورًا كَانُوا أَوْ إِنَاثًا، أَشْقَاءُ أَوْ لَأَبٍ أَوْ لَأُمٍّ، وَسَوَاءٌ كَانُوا وَارِثِينَ أَوْ مَحْجُوبِينَ.

٢ - الْجَدَّةُ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْهَالِكِ أُمٌّ، وَتَرِثُهُ وَحْدَهَا إِنْ انْفَرَدَتْ وَإِنْ كَانَتْ مَعَهَا جَدَّةٌ أُخْرَى فِي رُتْبَتِهَا اقْتَسَمَتْهُ مَعَهَا أَنْصَافًا.

[تَنْبِيْهُ]: الْجَدَّةُ الْأَصِيلَةُ فِي الْإِرْثِ هِيَ أُمُّ الْأُمِّ، وَأَمَّا أُمُّ الْأَبِ فَإِنَّهَا مَحْمُولَةٌ عَلَى الْأُمِّ فَقَطْ.

٣ - الْأَبُ، وَيَرِثُهُ مَطْلَقًا سَوَاءً كَانَ لِلْهَالِكِ وَلَدٌ، أَوْ لَمْ يَكُنْ.

٤ - الْجَدُّ، وَيَرِثُهُ عِنْدَ فَقْدِ الْأَبِ فَقَطْ لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَتِهِ.

٥ - الْأَخُ لِلأُمِّ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، وَيَرِثُهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِلْهَالِكِ أَبٌ، وَلَا جَدُّ، وَلَا وَلَدٌ، وَلَا وَلَدٌ وَلَدٍ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، وَبَشَرَطُ أَنْ يَكُونَ الْأَخُ لِلأُمِّ أَوْ الْأَخْتُ لِلأُمِّ مِنْفَرِدًا لَيْسَ مَعَهُ أَخٌ لِأُمٍّ، أَوْ أُخْتُ لَهَا.

٦ - بِنْتُ الْإِبْنِ وَتَرِثُهُ إِذَا كَانَتْ مَعَ بِنْتٍ وَاحِدَةٍ، وَلَيْسَ مَعَهَا أَخُوهَا، وَلَا ابْنُ عَمِّهَا الْمَسَاوِي لَهَا فِي الدَّرَجَةِ، وَلَا فَرْقٌ بَيْنَ الْوَاحِدَةِ وَالْأَكْثَرِ فِي إِرْثِ السُّدُسِ لِبِنْتِ الْإِبْنِ أَوْ بَنَاتِهِ.

٧ - الأخت للأب إذا كانت مع شقيقة واحدة، وليس معها أخ لأب، ولا أم، ولا جد، ولا ولد، ولا ولد ولد، ابن.

المادة الخامسة: في التعصيب:

أ - تعريف العاصب:

العاصب في الاصطلاح: مَنْ يَحُوزُ كُلَّ الْمَالِ عِنْدَ انْفِرَادِهِ، أَوْ مَا أَبْقَتْ الْفَرَائِضُ إِنْ كَانَتْ، وَيَحْرُمُ إِنْ لَمْ تُبْقِ الْفَرَائِضُ شَيْئًا مِنَ التَّرَكَةِ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي الصَّحِيحِ: «الْحَقُّوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَلأُولَى رَجُلٍ ذَكَرٍ».

ب - أقسام العصبية:

العصبية ثلاثة أقسام:

١ - عاصب بنفسه وهو الأب والجد وإن علا، والابن وابن الابن وإن سفل، والأخ الشقيق أو لأب، وابن الأخ الشقيق أو لأب وإن نزل، والعم الشقيق أو لأب، وابن العم الشقيق أو لأب وإن نزل، والمعتق ذكرًا كان أو أنثى، وعصبته المعتق المعصون بأنفسهم، وبيت المال.

٢ - عاصب بغيره، وهو كل أنثى عصبها ذكر فورثت معه بنسبه للذكر مثل حظ الأنثيين. وهن الشقيقة مع أخيها الشقيق، والأخت لأب مع أخيها للأب، والبنات مع أخيها، وبنات الابن مع أخيها أو مع ابن ابن إن لم يكن لها فرض، فإن كان لها فرض فلا يعصبها ابن الابن النازل عنها، وذلك كأن يهلك رجل فيترك بنتًا وبنات ابن، وابن ابن ابن فإن للبنات النصف؛ وبنات الابن السدس تكملة الثلثين، والباقي لابن ابن الابن بالتعصيب. أو يترك بنت ابن، وابن ابن ابن، فإن لبنات الابن النصف بالفرض، والنصف الباقي لابن الابن بالتعصيب، أو يترك بنتي ابن، وابن ابن ابن فإن لبنتي الابن الثلثين فرضًا، ولابن ابن الابن الباقي بالتعصيب. كل هذا إذا كانت بنت الابن مساوية لابن الابن في الدرجة، أو كانت أعلى منه. أما إن كانت أسفل منه بدرجة فأكثر فإنه يحجبها حجب إسقاط فلا تترك بالمرّة.

٣ - وعاصِبٌ مَعَ غَيْرِهِ، وَهُوَ كُلُّ أَنْثَى تَصِيرُ عَاصِبَةً بِاجْتِمَاعِهَا مَعَ أُخْرَى، وَتِلْكَ الشَّقِيقَةُ فَأَكْثَرُ مَعَ الْبِنْتِ، أَوِ الْبَنَاتِ، أَوْ مَعَ بِنْتِ الْإِبْنِ أَوْ بَنَاتِهِ. وَالْأَخْتُ لِأَبٍ كَالشَّقِيقَةِ فِي هَذَا كُُلِّهِ، فَالْبَاقِي عَنْ الْبِنْتِ أَوِ الْبَنَاتِ أَوْ بِنْتِ الْإِبْنِ أَوْ بَنَاتِهِ تَرْتُهُ الْأَخْتُ وَحْدَهَا إِنْ انْفَرَدَتْ، أَوْ مَعَ أَخَوَاتِهَا بِالسُّوِيَةِ إِنْ كُنَّ. مَعَ مِلَاحَظَةٍ أَنَّ الشَّقِيقَةَ هُنَا بِمَنْزِلَةِ الشَّقِيقِ فَتَحْجُبُ النَّثَى لِلْأَبِ، وَالْأَخْتُ لِأَبٍ بِمَنْزِلَةِ الْإِخْرِ لِلْأَبِ فَتَحْجُبُ ابْنَ الْإِخْرِ مُطْلَقًا.

[تَنْبِيْهٌ]: الْمَسْأَلَةُ الْمَشْتَرَكَةُ:

إِذَا هَلَكَتْ امْرَأَةٌ وَخَلَفَتْ زَوْجًا وَأُمًّا وَإِخْوَةً لِأُمٍّ وَأَخًا شَقِيقًا أَوْ أَكْثَرَ، فَإِنَّ الْمَسْأَلَةَ مِنْ سِتَّةٍ لِلزَّوْجِ النِّصْفُ ثَلَاثَةٌ، وَلِلْأُمِّ السُّدُسُ وَاحِدٌ، وَلِلْإِخْوَةِ لِأُمٍّ الثُّلُثُ اثْنَانِ، وَلَمْ يَبْقَ لِلْإِخْرِ الشَّقِيقِ شَيْءٌ مِنَ التَّرْكَةِ إِذْ هُوَ عَاصِبٌ، وَالْعَاصِبُ يُحْرِمُ إِذَا اسْتَعْرَقَتْ الْفَرَائِضُ التَّرْكَةَ. هَذَا هُوَ الْمَفْرُوضُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

غَيْرَ أَنَّ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَضَى بِتَشْرِيكِ الشَّقِيقِ أَوِ الْأَشِقَاءِ مَعَ الْإِخْوَةِ لِلْأُمِّ فِي الثُّلُثِ فَاقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ بِالسُّوِيَةِ، الشَّقِيقُ كَالَّذِي لِلْأُمِّ، وَالْأَنْثَى كَالذَّكَرِ، وَلِهَذَا سُمِّيَتْ بِالْمُشْتَرَكَةِ أَوِ الْمَشْتَرَكَةِ، أَوْ بِالْحَجَرِيَّةِ، لِأَنَّ الْأَشِقَاءَ قَالُوا لِعَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِمَا حَرَّمَهُمْ ابْتِدَاءً: افْرَضْ أَنْ أَبَانَا حَجَرَ أَلَيْسَتْ أُمَّنَا وَاحِدَةً؟ فَكَيْفَ نُحْرِمُ وَيَرِثُ إِخْوَتُنَا؟ فَاقْتَنَعَ عَمَرُ وَقَضَى لَهُمْ بِمَشَارَكَةِ إِخْوَتِهِمْ لِأُمِّهِمْ فِي الثُّلُثِ.

المَادَّةُ السَّادِسَةُ: فِي الْحَجْبِ:

أ - تَعْرِيفُهُ:

الْحَجْبُ: الْمَنْعُ مِنْ كُلِّ الْمِيرَاثِ، أَوْ مِنْ بَعْضِهِ.

ب - قِسْمَا الْحَجْبِ:

- ١ - حُجْبُ النَّقْصِ، وَالْمَرَادُ بِهِ: نَقْلُ الْوَارِثِ مِنْ فَرَضٍ أَكْثَرَ إِلَى فَرَضٍ أَقْلٍ، أَوْ مِنْ فَرَضٍ إِلَى تَعْصِيبٍ، أَوِ الْعَكْسِ، أَيْ مِنْ تَعْصِيبٍ إِلَى فَرَضٍ.
- وَالَّذِينَ يَحْجُبُونَ غَيْرَهُمْ حُجْبَ نَقْصَانٍ سِتَّةُ أَنْفَارٍ وَهُمْ:

● الابن، وابن الابن، وإن نزل، فيحجبان الزوج من النصف إلى الربع، والزوجة من الربع إلى الثمن، والأب والجد بنقلهما من التعصيب إلى السدس بالفرض.

● البنت، وتحجب بنت الابن بنقلها من النصف إلى السدس، وبنتي الابن بنقلهما من الثلثين إلى السدس، والأخت الشقيقة أو الأب، من النصف إلى السدس، والشقيقتين أو لأب، بنقلهما من الثلثين إلى التعصيب، والزوج بنقله من النصف إلى الربع، والزوجة بنقلها من الربع إلى الثمن، والأم بنقلها من الثلث إلى السدس، والأب والجد بنقلهما من التعصيب إلى السدس فرضاً، ولهم الباقي تعصياً إن كان هناك باقي.

● بنت الابن، وتحجب من تحتها من بنات الابن حيث لا معصبة لهن من أخ أو ابن عم مساو لهن في الدرجة، فتتقل الواحدة من النصف إلى السدس، وتنقل الاثنتين فأكثر من الثلثين إلى السدس، وتحجب الأخت الشقيقة أو لأب من النصف إلى التعصيب، والشقيقتين أو لأب من الثلثين إلى التعصيب، وتحجب الزوج، والزوجة، والأم، والأب، والجد على نحو ما حجبتهُم البنت.

● الأخوان فأكثر مطلقاً يحجبان الأم، بنقلها من الثلث إلى السدس.

● الأخت الشقيقة الواحدة تحجب الأخت لأب، بنقلها من النصف إلى السدس، إذا لم يكن معها أخ لأب تعصب به، والأختين لأب، بنقلهما من الثلثين إلى السدس، إذا لم يكن معهما أخ لأب تعصبان به.

٢ - حجب الإسقاط:

المراد بحجب الإسقاط: حرمان الوارث من كل ما كان يرثه لولا المحجب. والحاجبون لغيرهم حجب إسقاط تسعة عشر فقراً، وهم:

١ - الابن، فلا يرث معه ابن الابن، ولا بنته، ولا الإخوة مطلقاً، ولا الأعمام مطلقاً.

٢ - ابن الابن، فلا يرث معه من تحته من ابن ابن الابن ولا بنته، ويحجب كل من يحجبه الابن، سواء بسواء.

٣ - البنت، فلا يرث معها الأخ للأُم مطلقاً.

٤ - بنت الابن، فلا يرث معها الأخ للأُم مطلقاً.

٥ - البنتان فأكثر، فلا يرث معهما الأخ للأُم مطلقاً، ولا بنت الابن أو بناته إلا أن يكون معها من تُعصب به من أخ، أو ابن عم مُساوٍ لها في الدرجة.

٦ - بنتا الابن فأكثر، فلا يرث معهما الأخ للأُم، ولا بنت أو بنات ابن الابن، إلا أن يكون معها من تُعصب به من أخ أو ابن عم مُساوٍ لها في الدرجة.

٧ - الأخ الشقيق، فلا يرث معه الأخ للأب مطلقاً، ولا العم مطلقاً.

٨ - ابن الأخ الشقيق، فلا يرث معه العم مطلقاً، ولا ابن الأخ للأب، ولا من تحته من أبناء الأخ مطلقاً.

٩ - الأخ للأب، فلا يرث معه العم مطلقاً، ولا ابن الأخ شقيقاً أو لأب.

١٠ - ابن الأخ لأب، فلا يرث معه العم مطلقاً، ولا من تحته من أبناء الأخ.

١١ - العم الشقيق، فلا يرث معه العم لأب، ولا من تحته من أبناء العم مطلقاً.

١٢ - ابن العم الشقيق، فلا يرث معه ابن العم لأب، ولا من تحته من أبناء ابن العم.

١٣ - العم لأب، فلا يرث معه ابن العم مطلقاً.

١٤ - الشقيقة مع البنت، فلا يرث معها الأخ للأب، لأن الشقيقة مع البنت نزلت منزلة الشقيق والشقيق لا يرث معه الأخ للأب.

٢ - أن يَكُونَ معه أصحابُ فروضٍ فقط، فيُفَرَضُ لَهُ معهم السدُسُ وإن بقي من التركة شيءٌ وريثه بالتعصيب.

٣ - أن يَكُونَ معه ابنٌ وابنُ ابنٍ، فيُفَرَضُ لَهُ السدُسُ لا غير.

٤ - أن يَكُونَ معه إخوةٌ فقط، فإنه يُعطى الأكثر من ثلث المال، أو المُقاسمة. وتكونُ المقاسمةُ أحظُّ لَهُ إذا لَمْ يزدْ عددُ الإخوةِ على اثنين، أو ما يُعادلُهُما من الأخوات.

٥ - أن يَكُونَ معه إخوةٌ وأصحابُ فروضٍ فإنه حينئذٍ يُعطى الأفضل من سدسِ كاملِ التركة، أو من ثلث الباقي، أو من مُقاسمةِ الإخوةِ، وإن استغرقتِ الفروضُ التركةَ فإنَّ الإخوةَ يُسقطونَ، وأما الجدُّ فإنه لا يُسقطُ حيثُ يفرضُ لَهُ السدُسُ، ولو عالتِ المسألةُ من أجله.

[تنبيهان]: الأول في المعادة:

إذا اجتمعَ جدٌ وإخوةٌ لأشقاء، وإخوةٌ لأبٍ فإنَّ الأشقاءَ يتعدَّونَ على الجدِّ الإخوةَ للأب، ويُقاسمونهُ على أساسِهِمْ، ثُمَّ يَحْجُبُونَهُمْ، فيأخذونَ نصيبَهُمْ دونَ الجدِّ. مثالُ ذلكَ جدٌ وشقيقٌ وأخٌ لأبٍ، فالمسألةُ من ثلاثةٍ عددَ رؤوسِهِمْ للجدِّ واحدٍ، وللشقيقِ واحدٍ، والأخِ للأبِ واحدٍ، غيرَ أنَّ الشقيقَ بعدَ ما يُعدُّ على الجدِّ الأخِ للأبِ يرجعُ فيأخذُ نصيبَهُ، لأنَّ الشقيقَ يحجبُ الذي لأبٍ كما تقدَّم.

الثاني: في الأكدرية:

إذا هلكَت امرأةٌ عن زوجِها وأُمِّها وأختِها شقيقةً أو لأبٍ وجَدِها، فالمسألةُ من ستةٍ لوجودِ السدسِ فيها، نصفُها للزوجِ ثلاثةً، وثلثُها للأمِّ اثنانِ ونصفُها للأختِ ثلاثةً، وسدسُها للجدِّ واحدٌ. فتعولُ المسألةُ إلى تسعةٍ، ثُمَّ إنَّ الجدَّ يطالبُ الأختَ بالمقاسمةِ فيُجمعُ واحدٌ معَ ثلاثَيْها فتصيرُ أربعةً فيقتسمانِها للذكرِ، مثلُ حظِّ الانثيين، وأُفردتْ هذهُ المسألةُ بالذكرِ، لأنَّ المفروضَ أنَّ يفرضُ للأخواتِ معَ الجدِّ شيءٌ، لأنه يُعصِبُهُنَّ كأخٍ معَ أختٍ. إلَّا في هذهِ المسألةِ فإنه يفرضُ للأختِ فيها النصفُ، ثُمَّ

يَرْجِعُ عَلَيْهَا الْجَدُّ فَيَخْلُطُ نَصِيْبَهُ مَعَ نَصِيْبِهَا، وَيَقْتَسِمَانِ لِلذَّكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ. فَتُصْبِحُ الْأَخْتُ وَارِثَةً لِلسُّدُسِ، وَالْجَدُّ لِلثَّلَاثِ عَكْسَ مَا فُرِضَ تَقْرِيْبًا. وَسُمِّيَتْ بِالْأَكْذَرِيَّةِ لِتَكْدِيرِهَا عَلَى الْأَخْتِ حَيْثُ أُفْرِضَ لَهَا الْكَثِيرُ وَأُخْذَتْ الْقَلِيلُ.

المادة الثامنة: في تصحيح الفرائض:

١ - أصول الفرائض، وهي سبعة: الاثنان، والثلاثة، والأربعة، والستة، والثمانية، والاثنا عشر، والأربعة والعشرون.

فالنصف يكون من الاثنتين، والثلث يكون من الثلاثة، والرُّبع يكون من الأربعة، والسدس يكون من الستة، والثمن من الثمانية، وإذا اجتمع في الفريضة الرُّبع والسدس فمن الاثني عشر، وإذا اجتمع الثمن والسدس أو الثلث فمن الأربعة والعشرين.

أمثلة:

١ - رَوْجٌ، وَأَخٌ، فالمسألة من اثنين، نصف للزوج، ونصف للأخ.

٢ - أم، وأب، فالمسألة من ثلاثة، للأم الثلث واحد، والباقي للأب بالتعصيب.

٣ - زوجة وأخ، فالمسألة من أربعة، ربعها واحد للزوجة، والباقي للأخ بالتعصيب.

٤ - أم، وأب، وابن، فالمسألة من ستة للأم سدس واحد، وللأب سدس واحد، والباقي لابن بالتعصيب.

٥ - زوجة وابن، فالمسألة من ثمانية، للزوجة الثمن واحد، والباقي لابن بالتعصيب.

٦ - زوجة، وأم، وعم، فالمسألة من اثني عشر لاجتماع الرُّبع والثلث فيها، ربعها للزوجة ثلاثة، وثلثها للأم أربعة، والباقي للعم تعصياً.

٧ - زوجة، وأم، وابن، فالمسألة من أربعة وعشرين لاجتماع الثمن والسدس فيها ثمنها للزوجة، ثلاثة، وسدسها للأم، أربعة، والباقي للابن تعصياً.

ب - العول:

١ - تعريفه:

العول في الاصطلاح: الزيادة في السهام، والنقص من المقادير.

٢ - حكمه: أجمع الصحابة رضي الله عنهم، إلا ابن عباس، على العمل به، وعليه فالعمل به جار بين كافة المسلمين.

٣ - ما يدخله العول:

يدخل العول ثلاثة أصول فقط، وهي الستة، والاثنى عشر، والأربعة والعشرون.

فالستة تعول إلى العشرة بالفرد والزوج. والاثنى عشر تعول إلى سبعة عشر بالفرد فقط، والأربعة والعشرون تعول مرة واحدة إلى سبعة وعشرين بالفرد.

أمثلة:

١ - عول الستة إلى السبعة: زوج، وشقيقة وجدة، فالمسألة من ستة، للزوج النصف ثلاثة، وللأخت الشقيقة النصف ثلاثة، وللجددة السدس واحد، فعالت إلى سبعة بالفرد.

٢ - عول الستة إلى ثمانية: زوج، وشقيقتان، وأم، فالمسألة من ستة، نصفها للزوج ثلاثة، وثلاثا للشقيقتين أربعة، وسدسها للأم واحد، فعالت إلى ثمانية بالزوج.

٢ - عول الاثني عشر إلى ثلاثة عشر: زوجة، وأم، وأختان لأب. فالمسألة من اثني عشر لوجود السدس والربع فيها، فللزوجة الربع ثلاثة، ولأم السدس اثنان، وللأختين الثلثان ثمانية. فعالت إلى ثلاثة عشر.

٤ - عُولُ الأربعة والعشرين إلى سبعة وعشرين في مثل زوجة وجد، وأم وبنتين، فالمسألة من أربعة وعشرين لوجود الثمن، والسُدس فيها. ثمها ثلاثة للزوجة، وسدسها أربعة للجد، وسدسها أربعة أيضاً للأم، وثلاثها ستة عشر للبنتين، فعالت إلى سبعة وعشرين.

ج - كيفية التأصيل:

١ - أموال الوراثة:

الورثة، إما أن يكونوا عصباً ذكوراً فقط، أو ذكوراً فقط، أو ذكوراً وإناثاً، وإما أن يكونوا عصباً معهم ذو فرض. وإما أن يكونوا ذوي فرض فقط.

وعليه، فإن كانوا عصباً فقط فالمسألة تؤصل بحسب رؤوسهم نحو ثلاثة أبناء، فالمسألة من ثلاثة، عدد رؤوسهم لكل واحد منهم سهم واحد. وإن كانوا عصباً ذكوراً وإناثاً فكذلك، غير أن للذكر مثل حظ الأنثيين نحو ابن وبنتين، فالمسألة من أربعة، عدد رؤوسهم لابن اثنان، ولكل بنت واحد.

٤	
١	زوج
٢	ابن
١	بنت

وإن كان معهم ذو فرض، فالمسألة من مقام ذلك الفرض نحو زوج وابن وبنت، فالمسألة من أربعة مقام فرض الزوج ربعها واحد، واثنان لابن، وواحد للبنت، للذكر مثل حظ الأنثيين، هكذا:

د - الأنظار الأربعة:

وإذا كان في المسألة صاحب فرض فأكثر فإنه يتعين النظر بين المقامين، أو المقامات بالأنظار الأربعة التي هي التماثل والتداخل، والتوافق، والتخالف.

٢	
١	زوج
١	شقيقة

وذلك من أجل تأصيل المسألة وتصحيحها. ففي التماثل كينصفتين، أو سدسيتين، فإنه يكتفي بأحد التماثلين فيجعل أصلاً للمسألة، ويجري التقسيم. نحو زوج، وشقيقة: للزوج النصف، وللشقيقة النصف فيكتفي بأحد المقامين

٦
١
٢
٣

لأنهما متماثلان، ويُجعل أصلاً للمسألة هكذا:

وفي التداخل كستة، وثلاثة، فإنه يكتفى بأكبر العددين، إذ أم
الأصغر داخل تحت الأكبر، فيجعل الأكبر مقاماً للفريضة. أخوان لأم
ويجري التقسيم هكذا:

فالمسألة من ستة سدسها للأم واحد، وثلاثها للاخوين لأم اثنتان والباقي ثلاثة
للعاصب. وقد اكتفى فيها بفرض السدس فجعل مقاماً لها، لأن الثلث داخل في
السدس.

وفي التوافق: فإنه يُنظر في أقل نسبة بين العددين المتوافقين فيؤخذ وفق
أحدهما ويُضرب في كامل العدد الآخر والحاصل يجعل أصلاً للمسألة، ويجري

١٢
٣
٢
٢
٢
٢
١

التقسيم نحو زوج وأم، وثلاثة أبناء، وبن. للزوج الربع
ومقامه من أربعة، وللأم السدس، ومقامه من ستة. والنسبة
بين المقامين (الربع والسدس) التوافق بالنصف، إذ لكل
من العددين نصف. فيضرب نصف أحدهما في كامل الآخر
فيحصل اثنا عشر، فيجعل أصلاً للمسألة هكذا:

وفي التخالف: وهو أن لا يتفق العددين في أية نسبة كثلاثة
وأربعة مثلاً فإنه يكتفى بضرب كامل أحدهما في كامل الآخر والحاصل

٦
٣
٢
١

زوج
أم
شقيق

يُجعل أصلاً للمسألة، ويجري التقسيم هكذا في زوج،
وأم، وشقيق: للزوج النصف مقامه من اثنين، وللأم الثلث
مقامه من ثلاثة، والنسبة بينهما التخالف، ف ضرب الاثنين في
الثلاثة فحصل ستة فجعل أصلاً للمسألة وجري التقسيم.

هـ - الانكسار:

الانكسار هو أن يكون بعض السهام غير منقسمة على ورثتها.
فينظر بين السهام ورثتها فإن توافقا أخذ وفق الورثة؛ ووضع
فوق أصل الفريضة، وضرب فيها. والحاصل تصح منه
الفريضة فيجعل في جامعة أخرى بعد جامعة التأصيل؛ ثم
يُضرب ما بيد كل وارث في الوقي الموضوع فوق أصل
الفريضة والحاصل يوضع أمامه تحت جامعة التصحيح
هكذا: في نحو زوج وابنين وابنتين:

٢		
٨	٤	
٢	١	زوج
٢	٣	ابن
٢		ابن
١		بنت
١		بنت

وإن تخالفا وضع عدد رؤوس الورثة كاملاً فوق الفريضة، وضرب فيها
والحاصل تصح منه الفريضة فيجعل في جامعة أخرى، ويضرب ما بيد كل وارث
فيما فوق الفريضة والحاصل يوضع الخ ما تقدم.

مثاله: زوجة، وابن، وبنت، فالمسألة من ثمانية للزوجة ثمنها
واحد، ويبقى سبعة للعصبة وهي غير منقسمة عليهم لأن رؤوسهم ثلاثة
للكبر مثل حظ الانثيين فينظر بين السهام وبين الرؤوس
فيوجد التخالف، فيوضع كامل عدد رؤوس الورثة وهو ثلاثة
فوق الفريضة ويضرب فيها فيحصل أربعة وعشرون فتصح
منها الفريضة، ويجري العمل كما سبق هكذا:

٣		
٢٤	٨	
٣	١	زوجة
١٤	٧	ابن
٧		بنت

هذا فيما إذا كان الانكسار على فريق واحد من الورثة، أما إذا كان على أكثر من
فريق، فالعمل هو أن ينظر بين كل فريق وسهمه الذي انكسر عليه التوافق والتخالف،
وما يتحصل من النظر يوضع وراءه، ثم يرجع إلى تلك الأعداد التي وضعت وراء كل
فريق فينظر بينها بالأنظار الأربعة، ففي التماثل يكتفى بواحد منها، وفي التداخل
يكتفى بالكبر منها، لأن الأصغر داخل تحت الأكبر، وفي التوافق يكتفى بحاصل

ضَرْبُ الْوَفْقِ فِي كَامِلِ الْعَدَدِ الْمُوَافِقِ، وَفِي التَّخَالُفِ يُكْتَفَى بِضَرْبِ كَامِلِ الْعَدَدِ الْمَخَالَفِ فِي كَامِلِ الْعَدَدِ الْآخِرِ وَالْحَاصِلُ يُوَضَّعُ فَوْقَ الْفَرِیضَةِ، ثُمَّ يُضْرَبُ فِيهَا وَمَا يَحْصُلُ يُجْعَلُ فِي جَامِعَةٍ أُخْرَى، وَيَجْرِي الْعَمَلُ كَمَا تَقَدَّمَ.

مِثَالُ الْإِنْكَسَارِ عَلَى فَرِیقَيْنِ: زَوْجَتَانِ وَشَقِیقَانِ، فَالْمَسْأَلَةُ مِنْ أَرْبَعَةٍ، لِلزَّوْجَتَيْنِ وَاحِدٌ وَهُوَ مُنْكَسِرٌ عَلَيْهِمَا وَالْبَاقِي ثَلَاثَةٌ لِلشَّقِیقَيْنِ بِالتَّعْصِيبِ، وَهُوَ مُنْكَسِرٌ عَلَيْهِمَا أَيْضًا، فَيَنْظَرُ بَيْنَ سَهْمِ الزَّوْجَتَيْنِ وَعَدَدِ رُؤُسِهِنَّ فَيُوجَدُ بَيْنَهُمَا تَخَالُفٌ، فَيُوَضَّعُ عَدَدُ رُؤُسِهِنَّ وَهُوَ اثْنَانِ وَرَاءَهُمَا. ثُمَّ يَنْظَرُ بَيْنَ الشَّقِیقَيْنِ وَسَهْمَيْهِمَا فَيُوجَدُ التَّخَالُفُ أَيْضًا، لِأَنَّ الثَّلَاثَةَ تُخَالِفُ الْاِثْنَيْنِ، فَيُوَضَّعُ عَدَدُ رُؤُسِ الشَّقِیقَيْنِ وَرَاءَهُمَا

٨	٤	
١	١	زوجة
١		زوجة
٣	٣	شقيق
٣		شقيق

١٢

٢٨٨	٢٤	
٩	٣	زوجة
٩		زوجة
٩		زوجة
٩		زوجة
٦٤	١٦	بنت
٦٤		بنت
٦٤		بنت
٣٠	٥	شقيقة
		شقيقة

أَيْضًا، ثُمَّ يَنْظَرُ بَيْنَ عَدَدَيِ رُؤُسِ الزَّوْجَتَيْنِ، وَالشَّقِیقَيْنِ فَيُوجَدُ التَّمَاثُلُ فَيُكْتَفَى بِأَحَدِ الْعَدَدَيْنِ فَيُوَضَّعُ فَوْقَ الْفَرِیضَةِ، وَيُضْرَبُ فِيهَا وَالْحَاصِلُ يُوَضَّعُ فِي جَامِعَةٍ أُخْرَى وَيَجْرِي الْعَمَلُ كَمَا سَبَقَ، وَهَذَا مِثَالُهُ. وَهَذَا مِثَالٌ لِمَا تَمَآثَلُ فِيهِ عَدَدُ الرُّؤُسِ:

وَمِثَالُ مَا تَدَاخَلَ وَتَخَالَفَ أَرْبَعُ زَوْجَاتٍ، وَثَلَاثُ بَنَاتٍ وَشَقِیقَتَانِ هَكَذَا:

فَالْمُلَاحَظَةُ أَنَّ الْإِنْكَسَارَ كَانَ عَلَى ثَلَاثَةِ فِرَاقٍ، وَأَنَّ كُلَّ فَرِیقٍ تَخَالَفَ مَعَ سَهَامِهِ

فُوضِعَ عَدَدُ رُؤُوسِ كُلِّ فَرِيقٍ وَرَاءَهُ، ثُمَّ نُظِرَ فِي الرُّوَاجِعِ، أَيَّ عَدَدِ رُؤُوسِ كُلِّ فَرِيقٍ فُوجِدَ التَّدَاخُلُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ وَالْأَرْبَعَةِ فَانْكُفِّي بِالْأَكْبَرِ وَهُوَ الْأَرْبَعَةُ، ثُمَّ نُظِرَ بَيْنَ الْأَرْبَعَةِ وَالثَّلَاثَةِ فَكَانَ التَّخَالُفُ فَضْرِبُ كَامِلٍ أَحَدِهِمَا فِي الْآخَرِ، أَيَّ الثَّلَاثَةِ فِي الْأَرْبَعَةِ، أَوْ الْعَكْسُ، فَحَصَلَ اثْنَا عَشَرَ فُوضِعَ فَوْقَ الْفَرِيضَةِ وَضُرِبَ فِيهَا فَحَصَلَ ٢٨٨ فُوضِعَ فِي جَامِعَةٍ أُخْرَى وَجَرَى الْعَمَلُ كَمَا سَبَقَ.

المَادَّةُ التَّاسِعَةُ: فِي قِسْمَةِ التَّرِكَاتِ:

قِسْمَةُ التَّرِكَاتِ، هِيَ الثَّمَرَةُ الْمَرْجُوءَةُ مِنْ تَعَلُّمِ الْفَرَائِضِ، وَالنَّتِيجَةُ الْمَقْصُودَةُ مِنْهُ.

وَلِقِسْمَةِ التَّرِكَاتِ طُرُقٌ ثَنِي نَكْتَفِي مِنْهَا بِطَرِيقَتَيْنِ: الْأُولَى فِيمَا إِذَا كَانَتِ التَّرِكَةُ عَرْضًا، وَالثَّانِيَةُ فِيمَا إِذَا كَانَتْ نَقْدًا، فَالْأُولَى تُعْرَفُ بِالتَّقْرِيطِ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَجْزِئَةِ التَّرِكَةِ إِلَى أَرْبَعَةِ وَعَشْرِينَ جُزْءًا كُلُّ جُزْءٍ يُسَمَّى قِيرَاطًا. وَكَيْفِيَّةُ الْعَمَلِ هِيَ أَنْ تَضَعَ الْعَدَدَ ٢٤ فِي جَامِعَةٍ بَعْدَ جَامِعَةِ التَّصْحِيحِ، ثُمَّ تَنْظُرَ بَيْنَ الْقَرَارِيطِ، وَبَيْنَ الْعَدَدِ الَّذِي صَحَّتْ مِنْهُ الْفَرِيضَةُ فَإِنْ كَانَا مَتَمَاثِلَيْنِ فَلَا مَرُ سَهْلٌ، فَإِنَّكَ

٢٤	٢٤
٠٣	٣
٠٤	٤
١٧	١٧

تَنْقُلُ مَا يَبْدُ كُلِّ وَارِثٍ وَتَضَعُهُ أَمَامَهُ تَحْتَ جَامِعَةِ الْقَرَارِيطِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ نَصِيبَهُ مِنَ الْقَرَارِيطِ، وَذَلِكَ فِي مِثْلِ زَوْجَةٍ، وَأُمٍّ وَابْنٍ، هَكَذَا:

زَوْجَةٌ
أُمٌّ
ابْنٌ

وَإِنْ لَمْ يَكُونَا مَتَمَاثِلَيْنِ، وَكَانَا مُتَّفِقَيْنِ، فِي نِسْبَةٍ مَا مِنْ النِّسَبِ فَإِنَّكَ تَأْخُذُ وَفَقَ الْقَرَارِيطِ فَتَجْعَلُهُ فَوْقَ جَامِعَةِ الْفَرِيضَةِ، وَتَأْخُذُ وَفَقَ الْفَرِيضَةِ فَتَجْعَلُهُ فِي جَامِعَةِ خَلْفَ جَامِعَةِ الْقَرَارِيطِ، ثُمَّ تَضْرِبُ مَا يَبْدُ كُلِّ وَارِثٍ فِي وَفَقِ الْقَرَارِيطِ الْمَوْضُوعِ فَوْقَ جَامِعَةِ الْفَرِيضَةِ، وَالحَاصِلُ تَقْسِيمُهُ عَلَى وَفَقِ الْفَرِيضَةِ الْمَوْضُوعِ فِي جَامِعَةِ خَلْفَ جَامِعَةِ الْقَرَارِيطِ، وَخَارِجُ الْقِسْمَةِ إِنْ كَانَ عَدَدًا صَحِيحًا وَضَعْتَهُ تَحْتَ جَامِعَةِ الْقَرَارِيطِ، وَإِنْ كَانَ عَدَدًا صَحِيحًا وَكَسْرًا وَضَعْتَ الصَّحِيحَ مِنْهُ تَحْتَ جَامِعَةِ الْقَرَارِيطِ،

والكسر تحت الجامعة الأخيرة التي هي وفق الفريضة، ويصبح الكسر جزءاً مما فوقه. وعند اختيار العملية تجمع الأعداد الصحيحة أولاً، ثم تجمع الكسور فتصبح عدداً صحيحاً تضيفه إلى الأعداد الصحيحة، فإن كان حاصل الجمع أربعة وعشرين على قدر عدد القراريط كان العمل صحيحاً وإلا ففاسد.

	٢	٣	
٣	٢٤	٣٦	١٢
٠	٦	٠٩	٣
	٤	٦	٢
١	٩	١٤	٧
٢	٤	٠٧	

مثال ذلك كهالك عن زوج،
وأم، وبنت هكذا:
زوج
أم
ابن
بنت

الملاحظ هنا: أن أصل المسألة من اثني عشر، وصحت من ٣٦ لانكسار سهم الابن والبنت عليهما. والعمل جرى حسب القاعدة المتقدمة بالضبط.

	٢	
١	٢٤	١٢
٠	٠٦	٠٣
٠	٠٨	٠٤
٠	١٠	٠٥

ومثال آخر، هالك عن زوجة وأم، وشقيق هكذا:
والملاحظ هنا: أن التوافق حصل بنصف السدس، فوضع نصف سدس القراريط، وهو اثنان فوق الفريضة ووضع وفق الفريضة وهو واحد، نصف سدس الاثني عشر، وجرى العمل كما سبق، غير أن القسمة على واحد تخرج نفس العدد بلا زيادة ولا نقص فلا يضر، فيوضع الخارج أمام صاحبه كما تقدم.

وإن كنا مختلفين فإنك تأخذ كامل القراريط وهو ٢٤، فتضعه فوق الفريضة وتأخذ كامل الفريضة فتضعه في جامعة وراء جامعة القراريط، ثم تضرب ما بيد كل وارث فيما فوق الفريضة وهو ٢٤، وحاصل الضرب تقسمه على كامل الفريضة، الموضوع في جامعة الأخيرة وخارج القسمة، إن

٢٤

١٣	٢٤	١٣	١٢
٧	٥	٣	٣
٩	٣	٢	٢
٥	٧	٤	٤
٥	٧	٤	٤

٢

كَانَ عَدَدًا صَحِيحًا فَقَطْ وَضَعْتَهُ أَمَامَ وَارِثِهِ تَحْتَ جَامِعَةِ
الْقَرَارِيطِ، وَإِنْ كَانَ مَعَهُ كَسْرٌ وَضَعْتَ الصَّحِيحَ تَحْتَ
جَامِعَةِ الْقَرَارِيطِ، وَوَضَعْتَ الْكَسْرَ تَحْتَ الْجَامِعَةِ
الْأَخِيرَةِ، وَيَكُونُ الْكَسْرُ جُزْءًا مِنْ ذَلِكَ الْعَدَدِ. فَإِذَا
جَمَعْتَ تِلْكَ الْكُسُورَ كَوْنَتْ عَدَدًا صَحِيحًا، فَتُضِيفُهُ إِلَى
الْأَعْدَادِ الصَّحِيحَةِ فَيَتِمُّ عَدَدُ الْقَرَارِيطِ الْأَرْبَعَةِ
وَالْعَشْرِينَ.

مِثَالُ ذَلِكَ، هَالِكٌ عَنْ زَوْجَةٍ، وَأُمٍّ، وَأَخْتَيْنِ لِأَبٍ هَكَذَا:

الْمُلَاحَظَةُ هُنَا: ١ - أَنَّ بَيْنَ الْفَرِيضَةِ وَالْقَرَارِيطِ تَخَالُفًا، إِذْ ١٣ تُخَالِفُ ٢٤ وَلَا
تَتَّفِقُ مَعَهَا فِي آيَةٍ نَسَبِيَّةٍ، وَلِذَا وَضَعْنَا كَامِلَ الْقَرَارِيطِ فَوْقَ الْفَرِيضَةِ، وَكَامِلَ الْفَرِيضَةِ فِي
جَامِعَةٍ وَرَاءَ جَامِعَةِ الْقَرَارِيطِ.

٢ - الْكُسُورُ الَّتِي تَحْتَ الْجَامِعَةِ الْأَخِيرَةِ بَعْدَ جَمْعِهَا كَوْنَتْ عَدَدًا صَحِيحًا وَهُوَ
اِثْنَانِ، وَضَعْنَاهُمَا تَحْتَ جَامِعَةِ الْقَرَارِيطِ، وَبِهِمَا تَمَّ عَدَدُ الْقَرَارِيطِ ٢٤. وَعَرَفْنَا أَنَّ
الْعَمَلَ صَحِيحَ.

وَالثَّانِيَّةُ وَهِيَ فِيمَا كَانَتْ التَّرِكَةُ غَيْبًا: ذَرَاهِمَ أَوْ دِنَانِيرَ،
فَإِنَّ الْعَمَلَ لَا يَخْتَلِفُ عَنْ طَرِيقَةِ التَّقْرِيطِ الْأُولَى، إِلَّا أَنَّكَ تَضَعُ التَّرِكَةَ أَيَّ عَدَدِ
الذَّرَاهِمِ أَوْ الدِنَانِيرِ بِكَامِلِهَا فِي الْجَامِعَةِ الَّتِي كُنْتَ
تَضَعُ فِيهَا عَدَدَ الْقَرَارِيطِ، ثُمَّ تُجْرِي الْعَمَلَ كَمَا سَبَقَ
فِي طَرِيقَةِ التَّقْرِيطِ، وَإِلَيْكَ مِثَالًا.

١٠

١	٤٠	٤
٠	١٠	١
٠	٣٠	٣

هَالِكَةُ عَنْ زَوْجٍ وَابْنٍ وَتَرَكَتْ قَدْرًا مِنَ الْمَالِ هُوَ
أَرْبَعُونَ رِيَالًا، فَتُجْرِي الْعَمَلَ هَكَذَا:

يُلَاحَظُ أَنَّنَا نَظَرْنَا بَيْنَ الْفَرِيضَةِ وَالتَّرِكَةِ فَوَجَدْنَا بَيْنَهُمَا تَوَافُقًا
بِالرُّبْعِ، فَأَخَذْنَا وَفَّقَ التَّرِكَةَ فَوَضَعْنَاهُ فِي جَامِعَةِ أَخِيرَةٍ لِنَقْسِمَ عَلَيْهِ، وَأَخَذْنَا

وَفَقَّ التَّرَكَّةَ وَهُوَ (١٠) لِنَضْرِبَ فِيهِ، فَوَضَعْنَاهُ فَوْقَ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ ضَرَبْنَا مَا يَبْدُ
الزَّوْجِ وَهُوَ وَاحِدٌ فِيمَا فَوْقَ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ ضَرَبْنَا مَا يَبْدُ الزَّوْجِ وَهُوَ
وَاحِدٌ فِيمَا فَوْقَ الْفَرِيضَةِ وَهُوَ عَشْرَةٌ فَحَصَلَ عَشْرَةٌ، وَقَسَمْنَا عَلَى وَفَقِّ
١٠
الْفَرِيضَةِ وَهُوَ وَاحِدٌ، فَخَرَجَ الْعَدَدُ بِنَفْسِهِ وَهُوَ عَشْرَةٌ،
فَوَضَعْنَاهُ أَمَامَ وَارِثِهِ وَكَذَا فَعَلْنَا بِمَا يَبْدُ الْإِبْنِ، فَنَابَ
الزَّوْجَ عَشْرَةٌ مِنْ ٤٠، وَهُوَ الرَّبْعُ، وَثَلَاثُونَ نَابَتْ
الْإِبْنِ، وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ الْارْبَعِينَ.

٦	٦٠	١
٣	٣٠	٠
٢	٢٠	٠
١	١٠	٠

زوج

أم

شقيق

وَمِثَالُ آخَرٍ، زَوْجٌ، وَأُمٌّ، وَشَقِيقٌ، وَالتَّرَكَّةُ سِتُونَ
دِرْهَمًا:

يُلَاحَظُ أَنَّ التَّوَافُقَ كَانَ بِالسُّدُسِ.

مِثَالُ آخَرٍ، لَمَّا اخْتَلَفَتْ فِيهِ الْفَرِيضَةُ مَعَ التَّرَكَّةِ، زَوْجَةٌ، وَأُمٌّ، وَأَبٌ، وَالتَّرَكَّةُ

٢٣٥ دِرْهَمًا هَكَذَا:

٢٣٥

١٢	٢٣٥	١٢
٩	٥٨	٣
٤	٧٨	٤
١١	٩٧	٥

زوجة

أم

أب

وَالْمَلَاظُ هُنَا أَنَّهُ لَمْ تَحْصُلْ أَيَّةُ نَسَبَةٍ بَيْنَ
الْفَرِيضَةِ وَالتَّرَكَّةِ. كَمَا يُلَاحَظُ أَنَّ الْعَمَلَ لَمْ يَخْتَلَفْ
فِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ عَنْ طَرِيقَةِ التَّقْرِيطِ أَبَدًا إِلَّا فِي
رَضْعِ التَّرَكَّةِ بِذَلِكَ الْقَرَارِيطِ، أَمَّا الْعَمَلُ فَيَجْرِي
عَلَى نَحْوِ مَا سَبَقَ تَمَامًا، فَالزَّوْجَةُ أَخَذَتْ رُبْعَهَا

وَهُوَ ثَلَاثَةٌ، مَضْرُوبًا فِي التَّرَكَّةِ وَهُوَ ٢٣٥ مَقْسُومًا عَلَى أَصْلِ الْفَرِيضَةِ ١٢ فَخَرَجَ ٥٨
دِرْهَمًا وَضَعَتْ أُمَامَهَا تَحْتَ جَامِعَةِ التَّرَكَّةِ، وَبَقِيَ كَسْرٌ وَهُوَ ٩ فَوَضِعَ تَحْتَ جَامِعَةِ
أَصْلِ الْفَرِيضَةِ فَيَنْسَبُ مِنْهَا هَكَذَا: ٩ ١٢، وَهُوَ يُسَاوِي ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِ الْوَاحِدِ
الصَّحِيحِ. وَالْأَمُّ ضُرِبَ مَا يَبْدُهَا فِيمَا فَوْقَ الْفَرِيضَةِ وَقِسِمَ الْحَاصِلُ عَلَى ١٢ فَخَرَجَ
٥٨ وَكُسِرَ وَهُوَ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ، وَالْأَبُ ضُرِبَ مَا يَبْدُهَا وَقِسِمَ فَخَرَجَ أَيْضًا ٩٧ وَكُسِرَ وَهُوَ
١١ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ، فَجُمِعَتِ الْكُسُورُ فَكَانَتْ ٢٤ أَيُّ اثْنَيْنِ صَحِيحَيْنِ، فَوُضِعَتْ تَحْتَ

الأعداد أسفل الجدول وجمعت معها فكان حاصل الجمع موافقاً للتركة، فعلمنا أنَّ العمل صحيح، وهو المطلوب.

المادة العاشرة: في المناسخة:

المراد بالمناسخة: العمل الذي يتوصل به إلى معرفة ما يستحقه ورثة الهالك الثاني من ورثة الهالك الأول قبل قسمة التركة، والطريقة إلى ذلك أن تُصحح فريضة الهالك الأول، وتضع حرف (ت) علامة على موت الوارث الموضوع الحرف أمامه. ثم من يرث من ورثة الهالك الأول تضعهم بعنوان إريهم الجديد، فمن كانت زوجة في التركة الأولى قد تصبح في الثانية، أمًا مثلاً، تضعهم مقابل سهامهم في التركة الأولى، وإن وجد وارث جديد فأكثر تضعه في جدول أسفل الجدول الأول، ثم تصحح مسائلهم وتنظر بين ما صحت منه المسألة وبين سهام الهالك، فإن انقسمت السهام على الفريضة الثانية فإن المسألتين تصحان ممَّا صحت منه الأولى. مثاله:

هالك عن زوج، وأم، وابن، وبنت، ومات الزوج عن ابنه وبنته المذكورين، فالمسألة الأولى من (١٢) تصبح من (٣٦)، لانكسار سهم الابن والبنت عليهما. والمسألة الثانية من ثلاثة، وسهم الهالك تسعة وهي منقسمة على الفريضة الثانية وهي ثلاثة. فالمسألتان إذا تصحان من ستة وثلاثين، فتضع جامعة أخيرة تسمى جامعة المناسخة، تنقل إليها العدد الذي صحت منه الفريضة الأولى وهو (٣٦) وتنقل إليها السهام فتضعها تحتها، فمن لم يكن له في المسألة الثانية شيء وضعت سهمه من المسألة الأولى كما هو بعينه تحت جامعة المناسخة أمامه، ومن كان له شيء في المسألة الثانية ضربته فيما فوق من جامعة الفريضة، والحاصل يضيف إليه ما بيده من المسألة الأولى إن كان له فيها شيء، وتضعه أمامه تحت جامعة المناسخة هكذا

			٣	٣	
	٣٦	١٢	٣	٣٦	
زوج	٣	٩	ت		
أم	٢	٦			٦
ابن	٧	١٤	ابن	٢	٢٠
بنت		٧	بنت	١	١٠

وإن لم تنقسم سهام الهالك على الفريضة الثانية، فإنك تنظر بينهما بالموافقة

لمخالفة، فإن وافقته في أقل نسبة أخذت وفق السهام فوضعت فوق جامعة المريضة، وأخذت وفق الفريضة فوضعت فوق الفريضة الأولى، وضربته فيها والحاصل تجعله في جامعة أخيرة هي جامعة المناسخة، ثم ضرب ما بيد الوارث فيما فوق الفريضة الأولى أي في الوقف الموضوع فوقها، والحاصل تضعه أمامه تحت جامعة المناسخة، وإن كان له شيء في الفريضة الثانية ضربته فيما فوق الفريضة الثانية وحاصل الضرب أجمعه مع ما له في الفريضة الأولى، وضع الجميع أمامه تحت جامعة المناسخة وذلك هو نصيبه هكذا:

هالك عن زوجة، وبن، وشقيقة، ثم ماتت البنت وخلفت والدتها والتي هي الزوجة في التركة الأولى، وزوجاً وإبناً، فالمسألة الأولى من ثمانية، والمسألة الثانية من (١٢). وبين سهام الهالكة وهي أربعة، وبين ما صحت منه الفريضة الثانية وهو

١	٣
٢٤	٨
١٢	١
٥	٢
٠	٤
٩	٣
٣	٣
٧	٧

(١٢) توافق بالربع، فيوضع وفق السهام وهو واحد فوق الفريضة الثانية، ويوضع وفق الفريضة الثانية وهو ثلاثة فوق الفريضة الأولى، ويجري العمل كما تقدم، وهذه صورة ذلك:

وإن اختلفت السهام مع الفريضة الثانية أخذت كل السهام ووضعتها فوق الفريضة الثانية، وأخذت الفريضة الثانية ووضعتها فوق الفريضة الأولى،

١	٧
٥٦	٨
٧	١
١٦	٢
١٦	٢
١٦	٢
٠٨	١

وضربتها فيها والحاصل تضعه جامعة مناسخة بعد جامعة الفريضة الثانية، وتجرى العمل كما تقدم سواء بسواء. مثاله: هالك عن زوجة وثلاثة أبناء وبن، ثم ماتت الزوجة عن أبنائها الثلاثة وبناتها:

والملاحظ هنا:

١ - أن الهالككة لم تخلف وارثاً جديداً فيوَضَّعُ في جدولٍ تحت الأول.

٢ - أن العمل جرى كما تقدّم سواء بسواء.

المادة الحادية عشرة: في الخنثى المشكل:

١ - الخنثى المشكل:

المراد بالخنثى المشكل، هو المولود الذي لم تتبين ذكوره، ولا أنوثته حال ولادته، فينتظر به البلوغ ليكشف عن حاله فإذا أريد قسمة التركة فإن الطريقة التي عليها بعض أهل العلم هي أنه يعطى نصف حظ ذكر، ونصف حظ أنثى.

وطريقة العمل هي أن تصحح له فريضة على أنه ذكر، وأخرى على أنه أنثى، هذا إذا كان الخنثى واحداً، أما إذا كان إثنين فالفرائض أربعة.

وبعد التصحيح تنظر بين الفرائض بالأنظار الأربعة حتى تصيرها عدداً واحداً، ثم تضرب نتيجة النظر في عدد الأحوال، والحاصل هو ما تصح منه الفريضة فتجعله في جامعة بعد جامعة الفريضة، ثم تقسمه على كل فريضة والخارج تجعله فوقها. ثم تضرب ما بيد كل وارث من كل فريضة فيما فوقها وحاصل الضرب تجمعه والنتيجة تقسمه على عدد الأحوال، والخارج تضعه قبالة الوارث تحت الجامعة الكبرى. ثم تجمعه ما بيد كل وارث، فإن ساءى عدده عدد الجامعة فالعمل صحيح، وإلا ففايد.

مثال ذلك:

هالك عن ابن وخنثى هكذا:

ما يلاحظ في هذه المسألة:

١ - أننا جعلنا له فريضتين، الأولى باعتبار ذكره، والثانية باعتباره أنثى.

٢ - أننا نظرنا بين الفريضتين فوجدنا بينهما تخالفاً، فصرنا كامل إحداهما في

٤	٦	
١٢	٣	٢
٠٧	٢	١
٠٥	١	١

ابن
خنثى

كاملِ الثانيةِ فحصلَ ستةً، فضربناه في عددِ الأحوالِ، وهو اثنانِ فحصلَ اثني عشرَ، فجعلناه جامعةً تصحيحٍ.

٣ - أننا قسّمنا عددَ جامعةِ التصحيحِ وهو اثنانِ عشرَ على كلِّ فريضةٍ، فخرجَ في الأولى ستةً، فوضعناه فوقها، وخرجَ في الثانيةِ أربعةً، فوضعناه فوقها.

٤ - أننا ضربنا ما بيدِ كلِّ وارثٍ في الفريضتينِ فيما فوقهما فحصلَ للخنثى عشرةً فقسّمناه على عددِ الأحوالِ وهو اثنانِ، فخرجَ خمسةً فوضعناه قبالةً تحتَ جامعةِ التصحيحِ وهو نصيبُهُ، وحصلَ لابنِ أربعةٍ عشرةً، فقسّمناها على عددِ الأحوالِ فخرجَ سبعةً، فوضعناها قبالةً تحتَ جامعةِ التصحيحِ، وهو نصيبُهُ المطلوبُ.

٣٠	٥	٣	
١١	٢	١	ابن
١١	٢	١	ابن
٠٨	١	١	خنثى

مثال آخر، هالك عن ابنتين وخنثى هكذا:

والملاحظُ أن العملَ لا يختلفُ عن الطريقةِ السابقة. هذا وهناك طريقةٌ أخرى لبعضِ أهلِ العلمِ وهي أن يُعطى أقلُّ النصيبينِ لكلِّ من الورثةِ الذين يتأثرون بأنوبةِ الخنثى، أو ذكوريته، ويُوقفُ الباقي إلى أن يتضحَ حالُ المشكلِ أو يصطلحوا على قسمتهِ.

وطريقةُ العملِ هي أن يُقدَّرَ الخنثى أنثى في حقِّ نفسه ليكونَ له الأثلُ المتيقنُ، ويُقدَّرَ ذكراً في حقِّ غيره ليكونَ لغيره الأقلُّ المتيقنُ كذلك، ويُوقفُ الباقي، ففي مسألةِ هالك عن ذكرٍ وخنثى، تُجعلُ له فريضتانِ يُقدَّرُ في الأولى ذكوريتهُ فيكونُ مقامُ المسألةِ من اثنتين، ويُقدَّرُ في الثانيةِ أنثى فيكونُ مقامُ المسألةِ من ثلاثةٍ، ثم يُنظرُ بينَ المقامينِ فيوجدُ تخالفٌ فيضربُ أحدُ المقامينِ في الثاني فيحصلُ ستةً، فيجعلُ جامعةً التصحيحِ، ثم يُجمعُ ما بيدِ كلِّ منهما في كلِّ الفريضتينِ، ويُوضعُ قبالةً تحتَ جامعةِ التصحيحِ فيكونُ نصيبُ الذكرِ ثلاثةً، ونصيبُ الخنثى اثنانِ، ويبقى واحدٌ

٦	٣	٢
٣	٢	١
٢	١	١

ابن

خنتى

فيُوقَفُ إِلَى أَنْ يَتَّضِحَ شَكَالُ الْخَنْتَى، فَإِنْ ظَهَرَ ذَكَرًا أُعْطِيَ،
وإِنْ ظَهَرَ أُنْثَى أُعْطِيَ الذَّكَرُ وَإِنْ بَقِيَ الْإِشْكَالُ اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ
بِتَرَاضٍ بَيْنَهُمْ.

مِثَالُهُ هَكَذَا:

المَلَاخِظُ أَنَّهُ بَقِيَ وَاحِدٌ بِذَلِيلٍ أَنَّ مَقَامَ جَامِعَةِ التَّضْجِيحِ سِتَّةٌ، وَمَجْمُوعُ
الْأَعْدَادِ تَحْتَهُ خَمْسَةٌ، وَهَذَا الْوَاحِدُ الْبَاقِي هُوَ الَّذِي يُوقَفُ إِلَى اتِّضَاحِ الْحَالِ.

المَادَّةُ الثَّانِيَةُ عَشْرَةَ: فِي إِرْثِ الْحَمْلِ وَالْمَفْقُودِ وَالْغَرَقَى وَمَنْ إِلَيْهِمْ:

١ - الْحَمْلُ:

أَمَّا الْحَمْلُ فَإِنْ شَاءَ الْوَرِثَةُ تَرَكُوا التَّرَكَّةَ بِلَا قِسْمَةٍ إِلَى أَنْ يُوضَعَ الْحَمْلُ، ثُمَّ
تَجْرِي الْقِسْمَةُ بَعْدَ ذَلِكَ. وَإِنْ شَاؤُوا اسْتَعْجَلُوا الْقِسْمَةَ، غَيْرَ أَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يُجْرُوا عَلَى
أَسَاسِ طَرِيقَةِ الْخَنْتَى الْأَخِيرَةِ، بَحِثْ يُعْطَى الْوَرِثَةُ الَّذِينَ يَتَضَرَّرُونَ بِوُجُودِ الْحَمْلِ
وَبَذَكَورَتِهِ، أَوْ أُنُوثَتِهِ الْأَقْلَ الْمَتَيِّقْنَ، وَيُوقَفُ الْبَاقِي إِلَى أَنْ يُوضَعَ الْحَمْلُ. مِثَالُهُ:
هَالِكٌ عَنْ زَوْجَةٍ حَامِلٍ فَإِنَّهَا تَرِثُ بِوُجُودِ الْحَمْلِ وَانْفِصَالِهِ حَيًّا الثَّمَنَ، وَتَرِثُ مَعَ عَدَمِ
الْحَمْلِ أَوْ بَانْفِصَالِهِ مَيِّتًا الرَّبْعَ، فَتُعْطَى إِذَا الثَّمَنُ لِأَنَّهُ الْمَتَيِّقُ، وَيُوقَفُ الْبَاقِي إِلَى
وَضْعِ الْحَمْلِ فَإِنْ وُضِعَ حَيًّا لَمْ يَكُنْ لَهَا شَيْءٌ، وَإِنْ وُضِعَ مَيِّتًا كُيِّلَ لَهَا الرَّبْعُ الَّذِي
هُوَ فَرَضُهَا مَعَ عَدَمِ الْوَلَدِ.

٢ - الْمَفْقُودُ:

وَأَمَّا الْمَفْقُودُ فَإِنَّهُ إِنْ مَاتَ أَحَدُ الْوَرِثَةِ، وَأَرَادَ الْبَاقُونَ قِسْمَةَ التَّرَكَّةِ قَبْلَ تَحْقِيقِ
مَوْتِ الْمَفْقُودِ أَوْ الْحُكْمِ بِمَوْتِهِ، فَإِنَّهُمْ يَعَامِلُونَ مَعَامَلَةَ الْوَرِثَةِ مَعَ الْحَمْلِ بَحِثْ
يُعْطُونَ الْأَقْلَ الْمَتَيِّقْنَ، وَيُوقَفُ الْبَاقِي إِلَى الْحُكْمِ بِمَوْتِ الْمَفْقُودِ أَوْ حَيَاتِهِ، مِثَالُهُ:
هَالِكٌ عَنْ ابْنَيْنِ أَحَدُهُمَا مَفْقُودٌ، فَإِنَّ الْإِبْنَ الْمَوْجُودَ يُعْطَى النِّصْفَ لِأَنَّهُ الْمَتَيِّقُ وَيُوقَفُ
الْبَاقِي إِلَى تَحْقِيقِ مَوْتِ الْمَفْقُودِ أَوْ حَيَاتِهِ.

وَمَثَالٌ آخَرُ: هَالِكٌ عَنْ زَوْجَةٍ وَأُمٍّ وَأَخَوَيْنِ أَحَدُهُمَا مَفْقُودٌ، فَإِنْ الزَّوْجَةُ تُعْطَى رُبْعَهَا كَامِلًا إِذَا لَا يَضُرُّهَا وَجُودُ الْمَفْقُودِ وَلَا عَدَمُهُ، وَأَمَّا الْأُمُّ فَانْهَاطُهَا تُعْطَى السُّدُسُ لِأَنَّهُ الْمَتَّقِنُ، وَأَمَّا الْأَخُ فَانْهَاطُهَا يُعْطَى نِصْفُ الْبَاقِي لِأَنَّهُ الْمَتَّقِنُ،

	٢	١		
٢٤	١٢	٢٤	١٢	
٦	٣	٦	٣	زوجة
٤	٤	٤	٢	ام
٧	٥	٧	٧	اخ
٠	٠	٧		اخ

وَيُوقَفُ الْبَاقِي، فَإِنْ تَبَيَّنَتْ حَيَاةُ الْمَفْقُودِ فَإِنَّ الْبَاقِي نَصِيبُهُ فَيَأْخُذُهُ كَامِلًا، وَإِنْ ظَهَرَ مَوْتُهُ كُيِّمَ مِنَ الْبَاقِي لِلْأُمِّ الثُّلُثُ، وَمَا بَقِيَ فَلِلْأَخِ، فَالْمَسْأَلَةُ مِنْ اثْنِي عَشَرَ، وَتَصِحُّ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعَشْرِينَ وَصُورَتُهَا كَالْتَّالِي:

وَالْمَلَاخَظُ هُنَا:

٢

١ - أَنَّنَا جَعَلْنَا فَرِيضَتَيْنِ أُولَاهُمَا بِاعْتِبَارِ الْمَفْقُودِ حَيًّا وَصَحَّتْ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعَشْرِينَ لِانْكَسَارِ خَيْرِ الْأَخَوَيْنِ عَلَيْهِمَا. وَالثَّانِيَةُ بِاعْتِبَارِهِ مَيِّتًا وَصَحَّتْ مِنْ اثْنِي عَشَرَ.

٢ - أَنَّنَا نَظَرْنَا بَيْنَ مَقَامِي الْفَرِيضَتَيْنِ فَوَجَدْنَا تَوَافُقًا بِنِصْفِ السُّدُسِ. فَوَضَعْنَاهُ وَفَقَ الْفَرِيضَةُ الْأُولَى وَهُوَ اثْنَانِ فَوْقَ الْفَرِيضَةِ الثَّانِيَةِ وَفَقَ الْفَرِيضَةُ الثَّانِيَةُ وَهُوَ وَاحِدٌ فَوْقَ الْفَرِيضَةِ الْأُولَى، وَضَرَبْنَا فِيهِ مَقَامَ الْفَرِيضَةِ فَخَرَجَ أَرْبَعَةٌ وَعَشْرُونَ فَوَضَعْنَاهَا فِي جَامِعَةٍ خَيْرَةٍ فَكَانَتْ جَامِعَةُ التَّصْحِيحِ.

٣ - أَنَّنَا بَنَاءً عَلَى إِعْطَاءِ الْوَرِثَةِ الْمَتَضَرِّينَ بِحَيَاةِ الْمَفْقُودِ الْأَقْلَ الْمَتَّقِنَ، فَإِنَّا ضَرَبْنَا مَا بِيَدِ الزَّوْجَةِ ٦ فِيمَا فَوْقَ الْفَرِيضَةِ الْأُولَى فَحَصَلَ سِتَّةٌ فَوَضَعْنَاهَا قِبَالَتِهَا تَحْتَ جَامِعَةِ التَّصْحِيحِ وَضَرَبْنَا مَا بِيَدِ الْأُمِّ وَهُوَ أَرْبَعَةٌ فِيمَا ضَرَبْنَا فِيهِ مَا بِيَدِ الزَّوْجَةِ فَحَصَلَ أَرْبَعَةٌ، فَوَضَعْنَاهُ قِبَالَتِهَا تَحْتَ جَامِعَةِ التَّصْحِيحِ. وَضَرَبْنَا مَا بِيَدِ الْأَخِ الْمَوْجُودِ وَهُوَ ٧ فِيمَا ضَرَبْنَاهُ فِيهِ سَابِقًا فَحَصَلَ لَهُ سَبْعَةٌ، فَوَضَعْنَاهَا قِبَالَتَهُ تَحْتَ جَامِعَةِ التَّصْحِيحِ.

٤ - مَجْمُوعُ السَّهَامِ تَحْتَ الْجَامِعَةِ ١٧ سَهْمًا مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعَشْرِينَ، فَالْبَاقِي إِذَا

(٧) فَتَوَقَّفَ إِلَى الْحُكْمِ بِحَيَاةِ الْمَفْقُودِ أَوْ مَوْتِهِ، فَإِنْ حُكِمَ بِحَيَاتِهِ أَخَذَهَا كَامِلَةً وَهِيَ نَصِيْبُهُ، وَإِنْ حُكِمَ بِمَوْتِهِ كَمَلَ مِنْهَا ثُلُثُ الْأَمْرِ فَيَصِيرُ ثَمَانِيَّةً، وَالْبَاقِي يُضَافُ إِلَى الْآخَرِ فَيَصِيرُ نَصِيْبُهُ أَحَدَ عَشَرَ. وَهَذَا هُوَ الْمَطْلُوبُ.

٣ - الْغَرَقَى :

وَأَمَّا الْغَرَقَى وَمَنْ إِلَيْهِمْ كَالْهَذَمَى وَالْمَحْرُوقِينَ فَالْحُكْمُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ لَا يَتَوَارَثُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَيَرِثُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَرَثَتَهُ مِنْ غَيْرِ هَلَكَى الْحَادِثِ مِثَالُ ذَلِكَ :
أَنْ يَهْلِكَ أَخَوَانِ فِي حَادِثٍ وَلَمْ يُعْلَمْ أَيُّهُمَا مَاتَ أَوَّلًا، وَخَلَفَ أَحَدُهُمَا زَوْجَةً وَبَنَاتًا وَعَمًّا لَهُ، وَتَرَكَ الثَّانِي بَنَتَيْنِ وَالْعَمَّ الْمَذْكُورَ فَإِنَّ الْحُكْمَ أَنْ يَرِثَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَرَثَتَهُ فَقَطْ. فَيَرِثُ الْأَوَّلُ زَوْجَتَهُ وَلَهَا الثُّمْنُ وَبَنَتُهُ وَلَهَا النِّصْفُ وَالْبَاقِي لِلْعَمِّ، وَيَرِثُ الثَّانِي بَنَاتَهُ وَلَهُمَا الثَّلَاثَانِ وَالْبَاقِي وَهُوَ الثُّلُثُ فَلِلْعَمِّ.

الفصل السابع

في اليمين والنذر

وفيه مادتان:

المادة الأولى: في اليمين:

- تعريفها: اليمين، هي الحلف بأسماء الله تعالى، أو صفاته نحو: والله لأفعلن كذا. أو: والذي نفسي بيده، أو ومقلب القلوب.

٢ - مَا يَجُوزُ مِنْهَا وَمَا لَا يَجُوزُ: يجوز الحلف بأسماء الله تعالى، إِذْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْلِفُ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَيَحْلِفُ بِقَوْلِهِ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ». وحلف جبريل عليه السلام بعزة الله تعالى فقال: «وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها»^(١).

وَلَا يَجُوزُ الْحَلْفُ بِغَيْرِ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، سِوَاءَ كَانَ الْمُحْلُوفُ بِهِ مُعْظَمًا شَرْعًا كَالْكَعْبَةِ الْمَشْرُوقَةِ - حَمَاهَا اللَّهُ - وَالنَّبِيِّ ﷺ، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصُمْتُ»^(٢). وقوله ﷺ: «لَا تَحْلِفُوا إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا تَحْلِفُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ صَادِقُونَ»^(٣). وقوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»^(٤). وقوله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ»^(٥).

(١) من حديث: «حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات». الذي رواه الترمذي وصححه.

(٢) متفق عليه.

(٣) أبو داود والنسائي.

(٤) رواه أحمد.

(٥) أبو داود والحاكم.

٣ - أَفْسَأُهَا: الْيَمِينُ، ثَلَاثَةُ أَفْسَامٍ، وَهِيَ:

الْغُمُوسُ، وَهِيَ أَنْ يَحْلِفَ الْمَرْءُ مُتَعَمِّدًا الْكَذِبَ، كَأَنْ يَقُولَ: وَاللَّهِ لَقَدْ اشْتَرَيْتُ كَذَا بِخَمْسِينَ مِثْلًا، وَهُوَ لَمْ يَشْتَرِ بِهَا، أَوْ يَقُولَ: وَاللَّهِ لَقَدْ فَعَلْتُ كَذَا، وَهُوَ لَمْ يَفْعَلْ. وَسُمِّيَتْ هَذِهِ الْيَمِينُ بِالْغُمُوسِ لِأَنَّهَا تَغْمِسُ صَاحِبَهَا بِالْإِثْمِ، وَهَذِهِ الْيَمِينُ هِيَ الْمَعْنِيَةُ بِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانُ»^(١).

وَحُكْمُ يَمِينِ الْغُمُوسِ أَنَّهَا لَا تُجْزَى فِيهَا الْكَفَّارَةُ، وَإِنَّمَا يَجِبُ فِيهَا التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ^(٢). وَذَلِكَ لِعَظَمِ ذَنْبِهَا، وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى أَخْذِ حَقِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِالْبَاطِلِ.

٢ - لَغْوُ الْيَمِينِ: وَهِيَ مَا يَجْرِي عَلَى لِسَانِ الْمُسْلِمِ مِنَ الْحَلِفِ بِدُونِ قَصْدٍ، كَمَنْ يُكْثِرُ فِي كَلَامِهِ قَوْلَ: لَا وَاللَّهِ، وَبَلَى وَاللَّهِ، لِقَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا: «الَّلَّغُو فِي الْيَمِينِ كَلَامُ الرَّجُلِ فِي بَيْتِهِ لَا وَاللَّهِ»^(٣). وَمِنْهَا أَنْ يَحْلِفَ الْمُسْلِمُ عَلَى الشَّيْءِ يَظُنُّهُ كَذًا فَيَتَّبِعُ عَلَى خِلَافِ مَا كَانَ يَظُنُّ.

وَحُكْمُ هَذِهِ الْيَمِينِ أَنَّهَا إِثْمٌ فِيهَا وَلَا كَفَّارَةُ تَجِبُ عَلَى قَائِلِهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ، وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ﴾^(٤).

٣ - الْيَمِينُ الْمَنْعِقَةُ: وَهِيَ الَّتِي يُقْصَدُ عَقْدُهَا عَلَى أَمْرِ مُسْتَقْبَلٍ كَأَنْ يَقُولَ الْمُسْلِمُ: وَاللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ كَذَا. أَوْ وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ كَذَا. فَهَذِهِ هِيَ الْيَمِينُ الَّتِي يُؤَاخِذُ فِيهَا الْحَاثِثُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ﴾.

وَحُكْمُهَا: أَنَّ مَنْ حَنَثَ فِيهَا أَثِمَ. وَوَجِبَتْ عَلَيْهِ كَفَّارَةُ ذَلِكَ، فَإِنْ فَعَلَهَا سَقَطَ الْإِثْمُ عَنْهُ وَزَالَ.

(١) متفق عليه.

(٢) خلافاً للشافعي رحمه الله تعالى فإنه يرى وجوب الكفارة في اليمين الغموس.

(٣) البخاري.

(٤) المائدة.

٤ - ما تَسْقُطُ بِهِ الْكُفَارَةُ: تَسْقُطُ الْكُفَارَةُ وَالْإِثْمُ عَلَى حَالِفِ الْيَمِينِ بِأَمْرَيْنِ :

١ - أَنْ يَفْعَلَ الْمُحْلُوفَ عَلَى تَرْكِهِ، أَوْ يَتْرَكَ الْمُحْلُوفَ عَلَى فِعْلِهِ، أَوْ يَفْعَلَ مَا حَلَفَ عَلَى تَرْكِهِ، أَوْ يَتْرَكَ مَا حَلَفَ عَلَى فِعْلِهِ، وَلَكِنْ نَاسِيًا أَوْ مُخْطِئًا أَوْ مُكْرَهًا لِقَوْلِهِ ﷺ «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»^(١).

٢ - أَنْ يَسْتَشْنِيَ حَالَ حَلِيفِهِ بِأَنْ يَقُولَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، أَوْ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، إِذَا كَانَ الْاسْتِثْنَاءُ بِالْمَجْلِسِ الَّذِي حَلَفَ فِيهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَحْنُثْ»^(٢). وَإِذَا لَمْ يَحْنُثْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَلَا كُفَارَةً.

٥ - اسْتِحْبَابُ الْحَنْثِ فِي أُمُورِ الْخَيْرِ: يُسْتَحَبُّ لِلْمُسْلِمِ إِذَا حَلَفَ عَلَى تَرْكِ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الْخَيْرِ أَنْ يَأْتِيَ مَا حَلَفَ عَلَى تَرْكِهِ، وَيُكْفِّرَ عَنْ يَمِينِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾^(٣). وَقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكُفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ»^(٤).

٦ - وَجُوبُ إِبْرَارِ الْقَسَمِ: إِذَا حَلَفَ الْمُسْلِمُ عَلَى أُخِيهِ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُبْرِئَ قَسَمَهُ، وَأَنْ لَا يَتْرُكُهُ يَحْنُثُ إِذَا كَانَ فِي إِمْكَانِهِ فِعْلُ أَوْ تَرْكُ مَا حَلَفَ لَهُ عَلَيْهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ لِلْمَرْأَةِ الَّتِي أَهْدَى إِلَيْهَا تَمْرًا فَأَكَلَتْ بَعْضَهُ وَتَرَكَتْ بَعْضًا فَحَلَفَتْ لَهَا الْمُهْدِيَةُ أَنْ تَأْكُلَ بَاقِيَهُ، فَاْمْتَنَعَتْ، فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَبْرِئِهَا فَإِنَّ الْإِثْمَ عَلَى الْمُحْنِثِ»^(٥).

٧ - الْحَلِفُ بِحَسَبِ نِيَّةِ الْحَالِفِ: (٦) الْعِبْرَةُ فِي الْحَنْثِ وَعَدَمِهِ بَنِيَّةِ الْحَالِفِ، إِذَا

(١) تقدم.

(٢) أصحاب السنن إلا أبا داود وفيه ضعف والجمهور على العمل به لما يشهد له من رواية أبي داود عن ابن عمر مرفوعاً: «من حلف على يمين فقال: إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَقَدْ اسْتَشْنَى».

(٣) البقرة.

(٤) مسلم.

(٥) أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٦) هذا في غير الدعاوي، أما في الدعاوي فهي بحسب نية المستحلف، له وله ﷺ: في رواية مسلم «اليمين على نية المستحلف». وقوله ﷺ: «يمينك على ما يصدقك به صاحبك»، فلو ادعى شخص على آخر دابة ولا بينة له فحلف المدعى عليه وقال: والله ما عندي أو ما هي دابته وهو ناف ما عنده شيء آخر فإن النية لا تنفعه وهو حاث كاذب.

الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مَّا نَوَى ، فَمَنْ حَلَفَ أَنْ لَا يَنَامَ عَلَى الْأَرْضِ وَهُوَ يَعْنِي الْفِرَاشَ فَهُوَ بِحَسَبِ نِيَّتِهِ ، فَلَا يَحْنُثُ إِذَا لَمْ يَنَمْ عَلَى الْفِرَاشِ وَمَنْ حَلَفَ أَنْ لَا يَلْبَسَ هَذَا الْكَتَّانَ ثَوْبًا فَلَيْسَ سِرْوَالًا لَا يَحْنُثُ إِنْ نَوَى كَوْنَهُ ثَوْبًا فَقَطْ ، وَإِلَّا فَإِنَّهُ يَحْنُثُ .

٨ - كَفَّارَةُ الْيَمِينِ ، كَفَّارَةُ الْيَمِينِ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ :

١ - إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ بِإِعْطَائِهِمْ مَدًّا مِنْ بُرٍّ لِكُلِّ مِسْكِينٍ ، أَوْ جَمْعِهِمْ عَلَى طَعَامٍ غَدَاءٍ أَوْ عِشَاءٍ يَأْكُلُونَ حَتَّى يَشْبَعُوا ، أَوْ إِعْطَاءُ كُلِّ وَاحِدٍ رَغِيْفًا مَعَ بَعْضِ الْإِذَامِ .

٢ - كَسْوَتُهُمْ ثَوْبًا يُجْزَى فِي الصَّلَاةِ ، وَإِنْ أُعْطِيَ أَنْتَى أَعْطَاهَا دِرْعًا وَخِمَارًا .
لأنَّه أَقْلُ مَا يُجْزَى فِي الصَّلَاةِ .

٣ - تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤَمَّنَةٍ .

٤ - صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مُتَتَابِعَةٍ إِنْ اسْتَطَاعَ وَإِلَّا صَامَهَا مَتَفَرِّقَةً .

وَلَا يَنْتَقِلُ إِلَى الصَّوْمِ إِلَّا بَعْدَ الْعِزْرِ عَنِ الْإِطْعَامِ أَوْ الْكِسْوَةِ ، أَوْ التَّحْرِيرِ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ (١) .

المادة الثانية : فِي النَّذْرِ :

١ - تَعْرِيفُهُ : النَّذْرُ الْإِزَامُ الْمُسْلِمِ نَفْسَهُ طَاعَةً لِلَّهِ تَلَزَمُهُ بِدُونِهِ - أَيِ النَّذْرِ - كَأَنْ يَقُولَ : لِلَّهِ عَلَيَّ صِيَامُ يَوْمٍ ، أَوْ صَلَاةُ رَكَعَتَيْنِ مَثَلًا .

٢ - حُكْمُهُ ، حُكْمُ النَّذْرِ مَا يَلِي :

يُبَاحُ النَّذْرُ الْمَطْلُوقُ الَّذِي يُرَادُّ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ تَعَالَى كَنَذْرِ صِيَامٍ أَوْ صَلَاةٍ أَوْ صَدَقَةٍ وَيَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ .

وَيُكْرَهُ النَّذْرُ الْمُقَيَّدُ كَأَنْ يَقُولَ : إِنْ شَفَى اللَّهُ مَرِيضِي صُمْتُ كَذَا أَوْ تَصَدَّقْتُ

(١) المائدة .

بِكَذَا، لِقَوْلِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ النَّذْرِ وَقَالَ: إِنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنْ مَالِ الْبَخِيلِ»^(١).

وَيَحْرُمُ إِذَا كَانَ لغير وجهِ اللَّهِ تعالى كالنذرِ لِقُبُورِ الْأَوْلِيَاءِ أو أَرْوَاحِ الصَّالِحِينَ كَأَنْ يَقُولَ: يَا سَيِّدِي فَلَانَ إِنْ شَفَى اللَّهُ مَرِيضِي ذَبَحْتُ عَلَى قَبْرِكَ كَذَا أو تَصَدَّقْتُ عَلَيْكَ بِكَذَا، إِذْ هَذَا مِنْ صَرْفِ الْعِبَادَةِ لغيرِ اللَّهِ تعالى، وَذَلِكَ الشُّرْكُ الَّذِي حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾^(٢).

٣ - أَنْوَاعُهُ: لِلنَّذْرِ أَنْوَاعٌ، وَهِيَ:

١ - النَّذْرُ الْمَطْلُوقُ، وَهُوَ الْخَارِجُ مَخْرَجَ الْخَبَرِ نَحْوُ قَوْلِ الْمُسْلِمِ: لِلَّهِ عَلَيَّ صَوْمٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أو إطعامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مثلاً، يُرِيدُ بِذَلِكَ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَحُكْمُ هَذَا النَّوعِ مِنَ النَّذْرِ وَجُوبُ الْوَفَاءِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾^(٣). وَقَوْلِهِ سَبْحَانَهُ: ﴿وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ﴾^(٤).

٢ - النَّذْرُ الْمَطْلُوقُ غَيْرُ الْمَعِينِ، كَقَوْلِ الْمُسْلِمِ لِلَّهِ عَلَيَّ نَذْرٌ وَلَمْ يَذْكُرِ النَّذْرَ.

وَحُكْمُهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ فِي الْوَفَاءِ بِهِ كَفَّارَةُ يَمِينٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «كَفَّارَةُ النَّذْرِ إِذَا لَمْ يُسَمِّهِ كَفَّارَةَ يَمِينٍ»^(٥). وَقِيلَ يُجْزِئُهُ فِيهِ أَقْلُ مَا يُسَمَّى نَذْرًا كَصَلَاةٍ رَكَعَتَيْنِ أو صِيَامٍ يَوْمٍ.

٣ - النَّذْرُ الْمُقَيَّدُ بِفِعْلِ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ الْخَارِجُ مَخْرَجَ الشَّرْطِ كَقَوْلِ الْمُسْلِمِ: أَنْ شَفَى اللَّهُ مَرِيضِي أَوْ رَدَّ غَائِبِي أَطَعْتُ كَذَا مَسْكِينًا، أو صُمْتُ كَذَا يَوْمًا.

وَحُكْمُهُ مَعَ أَنَّهُ مَكْرُوهٌ يَجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ، فَإِذَا مَا قَضَى اللَّهُ حَاجَتَهُ وَجَبَ عَلَيْهِ فِعْلُ مَا سَمَّاهُ مِنَ الْعِبَادَةِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ». وَإِنْ لَمْ يَقْضِ اللَّهُ حَاجَتَهُ فَلَا وَفَاءَ عَلَيْهِ.

(٥) مسلم.

(٦) البخاري.

(٣) النحل.

(٤) الحج.

(١) متفق عليه.

(٢) النساء.

٣ - النَّذْرُ الْمُقَيَّدُ بِفِعْلِ الْمَخْلُوقِ وَهُوَ نَذْرُ اللَّجَاجِ كَقَوْلِهِ: أَصُومُ شَهْرًا إِنْ فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، أَوْ وَقَعَ كَذَا وَكَذَا، أَوْ أَخْرِجُ مِنْ مَالِي كَذَا إِنْ فَعَلْتُ كَذَا.

وَحُكْمُهُ أَنَّهُ يَخْبِرُ بَيْنَ الْوَفَاءِ بِهِ وَكَفَّارَةِ يَمِينٍ إِذَا هُوَ حَيْثُ فِيمَا عَلَّقَ النَّذْرَ عَلَيْهِ لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا نَذْرَ فِي غَضَبٍ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ»^(١). إِذْ نَذْرُ اللَّجَاجِ غَالِبًا لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ غَضَبٍ، وَيُرَادُ بِهِ مَنَعُ الْمُخَاطَبِ مِنْ فِعْلِ شَيْءٍ، أَوْ تَرْكِهِ.

٥ - نَذْرُ الْمُعْصِيَةِ، وَهُوَ أَنْ يَنْذَرَ فِعْلَ مُحَرَّمٍ، أَوْ تَرْكَ وَاجِبٍ كَانَ يَنْذَرُ ضَرْبَ مُؤْمِنٍ، أَوْ تَرْكَ صَلَاةٍ مَثَلًا.

وَحُكْمُهُ أَنَّهُ يَحْرُمُ الْوَفَاءُ بِهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِيهِ»^(٢).. غَيْرَ أَنْ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ رَأَوْا أَنَّ عَلَى صَاحِبِهِ كَفَّارَةَ يَمِينٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا نَذْرَ فِي مُعْصِيَةٍ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ»^(٣).

٦ - نَذْرُ تَحْرِيمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ يَنْذَرُ تَحْرِيمَ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ مُبَاحَيْنِ وَحُكْمُهُ أَنَّهُ لَا يُحْرَمُ شَيْئًا مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ سِوَى الزَّوْجَةِ، فَمَنْ نَذَرَ تَحْرِيمَهَا وَجَبَ عَلَيْهِ كَفَّارَةُ ظَهَارٍ. وَمَا عَدَا الزَّوْجَةَ فَبِهِ كَفَّارَةُ يَمِينٍ.

[تَنْبِيهَانِ]:

● مَنْ نَذَرَ كُلَّ مَالِهِ يُجْزِئُهُ الثُّلُثُ مِنْهُ إِنْ كَانَ النَّذْرُ مُطْلَقًا، وَأَنْ كَانَ النَّذْرُ نَذْرَ لَجَاجٍ يَكْفِيهِ فِيهِ كَفَّارَةُ يَمِينٍ فَقَطْ.

● مَنْ نَذَرَ طَاعَةً وَمَاتَ قَامَ وَلِيُّهُ نِيَابَةً عَنْهُ. لَمَّا صَحَّ أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ لِابْنِ عُمَرَ إِنَّ أُمَّهَا نَذَرَتْ الصَّلَاةَ فِي مَسْجِدٍ قُبَاءٍ ثُمَّ مَاتَتْ فَأَمَرَهَا أَنْ تُصَلِّيَ عَنْهَا بِمَسْجِدٍ قُبَاءٍ.

(١) رواه سعيد في سننه.

(٢) أحمد والترمذي وابن ماجه وأبو داود والنسائي.

(٣) أبو داود بلفظ: «... ولا فما لا يملك ابن آدم» وسنده لا بأس به.

(٤) عبد الرزاق والنسائي بلفظ: لا نذر في معصية الله ولا فيما لا يملك.

الفصل الثامن

في الذَّكَاةِ، والصَّيْدِ، والطَّعَامِ، والشَّرَابِ

وفيه ثلاث مَوَادٍّ:

المَادَّةُ الْأُولَى: في الذَّكَاةِ:

١ - تعْرِيفُهَا: الذَّكَاةُ ذَبْحُ مَا يُذْبَحُ مِنَ الْحَيَوَانِ الْمَبَاحِ الْأَكْلِ، وَنَحْرُ مَا يُنْحَرُ مِنْهُ.

٢ - بَيَانُ مَا يُذْبَحُ وَمَا يُنْحَرُ: الْغَنَمُ مِنْ ضَائِنٍ وَمَعْزٍ، وَكَذَا سَائِرُ أَنْوَاعِ الطَّيْرِ مِنْ دَجَاجٍ وَغَيْرِهِ تُذْبَحُ وَلَا تُنْحَرُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ - أَيِ كَبْشٍ^(١).

وَالْبَقَرُ يُذْبَحُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنِ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾، وَيَجُوزُ نَحْرُهَا، إِذْ ثَبَتَ نَحْرُهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، لِأَنَّ لَهَا مَوْضِعَيْنِ لِتَذْكِيَّتِهَا، مَوْضِعَ ذَبْحٍ وَمَوْضِعَ نَحْرِ. وَأَمَّا الْإِبِلُ فَإِنَّهَا تُنْحَرُ وَلَا تُذْبَحُ، وَقَدْ نَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ الْإِبِلَ قَائِمَةً مَعْقُولَةً يَدِ الْيُسْرَى^(٢).

٣ - تَعْرِيفُ الذَّبْحِ وَالنَّحْرِ: الذَّبْحُ هُوَ قَطْعُ الْحَلْقُومِ وَالْمَرِيءِ وَالْوَدَجَيْنِ. وَالنَّحْرُ هُوَ طَعْنُ الْإِبِلِ فِي لَبَّتِهَا، وَاللَّبَّةُ مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ مِنَ الْعُنُقِ، وَهُوَ مَوْضِعُ تَصِلُ مِنْهُ آلَةُ الذَّبْحِ إِلَى الْقَلْبِ فَيَمُوتُ الْحَيَوَانُ بِسُرْعَةٍ.

كَيْفِيَّةُ الذَّبْحِ وَالنَّحْرِ: أَمَّا الذَّبْحُ فَهُوَ أَنْ تُطْرَحَ الشَّاةُ عَلَى جَنْبِهَا الْإِسْرَ مُسْتَقْبِلَةً

(٢) في الصحيحين.

(١) الصافات.

الْقُبْلَةَ بَعْدَ إِعْدَادِ آلَةِ الذَّبْحِ الْحَادَّةِ، ثُمَّ يَقُولُ الذَّابِحُ: بِسْمِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَكْبَرُ. وَيَجْهَرُ عَلَى الذَّبِيحَةِ فَيَقْطَعُ فِي فَوْرٍ وَاحِدٍ حُلُقُومَهَا وَمَرْتَهَا وَوَدَجِيَّهَا.

وَأَمَّا النُّحْرُ فَهُوَ أَنْ يَعْقِلَ الْبَعِيرَ مِنْ يَدِهِ الْيُسْرَى قَائِماً. ثُمَّ يَطْعَنُهُ نَاجِرَةً فِي لَبَتِهِ قَائِلاً: بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. وَيُوَاصِلُ حَرَكَةَ الطَّعْنِ حَتَّى تَزْهَقَ رُوحُهُ. لِقَوْلِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَقَدْ مَرَّ بِرَجُلٍ أَنَاخَ نَاقَتَهُ لِلذَّبْحِ: «أَبْعَثْهَا قِيَاماً مَقِيدَةً سُنَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ»^(١).

٥ - شُرُوطُ صَحَّةِ الذَّكَاءِ: يَشْتَرِطُ لَصَحَّةِ الذَّبْحِ مَا يَلِي:

١ - أَنْ تَكُونَ آلَةُ الذَّبْحِ حَادَّةً تُنْهَرُ الدَّمَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ، وَذُنْخَرُ عَلَيْهِ اسْمُ اللَّهِ فَكُلَّ لَيْسَ الْعِظَمُ وَالظُّفْرُ»^(٢).

٢ - التَّسْمِيَةُ بِأَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَوْ بِسْمِ اللَّهِ فَقَطْ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾^(٣). وَقَوْلِهِ ﷺ: «مَا أَنْهَرَ الدَّمَ، وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلُوا»^(٤).

٣ - قَطْعُ الْحُلُقُومِ تَحْتَ الْجَوْزَةِ مَعَ قِطْعِ الْمَرْيِ وَالْوَدَجَيْنِ فِي فَوْرٍ وَاحِدٍ.

٤ - أَهْلِيَّةُ الْمَذْكِيِّ بِأَنْ يَكُونَ مُسْلِماً عَاقِلاً بَالِغاً، أَوْ صَبِيّاً مُمَيَّزاً. وَلَا بَاسَ أَنْ يَكُونَ امْرَأَةً، أَوْ كِتَابِيّاً، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾^(٥). وَفُسِّرَ طَعَامُهُمْ بِذَبَائِحِهِمْ.

٦ - إِنْ تَعَذَّرَ ذَبْحُ أَوْ نُحْرُ الْحَيَوَانِ لَتَرْدِيهِ فِي بَيْتٍ، أَوْ لَشُرُودِهِ جَارَ تَذَكِّيَّتِهِ بِإِصَابَتِهِ فِي أَيْ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهِ بِمَا يُنْهَرُ دَمُهُ لِقَوْلِهِ ﷺ وَقَدْ نَذَّ بَعِيرٌ - أَيْ شَرَدَ - وَلَمْ يَكُنْ مَعَ الْقَوْمِ خَيْلٌ فَرَمَاهُ رَجُلٌ بِسَهْمٍ فَحَبَسَهُ: «إِنَّ لِهَذِهِ الْبَهَائِمِ أَوَابِدَ كَأَوَابِدِ الْوَحْشِ فَمَا نَعَلَ مِنْهَا هَذَا فافْعَلُوا بِهِ هَكَذَا»^(٦). فَقَاسَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَنْهُ كُلَّ مَا تَعَذَّرَتْ ذَكَاتُهُ مِنْ حَلْقِهِ أَوْ لَبَّتِيهِ.

(٥) المائدة.

(٣) الانعام.

(١) (٢) و(٤) و(٦) متفق عليه،

[تَنْبِيهَاتٌ:]

١ - ذَكَاةُ الْجَنِينِ ذَكَاةُ أُمِّهِ، وَيَحْسُنُ أَكْلُهُ إِذَا تَمَّ خَلْقُهُ وَنَبَتَ شَعْرُهُ. فَقَدْ سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «كُلُّهُ أَنْ شِئْتُمْ فَإِنْ ذَكَاتَهُ ذَكَاةُ أُمِّهِ»^(١).

تَرَكَ التَّسْمِيَةَ نِسْيَانًا لَا يَضُرُّ فِي الذَّكَاةِ لَعَدَمِ مُوَاخَذَةِ أُمِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالنِّسْيَانِ لِحَدِيثٍ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»^(٢). وَلِقَوْلِهِ ﷺ: «ذَبِيحَةُ الْمُسْلِمِ حَلَالٌ ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ، أَوْ لَمْ يُذَكَّرْ، إِنَّهُ إِنْ ذَكَرَ لَمْ يَذْكُرْ إِلَّا اسْمَ اللَّهِ»^(٣).

٣ - الْمَبَالِغَةُ فِي الذَّبْحِ حَتَّى قَطَعَ رَأْسَ الذَّبِيحَةِ إِسَاءَةً، وَتَوَكَّلَ الذَّبِيحَةُ مَعَهَا بِلَا كَرَاهَةٍ.

٤ - لَوْ خَالَفَ الْمَذْكِي فَنَحَرَ مَا يُذْبَحُ، أَوْ ذَبَحَ مَا يُنَحَرُ أَكَلَتْ مَعَ الْكَرَاهِيَةِ.

٥ - الْمَرِيضَةُ وَالْمَنْخِفَةُ، وَالْمَوْقُودَةُ، وَالْمُتَرَدِّدَةُ، وَالنَّطِيحَةُ، وَأَكِيلَةُ السَّبْعِ إِذَا أُدْرِكَتْ فِيهَا الْحَيَاةُ مُسْتَقَرَّةً بَحِثْ تَزْهَقْ رُوحَهَا بِفِعْلِ الذَّبْحِ لَا بِتَأْيِيرِ الْمَرَضِ وَذُكِّيَتْ جَازَ أَكْلُهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أَيِ ادْرَكْتُمْ فِيهَا الرُّوحَ وَأَزْهَقْتُمُوهُ بِوَاسِطَةِ التَّنْذِيكِ.

٦ - إِذَا رَفَعَ الذَّابِحُ يَدَهُ فَبَلَإِنْهَا الذَّبْحُ ثُمَّ أَعَادَهَا بَعْدَ فِتْرَةٍ طَوِيلَةٍ قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: لَا تَوَكَّلْ ذَبِيحَتَهُ إِلَّا إِذَا كَانَ قَدْ أَتَمَّ ذَكَاتَهَا فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى.

المَادَّةُ الثَّانِيَّةُ: فِي الصَّيْدِ:

١ - تَعْرِيفُهُ: الصَّيْدُ، مَا يُصَادُ مِنْ حَيَوَانٍ بَرِّيٍّ مُتَوَحِّشٍ أَوْ حَيَوَانٍ مَائِيٍّ مُلَازِمٍ لِلْبَحْرِ.

(١) أحمد وأبو داود وهو حسن.

(٢) الطبراني بسند صحيح.

(٣) أبو داود مرسلًا وهو صحيح ولا يتم الاستدلال بهذا الحديث على هذه المسألة إلا إذا كان الترك للتسمية نسيانًا.

حَكْمُهُ: يُبَاحُ الصَّيْدُ لَغَيْرِ الْمُحْرَمِ بِحَجٍّ أَوْ عَمْرَةٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾^(١). غَيْرَ أَنَّهُ يُكْرَهُ إِنْ كَانَ لِمَجَرَّدِ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ.

٣ - أَنْوَاعُهُ: الصَّيْدُ نَوَعَانِ: صَيْدُ بَحْرٍ، وَهُوَ كُلُّ مَا عَاشَ فِي الْبَحْرِ مِنْ سَمَكٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْبَحْرِيَّةِ.

وَحُكْمُهُ أَنَّهُ حَلَالٌ لِلْمُحْرَمِ وَغَيْرِ الْمُحْرَمِ، وَلَمْ يُكْرَهُ مِنْهُ سِوَى إِنْسَانٍ الْمَاءِ وَخَنْزِيرِ الْمَاءِ، لَعَلَّةَ مَشَارَكَتِهِمَا فِي التَّسْمِيَةِ لِلْإِنْسَانِ وَهُوَ مُحْرَمٌ الْأَكْلِ، وَالْخَنْزِيرُ وَهُوَ كَذَلِكَ.

وَصَيْدُ بَرٍّ، وَهُوَ أَجْنَاسٌ، فَيُبَاحُ مِنْهُ مَا أَبَاحَهُ الشَّرْعُ، وَيُمْنَعُ مِنْهُ مَا مَنَعَهُ.

٤ - ذَكَاةُ الصَّيْدِ: ذَكَاةُ صَيْدِ الْبَحْرِ مُجَرَّدُ مَوْتِهِ بِحَيْثُ لَا يُعَالَجُ أَكْلُهُ وَهُوَ حَيٌّ فَقَطْ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «أُحِلَّتْ لَنَا مِيتَتَانِ: الْحَوْتُ وَالْجَرَادُ»^(٢)، وَأَمَّا صَيْدُ الْبَرِّ فَإِنَّهُ إِذَا أُدْرِكَ حَيًّا وَجَبَ تَذْكِيَّتُهُ، وَلَا يَجُوزُ أَكْلُهُ بِدُونِ تَذْكِيَّتِهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «وَمَا صِدْتُ بِكَلْبِكَ غَيْرَ الْمَعْلَمِ وَأُدْرَكْتَ ذَكَاتُهُ فَكُلْ»^(٣). وَإِذَا أُدْرِكْتَهُ مَيِّتًا جَازَ أَكْلُهُ إِذَا تَوَفَّرَتْ فِيهِ الشَّرُوطُ التَّلَاقِيَّةُ:

١ - أَنْ يَكُونَ الصَّائِدُ مِمَّنْ تَجُوزُ تَذْكِيَّتُهُ كَكَوْنِهِ مُسْلِمًا عَاقِلًا مُمِيزًا.

٢ - أَنْ يُسَمِّيَ اللَّهَ تَعَالَى عِنْدَ الرَّمْيِ أَوْ إِرْسَالِ الْجَارِحِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَا صِدْتُ بِقَوْسِكَ فَذَكَرْتَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلْ. وَمَا صِدْتُ بِكَلْبِكَ غَيْرَ الْمَعْلَمِ فَأُدْرَكْتَ ذَكَاتُهُ فَكُلْ».

٣ - أَنْ تَكُونَ آلَةُ الصَّيْدِ - إِنْ كَانَتْ غَيْرَ جَارِحٍ - مُحَدَّدَةً تَخْرِقُ الْجِلْدَ، فَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ مُحَدَّدَةٍ كَالْعَصَا وَالْحَجَرِ فَلَا يَصِحُّ أَكْلُ مَا صِيدَ بِهَا لِأَنَّهُ كَالْمَوْقُودِ، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا أُدْرِكَ فِيهِ الرُّوحُ فَذَكِّي، وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا أَصَابَ

(١) المائدة.

(٢) متفق عليه.

(٣) في الصحيحين.

(٤) البيهقي والحاكم وهو صحيح.

بالعرضِ فلا تأكلُ فإنه وقيدٌ»^(١). وإن كانت جاريةً من كلب أو باز أو صقر، وجب أن يكون معلماً، لقوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾^(٢) وقوله ﷺ: «وَمَا صِدَّتْ بِكَلْبِكَ الْمَعْلَمَ فَأَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ثُمَّ كُلْ»^(٣).

[تنبيه]: علامة الجارية المعلم وخاصة الكلب: أن يُدعى فيجيب، وأن يُشلى فينشلي وأن يُزجر فيزدجر، واغتفر الانزجار في غير الكلب إذا كان غير مكن.

٤ - أن لا يسارك كلب الصيد غيره من الكلاب في إمساك الصيد، لأنه لا يُدري من الذي أمسكه، المذكور اسم الله عليه عند إرساله أم غيره؟ وذلك لقوله ﷺ: «فإن وجدت مع كلبك كلباً غيره وقد قُتل فلا تأكل فإنك لا تدري أيهما قتله»^(٤).

٥ - أن لا يأكل الكلب منه شيئاً، لقوله ﷺ: «إلا أن يأكل الكلب فلا تأكل فإنني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه»^(٥). والله يقول: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾.

[تنبيهات]:

١ - إذا غاب الصيد عن الصائد ثم وجدته وبه أثر سهم ولا أثر آخر معه جاز أكله، ما لم يَمْضِ عليه أكثر من ثلاث ليالٍ لقوله ﷺ في الذي يُدرك صيده بعد ثلاث: «كُلْ مَا لَمْ يَنْتُنْ»^(٦).

٢ - إذا صيد الحيوان ثم وقع في ماء فمات، لا يحل أكله لأنه قد يكون مات بسبب الماء لا بسبب الرمي.

٣ - إذا انفصل عضو من الصيد بفعل الجارية، فإن هذا العضو لا يحل أكله

(١) و(٢) في الصحيح.

(٣) المائدة.

(٤) و(٥) متفق عليه.

(٦) مسلم.

لأنه داخلٌ تحتَ قوله ﷺ: «وَمَا قُطِعَ مِنْ حَيٍّ فَهُوَ مَيْتٌ»^(١).

المادةُ الثالثةُ: في الطَّعامِ والشرابِ:

أ - الطَّعامُ:

١ - تعريفُهُ: المرادُ من الطَّعامِ كُلُّ مَا يُطْعَمُ مِنْ حَبٍّ وَتَمَرٍ وَلَحْمٍ.

٢ - حُكْمُهُ: الأصلُ في سائرِ الأطعمةِ الحَلَالَةِ، لِعُمومِ قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(٢). فَلَا يُحَرِّمُ مِنْهَا إِلَّا مَا أَخْرَجَهُ دَلِيلُ الْكِتَابِ أَوْ السُّنَّةِ، أَوْ الْقِيَاسِ الصَّحِيحِ، فَقَدْ حَرَّمَ الشَّارِعُ أَطْعَمَةً، لَأَنَّهُا مُضِرَّةٌ بِالْجِسْمِ أَوْ مُفْسِدَةٌ لِلْعَقْلِ، كَمَا حَرَّمَ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الْأَمَةِ الْمُسْلِمَةِ أَطْعَمَةً لِمَجَرَّدِ الْامْتِحَانِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَيُظْلَمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾^(٣).

٣ - أَنْوَاعُ الْمَحْظُورَاتِ:

أ - مَا حَظَرَ بِدَلِيلِ الْكِتَابِ وَهُوَ:

١ - طَعَامٌ غَيْرُهُ الَّذِي لَا يَمْلِكُهُ بَوَاحٍ مِنْ أَوْجِهِ الْمَلِكِ الَّتِي تُبْعَثُ لَهُ أَكَلُهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾^(٤). وَقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «فَلَا يَحْلُبَنَّ أَحَدٌ مَاشِيَةً أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِهِ»^(٥).

٢ - الْمَيْتَةُ، وَهِيَ مَا مَاتَ مِنَ الْحَيَوَانِ حَتَّى أَنْفِهِ، وَمِنْهَا الْمُنْخَنِقَةُ، وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمَتَرَدِّيَّةُ، وَالنَّطِيخَةُ، وَأَكِيلَةُ السُّعْرِ.

٣ - الدَّمُ الْمَسْفُوحُ وَهُوَ السَّائِلُ عِنْدَ التَّذْكِيَةِ، وَكَذَا دَمٌ غَيْرِ الْمَذْكِيَّاتِ مَسْفُوحًا كَانَ أَوْ غَيْرَ مَسْفُوحٍ قَلِيلًا أَوْ كَثِيرًا.

(١) أحمد والترمذي بلفظ: وما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة، وفي سنده مقال لكنه صالح للعمل به.

(٢) البقرة.

(٣) النساء.

(٤) البقرة.

(٥) متفق عليه.

٤ - لَحْمُ الْخَنْزِيرِ، وَكَذَا سَائِرُ أَجْزَائِهِ مِنْ دَمٍ وَشَحْمٍ وَغَيْرِهِمَا.

٥ - مَا أَهْلٌ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ وَهُوَ مَا ذُكِرَ عَلَيْهِ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى :

٦ - مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَهُوَ شَامِلٌ لِكُلِّ مَا ذُبِحَ عَلَى الْأَضْرِحَةِ وَالْقَبَابِ مِمَّا يُنْصَبُ أَمَارَةً وَرَمَزًا لِمَا يُعْبَدُ دُونَ اللَّهِ، أَوْ يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَيْهِ تَعَالَى وَدَلِيلُ هَذِهِ السِّتَةِ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿حَرَّمْتُ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ، وَالدَّمَ، وَلَحْمُ الْخَنْزِيرِ، وَمَا أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ، وَالْمَوْقُوذَةُ، وَالْمُتَرَدِّيةُ، وَالنَّطِيحَةُ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ، وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ﴾^(١). فَهِيَ مُحَرَّمَةٌ بِالْكِتَابِ الْعَزِيزِ.

ب - مَا حُظِرَ بِنَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مَا يَلِي :

١ - الْحُمْرُ الْأَهْلِيَّةُ؛ لِقَوْلِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ لُحُومِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ، وَأَذِنَ فِي لُحُومِ الْخَيْلِ»^(٢).

٢ - الْبَغَالُ قِيَاسًا لَهَا عَلَى الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ، فَهِيَ فِي حُكْمِ مَا نُهِيَ عَنْهُ. وَلِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبَغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا﴾^(٣). فَهُوَ دَلِيلُ خُطَابٍ يَقْضِي بِحُظْرِ أَكْلِهَا. وَإِنْ قِيلَ كَيْفَ أُبَيِّحَتِ الْخَيْلُ، وَالِدَلِيلُ فِي الْبَغَالِ وَالْخَيْلِ وَاحِدٌ؟ فَالْجَوَابُ أَنَّ الْخَيْلَ خَرَجَتْ بِالنَّصِّ الَّذِي هُوَ إِذْنُ الرَّسُولِ ﷺ فِي أَكْلِهَا كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ جَابِرِ الْمُتَقَدِّمِ.

٣ و ٤ - كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ كَالْأَسَدِ وَالنَّمْرِ وَالذَّبِّ وَالْفَهْدِ وَالْفِيلِ وَالذُّئْبِ وَالْكَلْبِ، وَابْنِ آوَى، وَابْنِ عَرَسٍ، وَالثَّعْلَبِ، وَالسَّنَجَابِ، وَغَيْرَهُمَا مِمَّا لَهُ نَابٌ يَفْتَرَسُ بِهِ. وَذِي مَخْلَبٍ مِنَ الطُّيُورِ كَالصُّقْرِ وَالْبَازِي وَالْعُقَابِ وَالشَّاهِينِ وَالْحُدَاةِ وَالْبَاشِقِ وَالْبَوْمَةِ وَغَيْرَهَا مِمَّا لَهُ مَخْلَبٌ يَصِيدُ بِهِ، لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ، وَعَنْ كُلِّ ذِي مَخْلَبٍ مِنَ الطُّيُورِ»^(٤).

(٣) النحل.

(١) المائدة.

(٤) مسلم.

(٢) متفق عليه.

٥ - الْجَلَّالَةُ، وَهِيَ مَا تَأْكُلُ النَجَاسَةَ وَتَكُونُ غَالِبَةً فِي عَيْشِهَا مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ، وَثَلَاثُهَا الدَّجَاجُ، لَمَّا رَوَى^(١) أَبُو دَاوُدَ عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ لُحُومِ الْجَلَّالَةِ وَالْبَانِيَا، فَلَا تُؤْكَلُ حَتَّى تُحْبَسَ عَنِ النَجَاسَةِ أَيَّاماً يَطِيبُ فِيهَا لَحْمُهَا، وَلَا يُشْرَبُ لَبْنُهَا إِلَّا بَعْدَ إِبْعَادِهَا عَنِ النَجَاسَةِ أَيَّاماً يَطِيبُ فِيهَا لَبْنُهَا.

ج - مَا يُحْظَرُ بِدَلِيلٍ مَنَعَ الضَّرَرَ، وَهُوَ مَا يَلِي:

- ١ - السُّمُومُ عَامَةً لِثُبُوتِ ضَرَرِهَا فِي الْأَجْسَامِ.
- ٢ - التَّرَابُ وَالطِّينُ وَالْحَجَرُ وَالْفَحْمُ، لِضَرَرِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا.
- ٣ - الْمُسْتَقْدَرَاتُ الَّتِي تَعَافُهَا النَّفْسُ وَتَنْقِضُ لَهَا كَالْحَشَرَاتِ وَغَيْرِهَا، إِذْ الْمُسْتَقْدَرُ يُسَبِّبُ الْمَرَضَ، وَيَجْرُ الْأَذَى لِلْبَدَنِ.

مَا حُظِرَ بِدَلِيلِ التَّنْزِهِ عَنِ النَجَاسَاتِ، وَهُوَ مَا يَلِي:

١ - كُلُّ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ خَالَطَتْهُ نَجَاسَةٌ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «فِي الْفَارَةِ تَقَعُ فِي السَّمَنِ إِنْ كَانَ جَامِداً فَأَلْقَوْهَا وَمَا حَوْلَهَا، وَكُلُّوا الْبَاقِيَّ، وَإِنْ كَانَ ذَائِباً فَلَا تَقْرُبُوهُ»^(٢).

٢ - كُلُّ نَجَسٍ بَطْنِيٍّ كَالْعَذِيرَةِ وَالرُّوثِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾^(٣).

٤ - مَا يُبَاحُ مِنَ الْمُحْظُورَاتِ لِلْمُضْطَّرِّ:

يُبَاحُ لِلْمُضْطَّرِّ ذِي الْمَخْمَصَةِ - الْمَجَاعَةِ الشَّدِيدَةِ - إِنْ خَافَ تَلَفَ نَفْسِهِ وَهَلَكَهَا أَنْ يَتَنَاوَلَ مِنْ كُلِّ مُحْظُورٍ - غَيْرِ السَّمِّ - مَا يَحْفَظُ بِهِ حَيَاتَهُ سِوَاءِ كَانَ طَعَامَ غَيْرِهِ أَوْ مِيتَةً، أَوْ لَحْمَ خَنْزِيرٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، عَلَى شَرْطِ أَنْ لَا يَزِيدَ عَلَى الْقَدْرِ الَّذِي يَحْفَظُ بِهِ نَفْسَهُ مِنَ الْهَلَاكِ، وَأَنْ يَكُونَ كَارِهَاً لِذَلِكَ غَيْرَ مُنْذِذٍ بِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا مَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ﴾^(٤)، لِإِتْمَاقِهِ^(٥).

(١) والترمذي وغيره وهو حسن.

(٢) أبو داود بسند صحيح. (ص. ١٠٠) في البحار.

(٣) البقرة.

(٤) الأعراف.

١ - الشَّرَابُ :

- ١ - تعريفه: المراد من الشراب كُلُّ مَا يُشْرَبُ من أنواعِ السَّوَائِلِ .
- ٢ - حكمه: الأصلُ في الأَشْرِيَةِ كالأَصْلِ في الأَطْعِمَةِ وَهُوَ أَنَّهَا مباحةٌ، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ إِلَّا مَا خَرَجَ الدَّلِيلُ مِنْ ذَلِكَ مِثْلُ:

الْخَمْرُ، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾^(١). وقول الرسول ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَآكِلَ ثَمَنِهَا»^(٢).

- ٢ - كُلُّ مُسْكِرٍ مِنْ أَنْوَاعِ السَّوَائِلِ، والكُحُولِيَّاتِ، لقوله ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ»^(٣).

٣ - عَصِيرُ الْخَلِيطَيْنِ وَهُوَ جَمْعُ الزَّهْوِ والرُّطْبِ، أو الزَّبِيبِ والرُّطْبِ في إِنَاءٍ وَاحِدٍ وَصَبَّ الْمَاءُ عَلَيْهِمَا حَتَّى يَصِيرَا شَرَاباً خُلُواً. وسواءٌ أَسْكَرَ أَمْ لَمْ يُسْكِرْهُ، لنهيهِ ﷺ عن ذَلِكَ بقوله: «لَا تَبْذُوا الزَّهْوَةَ والرُّطْبَ جَمِيعاً، وَلَا تَبْذُوا الزَّبِيبَ جَمِيعاً، وَلَكِنْ ابْذُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى حِدَّتِهِ»^(٤).

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِسْكَارَ يَسْرِعُ إِلَيْهِ بِسَبَبِ الْخَلِيطِ، فَسَدّاً لِلذَّرِيعَةِ نَهَى عَنْهُ ﷺ.

- ٤ - أَبْوَالُ مُحَرَّمَاتِ الْأَكْلِ لِنَجَاسَتِهَا، وَالنَّجَاسَةُ مُحَرَّمَةٌ.
- ٥ - أَلْبَانُ مَا لَا يُؤْكَلُ لَحْمُهُ مِنَ الْحَيَوَانِ، سِوَى لَبَنِ الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ حَلَالٌ.

(١) المائدة.

(٢) أبو داود والحاكم وإسناده صحيح.

(٣) مسلم.

(٤) متفق عليه.

٦ - مَا ثَبَتَ ضَرَرُهُ لِلْجِسْمِ كَالْغَازَاتِ وَنَحْوِهَا .

٧ - أَنْوَاعُ الْمَشْرُوبَاتِ التَّدْخِينِيَّةِ كَالْتَّبَعِ وَالْحَشِيشَةِ وَالشَّيْشَةِ، إِذْ بَعْضُهَا مُضِرٌّ لِلْجِسْمِ وَبَعْضُهَا مُسَكِّرٌ، وَبَعْضُهَا مُفْتَرٌّ وَبَعْضُهَا كَرِيهُ الرِّيحِ مُؤْذٍ لِمَنْ فِي مَعِيَةِ الْمَدْخَنِ مِنْ بَشَرٍ أَوْ مَلَائِكَةٍ، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مَمْنُوعٌ شَرْعاً .

٧ - مَا يُبَاحُ مِنْهَا لِلْمُضْطَرِّ: يُبَاحُ لِمَنْ لَدِي الْغُصَّةِ أَنْ يُسَبِّغَ مَا نَسَبَ فِي حَلْقِهِ مِنْ طَعَامٍ وَنَحْوِهِ بِالْخَمْرِ إِنْ لَمْ يَجِدْ غَيْرَهَا حِفَظاً عَلَى النَّفْسِ مِنَ الْهَلَاكِ، كَمَا يُبَاحُ لِمَنْ الْعَطَشِ الشَّدِيدِ الَّذِي يَخَافُ مَعَهُ الْهَلَاكَ أَنْ يَشْرَبَ مَا يَدْفَعُ بِهِ عَطَشَهُ مِنَ الْمَشْرُوبَاتِ الْمَحْرَمَةِ، لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿... إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ .

الفصل التاسع

في الجنائيات وأحكامها

وفيه أربع مواد:

المادة الأولى: في الجنائية على النفس؛

١ - تعريفها: الجنائية على النفس هي التعدي على الإنسان بإزهاق روحه، أو إتلاف بعض أعضائه، أو إصابته بجرح في جسمه.

٣ - حكمها: يحرم بدون حق إزهاق روح الإنسان، أو إتلاف عضو من أعضائه، أو إصابته بأي أذى في جسده، فليس بعد الكفر ذنب أعظم من قتل المؤمن، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(١). وقوله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»^(٢). وقوله ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِْبْ دَمًا حَرَامًا»^(٣).

٣ - أنواع الجنائية على النفس، الجنائية على النفس ثلاثة أنواع، وهي:

١ - العمد، وهو أن يقصد الجاني قتل المؤمن أو أذيتة، فيعمد إليه فيضربه بحديد، أو عصا، أو حجر، أو يلقيه من شاهق، أو يغرقه في ماء، أو يحرقه بنار، أو يخنقه، أو يطعمه سماً فيموت بذلك، أو يصاب بتلف في أعضائه، أو جرح في بدنه.

(١) النساء.

(٢) متفق عليه.

(٣) البخاري.

وَحُكْمُ هَذِهِ الْجَنَايَةِ الْعَمْدُ أَنَّهَا تُوجِبُ الْقَوْدَ (القصاصَ) لقوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَيْهَا أَعْيُنٌ مُبْصِرَةٌ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنُ بِالْأُذُنِ وَالسِّنُّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾^(١). وقوله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ، إِمَّا أَنْ يُوَدَّى، وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ». وقوله ﷺ: «مَنْ أُصِيبَ بَدَمٍ أَوْ خَبَلٍ - أَيْ جُرْحٍ - فَهُوَ بِالْخِيَارِ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يَقْتَصَّ أَوْ يَأْخُذَ الْعَقْلَ - أَيْ الدِّيَّةَ - أَوْ يَعْفُو، فَإِنْ أَرَادَ رَابِعَةً فَخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ»^(٢).

٢ - شَبْهُ الْعَمْدِ: وَهُوَ أَنْ يَقْصِدَ الْجَنَايَةَ دُونَ الْقَتْلِ، أَوْ الْجِرْحَ كَانَ يَضْرِبُهُ بَعْضًا خَفِيفَةً لَا تَقْتُلُ عَادَةً، أَوْ يَلْكُمُهُ بِيَدِهِ، أَوْ يَضْرِبُهُ بِرَأْسِهِ، أَوْ يَرْمِيهِ فِي قَلِيلٍ مَاءً، أَوْ يَصِيحُ فِي وَجْهِهِ، أَوْ يُهْدِدُهُ فَيَمُوتَ لذلِكَ.

وَحُكْمُ هَذَا النُّوعِ مِنَ الْجَنَايَةِ أَنَّهُ يُوجِبُ عَلَى الْجَانِي الدِّيَّةَ عَلَى عَاقِلَتِهِ، وَالْكَفَّارَةَ عَلَيْهِ، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ، إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾^(٣).

٣ - الْخَطَأُ، وَهُوَ أَنْ يَفْعَلَ الْمُسْلِمُ مَا يُبَاحُ لَهُ فَعَلُهُ مِنْ رِمَايَةٍ أَوْ اصْطِادٍ، أَوْ تَقْطِيعِ لَحْمِ حَيَوَانٍ مِثْلًا فَتَطِيشُ الْأَلَةِ فَتُصِيبُ أَحَدًا فَيَمُوتُ بِذلِكَ أَوْ يَجْرَحُ.

وَحُكْمُ هَذَا النُّوعِ مِنَ الْجَنَايَةِ كَحُكْمِ النُّوعِ الثَّانِي، غَيْرَ أَنَّ الدِّيَّةَ فِيهِ مَخْفُفَةٌ، وَأَنَّ الْجَانِيَّ غَيْرَ آثِمٍ بِخِلَافِ شَبْهِ الْعَمْدِ فَإِنَّ الدِّيَّةَ فِيهِ مُغْلَظَةٌ، وَالْجَانِيَّ آثِمٌ.

المادة الثانية: في أحكام الجنایات:

١ - شروط وجوب القصاص:

لَا يَجِبُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ أَوْ فِي الْأَطْرَافِ أَوْ الْجِرَاحِ إِلَّا بِتَوْفُّرِ الشُّرُوطِ التَّالِيَةِ:

(١) المائدة.

(٢) أحمد وأبو داود وابن ماجه وفي سنده ضعف، غير أن العمل به إذ أصله في الصحيحين. (٣) النساء.

١ - أَنْ يَكُونَ الْمَقْتُولُ مَعْصُومَ الدَّمِ، فَإِنْ كَانَ زَايِئاً مُحْصَنًا، أَوْ مُرْتَدًّا، أَوْ كَافِرًا فَلَا قِصَاصَ، إِذْ هَؤُلَاءِ دَمُهُمْ هَدَرٌ لَجْرِيَمَتِهِمْ.

٢ - أَنْ يَكُونَ الْقَاتِلُ مَكْلَفًا، أَيْ بَالِغًا عَاقِلًا، فَإِنْ كَانَ صَبِيًّا أَوْ مَجْنُونًا فَلَا قِصَاصَ لِعَدَمِ التَّكْلِيفِ لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ، وَالْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيْقَ، وَالنَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ»^(١).

٣ - أَنْ يَكَافِيَ الْمَقْتُولُ الْقَاتِلَ فِي الدِّينِ وَالْحَرِيَّةِ وَالرِّقِّ، إِذْ لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ، وَلَا حُرٌّ بِعَبْدٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ»^(٢). وَلِأَنَّ الْعَبْدَ مُتَقَوِّمٌ فَيَقْوَمُ بِقِيَمَتِهِ، وَلِقَوْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مِنَ السُّنَّةِ لَا يُقْتَلُ حُرٌّ بِعَبْدٍ». وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَا يُقْتَلُ حُرٌّ بِعَبْدٍ»^(٣).

٤ - أَنْ لَا يَكُونَ الْقَاتِلُ وَالِدًا لِلْمَقْتُولِ أَبًا أَوْ أُمًّا، أَوْ جَدًّا أَوْ جَدَّةً، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا يُقْتَلُ وَالِدٌ بَوْلَدِهِ»^(٤).

ب - شُرُوطُ اسْتِيفَاءِ الْقِصَاصِ:

لَا يَسْتَوْفِي صَاحِبُ الْقِصَاصِ حَقَّهُ فِي الْقِصَاصِ إِلَّا بَعْدَ تَوْفُرِ الشُّرُوطِ التَّالِيَةِ:

١ - أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ الْحَقِّ مُكْلَفًا، فَإِنْ كَانَ صَبِيًّا أَوْ مَجْنُونًا حُسِسَ الْجَانِي حَتَّى يَبْلُغَ الصَّبِيُّ، أَوْ يُفِيْقَ الْمَجْنُونُ، ثُمَّ لَهُمَا أَنْ يَفْتَتَصَا أَوْ يَأْخُذَا الدِّيَّةَ أَوْ يَعْفُوا، وَقَدْ رُوِيَ هَذَا عَنِ الصَّحَابَةِ، رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ.

٢ - أَنْ يَتَّفِقَ أَوْلِيَاءُ الدَّمِ عَلَى الْقِصَاصِ، فَإِنْ عَفَا بَعْضُهُمْ فَلَا قِصَاصَ، وَمَنْ لَمْ يَعْفُ فَلَهُ قِسْطُهُ مِنَ الدِّيَّةِ.

(١) تقدم.

(٢) أحمد والترمذي وهو حسن.

(٣) البيهقي بسند حسن.

(٤) أحمد والترمذي وصححه ابن الجارود. ويرى مالك أن الوالد لا يقتل بولده إذا كان القتل غير محض،

أما إذا كان محضاً عمداً عدواناً كان خنقه بحبل أو ذبحه بموسى فإنه يقتل به.

٣ - أن يُؤْمَنَ في حَالِ الاستِيفَاءِ التَّعَدِّي بِأَن لَا يَتَعَدَّى الْجَرْحُ مِثْلَهُ، وَأَن لَا يُقْتَلَ غَيْرُ الْقَاتِلِ . وَأَن لَا تُقْتَلَ امْرَأَةٌ فِي بَطْنِهَا جَنِينٌ حَتَّى تَضَعَ وَتَقْطَعَ وَلَدَهَا، لِقَوْلِهِ ﷺ لَمَّا قَتَلَتْ امْرَأَةً عَمْدًا: «لَمْ تَقْتُلْ حَتَّى تَضَعَ مَا فِي بَطْنِهَا إِنْ كَانَتْ حَامِلًا، وَحَتَّى تَكْفَلَ وَلَدَهَا».

٤ - أن يَكُونَ الاستِيفَاءُ بِحَضْرَةِ سُلْطَانٍ أَوْ نَائِبِهِ حَتَّى يُؤْمَنَ الْحَيَفُ أَوْ التَّعَدِّي .

٥ - أن يَكُونَ بِالْأَةِ حَادَّةً، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا قَوْدَ إِلَّا بِالسَّيْفِ»^(١)

٢ - التَّخْيِيرُ بَيْنَ الْقَوْدِ وَالِدِّيَةِ وَالْعَفْوِ: ^(٢).

إِذَا وَجَبَ لِلْمُسْلِمِ دَمٌ خَيْرٌ بَيْنَ ثَلَاثَةٍ: أَنْ يُقَادَ لَهُ، أَوْ يُعْفَوْ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ . وَقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «مَنْ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يُوْدَى أَوْ يُقَادَ»^(٣). وَقَوْلِهِ ﷺ: «مَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا».

[تنبيهات]:

١ - مَنْ اخْتَارَ الدِّيَةَ سَقَطَ حَقُّهُ فِي الْقَوْدِ، فَلَوْ طَلَبَهُ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يُمْكِنُ مِنْهُ وَلَوْ انْتَقَمَ فَقَتَلَ قَتِيلًا، أَمَّا إِذَا اخْتَارَ الْقِصَاصَ فَإِنَّ لَهُ أَنْ يَغْدِلَ عَنْهُ إِلَى الدِّيَةِ.

٢ - إِذَا مَاتَ الْقَاتِلُ لَمْ يَبْقَ لِوَلِيِّ الدَّمِ إِلَّا الدِّيَةُ لِتَعْدِيرِ الْقِصَاصِ بِمَوْتِ الْقَاتِلِ، لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ قَتْلُ غَيْرِ الْقَاتِلِ بِحَالٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾^(٤). وَقُيِّرَ الْإِسْرَافُ فِي الْقَتْلِ بِقَتْلِ غَيْرِ الْقَاتِلِ.

(١) ابن ماجه وسكت عنه السيوطي . وهنا يرى بعض أهل العلم أن القاتل يقتل بمثل ما قتل به إن كان سيفاً فسياف، وإن كان حجراً فحجر، للحديث المتفق عليه أن الرسول ﷺ أمر بالذي رضى رأس الجارية بحجر أن يرض رأسه .

(٢) يرى بعض أهل العلم أن قتل الغيلة لا عفو فيه وإن عفا أولياء الدم فإن للسلطان أن لا يعفو بل يعزر القاتل بجلد مائة وتغريب عام .

(٣) متفق عليه .

(٤) الإسراء .

٣ - كَفَّارَةُ الْقَتْلِ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ قَاتِلٍ خَطَأً أَوْ شُبَّهَ عَمْدٍ، وَسَوَاءٌ كَانَ الْمَقْتُولُ جَنِينًا أَوْ مُسِنًّا، حُرًّا أَوْ عَبْدًا، وَهِيَ عَتَقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ، وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(١).

مَادَّةُ الثَّالِثَةِ: فِي الْجَنَائَةِ عَلَى الْأَطْرَافِ:

١ - تَعْرِيفُهَا: الْجَنَائَةُ فِي الْأَطْرَافِ أَنْ يَتَعَدَّى امْرُؤٌ عَلَى آخَرَ فَيَقْتُلُ عَيْنَهُ أَوْ يَكْسِرَ رِجْلَهُ أَوْ يَقَطِّعَ يَدَهُ مِثْلًا.

٢ - حُكْمُهَا: إِنْ كَانَ الْجَانِي عَامِدًا، وَلَيْسَ وَالِدًا لِلْمَجْنِيِّ عَلَيْهِ، وَكَانَ الْمَجْنِيُّ عَلَيْهِ^(٢) مُكَافِئًا لِلْجَانِي فِي الْإِسْلَامِ وَالْحَرِيَّةِ فَإِنَّهُ يُقَادُّ مِنْهُ لِلْمَجْنِيِّ عَلَيْهِ بِأَنْ يُقَطَّعَ مِنْهُ مَا قُطِّعَ، وَيَجْرَحَ بِمِثْلِ مَا جَرَحَ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿... وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ﴾ إِلَّا أَنْ يَقْبَلَ الْمَجْنِيُّ عَلَيْهِ الدِّيَّةَ أَوْ يَعْفُو.

٣ - شُرُوطُ الْقِصَاصِ فِي الْأَطْرَافِ: يُشْتَرَطُ لَاسْتِيفَاءُ الْقِصَاصِ فِي الْأَطْرَافِ مَا يَلِي:

- ١ - أَنْ يُؤْمَنَ مِنَ الْحَيْفِ^(٣) فِي الْاسْتِيفَاءِ، فَإِنْ حَيْفَ فَلَا قِصَاصَ.
- ٢ - أَنْ يَكُونَ الْقِصَاصُ مُمَكِّنًا، فَإِذَا كَانَ غَيْرَ مُمَكِّنٍ تُرِكَ إِلَى الدِّيَّةِ.
- ٣ - أَنْ يَكُونَ الْعِضْوُ الْمَرَادُ قِطْعُهُ مُمَازِلًا فِي الْأَسْمِ وَالْمَوْضِعِ لِلْعِضْوِ الْمُتَلَفِ، فَلَا تُقَطَّعُ يَمِينٌ فِي يَسَارٍ، وَلَا يَدٌ فِي رِجْلٍ، وَلَا إَصْبَعٌ أَصْلَبِيٍّ فِي زَائِدٍ مِثْلًا.
- ٤ - اسْتِوَاءُ الْعِضْوَيْنِ: الْمُتَلَفِ وَالْمَرَادُ أَخْذُهُ فِي الصِّحَّةِ وَالْكَمَالِ فَلَا تُؤْخَذُ الْيَدُ الشَّلَاءُ فِي الصِّحِيحَةِ، وَلَا الْعَيْنُ الْعَوْرَاءُ بِالسُّلَيْمَةِ.

(١) النِّسَاءُ.

(٢) لَوْ اشْتَرَكَ كَبِيرٌ وَصَغِيرٌ فِي الْقَتْلِ الْعَمْدِ الْعَدْوَانِ، قَتَلَ الْكَبِيرُ وَالزَّمِ الصَّغِيرُ بِنِصْفِ الدِّيَّةِ، مَا لَهُ مَالٌ فِي الْمَوْطَأِ.

(٣) الْحَيْفُ الْإِعْتِدَاءُ وَالْجَوْرُ.

٥ - إِنْ كَانَ الْجُرْحُ فِي الرَّأْسِ أَوْ الْوَجْهِ وَهِيَ الشَّجَّةُ فَلَا قِصَاصَ فِيهِ إِلَّا إِذَا كَانَ لَا يَنْتَهِي إِلَى الْعَظْمِ ، وَكُلُّ جُرْحٍ لَا يُمَكِّنُ فِيهِ الْاسْتِيفَاءَ لَخُطُورَتِهِ فَلَا يُقْتَصُّ بِهِ ، فَلَا قِصَاصَ فِي كَسْرِ عَظْمٍ وَلَا فِي جَائِفَةٍ ، وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ فِيهِ الدِّيَّةُ .
[تَنْبِيهَاتُ] :

تَقْتُلُ الْجَمَاعَةَ بِالْوَاحِدِ ، وَيُؤْخَذُ أَطْرَافُ جَمَاعَةٍ فِي طَرَفٍ وَاحِدٍ إِذَا اشْتَرَكُوا فِي الْجِنَايَةِ اشْتِرَاكًا مُبَاشِرًا ، لِقَوْلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «لَوْ تَمَالَأَ عَلَيْهِ أَهْلُ صَنْعَاءَ لَقَتَلْتَهُمْ بِهِ جَمِيعًا»^(١) . قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ سَبْعَةَ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ أَهْلِ صَنْعَاءَ .

● سِرَايَةُ الْجِنَايَةِ مَضْمُونَةٌ ، فَلَوْ جَنَى أَحَدٌ عَلَى آخِرٍ بَقِيعَةً إِنْ صَبَّحَهُ ثُمَّ لَمْ يَنْدِمِلْ^(٢) الْجُرْحَ حَتَّى شَلَّتْ يَدُهُ بِكَامِلِهَا أَوْ مَاتَ فَإِنَّ الْقِصَاصَ يَكُونُ أَوْ الدِّيَّةُ بِحَسَبِ ذَلِكَ .

وَأَمَّا سِرَايَةُ الْعُقُودِ فَهَذَرٌ ، فَلَوْ قَطَعَ أَحَدٌ يَدَ أَحَدٍ فَاقْتَصَّ مِنْهُ بِقِطْعٍ يَدِهِ ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ مَاتَ مُتَأَثِّرًا بِالْجُرْحِ فَلَا شَيْءَ لَهُ إِلَّا إِذَا كَانَ هُنَاكَ حَيْثُ حَالَ الْقِصَاصِ . بَأَنَّ كَانَ الْقِطْعُ بَالَةً كَالِةٍ أَوْ مَسْمُومَةٍ مَثَلًا فَتُضْمَنُ الشَّرَاعِيَةُ حِينَئِذٍ .

● لَا يُقْتَصُّ فِي جُرْحٍ أَوْ عَضْوٍ قَبْلَ بُرْئِهِ ، لَنْهَيْ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الْقَوْدِ فِي الْجُرْحِ قَبْلَ الْبُرْءِ^(٣) ، لِأَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَسْرِيَ الْجُرْحُ إِلَى بَاقِي الْجَسَدِ فَيُتْلِفُهُ ، فَلِذَا لَوْ خَالَفَ أَحَدٌ وَاقْتَصَّ قَبْلَ الْبُرْءِ ثُمَّ سَرَى جُرْحُهُ فَاتْلَفَ لَهُ عِضْوًا آخَرَ ، فَلَا حَقَّ لَهُ فِي الْمَطَالَبَةِ فِي السِّرَايَةِ لِمَخَالَفَتِهِ النَّهْيَ عَنِ الْقَوْدِ قَبْلَ الْبُرْءِ .

المادة الرابعة: في الدية:

١ - تعريفها: الدية هي ما يؤدى من المال لمستحق الدم .

٢ - حكمها: الدية مشروعة، بقول الله تعالى: ﴿... فدية مسلمة إلى أهله إلا﴾

(١) رواه مالك في الموطأ وأصله في البخاري .

(٢) اندمل الجرح إذا التام وبرئ وتمائل للشفاء .

(٣) الدار قطني وهو ضعيف بعله الإرسال ولذا قال بعضهم بالا استحباب فقط لا بالوجوب .

أَنْ يَصْدُقُوا»^(١). وَيَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «مَنْ قَتَلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يُودِيَ وَإِمَّا أَنْ يُقَادَ»^(٢).

٣ - عَلَى مَنْ تَجِبُ الدِّيَّةُ: تَجِبُ الدِّيَّةُ عَلَى كُلِّ مَنْ قَتَلَ إِنْسَانًا بِمَبَاشَرَةٍ أَوْ سَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ، فَإِنْ كَانَ عَامِدًا فَالدِّيَّةُ فِي مَالِهِ، وَإِنْ كَانَ الْقَتْلُ شِبْهَ عَمْدٍ أَوْ خَطَأً فَالدِّيَّةُ عَلَى عَاقِلَتِهِ لِقَضَاءِ الرَّسُولِ ﷺ بِذَلِكَ، فَقَدْ أَقْتَلَتْ امْرَأَتَانِ فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى بِحَجَرٍ فَقَتَلَتْهَا وَمَا فِي بَطْنِهَا فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَدِيَةَ الْمَرْأَةِ عَلَى عَاقِلَتِهَا»^(٣).

وَالْعَاقِلَةُ هُنَا الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ الْعَقْلَ - أَيِ الدِّيَّةِ - وَالْمَرَادُ بِهِمْ عَصَبَةُ الرَّجُلِ مِنْ آبَائِهِ وَإِخْوَانِهِ وَأَبْنَاءِ إِخْوَانِهِ وَأَعْمَامِهِ وَأَبْنَاءِ أَعْمَامِهِ فَيُورَعُونَ بَيْنَهُمُ الدِّيَّةُ فَيَدْفَعُ كُلٌّ بِحَسَبِ حَالِهِ وَتَقْسِطُ عَلَيْهِمْ لِمَدَّةِ ثَلَاثِ سَنَوَاتٍ، فَفِي كُلِّ سَنَةٍ يَدْفَعُونَ ثُلُثَ الدِّيَّةِ إِلَى أَنْ تُسْتَوْفَى كَامِلَةً، وَإِنْ اسْتَطَاعُوا دَفْعَهَا خَالًا فَلَا مَانِعَ.

٤ - عَمَّنْ تَسْقُطُ الدِّيَّةُ: تَسْقُطُ الدِّيَّةُ عَنِ وَالِدِ أَدَبٍ وَلَدَهُ فَمَاتَ، أَوْ سُلْطَانٍ أَدَبٍ رَعِيَّتَهُ، وَمُعَلِّمٍ أَدَبٍ تَلْمِيذَهُ فَمَاتَ، وَذَلِكَ إِذَا لَمْ يُسْرِفُوا فِي الضَّرْبِ وَلَمْ يَتَجَاوَزُوا الْحَدَّ الْمَعْرُوفَ فِي التَّأْدِيبِ.

٥ - مَقَادِيرُ الدِّيَّاتِ:

أ - دِيَّةُ النَّفْسِ: إِذَا كَانَ الْمَوْدَى حُرًّا مُسْلِمًا فَدِيَّتُهُ مِائَةُ بَعِيرٍ، أَوْ أَلْفُ مِثْقَالٍ ذَهَبًا أَوْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ فِضَّةً، أَوْ مِائَتَا بَقْرَةٍ، أَوْ أَلْفَا شَاةٍ. وَإِنْ كَانَ الْقَتْلُ شِبْهَ عَمْدٍ غُلِظَتْ بِأَنْ تَكُونَ الْمِائَةُ مِنَ الْإِبِلِ فِي بُطُونِ أَرْبَعِينَ مِنْهَا أَوْلَادُهَا. وَإِنْ كَانَ خَطَأً فَلَا تَغْلِظُ لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَلَا وَإِنْ قَتِيلٌ خَطَأً الْعَمْدَ بِالسُّوْطِ وَالْعَصَا وَالْحَجَرِ فِيهِ دِيَّةٌ مَغْلُظَةٌ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ مِنْهَا أَرْبَعُونَ مِنْ ثَنِيَّةٍ إِلَى بَازِلٍ عَامُهَا كُلُّهُنَّ خِلْفَةٌ»^(٤)، وَإِنْ كَانَ الْقَتْلُ عَمْدًا فَعَلَى رِضَا أَوْلِيَاءِ الدَّمِ فَإِنَّ لَهُمْ أَنْ يَطْلُبُوا أَكْثَرَ مِنَ الدِّيَّةِ لِأَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ الْقِصَاصَ لَهُمْ أَنْ يَتَنَازَلُوا عَنْهُ بِأَكْثَرِ مِنَ الدِّيَّةِ.

(١) النساء.

(٢) ، ٣ متفق عليه.

(٤) أصحاب السنن كافة وأخرجه البخاري في التاريخ وهو حسن الإسناد وله شاهد عند أبي داود.

ودليل تقدير الدية بما ذكر قول جابر رضي الله عنه: «فرض رسول الله ﷺ على أهل الإبل مائة من الإبل وعلى أهل البقر مائتي بقرة وعلى أهل الشاة ألفي شاة»^(١). وقول ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رجلاً قُتل فجعل النبي ﷺ دية اثني عشر ألف درهم»^(٢). وكذا ما جاء في كتاب عمرو بن حزم التي تلقته الأمة جمعاء بالقبول. «... وعلى أهل الذهب ألف دينار»^(٣). فأَيُّ هذه المذكورات الخمس أحضر القاتل لزم ولي الدم قبوله.

وإن كان المودى امرأة مسلمة حرة فديتها نصف دية الرجل المسلم، لما أخرج مالك في الموطأ عن عروة بن الزبير أنه كان يُقال: إن المرأة تعاقل الرجل، ما لم تبلغ ثلث دية الرجل، فإذا بلغت عوملت المرأة في الدية بنصف دية الرجل.

وإن كان المودى ذمياً يهودياً أو نصرانياً أو غيره فديته نصف دية المسلم، ودية إنائهم على النصف من دية ذكورهم، لقوله ﷺ: «عقل الكافر نصف دية الرجل»^(٤).

وإن كان المودى عبداً فديته قيمته بلغت ما بلغت لعله أنه متقوم فتدفع قيمته.

وإن كان المودى جنيماً ذكراً أو أنثى فديته غرة عبد أو أمة لقضاء رسول الله ﷺ في الجنيين بغرة عبد أو أمة، كما جاء في الصحيح، إن كان حراً وانفصل ميتاً، أما إذا انفصل من بطن أمه حياً ثم مات فإن فيه القود أو الدية كاملة.

[تنبيه]: قومت الغرة عند بعض أهل العلم بعشر دية أم الجنين، فقومتها مالك بخمسين ديناراً أو ستمائة درهم.

ب - دية الأطراف: تجب الدية كاملة فيما يلي:

١ - في إزالة العقل وذهابه.

(١) البازل من الإبل ما دخل في التاسعة، ويقال له بعد ذلك بازل عام أو عامين الخ. والخلفة: هي الحامل.

(٢) رواه أبو داود وفي سنده ضعف، غير أن العمل به عند جمهور العلماء.

(٣) أبو داود والنسائي وابن ماجة والترمذي مرفوعاً وروي مرسلأ وهو أصح وأشهر.

(٤) النسائي وصححه جماعة منهم أحمد والحاكم.

(٥) الترمذي وحسنه.

- ٢ - في إزالة السمع بإزالة الأذنين .
- ٣ - في إزالة البصر بإتلاف العينين .
- ٤ - في إزالة الصوت بقطع اللسان ، أو الشفتين .
- ٥ - في إزالة الشم بقطع الأنف كله .
- ٦ - في إزالة القدرة على الجماع بقطع الذكر أو رص الأنثيين .
- ٧ - في إزالة القدرة على القيام أو الجلوس بكسر الظهر .

وذلك لما جاء في كتاب عمرو بن حزم الذي كتبه رسول الله ﷺ من أن في الأنف إذا أوعب جدعه الدية، وفي اللسان الدية، وفي الشفتين الدية، وفي البيضتين الدية، وفي الذكر الدية، وفي الصلب الدية، وفي العينين الدية^(١) . ولقضاء عمر رضي الله عنه في رجل ضرب رجلاً فذهب سمعه وبصره ونكاحه وعقله بأربع ديات، والرجل حي لم يموت .

والمرأة في الأطراف على النصف من دية طرف الرجل . أمّا في الجراح فإن كان الجرح دية بالغة ثلث دية الرجل فهي على النصف من دية الرجل، وإن كان أقل فهي مماثلة للرجل في دية جرحها .

ح - يحب نصف الدية فيما يلي :

- ١ - في إحدى العينين .
- ٢ - في إحدى الأذنين .
- ٣ - في إحدى اليدين .
- ٤ - في إحدى الرجلين .
- ٥ - في إحدى الشفتين .
- ٦ - في إحدى الإليتين .
- ٧ - في أحد الحاجبين .

(١) النسائي وصححه جماعة من أئمة الحديث .

٨ - في أحدِ تَدْيِي المرأةِ .

[تنبيه]: يَجِبُ في قطعِ الأصبعِ الواحدِ عَشْرُ من الإبلِ لقوله ﷺ: «دِيَّةُ أَصَابِعِ اليَدَيْنِ أو الرجلَيْنِ سَوَاءٌ، عَشْرُ من الإبلِ لكلِّ أَصْبَعٍ»^(١). وَيَجِبُ في السِّنِّ خَمْسُ من الإبلِ، لقوله ﷺ في كِتَابِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: «وَفِي السِّنِّ خَمْسُ من الإبلِ»^(٢).

دِيَّةُ الشُّجَاجِ والجِرَاحِ:

أولاً: الشُّجَاجِ:

تَعْرِيفُهَا: الشُّجَاجُ هِيَ الجِرَاحُ في الرُّأْسِ أو في الوَجْهِ، والمعروفُ مِنْهَا عِنْدَ السَّلَفِ عَشْرَةٌ: خَمْسُ وَرَدَ للشارعِ فِيهَا بَيَانُ دِيَّتِهَا، وخَمْسُ لَمْ يَرِدْ للشارعِ فِيهَا حَدٌّ محدودٌ في دِيَاتِهَا.

حكمُهَا: حكمُ الخَمْسِ التي وَرَدَ للشارعِ فِيهَا بَيَانُ دِيَاتِهَا هو:

١ - في المَوْضِعَةِ، وهي التي تُوَضِّحُ العَظْمَ وتُبْرِزُهُ ودِيَّتُهَا خَمْسُ من الإبلِ، لقوله ﷺ: «في المَوْضِعِ خَمْسُ من الإبلِ»^(٣).

٢ - في الهاشِمَةِ، وهي التي تَهَشِّمُ العَظْمَ، أي تَكْسِرُهُ عَشْرُ من الإبلِ، لقولِ زيدِ بن ثابتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْجَبَ في الهاشِمَةِ عَشْرًا من الإبلِ»^(٤).

٣ - في المنقِلَةِ، وهي التي تَنْقُلُ العَظْمَ مِنْ مَكَانِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ من الإبلِ، لِمَا جَاءَ في كِتَابِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: «... وفي المنقِلَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ من الإبلِ».

٤ - في المأمُومَةِ، وهي التي تَصِلُ إِلَى جِلْدَةِ الدِّمَاغِ ثَلَاثَ الدِّيَةِ، كما في كِتَابِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: «... وفي المأمُومَةِ ثَلَاثُ الدِّيَةِ».

(١) الترمذي وصححه .

(٢) ففي الستين إذاً عشر من الإبل وهكذا ولا فرق بين الرباعية أو الشنية أو الضرس أو الناب .

(٣) أبو داود والترمذي والنسائي وإسناده حسن .

(٤) البيهقي والدارقطني وعبد الرزاق بسند صحيح ، إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه .

٥ - الدَّامِغَةُ، وَهِيَ الَّتِي تَخْرِقُ جِلْدَةَ الدِّمَاغِ، وَهِيَ أْبْلَغُ مِنَ الْمَأْمُومَةِ وَحُكْمُهَا
حُكْمُ الْمَأْمُومَةِ ثَلَاثُ الدِّيَةِ.

وَأَمَّا الْخُمْسُ الَّتِي لَمْ يَرُدْ لِلشَّارِعِ فِيهَا بَيَانُ دِيَاتِهَا فَهِيَ :

١ - الْحَارِصَةُ، وَهِيَ الَّتِي تَحْرِصُ الْجِلْدَ، أَيْ تَشْقُهُ قَلِيلًا وَلَا تُذَمِّيهِ.

٢ - الدَّامِيَّةُ، وَهِيَ الَّتِي تُذَمِّي الْجِلْدَ فَتُسِيلُ دَمَهُ.

٣ - الْبَاضِعَةُ، وَهِيَ الَّتِي تَبْضَعُ اللَّحْمَ، أَيْ تَشْقُهُ.

٤ - الْمَتَلَاخِمَةُ، وَهِيَ أْبْلَغُ مِنَ الْبَاضِعَةِ، إِذْ تَغُوصُ فِي اللَّحْمِ.

٥ - السُّمْحَاقُ، وَهِيَ الَّتِي لَمْ يَتَّقَ عَنْ وَصُولِهَا إِلَى الْعَظْمِ إِلَّا قَشْرَةً رَقِيقَةً.

وَحُكْمُ هَذِهِ الْخَمْسِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ فِيهَا حُكُومَةً وَهِيَ أَنَّ يُفْرَضَ أَنَّ
الْمَجْنِي عَلَيْهِ عِنْدَ قِيُومِهِ وَهُوَ سَلِيمٌ مِنْ أَثَرِ الْجَنَائَةِ وَيَقُومُ وَهُوَ مَعِيبٌ بِهَا بَعْدَ بَرئِهَا،
وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْقِيَمَتَيْنِ يُنْسَبُ إِلَى أَصْلِ قِيَمَتِهِ وَهُوَ سَلِيمٌ فَإِنْ كَانَ سُدْسًا أُعْطِيَ سُدْسَ
دِيَتِهِ، وَإِنْ كَانَ عَشْرًا أُعْطِيَ عَشْرَ دِيَتِهِ، وَهَكَذَا...

وَالْأَيْسَرُ مِنْ هَذَا، وَخَاصَّةً فِي عَضْرِنَا الْحَاضِرِ، أَنَّ تَكُونَ الْمُوضِحَةُ هِيَ
الْمِقْيَاسُ، إِذْ هِيَ الَّتِي تَوْضِحُ الْعَظْمَ وَلَا تَكْسِرُهُ، وَفِيهَا خُمْسٌ مِنَ الْإِبِلِ فَالشُّجَاجُ
الْخُمْسُ تُقَاسُ بِهَا فَمَا كَانَتْ كَخُمُسِهَا كَانَتْ دِيَتُهَا بَعِيرًا، وَمَا كَانَتْ كَثُلِهَا كَانَتْ دِيَتُهَا
ثَلَاثَةُ أَبْعَرَةٍ الْخ... وَيُقَاسُ عَلَيْهَا بِوَاسِطَةِ الْأَطْبَاءِ الْمُخْتَصِّينَ سَائِرُ الْجُرُوحِ فِي
الْجَسَدِ.

ثَانِيًا - الْجِرَاحُ :

١ - تَعْرِيفُهَا : الْجِرَاحُ مَا كَانَتْ فِي غَيْرِ الرَّأْسِ وَالْوَجْهِ مِنْ بَقِيَةِ الْجَسَدِ.

٢ - حُكْمُهَا : إِنَّ فِي الْجَائِفَةِ - وَهِيَ الَّتِي تَصِلُ إِلَى بَاطِنِ الْجَوْفِ - ثَلَاثُ الدِّيَةِ

لَمَّا فِي كِتَابِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ : «... وَفِي الْجَائِفَةِ ثَلَاثُ الدِّيَةِ».

وَفِي الضِّلَعِ إِذَا انْكَسَرَ وَانْجَبَرَ بَعِيرٌ.

وَفِي كَسْرِ الذِّرَاعِ أَوْ عَظْمِ السَّاقِ أَوْ الزَّنْدِ إِذَا جَبَرَ بِبَعِيرَانِ، إِذْ قَضَى بِذَلِكَ
الصَّحَابَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَمَا عَدَا مَا ذُكِرَ فِيهِ حُكُومَةٌ أَوْ يُقَاسُ عَلَى الْمُوضِحَةِ وَهُوَ أَيْسَرُ.

٦ - بِمَ تَثْبُتُ الْجَنَائِيَّةُ؟

إِنْ كَانَتْ الْجَنَائِيَّةُ دُونَ الْقَتْلِ فَإِنَّهَا تَثْبُتُ بِأَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا بِاعْتِرَافِ الْجَانِي وَإِمَّا بِشَهَادَةِ عَدْلَيْنِ.

وَإِنْ كَانَتْ جِنَائِيَّةَ قَتْلِ فَإِنَّهَا تَثْبُتُ إِمَّا بِاعْتِرَافِ الْقَاتِلِ، أَوْ شَهَادَةِ عَدْلَيْنِ أَوْ بِالْقَسَامَةِ إِنْ كَانَ هُنَاكَ لَوْثٌ، وَهِيَ الْعَدَاوَةُ الظَّاهِرَةُ بَيْنَ الْمَقْتُولِ وَمَنْ نُسِبَ إِلَيْهِمْ جَرِيمَةُ الْقَتْلِ.

وَالْقَسَامَةُ: هِيَ أَنْ يُوجَدَ قَتِيلٌ فَيَدَّعِي أَوْلِيَاؤُهُ عَلَى رَجُلٍ أَوْ جَمَاعَةٍ أَنَّهُمْ قَتَلُوهُ لِعَدَاوَةٍ ظَاهِرَةٍ مَعْرُوفَةٍ عِنْدَ النَّاسِ بَيْنَهُمْ فَيَغْلُبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ الْقَتِيلَ ذَهَبَ ضَحِيَّةَ تِلْكَ الْعَدَاوَةِ.

أَوْ لَا يَكُونُ عَدَاوَةُ بَيْنَ الْقَتِيلِ وَالْمُتَّهِمِ وَإِنَّمَا شَهِدَ شَاهِدٌ وَاحِدٌ عَلَى الْقَتْلِ، وَلَمَّا كَانَتْ دَعْوَى الدِّمِّ لَا تَثْبُتُ إِلَّا بِشَهَادَةِ عَدْلَيْنِ كَانَتْ شَهَادَةُ الْوَاحِدِ كَاللُّوْثِ فَتَتَعَيَّنُ الْقَسَامَةُ، فَيَحْلِفُ^(١) أَوْلِيَاءُ الدِّمِّ وَهُمْ وَرَثَةُ الْقَتِيلِ مِنَ الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ خَمْسِينَ يَمِينًا مُوزَعَةً عَلَيْهِمْ بِحَسَبِ إِرْثِهِمْ مِنْهُ عَلَى أَنْ هَذَا قَتْلُهُ، فَإِذَا حَلَفُوا اسْتَحَقُّوا دَمَ الرَّجُلِ الْمُدَّعِي عَلَيْهِ فَيَقَادُ لَهُمْ^(٢) مِنْهُ، أَوْ يُعْطَوْنَ الدِّيَّةَ، وَإِنْ نَكَلَ بَعْضُ الْوَرَثَةِ وَلَمْ يَحْلِفْ سَقَطَ الْحَقُّ، وَحَلَفَ لَهُمُ الْمُدَّعِي عَلَيْهِ خَمْسِينَ يَمِينًا وَبُرَى.

كَمَا أَنَّ مَنْ ادَّعَى عَلَيْهِ بِقَتْلِ وَلَا لَوْثَ يَبْرَأُ بِحَلْفِهِ يَمِينًا وَاحِدَةً، وَهَذَا لَمَّا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ رُفِعَتْ إِلَيْهِ قَضِيَّةُ قَتْلِ فَشَرَعَ فِيهَا الْقَسَامَةَ فَقَالَ لِأَوْلِيَاءِ الدِّمِّ: أَتَحْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ فَأَتِلْكُمْ أَوْ صَاحِبَكُمْ؟ فَقَالُوا: كَيْفَ نَحْلِفُ وَلَمْ نَشْهَدْ وَلَمْ نَرِ؟ قَالَ: فَتُبْرِئْكُمْ الْيَهُودُ (أَيِ الْمُتَّهَمُونَ) خَمْسِينَ يَمِينًا؟ فَقَالُوا: كَيْفَ نَأْخُذُ أَيْمَانَ قَوْمٍ كُفَّارٍ؟ فَعَقَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ عِنْدِهِ.

(١) وَإِنْ لَمْ يَرْضِ الْوَرِثَةُ بِإِيمَانِ الْمُدَّعِي عَلَيْهِ وَدَتِ الْحُكُومَةُ قَتْلَهُمْ، وَبُرَى الْمُدَّعِي عَلَيْهِ.

(٢) الْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّهُ لَا يَقَادُ بِالْقَسَامَةِ، وَإِنَّمَا يُوَدَى بِهَا وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَبُو حَنِيفَةَ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

وَأَمَّا مَذْهَبُ مَالِكٍ وَأَحْمَدَ، رَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ، أَنَّهُ يَقَادُ بِالْقَسَامَةِ.

الفصل العاشر

في الحدود

وفيه تسع مواد:

المادة الأولى: في حد الخمر:

١ - تعريف الحد والخمر: الحد هو المنع من فعل ما حرم الله عز وجل بواسطة الضرب أو القتل، وحدود الله تعالى محارمها التي أمر أن تتحامي فلا تقرب. والخمر: المسكر من كل شراب أيا كان نوعه، لقوله ﷺ: «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام»^(١).

٢ - حكم شاربها: يحرّم شرب الخمر قليلاً كان المشروب أو كثيراً، لقوله تعالى في النهي عنها وعن الميسر: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُتَّبِعُونَ؟﴾ وقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾^(٢). وقول الرسول ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ شَارِبَ خُمْرٍ وَبَائِعَهَا»^(٣). ولإقامة النبي ﷺ الحد على شاربها بالضرب في فناء المسجد في الصحيحين.

٣ - الحكمة في تحريمها: الحكمة من تحريم الخمر المحافظة على سلامة دين المسلم وعقله وبدنه وماله.

٤ - حكم شاربها: حكم من شرب الخمر وثبت ذلك باعترافه أو بشهادة عدلين: أن يحد بجلده ثمانين مجلدة على ظهره إن كان حراً وإن كان عبداً فأربعين

(١) مسلم.

(٢) المائدة.

(٣) أبو داود والحاكم صحيح الإسناد.

جَلْدَةً، لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْإِمَاءِ: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾^(١)
فَقَيَسَ الْعَبْدُ عَلَى الْأَمَةِ.

٥ - شُرُوطُ وَجُوبِ الْحَدِّ عَلَى شَارِبِهَا: يُشْتَرَطُ فِي إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَى شَارِبِ
الْخَمْرِ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا، عَاقِلًا، بَالِغًا، مُخْتَارًا، عَالِمًا بِتَحْرِيمِهَا. صَحِيحًا غَيْرَ
مَرِيضٍ، غَيْرَ أَنَّ الْمَرِيضَ لَا يَسْقُطُ عَنْهُ الْحَدُّ وَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بَرُّوهُ، فَإِنْ بَرِيَ مِنْ مَرَضِهِ
أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ.

٦ - عَدَمُ تَكَرُّرِ الْحَدِّ عَلَى شَارِبِهَا: إِذَا تَكَرَّرَ مِنَ الْمُسْلِمِ شَرْبُ الْخَمْرِ عِدَّةَ
مَرَّاتٍ، ثُمَّ أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ فَإِنَّهُ يَكْفِيهِ إِقَامَةُ حَدٍّ وَاحِدٍ، وَلَوْ تَكَرَّرَ الشَّرَابُ مَرَّاتٍ
عَدِيدَةً، وَإِنْ هُوَ شَرِبَ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَقَامُ عَلَيْهِ حَدٌّ آخَرُ وَهَكَذَا كُلَّمَا
شَرِبَ أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ.

٨ - كَيْفِيَّةُ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَى الشَّارِبِ: يَقَامُ الْحَدُّ عَلَى الشَّارِبِ بِأَنْ يُجْلَسَ عَلَى
الْأَرْضِ، وَيُضْرَبَ عَلَى ظَهْرِهِ بَسَوطٍ مُعْتَدِلٍ بَيْنَ الْغِلْظَةِ وَالْحِفَّةِ ثَمَانِينَ جَلْدَةً. وَالْمَرَأَةُ
كَالرَّجُلِ غَيْرَ أَنَّهَا تَكُونُ مُسْتَوْرَةً بِثَوْبٍ رَقِيقٍ يَسْتُرُهَا وَلَا يَقِيهَا الضَّرْبَ.

[تَنْبِيهٌ]: لَا يَقَامُ عَلَى الشَّابِّ الْحَدُّ فِي حَالِ شِدَّةِ الْبَرْدِ، أَوِ الْحَرِّ، بَلْ يُنْتَظَرُ بِهِ
سَاعَاتٍ تَلَطَّفِ الْجَوِّ وَاعْتَدَالِهِ مِنَ النَّهَارِ، كَمَا لَا يَقَامُ عَلَيْهِ الْحَدُّ وَهُوَ سَكْرَانٌ وَلَا هُوَ
مَرِيضٌ بَلْ يُنْتَظَرُ بِهِ إِفَاقَتُهُ وَبَرُّوهُ.

المَادَّةُ الثَّانِيَّةُ: فِي حَدِّ الْقَذْفِ:

١ - تَعْرِيفُهُ: الْقَذْفُ هُوَ الرَّمْيُ بِالْفَاحِشَةِ كَأَنْ يَقُولَ امْرُؤٌ لآخر: يَا زَانِي أَوْ يَقُولَ:
أَنَّهُ رَأَى يَزْنِي، أَوْ يَأْتِي فَاحِشَةً كَذَا. . . مِنْ زَنَى أَوْ لَوَاطٍ.

٢ - حُكْمُهُ: الْقَذْفُ كَبِيرَةٌ مِنَ الْكِبَائِرِ، فَسَقَى اللَّهُ فَاعِلَهَا، وَأَسْقَطَ عَدَالَتَهُ،
وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ الْحَدَّ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ

(١) النساء.

شَهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً، وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^(١).

٣ - حَدِّ الْقَذْفِ ثَمَانُونَ جَلْدَةً بِالسُّوْطِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾، وَقَدْ جَلَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَهْلَ الْإِفْكِ ثَمَانِينَ جَلْدَةً^(٢).

٤ - الْحِكْمَةُ فِي حَدِّ الْقَذْفِ: هِيَ الْمَحَافَظَةُ عَلَى سَلَامَةِ عَرْضِ الْمُسْلِمِ وَصِيَانَةِ كَرَامَتِهِ. كَمَا أَنَّهَا الْمَحَافَظَةُ عَلَى طَهَارَةِ الْمَجْتَمَعِ مِنْ إِشَاعَةِ الْفَوَاحِشِ فِيهِ، وَانْتِشَارِ الرِّذَائِلِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ الْعُدُولُ الطَّاهِرُونَ.

٥ - شُرُوطُ إِقَامَةِ حَدِّ الْقَذْفِ: يُشْتَرَطُ فِي إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَى الْقَاضِي تَوْفُّرُ مَا يَلِي:

١ - أَنْ يَكُونَ الْقَاضِي مُسْلِمًا عَاقِلًا بَالِغًا.

٢ - أَنْ يَكُونَ الْمُقْدُوفُ عَفِيفًا غَيْرَ مَعْرُوفٍ بَيْنَ النَّاسِ بِالْفَاحِشَةِ.

٣ - أَنْ يُطَالِبَ بِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ، إِذْ هُوَ حَقٌّ لَهُ إِنْ شَاءَ اسْتَوْفَاهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ.

٤ - أَنْ لَا يَأْتِيَ الْقَاضِي بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءٍ يَشْهَدُونَ عَلَى صِحَّةِ مَا رَمَى بِهِ الْمُقْدُوفَ فَإِنْ سَقَطَ شَرْطٌ مِنْ هَذِهِ فَلَا حَدٌّ.

الْمَادَّةُ الثَّلَاثَةُ: فِي حَدِّ الزَّنى:

١ - تَعْرِيفُهُ: الزَّنى هُوَ الْوُطْءُ الْمَحْرَمُ فِي قُبُلٍ كَانَ أَوْ دُبُرٍ.

٢ - حُكْمُهُ: الزَّنى مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ بَعْدَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ وَقَتْلِ النَّفْسِ، وَمِنْ أَكْبَرِ الْفَوَاحِشِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، حَرَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(٣). وَوَضَعَ لِفَاعِلِهِ حَدًّا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً﴾^(٤). وَقَالَ فِيمَا أَنْزَلَهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَنَسَخَ لَفْظُهُ دُونَ حُكْمِهِ:

(١) النور.

(٣) الإسراء.

(٤) النور.

(٢) في الصحيح.

وَالشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ^(١). وَقَالَ فِيهِ الرَّسُولُ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٢). وَقَالَ ﷺ: لَمَّا سُئِلَ عَنْ أَعْظَمَ الذَّنْبِ: «أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةٍ جَارِكَ»^(٣).

٣ - حِكْمَةُ تَحْرِيمِهِ: مِنَ الْحِكْمَةِ فِي تَحْرِيمِ الزَّانَا الْمَحَافِظَةُ عَلَى طَهَارَةِ الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ، وَصِيَانَةُ أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ، وَطَهَارَةُ نَفْسِهِمْ، وَالْإِبْقَاءُ عَلَى كَرَامَتِهِمْ وَالْحِفَافُ عَلَى شَرِّ أَنْسَابِهِمْ وَصَفَاءِ أُرَاجِحِهِمْ.

٤ - حَدُّ الزَّانِي: يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ صَاحِبِهِ، فَإِنْ كَانَ الزَّانِي غَيْرَ مُحْصَنٍ وَهُوَ الَّذِي لَمْ يُسَبِّقْ لَهُ أَنْ تَزَوَّجَ زَوْجًا شَرْعِيًّا خَلَا فِيهِ بِالزَّوْجَةِ وَطِئَهَا فِيهِ، فَإِنَّهُ يُجْلَدُ مِائَةً جَلْدَةً وَيُغْرَبُ عَمَّا عَنْ بَلَدِهِ، وَالزَّانِيَةُ غَيْرُ الْمُحْصَنَةِ مِثْلُهُ إِلَّا أَنْ تُغْرِبَهَا إِنْ كَانَ يُسَبِّبُ مَفْسَدَةً فَلَا تُغْرَبُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً﴾ وَلِقَوْلِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «ضَرَبَ وَغْرَبَ، وَأَنْ أَبَا بَكْرٍ ضَرَبَ وَغْرَبَ، وَأَنْ عُمَرَ ضَرَبَ وَغْرَبَ»^(٤). وَإِنْ كَانَ عَبْدًا جُلِدَ خَمْسِينَ جَلْدَةً، وَلَمْ يُغْرَبْ لِمَا يَضِيعُ مِنْ حُقُوقِ سَيِّدِهِ مِنْ خِدْمَتِهِ لَهُ.

وَإِنْ كَانَ الزَّانِي مُحْصَنًا أَوْ مُحْصَنَةً رُجِمَ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ، لَمَّا كَانَ يُنْتَلَى وَنُسِخَ: «الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالًا مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ». وَلَأَمْرٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالرَّجْمِ وَفَعَلَهُ فَقَدْ رَجَمَ الْغَامِذِيَّةَ وَمَاعِزًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَرَجَمَ الْيَهُودِيَّيْنِ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا^(٥).

٥ - شُرُوطُ إِقَامَةِ حَدِّ الزَّانِي، يُشْتَرَطُ فِي إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَى الزَّانَا مَا يَلِي:

١ - أَنْ يَكُونَ الزَّانِي مُسْلِمًا عَاقِلًا، بَالِغًا مُخْتَارًا غَيْرَ مُكْرَهٍ، لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَالنَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَالْمَجْنُونِ حَتَّى يَفِيقَ»^(٦). وَقَوْلِهِ ﷺ: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالْيَسْبَانُ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»^(٧).

(١) ٣، ٢، ١) متفق عليه.

(٥) في الصحيح.

(٧) الطبراني بسند صحيح.

(٦) تقدم.

(٤) البخار.

٢ - أَنْ يَثْبَتَ الزَّانِي ثُبُوتًا قَطْعِيًّا، وَذَلِكَ بِإِقْرَارِهِ عَلَى نَفْسِهِ، وَهُوَ فِي خَالِيهِ الطَّبِيعِيَّةِ بَأَنَّهُ زَانٍ، أَوْ بِشَهَادَةِ أَرْبَعَةِ شُهَدَاءٍ عُدُولٍ بِأَنَّهُمْ رَأَوْهُ يَزْنِي وَشَاهَدُوا فُرْجَهُ فِي فُرْجِ الْمَزْنِي بِهَا كَالْمَرْوَدِّ فِي الْمَكْحَلَةِ وَالرَّشَا^(١) فِي الْبُيُوتِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَلْآيِ يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاستَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾^(٢).

ولقوله ﷺ لما عَزِيَ: «أَنكَحْتَهَا؟» قَالَ نَعَمْ، قَالَ كَمَا يَغِيبُ الْمَرْوَدُّ فِي الْمَكْحَلَةِ وَالرَّشَا فِي الْبُيُوتِ؟...»^(٣).

أَوْ بِظُهُورِ الْحَمْلِ إِنْ سُئِلَتْ عَنْهُ وَلَمْ تَوْتِ بَيِّنَةً تَدْرَأُ عَنْهَا الْحَدَّ كَكُونِهَا اغْتَصَبَتْ، أَوْ وَطِئَتْ بِشُبْهَةٍ، أَوْ بِجَهْلٍ لِتَحْرِيمِ الزَّانِي. فَإِنْ أَتَتْ بِشُبْهَةٍ لَمْ يَقُمْ عَلَيْهَا الْحَدُّ، لقوله ﷺ: «أَدْرُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ»^(٤)، وقوله ﷺ: لَوْ كُنْتُ رَاجِعًا أَحَدًا بِغَيْرِ بَيِّنَةٍ لَرَجَمْتُهَا، قَالَهُ فِي امْرَأَةِ الْعَجْلَانِي^(٥).

٣ - أَنْ لَا يَرْجِعَ الزَّانِي عَنْ إِقْرَارِهِ، فَإِنْ رَجَعَ قَبْلَ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ بِأَنْ كَذَّبَ نَفْسَهُ وَقَالَ لَمْ أَزِنْ لَمْ يَقُمْ عَلَيْهِ الْحَدُّ لَمَّا صَحَّ أَنْ مَا عَزَا لَمَّا ضُرِبَ بِالْحِجَارَةِ قَرًّا، وَلَكِنْ الصَّحَابَةُ أَدْرَكُوهُ وَضَرَبُوهُ حَتَّى مَاتَ، فَأَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ: فَهَلَّا تَرَكَتُمُوهُ! فَكَانَهُ ﷺ قَدْ اعْتَبَرَ فِرَارَهُ رُجُوعًا عَنْ اعْتِرَافِهِ. وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ هَارِبًا كَانَ يَقُولُ: رُدُّونِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِنْ قَوْمِي قَتَلُونِي وَغَرُّونِي مِنْ نَفْسِي، وَأَخْبَرُونِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ قَاتِلِي^(٦).

٦ - كَيْفِيَّةُ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَى الزَّانَةِ: أَنْ يُحْفَرَ لِلزَّانِي فِي الْأَرْضِ حُفْرَةٌ تَبْلُغُ إِلَى صَدْرِهِ فَيُوضَعُ فِيهَا وَيُرْمَى بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ بِمَحْضَرِ الْإِمَامِ أَوْ نَائِبِهِ، وَجَمَاعَةٍ مِنْ

(١) الرشا: الحبل.

(٢) النساء.

(٣) في الصحيح.

(٤) رواه ابن عدي وسكت عنه السيوطي، وروي مرفوعاً عن ابن مسعود في الصحيح.

(٥) متفق عليه.

(٦) في الصحيح.

المُسْلِمِينَ لَا يَقِلُّ عَذَابُهُمْ عَنْ أَرْبَعَةِ أَنْفَارٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وَالْمَرْأَةُ كَالرَّجُلِ غَيْرَ أَنَّهَا تَشُدُّ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا لِئَلَّا تَنْكَشِفَ.

هَذَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الرَّجْمِ. وَأَمَّا الْجِلْدُ لِغَيْرِ الْمُحْصَنِ، فَعَلَى كَيْفِيَّةِ حَدِّ الْقَذْفِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ.

[تَنْبِيهَان]:

● حَدُّ اللَّوَاظِ الرَّجْمُ حَتَّى أَلْمُوتِ بِلَا فَرْقٍ بَيْنَ الْمُحْصَنِ وَغَيْرِ الْمُحْصَنِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلِ قَوْمٍ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ»^(٢). وَقَدْ اخْتَلَفَتْ كَيْفِيَّةُ قَتْلِهِمَا عَنِ الصَّحَابَةِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَحْرَقَهُمَا بِالنَّارِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَتَلَهُمَا رَجْمًا بِالْحِجَارَةِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيهِمَا: يُنْظَرُ أَعْلَى بِنَاءٍ فِي الْقَرْيَةِ وَيُرْمَى بِهِمَا مِنْهُ مَنْكَسَيْنِ ثُمَّ يُتْبَعَانِ بِالْحِجَارَةِ.

● مَنْ أَتَى بِهِيمَةً وَجَبَ تَعْزِيرُهُ بِأَشَدِّ أَنْوَاعِ التَّعْزِيرِ مِنْ ضَرْبٍ وَسَجْنٍ لِإِتْيَانِهِ فَاحِشَةً مُحَرَّمَةً بِالْإِجْمَاعِ. وَلِيَكُونَ التَّعْزِيرُ الشَّدِيدُ مُقَوِّمًا لِانْجِرَافِ فُطْرَتِهِ، وَقَدْ وَرَدَتْ آثَارٌ فِي أَنَّهُ يُقْتَلُ وَتُقْتَلُ مَعَهُ الْبَهِيمَةُ الَّتِي أَتَاهَا غَيْرَ أَنَّهَا آثَارٌ لَمْ تُثَبِّتْ ثُبُوتًا تَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ فَيَكْتَفِي بِالتَّعْزِيرِ الْمَأْذُونِ فِيهِ لِلْإِمَامِ بِمَا يَكْفُلُ إِصْلَاحَ الْفَسَادِ.

● الْعَبْدُ وَالْأَمَةُ إِذَا زَنَيَا فَحَدُّهُمَا الْجِلْدُ فَقَطْ، وَلَوْ كَانَا مُحْصَنَيْنِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾^(٣). وَلَمَا كَانَ الْمَوْتُ لَا يُنْصَفُ تَعَيَّنَ الْجِلْدُ خَمْسِينَ جَلْدَةً دُونَ الرَّجْمِ.

وَاللَّسِيْدُ أَنْ يَجْلِدَ عَبْدَهُ أَوْ أَمَتَهُ، وَلَهُ أَنْ يَرْفَعَ أَمْرَهُمَا إِلَى الْإِمَامِ، لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أُمَةٍ سَوْدَاءَ زَنْتَ لِأَجْلِدََهَا الْحَدَّ فَوَجَدْتُهَا فِي دِمَهِهَا؛ فَأَخْبَرْتُ بِذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِذَا تَعَالَتْ مِنْ نَفَاسِهَا فَاجْلِدْهَا

(١) النور.

(٢) رواه أبو داود والترمذي، غيرهما صحيح.

(٣) النساء.

خَمْسِينَ»^(١). وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا زَنَتْ أُمَةٌ أَحَدَكُمْ فَتَبَيَّنَ زَنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ وَلَا يُثْرَبْ عَلَيْهَا»^(٢).

المادة الرابعة: في حد السرقة:

١ - تعريفها: السرقة أخذ المال المحرور على وجه الاختفاء كأن يدخل أحد دكاناً أو منزلاً فيأخذ منه ثياباً أو حَبّاً، أو ذهباً ونحو ذلك.

٢ - حكمها: السرقة كبيرة من الكبائر، حرمها الله تعالى بقوله: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣). ولعن رسول الله ﷺ مرتكبها فقال: «لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقَطَّعُ يَدُهُ»^(٤). ونفى عن صاحبها الإيمان حين فعلها، فقال ﷺ: «لَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»^(٥). وقال ﷺ في بيان أنها حد من حدود الله، يُقام على كل أحد: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ سَرَقَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ لَقُطِّعَتْ يَدُهَا»^(٥).

٣ - بم تثبت السرقة؟ تثبت السرقة بأحد أمرين: إما بإعتراف السارق الصريح بأنه سرق اعترافاً لم يلجأ إليه إلجاء بضرب أو تهديد. وإما بشهادة عدلين، يشهدان أنه سرق.

وإن رجع في اعترافه فلا تُقَطَّعُ يَدُهُ، وإنما عليه ضمان المسروق فقط، إذ قد يستحب أن يلحق الإنكار تلقيناً حفاظاً على يد المسلم، لقوله ﷺ: «ادْرُؤُوا الْحُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ مَا اسْتَطَعْتُمْ».

٤ - شروط القطع، يشترط في وجوب القطع توفر الشروط التالية:

١ - أن يكون السارق مكلفاً، عاقلاً، بالغاً، لحدوث: رفع القلم عن ثلاثة. ومن بينهم المجنون، والصبي.

(١) مسلم.

(٢) و(٥) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٦) مسلم.

(٣) المائدة.

- ٢ - أَنْ لَا يَكُونَ السَّارِقُ وَالِدًا لِصَاحِبِ الْمَالِ الْمَسْرُوقِ، وَلَا وَلَدًا لَهُ، وَلَا زَوْجًا
أَوْ زَوْجَةً، لِمَا لِكُلِّ مِنْهُمَا عَلَى الْآخَرِ مِنْ حُقُوقٍ فِي مَالِهِ.
- ٣ - أَنْ لَا يَكُونَ لِلسَّارِقِ شُبْهَةٌ مِلْكٍ فِي الْمَالِ الْمَسْرُوقِ بِأَيِّ أَوْجِهٍ الشُّبْهَةِ كَمَنْ
سَرَقَ رَهْنَهُ مِنَ الْمَرْتَهِنِ عِنْدَهُ، أَوْ أَجْرَتَهُ مِنَ الْمُسْتَأْجِرِ عِنْدَهُ.
- ٤ - أَنْ يَكُونَ الْمَسْرُوقُ مَالًا مُبَاحًا لَا خَمْرًا، أَوْ مِزْمَارًا مِثْلًا، وَأَنْ يَكُونَ بِالْغَا رُبْعٍ
دِينَارٍ فِي الْقِيَمَةِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَقْطَعْ الْيَدَ إِلَّا فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا»^(١).
- ٥ - أَنْ يَكُونَ الْمَالُ الْمَسْرُوقُ فِي حَرْزٍ كَذَارٍ، أَوْ دُكَّانٍ، أَوْ حَظِيرَةٍ، أَوْ صَنْدُوقٍ
وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يُعْتَبَرُ حَرْزًا.
- ٦ - أَنْ لَا يُؤْخَذَ الْمَالُ عَلَى وَجْهِ الْخَلْسَةِ وَهِيَ أَنْ يَخْتَفِ الشَّيْءُ مِنْ بَيْنِ يَدَيِّ
صَاحِبِهِ وَيَفِرُّ بِهِ هَارِبًا.
- أَوْ الْغَضْبُ وَهُوَ الْأَخْذُ عَلَى وَجْهِ الْغَلْبَةِ وَالْقَهْرِ، وَلَا عَلَى وَجْهِ الْإِنْتِهَابِ وَهُوَ
الْأَخْذُ عَلَى وَجْهِ الْغَنِيمَةِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَيْسَ عَلَى خَائِنٍ وَلَا مُنْتَهَبٍ وَلَا مُخْتَلِسٍ
قَطْعٌ»^(٢).
- ٥ - مَا يَجِبُ عَلَى السَّارِقِ، يَجِبُ عَلَى السَّارِقِ بَعْدَ إِذَانْتِهِ حَقَّانِ:
- ١ - ضَمَانُ^(٣) الْمَالِ الْمَسْرُوقِ إِنْ كَانَ بِيَدِهِ، أَوْ كَانَ مُوسِرًا، وَإِنْ تَلَفَ الْمَالُ
الْمَسْرُوقُ فَهُوَ فِي ذِمَّتِهِ لِمَنْ سَرَقَهُ مِنْهُ.
- ٢ - الْقَطْعُ، كَحَقِّيٍّ لِلَّهِ تَعَالَى، إِذِ الْخُدُودُ مَحَارِمُ اللَّهِ تَعَالَى. وَإِذَا لَمْ يَجِبِ
الْقَطْعُ لِعَدَمِ تَوْفِيرِ شُرُوطِهِ، فَضَمَانُ الْمَالِ لَا يَزِمُ لِصَاحِبِهِ قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا وَسَوَاءَ كَانَ
السَّارِقُ مُوسِرًا أَوْ مُعْسِرًا.

(١) مسلم.

(٢) الترمذي وابن حبان وصحاحه.

(٣) اختلف في السارق تقطع يده، فهل عليه ضمان المال المسروق؟ فقال أحمد والشافعي بالضمنان، وقال
مالك: يضمن الموسر دون المعسر وقال أبو حنيفة: لا ضمان عليه، لقول الرسول ﷺ: «أَنَا أَقِيمُ الْحَدَّ
عَلَى السَّارِقِ فَلَا غَرَمَ عَلَيْهِ». غير أن الحديث ضعيف.

٦ - كَيْفِيَّةُ الْقَطْعِ : أَنْ تُقَطَعَ كَفُّ السَّارِقِ الْيُمْنَى مِنْ مَفْصِلِ الْكَفِّ، لِقَرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: «فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمَا» ثُمَّ تُحَسَّمُ بِغَمْسِهَا فِي زَيْتٍ مَغْلِي لِيَسُدَّ أَفْوَاهَ الْعُرُوقِ فَيَنْقَطِعَ الدَّمُ. وَيُسْتَحَبُّ أَنْ تُعْلَقَ فِتْرَةٌ فِي عُنُقِ السَّارِقِ لِلْعِبْرَةِ^(١).

٧ - مَا لَا قَطْعَ فِيهِ : لَا يَجُوزُ الْقَطْعُ فِي سَرَقَةِ مَالٍ غَيْرِ مُحْرُوزٍ، وَلَا فِي مَالٍ لَا تَبْلُغُ قِيَمَتُهُ رُبْعَ دِينَارٍ، وَلَا فِي ثَمَرٍ فِي شَجَرٍ، أَوْ فِي ثَمَرٍ مِنْ نَخْلٍ، وَإِنَّمَا يُضَاعَفُ عَلَيْهِ ثَمَنُ الثَّمَرِ إِذَا اتَّخَذَ مِنْهُ خَبْنَةٌ، وَيُؤَدَّبُ بِالضَّرْبِ.

وَأَمَّا مَا يَأْكُلُهُ فِي بَطْنِهِ فَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، لِقَوْلِهِ ﷺ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ الْحَرِيسَةِ^(٢) الَّتِي تُوْخَذُ مِنْ مَرَاتِعِهَا قَالَ: «فِيهَا ثَمَنُهَا مَرَّتَيْنِ، وَضَرْبُ نَكَالٍ، وَمَا أُخِذَ مِنْ عَطْنِهَا^(٣) فَفِيهِ الْقَطْعُ إِذَا بَلَغَ مَتَّ يُؤْخَذُ مِنْ ذَلِكَ ثَمَنُ الْمَجْنِ^(٤)»، وَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَالْثِمَارُ وَمَا أُخِذَ مِنْهَا فِي أَكْثَامِهَا؟ قَالَ: «مَنْ أَخَذَ بِفَمِهِ وَلَمْ يَتَّخِذْ خَبْنَةً فَلَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَمَا احْتَمَلَ فَعَلَيْهِ ثَمَنُهُ مَرَّتَيْنِ وَضَرْبُ نَكَالٍ، وَمَنْ أَخَذَ مِنْ أَجْرَانِهِ^(٥) فَفِيهِ الْقَطْعُ إِذَا بَلَغَ مَا يُؤْخَذُ مِنْ ذَلِكَ ثَمَنُ الْمَجْنِ^(٦)».

[تَنْبِيهَاتٌ]:

● إِذَا عَفَا صَاحِبُ الْمَالِ عَنِ السَّارِقِ وَلَمْ يَرْفَعْهُ إِلَى السُّلْطَانِ فَلَا قَطْعَ، وَإِنْ رَفَعَهُ إِلَيْهِ وَجَبَ الْقَطْعُ وَلَمْ تَنْفَعْهُ شَفَاعَةُ أَحَدٍ بَعْدَ ذَلِكَ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «فَهَلَّا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِ»^(٧)، قَالَ ذَلِكَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَعْفُوَ عَنِ السَّارِقِ بَعْدَ إِذَانَةِ السَّارِقِ وَحُضُورِهِ لَدَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِلْحُكْمِ عَلَيْهِ.

(١) لما روى الترمذي وغيره بسند ضعيف: «أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بيد سارق فقطعت، ثم أمر بها فعلقت في عنقه».

(٢) الحريسة التي تؤخذ من موضع الرعي كالغابات والجبال وما إليها، من أماكن رعي الحيوانات.

(٣) العطن: موضع بروك الإبل، وهو المراح للغنم، والمراد به: مكان إيواء الإبل والغنم والبقر.

(٤) المجن: الترس أو ما وقى من السلاح.

(٥) الجرن والجمع أجران: وهو موضع تجفيف الثمر.

(٦) أحمد والنسائي ورواه ابن ماجه بمعناه والترمذي وحسنه والحاكم وصححه.

(٧) أصحاب السنن، وصححه الحاكم وابن الجارود.

● تَحْرُمُ الشَّفَاعَةُ فِي الْحُدُودِ إِذَا وَصَلَتْ إِلَى السُّلْطَانِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ»^(١). ولِقَوْلِهِ ﷺ لِإِسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أُتَشَفَّعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ؟»^(٢).

● حُكْمُ الرَّجُلِ الَّذِي يَسْطُو عَلَى الْمَنَازِلِ وَيَقْتُلُ أَهْلَهَا وَيَأْخُذُ أَمْوَالَهُمْ حُكْمُ الْمُحَارِبِينَ.

الْمَادَّةُ الْخَامِسَةُ: فِي حَدِّ الْمُحَارِبِينَ:

١ - تَعْرِيفُهُمْ: الْمُرَادُ بِالْمُحَارِبِينَ هُنَا: نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَشْهَرُونَ السِّلَاحَ فِي وَجُوعِ النَّاسِ فَيَقْطَعُونَ طَرِيقَهُمْ بِالسَّطْوِ عَلَى الْمَارَّةِ وَقَتْلِهِمْ وَأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ بِمَا لَهُمْ مِنْ شَوْكَةٍ وَقُوَّةٍ.

٢ - حُكْمُهُمْ، أَحْكَامُ الْمُحَارِبِينَ هِيَ:

١ - أَنْ يُوعَظُوا وَتُطَلَّبَ مِنْهُمْ التَّوْبَةُ، فَإِنْ تَابُوا قُبِلَتْ تَوْبَتُهُمْ وَإِنْ أَبَوْا فُوتِلُوا، وَقَتْلُهُمْ جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ فَدَمُهُ هَدَرٌ، وَمَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَشَهِيدٌ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٣).

٢ - مَنْ أَخَذَ مِنَ الْمُحَارِبِينَ قَبْلَ تَوْبَتِهِ أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ إِمَّا بِالْقَتْلِ أَوْ الصَّلْبِ أَوْ قَطْعِ الْيَدَيْنِ أَوْ الرَّجْلَيْنِ أَوْ النَّفْيِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾^(٤). وَلَمَّا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْعُرَيْنِيِّ الَّذِينَ أَخَذُوا إِبِلَ الصَّدَقَةِ وَقَتَلُوا رَاعِيَهَا وَفَرُّوا^(٥).

فَإِذَا مَا مُخِيرٌ فِي إِنْزَالِ هَذِهِ الْعُقُوبَاتِ بِهِمْ. وَيَرَى بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ يُقْتَلُونَ إِذَا قَتَلُوا، وَتُقَطَّعُ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ إِذَا أَخَذُوا أَمْوَالًا، وَيُنْفَوْنَ أَوْ يُسَجَّنُونَ إِذَا لَمْ يُصِيبُوا دَمًا وَلَا مَالًا حَتَّى يَتُوبُوا.

(١) أَبُو دَاوُدَ وَالحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ. (٣) الْحِجَرَاتُ

(٥) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(٤) الْمَائِدَةُ.

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

٣ - إِذَا تَابُوا قَبْلَ أَنْ يُقَدَّرَ عَلَيْهِمْ بَأَن تَرَكُوا الْحَرَابَةَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَسَلَّمُوا أَرْوَاحَهُمْ
لِلْمُسْلِمِينَ سَقَطَ عَنْهُمْ حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى ، وَبَقِيَ عَلَيْهِمْ حَقُّو الْعِبَادِ فَيُحَاكَمُونَ فِي الدِّمَاءِ
وَالْأَمْوَالِ فَيُضْمَنُونَ الْأَمْوَالَ وَيُقَادُونَ فِي الْأَرْوَاحِ إِلَّا أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ الدِّيَّةُ ، أَوْ يُعْفَى
عَنْهُمْ ، إِذْ كُلُّ ذَلِكَ جَائِزٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١) . وَلَا مَا يَنْعَمُ مِنْ أَنْ يَدِيَ عَنْهُمْ الْإِمَامُ ، أَوْ يَغْرِمَ عَنْهُمْ مَا
أَخَذُوا مِنْ أَمْوَالٍ إِنْ لَمْ تَكُنْ بِأَيْدِيهِمْ وَلَا فِي حُوزَتِهِمْ .

المادة السادسة : في أهل البغي^(٢) :

تعريفهم : أهل البغي هم الجماعة ذات الشرية والقوة تخرج عن الإمام
بتأويل سائغ معقول كأن يظنوا كفر الإمام ، أو خيفه وظلمه ، فيتعصبون ويرفضون
طاعته ويخرجون عنه .

أحكامهم : ١ - أَنْ يُرَاسِلَهُمُ الْإِمَامُ وَيَتَّصِلَ بِهِمْ فَيُسْأَلُونَ عَمَّا يَنْقِمُونَ مِنْهُ ، وَعَنْ
أَسْبَابِ خُرُوجِهِمْ عَنْهُ ، فَإِنْ ذَكَرُوا مَظْلَمَةَ لَهُمْ ، أَوْ لغيرهم أزالها الإمام ، وَإِنْ ادَّعَوْا
شُبْهَةً مِنَ الشُّبْهِ كَشَفَهَا الْإِمَامُ لَهُمْ وَبَيَّنَّ الْحَقَّ مِنْهَا ، وَذَكَرَ لَهُمْ دَلِيلَهُ فِيهَا ، فَإِنْ فَأَوْوا
إِلَى الْحَقِّ قَبِلَتْ فَيُتُّهُمْ وَإِنْ أَبَوْا قَاتَلُوا وَجُوباً مِنْ كَافَّةِ الْمُسْلِمِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَإِنْ
طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا
الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٣) .

٢ - لَا يَنْبَغِي قِتَالُهُمْ بِمَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُبِيدَهُمْ كَالْقَصْفِ بِالطَّائِرَاتِ أَوْ الْمَدَافِعِ
الْمَدْمَرَةِ . وَإِنَّمَا يُقَاتَلُونَ بِمَا يَكْسِرُ شَوْكَتَهُمْ وَيُرْغِمُهُمْ عَلَى التَّسْلِيمِ فَقَطْ .

٣ - لَا يَجُوزُ قَتْلُ ذُرَارِيهِمْ وَلَا نَسَائِهِمْ وَلَا مُصَادَرَةُ أَمْوَالِهِمْ .

٤ - لَا يَجُوزُ لَهُمْ الْإِجْهَازُ عَلَى جَرِيحِهِمْ ، كَمَا لَا يَجُوزُ قَتْلُ أَسِيرِهِمْ وَلَا قَتْلُ
مُدَبِّرٍ هَارِبٍ مِنْهُمْ ، لِقَوْلِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ الْجَمَلِ : «لَا يُقْتَلَنَّ مُدَبِّرٌ ، وَلَا

(٣) الحجرات .

(٢) البغي : هو الظلم والاعتداء .

(١) المائدة .

بُجْهَزُ عَلَى جَرِيحٍ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»^(١).

٥ - إِذَا انْتَهَتْ الْحَرْبُ وَاَنْهَزُمُوا فَلَا يُقَادُ مِنْهُمْ وَلَا يُطَالَبُونَ بِشَيْءٍ سِوَى التَّوْبَةِ وَالرُّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأُصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢)

[تَنْبِيْهٌ]: إِذَا اقْتَتَلَتْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِعَصِيَّةٍ أَوْ مَالٍ أَوْ مَنْصِبٍ بِدُونِ تَأْوِيلٍ ، فَهُمَا ظَالِمَتَانِ مَعًا ، وَتُضْمَنُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَا أَتَلَفَتْ مِنْ نَفْسٍ وَمَالٍ لِلْآخَرَى .

المادة السابعة: في بيان من يُقتلُ حدًّا:

أ - المرتدُّ:

١ - تعريفه: المرتدُّ هو من ترك دين الإسلام إلى دين آخر كالنصرانية أو اليهودية مثلاً أو إلى غير دين، كالمُلاحدين والشُّبُوعيين وهو عاقلٌ مختارٌ غيرُ مكرهٍ .

٢ - حكمه: حكمُ المرتدِّ أن يُدعى إلى العودة إلى الإسلام ثلاثة أيامٍ ، ويُشدَّد عليه في ذلك ، فإن عادَ إلى الإسلام وإلا قُتِلَ بالسيفِ حدًّا ، لقوله ﷺ : «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(٣) . وقوله ﷺ : لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِأَحَدِي ثَلَاثٍ : الشَّيْبُ الزَّانِي ، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمَفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ»^(٤) .

٣ - حكمه بعد القتل: إِذَا قُتِلَ الْمُرْتَدُّ فَلَا يَغْسَلُ وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ وَلَا يَدْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا يُورَثُ وَمَا تَرَكَ مِنْ مَالٍ يَكُونُ فَيْثًا لِلْمُسْلِمِينَ يُصْرَفُ فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ لِلأُمَّةِ ، لقوله تَعَالَى : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ، وَقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ : «لَا يَرِثُ الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ وَلَا الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ»^(٥) . وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَحْكَامِ الْمُرْتَدِّ هَذِهِ .

(٣) البخاري .

(١) رواه سعيد بن منصور وروى بمعناه ابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي .

(٤) و(٥) متفق عليه .

(٢) الحجرات .

٤ - مَا يُكْفَرُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ: كُلُّ مَنْ سَبَّ اللَّهَ تَعَالَى، أَوْ سَبَّ رَسُولًا مِنْ رُسُلِهِ أَوْ مَلَكَاً مِنْ مَلَائِكَتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَقَدْ كَفَرَ.

وَكُلُّ مَنْ أَنْكَرَ رُبُوبِيَّةَ أَوْ ألُوْهِيَّةَ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ رِسَالَةَ رَسُولٍ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، أَوْ زَعَمَ أَنَّ نَبِيًّا يَأْتِي بَعْدَ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَدْ كَفَرَ.

وَكُلُّ مَنْ جَحَدَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ الشَّرْعِ الْمَجْمَعِ عَلَيْهَا كَالصَّلَاةِ أَوْ الْمَزَكَاةِ أَوْ الصِّيَامِ أَوْ الْحَجِّ أَوْ يَرِ الْوَالِدَيْنِ أَوْ الْجِهَادِ مَثَلًا فَقَدْ كَفَرَ.

وَكُلُّ مَنْ اسْتَبَاحَ مُحَرَّمًا مَجْمَعًا عَلَى تَحْرِيمِهِ مَعْلُومًا بِالضَّرُورَةِ مِنَ الشَّرْعِ، كَالزَّيْنِ أَوْ شُرْبِ الْخَمْرِ أَوْ السَّرْقَةِ أَوْ قَتْلِ النَّفْسِ أَوْ السِّحْرِ مَثَلًا فَقَدْ كَفَرَ.

وَكُلُّ مَنْ جَحَدَ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ آيَةً مِنْهُ أَوْ حَرْفًا فَقَدْ كَفَرَ.

وَكُلُّ مَنْ جَحَدَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى كَكُونِهِ حَيًّا، عَلِيمًا، سَمِيعًا بَصِيرًا، رَحِيمًا فَقَدْ كَفَرَ.

وَكُلُّ مَنْ أَظْهَرَ اسْتِخْفَافًا بِالَّذِينَ فِي فَرَائِضِهِ أَوْ سَنَنِهِ أَوْ تَهَكُّمًا بِذَلِكَ أَوْ احْتَقَرَهُ أَوْ رَمَى بِالْمُضْحَفِ فِي قَدْرِ أَوْ دَاسُهُ بِرَجْلِهِ إِهَانَةً لَهُ وَاحْتِقَارًا فَقَدْ كَفَرَ.

وَكُلُّ مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ لَا بَعْثَ أَوْ أَنَّ لَا عَذَابَ وَلَا نَعِيمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ أَنَّ الْعَذَابَ وَالنَّعِيمَ مَعْنَوِيَانِ فَقَطْ فَقَدْ كَفَرَ.

وَكُلُّ مَنْ قَالَ إِنْ الْأَوْلِيَاءُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، أَوْ أَنَّ الْعِبَادَةَ تَسْقُطُ عَنْ بَعْضِ الْأَوْلِيَاءِ فَقَدْ كَفَرَ.

وَأَدِلَّةُ هَذَا كُلِّهِ الْاجْتِمَاعُ الْعَامُّ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أِبَاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ؟ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^(١). فَإِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ دَالَّةٌ عَلَى كُلِّ مَنْ أَظْهَرَ اسْتِهْزَاءً بِاللَّهِ أَوْ صِفَاتِهِ أَوْ شَرِيعَتِهِ أَوْ رَسُولِهِ فَقَدْ كَفَرَ.

٥ - حُكْمُ مَنْ كَفَرَ بِسَبَبٍ مَا ذُكِرَ: حُكْمُ مَنْ كَفَرَ بِسَبَبٍ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ أَنَّهُ يُسْتَتَابُ

(١) التوبة.

ثَلَاثًا، فَإِنْ تَابَ مِنْ قَوْلِهِ أَوْ مَعْتَقَدِهِ وَإِلَّا قُتِلَ حَدًّا، وَحُكِّمَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ حُكْمُ الْمَرْتَدِّ.

وَأَسْتَشْنَى أَهْلَ الْعِلْمِ مِنْ سَبِّ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ رَسُولِهِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ فِي الْحَالِ، وَلَا تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ. وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَرَى أَنَّهُ يَسْتَتَابُ وَتَوْبَتُهُ تُقْبَلُ فَيَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى وَيَتُوبُ إِلَيْهِ.

[تَنْبِيْهُ]: مَنْ قَالَ كَلِمَةَ الْكُفْرِ مُكْرَهًا تَحْتَ ضَرْبٍ أَوْ تَهْدِيدٍ، وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿... إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ، وَلَكِنْ مِنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا...﴾^(١).

ب - الزَّانِدِيُّ:

١ - تَعْرِيفُهُ: الزَّانِدِيُّ هُوَ مَنْ يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ، وَيُخْفِي الْكُفْرَ، كَمَنْ يَكْذِبُ بِالْبُعْثِ أَوْ يُنْكِرُ رِسَالَاتَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، أَوْ لَا يُؤْمِنُ بِالْقُرْآنِ أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْهَرَ بِذَلِكَ أَوْ يُصْرِّحَ بِهِ لَخَوْفِهِ أَوْ ضَعْفِهِ.

٢ - حُكْمُهُ: حُكْمُ الزَّانِدِيِّ أَنَّهُ مَتَى عُثِرَ عَلَيْهِ وَعُرِفَتْ حَالُهُ قُتِلَ حَدًّا، وَقِيلَ يَسْتَتَابُ وَهُوَ أَحْسَنُ وَأَوْلَى، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ، وَحُكْمُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ حُكْمُ الْمَرْتَدِّ فِي سَائِرِ أَحْكَامِهِ مِنْ أَنَّهُ لَا يُغْسَلُ وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ.

ج - السَّاجِرُ:

١ - تَعْرِيفُهُ: السَّاجِرُ مَنْ يَتَعَاطَى السِّحْرَ وَيَعْمَلُ بِهِ.

٢ - حُكْمُهُ: حُكْمُ السَّاجِرِ أَنَّهُ يُنْظَرُ فِي عَمَلِهِ فَإِنْ كَانَ مَا يَأْتِيهِ مِنَ الْأَعْمَالِ أَوْ مَا يَقُولُهُ مِنَ الْأَقْوَالِ يُكْفَرُ بِهِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ لِقَوْلِهِ ﷺ: «حَدُّ السَّاجِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ»^(٢)، وَإِنْ كَانَ مَا يَفْعَلُهُ أَوْ يَقُولُهُ لَيْسَ فِيهِ مَا يُكْفَرُ بِهِ، فَإِنَّهُ يَعْزُرُ وَيَسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ لِأَنَّهُ

(١) النحل.

(٢) الترمذي والدارقطني مرفوعاً وموقوفاً والموقوف صحيح والمرفوع ضعيف وبالعمل به قال مالك والشافعي وأحمد ومن قبلهم الكثير من الصحابة والتابعين رحمهم الله تعالى ورضي عنهم أجمعين.

يَخْلُو مِنْ فَعْلٍ أَوْ قَوْلٍ مَا يُكْفِّرُ بِهِ لِعُمُومِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا : إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾^(٢). وقوله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾^(٣).

د - تَارِكُ الصَّلَاةِ :

١ - تَعْرِيفُهُ : تَارِكُ الصَّلَاةِ هُوَ مَنْ يَتْرُكُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ تَهَاوُنًا بِهَا، أَوْ جُحُودًا لَهَا.

حُكْمُهُ : حُكْمُ تَارِكِ الصَّلَاةِ أَنَّهُ يُؤْمَرُ بِهَا وَيَكْرَرُ عَلَيْهِ الْأَمْرُ بِهَا، وَيُؤَخَّرُ إِلَى أَنْ يَبْقَى مِنَ الْوَقْتِ الضَّرُورِيِّ لِلصَّلَاةِ مَا يَتَسَبَّحُ لِرَكْعَةٍ، فَإِنْ صَلَّى وَإِلَّا قُتِلَ حَدًّا لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾^(١). وقول الرسول ﷺ : «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ»^(٢).

[تَنْبِيهَاتُ] :

● تَأْخِيرُ تَارِكِ الصَّلَاةِ إِلَى أَنْ يَبْقَى مِنَ الْوَقْتِ مَا يَتَسَبَّحُ لَصَلَاةِ رَكْعَةٍ، ثُمَّ إِنْ امْتَنَعَ مِنَ الصَّلَاةِ قُتِلَ حَدًّا، هُوَ مَذْهَبُ مَالِكٍ. وتأخيرُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مَذْهَبُ أَحْمَدَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

● مَنْ ارْتَدَّ بِسَبَبِ جُحُودِهِ مَعْلُومًا مِنَ الدِّينِ بِالضَّرُورَةِ لَا تَقْبَلُ تَوْبَتُهُ إِنْ تَابَ إِلَّا بِالْإِقْرَارِ بِمَا جَحَدَ بِهِ زِيَادَةً عَلَى النُّطْقِ بِالشَّهَادَتَيْنِ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنْ ذَنْبِهِ.

● الْمَرَادُ بِكَلِمَةِ (حَدٍّ) فِي قَوْلِنَا فِي الْمَرْتَدِّ وَالزَّانِدِ وَالسَّاجِرِ يَقْتُلُ حَدًّا : أَنَّهُ الْعُقُوبَةُ الشَّرْعِيَّةُ، كَقَوْلِهِ ﷺ : حَدُّ السَّاجِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ. فَهِيَ بِمَعْنَى يُقْتَلُ شَرْعًا بِجَنَائِيَّتِهِ الَّتِي هِيَ الرَّدَّةُ أَوْ الزَّنْدَقَةُ أَوْ السَّحَرُ وَهِيَ كُلُّهَا كُفْرٌ، وَمَنْ مَاتَ كَافِرًا كَمَا بَيَّنَّا، فَلَا يُورَثُ وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ وَلَا يُدْفَنُ فِي مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ.

(٢) و(٣) البقرة.

(١) التوبة.

(٢) متفق عليه.

المادة الثامنة: في التعزير:

١ - تعريفه: التعزير التأديب بالضرب، أو الشتم، أو المقاطعة أو النفي.

٢ - حكمه: التعزير واجب في كل معصية لم يضع الشارع لها حداً، ولا كفارة وذلك كالسرقة التي لم تبلغ نصاب القطع، أو كالمس الاجنبية أو قبلتها، أو كسب لمسلم بغير لفظ القذف أو ضربة بغير جرح أو كسر عضو مثلاً.

أحكامه، أحكام التعزير هي:

١ - إن كان ضرباً أن لا يتجاوز عشر ضربات بالسوط، لقول الرسول ﷺ: «لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله تعالى»^(١).

٢ - أن يجتهد السلطان في التعزير ويضع لكل حال ما يناسبها، فإذا كان الشتم كافياً في روع المخالف أو تأديبه اكتفي بشتمه، وإذا كان حبس يوم ولية كافياً اكتفي به عن الحبس أكثر، وإذا كانت الغرامة البسيطة تردع اكتفي بها عن الغرامة الفادحة وهكذا، إذ المقصود من التعزير التربية والتأديب لا التعذيب والإنقام. فقد أدب رسول الله ﷺ أبا ذر بقوله: «إنك امرؤ بك جاهلية»^(٢) وقال: «قولوا لمن باع واشترى في المسجد لا أربح الله تجارتك»^(٣). ولمن نشد ضالة في المسجد: «لا رد الله عليك فإن المسجد لا أربح المساجد لم تبين لهذا»^(٤)، كما أمر بمقاطعة الثلاثة الذين تخلفوا عن الجهاد بلا عذر، واكتفى منهم بذلك^(٥) وأمر المخشين أن يبعدوا عن المدينة وحبس^(٦) رجلاً في تهمه يوماً وليلة، وضاعف الغرامة على من اتخذ خبنة من التمر الذي لم يزل في النخل إلى غير ذلك من أنواع التعزير الثابت عنه ﷺ، والذي كان المقصود منه تأديب المسلم وتربيته.

(١) متفق عليه.

(٢) في الصحيح.

(٣) البخاري.

(٤) أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والحاكم وصححه،

(٥) رواه الترمذي.

(٦) رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه.

(٧) مسلم.

الفصل الحادي عشر

في أحكام القضاء، والشهادات

وفيه ثلاث مواد:

المادة الأولى: في القضاء:

١ - تعريفه: القضاء بيان الأحكام الشرعية وتنفيذها.

٢ - حكمه: القضاء من فروض الكفاية، فعلى الإمام أن ينصب في كل بلد من بلاد ولايته قاضياً ينوب عنه في تبين الأحكام الشرعية، وإلزام الرعية بها، لقوله ﷺ: «لَا يَحِلُّ لثَلَاثَةٍ يَكُونُونَ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا أَمَرُوا عَلَيْهِمْ أَحَدُهُمْ»^(١).

٣ - خطر منصب القضاء: منصب القضاء من أخطر المناصب وأعظمها شأنًا، إذ هو نيابة عن الله تعالى، وخلافة لرسوله ﷺ، فلهذا حذر منه رسول الله ﷺ، ونبه إلى خطورته، بقوله: «من جِعلَ قاضياً بينَ الناسِ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ»^(٢). وقال ﷺ: «القضاة ثلاثة: واحد في الجنة، واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عَرَفَ الْحَقَّ وَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ وَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ»^(٣) وقال لعبيد الرحمن: «يا عبيد الرحمن بن سُمرة لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها»^(٤). وقوله ﷺ: «سَيَحْرِصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ وَسَتَكُونُ

(١) أحمد وله متابعات وشواهد قاضية بصحته.

(٢) رواه الترمذي وصححه.

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي والحاكم وصححه.

(٤) متفق عليه.

ندامةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنِعَمَ الْمُرْضِعَةُ، وَبَشَسَ الْفَاطِمَةُ»^(١).

٤ - لَا يُؤَلَّى الْقَضَاءُ مَنْ يَطْلُبُهُ: لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَنَدَ مَنْصِبُ الْقَضَاءِ لِرَجُلٍ طَلَبُهُ، أَوْ لِرَجُلٍ يَحْرِصُ عَلَى الْحُصُولِ عَلَيْهِ، لِأَنَّ الْقَضَاءَ تَبَعَةٌ ثَقِيلَةٌ، وَأَمَانَةٌ عَظِيمَةٌ لَا يَطْلُبُهَا إِلَّا مُسْتَحْفٌ بِشَانِهَا، مُسْتَهْيٍ بِحَقِّهَا، لَا يُؤْمَنُ أَنْ يَخُونَهَا، وَيَعْبَثَ بِهَا، وَفِي ذَلِكَ مِنْ فَسَادِ الدِّينِ وَالْبِلَادِ وَالْعِبَادِ مَا لَا يُتَحَمَّلُ وَلَا يُطَاقُ، وَلِذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُوَلِّي هَذَا الْعَمَلَ أَحَدًا يُسْأَلُهُ أَوْ أَحَدًا يَحْرِصُ عَلَيْهِ»^(٢). وَقَالَ ﷺ: «إِنَّا لَنَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مِنْ أَرَادَهُ»^(٣).

٥ - شُرُوطُ تَوَلِيَةِ الْقَضَاءِ: لَا يُؤَلَّى مَنْصِبُ الْقَضَاءِ إِلَّا مَنْ تَوَفَّرَتْ فِيهِ الصِّفَاتُ الْآتِيَةُ: الْإِسْلَامُ، الْعَقْلُ، الْبُلُوغُ، الْحَرِيَّةُ، الْعِلْمُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مَعْرِفَةُ مَا يَقْضِي بِهِ، الْعَدَالَةُ^(٤)، وَأَنْ يَكُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا مُتَكَلِّمًا.

٦ - آدَابُ الْقَاضِي: عَلَى مَنْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ أَنْ يَلْتَزِمَ الْآدَابَ التَّالِيَةَ:

أَنْ يَكُونَ قَوِيًّا مِنْ غَيْرِ غُنْفٍ، وَلِينًا مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ فِيهِ ظَالِمٌ، وَلَا يَهَابُهُ صَاحِبُ حَقٍّ. وَأَنْ يَكُونَ حَلِيمًا فِي غَيْرِ مَهَانَةٍ حَتَّى لَا يَتَجَرَّأَ عَلَيْهِ سَفَهَاءُ الْخُصُومِ، وَأَنْ يَكُونَ ذَا أَنَاةٍ وَزَوِيَّةٍ فِي غَيْرِ مُمَاطَلَةٍ وَلَا إِهْمَالٍ، وَأَنْ يَكُونَ فِطْنًا ذَا بَصِيرَةٍ فِي غَيْرِ إِعْجَابٍ بِنَفْسِهِ، وَلَا اسْتِخْفَافٍ بِغَيْرِهِ.

وَأَنْ يَكُونَ مَجْلِسُهُ فِي وَسْطِ الْبَلَدِ فَيَسِحَّ يَسْعُ الْخُصُومَ، وَلَا يَضِيقُ مِنَ الشُّهُودِ، يَعْدِلُ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ فِي لِحْظِهِ، وَنَظَرِهِ، وَمَجْلِسِهِ، وَالدُّخُولِ عَلَيْهِ، فَلَا يُؤْزِرُ خَصْمًا دُونَ آخَرَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ. وَأَنْ يَحْضُرَ مَجْلِسَهُ الْفُقَهَاءُ، وَأَهْلُ الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَنْ يُشَاوِرَهُمْ فِيمَا يَشْكُلُ عَلَيْهِ.

مَا يَلْزَمُ الْقَاضِي تَحَاشِيهِ: يَلْزَمُ الْقَاضِي أَنْ يَتَحَاشَى أُمُورًا كَثِيرَةً وَيَبْعُدَ عَنْهَا، وَهِيَ:

(٤) أَنْ يَكُونَ غَيْرَ فَاسِقٍ بِذَنْبٍ مِنَ الذُّنُوبِ.

(٢) وَ(٣) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

(١) الْبُخَارِيُّ.

١ - أن يحكّم وهو غضبان، أو شاعرٌ بتأثيرٍ من مَرَضٍ، أو جُوعٍ، أو عَطَشٍ، أو حَرٍّ، أو بَرْدٍ، أو سَامَةٍ، أو كَسَلٍ، لقوله ﷺ: «لَا يَقْضِيَنَّ حَاكِمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانٌ»^(١).

٢ - أن يحكّم بِدُونِ حُضُورِ شُهَدَاءٍ.

٣ - أن يحكّم لنفسه، أو لِمَنْ لَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ لَهُمْ كَالْوَلَدِ وَالْوَالِدِ وَالزَّوْجَةِ.

٤ - أن يَقْبَلَ رِشْوَةً عَلَى حُكْمٍ، لقوله ﷺ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الرَّأِشِيِّ وَالْمَرْتَشِيِّ فِي الْحُكْمِ»^(٢).

٥ - أن يَقْبَلَ هَدِيَّةً مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ يُهَادِيهِ قَبْلَ تَوَلِّيَتِهِ الْقَضَاءَ، لقوله ﷺ: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ»^(٣).

٨ - وَلَايَةُ الْقَاضِي: تَتَنَاوَلُ وَلَايَةُ الْقَاضِي، وَيَدْخُلُ تَحْتَ اخْتِصَاصٍ مَنْصِبِهِ مَا يَلِي:

١ - الْفَصْلُ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمِينَ فِي سَائِرِ الدَّعَاوِي وَالْقَضَايَا، بِأَحْكَامٍ نَافِذَةٍ، أَوْ بِصُلْحٍ يُرْضِي الطَّرَفَيْنِ عِنْدَ تَعَارُضِ الْبَيِّنَاتِ أَوْ خَفَاءِ الْحُجَجِ أَوْ ضَعْفِهَا.

٢ - قَهْرُ الظَّلَمَةِ وَالْمُبْطِلِينَ، وَنُصْرَةُ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْمُظْلُومِينَ، وَإِصَالُ الْحَقِّ إِلَى أَهْلِهِ.

٣ - إِقَامَةُ الْحُدُودِ، وَالْحُكْمُ فِي الدِّمَاءِ وَالْجَرَاحَاتِ.

٤ - النَّظَرُ فِي الْأَنْكِحَةِ، وَالطَّلَاقِ، وَالنِّفَاقِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ.

٥ - النَّظَرُ فِي أَمْوَالِ غَيْرِ الرَّاشِدِينَ مِنْ يَتَامَى وَمَجَانِينَ وَعُيُوبٍ وَمَحْجُورٍ عَلَيْهِمْ.

٦ - النَّظَرُ فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ فِي الْبَلَدِ مِنْ طُرُقَاتٍ وَمَرَافِقٍ، وَغَيْرِهَا.

(١) متفق عليه.

(٢) أحمد وأبو داود والترمذي وصححه.

(٣) أبو داود والحاكم وفي سنده ضعف غير أن له شاهداً في مسلم: «مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ فَكُنْتُمْ مَخِيطًا فَمَا فَوْقَهُ كَانَ ذَلِكَ غُلُولًا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

٧ - الأمر بالمعروف، وإلزام الناس بفعله، والنهي عن المنكر وتغييره، وإزالة أثره من البلاد.

٨ - إمامة الجمعة والأعياد.

٩ - بِمَ يَحْكُمُ الْقَاضِي؟: أَدَاةُ الْحُكْمِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا الْقَاضِي إِلَى إِصْطِلَاحِ الْحُقُوقِ إِلَى أَصْحَابِهَا أَرْبَعٌ، وَهِيَ:

١ - الإقرار، وهو اعتراف المدعى عليه فيه من حق، لقوله ﷺ: «فَإِنْ اعْتَرَفْتَ فَارْجُمَهَا»^(١).

٢ - البينة، وهي الشهود، لقوله ﷺ: «الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ»^(٢). وقوله ﷺ: «شَاهِدَاكَ أَوْ يَمِينُهُ»^(٣). وَأَقْلُ الشُّهُودِ اثْنَانِ فَإِنْ لَمْ يَكُنَا فَشَاهِدٌ وَيَمِينٌ، لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْهُمَا: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَضَى بَيِّمِينَ وَشَاهِدٍ»^(٤).

٣ - الْيَمِينُ: لِقَوْلِهِ ﷺ: «الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ، فَإِذَا عَجَزَ الْمُدَّعِي أَعْلَى إِحْضَارِ الْبَيِّنَةِ حَلَفَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ يَمِينًا وَاحِدَةً وَأَبْرَأَهُ مِنَ الدَّعْوَةِ».

٤ - النُّكُولُ: وَهُوَ أَنْ يَنْكُلَ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ عَنِ الْيَمِينِ فَلَمْ يَحْلِفْ. فَيَعْدِرُ إِلَيْهِ الْقَاضِي بِأَنْ يَقُولَ لَهُ: إِنْ حَلَفْتَ خَلَيْتُ سَبِيلَكَ وَإِلَّا تَحْلِفْ قَضَيْتُ عَلَيْكَ، فَإِنْ أَبَى قَضَى عَلَيْهِ. غَيْرَ أَنْ مَالِكًا، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، يَرَى أَنَّهُ فِي حَالِ النُّكُولِ تُرَدُّ الْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعِي فَإِذَا حَلَفَ قَضَى لَهُ، وَحُجَّتُهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «رَدَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمُدَّعِي فِي الْقِسَامَةِ» وَهُوَ أَحْوَطُ لِلْحُكْمِ، وَأَبْرَأُ لِلدُّمَةِ.

١٠ - كَيْفِيَّةُ الْحُكْمِ وَطَرِيقَتُهُ: إِذَا حَضَرَ الْخَصْمَانِ أَجْلَسَهُمَا^(٥) بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البيهقي بإسناد صحيح.

(٣) و(٤) مسلم.

(٥) لما روى أبو داود أن عبد الله بن الزبير قال: قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الخصمين

يقعدان بين يدي الحاكم.

يَقُولُ: أَيُّكُمَا الْمَدْعَى؟ وَإِذَا سَكَتَ حَتَّى ابْتَدَأَ أَحَدُهُمَا فِي عَرْضِ دَعْوَاهُ فَلَا بَأْسَ، فَإِذَا فَرَغَ الْمَدْعَى مِنْ عَرْضِ دَعْوَاهُ مُحَرَّرَةً بَيِّنَةً. قَالَ لِلْمَدْعَى عَلَيْهِ: مَا تَقُولُ فِي هَذِهِ الدَّعْوَى؟ فَإِذَا أَقْرَبَهَا حَكَمَ لِلْمَدْعَى بِهَا، وَإِنْ أَنْكَرَ قَالَ لِلْمَدْعَى: بَيِّنَتُكَ، فَإِنْ أَحْضَرَهَا حَكَمَ لَهُ بِهَا، وَإِنْ طَلَبَ مَدَّةً مِنَ الزَّمَنِ يُحْضِرُهَا فِيهَا، ضَرَبَ لَهُ أَجَلًا يُمَكِّنُهُ فِيهِ إِحْضَارَهَا، وَإِنْ لَمْ يُحْضِرْ بَيِّنَةً، قَالَ لِلْمَدْعَى عَلَيْهِ: يَمِينُكَ، وَإِنْ حَلَفَ خَلَّى سَبِيلَهُ، وَإِنْ نَكَلَ أَعَذَرَ إِلَيْهِ: بَأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَحْلِفْ قَضَى عَلَيْهِ، وَإِنْ نَكَلَ قَضَى عَلَيْهِ، غَيْرَ أَنَّهُ يُسْتَحْسَنُ أَنْ يَرُدَّ الْيَمِينَ عَلَى الْمَدْعَى فَإِذَا حَلَفَ قَضَى لَهُ. وَهَذَا لِمَا رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ وَائِلِ بْنِ حَجَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: حَضْرَمِيٌّ، وَكَنْدِيٌّ، فَقَالَ الْحَضْرَمِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا غَلَبَنِي عَلَى أَرْضٍ لِي، فَقَالَ الْكَنْدِيُّ: هِيَ أَرْضِي وَفِي يَدِي، وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا حَقٌّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْحَضْرَمِيِّ: أَلَيْكَ بَيِّنَةٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَلَيْتَ يَمِينُهُ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرَّجُلُ فَاجِرٌ لَا يُبَالِي عَلَى مَا حَلَفَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ يَتَوَرَّعُ مِنْ شَيْءٍ، فَقَالَ: لَيْسَ لَكَ مِنْهُ إِلَّا ذَلِكَ.

[تَنْبِيهَاتٌ]

- ١ - إِذَا عَلِمَ الْقَاضِي عَدَالَةَ الشَّاهِدِ حَكَمَ بِهَا - أَيِ الشَّهَادَةِ - .
- ٢ - إِذَا أَدْعَى عَلَى امْرَأَةٍ ذَاتِ حَجَابٍ وَلَمْ تَكُنْ بَرَزَةً تَقْوَى عَلَى مُخَاطَبَةِ الرِّجَالِ، وَحُضُورِ الْمَحَاكِمِ لَمْ تُكَلَّفْ بِالْحُضُورِ، وَيَكْفِيهَا أَنْ تُوَكَّلَ مَنْ يُنُوبُ عَنْهَا فِي حُضُورِ الدَّعْوَى.
- ٣ - لَا يَحْكُمُ الْقَاضِي بِعِلْمِهِ بَلْ بِالْبَيِّنَةِ، حَتَّى لَا يُتَّهَمَ فِي عَدَالَتِهِ وَنَزَاهَتِهِ، لِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا عَلَى حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ مَا أَخَذْتُهُ، وَلَا دَعَوْتُ لَهُ أَحَدًا حَتَّى يَكُونَ مَعِيَ غَيْرِي»^(١).

أَنْ أَدْعِيَ عَلَى حَاضِرٍ حُضُورُهُ، وَلَا يُصَدَّرُ حُكْمٌ فِي غَيْبَتِهِ إِلَّا أَنْ يُنِيبَ عَنْهُ

(١) رواه أحمد، وفي هذه المسألة خلاف بين أهل العلم فمن قائل بجواز الحكم بعلم الحاكم، ومن مانع، والذي يبدو أنه الأقرب إلى الحق - والله تعالى أعلم - أن الحاكم لا يحكم بعلمه إلا إذا كان علمه قطعياً يقينياً، ولم يخش من تهمة أنه حكم بهواه وعدم البينة.

وكيلاً. وإن كَانَ غَائِباً اسْتَدْعِي وَطَلِّبْ حُضُورَهُ، أَوْ كُلِّ مَنْ يُنُوبُ عَنْهُ.

٥ - يُقْبَلُ كِتَابُ الْقَاضِي إِلَى الْقَاضِي فِي غَيْرِ الْحُدُودِ، إِذَا هُوَ أَشْهَدَ عَلَيْهِ شَهِيدَيْنِ.

٦ - لَا تُسْمَعُ دَعْوَى لَمْ يُحَرِّرْهَا الْمُدَّعِي، كَأَنْ يَقُولَ: لِي عَلَى فُلَانٍ شَيْءٌ أَوْ يَقُولَ: أَظُنُّ أَنَّ لِي عَلَيْهِ كَذَا. . بَلْ حَتَّى يُسَمِّيَ الشَّيْءَ، وَيَجْزِمَ بِمَا يَدَّعِي فِيهِ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ.

٧ - حَكَمَ الْقَاضِي فِي الظَّاهِرِ لَا يُجِلُّ حَرَاماً فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَلَا يَحَرِّمُ حَلَالاً، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ الْخَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأُقْضِي بَنَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئاً فَلَا يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ نَارٍ»^(١).

٨ - إِذَا تَعَارَضَتِ الْبَيِّنَاتُ وَلَمْ يُوجَدْ مَرْجِعٌ لِاحْدَاهُمَا قُسِمَ الْمُدَّعَى بِهِ بَيْنَ الْمُتَخَاصِمَيْنِ، لِقَضَاءِ^(٢) الرَّسُولِ ﷺ بِذَلِكَ.

المادة الثانية: في الشهادات:

١ - تعريف الشهادة: الشهادة أن يخبر المرء صادقاً بما رأى، أو سمع.

٢ - حكمها: تحمّل الشهادة كأدائها فرض كفاية على من تعيّن عليه، لقول الله تعالى: ﴿فَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾^(٣). وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ، وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾^(٤). وقول الرسول ﷺ: «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشَّهَدَاءِ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَهَا»^(٥).

(١) متفق عليه.

(٢) روى أبو داود والبيهقي والحاكم: أن رجلين ادعيا بغيراً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث كل واحد منهما بشاهدين فقسمه النبي صلى الله عليه وسلم بينهما نصفين.

(٣) و(٤) البقرة.

(٥) مسلم.

٣ - شُرُوطُ الشَّاهِدِ: يُشْتَرَطُ فِي الشَّاهِدِ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا عَاقِلًا بَالِغًا عَدْلًا، غَيْرَ مَثْمَمٍ، وَمَعْنَى غَيْرِ مَثْمَمٍ: أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ لَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُمْ كَعَمُودِي النَّسَبِ لِبَعْضِهِمْ، وَكَأَحَدِ الزَّوْجَيْنِ لِصَاحِبِهِ، وَكَشَهَادَةِ الَّذِي يَجْرُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا، أَوْ يَدْفَعُ عَنْهَا ضَرَرًا، وَكَشَهَادَةِ الْعَدُوِّ عَلَى عَدُوِّهِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ خَائِنٍ، وَلَا خَائِنَةٍ، وَلَا ذِي غِمَرٍ»^(١) عَلَى أَخِيهِ، وَلَا تَجُوزُ شَهَادَةُ الْقَانِعِ^(٢) لِأَهْلِ الْبَيْتِ^(٣).

٤ - أَحْكَامُ الشَّهَادَةِ:

١ - لَا يَجُوزُ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَشْهَدَ إِلَّا بِمَا عَلِمَهُ يَقِينًا بِرُؤْيَاهُ، أَوْ سَمَاعٍ، لِقَوْلِهِ ﷺ: لِمَنْ سَأَلَهُ عَنِ الشَّهَادَةِ: «تَرَى الشَّمْسَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ؛ أَوْ دَعْ»^(٤).

٢ - تَجُوزُ الشَّهَادَةُ عَلَى شَهَادَةِ شَاهِدٍ آخَرَ إِذَا تَعَدَّرَ حُضُورُهُ لِمَرْضٍ أَوْ غِيَابٍ، أَوْ مَوْتٍ لِلضَّرُورَةِ، إِذَا تَوَقَّفَ عَلَيْهِ حُكْمُ الْحَاكِمِ.

٣ - يُزَكَّى الشَّاهِدُ بِشَهَادَةِ عَدْلَيْنِ: عَلَى أَنَّهُ عَدْلٌ مَرْضِيٌّ، إِذَا كَانَ الشَّاهِدُ غَيْرَ مَبْرُزٍ الْعَدَالَةِ. أَمَّا مَبْرُزُ الْعَدَالَةِ فَلَا يَحْتَاجُ الْقَاضِي إِلَى تَرْكِيبِهِ لَهُ.

٤ - إِنْ زَكَّى رَجُلَانِ رَجُلًا، وَجَرَحَ فِيهِ آخَرَانِ قُدَّمَ جَانِبُ التَّجْرِيعِ عَلَى جَانِبِ التَّعْدِيلِ، لِأَنَّهُ الْأَحْوَطُ.

٥ - يَجِبُ تَأْدِيبُ شَاهِدِ الزَّوْرِ بِمَا يَرُدُّعُهُ وَيَكُونُ عِبْرَةً لِمَنْ تُحَدِّثُهُ نَفْسُهُ بِذَلِكَ.

٥ - أَنْوَاعُ الشَّهَادَاتِ:

١ - شَهَادَةُ الزَّوْنِ، وَتُعَيَّنُ فِيهَا أَرْبَعَةُ شُهُودٍ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾^(٥) فَلَا يَكْفِي فِيهَا دُونَ الْأَرْبَعَةِ.

(١) الغمر: الإحنة والشناء والعداوة.

(٢) الخادم أو الرجل ينفق عليه أهل البيت لوجود سبب المحابة لهم، بوصفه تابعاً لهم.

(٣) أحمد وأبو داود وأخرج البيهقي وقال في التلخيص: سنده قوي.

(٤) ابن عدي بسند ضعيف، وصححه الحاكم وخطيء في تصحيحه له.

(٥) النساء

- ٢ - شهادة غير الزنا من جميع الأمور يكفي فيها شاهدًا عدل .
- ٣ - شهادة الأموال ، ويكفي فيها شهادة رجل وامرأتين ، لقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ ، فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾^(٢) .
- ٤ - شهادة الأحكام ، ويكفي فيها شاهدٌ ويمينٌ ، لقول ابن عباس رضي الله عنهما : « قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بيمينٍ وشاهدٍ »^(٣) .
- ٥ - شهادة الحمل والحيض وما لا يطلع عليه إلا النساء ، ويكفي فيها شهادة امرأتين .

المادة الثالثة : في الإقرار :

- ١ - تعريفه : الإقرار هو أن يعترف المرء بالشئ في ذمته لغيره ، كأن يقول : إنَّ لزيدٍ عندي خمسين ألف درهمٍ مثلاً ، أو إنَّ المتاع الفلاني هو لفلان .
- ٢ - ممن يقبل الإقرار : يقبل إقرار العاقل البالغ ولا يقبل إقرار المجنون ، ولا الصبي ، ولا المكره ، لعدم تكليفهم لقوله ﷺ : « رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ » . الحديث وقد تقدّم^(*) ، ولقوله ﷺ : « . . وما استكبرها عليه »^(٤) .
- ٣ - حكمه : حكم الإقرار اللزوم ، فمن أقر بشئٍ لإنسانٍ وكان عاقلًا بالغًا . مختاراً لزمه ، لقوله ﷺ : « . . فَإِنْ اعْتَرَفْتَ فَارْجُمُهَا » فجعل الرسول ﷺ اعترافها ملزماً لها بإقامة الحد عليها .

٤ - بعض أحكام الإقرار ، للإقرار أحكامٌ منها :

- ١ - اعتراف المفلس ، أو المحجور عليه في الشؤون المالية لا يلزم لاتهام .

(١) البقرة .

(٢) تقدم .

(٣) يصح إقرار الصبي إذا كان مميزاً ومأذوناً له في الترف فإن كان غير مميز أو محجوراً عليه فلا يصح إقراره .

(٤) تقدم .

المفلس بحسد الغرماء، ولأن الثاني - المحجور عليه - إذا قبل إقراره أصبح وكأنه لم يحجر عليه، ويبقى بدميتهما ما أقرّا به فيسدّدانه بعد زوال المانع.

٢ - اعتراف المريض المشرف: لا يصح للوارث إلا بينة، لأنه يتهم بالمحاباة، فلو قال مريض مشرف: (أعترف بأن لولدي فلان عندي كذا). لم يقبل منه خشية أن يكون قصد محاباته دون سائر أولاده، ويشهد لهذا قوله ﷺ: «لا وصية لوارث». فقول المريض إن لولدي فلان كذا دون سائر أولاده أشبه شيء بوصية له، والرسول ﷺ يقول: «لا وصية لوارث» إلا أن يجيزها الورثة، ما لم تقم بينة ثبت ما أقر به لوارثه، وعند ذلك يصح إقراره.

الفصل الثاني عشر

في الرقيق

وفيه مادتان:

المادة الأولى: في الرق:

١ - تعريفه: الرق هو المملوك والعبودية^(١). والرقيق: هو العبد المملوك مأخوذ من الرقة ضد الغلظة؛ لأن العبد يرق لسيدهِ ويَلين ولا يغلظ عليه بحكم الملكية التي له عليه.

حكمه: حكم الرق الجواز لقوله تعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٢). وقول الرسول ﷺ «من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه»^(٣).

٣ - تاريخه ومنشؤه: عُرف الرق بين البشر منذ آلاف السنين، فقد وُجد عند أقدم شعوب العالم كالمصريين والصينيين، والهنود واليونانيين والرومان. وذكر في الكتب السماوية كالطورا والانجيل، وكانت «هاجر» أم إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام جارية أهداها ملك مصر «لسارة» امرأة إبراهيم وهي أخذتها لزوجها إبراهيم عليه الصلاة والسلام فتسراها فولدت له إسماعيل عليهما السلام.

(١) يعرفه بعضهم: بأنه عجز حكمي يصيب بعض الناس.

(٢) النساء.

(٣) مسلم.

وَأَمَّا مَنْشَأُ الرِّقِّ فَإِنَّهُ يَعُودُ لِلْأَسْبَابِ التَّالِيَةِ :

١ - الحروب ، فإذا حَارَبَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ النَّاسِ جَمَاعَةً أُخْرَى وَعَلَتْهَا قَهْرًا اسْتَرْقَتْ نِسَاءَهَا وَأَطْفَالَهَا .

٢ - الفقر ، فكَثِيرًا مَا كَانَ الْفَقْرُ يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى بَيْعِ أَوْلَادِهِمْ رَقِيقًا لِلنَّاسِ .

٣ - الاختِطَافُ بِالتَّلْصُصِ وَالْقَرْصَنِ ، فَقَدْ كَانَتْ جَمَاعَاتٌ كَبِيرَةٌ مِنْ أوروبَّا تَنْزِلُ إِلَى إفْرِيقِيَا ، وَتَخِطِفُ الزُّنُوجَ الْإِفَارَقَةَ وَتَبِيعُهُمْ فِي اسْوَاقِ النِّخَاسَةِ بِأُورُوبَا ، كَمَا كَانَ الْقَرَّاصِنَةُ مِنَ الْبَحَّارِينَ الْأُورُوبِيِّينَ يَتَعَرَّضُونَ لِلْسُّفْنِ الْمَارَةِ بِعَرَضِ الْبَحْرِ وَيَسْطُونُ عَلَى رُكَّابِهَا ، فَإِذَا قَهَرُوهُمْ بَاعُوهُمْ فِي أَسْوَاقِ الْعَبِيدِ بِأُورُوبَّا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهُمْ .

وَالْإِسْلَامُ وَهُوَ دِينُ اللَّهِ الْحَقِّ لَمْ يُجْزِ مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ إِلَّا سَبَبًا وَاحِدًا فَقَطْ وَهُوَ الْاسْتِرْقَاقُ بِوَاسِطَةِ الْحَرْبِ ، وَذَلِكَ رَحْمَةً بِالْبَشَرِيَّةِ ؛ فَإِنَّ الْعَالِبَ الْمُنْتَصِرَ كَثِيرًا مَا يَحْمِلُهُ ذَلِكَ عَلَى الْإِفْسَادِ تَحْتَ تَأْثِيرِ غَرِيزَةِ حُبِّ الْإِنْتِقَامِ فَيَقْتُلُ النِّسَاءَ وَالْأَطْفَالَ تَشْفِيًا مِنْ رَجَالِهِمْ ، فَإِذَا كَانَ الْإِسْلَامُ لِاتِّبَاعِهِ فِي اسْتِرْقَاقِ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ إِبْقَاءً عَلَى حَيَاتِهِمْ أَوَّلًا ، وَتَمْهِيدًا لِإِسْعَادِهِمْ وَتَحْرِيرِهِمْ ثَانِيًا . وَأَمَّا الْمَقَاتِلَةُ مِنَ الرِّجَالِ فَقَدْ خُيِّرَ الْإِمَامُ فِي الْمَنْ عَلَيْهِمْ مَجَانًا بَدُونِ فِدَاءٍ وَبَيْنَ اقْتِدَائِهِمْ بِمَالٍ أَوْ سِلَاحٍ ، أَوْ رَجَالٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ (١) .

٤ - معاملته : لَمْ تَخْتَلِفْ مَعَامَلَةُ الرِّقِيقِ عِنْدَ الْأُمَمِ كَبِيرَ اخْتِلَافٍ إِذَا نَحْنُ اسْتَشْنَيْنَا أُمَّةَ الْإِسْلَامِ ، فَقَدْ كَانَ الرِّقِيقُ عِنْدَ تِلْكَ الْأُمَمِ لَا يَعْدُو أَنْ يَكُونَ آلَةً مَسْخَرَةً تُسْتَخْدَمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَتُسْتَعْمَلُ فِي كُلِّ الْأَغْرَاضِ ، زِيَادَةً عَلَى كَوْنِهِ يُجَوِّعُ وَيُضْرَبُ وَيُحْمَلُ مَا لَا يَطِيقُ بِلَا سَبَبٍ ، كَمَا قَدْ يُكْوَى بِالنَّارِ وَتَقَطَّعُ أَطْرَافُهُ لِأَتْفِهِ الْأَسْبَابِ ، وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ (الْأَلَّةَ ذَاتَ الرُّوحِ ، وَالْمَتَاعَ الْقَائِمَ بِهِ الْحَيَاةَ) .

أما الرِّقِيقُ فِي الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ يَعَامَلُ الْمَعَامَلَةَ اللَّائِقَةَ بِشَرَفِ الْإِنْسَانِ وَكِرَامِيَّتِهِ ،

(١) سورة محمد صلى الله عليه وسلم .

فَقَدْ حَرَّمَ الْإِسْلَامُ ضَرْبَهُ وَقَتْلَهُ كَمَا حَرَّمَ إِهَانَتَهُ وَسَبَّهُ، وَأَمَرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، وَهَاهُ ذِي نُصُوصُهُ نَاطِقَةٌ بِذَلِكَ:

١ - قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى، وَالْجَارِ الْجُنُبِ، وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾.

٢ - قَوْلُ الرَّسُولِ ﷺ فِيهِمْ: «هُمْ إِخْوَانُكُمْ وَخَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تَكْلِفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ عَلَيْهِ»^(١).

وقوله ﷺ: «مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ أَوْ ضَرْبَهُ فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يَعْتِقَهُ»^(٢).

وَفَوْقَ هَذَا دَعْوَةُ الْإِسْلَامِ الْعَامَّةُ إِلَى تَحْرِيرِ الرِّقِيِّ وَالتَّرْغِيبُ فِي ذَلِكَ، وَالْحَثُّ عَلَيْهِ، وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْأُمُورُ التَّالِيَةُ:

أ - جَعَلَ تَحْرِيرَهُ كَفَّارَةً لَجُنَايَةِ الْقَتْلِ الْخَطَا، وَكَذَلِكَ لَعْدَةٌ مَخَالَفَاتِ كَالظَّهَارِ وَالْحِنْثِ فِي الْيَمِينِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَانْتِهَاكِ حُرْمَةِ رَمَضَانَ بِالْإِفْطَارِ فِيهِ.

ب - الْأَمْرُ بِمَكَاتِبَةٍ مِنْ طَلَبِ الْكِتَابَةِ مِنَ الْأَرْقَاءِ وَمَسَاعَدَتِهِ عَلَى ذَلِكَ بِقِسْطٍ مِنَ الْمَالِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَةَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا، وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾^(٣).

ح - جَعَلَ مَصْرَفَ خَاصٍّ مِنْ مَصَارِفِ الزَّكَاةِ لِلْمَسَاعَدَةِ عَلَى تَحْرِيرِ الْأَرْقَاءِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا، وَالْمَوْلَافَةَ قُلُوبِهِمْ، وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٤).

د - سَرَيَانُ الْعَتَقِ إِلَى بَقِيَّةِ أَجْزَائِهِ إِذَا عَتِقَ مِنْهُ جُزْءٌ، فَإِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَتَقَ نَصِيبًا

(٤) التوبة.

(٣) النور.

(٢) و(٢) مسلم.

لَهُ فِي رَقِيقٍ أَمْرٌ أَنْ يَقَوْمَ عَلَيْهِ النَّصِيبُ الْبَاقِي فَيَدْفَعُ ثَمَنَهُ لِأَصْحَابِهِ وَيُعْتَقَ الْعَبْدُ بِكَامِلِهِ، قَالَ ﷺ: «مَنْ عَتَقَ شَرَكاً لَهُ فِي عَبْدٍ فَكَانَ مَعَهُ مَا يَبْلُغُ ثَمَنَ الْعَبْدِ قَوْمَ عَلَيْهِ قِيَمَةُ الْعَدْلِ وَأَعْطَى شَرَكَاءَهُ حِصَصَهُمْ وَعَتَقَ جَمِيعُ الْعَبْدِ»^(١).

هـ- الإِذْنُ بِالتَّسْرِي بِالْإِمَاءِ لِيُصْبِحْنَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ أَمَهَاتٍ أَوْلَادٍ فَيُعْتَقْنَ بِذَلِكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّمَا أَمَةٍ وَلَدَتْ مِنْ سَيِّدِهَا فَهِيَ حُرَّةٌ بَعْدَ مَوْتِهِ»^(٢).

و- جَعَلَ كِفَارَةَ ضَرْبِ الْعَبْدِ عِتْقُهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ ضَرَبَ غُلَاماً لَهُ حَدّاً لَمْ يَأْتِهِ أَوْ لَطَمَهُ فَإِنَّ كِفَارَتَهُ أَنْ يَعْتِقَهُ»^(٣).

ز- جَعَلَ الْعَبْدَ يُعْتَقُ لِمَجْرَدِ أَنْ يَمْلِكَهُ ذُو رَحِمٍ لَهُ، قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «مَنْ مَلَكَ ذَارِجِمٍ مَحْرَمٍ فَهُوَ حُرٌّ»^(٤).
[تَنْبِيْهُ]:

إِنْ قَالَ قَائِلٌ: لَمْ لَا يَفْرُضُ الْإِسْلَامُ تَحْرِيرَ الْعَبْدِ فَرَضاً لَا يَسَعُ الْمُسْلِمَ تَرْكُهُ؟
قُلْنَا: إِنَّ الْإِسْلَامَ جَاءَ وَالْأَرْقَاءُ فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَلَا يَلِيقُ بِشَرِيعَةِ اللَّهِ الْعَادِلَةِ وَالَّتِي نَزَلَتْ لَتَحْفَظَ لِلنَّاسِ أَنْفُسَهُ وَعِرْضَهُ وَمَالَهُ، لَا يَلِيقُ بِهَا أَنْ تَفْرُضَ عَلَى النَّاسِ الْخُرُوجَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ بِالْجَمَلَةِ. كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ فِي صَالِحِ كَثِيرٍ مِنَ الْأَرْقَاءِ التَّحَرُّرُ؛ إِذْ مِنْ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ وَحَتَّى مِنَ الرِّجَالِ أَيْضاً مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكْفُلَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ لِعَجْزِهِ عَنِ الْكَسْبِ وَجَهْلِهِ بِمَعْرِفَةِ طُرُقِهِ. فَكَانَ بَقَاؤُهُ رَقِيقاً مَعَ سَيِّدِهِ الْمُسْلِمِ الَّذِي يُطْعِمُهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَيَكْسُوهُ مِمَّا يَكْسُو بِهِ نَفْسَهُ وَلَا يُكَلِّفُهُ مِنَ الْعَمَلِ مَا لَا يَطِيقُ، خَيْرٌ بِأَلْفِ الدَّرَجَاتِ مِنْ إِقْصَائِهِ عَنِ الْبَيْتِ الَّذِي كَانَ يُحْسِنُ إِلَيْهِ وَيَرْحَمُهُ إِلَى جَحِيمِ الْقَطِيعَةِ وَالْجَرْمَانِ.

(١) متفق عليه.

(٢) ابن ماجه والحاكم بسند ضعيف، والعمل به عند جماهير العلماء، وقد عتقت مارية القبطية بولادتها لإبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) أحمد وداود والترمذي وابن ماجه صحيح.

(٤) مسلم.

المادة الثانية: في أحكام الرقيق:

أ - العتق:

١ - تعريفه: العتق تحرير المملوك، وتخليصه من رِق العبودية.

٢ - حكمه: حكم العتق الندب والاستحباب؛ لقوله تعالى: ﴿... فَكَ رَقَبَةً﴾^(١). وقوله ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤَمَّنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكَ كُلَّ إِرْبٍ مِنْهَا إِرْبًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَعْتِقُ الْيَدَ بِالْيَدِ، وَالرِّجْلَ بِالرِّجْلِ، وَالْفَرْجَ بِالْفَرْجِ»^(٢).

٣ - حكمته: حكمه العتق تخليص الأدمي المعصوم من ضرر الرق، حتى يملك نفسه ومنافعه، وتكمل أحكامه، ويتمكن من التصرف في نفسه ومنافعه على حسب إرادته واختياره.

أحكامه: أحكام العتق وهي:

١ - يحصل العتق بلفظ صريح، كانت حرًا، أو عتيقًا، أو حررتك، أو أعتقتك. كما يحصل بكناية لكن مع نية العتق، نحو: لقد خلعت سبيلك، أو: لا سلطان لي عليك مثلاً.

٢ - يصح العتق ممن يصح تصرفه في المال بأن يكون عاقلاً بالغاً رشيداً. فلا يصح عتق المجنون، ولا الصبي، ولا السفينة المحجور عليه؛ لعدم جواز تصرفاتهم المالية.

٣ - إذا كان الرقيق مملوكاً لاثنتين أو أكثر، فأعتق أحد الشركاء نصيبه منه قوم عليه الباقي إن كان مؤسراً^(٣) وعتق العبد كله، وإن كان معسراً عتق منه ما عتق فقط؛

(١) البلد.

(٢) متفق عليه.

(٣) العبرة في اليسار: أن يكون له فضل عن قوت يومه وليلته وما يحتاج إليه من حوائجه الأساسية كالكسوة والسكن.

لِقَوْلِهِ ﷺ «مَنْ أَعْتَقَ شَرَكاً لَهُ فِي عَبْدٍ فَكَانَ مَعَهُ مَا يَبْلُغُ ثَمَنَ الْعَبْدِ، قَوْمَ عَلَيْهِ قِيَمَةُ الْعَدْلِ، وَأُعْطِيَ شَرَكَاؤُهُ حَصَّهُمْ وَعُتِقَ جَمِيعُ الْعَبْدِ، وَإِلَّا عُتِقَ^(١) مِنْهُ مَا عُتِقَ».

٤ - مَنْ عَلَّقَ عَتَقَ الْعَبْدَ عَلَى شَرْطٍ عُتِقَ مِنْهُ عِنْدَ وَجُودِ الشَّرْطِ، وَإِلَّا فَلَا. فَمَنْ قَالَ: أَنْتَ حُرٌّ إِنْ وَلَدْتَ امْرَأَتِي وَلَدًا عُتِقَ مِنْهُ سَاعَةً وَلَدَيْهَا.

٥ - مَنْ كَانَ لَهُ عَبْدٌ فَأَعْتَقَ بَعْضَهُ عُتِقَ عَلَيْهِ الْبَاقِي؛ لِعُمُومِ قَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ شَرَكاً لَهُ فِي عَبْدٍ» الْحَدِيثُ. وَقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ شِقْصاً لَهُ فِي مَمْلُوكٍ فِيهِ مِنْ مَالِهِ»^(٢).

٦ - مَنْ أَعْتَقَ عَبْدًا لَهُ أَوْ عَبِيدًا فِي مَرَضِهِ الَّذِي يَمُوتُ فِيهِ يُعْتَقُ مِنَ الْعَبِيدِ الْقَدَرُ الَّذِي يَتَسَبَّعُ لَهُ الثَّلَاثُ، إِذَا هَذَا أَشْبَهَ بِالْوَصِيَّةِ، وَالْوَصِيَّةُ لَا تَجُوزُ فِي أَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ:

ب - التَّدْبِيرُ:

١ - تَعْرِيفُهُ: التَّدْبِيرُ تَعْلِيقُ عَتَقِ الْمَمْلُوكِ عَلَى مَوْتِ مَالِكِهِ بِأَنْ يَقُولَ السَّيِّدُ لِعَبْدِهِ: أَنْتَ حُرٌّ بَعْدَ مَوْتِي، فَإِذَا مَاتَ السَّيِّدُ عُتِقَ الْعَبْدُ.

حُكْمُهُ: حُكْمُ التَّدْبِيرِ الْجَوَازُ إِلَّا إِذَا كَانَ السَّيِّدُ لَا يَمْلِكُ غَيْرَ مِنْ أَرَادَ تَدْبِيرَهُ لِمَا رَوَى الشَّيْخَانِ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا أَعْتَقَ مَمْلُوكًا عَنْ دُبُرٍ مِنْهُ فَاحْتَاَجَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَرِيهِ مِنِّي؟ فَبَاعَهُ مِنْ نُعَيْمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِثَمَانِمِائَةِ دِرْهَمٍ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، وَقَالَ: أَنْتَ أَحْوَجُ مِنْهُ».

٣ - حُكْمَتُهُ: حُكْمَةُ التَّدْبِيرِ الْإِرْفَاقُ بِالْمُسْلِمِ فَقَدْ يَكُونُ الْمُسْلِمُ لَهُ الْعَبْدُ، وَيُرْغَبُ فِي تَحْرِيرِهِ، وَيَجِدُ نَفْسَهُ مُضْطَرًّا إِلَى خِدْمَتِهِ وَمَوَاسَّتِهِ، فَيُدَبِّرُهُ، فَيَنَالُ أَجْرَ الْعَتَقِ، وَلَمْ يَفْقَدْ مَنَفْعَتَهُ زَمَنَ حَيَاتِهِ.

(١) يرى بعض أهل العلم أن العبد إذا عتق عنه بعضه باليسار وبقي البعض الآخر أنه يطلب إليه أن يسعى فإذا جمع ما يفي بعضه أعطاه إلى المالك وعتق. والراجح أن السعي ليس لازماً للعبد وإنما إذا رأى موزلك فله، وإلا فلا.

(٢) متفق عليه.

٤ - أَحْكَامُهُ : أَحْكَامُ التَّدْبِيرِ هِيَ :

١ - يَكُونُ التَّدْبِيرُ بِلَفْظٍ : أَنْتَ عَلَى دُبْرٍ مِنِّي ، أَوْ قَدْ دَبَّرْتُكَ ، أَوْ إِنْ مِتُّ فَأَنْتَ حُرٌّ ، وَنَحْوُ ذَلِكَ .

٢ - يُعْتَقُ الْمَدْبُرُ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ ثُلْثِ الْمَالِ ، فَإِنْ اتَّسَعَ لَهُ الثُّلُثُ عُتِقَ وَإِلَّا عَتِقَ مِنْهُ بِقَدْرِهِ ، هَذَا مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالْأَئِمَّةِ ، لِأَنَّهُ تَبَرُّعٌ كَالْوَصِيَّةِ ، وَالْوَصِيَّةُ لَا تَجُوزُ فِي أَكْثَرِ مِنَ الثُّلُثِ .

٣ - إِنْ عُقِلَ التَّدْبِيرُ عَلَى شَرْطِ جَارٍ ، فَإِنْ وُجِدَ الشَّرْطُ دُبِّرَ وَإِلَّا فَلَا . لِقَوْلِهِ ﷺ : «الْمُؤْمِنُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ»^(١) . فَلَوْ قَالَ : إِنْ مِتُّ مِنْ مَرْضِي هَذَا ، فَأَنْتَ حُرٌّ ، وَمَاتَ تَحَرَّرَ ، وَإِنْ لَمْ يَمُتْ فَلَا يَتَحَرَّرُ .

٤ - يَجُوزُ بَيْعُ الْمَدْبُرِ فِي الدِّينِ^(٢) ، وَالْحَاجَةِ ، إِذْ بَاعَ الرَّسُولُ ﷺ عَبْدَ رَجُلٍ كَانَ قَدْ دَبَّرَهُ لَمَّا رَأَاهُ فِي حَاجَةٍ إِلَى ثَمَنِهِ^(٣) . وَبَاعَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مُدْبِرَةً لَهَا لَمَّا سَحَرَتْهَا^(٤) .

٥ - إِذَا دُبِّرَتِ الْأَمَةُ وَهِيَ حَامِلٌ فَوَلَدَهَا بِمَنْزِلَتِهَا يَعْتَقُ مَعَهَا بِمَوْتِ الْمَالِكِ لَهَا ، لِقَوْلِ عُمَرَ وَجَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «وَلَدَ الْمَدْبُرِ بِمَنْزِلَتِهَا»^(٥) .

٦ - لِلسَّيِّدِ أَنْ يَطَّأَ مَدْبِرَتَهُ لِأَنَّهُمَا مَا زَالَتْ فِي مِلْكٍ يَمِينِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿... إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ . وَقَدْ رَوَى جَوَازُ وَطَنُهَا عَنْ جَمَاهِيرِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

٧ - لَوْ قَتَلَ الْمَدْبُرُ سَيِّدَهُ بَطَلَ تَدْبِيرُهُ ، وَلَمْ يَعْتَقْ مَعَامِلَةً لَهُ بِنَقِيضِ قَضِيهِ وَحَتَّى لَا يُصْبِحَ الْمَدْبُرُونَ يَسْتَعْجِلُونَ مَوْتَ مَدْبِرِيهِمْ .

(١) تقدم بلفظ : «المسلمون على شروطهم» . وهو صحيح الإسناد .

(٢) في بيع المدبر خلاف الصحيح انه لا يباع إلا من حاجة كدين ونحوه .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه الشافعي والحاكم .

(٥) حكاهما صاحب المغني .

ح - المكاتب :

١ - تعريفه : المكاتب عبد يعتقه سيده على مال يؤديه له على نجوم - أي أقساط - معينة ، فيكتب له بذلك صكاً ، فمتى أدى أقساطه في مواعيدها كان حراً .

حكم المكاتب : المكاتب مستحبه لقول الله تعالى : ﴿والذين يبتغون الكتابة مما ملكت أيماؤهم فكاتبوهم أن علمتم فيهم خيراً ، وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾^(١) . وقول الرسول ﷺ : «من أعان غارماً أو غارياً ، أو مكاتباً في كتابته أظله الله يوم لا ظل إلا ظله»^(٢) .

٣ - أحكامه : للمكاتب أحكام هي :

١ - يتحرر المكاتب عند دفع آخر قسط من نجوم كتابه .

٢ - المكاتب عبد تجري عليه أحكام الرق ما بقي عليه درهم واحد ، لقول العديد من الصحابة ولراوية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال «المكاتب عبد ما بقي عليه درهم»^(٣) .

٣ - يجب على السيد أن يساعده مكاتبه بشيء من المال كرُبع كتابه أو نحو من ذلك ، مساهمة منه في تحريره لقول الله تعالى : ﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾^(٤) . ويجوز له أن يعطيه له نقداً أو يضعه عنه من قيمة مكاتبته .

٤ - إذا عجل المكاتب المال دفعة واحدة أو دفعتين مثلاً لزم سيده قبوله إلا أن يكون في ذلك ضرر له فلا يلزمه قبوله حينئذ ، وقد روي هذا عن عمر رضي الله عنه^(٥) .

٥ - لو مات السيد قبل تسديد العبد نجوم كتابته بقي على كتابته وأتم ما بقي

(١) النور .

(٢) أحمد والحاكم بسند صحيح .

(٤) النور .

(٣) أبو داود والبيهقي بسند حسن .

(٥) حكاها صاحب المغني .

عليه لورثة سيده، وإن عَجَزَ عن الوفاء رُدَّ إلى الرقِّ وصَارَ للورثة.

٦ - لا يَمْنَعُ السيدُ مكاتبَهُ من السفرِ والسَّعيِ، وإنما لَهُ أن يَمْنَعَهُ من التزوُّجِ لقوله ﷺ: «أَيُّمَا عَبْدٍ تَزَوَّجَ بِغَيْرِ إِذْنِ مَوْلِيهِ فَهُوَ عَاهِرٌ»^(١)

٧ - لا يَجُوزُ للسَّيدِ وطءُ مكاتبَتِهِ، لأنَّ الكُتَابَةَ مَنَعَتْ من اسْتِخْدَامِهَا والانتفاعِ بِهَا، والوطءُ من جَمَلَةِ المنافعِ التي تَنَقِّطُعُ بِالكُتَابَةِ، وَهَذَا هُوَ رَأْيُ الْجُمْهُورِ مِنَ الْأُثْمَةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

٨ - إِذَا عَجَزَ الْمَكَاتِبُ عَنْ أَدَاءِ نَجْمٍ مِنْ نُجُومِ الْكُتَابَةِ وَقَدْ حَلَّ مَوْعِدُ نَجْمٍ آخَرَ وَعَجَزَ، جَازَ لِلسَّيِّدِ أَنْ يُعْجِزَهُ وَيَرُدَّهُ إِلَى الرِّقِّ كَمَا كَانَ، لقولِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يَرُدُّ الْمَكَاتِبُ فِي الرِّقِّ حَتَّى يَتَوَالَى عَلَيْهِ نَجْمَانِ».

٩ - وَلَدَّ الْمَكَاتِبَةُ يَعْتَقُ مَعَهَا إِذَا هِيَ أَدَتْ نُجُومَهَا وَعُتِقَتْ، وَإِنْ عَجَزَتْ عَادَتْ إِلَى الرِّقِّ وَعَادَ مَعَهَا وَلَدُهَا، وَسِوَاءُ فِي ذَلِكَ مَا كَانَ حَمْلًا فِي بَطْنِهَا سَاعَةَ مَكَاتِبَتِهَا أَوْ مَا حَدَثَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ.

١٠ - إِذَا عَجَزَ الْمَكَاتِبُ وَفِي يَدِهِ مَالٌ كَانَ لِسَيِّدِهِ تَبَعًا لَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ لَهُ مِنَ الزَّكَاةِ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُعْطِيَ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ إِذْ هُمْ أَحَقُّ بِهِ مِنَ السَّيِّدِ الْغَنِيِّ.

أُمُّ الْوَلَدِ:

١ - تَعْرِيفُهَا: أُمُّ الْوَلَدِ هِيَ الْجَارِيَةُ يَطْوُهَا سَيِّدُهَا تَسْرِيًا بِهَا فَتِلْدُ مِنْهُ وَلَدًا ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى.

٢ - حُكْمُ التَّسْرِئِ: يَجُوزُ لِلسَّيِّدِ أَنْ يَتَسَرَّى بِأَمَتِهِ، فَإِذَا وَلَدَتْ مِنْهُ صَارَتْ أُمًّا وَلَدٍ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾^(٢). وَقَدْ تَسَرَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَارِيَةَ الْقُبَطِيَّةِ فَوَلَدَتْ إِبْرَاهِيمَ فَقَالَ

(١) رواه أحمد.

(٢) المعارج.

عليه الصلاة والسلام: «أَعْتَقَهَا وَلَدَهَا»^(٢). كَمَا كَانَتْ هَاجِرًا - أُمُّ إِسْمَاعِيلَ - سَرِيَّةً لِإِبْرَاهِيمَ فَوَلَدَتْ لَهُ إِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

٣ - حِكْمَةُ التَّسْرِي، مِنَ الْحِكْمَةِ فِي التَّسْرِي:

١ - الرَّحْمَةُ بِالْأَمَةِ بِقَضَاءِ حَاجَتِهَا مِنْ شَهَوَاتِهَا.

٢ - إِعْدَادُهَا لِأَن تَصْبِحَ أُمٌّ وَلَدٍ فَتُعْتَقَ بِمَوْتِ سَيِّدِهَا.

٣ - قَدْ يَجْرُ لَهَا وَطُؤُهَا مَزِيدًا مِنْ عِنَايَةِ السَّيِّدِ بِهَا فَيُعْتَنِي بِنِظَافَتِهَا وَكِسْوَتِهَا وَفِرَاشِهَا وَغِذَائِهَا وَمَا إِلَى ذَلِكَ.

٤ - الْإِرْفَاقُ بِالْمُسْلِمِ، إِذْ قَدْ يَعِجُزُ الْمُسْلِمُ عَلَى مُؤُونَةِ الْحَرَائِرِ مِنَ النِّسَاءِ فَرُخِّصَ لَهُ فِي وَطْءِ الْإِمَاءِ تَخْفِيفًا عَلَيْهِ وَرَحْمَةً بِهِ.

٤ - أَحْكَامُ أُمِّ الْوَلَدِ: لِأَنَّ الْوَلَدَ أَحْكَامُ هِيَ:

١ - أُمُّ الْوَلَدِ كَالرَّقِيقَةِ فِي جَمِيعِ الشُّؤُونِ مِنَ الْخِدْمَةِ وَالْوِطْءِ وَالْعِتْقِ، وَحَدِّ الْعَوْرَةِ وَتَزْوِيجِهَا إِلَّا أَنَّهُ لَا يُجُوزُ بَيْعُهَا، لِنَهْيِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنْ بَيْعِ أُمَّهَاتِ الْأَوْلَادِ^(٢)، وَلِأَن بَيْعَهَا يَتَنَافَى مَعَ حُرِّيَّتِهَا الْمُنْتَظَرَةِ بِمَوْتِ سَيِّدِهَا.

تُعْتَقُ أُمُّ الْوَلَدِ بِمَجَرَّدِ مَوْتِ سَيِّدِهَا، لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَيُّمَا أَمَةٍ وَلَدَتْ مِنْ سَيِّدِهَا فَهِيَ حُرَّةٌ عَنْ دُبُرِ مَنْهُ»^(٣).

٣ - تَصِيرُ الْجَارِيَةُ أُمٌّ وَلَدٍ وَلَوْ كَانَ الْمَوْلُودُ سِقْطًا إِذَا تَمَّ خَلْقُهُ وَتَمَيَّزَتْ صُورَتُهُ، لِقَوْلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا وَلَدَتْ الْأَمَةُ مِنْ سَيِّدِهَا فَقَدْ عُتِقَتْ وَإِنْ كَانَ سِقْطًا»^(٤).

(١) ابن ماجة والدارقطني وهو معلول، وبه العمل عند الجماهير.

(٢) روى النهي عمر عنه صلى الله عليه وسلم عن بيع أمهات الأولاد، مالك في الموطأ.

(٣) رواه ابن ماجة.

(٤) حكاه صاحب المغني.

٤ - لَا فَرْقَ فِي عَتَقِ أُمِّ الْوَلَدِ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ مُسْلِمَةً أَوْ كَافِرَةً، غَيْرَ أَنْ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ لَا يَرَى عَتَقَ الْكَافِرَةِ، وَعُمُومُ النَّصِّ يَقْتَضِي أَنْ لَا فَرْقَ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ.

٥ - إِذَا عَتَقْتَ أُمَّ الْوَلَدِ بِمَوْتِ سَيِّدِهَا فَإِنَّ الْمَالَ الَّذِي بِيَدِهَا يَكُونُ لَوَرَثَةِ سَيِّدِهَا، إِذَا أُمُّ الْوَلَدِ أُمَةٌ قَبْلَ مَوْتِ سَيِّدِهَا، وَكَسَبُ الْأُمَةِ لِسَيِّدِهَا.

٦ - إِذَا مَاتَ سَيِّدُ أُمِّ الْوَلَدِ اسْتَبْرَأَتْ مِنْهُ بِحِيْضَةٍ لَخُرُوجِهَا مِنْ مِلْكِهِ بِالْعَتَقِ.

هـ - الْوَلَاءُ:

١ - تَعْرِيفُهُ: الْوَلَاءُ عُصْبَةٌ سَبَّحَهَا الْإِنْعَامُ بِالْعَتَقِ.

فَمَنْ عَتَقَ مَمْلُوكًا بَأَيِّ وَجْهِ مِنْ أَوْجِهَةِ الْعَتَقِ كَانَ عَاصِبًا لَهُ، فَإِنْ مَاتَ وَلَمْ يَتْرُكْ عَاصِبًا مِنْ نَسَبِهِ كَانَ الْمَعْتَقُ وَعَصْبَتُهُ عَصْبَةً لِهَذَا الْعَتِيقِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ»^(١).

٢ - حُكْمُهُ: الْوَلَاءُ مُشْرُوعٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾^(٢). وَقَوْلِهِ ﷺ: «الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ» وَقَوْلِهِ ﷺ: «الْوَلَاءُ لِحُمَةٍ كُلِّ حُمَةٍ النَّسَبُ لَا يُبَاعُ وَلَا يُوهَبُ».

٣ - أَحْكَامُهُ: أَحْكَامُ الْوَلَاءِ:

١ - الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ بَأَيِّ وَجْهِ مِنْ أَوْجِهَةِ الْعَتَقِ سَوَاءً كَانَ بِالْمَكَاتِبَةِ أَوْ بِالتَّدْبِيرِ أَوْ بِغَيْرِهِمَا.

٢ - الْوَلَاءُ لَا يُبَاعُ وَلَا يُوهَبُ، فَلَا يَنْتَقِلُ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَى آخَرٍ بَيْعٍ أَوْ هِبَةٍ، لِأَنَّهُ كَالنَّسَبِ، وَالنَّسَبُ لَا يُبَاعُ وَلَا يُوهَبُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

(١) متفق عليه.

(٢) الأحزاب.

(٣) الطبراني والبيهقي والحاكم بسند صحيح.

«الْوَلَاءُ لُحْمَةٌ كُلُّحْمَةٍ النَّسَبُ لَا يُبَاعُ وَلَا يُوهَبُ».

٣ - لَا يَرِثُ بِالْوَلَاءِ إِلَّا الْمُعْتِقُ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى ، أَوْ عَصَبَةُ الْمُعْتِقِ الذَّكَورِ دُونَ
الْإِنَاثِ ، كَمَا هُوَ مُفْصَّلٌ فِي عِلْمِ الْمَوَارِيثِ . وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ وَسَبِيلُهُ أَهْدَى وَأَقْوَمُ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

تم شكله والحمد لله . وأرجو متصفحه ومطالعه إصلاح ما عنه القلم طغى ، وما
الفهم فيه حار ، فمعذرة . فالجواد قد يكبو ، والكمال لله الواحد القهار .

المحتويات

٧	الباب الأول - في العقيدة
٩	الفصل الأول: الإيمان بالله تعالى
١٣	الفصل الثاني: الإيمان بربوبية الله تعالى لكل شيء
١٩	الفصل الثالث: الإيمان بإلهية الله تعالى للأولين والآخرين
٢١	الفصل الرابع: الإيمان بأسمائه تعالى وصفاته
٢٥	الفصل الخامس: الإيمان بالملائكة عليهم السلام
٢٩	الفصل السادس: الإيمان بكتب الله تعالى
٣٢	الفصل السابع: الإيمان بالقرآن الكريم
٣٦	الفصل الثامن: الإيمان بالرسول عليهم السلام
٣٩	الفصل التاسع: الإيمان برسالة محمد ﷺ
٤٧	الفصل العاشر: الإيمان باليوم الآخر
٥٣	الفصل الحادي عشر: في عذاب القبر ونعيمه
٥٦	الفصل الثاني عشر: الإيمان بالقضاء والقدر
٦٠	الفصل الثالث عشر: في توحيد العبادة
٦٣	الفصل الرابع عشر: في الوسيلة
٦٧	الفصل الخامس عشر: في أولياء الله وكراماتهم وأولياء الشيطان وضلالتهم
٧٤	الفصل السادس عشر: الإيمان بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
	الفصل السابع عشر: الإيمان بوجوب محبة أصحاب رسول الله وأفضليتهم وإجلال
٧٩	أئمة الإسلام وطاعة ولاية أمور المسلمين
٨٧	الباب الثاني - في الآداب
٨٩	الفصل الأول: آداب النية
٩٢	الفصل الثاني: الأدب مع الله عز وجل
٩٥	الفصل الثالث: الأدب مع كلام الله تعالى - القرآن الكريم -
٩٨	الفصل الرابع: الأدب مع رسول الله ﷺ

الفصل الخامس: في الأدب مع النفس، التوبة، المراقبة، المحاسبة، المجاهدة	١٠١ - ١٠٨
الفصل السادس: الأدب مع الخلق: مع الوالدين، مع الأولاد، مع الاخوة، أدب الزوجين، حقوق الزوجة على الزوج، حقوق الزوج على الزوجة، الأدب مع الأقارب، الأدب مع الجيران، وآداب المسلم، الأدب مع الكافر، الأدب مع الحيوان، آداب الاخوة في الله تعالى، وحقوق الاخوة في الله تعالى	١٠٩ - ١٣٤
الفصل السابع: آداب الاخوة في الله والحب والبغض فيه سبحانه وتعالى، حقوق الاخوة في الله	١٣٢ - ١٣٦
الفصل الثامن: في آداب الجلوس والمجلس	١٣٧ - ١٣٩
الفصل التاسع: في آداب الأكل والشرب	١٤٠ - ١٤٤
الفصل العاشر: في آداب الضيافة	١٤٥ - ١٤٧
الفصل الحادي عشر: في آداب السفر	١٤٨ - ١٥٢
الفصل الثاني عشر: في آداب اللباس	١٥٣ - ١٥٥
الفصل الثالث عشر: في آداب خصال الفطرة	١٥٦ - ١٥٧
الفصل الرابع عشر: في آداب النوم	١٥٨ - ١٦٠
الباب الثالث - في الأخلاق	١٦١
الفصل الأول: في حسن الخلق وبيانه	١٦٣ - ١٦٥
الفصل الثاني: خلق الصبر واحتمال الأذى	١٦٦ - ١٦٨
الفصل الثالث: في خلق التوكل على الله تعالى والاعتماد على النفس	١٦٩ - ١٧٣
الفصل الرابع: في الإيثار وحب الخير	١٧٤ - ١٧٦
الفصل الخامس: في خلق العدل والاعتدال	١٧٧ - ١٨٠
الفصل السادس: في خلق الرحمة	١٨١ - ١٨٣
الفصل السابع: في خلق الإحسان	١٨٤ - ١٨٦
الفصل الثامن: في خلق الصدق	١٨٧ - ١٩٠
الفصل التاسع: في خلق السخاء والكرم	١٩١ - ١٩٣
الفصل العاشر: في خلق التواضع وذم الكبر	١٩٤ - ١٩٧
الفصل الحادي عشر: في جملة أخلاق ذميمة: الظلم، أنواع الظلم: الحسد، الغش، الرياء، العجب والغرور، العجز والكسل	١٩٨ - ٢٠٦

الباب الرابع - في العبادات	٢٠٧
الفصل الأول: في الطهارة، بيانها، حكمها، الطهارة الباطنة، بيان النجاسات	٢٠٩ - ٢١١
الفصل الثاني: في آداب قضاء الحاجة	٢١٢ - ٢١٤
الفصل الثالث: في الوضوء، مشروعية الوضوء، فضله، فرائضه، سننه، مكروهاته، كيفية الوضوء نواقض الوضوء، ما يستحب منه الوضوء	٢١٥ - ٢٢١
الفصل الرابع: في الغسل، مشروعيته، بيان وجوبه، ما يستحب منه. الاغتسال، فروض الغسل، سننه، مكروهاته، كيفية الغسل	٢٢٢ - ٢٢٦
الفصل الخامس: في التيمم، مشروعيته، لمن يشرع التيمم، فروض التيمم وسننه، نواقض التيمم، كيفية التيمم	٢٢٧ - ٢٢٩
الفصل السادس: في المسح على الخفين والجباثر، مشروعية المسح، شروط المسح على الخفين، كيفية المسح	٢٣٠ - ٢٣١
الفصل السابع: في حكم الحيض والنفاس، تعريف الحيض، أحكام النفاس، تعريفه، أحكامه، ما يعرف به الطهر، ما يمنع بالحيض والنفاس، ما يباح مع الحيض والنفاس	٢٣٢ - ٢٣٦
الفصل الثامن: في الصلاة، حكمها، حكمتها، فضلها، تقسيم الصلاة إلى فرض وسنة ونفل، شروط الصلاة، فروض الصلاة، سننها، مكروهاتها، مبطلاتها، ما يباح للمصلي فعله، في سجود السهو، في كيفية الصلاة، صلاة الجماعة، حكمها، فضلها، أقل الجماعة، شهود النساء لها، الخروج، والمشي إليها، في الإمامة، شروطها، الأولى بالإمامة، إمامة الصبي، إمامة المرأة، إمامة المتيّم، وقوف المأموم مع الإمام، سترة الإمام سترة لمن خلفه، وجوب متابعة الإمام، استخلاف الإمام المأموم لعذر، تخفيف الصلاة، كراهية إمامة من تكرهه الجماعة، من يلي الإمام، انحراف الإمام بعد السلام، تسوية الصفوف، المسبوق، دخوله مع الإمام على أي حال، ثبوت الركعة بإدراك الركوع، قضاء المأموم، ما فات بعد سلام الإمام، قراءة المأموم خلف الإمام، النهي عن الدخول في النافلة إذا أقيمت المكتوبة، من أقيمت عليه صلاة العصر وهو لم يصل الظهر لا يصلي خلف الصف وحده، الصف الأول أفضل في الأذان، تعريفه، حكمه، صيغته، الإقامة، حكمها صيغتها، الإمام	

أملك بالاقامة، استحباب الترسل في الاذان والحذر في الاقامة، استحباب الدعاء بعد الاذان، استحباب متابعة المؤذن والمقيم. في القصر، معناه، حكمه، المسافة التي يسن فيها القصر، ابتداء القصر، انتهاءه، النافلة في السفر، عموم سنة القصر لكل مسافر الجمع، حكمه، صفته، صلاة المريض، صلاة الخوف، مشروعتها، صفتها في السفر، صفتها في الحضر. في صلاة الجمعة، حكمها، الحكمة في مشروعتها، فضل يوم الجمعة. آداب الجمعة، ما ينبغي أن يؤتى في يومها من الأعمال. شروط صحة الجمعة. من أدرك ركعة من الجمعة. تعدد إقامة الجمعة في البلد الواحد. كيفية صلاة الجمعة. في سنة الوتر. حكمه. تعريفه. ما يسن قبل الوتر، وقت الوتر. من نام عن الوتر حتى أصبح. القراءة في الوتر. كراهية تعدد الوتر رغبة الفجر. حكمها. وقتها. صفتها. الرواتب التطوع. أو النفل المطلق. فضله. حكمته، وقته الجلوس في النفل. بيان أنواع التطوع. تحية المسجد، صلاة الضحى. تراويح رمضان. صلاة ركعتين بعد الوضوء. صلاة ركعتين عند القدوم من السفر، ركعتا التوبة. الركعتان قبل المغرب. ركعتا الاستخارة. صلاة الحاجة. صلاة التسبيح. سجدة الشكر. سجود التلاوة في صلاة العيدين. حكمها. وقتها. ما ينبغي لها من آداب. صفتها في صلاة الكسوف. حكمها. وقتها. ما يستحب فعله في الكسوف. كيفية صلاة الكسوف. خسوف القمر صلاة الاستسقاء. حكمها. وقتها. ما يستحب قبلها، صفتها.

بعض ما ورد من ألفاظ الدعاء فيها ٢٣٧ - ٢٨٩

الفصل التاسع: في أحكام الجنائز. ما ينبغي من لدن الممرض الى الوفاة. استحباب التداوي. جواز الاسترقاء تحريم التمايم والعزائم. بعض ما كان يستشفى به ﷺ. جواز استطباب الكافر والمرأة. جواز اتخاذ المحاجر الصحية. وجوب عيادة المريض، وجوب حسن الظن بالله تعالى. تلقين الميت. توجيه المحتضر إلى القبلة. تغميض عينيه. تسجيته. ما ينبغي فعله من وفاته إلى دفنه. الاعلان عن وفاته تحريم النياحة وجواز البكاء. تحريم الاحداد أكثر من ثلاثة أيام إلا على زوج. قضاء ديونه. الاسترجاع والدعاء والصبر. وجوب تغسيله. صفة غسله. من عجز عن تغسيله يمم. تغسيل احد

الزوجين صاحبه استحباب بياض الكفن. كفن الحرير الصلاة على الميت. شروطها. فروضها. كيفيتها، المسبوق فيها. من دفن ولم يصل عليه. ألفاظ الدعاء في صلاة الجنازة تشييع الجنازة. فضله. ما يكره عند التشييع دفن الميت. تعميق القبر. اللحد. أو الشق ما ينبغي بعد الدفن. الاستغفار للميت والدعاء له، تسطیح القبر أو تسويته. تحريم تجصيص القبر، كراهية الجلوس على القبر. تحريم بناء المساجد على القبر. تحريم نبش القبر ونقل رفاتة. استحباب التعزية. بدعة المآثم. اصطناع المعروف لأهل الميت. الصدقة على الميت. قراءة القرآن على الميت حكم زيارة القبور وما يقوله زائرها.

حكم زيارة النساء للمقابر ٢٩٠ - ٣٠٦

الفصل العاشر. في الزكاة. حكمها. حكمتها. حكم مانعها. أجناس الأموال المذكية: النقدان. الأنعام. الثمر. الحبوب، الأموال التي لا تزكى: العبيد الخيل والبغال والحمير. الفواكه. الخضراوات. حلي النساء. الجواهر الكريمة. العروض ليست للتجارة شروط أنصبة الزكاة. عروض التجارة. الديون. الركاز. المعادن. المال المستفاد. الأنعام. من وجب عليه سن ولم يجدها. البقر. الغنم. اشتراط السوم في الأنعام. الأوقاص. يضم في الزكاة الضأن إلى المعز الخ. الخليطان. صغار الأنعام ذات العيب من الأنعام. الثمر والحبوب. ما يسقى بآلة مرة وبدونها أخرى. تجمع أنواع الثمر إلى بعضها. أنواع القطنية. حكم من استأجر أرضاً فبلغ الحاصل نصاباً. من ملك تمراً أو حباً بعد استوائه. من كان عليه دين استغرق جميع ماله. لا يسقط الدين زكاة حب ولا تمر ولا ماشية. في مصارف الزكاة وإيضاحها. لو دفع زكاته لصنف واحد. لا تدفع الزكاة إلى من تجب نفقته. دفع الزكاة إلى إمام المسلمين. لا تعطى الزكاة لكافر ولا لفاسق. لا يجوز نقل الزكاة من بلد لآخر إلا لضرورة. من له دين على فقير فجعله من زكاته. لا تجزىء الزكاة بغير نيتها في زكاة الفطر. حكمها. حكمتها. مقدارها. لا تخرج من غير الطعام، وقت وجوبها وقت أدائها. مصرفها. سقوطها على من لا يملك قوت يومه. من فضل له عن قوت يومه شيء دفعه وأجزأه جواز دفع صدقة نفر واحد إلى

أنفار وبالعكس ٣٠٧ - ٣٢٤

الفصل الحادي عشر: الصيام. تعريفه. تاريخ فرضه. فضله. فوائده الروحية، الاجتماعية، الصحية، ما يستحب من الصيام: ستة أيام من شوال. النصف الأول من شعبان. العشر الأول من الحجة. المحرم الأيام البيض. الاثنين والخميس، صيام يوم وإفطار يوم. صيام الاعزاب. ما يكره من الصوم: صوم يوم عرفة لمن بعرفة، صوم يوم الجمعة منفرداً. صوم يوم السبت منفرداً. صوم آخر شعبان. الوصال. صوم يوم الشك. صوم الدهر، صوم المرأة بلا إذن زوجها. الصوم المحرم: صوم يوم العيد. صوم أيام التشريق الثلاثة، صوم المريض الذي يخشى على نفسه. وجوب صوم رمضان. فضل رمضان. فضل البر والإحسان في رمضان. الصدقة. قيام الليل. الاعتكاف. الاعتمار. بم يثبت شهر رمضان؟ من رأى الهلال وجب عليه أن يصوم. شروط الصوم. صوم المسافر حكم الصوم الشيخ الكبير. والحامل، والمرضة. حكم من فرط في قضاء رمضان حتى دخل عليه رمضان آخر. أركان الصوم. سنن الصوم، تعجيل الفطر، كون الفطر على رطب أو ماء، الدعاء عند الفطر، السحور، تأخير، حكم من شك في طلوع الفجر، مكروهات الصوم، مبطلات الصوم، ما يوجب القضاء والكفارة، ما يباح للصائم فعله، ما يعفى عنه للصائم الكفارة، الحكمة في الكفارة ٣٢٣ - ٣٣٩

الفصل الثاني عشر: في الحج والعمرة، حكمها، حكمتها، بيان الاستطاعة. الترغيب في الحج والعمرة، والترهيب من تركهما. أركان الحج والعمرة، الإحرام. واجبات الاحرام محظورات الإحرام. حكم المحظورات. في الطواف. شروطه. سنن الطواف، آداب الطواف. في السعي، شروطه، سننه، آداب السعي الوقوف بعرفة، واجباته، سننه، آداب الوقوف بعرفة. الاحصار. في طواف الوداع. كيفية الحج والعمرة ٣٤٠ - ٣٥٨

الفصل الثالث عشر: في زيارة المسجد النبوي الشريف. فضل المدينة وأهلها. فضل المسجد النبوي الشريف بزيارة قبر النبي ﷺ. زيارة الأماكن الفاضلة بالمدينة المنورة الشهداء. مسجد قباء. البقيع ٣٥٩ - ٣٦٣

الفصل الرابع عشر: في الأضحية. تعريفها. حكمها. فضلها. حكمها. أحكام الأضحية. سننها. اشتراط سلامتها من العيوب. أفضلها. وقت ذبحها. صحة

- الوكالة فيها قسمتها المستحبة. إجزاء الشاة الواحدة عن أهل البيت. ما
يتجنب من عزم على الأضحية. تضحية الرسول ﷺ عن جميع الأمة في
العقيقة. حكمها. حكمتها. أحكامها. الاذان والاقامة في أذني المولود. إذا
فات السابع ولم يعق عن المولود ٣٦٤ - ٣٦٨
- الباب الخامس: في «المعاملات» ٣٦٩
- الفصل الأول: في الجهاد. حكمه. أنواع الجهاد فضل الجهاد. في الرباط.
حكمه. فضله. وجوب الإعداد للجهاد. أركان الجهاد. ما يلزم لخوض
المعركة. آداب الجهاد في عقد الذمة وأحكامها. الهدنة. المعاهدة. قسمة
الغنائم. الفبيء، الخراج. الجزية، النفل. اسرى الحرب ٣٧١ - ٣٨٥
- الفصل الثاني: في البيوع. حكم البيع. حكمته. أركانه. ما يصح من الشروط وما
لا يصح. حكم الخيار في البيع بيان انواع من البيوع ممنوعة منها: بيع السلعة
قبل قبضها. بيع المسلم على المسلم. بيع النجش. بيع المحرم والنجس.
بيع الغرر. بيع بيعتين في بيعة. بيع العربون. بيع ما ليس عنده. بيع الدين
بالدين. بيع العينة. بيع الحاضر للبادي. الشراء من الركبان. بيع المصرة.
البيع عند النداء الأخير لصلاة الجمعة. بيع المزبنة والمحاولة. بيع الثنيا. في
بيع أصول الثمار. في الربا. تعريفه حكمه. حكمة تحريمه أصول الربويات.
الربا في جميع الربويات يكون من ثلاثة أوجه. بيان أجناس الربويات.
البنوك. صورة للبنك الاسلامي المقترح. التأمين. الصرف. تعريفه. حكم
الصرف. حكمته. شروطه. أحكامه في السلم. تعريفه. حكمه. شروطه.
أحكامه. صورة لكتابة البيع. صورة لكتابة السلم في الشفعة. أحكامها.
الإقالة. تعريفها. حكمها ٣٨٦ - ٤٠٤
- الفصل الثالث: في جملة عقود: الشركة. مشروعيتها. شركة العنان. شروط صحة
شركة العنان. شركة الابدان. أحكامها. شركة الوجوه، شركة المفوضة،
المضاربة. مشروعيتها، أحكامها المساقاة. تعريفها. حكمها. أحكامها
المزارعة. تعريفها. حكمها. أحكامها الاجارة. تعريفها. حكمها. شروطها.
أحكامها الجعالة. تعريفها، حكمها. أحكامها الحوالة. تعريفها. حكمها.
شروطها وأحكامها الضمان. تعريفه. حكمه. أحكامه. صورة كتابته الكفالة.

حكمها وأحكامها الرهن. حكمه، أحكامه صورة كتابته. الوكالة. شروطها. حكمها، أحكامها. صورة كتابتها الصلح. حكمه، أقسامه. أحكامه، صورة كتابته إحياء الموات. فضل الماء. الإقطاع والحمى ٤٠٥ - ٤٣١

الفصل الرابع: في جملة أحكام: القرض. حكمه. شروطه. أحكامه الوديعة. حكمها. أحكامها. العارية. حكمها. أحكامها. كيفية كتابتها الغصب. حكمه. أحكامه اللقطة. حكمها. أحكامها. كيفية كتابتها اللقيط. حكمه: أحكامه: كيفية كتابته الحجر: حكمه. أحكام من يحجر عليهم الصغير: السفه. المجنون. المريض التفليس. أحكامه. كتابة الحجر على المفلس. كتابة الحجر على السفه المبذر الوصية. حكمها، شروطها. أحكامها كيفية كتابتها الوقف. حكمه. شروطه. أحكامه. كيفية كتابته الهبة، حكمها. شروطها. أحكامها صورة كتابتها العمرى. حكمها. أحكامها. كتابتها الرقبى ٤٣٢ - ٤٥٥

الفصل الخامس: النكاح. حكمه. الحكمة منه. أحكامه. آدابه. الشروط في النكاح: الخيار فيه. موجبات الخيار: العيب والغرر. الإعسار. إذا غاب الزوج ولم يعرف مكان غيبته. كتابة المحضر بغية الزوج الزوجة بذلك الحقوق الزوجية: حقوق الزوجة على زوجها. حقوق الزوج على زوجته: نشوز الزوجة، آداب الفراش، الأنكحة الفاسدة: نكاح المتعة، الشغار، نكاح السحلل، نكاح المحرم، النكاح في العدة، النكاح بلا ولي، نكاح الكافرة غير الكتابية، نكاح المحرمات تحريماً مؤبداً، المحرمات بالنسب، المحرمات بالمصاهرة، المحرمات بالرضاع، المحرمات تحريماً مؤقتاً، الطلاق، حكمه، أركانه، أقسامه، الطلاق الرجعي، الطلاق بالكنية، الطلاق الصريح، الطلاق المنجز والمعلق، طلاق التخيير والتملك، الطلاق بالوكالة والكتابة، الطلاق بالتحريم، الطلاق الحرام الخلع، حكمه، شروطه، أحكامه الإيلاء الظهار، حكمه، أحكامه اللعان، تعريفه، مشروعيته، حكمته، أحكامه العدد، تعريف العدة، حكمها، المتعة (بالحامش) الحكمة في العدة، أنواع العدد، تداخل العدد، الاستبراء، الاحداد النفقات، تعريف النفقة، من تجب لهم النفقة، مقدار النفقة، متى تسقط النفقة؟ وجوب صلة الرحم، الحضانة، حكمها، على من تجب؟ من الأولى بها، متى تسقط، مدتها. نفقة

- الولد وأجرة الحضانة، تردد المحضون بين والديه، السفر بالطفل، الطفل
المحضون أمانة في يد الحاضن ٤٥٦ - ٤٩٤
- الفصل السادس: في الموارث وأحكامها، في حكم التوارث، أسباب الإرث،
موانع الإرث، شروط الإرث، في بيان من يرث من الرجال والنساء في بيان
الفروض، التعصيب، أقسام العصبية، المسألة المشتركة في الحجب،
تعريفه، قسما الحجب أحوال الجد، في الأكدرية، في تصحيح الفرائض
العول، تعريفه، حكمه، ما يدخله العول كيفية التأجيل، الأنظار الأربعة،
الانكسار، في قسمة التركات، في المناسخة، في الخنثى المشكل، في إرث
الحمل والمفقود والفرقي ومن اليهم ٤٩٥ - ٥٢٣
- الفصل السابع: في اليمين: ما يجوز منها وما لا يجوز، أقسامها، حكم كل قسم
منها، ما تسقط به الكفارة، استحباب الحنث في أمور الخير، الحلف بحسب
نية الحالف، كفارة اليمين، النذر، حكمه، أنواعه: النذر المطلق وحكمه،
نذر المعصية، نذر ما لا يملك، تحريم ما لا يملك، تحريم ما أحل الله
تعالى، من نذر كل ماله قضاء، نذر من مات وعليه نذر ٥٢٥ - ٥٢٩
- الفصل الثامن: في الزكاة، تعريف الذبح والنحر، كيفيتهما، شروط صحة الزكاة،
زكاة الجنين وترك التسمية نسياناً، قطع رأس الذبيحة، الصيد. حكمه
وأنواعه. زكاة الصيد. ما أدرك من الصيد ميتاً أكل بشرط في الطعام. حكمه.
أنواع المحظورات بالسنة. ما حظر بدليل منع الضرر. ما يباح من المحظورات
للمضطر، الشراب. تعريفه. حكمه. الخمر. عصير الخليطين ألبان وأبوال
محرمات الأكل. ما ثبت ضرره للجسم. أنواع المشروبات التدخينية. ما يباح
للمضطر ٥٣٠ - ٥٣٩
- الفصل التاسع: في الجنايات. الجناية على النفس. حكمها. أنواع الجنايات
على النفس. الجناية العمد. شبه العمد. الخطأ أحكام الجنايات. شروط
وجوب القصاص شروط استيفاء القصاص التخيير بين القود والدية والعفو،
حكم من اختار الدية. إذا مات القاتل كفارة القتل. الجنايات على الاطراف.
حكمها. شروط القصاص في الاطراف. قتل الجماعة بالواحد سراية الجناية.
لا يقتصر في جرح قبل برئه. الدية. تعريفها. حكمها. عمن تسقط الدية.
مقادير الدية. دية النفس. دية الأطراف، دية الشجاج والجراح، بم تثبت

الجنائية، القسامة ٥٤٠ - ٥٥١

الفصل العاشر: في الحدود، حد الخمر، حكم شرب الخمر، الحكمة في تحريم الخمر، حكم شارب الخمر، شروط وجوب الحد على شارب الخمر، عدم تكرار الحد على شاربها، كيفية إقامة الحد على الشارب. لا يقام الحد على الشارب وهو سكران أو مريض. حد القذف، تعريف القذف، حكم القذف، حده، شروط إقامته على القاذف. حد الزنا، تعريف الزنا، حكمه، حكمة تحريره. حد الزنا، شروط إقامة الحد على الزاني، كيفية إقامة الحد على الزناة. حد اللواط، حكم العبد والأمة إذا زنيا حد السرقة، حكمها، بم تثبت السرقة، شروط القطع، ما يجب على السارق، كيفية القطع، ما لا قطع فيه، تحريم الشفاعة في الحدود. حد المحاربين، تعريف المحاربين، أحكامهم. أهل البغي، تعريفهم. أحكامهم. إذا اقتلت طائفتان من المسلمين لعصبية أو مال. من يقتل كفرة: المرتد، تعريفه، حكمه، ما يكفر من الأقوال والاعتقادات، أدلة ذلك، حكم من كفر بسبب ما ذكر من المكفرات. حكم من قال كلمة الكفر مكرهاً. الزنديق، تعريفه، حكمه، الساحر، حكمه، تارك

الصلاة، حكمه. التعزير، حكمه، أحكامه ٥٥٢ - ٥٦٧

الفصل الحادي عشر: القضاء. تعريفه. حكمه. خطر منصبه لا يولي القضاء من طلبه، شروط تولية القاضي. آداب القاضي، ما يلزم القاضي تحاشيه، ولاية القاضي، بم يحكم القاضي. كيفية الحكم وطريقته. تنبيهات هامة في مسائل القضاء. الشهادات. تعريف الشهادة، حكمها. شروط الشاهد. أحكام الشهادة. أنواع الشهادات. الإقرار. تعريفه. ممن يقبل الإقرار. حكمه بعض

أحكامه. اعتراف المفلس أو المحجور عليه ٥٦٨ - ٥٧٦

الفصل الثاني عشر: الرق: تعريفه. حكمه. تاريخه ومنشؤه. أسبابه. معاملة الرقيق عند المسلمين ومعاملته عند غيرهم من الأمم. الرد على من يقول لم لم يفرض الإسلام تحرير الرقيق فرضاً؟ أحكام الرقيق. العتق. حكمه. حكمته أحكامه التدبير. حكمه. حكمته. أحكامه. المكاتب. تعريفه، حكم المكاتب. أحكام المكاتب أم الولد. تعريفها، حكم التسري. حكمته. أحكام أم الولد. الولاء. تعريفه. حكمه. أحكامه ٥٧٧ - ٥٨٨

